

وَقَفَّ لِلَّهِ تَعَالَى

# موارد اللفظ السمان لدروس الزمان خطب وحكم وأحكام وقواعد ومواعظ وآداب وأخلاق حسان

تأليف الفقير إلى عفو ربه

عبد العزيز بن محمد السلمان

المدرس في معهد إمام الدعوة بالرياض

سابقاً

الجزء الرابع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَبِهِ نَسْتَعِينُ

شعراً: إِذَا شِئْتَ أَنْ تَلْقَى عَدُوَّكَ رَاغِمًا فُخِّرْ قَهْ حُزْنًا وَتَقْتُلْهُ غَمًّا  
فَعَلَيْكَ بِالْإِخْلَاصِ وَالزُّهْدِ وَالتَّقَى فَمَنْ فَازَ فِيهَا مَاتَ حُسَادُهُ هَمًّا

فائدة : وَقَفَ قَوْمٌ عَلَى عَالِمٍ فَقَالُوا : إِنَّا سَأَلُوكَ أَفْمَجِّبِنَا أَنْتَ ؟ قَالَ : سَلُوا وَلَا تُكْتِرُوا ، فَإِنَّ  
التَّهَارَ لَنْ يَعُودَ ، وَالطَّالِبَ حَيْثُ فِي طَلِبِهِ . قَالُوا : فَأَوْصِنَا . قَالَ : تَزَوَّدُوا عَلَى قَدْرِ سَفَرِكُمْ  
فَإِنَّ خَيْرَ الرِّادِ مَا أَبْلَغَ البُعِيَّةَ . ثُمَّ قَالَ : الأيَّامُ صحائفُ الأعمارِ فَحَلِّدُوهَا أَحْسَنَ الأَعْمَالِ ،  
فَإِنَّ المُرْصَ تَمُرٌ مَرَّ السَّحَابِ ، وَالتَّوَانِي مِنْ أَخْلَاقِ الكُسَالِي وَالحَوَالِفِ ، وَمَنْ اسْتَوَطَنَ مَرْكَبَ  
العِجْزِ عَثَرَ بِهِ ، وَتَزَوَّجَ التَّوَانِي بالكَسَلِ فَوُلِدَ بَيْنَهُمَا الحُسْرَانُ أ . هـ . قَالَ بَعْضُهُمْ :

شعراً: تَزَوَّجَتِ البَطَالَةُ بالتَّوَانِي فَأَوْلَدَهَا غُلَامًا مَعِ غُلَامَةٍ  
فَأَمَّا الإِبْنُ سَمَّوَهُ بِفَقْرٍ وَأَمَّا البِنْتُ سَمَّوَهَا نَدَمَةً

آخر: يَا سَاكِنِ الدُّنْيَا تَاهَبْ وَأَنْتَظِرُ يَوْمَ الفِرَاقِ  
وَأَعْدَدْ زَادًا لِلرَّحِيْلِ فَسَوْفَ يُحْدِي بِالرَّفْاقِ

وَابْنِكَ الذُّنُوبَ بِأَدْمَعٍ تَنْهَلُ مِنْ سُحْبِ المَآقِ  
يَا مَنْ أَضَاعَ زَمَانَهُ أَرْضِيَتْ مَا يَفْنَى بِبَاقِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُلاحظة :

لا يسمح لأي إنسان أن يَحْتَصِرَهُ أو يَتَعَرَّضَ له بما يُسْمُونَهُ تَحْقِيقًا لِأَنَّ الإِخْتِصَارَ سَبَبٌ لتعطيل الأصل والتحقيق أرى أَنَّهُ إتهام للمؤلف ، ولا يُطَبَعُ إلا وَقَفًا لله تعالى على من ينتفع به من المسلمين .

( فائدة عَظِيمَةٌ النَّفْعَ لِمَنْ وَقَّفَهُ اللهُ )

مَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً أَفْضَلَ مِنْ أَنْ عَرَفَهُ لِإِلَهٍ إِلَّا اللهُ ، وَفَهَّمَهُ مَعْنَاهَا ، وَوَقَّفَهُ لِلْعَمَلِ بِمُقْتَضَاهَا ، وَالِدَّعْوَةَ إِلَيْهَا .

إِصْرَفْ هُمُومَكَ لِلْقُرْآنِ تَفْهَمُهُ      وَاعْمَلْ بِهِ كَيْ تَنَالَ الْأَجْرَ وَالشَّرَفَا

آخر:      الذِّكْرُ أَصْدَقُ قَوْلٍ فَافْهَمْ الْخَبْرَا  
فَاعْمَلْ بِهِ إِنْ تُرِدْ فَهْمًا وَمَعْرِفَةً  
وتحمد الله في يوم المعاد إذا  
الله دُرُّ رَجَالٍ عَامِلِينَ بِهِ  
لأنه قَوْلُ مَنْ قَدْ أَنْشَأَ الْبَشْرَا  
يَا ذَا النَّهْيِ كَيْ تَنَالَ الْعِزَّ وَالْفَخْرَا  
جَاءَ الْحِسَابُ وَعَمَّ الْخَوْفُ وَانْتَشَرَا  
فِيمَا يَدِيقُ وَمَا قَدْ جَلَّ وَاشْتَهَرَا

آخر:      جَمِيعُ الْكُتُبِ يُدْرِكُ مَنْ قَرَاهَا  
سِوَى الْقُرْآنِ فَافْهَمْ وَاسْتَمِعْ لِي  
مِلَالٌ أَوْ فُتُورٌ أَوْ سَامَاهُ  
وَقَوْلِ الْمُصْطَفَى يَا ذَا الشَّهَامَهُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

آخر: هِيَ الْكُنُوزُ الَّتِي تَنْمُو ذَخَائِرُهَا      وَلَا يُخَافُ عَلَيْهَا حَادِثُ الْغَيْرِ  
النَّاسُ اِئْتِنَانِ دُؤُوعِلْمٍ وَمُسْتَمَعٍ      وَاعٍ وَغَيْرُهُمَا كَاللَّغْوِ وَالْهَدْرِ

(١)

اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ يَعْمَلَانِ فَيْنِكَ فَاعْمَلْ فِيهِمَا أَعْمَالاً صَالِحَةً تَرْبِحُ وَتَحْمَدُ الْعَاقِبَةَ الْحَمِيدَةَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ  
تعالى .

وَلَيْلِكَ شَطْرُ عُمْرِكَ فَاعْتَنِمَهُ      وَلَا تَذْهَبْ بِشَطْرِ الْعُمْرِ نَوْمًا  
آخر: أَلَا لَيْتَ أَنِّي يَوْمَ تَدُنُّو مِنِّي يَ      الْأَزْمُ ذَكَرَ اللَّهُ فِي كُلِّ لِحْظَةٍ

(٢)

الملائكة يَكْتُبَانِ مَا تَلْفَظُ بِهِ فَاحْرَصْ عَلَى أَنْ لَا تَنْطِقَ إِلَّا بِمَا يَسُرُّكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَشْرَفَ الْأَشْيَاءِ  
قَلْبِكَ وَوَقْتُكَ ، فَإِذَا أَهْمَلْتَ قَلْبَكَ وَضَيَّعْتَ وَقْتُكَ ، فَمَادَا يَبْقَى مَعَكَ ، كُلُّ الْفَوَائِدِ ذَهَبَتْ .  
شعراً: أَمَا بِيُؤْتِيكَ فِي الدُّنْيَا فَوَاسِعَةً      فَلَيْتَ قَبْرِكَ بَعْدَ الْمَوْتِ يَتَّسِعُ

(٣)

إِعْلَمْ أَنَّ قِصَرَ الْأَمَلِ عَلَيْهِ مَدَارٌ عَظِيمٌ ، وَحِصْنُ الْأَمَلِ ذِكْرُ الْمَوْتِ ، وَحِصْنُ حِصْنِهِ ذِكْرُ فَجَاءَةِ  
الموتِ وَأَخَذُ الْإِنْسَانِ عَلَى غِرَّةٍ وَغَفْلَةٍ ، وَهُوَ فِي غَرْرِ وَفُتُورٍ عَنِ الْعَمَلِ لِلْآخِرَةِ . نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ  
يُوقِضَ قُلُوبَنَا إِنَّهُ عَلِيٌّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلِّمْ .

آخر: إِذَا كَانَ رَأْسُ الْمَالِ عُمْرُكَ فَاحْتَرِزْ      عَلَيْهِ مِنَ الْإِنْفَاقِ فِي غَيْرِ وَاجِبٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

( فَصْلٌ )

" فِي نِمَاجٍ مِنَ الْفِرَاسَةِ "

وكانَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَهُ فِرَاسَةٌ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ أُتِيَ يَوْمًا بِفَتَىٍّ أَمْرٍ قَدْ وُجِدَ قَتِيلًا مُلْقَى عَلَى الْأَرْضِ فَسَأَلَ عُمَرُ عَنْ أَمْرِهِ وَاجْتَهَدَ فَلَمْ يَقِفْ لَهُ عَلَى خَبْرٍ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ .  
فَقَالَ : اللَّهُمَّ أَظْفِرْنِي بِقَاتِلِهِ حَتَّى إِذَا كَانَ عَلِيٌّ رَأْسَ الْحَوْلِ وَوَجَدَ صَبِيًّا مَوْلُودًا مُلْقَى بِمَوْضِعِ الْقَتِيلِ فَأَتَى بِهِ عُمَرُ فَقَالَ : ظَفَرْتُ بِدَمِ الْقَتِيلِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى فَدَفَعَ الصَّبِيَّ إِلَى امْرَأَةٍ تَرْضَعُهُ وَتَقُومُ بِشَأْنِهِ ، وَقَالَ : خُذِي مِنَّا نَفَقَتَهُ وَأَنْظُرِي مَنْ يَأْخُذُهُ مِنْكَ فَإِذَا وَجَدْتِ امْرَأَةً تُقْبِلُهُ وَتَضُمُّهُ إِلَى صَدْرِهَا فَأَعْلِمِينِي بِمَكَانِهَا .

فلما شبَّ الصَّبِيُّ جَاءَتْ جَارِيَةٌ فَقَالَتْ لِلْمَرْأَةِ : إِنَّ سَيِّدَتِي بَعَثَتْنِي إِلَيْكَ لِتَبْعَنِي بِالصَّبِيِّ لِتَرَاهُ وَتُرُدَّهُ إِلَيْكَ . قَالَتْ : نَعَمْ إِذْهَبِي بِهِ إِلَيْهَا وَأَنَا مَعَكَ فَذَهَبَتْ بِالصَّبِيِّ وَالْمَرْأَةُ مَعَهُ حَتَّى دَخَلَتْ عَلَى سَيِّدَتِهَا فَلَمَّا رَأَتْهُ أَخَذَتْهُ فَقَبَّلَتْهُ وَضَمَّتْهُ إِلَيْهَا .

فإِذَا هِيَ ابْنَةُ شَيْخٍ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فَأَتَتْ عُمَرَ فَخَبَّرَتْهُ فَاشْتَمَلَ عَلَى سَيْفِهِ ثُمَّ أَقْبَلَ إِلَى مَنْزِلِ الْمَرْأَةِ فَوَجَدَ أَبَاهَا مُتَكِنًا عَلَى الْبَابِ فَقَالَ : يَا فُلَانُ مَا فَعَلْتَ ابْتِكُ فُلَانَةً ؟ قَالَ : جَزَّأَهَا اللَّهُ خَيْرًا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هِيَ مِنْ أَعْرَفِ النَّاسِ بِحَقِّ اللَّهِ وَحَقِّ أَبِيهَا مَعَ حُسْنِ صَلَاتِهَا وَصِيَامِهَا وَالْقِيَامِ بِدِينِهَا .

فَقَالَ عُمَرُ : قَدْ أَحْبَبْتُ أَنْ أَدْخُلَ إِلَيْهَا فَأَزِيدَهَا رَغْبَةً فِي الْخَيْرِ وَأُحْتَفَّهَا عَلَيْهِ فَدَخَلَ أَبُوهَا وَدَخَلَ  
عُمَرُ مَعَهُ فَأَمَرَ مَنْ عِنْدَهَا فَخَرَجَ وَبَقِيَ هُوَ وَالْمَرْأَةُ فِي الْبَيْتِ فَكَشَفَ عُمَرُ عَنِ السَّيْفِ وَقَالَ  
لَتَصُدُقَنِي وَإِلَّا ضَرَبْتُ عُنُقَكَ وَكَانَ لَا يَكْذِبُ .

فَقَالَتْ : عَلَى رِسْلِكَ فَوَاللَّهِ لِأَصْدُقَنَّ ، إِنَّ عَجُوزًا كَانَتْ تَدْخُلُ عَلَيَّ فَاتَّخَذْتُهَا أُمًّا وَكَانَتْ تَقُومُ  
مِنْ أَمْرِي كَمَا تَقُومُ بِهِ الْوَالِدَةُ وَكُنْتُ لَهَا بِمَنْزِلَةِ الْبِنْتِ فَمَضَى لِدَلِكِ حِينَئِذٍ ثُمَّ إِذَا قَالَتْ : يَا بُنَيَّةُ  
إِنَّهُ قَدْ عَرَضَ لِي سَفَرٌ وَإِلَى ابْنَتِي فِي مَوْضِعٍ أَخْوَفُ عَلَيْهَا فِيهِ أَنْ تَضِيعَ وَقَدْ أَحْبَبْتُ أَنْ أَضُمَّهَا  
إِلَيْكَ حَتَّى أَرْجِعَ مِنْ سَفَرِي .

فَعَمَدَتْ إِلَى ابْنِ لَهَا شَابٍ أَمْرِدٍ فَهَيَّئَتْهُ كَهَيْئَةِ الْجَارِيَةِ وَأَتَتْنِي بِهِ وَلَا أَشُكُّ أَنَّهُ جَارِيَةٌ فَكَانَ يَرِي  
مِنِي مَا تَرِي الْجَارِيَةَ مِنَ الْجَارِيَةِ حَتَّى اعْتَفَلَنِي يَوْمًا وَأَنَا نَائِمَةٌ فَمَا شَعَرْتُ حَتَّى عَلَانِي  
وَخَالَطَنِي فَمَدَدَتْ يَدِي إِلَى شَفْرَةٍ كَانَتْ إِلَى جَنْبِي فَمَتَلَتْهُ .

ثُمَّ أَمَرْتُ بِهِ فَأَلْقَيْتُ حَيْثُ رَأَيْتُ فَاشْتَمَلْتُ مِنْهُ عَلَى هَذَا الصَّبِيِّ فَلَمَّا وَضَعْتُهُ أَلْقَيْتُهُ فِي مَوْضِعٍ أَبِيهِ  
فَهَذَا وَاللَّهِ خَبَرْتُهُمَا عَلَى مَا أَعْلَمْتُكَ .

فَقَالَتْ : صَدَقْتَ ثُمَّ أَوْصَاهَا وَدَعَا لَهَا وَخَرَجَ وَقَالَ لِأَبِيهَا : نَعَمْ الْابْنَةُ ابْنَتُكَ ثُمَّ انْصَرَفَ .  
وَقَالَ نَافِعٌ عَنْ ابْنِ عُمَرَ : بَيْنَمَا عُمَرُ جَالِسٌ إِذْ رَأَى رَجُلًا فَقَالَ : لَسْتُ ذَا دِرَايَةٍ إِنْ لَمْ يَكُنْ  
هَذَا الرَّجُلُ قَدْ كَانَ يَنْظُرُ فِي الْكِهَانَةِ ادْعُوهُ لِي . فَدَعُوهُ فَقَالَ : هَلْ كُنْتَ تَنْظُرُ وَتَقُولُ فِي  
الْكِهَانَةِ شَيْئًا ؟ قَالَ : نَعَمْ .

وَقَالَ مَالِكٌ عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ إِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ قَالَ لِرَجُلٍ : مَا اسْمُكَ ؟ قَالَ : جَمْرَةٌ .  
قَالَ : ابْنُ مَنْ ؟ قَالَ : ابْنُ شِهَابٍ . قَالَ مِمَّنْ ؟ قَالَ : مِنَ الْحُرَّةِ . قَالَ : أَيْنَ

مَسْكُنُكَ . قَالَ : بِحِرَّةِ النَّارِ . قَالَ : أَيُّهَا . قَالَ : بِذَاتِ لَظِي . فَقَالَ عُمَرُ : أَدْرِكْ أَهْلَكَ فَقَدْ احْتَرَفُوا . فَكَانَ كَمَا قَالَ .

وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ اتَّخَذْتَ مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلَّى فَنَزَلْتَ الْآيَةَ ( وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلَّى ) وَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ أَمَرْتَ نِسَائِكَ أَنْ يَحْتَجِبْنَ فَنَزَلْتَ آيَةَ الْحِجَابِ واجْتَمَعَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نِسَاؤُهُ فِي الْغَيْبَةِ فَقَالَ هُنَّ : عُمَرُ عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَعَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ فَنَزَلَتْ كَذَلِكَ .

وَشَاوَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْأُسْرَى يَوْمَ بَدْرٍ فَأَشَارَ بِقَتْلِهِمْ ، وَنَزَلَ الْقُرْآنُ بِمُؤَافَقَتِهِ . وَرَوَى زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : قَدِمْتُ عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حُلَلٌ مِنَ الْيَمَنِ فَكَسَمَهَا بَيْنَ النَّاسِ فَرَأَى فِيهَا حُلَّةً رَدِيئَةً فَقَالَ : كَيْفَ أَصْنَعُ بِهَذِهِ إِنْ أَحَدًا لَمْ يَقْبَلْهَا فَطَوَّأَهَا وَجَعَلَهَا تَحْتَ بَحْلِسِهِ وَأَخْرَجَ طَرَفَهَا وَوَضَعَ الْحُلَّةَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَجَعَلَ يَقْسِمُ بَيْنَ النَّاسِ .

فَدَخَلَ الرَّبِيعُ وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ فَجَعَلَ يَنْظُرُ إِلَى تِلْكَ الْحُلَّةِ ، فَقَالَ : مَا هَذِهِ الْحُلَّةُ ؟ فَقَالَ : عُمَرُ دَعَا عَنكَ ؟ قَالَ : مَا شَأْنُهَا ؟ قَالَ : دَعَا . قَالَ : فَأَعْطَيْتُهَا . قَالَ : إِنَّكَ لَا تَرْضَاهَا . قَالَ : بَلَى قَدْ رَضِيْتُهَا . فَلَمَّا تَوَقَّعَ مِنْهُ وَاشْتَرَطَ عَلَيْهِ أَنْ لَا يَرُدَّهَا رَمَى بِهَا إِلَيْهِ فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهَا إِذَا هِيَ رَدِيئَةٌ . قَالَ : لَا أُرِيدُهَا . قَالَ عُمَرُ : هَيْهَاتَ قَدْ فَرَعْتُ مِنْهَا . فَأَجَارَهَا عَلَيْهِ وَلَمْ يَقْبَلْهَا .

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِلْهُدَايَةِ وَأَبْعَدْنَا عَنْ أَسْبَابِ الْجَهَالَةِ وَالْعَوَايَةِ ، اللَّهُمَّ ثَبِّتْنَا عَلَى الْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ وَلَا تُزِعْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ الْوَهَّابُ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

( فَصْلٌ )

وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ خَاصَمَ غُلَامٌ مِنَ الْأَنْصَارِ أُمَّهُ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَجَحَدَتْهُ  
فَسَأَلَهُ الْبَيْتَةَ فَلَمْ تَكُنْ عِنْدَهُ وَجَاءَتْ الْمَرْأَةَ بِنَفَرٍ فَشَهِدُوا أَنَّهَا لَمْ تَتَزَوَّجْ وَأَنَّ الْغُلَامَ كَاذِبٌ عَلَيْهَا  
وَقَدْ قَدَفَهَا فَأَمَرَ عُمَرُ بِضَرْبِهِ .

فَلَقِيَهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَسَأَلَهُ عَنْ أَمْرِهِمْ فَأَخْبَرَهُ فَدَعَا لَهُمْ ثُمَّ قَعَدَ فِي مَسْجِدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَأَلَ الْمَرْأَةَ فَجَحَدَتْ فَقَالَ لِلْغُلَامِ : اجْحَدْهَا كَمَا جَحَدْتِكَ . فَقَالَ : يَا ابْنَ عَمِّ  
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّهَا أُمِّي . قَالَ : اجْحَدْهَا وَأَنَا أَبُوكَ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ أَخَوَاكَ .  
قَالَ : قَدْ جَحَدْتُهَا وَأَنْكَرْتُهَا . فَقَالَ عَلِيُّ لِأَوْلِيَاءِ الْمَرْأَةِ أَمْرِي فِي هَذِهِ الْمَرْأَةِ جَائِزٌ . قَالُوا : نَعَمْ  
وَفِينَا أَيْضًا . فَقَالَ : أَشْهَدُ مَنْ حَضَرَ أَنِّي قَدْ زَوَّجْتُ هَذَا الْغُلَامَ مِنْ هَذِهِ الْمَرْأَةِ الْغَرِيبَةِ مِنْهُ يَا  
قَنْبَرُ اثْنَيْ بَدْرَاهِمَ فَاتَاهُ فَعَدَّ أَرْبَعَمِائَةٍ وَثَمَانِينَ دِرْهَمًا فَقَدَفَهَا مَهْرًا لَهَا .

وَقَالَ لِلْغُلَامِ خُذْ بَيْدَ امْرَأَتِكَ وَلَا تَأْتِنَا إِلَّا وَعَلَيْكَ أَثَرُ الْعُرْسِ فَلَمَّا وُلِيَ قَالَتِ الْمَرْأَةُ : يَا أَبَا الْحَسَنِ  
اللَّهُ اللَّهُ هُوَ النَّارُ هُوَ وَاللَّهُ ابْنِي .

قَالَ : وَكَيْفَ ذَلِكَ ؟ قَالَتْ : إِنَّ أَبَاهُ كَانَ هَجِينًا - الْهَجِينُ عَرَبِيٌّ وُلِدَ مِنْ أُمَةٍ أَوْ مِنْ أَبُوهُ خَيْرٌ  
مِنْ أُمَّهِ - وَإِنَّ إِخْوَتِي زَوْجُونِي مِنْهُ فَحَمَلْتُ بِهَذَا الْغُلَامِ وَخَرَجَ الرَّجُلُ غَازِيًا فَقُتِلَ وَبَعَثْتُ بِهَذَا  
إِلَى حَيِّ بَنِي فُلَانٍ فَنَشَأَ فِيهِمْ وَأَنْفَتُ أَنْ يَكُونَ ابْنِي فَقَالَ عَلِيُّ : أَنَا أَبُو الْحَسَنِ وَالْحَقُّهُ بِهَا  
وَتَبَّتْ نَسَبُهُ .

وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ سَأَلَ رَجُلًا كَيْفَ أَنْتَ ؟ فَقَالَ : مِمَّنْ يُجِبُّ



الْفِتْنَةَ وَيَكْرَهُ الْحَقَّ وَيَشْهَدُ عَلَى مَا لَمْ يَرَهُ . فَأَمَرَ بِهِ إِلَى السَّجْنِ فَأَمَرَ عَلِيٌّ بِرَدِّهِ . فَقَالَ :  
صَدَقَ . فَقَالَ : كَيْفَ صَدَّقْتَهُ . قَالَ : يُحِبُّ الْمَالَ وَالْوَلَدَ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ( إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ  
وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ) ، وَيَكْرَهُ الْمَوْتَ وَهُوَ الْحَقُّ وَيَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَلَمْ يَرَهُ فَأَمَرَ عُمَرُ بِإِطْلَاقِهِ  
وَقَالَ ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ .

وَشَكَكَ شَابٌ إِلَى عَلِيٍّ نَفَرًا فَقَالَ : إِنَّ هَؤُلَاءِ خَرَجُوا مَعَ أَبِي فِي سَفَرٍ فَعَادُوا وَلَمْ يَعُدْ أَبِي  
فَسَأَلْتُهُمْ عَنْهُ فَقَالُوا : مَاتَ . فَسَأَلْتُهُمْ عَنْ مَالِهِ فَقَالُوا : مَا تَرَكَ شَيْئًا وَكَانَ مَعَهُ مَالٌ كَثِيرٌ  
وَتَرَفَعْنَا إِلَى شُرَيْحٍ فَاسْتَحْلَفْتُهُمْ وَخَلَّى سَبِيلَهُمْ .

فَدَعَا عَلِيٌّ بِالشُّرَيْحِ فَوَكَّلَ بِكُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ رَجُلَيْنِ وَأَوْصَاهُمْ أَنْ لَا يُمْلِكُوا بَعْضُهُمْ أَنْ يَدْنُو مِنْ  
بَعْضٍ وَلَا يُمَكِّنُوا أَحَدًا يُكَلِّمُهُمْ وَدَعَا كَاتِبَهُ وَدَعَا أَحَدَهُمْ فَقَالَ : أَخْبِرْنِي عَنْ أَبِي هَذَا الْفَتَى أَيَّ  
يَوْمٍ خَرَجَ مَعَكُمْ وَفِي أَيِّ مَنْزِلٍ نَزَلْتُمْ وَكَيْفَ كَانَ سَيْرِكُمْ وَبِأَيِّ عِلَّةٍ مَاتَ وَكَيْفَ أُصِيبَ بِمَالِهِ  
وَسَأَلَهُ عَمَّنْ غَسَلَهُ وَدَفَنَهُ وَمَنْ تَوَلَّى الصَّلَاةَ عَلَيْهِ وَأَيْنَ دُفِنَ وَنَحْوَ ذَلِكَ وَالكَاتِبُ يَكْتُبُ . فَكَبَّرَ  
عَلِيٌّ وَكَبَّرَ الْحَاضِرُونَ وَالْمُتَهَمُونَ لَا عِزَّ لَهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ ظَنُّوا أَنَّ صَاحِبَهُمْ قَدْ أَقَرَّ عَلَيْهِمْ .

ثُمَّ دَعَا آخَرَ بَعْدَ أَنْ غَيَّبَ الْأَوَّلَ عَنْ مَجْلِسِهِ فَسَأَلَهُ كَمَا سَأَلَ صَاحِبَهُ ثُمَّ الْآخَرَ كَذَلِكَ حَتَّى  
عَرَفَ مَا عِنْدَ الْجَمِيعِ فَوَجَدَ كُلَّ وَاحِدٍ يُخْبِرُ بِضِدِّ مَا أَخْبَرَ بِهِ صَاحِبَهُ ثُمَّ أَمَرَ بِرَدِّ الْأَوَّلِ فَقَالَ يَا  
عَدُوَّ اللَّهِ قَدْ عَرَفْتُ عَدْرَتَكَ وَكَذِبَكَ بِمَا سَمِعْتُ مِنْ أَصْحَابِكَ وَمَا يُنْجِيكَ مِنَ الْعُقُوبَةِ إِلَّا  
الصَّدَقُ ثُمَّ أَمَرَ بِهِ إِلَى السَّجْنِ وَكَبَّرَ وَكَبَّرَ مَعَهُ الْحَاضِرُونَ .

فَلَمَّا أَبْصَرَ الْقَوْمُ الْحَالَ لَمْ يَشْكُوا أَنَّ صَاحِبَهُمْ أَقَرَّ عَلَيْهِمْ فَدَعَا آخَرَ مِنْهُمْ فَهَدَّدهُ فَقَالَ : يَا  
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ كَارِهًا لِمَا صَنَعُوا ثُمَّ دَعَا الْجَمِيعَ

فَأَفْرُوا بِالْقِصَّةِ وَاسْتَدْعَى الَّذِي فِي السَّحْنِ وَقَالَ لَهُ : قَدْ أَفَرَّ أَصْحَابُكَ وَلَا يُنْجِيكَ سِوَى الصَّادِقِ فَأَفَرَّ بِكُلِّ مَا أَفَرَّ بِهِ الْقَوْمُ فَأَعْرَمَهُمُ الْمَالُ وَأَقَادَ مِنْهُمْ بِالْقَتِيلِ .  
اللَّهُمَّ أَرْحَمَ غُرَبَاتِنَا فِي الْقُبُورِ وَأَمِنَّا يَوْمَ الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

### ( فصل )

وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ رَجُلَيْنِ مِنْ فُرَيْشٍ دَفَعَا إِلَى امْرَأَةٍ مِائَةَ دِينَارٍ وَدِيعَةَ وَقَالَا : لَا تَدْفَعِيهَا إِلَى وَاحِدٍ مِنَّا إِلَّا وَمَعَهُ صَاحِبُهُ ، فَلَبْنَا حَوْلًا فَجَاءَ أَحَدُهُمَا فَقَالَ : إِنَّ صَاحِبِي قَدْ مَاتَ فَادْفَعِي إِلَيَّ الدَّنَانِيرَ فَأَبَتْ ، وَقَالَتْ : إِنَّكُمْ قُلْتُمَا لَا تَدْفَعِيهَا إِلَى وَاحِدٍ مِنَّا دُونَ صَاحِبِهِ فَلَسْتُ بِدَافِعِيهَا إِلَيْكَ ، فَتَقَلَّ عَلَيْهَا بِأَهْلِهَا وَجِيرَانِهَا حَتَّى دَفَعَتْهَا إِلَيْهِ .

ثُمَّ لَبِثَتْ حَوْلًا آخَرَ فَجَاءَ الْآخَرُ فَقَالَ : ادْفَعِي إِلَيَّ الدَّنَانِيرَ . فَقَالَتْ : إِنَّ صَاحِبِكَ جَاءَنِي فَزَعَمَ أَنَّكَ قَدْ مِتَّ فَدَفَعْتُهَا إِلَيْهِ . فَاخْتَصَمَا إِلَى عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَأَرَادَ أَنْ يَقْضِيَ عَلَيْهَا فَقَالَتْ : ادْفَعْنَا إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَعَرَفَ عَلِيٌّ أَنَّهُمَا قَدْ مَكَرَا بِهَا .

فَقَالَ : أَلَيْسَ قُلْتُمَا لَا تَدْفَعِيهَا إِلَى وَاحِدٍ مِنَّا دُونَ صَاحِبِهِ . قَالَ : بَلَى . قَالَ : مَا لَكَ عِنْدَهَا فَأَذْهَبْ فَجِئِي بِصَاحِبِكَ حَتَّى تَدْفَعَهُ إِلَيْكُمَا .

وَاخْتَصَمَ إِلَى إِيَّاسِ بْنِ مُعَاوِيَةَ رَجُلَانِ فَقَالَ أَحَدُهُمَا إِنَّهُ بَاعَنِي جَارِيَةَ رَعْنَا فَقَالَ إِيَّاسُ : وَمَا عَسَى أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الرُّعُونَةُ ؟ قَالَ : شِبْهُ الْجَنُونِ . فَقَالَ إِيَّاسُ : لِلْجَارِيَةِ أَتَدْكُرِينَ مَتَى وُلِدْتِي ؟ قَالَتْ : نَعَمْ . قَالَ : فَأَيُّ رَجُلِيكَ أَطْوَلُ ؟ قَالَتْ : هَذِهِ . فَقَالَ إِيَّاسُ : رُدَّهَا فَانْتَهَى بِجُنُونِهَا .

وَتَقَوَّمَ إِلَى إِيَّاسِ بْنِ مُعَاوِيَةَ أَرْبَعِ نِسْوَةٍ فَقَالَ إِيَّاسُ : أَمَّا أَحَدَاهُنَّ فَحَامِلٌ وَالْأُخْرَى مُرْضِعٌ  
 وَالْأُخْرَى ثِيْبٌ وَالْأُخْرَى بَكْرٌ فَنَظَرُوا فَوَجَدُوا الْأَمْرَ كَمَا قَالَ . قَالُوا : كَيْفَ عَرَفْتَ ؟ فَقَالَ : أَمَّا  
 الْحَامِلُ فَتَرَفَعَتْ ثَوْبَهَا عَنْ بَطْنِهَا وَهِيَ تُكَلِّمُنِي فَعَلِمْتُ أَنَّهَا حَامِلٌ ، وَأَمَّا الْمُرْضِعُ فَكَانَتْ تَضْرِبُ  
 ثَدْيَهَا فَعَلِمْتُ أَنَّهَا مُرْضِعٌ ، وَأَمَّا الثِّيْبُ فَكَانَتْ تُكَلِّمُنِي وَعَيْنُهَا فِي عَيْنِي فَعَلِمْتُ أَنَّهَا ثِيْبٌ .  
 وَأَمَّا الْبَكْرُ فَكَانَتْ تُكَلِّمُنِي وَعَيْنُهَا فِي الْأَرْضِ فَعَلِمْتُ أَنَّهَا بَكْرٌ ، وَقَالَ الْمَدَائِنِيُّ عَنْ رُوحِ  
 اسْتَوْدَعَ رَجُلٌ رَجُلًا مِنْ أَبْنَاءِ النَّاسِ مَالًا ثُمَّ رَجَعَ فَطَلَبَهُ فَجَحَدَ فَأَتَا إِيَّاسًا فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ لَهُ  
 إِيَّاسُ : انصَرِفْ فَأَكْتُمُ أَمْرَكَ وَلَا تُعْلِمُهُ أَنَّكَ أَتَيْتَنِي ثُمَّ عُدَّ إِلَيَّ بَعْدَ يَوْمَيْنِ .  
 فَدَعَا إِيَّاسُ الْمُوَدَّعَ فَقَالَ : قَدْ حَضَرَ مَالٌ كَثِيرٌ وَأُرِيدُ أَنْ أَسْلَمَهُ إِلَيْكَ أَفَحَصِيئٌ مِنْزِلُكَ ؟ قَالَ :  
 نَعَمْ . قَالَ : فَأَعِدْ لَهُ مَوْضِعًا وَحَمَّالِينَ وَعَادَةَ الرَّجُلِ صَاحِبِ الْوَدِيعَةِ إِلَى إِيَّاسٍ .  
 فَقَالَ انْطَلِقْ إِلَيَّ صَاحِبَكَ فَاطْلُبْ الْمَالَ فَإِنْ أَعْطَاكَ فَذَاكَ وَإِنْ جَحَدَكَ فَقُلْ لَهُ إِنِّي أَحْبَبْتُ  
 الْقَاضِيَّ فَأَتَى الرَّجُلُ صَاحِبَهُ فَقَالَ : مَا لِي وَإِلَّا أَتَيْتُ الْقَاضِيَّ وَشَكُوْتُ إِلَيْهِ وَأَخْبَرْتُهُ بِأَمْرِي ،  
 فَدَفَعَ إِلَيْهِ مَالَهُ فَرَجَعَ الرَّجُلُ إِلَى إِيَّاسٍ فَقَالَ : قَدْ أَعْطَانِي الْمَالَ .  
 وَجَاءَ الْأَمِينُ إِلَى إِيَّاسٍ لِيُوعِدَهُ فَرَجَرَهُ وَأَنْتَهَرَهُ وَحَجَّلَهُ وَقَالَ : لَا تُفَرِّقْنِي يَا خَائِنُ . وَتَقَلَّدَ  
 الْقَضَاءَ بِوَأَسْطَرَّ رَجُلٌ ثِقَةً فَأَوْدَعَ رَجُلٌ بَعْضَ شُهُودِهِ كَيْسًا مَخْتُومًا ذَكَرَ أَنَّ فِيهِ أَلْفَ دِينَارٍ .  
 فَلَمَّا طَالَتْ غَيْبَةُ الرَّجُلِ فَتَقَّ الشَّاهِدُ الْكَيْسَ مِنْ أَسْفَلِهِ وَأَخَذَ الدَّنَانِيْرَ وَجَعَلَ مَكَائِهَا دَرَاهِمَ  
 وَأَعَادَ الْخِيَاطَةَ كَمَا كَانَتْ .

وَجَاءَ صَاحِبُ الْكَيْسِ فَطَلَبَ وَدِيعَتَهُ فَدَفَعَ إِلَيْهِ الْكَيْسَ بِخْتَمِهِ لَمْ يَتَغَيَّرْ فَلَمَّا فَتَحَهُ وَشَاهَدَ الْحَالَ رَجَعَ إِلَيْهِ وَقَالَ : إِنِّي أُوَدِّعُكَ دَنَانِيرَ وَالْتِي دَفَعْتَ إِلَيَّ دَرَاهِمَ . فَقَالَ : هُوَ كَيْسُكَ بِخَاتَمِكَ فَاسْتَعْدِي عَلَيْهِ الْقَاضِي فَأَمَرَ بِاحْضَارِ الْمُوَدِّعِ فَلَمَّا صَارَ بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ الْقَاضِي : مُنْذُ كَمْ أُوَدِّعُكَ هَذَا الْكَيْسُ فَقَالَ : مُنْذُ خَمْسَةِ عَشَرَ سَنَةً .

فَأَخَذَ الْقَاضِي تِلْكَ الدَّرَاهِمَ وَقَرَأَ سِكِّتَهَا فَإِذَا فِيهَا مَا قَدْ ضُرِبَ مِنْ سَتَيْنِ وَثَلَاثٍ فَأَمَرَهُ بِدَفْعِ الدَّنَانِيرِ إِلَيْهِ وَأَسْفَطَهُ وَنَادَى عَلَيْهِ ، وَاسْتَوْدَعَ رَجُلًا لِعَيْرِهِ مَالًا فَجَحَدَهُ فَرَفَعَهُ إِلَى إِيَّاسٍ فَسَأَلَهُ فَأَنْكَرَ .

فَقَالَ لِلْمُدَّعِي أَيْنَ دَفَعْتَ إِلَيْهِ فَقَالَ فِي مَكَانٍ كَذَا فِي الْبَرِّيَّةِ . فَقَالَ : وَمَا كَانَ هُنَاكَ ؟ قَالَ : شَجْرَةٌ . قَالَ : أَذْهَبُ إِلَيْهَا فَلَعَلَّكَ دَفَنْتَ الْمَالَ عِنْدَهَا وَنَسِيتَ فَتَذَكَّرْ إِذَا رَأَيْتَ الشَّجْرَةَ فَمَضَى وَقَالَ لِلْخَصِيمِ : اجْلِسْ حَتَّى يَرْجِعَ صَاحِبُكَ وَإِيَّاسُ يَفْضِي وَيَنْظُرُ إِلَيْهِ سَاعَةً بَعْدَ سَاعَةٍ . ثُمَّ قَالَ : يَا هَذَا أَتَرَى صَاحِبَكَ بَلَغَ مَكَانَ الشَّجْرَةِ قَالَ : لَا . قَالَ : يَا عَدُوَّ اللَّهِ إِنَّكَ خَائِنٌ . قَالَ أَقْلِبْنِي قَالَ أَقَالَكَ اللَّهُ فَأَمَرَ مَنْ يَحْتَفِظُ بِهِ حَتَّى جَاءَ الرَّجُلُ فَقَالَ لَهُ إِيَّاسُ أَذْهَبَ مَعَهُ فَخُذْ حَقِّكَ .

وَتَقَدَّمَ رَجُلٌ شَيْخٌ أَيْ كَبِيرُ السِّنِّ وَمَعَهُ غُلَامٌ حَدَّثَ أَيَّ صَغِيرٌ إِلَى الْقَاضِي أَبِي حَازِمٍ ٍ فَادَّعَى الشَّيْخُ عَلَى الْغُلَامِ بِأَلْفِ دِينَارٍ دِينًا فَقَالَ مَا تَقُولُ قَالَ نَعَمْ فَقَالَ الْقَاضِي لِلشَّيْخِ مَا تُرِيدُ قَالَ أَحْبَسَهُ قَالَ لَا .

فَقَالَ الشَّيْخُ إِنَّ رَأَى الْقَاضِي أَنْ يَحْبِسَهُ فَهُوَ أَرْجَى لِحُصُولِ مَالِي فَتَقَرَّسَ أَبُو حَازِمٍ فِيهِمَا سَاعَةً ثُمَّ قَالَ تَلَازَمَا حَتَّى أَنْظَرَ فِي أَمْرِكُمَا فِي مَجْلِسٍ آخَرَ فَقَالَ لَهُ مُكْرِمُ بْنُ أَحْمَدٍ لِمَاذَا أَخَّرْتَ حَبْسَهُ فَقَالَ وَيْحَكَ إِنِّي أَعْرِفُ فِي

أَكْثَرَ الْأَحْوَالِ فِي وُجُوهِ الْخُصُومِ وَجْهَ الْمِحَقِّ مِنَ الْمِبْطَلِ وَقَدْ صَارَتْ لِي بِذَلِكَ دِرَايَةٌ لَا تَكَادُ تُحْطَى .

وَقَدْ وَقَعَ لِي أَنَّ سَمَاحَهُ هَذَا بِالْإِقْرَارِ عَيْنُ كَذِبِهِ وَلَعَلَّهُ يَنْكَشِفُ لِي مِنْ أَمْرِهِمَا مَا أَكُونُ مَعَهُ عَلَى بَصِيرَةٍ أَمَا رَأَيْتَ قَلَّةَ تَعَاصِيهِمَا فِي الْمِنَاكِرَةِ وَقَلَّةَ اخْتِلَافِهِمَا وَسُكُونَ طِبَاعِهِمَا مَعَ عَظِيمِ الْمَالِ وَمَا جَرَتْ عَادَاتُ الْأَحْدَاثِ بِفِرْطِ التَّوَرُّعِ حَتَّى يُقَرَّرَ بِمِثْلِهِ طَوْعاً عَجِلاً مُنْشَرِحَ الصَّدْرِ عَلَى هَذَا الْمَالِ .

قَالَ وَنَحْنُ عَلَى ذَلِكَ نَتَحَدَّثُ إِذْ أَتَى الْإِذْنَ يَسْتَأْذِنُ عَلَى الْقَاضِي لِيَعُضِ التُّجَّارِ فَأَذِنَ لَهُ فَلَمَّا دَخَلَ قَالَ أَصْلَحَ الْقَاضِي لِي بُلَيْتُ بَوْلِدٍ حَدَثٍ صَغِيرٍ يُتْلَفُ كُلُّ مَا يَظْفَرُ بِهِ مِنْ مَالِي فِي الْقِنَانِ عِنْدَ فُلَانٍ فَإِذَا مَنَعْتُهُ اِحْتَالَ بِحِيلٍ تَضْطَرُّنِي إِلَى التَّيْرَامِ الْعُزْمِ عَنْهُ .

وَقَدْ نَصَبَ الْيَوْمَ صَاحِبُ الْقِنَانِ يُطَالِبُ بِأَلْفِ دِينَارٍ حَالاً وَبَلَعَنِي أَنَّهُ تَقَدَّمَ إِلَيَّ الْقَاضِي لِيُقَرَّرَ لَهُ فَيَسْجُنُهُ وَأَقَعُ مَعَ أُمَّهُ فِيمَا يُنْكَدُ عَيْشَنَا إِلَيَّ أَنْ أَقْضِيَ عَنْهُ فَلَمَّا سَمِعْتُ بِذَلِكَ بَادَرْتُ إِلَى الْقَاضِي لِأَشْرَحَ لَهُ أَمْرَهُ .

فَتَبَسَّمَ الْقَاضِي وَقَالَ كَيْفَ رَأَيْتَ فَعُلْتُ هَذَا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَى الْقَاضِي فَقَالَ عَلَيَّ بِالْغُلَامِ وَالشَّيْخِ وَوَعِظَ الْغُلَامَ فَأَقَرَّ فَأَخَذَ الرَّجُلُ ابْنَهُ وَأَنْصَرَفَا .

قَالَ عَمْرُو بْنُ بُجَيْدٍ كَانَ شَاهُ الْكَرْمَانِيِّ حَادُّ الْفِرَاسَةِ لَا يُحْطَى وَيَقُولُ مَنْ غَضَّ بَصَرَهُ عَنِ الْمِحَارِمِ وَأَمْسَكَ نَفْسَهُ عَنِ الشَّهَوَاتِ وَعَمَرَ بَاطِنَهُ بِالْمِرَاقَبَةِ وَظَاهِرَهُ بِاتِّبَاعِ السُّنَّةِ وَتَعَوَّدَ أَكْلَ الْحَلَالِ لَمْ تُحْطَى فِرَاسَتُهُ .

وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ . . .

مَوْعِظَةٌ : عِبَادَ اللَّهِ تَبَقُّظُوا فَالْعِبْرُ مِنْكُمْ بِمَرَأَى وَمَسْمَعٍ ، وَطَلَمًا نَادَاكُمْ لِسَانُ الرَّوَاجِرِ عَنِ الْإِهْمَاكِ فِي الدُّنْيَا وَخَطَامِهَا وَالتَّهَالِكِ عَلَيْهَا فَاسْتَمِعْ .

عِبَادَ اللَّهِ احذروا أن تكونوا مثل من قد محضوا للدنيا كل ما لهم من أعمال وأصبخوا لا يفصّدون بتصرفاتهم إلا الدنيا وأما الآخرة فلا تخطُر لهم على بال .  
أخذت الدنيا أسماعهم وأبصارهم وعقولهم بما فيها من الزخارف الوهميّة التي هي مرآة الفناء ومرابض الرّوال وقواتل الأوقات .

وهل هي إلا الألعاب والملاهي المشأر إليها بقوله تعالى ﴿ اعلموا إنما الحياة الدنيا لعب وهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد ﴾ الآية وقوله ﴿ وما هذه الحياة الدنيا إلا هو ولعب وإن الدار الآخرة هي الحيوان لو كانوا يعلمون ﴾ وقوله ﴿ وما الحياة الدنيا إلا لعب وهو ﴾ الآية ، عباد الله ، كل ما ترؤن من البلايا والمحن من أجل الدنيا وما لها من متاع حقير .

عجب أن يكون كل هذا الاهتمام من أجل دار العرور وأيامها المعدودة ، وكل ما فيها من لذائذ معلوم أنها منغصات ثم منتهيات ذلك فوق أن الأرزاق فيها قد ضمنها اللطيف الخبير خالق كل شيء الذي ما من دابة في الأرض إلا عليه رزقها .

وهل يشك مؤمن عاقل في ما ضمنه مولاه الغني الحميد لقد كان الأجدد والأولي بهذا الإهتمام حياتنا الثانية لأنها دار القرار ولأنها إذا فاتتك فيها دار الكرامة هويت في الهاوية وأنت لا تدري هل أنت من فريق الجنة أم من فريق السعير .

فتيقظ يا من ضاع عمره في العفالات ! انتبه يا من يقتل أوقاته عند الملاهي والمنكرات .  
يا أسفى على أوقات لا تباغ بملء الأرض ذهباً تُصَيِّع عند التلّفزيون والفديو والسينمات والبكمات ولعب الأوراق المحرّمات .

شِعْرًا: أَحْذِرْكَ أَحْذِرْكَ لَا أَحْذِرْكَ وَاحِدَةً عَنْ الْمَذَائِعِ وَالتَّلْفَازِ وَالصُّحُفِ  
كَمْ عِنْدَهَا ضَاعَ مِنْ وَقْتِ بِلَا تَمَنٍّ لَوْ كَانَ فِي طَاعَةِ أَحْرَزْتَ لِلشَّرَفِ

آه على أوقاتٍ تُقتلُ عِنْدَ المذِياعِ وَاسْتِمَاعِ أَعَانِيهِ وَمَلَاهِيهِ الْمُهْلِكَاتِ .  
آه على سَاعَاتٍ تَمْضِي عِنْدَ الكُرَةِ وَالمِطْرِبِينَ وَالمِطْرِبَاتِ .  
آه على أوقاتٍ وَتفكيراتٍ تَذْهَبُ فِي قِرَاءَةِ الكُتُبِ الخَلِيعَةِ وَالجِرَائِدِ وَالمِجَلَاتِ .  
آه على أوقاتٍ تَنْقُضِي فِي الإِقَامَةِ بَيْنَ أَعْدَاءِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ .  
آه على أوقاتٍ تَقْتُلُ فِي الغِيْبَةِ وَالبُهْتِ وَالتَمَلُّقِ وَالنِّفَاقِ وَالمَدَاهِنَاتِ .  
آه على أوقاتٍ تَقْتُلُ فِي الجُلُوسِ فِي الأَسْوَاقِ لَا لِمُصْلِحَةِ دُنْيَا وَلَا دِينٍ بَلْ لِأُمُورٍ عِنْدَ أَهْلِ  
الضِياعِ مَعْلُومَاتِ .

آه على أوقاتٍ تُقْضَى فِي بِلَادِ الحُرِّيَةِ وَالفِسْقِ وَالفُجُورِ وَالأُمُورِ المَهْلِكَاتِ .  
آه على أوقاتٍ تَقْتُلُ بِالحِكَايَاتِ المُضْحِكَاتِ وَالتَّمْثِيلِيَّاتِ .  
آه على أوقاتٍ تَنْقُضِي بِلُغُو الكَلَامِ وَالمِعَازِلَاتِ لِأَهْلِ المَعَاصِي وَالمُنْكَرَاتِ .  
آه على أوقاتٍ تَنْقُضِي فِي الاسْتِمَاعِ لِالأَعَانِي الخَلِيعَاتِ .  
آه على أوقاتٍ تَمْضِي فِي السُّكْرِ وَشُرْبِ أَبِي الحَبَائِثِ الدُّخَانِ .  
آه على أوقاتٍ تُقتلُ فِي ذِكْرِ الحَوَادِثِ وَالأُمُورِ المَاضِيَّاتِ الَّتِي لَا تَعُودُ عَلَيْهِمْ بِنَفْعٍ بَلْ رُبَّمَا عَادَتْ  
بِالضَّرْرِ وَالنَّكَبَاتِ .

آه على أوقاتٍ تَذْهَبُ سُدَى فِي النَّوْمِ وَالعَقَلَاتِ .  
وَمَنْ يَقْطَعِ الأَوْقَاتَ فِي غَيْرِ طَاعَةٍ سَيَنْدُمُ وَقْتًا لَا يُفِيدُ التَّنَدُّمَ  
آه على أُمُورٍ تُنْفَقُ فِيمَا يُعْضَبُ فَاطِرُ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ وَعلى أُمُورٍ تُبَدَّلُ لِلخَدَّامِينَ  
وَالخَدَّمَاتِ الكَافِرِينَ وَالكَافِرَاتِ .

آه على السنة لا تفتُر عن الكلام فيما يضُر ولم تستبدله بتمجيد وتسيح وتكبير وتهليل  
بديع الأرض والسّموات .

آه على أفكار وأذهان مصروفة ومشتغلة طول ليلها ونهارها فيما في الدنيا من متاع وعقارات  
ولم تُفكّر وتلتفت وتستعدّ إلى ما في أممها من أهوال وشدائد وعقبات وما في الآخرة لمن  
أطاع الله من أنهار وثمار وحور حسان طاهرات .

تالله لقد فسدت أمرجة أكثر الناس حتى أثر فسادها على الأفهام لذلك رجحوا فانياً مكدرًا  
منعصاً على باقي ضمن صغوه مؤلي الأنعام وهاهم أولاء كما ترى لا هم لهم ولا عمل إلا  
للدنيا وما لها من حطام قال تعالى ﴿ بَلْ تُؤَثِّرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا \* وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ .

عباد الله أما سمعتم قول نبيكم ﷺ : " أبشروا وأملوا ما يسركم فوالله ما الفقر أخشى عليكم ،  
ولكن أخشى أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما  
تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم " . رواه البخاري ومسلم . وختاماً :

فَيَبْغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَعْرِفَ شَرَفَ زَمَانِهِ وَقَدْرَ وَقْتِهِ فَلَا يُضِيعُ مِنْهُ لِحْظَةً فِي غَيْرِ قُرْبَةٍ وَيُقَدِّمَ الْأَفْضَلَ  
فَالْأَفْضَلَ مِنَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ .

فوائد : كُلُّ مَا يَقُومُ بِهِ غَيْرُكَ وَيَحْصَلُ بِذَلِكَ غَرْضُكَ فَإِنْ تَشَاغَلَكَ بِهِ عَبْرٌ فَاحْشِ لِأَنَّ  
إِحْتِيَاجَكَ إِلَى التَّشَاغُلِ بِمَا لَا يَقُومُ بِهِ غَيْرُكَ مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ وَالذِّكْرِ وَالْفِكْرِ آكِدٌ وَالزَّمُّ وَأَنْفَعُ .  
أعلم أن ما احتجت إلى مفارقتها وتركه للناس فليس لك والشغل بما ليس لك عبث .

وما المرء إلا ركب ظهر عمره	على سفر يفنيه في اليوم والشهر
يبيت ويضحى كل يوم وليلة	بعيداً عن الدنيا قريباً إلى القبر
آخر: أن الرجيل فكن على حذر	ما قد ترى يغني عن الحذر
لا تغرر باليوم أو بغد	قلوب المغرورين على خطر



آخر: دَخَلَ الدُّنْيَا أَنْاسٌ قَبْلَنَا رَحَلُوا عَنْهَا وَخَلَوْهَا لَنَا  
 وَنَزَلْنَاهَا كَمَا قَدْ نَزَلُوا وَنُخَلِّيَهَا لِقَوْمٍ بَعْدَنَا  
 آخر: إِذَا كَانَ رَأْسُ الْمَالِ عُمْرُكَ فَاحْتَرِزْ عَلَيْهِ مِنَ الْإِنْفَاقِ فِي غَيْرِ وَاجِبِ  
 آخر: عَلِمِي بِعَاقِبَةِ الْأَيَّامِ تَكْفِينِي وَمَا قَضَى اللَّهُ لِي لِأَبَدٍ يَأْتِينِي  
 وَلَا خِلَافَ بَأَنَّ النَّاسَ مُدُّ خُلُقُوا فِيمَا يَرْمُونَ مَعَكُوسَ الْقَوَائِنِ  
 إِذْ يُنْفِقُوا الْعُمَرَ فِي الدُّنْيَا مُجَازِفَةً وَالْمَالُ يُنْفَقُ فِيهَا بِالْمَوَازِينِ  
 آخر: سَبَّكَ رِجَالٌ فِي الْقِيَامَةِ حَسْرَةً عَلَى فُوتِ أَوْقَاتِ زَمَانِ حَيَاتِهَا

اللَّهُمَّ نَوِّزْ قُلُوبَنَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَأَعِنَّا عَلَى أَنْفُسِنَا وَالشَّيْطَانِ وَأَيُّسُهُ مِنَّا كَمَا أَيُّسْتُهُ مِنْ رَحْمَتِكَ يَا رَحْمَانَ وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلِي اللَّهِ عَلِيٍّ مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

### ( فَصْلٌ )

أَنْتِ عُمَرُ امْرَأَةٌ فَشَكَّتْ عِنْدَهُ زَوْجَهَا وَقَالَتْ هُوَ مِنْ خَيْرِ أَهْلِ الدُّنْيَا يُقَوْمُ اللَّيْلَ حَتَّى الصُّبْحِ وَيَصُومُ النَّهَارَ حَتَّى يُمَسِّي ثُمَّ أَدْرَكَهَا الْحَيَاءُ فَقَالَ عُمَرُ : جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا فَقَدْ أَحْسَنْتِ الثَّنَاءَ .  
 فَلَمَّا وَلَّتْ قَالَ لَهُ كَعْبُ بْنُ سُوَيْرٍ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَقَدْ أَبْلَعْتَ إِلَيْكَ فِي الشُّكْوَى ، فَقَالَ وَمَا اشْتَكَيْتِ قَالَ زَوْجَهَا ، قَالَ عَلِيٌّ بِهَا فَقَالَ لِكَعْبٍ : أَقْضِ بَيْنَهُمَا ، قَالَ أَقْضِ وَأَنْتِ حَاضِرٌ ، قَالَ إِنَّكَ قَدْ فَطِنْتَ لِمَا لَمْ أَفْطِنْ لَهُ .

قال كعب إن الله يقول ﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ﴾ صُمَّ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَأَفْطَرَ عِنْدَهَا يَوْمًا وَفُتْمَ ثَلَاثَ لَيَالٍ وَبِتَ عِنْدَهَا لَيْلَةً . فَقَالَ عُمَرُ هَذَا أَعْجَبُ إِلَيَّ مِنْ الْأَوَّلِ فَبَعَثَهُ قَاضِيًا لِأَهْلِ الْبَصْرَةِ فَكَانَ يَقَعُ لَهُ مِنَ الْفِرَاسَةِ أُمُورٌ عَجِيبَةٌ .  
 قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ وَمِنْ دَقِيقِ الْفِرَاسَةِ أَنَّ الْمِنْصُورَ جَاءَهُ رَجُلٌ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ

خَرَجَ فِي تِجَارَةٍ فَكَسِبَ مَالًا فَدَفَعَهُ إِلَى امْرَأَتِهِ ثُمَّ طَلَبَهُ فَذَكَرَتْ أَنَّهُ سُرِقَ مِنَ الْبَيْتِ وَلَمْ يَرَ نَعْبًا وَلَا  
 أَمْرَةً فَقَالَ لَهُ الْمِنْصُورُ : مُنْذُ كَمْ تَزَوَّجْتَهَا ؟ قَالَ : مُنْذُ سَنَةٍ ، قَالَ : بَكَرًا أَوْ ثَيِّبًا ؟ قَالَ : ثَيِّبًا  
 ؟ قَالَ : فَلَهَا وَلَدٌ مِنْ غَيْرِكَ ؟ قَالَ : لَا .

فَدَعَا لَهُ الْمِنْصُورُ بِقَارُورَةٍ طَيِّبٍ يَتَّخِذُهَا لَهُ حَادُّ الرَّائِحَةِ غَرِيبٌ النَّوْعِ فَدَفَعَهُ إِلَيْهِ وَقَالَ تَطَيَّبْ مِنْ  
 هَذَا الطَّيِّبِ فَإِنَّهُ يُذْهِبُ غَمَّكَ فَلَمَّا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ عِنْدِهِ قَالَ الْمِنْصُورُ لِأَرْبَعَةٍ مِنْ ثِقَاتِهِ لِيَقْعُدَ  
 مِنْكُمْ كُلُّ وَاحِدٍ عَلَى بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْمَدِينَةِ فَمَنْ شَمَّ مِنْكُمْ رَائِحَةَ هَذَا الطَّيِّبِ مِنْ أَحَدٍ فَلِيَّاتٍ  
 بِهِ ، وَخَرَجَ الرَّجُلُ بِالطَّيِّبِ وَدَفَعَهُ إِلَى امْرَأَتِهِ فَلَمَّا شَمَّتْهُ بَعَثَتْ مِنْهُ إِلَى رَجُلٍ كَانَتْ تُحِبُّهُ وَقَدْ  
 كَانَتْ دَفَعَتْ إِلَيْهِ الْمَالَ .

فَتَطَيَّبَ مِنْهُ وَمَرَّ مُجْتَازًا بِبَعْضِ أَبْوَابِ الْمَدِينَةِ فَشَمَّ الْمَوْكَلُ بِالْبَابِ رَائِحَةَ طَيِّبَةٍ فَأَتَى بِهِ الْمِنْصُورَ  
 فَسَأَلَهُ مِنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا الطَّيِّبِ ؟ فَلَجَلَخَ فِي كَلَامِهِ فَبَعَثَ بِهِ إِلَى وَالِيِ الشَّرْطَةِ فَقَالَ : إِنْ أَحْضَرَ  
 لَكَ كَذَا وَكَذَا مِنْ الْمَالِ فَخَلَّ عَنْهُ وَإِلَّا اضْرِبْهُ أَلْفَ سَوْطٍ .

فَلَمَّا جُرِدَ لِلضَّرْبِ أَحْضَرَ الْمَالَ عَلَى هَيْئَتِهِ فَدَعَا الْمِنْصُورُ صَاحِبَ الْمَالِ فَقَالَ " إِنْ رَدَدْتُ إِلَيْكَ  
 مَالَكَ تُحْكِمَنِي فِي امْرَأَتِكَ قَالَ : نَعَمْ ؟ قَالَ : هَذَا مَالُكَ وَقَدْ طَلَّقْتُ الْمَرْأَةَ مِنْكَ .

قَالَ وَمِنْ عَجِيبِ الْفِرَاسَةِ مَا ذَكَرَ عَنْ أَحْمَدِ بْنِ طُولُونَ أَنَّهُ بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي مَجْلِسٍ لَهُ يَتَنَزَّهُ  
 فِيهِ إِذْ رَأَى سَائِلًا فِي ثَوْبٍ خَلِقٍ قَوْضَعٍ لَهُ دَجَاجَةٌ عَلَى رَغِيفٍ وَحَلْوَى وَأَمَرَ بَعْضَ الْعُلَمَاءِ  
 فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ فَلَمَّا وَقَعَ فِي يَدِهِ وَأَخَذَهُ لَمْ يَفْرَحْ بِهِ وَلَمْ يَهْشَ لَهُ وَلَمْ يَعْجَبْ بِهِ .

فَقَالَ لِلْعُلَامِ : اثْبِنِي بِالسَّائِلِ . فَلَمَّا وَقَفَ قُدَّامَهُ اسْتَنْطَقَهُ فَأَحْسَنَ الْجَوَابَ

وَأَمْ يَخْفَ وَلمَ يَضْطَرِبَ مِنْ هَيْبَتِهِ فَقَالَ لَهُ : هَاتِ الْكُتُبَ الَّتِي مَعَكَ وَاصْدُقْنِي مِنْ بَعَثِكَ فَقَدْ صَحَّ عِنْدِي أَنَّكَ صَاحِبُ خَيْرٍ وَأَحْضَرَ الشَّيَاطِ فَاعْتَرَفَ .

فَقَالَ بَعْضُ جُلَسَائِهِ : هَذَا وَاللَّهِ السَّحْرُ ! قَالَ : مَا هُوَ بِسِحْرٍ وَلَكِنْ فِرَاسَةٌ صَادِقَةٌ رَأَيْتُ سُوءَ حَالِهِ ، فَوَجَّهْتُ إِلَيْهِ بِطَعَامٍ يَرْغَبُ أَكْلَهُ الشَّبَّعَانُ فَمَا هَشَّ لَهُ وَلَا فَرِحَ وَلَا مَدَّ يَدَهُ إِلَيْهِ فَأَحْضَرْتُهُ فَتَلَقَّانِي بِقُوَّةٍ جَاشٍ فَلَمَّا رَأَيْتُ رَثَائَةَ حَالِهِ وَقُوَّةَ جَاشِهِ عَلِمْتُ أَنَّهُ صَاحِبُ خَيْرٍ فَكَانَ كَمَا قَالَ .

وَرَأَى يَوْمًا حَمَلًا يَحْمِلُ صَنًّا - أَيُّ صُنْدُوقًا مِنْ خَشَبٍ - وَالْحَمَّالُ تَضَطَّرِبُ رَجُلَاهُ تَحْتَهُ فَقَالَ لَوْ كَانَ هَذَا الاضْطِرَابُ مِنَ الثَّقَلِ لِعَاصَتْ عُنُقُ الْحَمَّالِ وَهَذِهِ عُنُقُهُ أَرَاهَا بَارِزَةً وَمَا أَرَى الْأَمْرَ إِلَّا مِنْ خَوْفٍ .

فَأَمَرَ بِحَطِّ الصَّنِّ فَإِذَا فِيهِ أُنْثَى مَقْتُولَةٌ وَقَدْ قُطِعَتْ فَقَالَ لِلْحَمَّالِ اصْدُقْنِي عَنْ حَالِهَا فَقَالَ هُنَاكَ فِي الدَّارِ الْفُلَانِيَّةِ أَرْبَعَةٌ نَفَرٌ أَعْطَوْنِي هَذِهِ الدَّنَانِيرَ وَأَمْرُونِي بِحَمْلِ هَذِهِ الْمَقْتُولَةِ فَضَرَبْتُهُ لِأَنَّهُ لَمْ يُخْبِرْهُ رَأْسًا وَأَمَرَ بِقَتْلِ الْأَرْبَعَةِ .

وَكَانَ يَتَنَكَّرُ - أَيُّ يُعَيِّرُ لِنِسْتِهِ وَهَيْبَتِهِ - وَيَدُورُ وَيَسْمَعُ قِرَاءَةَ أَيْمَّةِ الْمَسَاجِدِ فَدَعَا ثِقَةً وَقَالَ خُذْ هَذِهِ الدَّنَانِيرَ وَأَعْطِهَا إِمَامَ الْمَسْجِدِ الْفُلَانِيَّ فَإِنَّهُ فَاقِرٌ مَشْغُولُ الْقَلْبِ فَفَعَلَ وَجَلَسَ مَعَ إِمَامِ الْمَسْجِدِ وَبَاسَطَهُ فَأَخْبَرَهُ أَنَّ زَوْجَتَهُ قَدْ أَخَذَهَا الطَّلُقَ وَلَيْسَ مَعَهُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ : صَدَقَ عَرَفْتُ شُغْلَ قَلْبِهِ بِكَثْرَةِ غَلَطِهِ فِي الْقِرَاءَةِ .

وَكَانَ يَرْكَبُ وَحْدَهُ وَيَطُوفُ لَيْلًا وَنَهَارًا يُفْتَشُّ وَيَنْفَقُ الرِّعِيَةَ إِلَى أَنْ مَرَّ يَوْمًا فِي سُوقِ مَسْدُودٍ فِي بَعْضِ أَطْرَافِ الْبَلَدِ فَدَخَلَهُ فَوَجَدَ مُنْكَرًا وَوَجَدَهُ لَا يَنْفُذُ فَرَأَى عَلَى أَحَدِ أَبْوَابِهِ شَوْكٌ سَمَكٌ كَثِيرٌ وَعِظَامُ الصُّلْبِ .

فَقَالَ لِشَخْصٍ : كَمْ يُقَوْمُ تَقْدِيرُ ثَمَنَ هَذَا السَّمَكِ الَّذِي هَذِهِ عِظَامُهُ ؟ قَالَ :

دينار قال أهل هذا الزقاق - أئى السوق لا تحتمل أحوالهم مشتري مثل هذا لأنه زقاق بيئ الاختلال إلى جانب الصحراء لا ينزله من معه شئ يخاف عليه أو له مال ينفق منه هذه النفقة وما هي إلا بليئة ينبغي أن يكشف عنها فاستبعد الرجل هذا وقال هذا فكر بعيد .

فقال : اطلبوا لي امرأة من الدرب أكلمها فدق باباً غير الذي عليه الشوك وطلب ماء فخرجت عجوز ضعيفة فما زال يطلب شربة بعد شربة وهي تسقيه وهو في خلال ذلك يسأل عن الدرب وأهله وهي تجبره غير عارفة بعواقب ذلك .

إلى أن قال لها : وهذه الدار من يسكنها ؟ وأشار إلى التي عند بابها عظام السمك فقالت فيها خمسة شباب أعفاز كأنهم بجاز وقد نزلوا منذ شهر لا تراهم نهراً إلا في مدة طويلة وتري الواحد منهم يخرج للحاجة ويعود سريعاً .

وهم في طول النهار يجتمعون فيأكلون ويشربون ويلعبون بالشطرنج والنرد وهم صبي يخدمهم فإذا كان الليل انصرفوا إلى دار لهم بالكرخ ويدعون الصبي في الدار يحفظها فإذا كان سحراً جاؤا ونحن نيام لا نشعر بهم .

فقال للرجل هذه صفة لصوص أم لا قال : بلى . فأنفذ في الحال فاستدعى عشرة من الشرط وأدخلهم إلى سطح الجيران ودق هو الباب فجاء الصبي ففتح فدخل الشرط معه فما فاتته من القوم أحد فكانوا هم أصحاب الحيانة بعينهم .

ومن ذلك أن بعض الولاة سمع في بعض ليالي الشتاء صوتاً بدار

يَطْلُبُ مَاءً بَارِدًا فَأَمَرَ بِكَبْسِ الدَّارِ فَأَخْرَجُوا رَجُلًا وَامْرَأَةً فَعِيلَ لَهُ مِنْ أَيْنَ عَلِمْتَ قَالَ الْمَاءُ لَا يُبْرَدُ فِي الشِّتَاءِ إِنَّمَا ذَلِكَ عِلَامَةٌ بَيْنَ هَذَيْنِ .

وَأَحْضَرَ بَعْضُ الْوَلَاةِ شَخْصَيْنِ مُتَّهَمَيْنِ بِسَرْقَةِ فَأَمَرَ أَنْ يُؤْتَى بِكُوزٍ مِنْ مَاءٍ فَأَخَذَهُ وَأَلْقَاهُ فِي الْأَرْضِ عَمْدًا فَانْكَسَرَ فَارْتَاعَ أَحَدُهُمَا وَتَبَّتِ الْآخِرُ فَلَمْ يَتَّعَبِرْ فَقَالَ لِلذَّيِّ انْزَعِجْ اذْهَبْ وَقَالَ لِلْآخِرِ أَحْضِرِ الْعُمْلَةَ .

فَقَالَ لَهُ مِنْ أَيْنَ عَرَفْتَ ذَلِكَ فَقَالَ اللُّصُّ قَوِيَ الْقَلْبِ لَا يَنْزَعِجُ وَالْبَرِيءُ يُرِي أَنَّهُ لَوْ نَزَلَتْ فِي الْبَيْتِ فَأَرَهُ لَأَزَعَجْتَهُ وَمَنَعْتَهُ مِنَ السَّرِقَةِ .

شِعْرًا: يَا نَفْسُ قَدْ طَابَ فِي امْهَالِكَ الْعَمَلُ

فَاسْتَدْرِكِي قَبْلَ أَنْ يَذْنُو لَكَ الْأَجَلُ

إِلَى مَتَى أَنْتِ فِي لَهْوٍ وَفِي لَعِبٍ

يَعْرُوكُ الْخَادِعَانَ الْحِرْصُ وَالْأَمَلُ

وَأَنْتِ فِي سُكْرِ لَهْوٍ لَيْسَ يَدْفَعُهُ

عَنْ قَلْبِكَ النَّاصِحَانَ الْعُتْبُ وَالْعَدْلُ

فَزَوِّدِي لَطْرِيْقِي أَنْتِ سَالِكِهِ

فِيهَا فَعَمَّ مَا قَلِيلٌ يَأْتِيكَ الْمَثَلُ

وَلَا يَعْرُوكُ أَيَّامُ الشَّيْبِ فَفِي

أَعْقَابِهَا الْمُؤَبَّقَانَ الشَّيْبُ وَالْأَجَلُ

يَا نَفْسُ تُؤَيِّي مِنَ الْعِصْيَانِ وَاجْتِهَيْدِي

وَلَا يَعْرُوكُ الْأَبْعَادُ وَالْمَلَلُ

ثُمَّ احْذَرِي مَوْقِفًا صَعِبًا لِشِدَّتِهِ

يَغْشَى الْوَرَى الْمَثَلُ فَإِنَّ الْحُزْنَ وَالْوَجَلَ

شِعْرًا: وَيَخْتِمُ الْقَوْمُ وَالْأَعْضَاءُ نَاطِقَةً  
 وَيُظْهِرُ الْمُفْصِحَانِ الْخَطُّ وَالْخَطْلُ  
 وَيَحْكُمُ اللَّهُ بَيْنَ الْخَلْقِ مَعْدِلَةً  
 فَتُذَكِّرُ الْحَالَتَانِ الْبِرُّ وَالزَّلُّ

اللَّهُمَّ قَوِّ ، إِيْمَانَنَا بِكَ وَمِمْلَأْ كِتَابَكَ وَبِكُتُبِكَ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ، رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

### مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللهِ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَا يُحْطِي وَلَا يَنْحَرِفُ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ بَلْ إِنَّ فِينَا مِنَ الْعَرَائِزِ وَالطَّبَاعِ مَا يَمِيلُ بِنَا إِلَى الرُّشْدِ وَالْعَيِّ وَالْخَيْرِ وَالشَّرِّ وَلَيْسَ كُلُّ إِنْسَانٍ يَعْرِفُ خَطَأَهُ أَوْ يَهْتَدِي إِلَيْهِ .

وَبِذَلِكَ كَانَ مِنْ حَقِّ الْمُسْلِمِ عَلَى أَخِيهِ أَنْ يُبَصِّرَهُ بِعُيُوبِهِ وَيَنْصَحَ لَهُ فِي أَمْرِهِ وَهَذَا مِنَ التَّوَصِيهِ بِالْحَقِّ . وَكَمَا يَجِبُ عَلَيَّ مَنْ رَأَى الظُّلْمَ مِنْ حَاكِمٍ وَمَسْئُولٍ أَنْ يُنْكِرَ عَلَيْهِ ظُلْمَهُ وَبُعْيَهُ وَجَبَ عَلَيَّ مَنْ رَأَى مُؤْمِنًا يَظْلِمُ غَيْرَهُ أَوْ يَظْلِمُ نَفْسَهُ أَنْ يَحُولَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَنْ يَظْلِمُ إِبْقَاءً عَلَى حَقِّ الْأُخُوَّةِ وَدَفْعًا لِلْأَذْيِ عَنِ الْمَظْلُومِ وَعَنِ الْمَجْتَمَعِ .

### قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ

النَّصِيحَةُ عَلَى مَرَاتِبٍ أَوْلَى أَنْ لَا يُبَادِرَ الْإِنْسَانُ إِلَى تَصَدِيقِ مَا يُقَالُ لَهُ عَنْ قَرِيبٍ أَوْ صَدِيقٍ أَوْ جَارٍ أَوْ زَمِيلٍ أَوْ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ بَلْ يَتَّبِثُ فِي ذَلِكَ حَتَّى يَسْتَتِيعَنَّ لِأَنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ فِي وَقْتِنَا اعْتَادُوا إِشَاعَةَ السُّوِّءِ وَأَكْثَرَ النَّاسِ إِلَى الْإِسَاءَةِ يُسْرِعُونَ ، وَيَتَنَدَّرُ مِنْهُمْ مَنْ يُحْسِنُ الظَّنَّ ، فَلَا تُصَدِّقْ فَوْرًا بِكُلِّ مَا سَمِعْتَهُ .

حَتَّى تَسْمَعَهُ مِنْ حَضْرَةِ وَشَاهِدَهُ وَتَتَأَكَّدَ مِنْ ثُبُوتِهِ وَبِرَاءَتِهِ وَخُلُوهِ مِنَ الْهَوَى وَالْأَعْرَاضِ .  
وَإِذَا رَأَيْتَ أَمْرًا أَوْ بَلَعَكَ عَنْ صَدِيقِكَ كَلَامًا يَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ فَاحْمِلْهُ مَحْمَلًا حَسَنًا ، قَالَتْ بِنْتُ  
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُطِيعٍ لِرُؤُوسِهَا طَلْحَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَكَانَ أَجْوَدَ النَّاسِ فِي زَمَانِهِ مَا رَأَيْتُ  
قَوْمًا أَلَمَ مِنْ إِخْوَانِكَ قَالَ لَهَا وَلَمْ ذَلِكَ قَالَتْ أَرَاهُمْ إِذَا أَيْسَّرْتَ لِرِمُوكَ وَإِذَا أَعَسَّرْتَ تَرَكُوكَ فَقَالَ  
لَهَا هَذَا وَاللَّهِ مِنْ كَرَمِ أَخْلَاقِهِمْ يَأْتُونَنَا فِي حَالِ قُدْرَتِنَا عَلَى إِكْرَامِهِمْ وَيَتْرَكُونَنَا فِي حَالِ عَجْزِنَا عَنْ  
الْقِيَامِ بِحَقِّهِمْ .

فَانظُرْ كَيْفَ حَمَلَ فِعْلَهُمْ عَلَى هَذَا الْمِحْمَلِ الْحَسَنِ ، وَثَانِيًا أَنْ يَكُونَ عَلَى بَالِكَ مُسْتَحْضِرًا أَنَّ  
النَّاسَ لَيْسُوا مَعْصُومِينَ بَلْ لَهُمْ هَفَوَاتٌ وَأَخْطَاءٌ وَتَصَوُّرٌ ذَلِكَ فِي نَفْسِكَ لِتَعُدُّرَهُمْ وَلَقَدْ أَحْسَنَ  
الْقَائِلُ :

مَنْ الذِي مَا سَاءَ قَطُّ	وَمَنْ لَهُ الْحُسْنَى فَقَطُّ
آخِرُ: أَرَدْتَ لِكَيْمَا لَا تَرَى لِي عَثْرَةً	وَمَنْ ذَا الَّذِي يُعْطَى الْكَمَالَ فَيَكْمُلُ
آخِرُ: وَمَنْ الذِي تُرْضَى سَجَايَاهُ كُلَّهَا	كَفَى الْمَرْءَ نُبْلًا أَنْ تُعَدَّ مَعَائِبُهُ
آخِرُ: إِنْ كُنْتَ تَطْلُبُ فِي الزَّمَانِ مُهْدَبًا	فِي الزَّمَانِ وَأَنْتَ فِي الطَّلَبَاتِ
خُذْ صَفْوَ أَخْلَاقِ الصَّدِيقِ وَأَعْطِهِ	صَفْوًا وَدَعْ أَخْلَاقَهُ الْكَدِرَاتِ

ثَالِثًا : أَنْ تَنْظُرَ إِلَى الْأَمْرِ مِنْ وَجْهَةِ نَظْرِكَ وَمِنْ وَجْهَةِ نَظْرِ صَاحِبِهِ أَيْضًا ، فَقَدْ يَكُونُ مُجْتَهِدًا  
فِيمَا أَعْتَقَدَهُ مِنْ رَأْيٍ مُتَحَرِّبًا لِلْخَيْرِ فِيمَا سَلَكَهُ مِنْ سَبِيلٍ ، فَلَا تُسَارِعْ إِلَى الْإِنْكَارِ عَلَيْهِ  
وَتَحْطِئَتِهِ مَا دَامَ مِنَ الْمُحْتَمَلِ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَجْهٌ مِنَ الْحَقِّ فَإِنْ تَأَكَّدْتَ مِنَ الْخَطَا وَالْإِنْجِرَافِ فَتَقَدَّمْ  
بِالنَّصِيحَةِ سِرًّا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ ، لَا عِنْدَ مَلَأٍ مِنَ النَّاسِ كَمَا يَفْعَلُهُ بَعْضُ النَّاسِ ، فَإِنَّهُ أَحْرَى لِقَبُولِ  
النَّصِيحَةِ ، رَابِعًا : لَا يَتَرْتَّبُ عَلَى النَّصِيحَةِ مَا هُوَ شَرٌّ مِنْهَا .

شِعْرًا: تَعَمَّدَنِي بِنُصْحٍ فِي انْفِرَادٍ      وَجَبَّنِي النَّصِيحَةَ فِي الْجَمَاعَةِ  
فِي انِّ النَّصْحِ بَيْنَ النَّاسِ ضَرْبٌ      مِنْ التَّوْبِيخِ لَا أَرْضَى اسْتِمَاعَهُ  
فِي انِّ خَالَفتِي لِتُرِيدَ نَفْصِي      فَلَا تَغْضَبُ إِذَا لَمْ تُعْطَ طَاعَةَ

وَعِنْدَمَا يُهْمَلُ الصَّدِيقُ صَدِيقَهُ وَيُهْمَلُ الْأَخُ حَقَّ أَحِبِّهِ عَلَيْهِ فِي النَّصْحِ وَالْإِشْرَادِ تَسْوَأُ عِلَاقَتُهُ  
بَعْضُهُمْ مَعَ بَعْضٍ وَتَنْقَلِبُ الصَّدَاقَةُ عَدَاوَةً وَيُصْبِحُ أَمْرُ الْجَمْعِ فَوْضَى يَمْوُجٌ بِالشَّرِّ وَ الْإِثْمِ .  
وَلَقَدْ أَخْبَرَنَا اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ اسْتَحَقُّوا اللَّعْنَةَ وَالْحِرْمَانَ وَالتَّشْرِيدَ لِأَنَّهُمْ كَانُوا  
لَا يَتَنَاصِحُونَ ، قَالَ تَعَالَى ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ  
مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ \* كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾

وَلَيْسَ أَذَلَّ عَلَيَّ رُفِي الْأُمَّةِ وَاسْتِغَامَةِ ضَمَائِرِهَا مِنْ تَمَسُّكِهَا بِحُكِّ التَّنَاصُحِ فِيمَا بَيْنَهَا وَالتَّوَاصِي  
بِالْحَقِّ ، قَالَ تَعَالَى ﴿ وَالْعَصْرُ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ  
وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ .

رُويَ عَنِ الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ قَالَ لَوْ لَمْ يَنْزَلْ غَيْرَ هَذِهِ السُّورَةِ لَكَفَّتِ النَّاسِ .  
وَكَانَ الرَّجُلَانِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ إِذَا التَّقِيَا لَمْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَفْرَأَ أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخِرِ سُورَةَ  
الْعَصْرِ ثُمَّ يُسَلِّمُ أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخِرِ .

قُلْتُ : وَذَلِكَ أَنَّ الْأَوَامِرَ وَالنَّوَاهِي كُلُّهَا تَدُورُ عَلَى التَّوَاصِي بِالْحَقِّ وَالتَّوَاصِي بِالصَّبْرِ ، فَالتَّوَاصِي  
بِالْحَقِّ مِثْلُ الْإِيصَاءِ بِتَوْحِيدِ اللَّهِ وَالْإِيمَانِ بِهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ  
وَشَرِّهِ .

وَالْإِيصَاءُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ وَالْحَجِّ وَبِرِّ الْوَالِدَيْنِ وَصِلَةِ الْأَرْحَامِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى الْيَتِيمِ  
وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَنَحْوِ ذَلِكَ .



والتواصي بالابتعاد عن ما نهى الله عنه ورَسُولُهُ مِنَ الْمَعَاصِي كُلِّهَا الصَّغَائِرِ وَالْكَبَائِرِ .  
والتواصي الصَّبْرَ عَلَى الطَّاعَاتِ حَتَّى الْمِمَاتِ ، وَالتَّوَاصِي بِالصَّبْرِ عَلَى الْمَصَائِبِ ، وَالتَّوَاصِي  
بِالصَّبْرِ عَنِ الْمَعَاصِي .

وَلَكِنْ يَا لَأَسْفِ صَارَ التَّوَاصِي عِنْدَ هَذَا الْجِيلِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالدُّنْيَا وَحُطَامِهَا فَتَجِدُ الْوَاحِدَ  
يَحْتُ صَدِيقَهُ عَلَى التَّعَلُّقِ بِهَا وَعِمَارَتِهَا وَكُلَّ مَا يَشْغَلُهُ وَيُلْهِمُهُ عَنِ الْآخِرَةِ مِنْ مَشَارِكَةٍ وَسَلْفَةٍ  
وَنَحْوِ ذَلِكَ .

وَإِذَا انْتَقَصَ شَيْءٌ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِهَا أَقَامَ النَّاسَ وَأَقْعَدَهُمْ حَتَّى الْمُنْتَسِبِينَ إِلَى طَلَبِ الْعِلْمِ .  
فَتَجِدُ الْوَاحِدَ مِنْهُمْ إِذَا خُصِمَ عَلَيْهِ بَعْضُ الدَّرَجَاتِ أَوْ بَعْضُ الْفُلُوسِ انْفَعَلَ وَتَغَيَّرَ مِرَاجُهُ  
وَصَارَ يَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ غَيْرِ مُتَّزِنٍ .

عَكْسُ أُمُورِ الْآخِرَةِ فَإِنَّهُ لَا يَهْتَمُّ لَهَا ، فَتَقُوتُهُ تَكْبِيرُهُ الْإِحْرَامَ مَعَ الْإِمَامِ بَلْ تَقُوتُهُ الصَّلَاةُ مَعَ  
الْجَمَاعَةِ وَلَا يُبَالِي بِنَقْصِ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةٍ .

وَتَجِدُ الْوَاحِدَ مِنْهُمْ يُوصِي زَمِيلَهُ بِالدَّرَاسَةِ لِأَجْلِ الْحُصُولِ عَلَى شَهَادَةٍ فِي زَعْمِهِ أَنَّهَا تَأْمِينٌ  
لِلْحَيَاةِ مِنَ الْفَقْرِ .

وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى ضَعْفِ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ .

وَأَمَّا الصَّلَاةُ وَسَائِرُ الطَّاعَاتِ وَتَرْكُ الْمَعَاصِي الَّتِي بِهَا يَأْذَنُ اللَّهُ تَأْمِينُ الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ وَالسَّلَامَةَ مِنْ  
جَهَنَّمَ لِمَنْ وَقَّعَهُ اللَّهُ فَلَا بَجْدُهُ يُوصِيهِ بِهَا ، وَلَا يَهْتَمُّ مِنْهَا .

حَتَّى الْآبَاءُ دَخَلُوا عَلَيْهِمُ النَّقْصُ فَتَجِدُ الْآبَ وَالْأُمَّ يَحْرِصُونَ عَلَى إِيقَاطِ أَوْلَادِهِمْ لِلَاخْتِيَارِ  
يَتَرَدُّونَ عَلَيْهِمْ وَلَوْ شَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ .

أَمَّا لِصَلَاةِ الْفَجْرِ وَسَائِرِ الصَّلَوَاتِ وَسَائِرِ الطَّاعَاتِ وَالْإِبْتِعَادِ عَنِ الْمَلَاهِي وَالْمُنْكَرَاتِ فَلَا .

نَسَأَلُ اللّٰهَ العَظِيمَ أَنْ يُوقِظَ قُلُوبَنَا وَيَمَلِّأَهَا بِالغَيْرَةِ وَالتَّصِيحَةِ وَأَنْ يُصَلِّحَ قُلُوبَنَا وَأَوْلَادَنَا وَأَحْوَالَنَا وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ .

وَإِذَا خَلَا المِجْتَمَعُ مِنَ التَّوَصِي بِالحَقِّ وَالصَّبْرِ وَالتَّنَاصُحِ أَوْ ضَعُفَ مَظْهَرُ العَمَلِ بِهِ فَقَدْ انْتَهَتْ الأُمَّةُ أَسْوَأَ حَالَاتِهَا مِنَ الفَوْضِي وَفَسَادِ الأَخْلَاقِ وَالتَّقَاطُعِ وَالتَّدَابُرِ وَالعُدْوَانِ وَفَشُو الشُّرُورِ مِنَ المُنَافِقِينَ وَالتَّمَامِينَ وَالكَذَّابِينَ وَأَعْوَانِهِمْ .

وَانظُرْ كَيْفَ تَكُونُ الحَالُ فِيمَا إِذَا عُدِمَ الأَمْرُ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ وَتَرَكَ التَّوَصِي بِالحَقِّ وَالتَّوَصِي بِالصَّبْرِ وَأَهْمِلْتَ التَّصِيحَةَ .

وَكَيْفَ يَجْتَرِي الفُتُنَاتُ عَلَى المَعَاصِي وَيَصِلُونَ فِيهَا إِلَى مَا تَضِجُ لَهُ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَا فِيهِمَا مِنْ أَنْوَاعِ الشُّرُورِ .

آخر: لا شئ أبلغ من ذل يُجرعه أهل الخسيصة أهل الدين والحسب  
القائمين بما جاء الرسول به والمبغضين لأهل الرِّبغ والريب

وَإِنْ شِئْتَ فَرُزْ أَيَّ جَهَةٍ مِنَ جِهَاتِ العَالَمِ تَرَى مَا يَتَقَطَّعُ لَهُ قَلْبُكَ حَسْرَاتٍ انظُرْ أَكَدَ أَرْكَانِ الإِسْلَامِ بَعْدَ الشَّهَادَتَيْنِ الصَّلَاةِ كَيْفَ تَرَكَهَا الكَثِيرُ مِنَ النَّاسِ .

وَانظُرْ إِلَى الزَّكَاةِ الَّتِي لَوْ أُخْرِجَتْ لَمْ يَبْقَ فَقِيرٌ وَانظُرْ صِيَامَ رَمَضَانَ كَيْفَ لَمْ يُبَالِ بِهِ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ .

وَانظُرْ كَيْفَ تَهَاوَنَ النَّاسُ بِالرَّبَا وَالعِشِّ وَسَائِرِ المَحْرَمَاتِ كُلِّ هَذَا نَتِيجَةُ اِهْمَالِ التَّوَصِي بِالحَقِّ وَالتَّوَصِي بِالصَّبْرِ وَاهْمَالِ التَّصِيحَةِ وَالأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ .

وَمَا قِيمَةُ الأوطانِ إِنْ لَمْ يَكُنْ بِهَا رَجَالٌ بِدِينِ اللّٰهِ قَامُوا لِيَنْفَعُوا  
وَقَعْنَا فِي الخَطَايَا وَالبَلَايَا وَفِي زَمَنِ انْتِقَاضِ وَاشْتِبَاهِ  
تَفَانِي الخَيْرِ وَالصُّلْحَاءِ ذُلُّوا وَعَزَّ بِذُلِّهِمْ أَهْلُ السَّفَاهِ

وَبَاءَ الْأُمُورِ بِكُلِّ عُرْفٍ      فَمَا عَنِ مُنْكَرٍ فِي النَّاسِ نَاهٍ  
فَصَارَ الْخُرُ لِّلْمَمْلُوكِ عَبْدًا      فَمَا لِلْحُرِّ مِنْ قَدْرِ وَجَاهٍ  
فَهَذَا شُغْلُهُ طَمَعٌ وَجَمْعٌ      وَهَذَا غَافِلٌ سَكْرَانٌ لَاهٍ

لَأَنَّ التَّسَاهُلَ بِهَذِهِ الْأُمُورِ يَفْتَحُ لِلنُّفُوسِ الْحَيِّثَةَ أَبْوَابَ الْمَعَاصِي فَتَنْفُذُ إِلَى مَا تَشْتَهِي مِنْ خَبَائِثٍ وَتَرَى مَوْقِعَ ذَلِكَ سَهْلًا عَلَى النَّاسِ فَتَنْدَفِعُ إِلَى كُلِّ مَا يَخْلُو لَهَا مَهْمًا كَانَ عَرِيقًا فِي بَابِ الرِّذِيلَةِ أَمِنَةً مِنْ تَعَبِيرٍ وَجْهِهِ أَوْ انْقِبَاضِ قَلْبٍ لِمَا تَفْعَلُ .

وَإِذَا تَنَتَّعَشُ الرِّذِيلَةُ وَتَشْتَدُّ وَتَزْدَادُ وَيَقْوَى أَهْلُهَا وَهُمْ الْفَسَقَةُ لِأَنَّ أَهْلَ الْجَهْرِ بِالْفَاحِشَةِ يَكُونُونَ قُدُوهَ سَيِّئَةً لِعَيْرِهِمْ . وَالنُّفُوسُ مِنْ طَبِيعَتِهَا التَّقْلِيدُ وَالْمِحَاكَاةُ لِمَا تَرَى وَتَسْمَعُ خُصُوصًا إِذَا كَانَ مَا تَرَاهُ أَوْ تَسْمَعُهُ لَذَّةً وَاطْلَاقًا .

وَإِذَا كَثُرَ جَيْشُ الرِّذِيلَةِ فِي قُوَّةٍ قَلَّ جَيْشُ الْفَضِيلَةِ فِي ضَعْفٍ ، وَلَا تَسْتَبْعِدُ أَنْ يَتَغَلَّبَ جَيْشُ الرِّذِيلَةِ فَيُيَبِّدَ جَيْشَ الْفَضِيلَةِ أَوْ يَجْعَلَهُ فِي حُكْمِ الْمُبَادِ وَإِنْ كَانَ لَا يَزَالُ بَاقٍ مِنْهُ أَفْرَادًا .

وَإِذَا كَانَ غَضِبَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا عَلَى عِبَادِهِ فَعَاقَبَهُمْ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ الْآخِرَةِ وَلَا يَنْجُو مِنْ بَطْشِ اللَّهِ وَعَذَابِهِ إِلَّا مَنْ كَانَ فِي جَانِبِ دِينِهِ يَتَأَلَّمُ لَهُ وَيَغْضَبُ عَلَى مَخَالِفِيهِ أَمْرًا لَهُمْ وَنَاهِيًا مَهْمًا نَالَهُ فِي سَبِيلِ ذَلِكَ مِنْ إِيْدَائِهِ .

عَلَّمَنَا ذَلِكَ رَبُّنَا بِقَوْلِهِ ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَجْنَبْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَدَابِ بَيْسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ ، ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ .

قَالَ تَعَالَى ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ﴾ وقال في الآية الأخرى ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ إِذَا عَاقَبَهُ التَّسَاهُلُ فِي الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ شَقَاءُ الدُّنْيَا بِمَا يَنْزِلُ مِنَ آيَاتِ لِمَعَاصِيهِمْ الَّتِي يَفْتَرِفُوقَهَا آمِنِينَ مِنْ زَجْرِ عَلَيْهَا وَمَلَامٍ وَشَقَاءِ الْآخِرَةِ بِمَا أَعَدَّ رَبُّنَا لِلْعَصَاةِ مِنْ عَذَابٍ .  
قَالَ بَعْضُهُمْ :

مَضَى الزَّمَانُ وَعَيْشِي عَيْشُ تَنكِيدِ  
وَالْعُمُرُ وَلَّى وَلَمْ أَظْفُرْ بِمَقْصُودِ  
وَالِ الْيَقِينِ وَعَادِ الشَّكِّ أَجْمَعَهُ  
عَظِيمِ إِلَهَكَ لَا تَتْرُكُنْ لِمَنْقُودِ  
فَالخَطْبُ عَمَّ وَصَارَ النَّاسُ كُلَّهُمْ  
مُعْظَمِينَ لِـدَعِيٍّ وَمَزْدُودِ  
هَذَا الزَّمَانُ الَّذِي كُنَّا نَحَاذِرُهُ  
فِي قَوْلِ كَعْبٍ وَفِي قَوْلِ ابْنِ مَسْعُودِ  
فَصَاحِبِ الدِّينِ مَمْقُوتٍ وَمُنْكَتَمِ  
وَصَاحِبِ الْفِسْقِ فِيهِمْ غَيْرُ مَظْهُودِ  
كُلُّ يُقْلَدُ فِي الْأَهْوَاءِ صَاحِبَهُ  
حَتَّى الْبِلَادَ لَهَا شَأْنٌ بِتَقْلِيدِ  
وَالْأَمْرُ بِالْعُرْفِ ثُمَّ النَّهْيُ عَنِ نُكْرِ  
صَارَا لَدَيْنَا بِبِلَا شَكِّ كَمَفْقُودِ  
إِذَا نَصَحْتَ لِشَخْصٍ قَالَ أَنْتَ كَذَا  
فِيكَ الْعِيُوبَ لَدَيْنَا غَيْرُ مَحْمُودِ

أَضْحَى تَفَاخُرُهُمْ فِي حُسْنِ بَرَزَتِهِمْ  
وَمَنْزِلِ حَسَنِ عَالِ بِتَشْيِيدِ  
وَجَمْعِ حُلِيِّ وَخُدَامٍ وَأَمْتِعَةٍ  
أَيَّامُهُمْ فَنَيْتَ فِي جَمْعِ مَنْقُودِ  
تَلَقَّى الْأَمِيرَ مَعَ الْمَأْمُورِ فِي وَهْنِ  
عَنْ رَفْعِ مَظْلَمَةٍ أَوْ نَفْعِ مَنْكُودِ  
لَيْلِ ذُنَيْبَاهُمْ كَالْأَسَدِ ضَارِيَةٍ  
وَكُلُّهُمْ فِي الْهَوَى مُبْدٍ لِمَجْهُودِ  
إِذَا رَأَوْا صَالِحًا يَدْعُو لَيْلِ هُدَى  
تَأْتِبُوهُ بِإِيذَاءٍ وَتَبَعِيْدِ  
حُكْمِ الْقَوَائِنِ قَالُوا فِيهِ مَصْلَحَةٌ  
وَفِي الرَّبَا سَاعَدَتْ شَيْبُ لِمَوْلُودِ  
أَهْلَ الْحِجَى وَالنُّهَى مَالُوا لِمُحَدَّثَةٍ  
قَالُوا الشَّرِيعَةَ لَا تَكْفِي لِمَقْصُودِ  
أَبْدُوا لَنَا بِدَعَا مَا كُنَّا نَعْرِفُهَا  
وَجَاءُوا نَهَجِ تَوْفِيْقٍ وَتَسْـلِيْدِ  
تَلَقَّى الْهَوَى وَالرَّبَا وَالْجَوْرَ مُرْتَكِبًا  
وَالْعِلْمَ وَالنُّصْحَ فِيهِمْ غَيْرَ مَوْجُودِ  
وَالْهَرَجَ وَالْمَرْجَ تَلَقَّاهَا مَرْوَجَةً  
وَالدَّيْنَ وَالسَّمْتَ فِي جَلَبِ مَرْدُودِ  
وَقُلْدَ الْأَمْرِ لِكَعْبِي أُخُو بَدَعِ  
لِجَلَبِ أَمْرِ وَفِكْرِ غَيْرِ مَحْمُودِ

مُحَالِفُ الشَّرِّ لَمْ يَظْفَرْ بِحَاجَتِهِ  
لَوْ نَالَ خَيْرًا قَصَّارَاهُ لِتَبْدِيدِ  
الْبُهْتِ وَالذَّمِّ وَالْإِيذَاءِ قَدْ وُجِدَتْ  
لِكُلِّ مُتَسَيِّبٍ يَوْمًا لِتَوْجِيهِدِ  
فَالدَّيْنِ فِي غُرْبَةٍ وَالنَّاسِ أَكْثَرُهُمْ  
بِخُبْثِ طَبَعِ يُوَالِي كُلِّ مَطْرُودِ  
صَارَ الَّذِي كَانَ تَأْتُمُّهُ الْهُدَاةُ بِهِ  
وَتَقْتَفِيهِ بِأَمْرِ غَيْرٍ مَعَهُ وُودِ  
مَنْ كَانَ يَهْجُرُ ذَا بَدْعٍ وَمَظْلَمَةٍ  
أَمْسَى يُبَاشِرُهَا مِنْ غَيْرِ تَرْدِيدِ  
فَالْكُلُّ يَسْرِي لِمَا يَهْوَاهُ خَاطِرُهُ  
لَمْ يَلْتَفِتْ لِمَرَاضِي خَيْرٍ مَعْبُودِ  
حَقُّ الْقَرِيبِ وَحَقُّ الْجَارِ أَهْمَلُهُ  
مَنْ كَانَ نَعْرَفَهُ بِالِدَّيْنِ وَالْجُودِ  
تُجَارُهُمْ لَمْ تُنْزَكْ وَيَلُ أُمَّهُمُ  
مِنْ شَرِّ عَاقِبَةٍ فِي يَوْمٍ مَوْعُودِ  
لَا يَزُبُّ سُحْتٌ كَمَا قَالَ الْإِلَهُ لَكُمْ  
كَسَبُ الْحَرَامِ طَرِيقٌ غَيْرٌ مَحْمُودِ  
أَيُّنَ الْفِرَارُ وَكَمْ مِنْ بَدْعَةٍ حَدَثَتْ  
وَسُنَّةٍ دَرَسَتْ مِنْ غَيْرِ تَعْدِيدِ  
كَمْ مِنْ طَرَائِقِ سُوءٍ بَانَ مُنْكَرُهَا  
وَمَنْهَلُ الْحَقِّ أَضْحَى غَيْرَ مَوْزُودِ

فَمَا الطَّرِيقَةُ إِلَّا نَهْجُ أَحْمَدَ مَعِ  
أَصْحَابِهِ السَّادَةِ الْعُرِّ الصَّنَادِيدِ  
فَأَخْلِصْ لِرَبِّكَ وَاتَّبِعْ نَهْجَ سَيِّدِنَا  
قَوْلًا وَفِعْلًا تَنَالُ فَوْزًا بِتَسَدِيدِ  
تَعَالَيْبِ السُّوءِ نَادَتْ فِي أَرَانِيهَا  
هَذَا زَمَانُكَ عَيْشِي عَيْشَ مُحَمَّدٍ  
مَا فِي الْأَنْبَاءِ حُمَاةٌ غَيْرَ مَنْ رَحَلُوا  
وَمَنْ بَقِيَ عِنْدَنَا فِي زِيٍّ مَلْحُودِ  
وَاعْرَبَةَ الدِّينِ وَالْإِيمَانِ فِي زَمَنِ  
أَهْلِ الْهُدَى بَيْنَ مَقْهُورٍ وَمَظْهُودِ  
إِنْ دَامَ هَذَا وَلَمْ يَخْصُصْ لَهُ عَيْرٌ  
لَمْ يُبِكَ مَيْتٌ وَلَمْ يُفْرَحْ بِمَوْلُودِ  
وَفَارِقِ الْكُلِّ لَا تَلَوْ عَلَى أَحَدٍ  
أَرْضًا بِأَرْضٍ وَخِلَانًا بِمَوْجُودِ  
مَنْ كَانَ نَأْمَلُهُ فِي كَشْفِ مُعْضِلَةٍ  
أَبْدَى بَعْدِرٍ وَلَا أَجْدَى بِمَقْصُودِ  
فَأَيُّ أَرْضٍ بِهَا الْأَسْلَامُ فِي شَرْفِ  
وَسُنَّةِ الْمُصْطَفَى تَرْهُو بِتَجْدِيدِ  
أَيِّنَ الْفِرَارِ وَأَيُّ الدَّارِ نَلْقَى بِهَا  
وُلَاتَهَا كَأَنَّ مَيْمُونٍ وَمَحْمُودِ  
عُمَيْرِي غَدَا بَيْنَ وَاشٍ ثُمَّ مُبْتَدِعِ  
يَا رَبِّ يَسِّرْ بَأَنْصَارٍ لِتَوْحِيدِ

يَا صَاحِ مَن رَامَ فَوْزاً يَمْشِيَنَّ عَلَى  
طَرِيقَةِ الْمُصْطَفَى يُحْظَى بِتَسْبِيحِ  
وَالِهِ ثُمَّ أَصْحَابِ لَهُ تَبَعُ  
فَازُوا بِسَبْقٍ وَفَاقُونَنا بِتَسْبِيحِ  
وَقَادَةِ الْخَيْرِ كَالنُّعْمَانِ أُولِهِمْ  
وَأَحْمَدَ وَابْنَ إِدْرِيسَ أَخَا الْجُودِ  
وَمَالِكِ كُلِّهِمْ كَمَا نَا أَمَّتْنَا  
أَيُّمَةَ النَّاسِ قَدْ جَاؤُوا بِمَقْصُودِ  
نَوَاقِضِ الدِّينِ عَشْرُ تِلْكَ فَافْهَمَهَا  
لِكَيْ تَنَالَ نَعِيمًا غَيْرَ مَحْدُودِ  
وَحُبِّ فِي اللَّهِ لَا تَرْكَنَ لِمُبْتَدِعِ  
وَاهْجُرْ رِجَالَ الْخَنَا حُبًّا لِمَعْبُودِ  
وَلَا زِمِ السُّنَّةَ الْغَرَاءَ تَنْجُ بِهَا  
عِنْدَ اللَّقَاءِ بِفَوْزٍ غَيْرِ مَحْدُودِ  
وَلَا تُوَافِقْ لِأَهْوَاءٍ تُلْفَقُهَا  
أَقْوَامٌ سُوءٍ بِإِلَّا شَكَّ وَتَرْدِيْدِ  
خَيْرُ الْأُمُورِ أَخِي مَا كَانَ مَرْجِعُهُ  
إِلَى الرَّسُولِ بِإِلَّا شَكَّ وَتَرْدِيْدِ  
فَأَمْسِكْ عَلَيْهِ وَجَانِبِ كُلِّ مُنْخَرِفِ  
لِكَيْ تُفَوْزَ بِإِدَارِ الْخُلْدِ وَالْجُودِ

اللَّهُمَّ افْتَحْ لِدُعَائِنَا بَابَ الْقَبُولِ وَالْإِجَابَةِ وَارزُقْنَا صِدْقَ التَّوْبَةِ وَحُسْنَ الْإِنَابَةِ وَيَسِّرْنَا لِلْيُسْرَى  
وَجَنِّبْنَا الْعُسْرَى وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي



الْآخِرَةَ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ  
وَصَلَّى عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

( فَصْلٌ )

وَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَإِلَيْكَ تَمَازُجٌ مِنْ عَدْلِهِ وَرُحْمَةٍ وَوَرَعِهِ ، قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي خُطْبَتِهِ  
عَقِبَ الْبَيْعَةِ لَهُ : أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ مِنْكُمْ لِي مَا لَكُمْ وَعَلَيَّ مَا عَلَيْكُمْ ، وَ إِنِّي حَامِلُكُمْ  
عَلَى مَنْهَجِ نَبِيِّكُمْ وَمُنْقَذٌ فِيكُمْ مَا أَمَرْتُ بِهِ ، أَلَا إِنَّ كُلَّ قَطِيعَةٍ أَقْطَعَهَا عُثْمَانُ . وَكُلُّ مَالٍ  
أَعْطَاهُ مِنْ مَالِ اللَّهِ فَهُوَ مَرْدُودٌ فِي بَيْتِ الْمَالِ ، فَإِنَّ الْحَقَّ لَا يُبْطَلُهُ شَيْءٌ وَلَوْ وَجَدْتَهُ قَدْ تَزَوَّجَ بِهِ  
النِّسَاءَ وَمِلْكَ الْإِمَاءَ وَفَرَّقَ فِي الْبُلْدَانِ لَرَدَدْتُهُ فَإِنَّ الْعَدْلَ سَعَةٌ .

وَمَنْ ضَاقَ عَلَيْهِ الْحَقُّ فَالْجُورُ عَلَيْهِ أَضْيَقُ ، أَيُّهَا النَّاسُ أَلَا لَا يَقُولَنَّ رِجَالٌ مِنْكُمْ عَدَاً قَدْ  
عَمَرْتَهُمُ الدُّنْيَا فامْتَلَكُوا الْعَقَارَ وَفَجَّرُوا الْأَنْهَارَ وَرَكَبُوا الْحَيْلَ وَاتَّخَذُوا الْوَصَائِفَ الْمَرْفَعَةَ إِذَا مَا  
مَنَعْتَهُمْ مَا كَانُوا يَحْوِضُونَ فِيهِ وَأَصْرْتَهُمْ إِلَى حُقُوقِهِمْ الَّتِي يَعْلَمُونَ (( حَرَمَنَا ابْنُ أَبِي طَالِبٍ  
حُقُوقَنَا )) .

أَلَا وَإِنَّمَا رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرَى أَنَّ  
الْفَضْلَ لَهُ عَلَى سِوَاهُ بِصُحْبَتِهِ فَإِنَّ الْفَضْلَ عَدَاً عِنْدَ اللَّهِ وَثَوَابُهُ وَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ، أَلَا وَإِنَّمَا رَجُلٌ  
اسْتَجَابَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ فَصَدَّقَ مِلَّتَنَا وَدَخَلَ دِينَنَا وَاسْتَقْبَلَ قِبَلَتَنَا فَقَدْ اسْتَوْجَبَ حُقُوقَ الْإِسْلَامِ  
وَخُدُودَهُ .

فَأَنْتُمْ عِبَادُ اللَّهِ ، وَالْمَالُ مَالُ اللَّهِ ، يُفَسِّمُ بَيْنَكُمْ بِالسَّوِيَّةِ وَلَا فَضْلَ فِيهِ لِأَحَدٍ عَلَى أَحَدٍ  
وَالْمُتَّقِينَ عِنْدَ اللَّهِ أَحْسَنُ الْجَزَاءِ . وَأَخْرَجَ أَبُو نُعَيْمٍ فِي الْحَلِيَّةِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ رَبِيعَةَ الْوَالِيِّ عَنْ عَلِيِّ  
بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ جَاءَ ابْنُ النَّبَاجِ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ امْتَلَأْ بَيْتَ مَالِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ صَفْرَاءَ  
وَبَيْضَاءَ فَقَالَ اللَّهُ أَكْبَرُ فَقَامَ مُتَوَكِّئًا عَلَى ابْنِ النَّبَاجِ حَتَّى قَامَ عَلَى بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ :

هَذَا جَنَائِي وَخِيَارُهُ فِيهِ

وَكُلُّ جَانٍ يَأْتِيهِ فِيهِ

يَا ابْنَ النَّبَاجِ عَلِيُّ بِأَشْيَاعِ الْكُوفَةِ قَالَ : فَتُودِي فِي النَّاسِ فَأَعْطَى جَمِيعَ مَا فِي بَيْتِ الْمُسْلِمِينَ  
وَهُوَ يَقُولُ : يَا صَفْرَاءُ وَيَا بَيْضَاءُ غُرِّي غَيْرِي هَا وَهَا حَتَّى مَا بَقِيَ مِنْهُ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ ثُمَّ أَمَرَ  
بِنَضْحِ هِ وَصَلَّى فِيهِ رَكَعَتَيْنِ وَعَنْ جَمْعِ التَّيْمِيِّ قَالَ كَانَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَكْنِسُ بَيْتَ الْمَالِ  
وَيُصَلِّي فِيهِ وَيَتَّخِذُهُ مَسْجِدًا رَجَاءً أَنْ يَشْهَدَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ الْعَلَاءِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ مَا  
أَصَبْتُ مِنْ فَيْئِكُمْ غَيْرَ هَذِهِ الْقَارُورَةِ أَهْدَاهَا إِلَيَّ الدَّهْقَانُ ، ثُمَّ نَزَلَ إِلَى بَيْتِ الْمَالِ فَفَرَّقَ كُلَّ مَا  
فِيهِ ، وَلَمَّا قَرَّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْهِجْرَةَ مِنْ بَيْتِهِ الَّذِي أَحَاطَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ لِيَقْتُلُوهُ إِتْرَ مَكْرَهُمْ بِهِ فِي  
دَارِ النَّدْوَةِ وَضَعَ مَكَانَهُ فِي فِرَاشِهِ ابْنِ عَمِّهِ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .  
وَأَتْرَ عَلِيٌّ أَنْ يَكُونَ الْفِدَا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنْ

يُعَرِّضَ نَفْسَهُ لِلشُّيُوفِ سِيُوفِ الْمُشْرِكِينَ تُقَطِّعُ لَحْمَهُ وَتُزْهِقُ رُوحَهُ وَبِذَلِكَ فَدَى بِنَفْسِهِ رَسُولَ  
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِيهِ يَقُولُ النَّاطِلُ لِلْعَقِيدَةِ :

وَلَا تَنْسَ صِهْرَ الْمُصْطَفَى وَابْنَ عَمِّهِ  
فَقَدْ كَانَ حَبْرًا لِلْعُلُومِ وَسَيِّدًا  
وَفَادَى رَسُولَ اللَّهِ طَوْعًا بِنَفْسِهِ  
عَشِيَّةَ لَمَّا بِالْفِرَاشِ تَوَسَّدَا  
وَمَنْ كَانَ مَوْلَاهُ التَّيِّبِي فَقَدْ غَدَى  
عَلَيْ لِي لِي بِالْحَقِّ مَوْلَى وَمُنْجِدَا

اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا بِطَاعَتِكَ وَأَهْمِنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَارْزُقْنَا الْإِنَابَةَ إِلَيْكَ وَحَسَنَ التَّوَكُّلِ عَلَيْكَ وَآتِنَا  
فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ  
بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

#### ( فَصْلٌ )

وَرُوي أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ يَوْمًا فَقَالُوا لَهُ لَوْ  
أَعْطَيْتَ هَذِهِ الْأَمْوَالَ ، وَصَلْتَ بِهَا هَهؤُلاءِ الْأَشْرَافِ ، وَمَنْ تَخَافُ فِرَاقَهُ ، حَتَّى إِذَا اسْتَبَبَ لَكَ  
مَا تُرِيدُهُ عُذْتَ إِلَى مَا عَوَّدَكَ اللَّهُ مِنَ الْعَدْلِ فِي الرَّعِيَّةِ وَالْقِسْمَةِ بِالسَّوِيَّةِ .  
فَقَالَ أَتَأْمُرُونِي أَنْ أَطْلُبَ النَّصْرَ بِالْجُورِ فَيَمُنَّ وَلَيْتُ عَلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ

الاسلام والله لا أفعل ذلك لو كان هذا المال لي لسوّيت بينهم فيه كيف وإنما هي أموالهم .  
 ورؤي أن أخاه عقيلاً سأله شيئاً من بيت المال فقال إذا كان يوم الجمعة فأتني ، فأتاه يوم  
 الجمعة إلى المسجد ، وقد اجتمع فيه الناس فقال رضي الله عنه ما تقول فيمن خان هؤلاء ،  
 فقال أقول إنه رجل سوء ، فقال إنك سألتني أن أخوهم أو كما قال .

ورؤي عن سويد بن غفلة قال دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بعد ما صار  
 إليه الأمر فإذا هو جالس على مصلى ليس في داره سواه فقلت يا أمير المؤمنين أنت ملك  
 الاسلام ، ولا أرى في بيتك أثاثاً ولا متاعاً ، سوى مصلى أنت جالس عليه فقال يا ابن غفلة  
 إن اللبیب لا يتأثت في دار الثقله ، وأمامنا دار هي دار المقام ، وقد نقلنا إليها خير متاع  
 ونحن إليها منتقلون .

وعن بعضهم قال رأيت علياً يطوف وبیده الدرّة وعليه إزار فيه أربع عشرة رقعاً بعضها من  
 جلد .

ومن كلامه رضي الله عنه ألا وإن إمامكم قد اكتفى من الدنيا بطمره ومن طعامه بقرصيه ،  
 ألا وإنيكم لا تقومون على ذلك ولكن أعينوني بورع واجتهاد ، فوالله ما كنت من دنياكم تيراً  
 ، ولا أحرزت من عنائهم وفراً .

إلى أن قال : ولو شئت لا هتديت الطريق إلى مصفى هذا العسل ، ولباب هذا القمح ،  
 ونسائج هذا القز ، ولكن هيهات أن يغلبني هواي ،

وَيَقُودُنِي جَشْعِي إِلَى تَخْيِيرِ الْأَطْعَمَةِ .

وَلَعَلَّ بِالْحِجَازِ وَالْيَمَامَةِ مَنْ لَا يُدْرِكُ الْفُرْصَ ، وَلَا عَهْدَ لَهُ بِالشَّبَعِ ، أَوْ أَبِيثَ مِبْطَانًا وَحَوْلِي  
بُطُونٌ غَزَنِي مِنَ الْجُوعِ ، وَأَكْبُدُ حَرَاءً ، فَأَكُونُ كَمَا  
قَالَ الْقَائِلُ :

وَحَسْبُكَ عَارًا أَنْ تَبَيَّنْتَ بِيْطْنَةَ

وَحَوْلَكَ أَكْبَادٌ تَحِينُ إِلَى الْقِدِّ

وَمِنْ كَلَامِ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي كِتَابِ الْعَهْدِ لِالْأَشْتَرِحِينَ وَلاَهُ مِصْرٌ وَلِيَكُنْ أَحَبُّ الدَّخَائِرِ  
إِلَيْكَ دَخِيرَةٌ الْعَمَلِ الصَّالِحِ فَاْمَلِكْ هَوَاكَ وَشُحَّ بِنَفْسِكَ عَنْ مَا لَا يَحِلُّ لَكَ ، فَإِنَّ الشُّحَّ  
بِالنَّفْسِ بِالْإِنْصَافِ مِنْهَا فِيمَا أَحَبَّتْ وَكَرِهَتْ . أ.هـ

وقال غيره : الهوى والنفس يَنْتَجَانِ مِنَ الْأَخْلَاقِ قِبَائِحِهَا وَيُظْهِرَانِ مِنَ الْأَفْعَالِ فِضَائِحِهَا .

إِذَا مَا رَأَيْتَ الْمَرْءَ يَقْتَادَهُ الْهَوَى فَقَدْ ثَكَلْتَهُ عِنْدَ ذَاكَ ثَوَاكِلُهُ  
وَمَا يَرْدَعُ النَّفْسَ الْحَرُونَ عَنِ الْهَوَى مِنْ النَّاسِ إِلَّا حَازِمُ الرَّأْيِ كَامِلُهُ  
وَقَدْ أَشْمَتَ الْأَعْدَاءَ جَهْلًا بِنَفْسِهِ وَقَدْ وَجَدَتْ فِيهِ مَقَالًا عَوَاذِلُهُ

إِذَا اشْتَبَهَ الْأَمْرَانِ فَالْخَيْرُ فِي الَّذِي

تَرَاهُ إِذَا كَلَّفْتَهُ النَّفْسَ يَثْقُلُ

فَجَانِبُ هَوَاهَا وَاطَّرِحَ مَا تُرِيدُهُ

مِنَ اللَّهْوِ وَاللذاتِ إِنْ كُنْتَ تَعْقِلُ

وَأَشْعُرُ قَلْبَكَ الْمِحْبَةَ لِلرَّعِيَّةِ وَالرَّحْمَةَ بِهِمْ وَالرَّفْقَ بِهِمْ وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبْعًا ضَارِيًا يَعْتَنِمُ أَكْلَهُمْ ،  
فَإِنَّمَا هُمْ صِنْفَانِ إِمَّا أَحُّ لَكَ فِي

الدِّينِ أَوْ نَظِيرَ لَكَ فِي الْخُلُقِ ، يَفْرُطُ مِنْهُمْ الزَّلُّ وَتَعْرِضُ لَهُمُ الْعِلَالُ وَيَأْتِي عَلَى أَيْدِيهِمُ الْعَمْدُ وَالْخَطَأُ .

فَأَعْطَاهُمْ مِنْ عَفْوِكَ ، وَصَفَحَكَ ، مِثْلَ الَّذِي نُحِبُّ أَنْ يُعْطِيكَ اللَّهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفَحِهِ فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ ، وَوَالِي الْأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ وَاللَّهُ فَوْقَ مَنْ وَوَلَاكَ ، وَقَدْ اسْتَكْفَاكَ أَمْرُهُمْ ، وَابْتَلَاكَ بِهِمْ . وَفِيهِ لَا تَنْدَمَنَّ عَلَى عَفْوٍ وَلَا تَتَبَجَّحَنَّ بِعُقُوبَةٍ وَلَا تَسْرِعَنَّ إِلَى بَادِرَةٍ وَجَدْتَ عَنْهَا مَنُوحَةً . وَلَا تَقُولَنَّ إِنِّي أَمْرٌ أَمْرٌ فَأَطَاعَ ، فَإِنَّ ذَلِكَ إِدْعَالٌ فِي الْقَلْبِ وَمَنْهَكَةٌ لِلدِّينِ ، وَتَقَرَّبَ مِنَ الْغَيْرِ .

فَإِذَا أَحْدَثَ لَكَ مَا فِيهِ مِنْ سُلْطَانِكَ أُبْهَةً أَوْ خَيْلَةً فَانظُرْ إِلَى عِظَمِ مُلْكِ اللَّهِ فَوْقَكَ ، وَقُدْرَتِهِ مِنْكَ عَلَى مَا لَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِكَ ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُطَامِنُ إِلَيْكَ مِنْ طِمَاحِكَ . وَفِيهِ إِيَّاكَ وَمُسَامَاتِ اللَّهِ فِي عَظَمَتِهِ ، وَالتَّشْبُهَ بِهِ فِي جَبْرُوتِهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ يُذِلُّ كُلَّ جَبَّارٍ وَيُهَيِّئُ كُلَّ مُخْتَالٍ ، أَنْصِفِ اللَّهَ ، وَأَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ ، وَمَنْ خَاصَّةً أَهْلِكَ ، وَمَنْ لَكَ فِيهِ هَوَىٌّ مِنْ رَعِيَّتِكَ ، فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ ذَلِكَ تَظْلِمَ وَمَنْ ظَلَمَ عِبَادَ اللَّهِ كَانَ اللَّهُ خَصَمَهُ ، دُونَ عِبَادِهِ ، وَمَنْ خَاصَمَهُ اللَّهُ أَدْحَضَ حُجَّتَهُ .

وَلْيَكُنْ أَبْعَدُ رَعِيَّتِكَ عَنْكَ وَأَشْنُوهُمْ عِنْدَكَ ، أَطْلَبُهُمْ لِمَعَائِبِ النَّاسِ فَإِنَّ فِي النَّاسِ عُيُوبًا وَالْوَالِي أَحَقُّ بِسِتْرِهَا ، فَلَا تَكْشِفَنَّ عَنْ مَا غَابَ عَنْكَ مِنْهَا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ تَطْهِيرُ مَا ظَهَرَ لَكَ ، وَاللَّهُ يَحْكُمُ عَلَى مَا غَابَ عَنْكَ .

وفيه ولا تعجلنَّ بتصديقي ساعٍ فإنَّ الساعي غاشٌّ وإنَّ تشبَّه بالتأصحينَّ ولا تُدخلنَّ في مشورتك بحيلةٍ يعدلُ بك عن الفضلِ ويعدك الفقرَ ولا جباناً يُضعفك عن الأمورِ ولا حريصاً يُزيِّنُ لك الشرَّ بالجورِ ولا يَكُونُ المحسنُ والمسيءُ عندك سواءً بمنزلةٍ واحدةٍ فإنَّ في ذلك تزهيداً لأهل الإحسانِ في الإحسانِ وتدريباً لأهل الإساءةِ وألزم كلاً منهم ما ألزم نفسه .

ثمَّ الله الله في الطبقة السُّفلى من الناس الذين لا حيلة لهم والمساكين والمحتاجين والبؤساء والزمنى فاحفظ الله فيهما كما استحفظك من حقه فيهم واجعل لهم قسماً من بيت مالك وسهماً من غلات صوافي بلدك .

وتفقد أمور من لا يصل إليك منهم ممن تفتحهم العيون وتحتقره الرجال فإنَّ هؤلاء من الرعية أحق بالانصاف من غيرهم وتعهّد أهل اليتيم وأولي الرقة في السنِّ ممن لا حيلة له ولا ينصب نفسه للمسألة وذلك على الؤلاة ثقيلٌ والحقُّ كُله ثقيلٌ .

وفيه ولا يطولنَّ احتجابك عن رعيتك فإنَّ احتجاب الؤلاة عن الرعية شعبة من الضيق وقلة علم بالأمور والاحتجاب منهم يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه فيصغر عندهم الكبير ويعظم عندهم الصغير ويقبح الحسن ويحسُّ القبيح ويثاب الحق بالباطل .

وفي كتابه رحمه الله وإياك والدماء وسفكها بعير حلها ، فإنه ليس شئ أدعى لنعمة ولا أعظم تبة ولا أخرى لزوال نعمة وانقطاع مدّة من سفك الدماء بعير حقها ، فلا تُفوتنَّ سلطانك بسفك دم حرام ، فإنَّ

ذَلِكَ مِمَّا يُضَعِّفُهُ وَيُوهِنُهُ ، بَلْ يُزِيلُهُ وَيَنْقُلُهُ وَأَخْرَجَ السَّطْوَةَ حَتَّى يَسْكُنَ غَضَبُكَ فَتَمْلِكَ الْحِيَارَ ، وَلَنْ تُحْكِمَ ذَلِكَ حَتَّى تَكْثُرَ هُمُومُكَ بِذِكْرِ الْمَعَادِ إِلَى رَبِّكَ وَالسَّلَامِ .

وَعَنْ الشَّعْبِيِّ قَالَ : وَجَدَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ دِرْعَهُ عِنْدَ رَجُلٍ نَصْرَانِيٍّ فَأَقْبَلَ بِهِ إِلَى شُرَيْحٍ يُخَاصِمُهُ قَالَ فَجَاءَ عَلِيُّ حَتَّى جَلَسَ إِلَى جَنْبِ شُرَيْحٍ قَالَ يَا شُرَيْحُ لَوْ كَانَ خَصْمِي مُسْلِمًا مَا جَلَسْتُ إِلَّا مَعَهُ وَلَكِنَّهُ نَصْرَانِيٌّ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا كُنْتُمْ وَإِيَّاهُمْ فِي طَرِيقٍ فَاضْطَرُّوهُمْ إِلَى مَضَائِقِهِمْ وَصَعَّرُوا بِهِمْ كَمَا صَعَّرَ اللَّهُ بِهِمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَطْعَمُوا ثُمَّ قَالَ : هَذَا الدَّرْعُ دِرْعِي وَمَنْ أَبْعَ وَمَنْ أَهَبَ .

فَقَالَ شُرَيْحٌ لِـنَصْرَانِيٍّ مَا تَقُولُ فِيمَا يَقُولُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ النَّصْرَانِيُّ مَا الدَّرْعُ إِلَّا دِرْعِي ، وَمَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عِنْدِي بِكَاذِبٍ فَالْتَفَتَ شُرَيْحٌ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ لَهُ هَلْ مِنْ بَيْنَةِ فَضْحِكَ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَقَالَ أَصَابَ شُرَيْحٌ مَالِي فَقَضَى شُرَيْحٌ بِهَا لِلنَّصْرَانِيِّ .

قَالَ فَأَخَذَهُ النَّصْرَانِيُّ وَمَشَى خُطًا ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ أَمَا أَنَا فَأَشْهَدُ أَنَّ هَذِهِ أَحْكَامُ الْأَنْبِيَاءِ ، أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِيَنِي إِلَى قَاضِيهِ يَقْضِي عَلَيَّ .

أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، الدَّرْعُ وَاللَّهُ دِرْعُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اتَّبَعْتُ الْجَيْشَ وَأَنْتَ مُنْطَلِقٌ إِلَى صِفِينَ فَخَرَجْتَ مِنْ بَعِيرِكَ الْأُورِقِ فَقَالَ أَمَا إِذَا أَسَلِمْتَ فَهِيَ لَكَ وَحَمَلَهُ عَلَى فَرَسٍ .



شِعْرًا: لَعَمْرُكَ مَا تُغْنِي الْمَعَانِي وَلَا الْغِنَى  
إِذَا سَكَنَ الْمُثْرَى الثَّرَى وَثَوَى بِهِ  
فَجُدَّ فِي مَرَاضِي اللَّهِ بِالْمَالِ رَاضِيًا  
بِمَا تَقْتَبِي مِنْ أَجْرِهِ وَثَوَابِهِ  
وَعَاصِ هَوَى النَّفْسِ الَّذِي مَا أَطَاعَهُ  
أُخْوُ ظَلَّةٍ إِلَّا هَوَى مِنْ عِقَابِهِ  
وَحَافِظِ عَلَيَّ تَقْوَى الْآلِهَةِ وَخَوْفِهِ  
لِتَنْجُو مِمَّا يُتَّقِي مِنْ عِقَابِهِ  
وَلَا تَلُهُ عَنْ تَذْكَارِ ذَنْبِكَ وَأَبْلُهُ  
بِذَمِّ يَضَاهِي الْمُنْزَنِ حَالِ مُصَابِهِ  
وَمَثَلِ لِعَيْنَيْكَ الْحِمَامِ وَوَفْعِهِ  
وَرُوعَةِ مَلَقَاهُ وَمَطْعَمِ صَابِهِ  
وَإِنَّ قُصَارَى مَنْزِلِ الْحَيِّ حُفْرَةٌ  
سَيَنْزِلُهَا مُسْتَنْزَلًا عَنْ قِبَابِهِ  
فَوَاهَا لِعَبْدٍ سَاءَ سُوءُ فِعْلِهِ  
وَأَبْدَى التَّلَافِي قَبْلَ إِغْلَاقِ بَابِهِ

قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِعَمَّارٍ عَلَامٌ تَتَأَوُّهُ؟ إِنْ كَانَ عَلَى الدُّنْيَا فَقَدْ خَسِرْتَ صَفَقَتِكَ ، وَإِنْ كَانَ عَلَى الْآخِرَةِ فَقَدْ رَجَحْتَ تِجَارَتِكَ ، يَا عَمَّارُ إِنِّي وَجَدْتُ لِدَاتِ الدُّنْيَا فِي أَحْقَرِ الْأَشْيَاءِ الطَّعَامَ وَأَفْضَلُهُ الْعَسَلُ وَهُوَ مِنْ حَشْرَةٍ ، الْمَشْرُوبَاتِ ، وَأَفْضَلُهَا سَائِرَةٌ فِي الْهَوَاءِ .

الملبؤساتُ ، وأفضلُها الحريرُ وهو من دود القزِّ ، المشموماتُ وأفضلُها المسكُ وهو من فأرةٍ ،  
المشموعاتُ وهي أعراضٌ سائرةٌ في الهواءِ .

النكاحُ وهو مبالٌ في مبالٍ وحسبكُ أن المرأةَ تتزيًا بأقبحِ شيءٍ فيها : هذه العِضةُ تكشفُ لنا عن  
هوانِ الدنيا على الله حيثُ جعلَ لذاتِها في أحقرِ الأشياءِ والله أعلم . وصلى الله على محمد  
وآله وصحبه وسلم .

فصلٌ : ومن الحكيم المروية عنه ما يلي :

وقال رضي الله عنه : (( البخل عار والجبن منقصة والفقر يخرس الفطن عن حجته والمقل  
غريب في بلده والعجز آفة والصبر شجاعة والزهد ثروة والورع جنة )) .

وقال : (( نعم القرين الرضى والعلم وراثه كريمة و الآداب حلل مجددة والفكر مرآة صافية )) .

وقال : (( صدر العاقل صندوق سره والبشاشة جبل المودة والاحتمال قبر العيوب )) . وقال :

(( إذا أقبلت الدنيا علي أحد أعارته محاسن غيره وإذا أدبرت عنه سلبته محاسن نفوسه )) .

وقال : (( إذا قدرت علي عدوك فاجعل العفو عنه شكرا للقدرة عليه )) . وقال : (( إذا  
وصلت إليكم أطراف النعم فلا تنفروا قصاها بقلة الشكر )) .

وقال : (( من جري في عنان أمله عثر بأجله )) . وقال : (( من أبطأ به عمله لم يسرع به

نسبه )) ويروي هذا عن رسول الله ﷺ (( من كفارات الذنوب العظام إغاثة الملهوف والتنفيس  
عن المكروب )) .

وقال : (( يا ابن آدم إذا رأيت ربك سبحانه يتابع نعمه عليك و أنت تعصيه فاحذره )) .

وقال : (( الحذر الحذر فوالله لقد ستر حتي كأنه غفر )) .

وقال : (( فاعل الخير خير منه وفاعل الشر شر منه )) . وقال : (( كن سمحاً ولا تكن مبذراً  
وكن مقدراً ولا تكن مقتراً ))  
وقال : (( من أسرع إلى الناس بما يكرهون قالوا فيه بما لا يعلمون )) .  
وقال : طوبى لمن ذكر المعاد وعمل للحساب وقنع بالكفاف ورضي عنه الله )) .  
وقال : احذروا صولة الكريم إذا جاع وصولة اللئيم إذا شبع )) . وقال : (( أولى الناس بالعفو  
أقدرهم على العقوبة )) . وقال : (( القناعة مال لا ينفذ )) .  
وقال : (( اللسان سبع إن خلي عنه عقر )) . وقال : (( فوت الحاجة أهون من طلبها إلي  
غير أهلها )) . وقال : (( لا تستح من إعطاء القليل فإن الحرمان أقل منه )) .  
وقال : (( إذا تم العقل نقص الكلام )) . وقال : (( من نصب نفسه للناس إماماً فليبدأ  
بتعليم نفسه قبل تعليم غيره وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه ومعلم نفسه ومأدبها أحق  
بالاجلال من معلم الناس ومؤدبيهم )) . وقال : (( قيمة كل امرئ ما يحسنه )) .  
وقال : ( أوصيكم بخمس لو ضربتم إليها آباط الابل لكانت لذلك أهلاً لا يرجون أحد منكم  
إلا ربه ولا يخافن إلا ذنبه ولا يستحين أحد إذا سئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم ولا  
يستحين أحد إذا لم يعلم الشيء أن يتعلمه .  
وعليكم بالصبر فإن الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد ولا خير في جسد بغير رأس ولا في  
إيمان لا صبر معه )) .  
وقال : (( من أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس ومن أصلح أمر آخرته  
أصلح الله له أمر دنياه ومن كان له من نفسه واعظ كان عليه من الله حافظ )) .

وقال : (( اعقلوا الخير عقل رعاية لا عقل رواية فإن رواة العلم كثير ولكن رعاته قليل )) .  
 وقال : (( لا يترك الناس شيئاً من امر دينهم لاستصلاح دنياهم إلا فتح الله عليهم ما هو اضر  
 منه )) . وقال : (( إضاعة الفرصة غصة )) .

وقال : (( عجبت للبخيل يستعجل الفقر الذي منه هرب ويفوته الغنى الذي إياه طلب فيعيش  
 في الدنيا عيش الفقراء ويحاسب في الآخرة حساب الأغنياء .  
 وعجبت للمتكبر الذي كان بالامس نطفة ويكون غداً جيفة .  
 وعجبت لمن شك في الله وهو يرى خلق الله .  
 وعجبت لمن نسي الموت وهو يرى الموتى .  
 وعجبت لمن أنكر النشأة الأخرى وهو يرى النشأة الأولى .  
 وعجبت لعامر دار الفناء وتارك دار البقاء )) .

فِيَا عَجَبًا مِمَّنْ يُضَيِّعُ حَيَاتَهُ      عَلَى حِفْظِ مَالٍ وَهُوَ لِلْغَيْرِ يَدْخِرُ  
 وَمَنْ تُتَوَفَى نَفْسُهُ كُلَّ لَيْلَةٍ      وَتَرْجَعُ فِيهِ كَيْفَ لِلْبُعْثِ يُنْكَرُ  
 بَلَى قَادِرٌ أَنْشَأَهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ      عَلَى رَدِّ رُوحٍ مِنْهُ فِي الْجِسْمِ أَقْدَرُ

وقال : (( لا يكون الصديق صديقاً حتى يحفظ أخاه في ثلاث في نكته وغيبته ووفاته )) .  
 وقال : (( تنزل المعونة على قدر المؤنة )) .  
 وقال : (( المرء محبوب تحت لسانه )) . وقال : (( لا يعدم الصبور الظفر وان طال به  
 الزمان )) .

وقال : ( الراضي بفعل قوم كالداخل معهم وعلى كل داخل في باطل ائمان إثم العمل به و إثم  
 الرضى به )) .

وقال : (( من استبد برأيه هلك ومن شاور الرجال شاركها في عقولها )) .

وقال : (( من كتتم سره كانت الخيرة بيده ) وقال : (( الاعجاب يمنع الازدياد )) .

وقال : (( الناس أعداء ما جهلوا )) . وقال : (( زاجر المسيء بثواب المحسن )) . وقال :  
(( الطمع رق مؤبد )) . وقال : (( لم يذهب من مالك ما وعظك )) .  
وقال : (( لا يزهديك في المعروف من لا يشكر لك فقد يشركك عليه من لا يستمع به وقد  
تدرك من شكر الشاكر أكثر مما أضرع الكافر والله يحب المحسنين )) .  
وقال : (( بئس الزاد إلي المعاد العدو على العباد )) . وقال : (( من كساه الحياء ثوبه لم ير  
الناس عيبه )) .

وقال : (( الكرم أعطف من الرحم )) . وقال : (( من ظن بك خيراً فصدق ظنه )) . وقال :  
(( الحدة ضرب من الجنون فان صاحبها يندم فان لم يندم فجنونه مستحکم )) . انتهى  
اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ سِرَّنَا وَعَلَانِيَتَنَا وَتَسْمَعُ كَلَامَنَا وَتَرَى مَكَانَنَا لَا يَخْفَى عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِنَا نَحْنُ  
الْبُؤْسَاءُ الْفُقَرَاءُ إِلَيْكَ الْمُسْتَغِيثُونَ الْمُسْتَجِيرُونَ بِكَ نَسْأَلُكَ أَنْ تُقَيِّظَ لِدِينِكَ مَنْ يَنْصُرُهُ وَيُرِيْلُهُ مَا  
حَدَّثَ مِنْ الْبِدَعِ وَالْمُنْكَرَاتِ وَيُقِيمَهُ عِلْمَ الْجِهَادِ وَيَقْمَعُ أَهْلَ الزَّيْغِ وَالْكَفْرِ وَالْعِنَادِ وَنَسْأَلُكَ أَنْ  
تَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ  
أَجْمَعِينَ .

### ( فَصْلٌ )

#### مواظظ ونصائح

وعن رجل من بني شيبان أن علي بن أبي طالب عليه السلام خطب فقال (( الحمد لله أحمده  
وأستعينه ، وأؤمئ به وأتوكل عليه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .  
وأن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليُزَيِّحَ به

عَلَّتْكُمْ ، وَلِيُوقِظَ بِهِ غَفْلَتَكُمْ ، وَاَعْلَمُوا أَنْكُمْ مَيِّتُونَ وَمَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ وَمَوْقُفُونَ عَلَى أَعْمَالِكُمْ وَمَجْزِيُّونَ بِهَا .

فَلَا تَعْرِتُكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا دَائِرٌ بِالْبَلَاءِ مَحْفُوفَةٌ ، وَبِالْفَنَاءِ مَعْرُوفَةٌ ، وَبِالْعَدْرِ مَوْصُوفَةٌ ، كُلُّ مَا فِيهَا زَوَالٌ وَهِيَ بَيْنَ أَهْلِهَا دَوْلٌ وَسِحَالٌ ، لَا تَدُومُ أَهْوَالُهَا .

وَلَنْ يَسْلَمَ مِنْ شَرِّهَا نَزَاهُا ، بَيْنَا أَهْلِهَا مِنْهَا فِي رِخَاءٍ وَسُرُورٍ ، إِذَا هُمْ مِنْهَا فِي بَلَاءٍ وَعُزُورٍ ، أَحْوَالٌ مُخْتَلِفَةٌ ، وَتَارَاتٌ مُتَصَرِّفَةٌ .

الْعَيْشُ فِيهَا مَذْمُومٌ ، وَالرِّخَاءُ فِيهَا لَا يَدُومُ ، وَإِنَّمَا أَهْلُهَا فِيهَا أَغْرَاضٌ مُسْتَهْدَفَةٌ تَرْمِيهِمْ بِسَهَامِهَا ، وَتَقْصِمُهُمْ بِحِمَامِهَا ، حَتْفُهُ فِيهَا مَقْدُورٌ وَحِظُّهُ فِيهَا مَوْفُورٌ .

وَاَعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ وَمَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا عَلَى سَبِيلِ مَنْ قَدْ مَضَى بِمَنْ كَانَ أَطْوَلَ مِنْكُمْ أَعْمَارًا ، وَأَشَدَّ مِنْكُمْ بَطْشًا ، وَأَعَمَرَ دِيَارًا ، وَأَبْعَدَ آثَارًا .

فَأَصْبَحَتْ أَمْوَالُهُمْ هَامِدَةً مِنْ بَعْدِ نُقْلَتِهِمْ ، وَأَجْسَادُهُمْ بَالِيَةً وَدِيَارُهُمْ خَالِيَةً ، وَآثَارُهُمْ عَافِيَةً .

فَاسْتَبَدُّوا بِالْفُصُورِ الْمَشِيدَةِ وَالنَّمَارِقِ الْمَمَّهَدَةِ الصُّخُورِ وَالْأَحْجَارِ فِي الْقُبُورِ الَّتِي قَدْ بُنِيَ عَلَى الْخَرَابِ فِنَاؤُهَا ، وَشِيدَ بِالتَّرَابِ بِنَاؤُهَا .

فَمَحَلُّهَا مُقْتَرَبٌ ، وَسَاكِنُهَا مُعْتَرَبٌ ، بَيْنَ أَهْلِ عِمَارَةٍ مُوَحِّشِينَ ، وَأَهْلِ مَحَلَّةٍ مُتَشَاغِلِينَ ، لَا يَسْتَأْنِسُونَ بِالْعُمُرَانِ ، وَلَا يَتَوَاصَلُونَ تَوَاصُلَ الْجِيرَانِ وَالْإِخْوَانِ ، عَلَى مَا بَيْنَهُمْ مِنْ قُرْبِ الْجَوَارِ ، وَدُنُوِّ الدَّارِ .

وَكَيْفَ يَكُونُ بَيْنَهُمْ تَوَاصُلٌ وَقَدْ طَحَنَهُمْ بِكُلِّكَلِهِ الْبَلَى وَأَظْلَتَهُمُ الْجَنَادِلُ وَالشَّرَى ، فَأَصْبَحُوا بَعْدَ الْحَيَاةِ أَمْوَاتًا ، وَبَعْدَ غَضَارَةِ الْعَيْشِ رُفَاتًا .

فَجِجَ بِهِمِ الْأَحْبَابَ ، وَسَكَنُوا الثَّرَابَ ، وَظَعَنُوا فَلَيْسَ لَهُمْ إِيَابَ ، هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ ، ﴿ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ .

وَكَأَنَّ قَدْ صِرْتُمْ إِلَى مَا صَارُوا إِلَيْهِ مِنَ الْبَلَى ، وَالْوَحْدَةَ فِي دَارِ الْمُتَوَى ، وَارْتَهَنْتُمْ فِي ذَلِكَ الْمَضْجَعِ ، وَضَمَّكُمْ ذَلِكَ الْمُسْتَوْدِعِ .

فَكَيْفَ بَكُمْ لَوْ قَدْ تَنَاهَتْ الْأُمُورُ ، وَبُعْثِرَتِ الْقُبُورُ ، وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ، وَوَقِفْتُمْ لِلتَّحْصِيلِ ، بَيْنَ يَدَيِ الْمَلِكِ الْجَلِيلِ .

فَطَارَتِ الْقُلُوبُ ، لِإِشْفَاقِهَا مِنْ سَالِفِ الذُّنُوبِ ، وَهَتَكَتْ عَنْكُمْ الْحُجُبَ وَالْأَسْتَارَ ، وَظَهَرَتْ مِنْكُمْ الْعُيُوبُ وَالْأَسْرَارَ .

هُنَالِكَ ﴿ يُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ ﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴾

وَقَالَ ﴿ وَوَضَعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُعَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّمْ رَبُّكَ أَحَدًا ) .

جَعَلْنَا اللَّهُ وَ إِيَّاكُمْ عَامِلِينَ بَكْتَابِهِ ، مُتَّبَعِينَ لِأَوْلِيَائِهِ ، حَتَّى يُجَلِّنَا وَإِيَّاكُمْ دَارَ الْمَقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ ، إِنَّهُ حَمِيدٌ مُجِيدٌ .

عَنِ الْحَسَنِ ، عَنِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قَالَ : طُوبَى لِكُلِّ عَبْدٍ نَوْمَةً عَرَفَ النَّاسَ وَلَمْ يَعْرِفْهُ النَّاسُ ، عَرَفَهُ اللَّهُ بِرِضْوَانٍ .

أُولَئِكَ مَصَابِيخُ الْهُدَى يَكْشِفُ اللَّهُ عَنْهُمْ كُلَّ فِتْنَةٍ مُظْلِمَةٍ ، سَيَدْخُلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مِنْهُ ، لَيْسُوا بِالْمَذَابِيعِ الْبُدْرِ وَلَا الْجَفَاةِ الْمُرَائِينَ . وَعَنْ عَاصِمِ بْنِ ضَمْرَةَ عَنِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : " أَلَا إِنَّ الْفَقِيهَ الَّذِي لَا يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ وَلَا يُؤْمِنُهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ ، وَلَا يُرَحِّصُ لَهُمْ فِي مَعَاصِي اللَّهِ .

ولا يَدْعُ الْقُرْآنَ رَغْبَةً عَنْهُ إِلَىٰ غَيْرِهِ وَلَا خَيْرَ فِي عِبَادَةٍ لَا عِلْمَ فِيهَا وَلَا خَيْرَ فِي عِلْمٍ لَا فَهْمَ فِيهِ ،  
 وَلَا خَيْرَ فِي قِرَاءَةٍ لَا تَدَبُّرَ فِيهَا )) .

عن الشعبي ، أَنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ ( يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، خُذُوا عَنِّي هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ ، فَلَوْ  
 رَكِبْتُمُ الْمَطِيَّ حَتَّىٰ تَنْضُوهُمَا مَا أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا ) .

لَا يَرْجُونَ عَبْدًا إِلَّا رَبَّهُ ، وَلَا يَخَافُونَ إِلَّا ذَنْبَهُ ، وَلَا يَسْتَحْيِي - إِذَا لَمْ يَعْلَمْ - أَنْ يَتَعَلَّمَ ، وَلَا  
 يَسْتَحْيِي - إِذَا سُئِلَ عَمَّا لَا يَعْلَمُ - أَنْ يَقُولَ : لَا أَعْلَمُ .

وَاعْلَمُوا أَنَّ الصَّبْرَ مِنَ الْإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ ، وَلَا خَيْرَ فِي جَسَدٍ لَا رَأْسَ لَهُ .

وعن أبي عبد الرحمن السُّلَمِيِّ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، قَالَ : أَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَىٰ نَبِيِّهِ مِنَ  
 الْأَنْبِيَاءِ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ وَلَا أَهْلِ دَارٍ وَلَا أَهْلِ قَرْيَةٍ يَكُونُونَ لِي عَلِيٌّ مَا أَحَبَّ فَيَتَحَوَّلُونَ  
 عَنْ ذَلِكَ إِلَىٰ مَا أَكْرَهُ ، إِلَّا تَحَوَّلَتْ لَهُمْ مِمَّا يَجْبُونَهُ إِلَىٰ مَا يَكْرَهُونَ .

وليس من أهل بيت ولا أهل دار ولا أهل قرية يكونون لي علي ما أكره فيتحولون من ذلك إلى  
 ما أحب إلا تحولت لهم مما يكرهون إلى ما يحبون .

وعن عبد الله بن عباس أنه قال : ما انتفعتُ بكلام أحد بعد رسول الله ﷺ كانتفاعي بكتاب  
 كَتَبَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، فَإِنَّهُ كَتَبَ إِلَيَّ َ :

(( أَمَا بَعْدَ فَا نِ الْمَرْءِ يَسُوؤُهُ فَوْتٌ مَا لَمْ يَكُنْ لِيُدْرِكُهُ ، وَيَسْرَهُ دَرْكٌ مَا لَمْ يَكُنْ لِيُقْفُوته ، فَلْيَكُنْ  
 سُؤْرُوكُ بِمَا نَلْتَمَسُ مِنْ أَمْرِ آخِرَتِكَ وَلْيَكُنْ أَسْفُكُ عَلَيَّ مَا فَاتَكَ مِنْهَا وَمَا نَلْتَمَسُ مِنْ دُنْيَاكَ فَلَا  
 تُكْثِرَنَّ بِهِ فَرْحًا ، وَمَا فَاتَكَ مِنْهَا فَلَا تَأْسَ عَلَيْهِ حَزَنًا وَلْيَكُنْ هُمُكَ فِيمَا بَعْدَ الْمَوْتِ )) .

وعن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جده ، أَنَّ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شَيَّعَ جَنَازَةً ، فَلَمَّا  
 وُضِعَتْ فِي لِحْدِهَا عَجَّ أَهْلُهَا وَبَكَوْهَا فَقَالَ : (( مَا تَبْكُونَ ؟



أما والله لو عَايَنُوا ما عَايَنَ مَيِّتُهُمْ لَأَذْهَلَتْهُمْ مُعَايِنَتُهُمْ عَن مَيِّتِهِمْ ، وَإِن لَه فِيهِمْ لَعَوْدَةٌ ، ثُمَّ عَوْدَةٌ ، حَتَّى لَا يُبْقِيَ مِنْهُمْ أَحَدًا )) . ثُمَّ قَامَ فَقَالَ :

أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّذِي ضَرَبَ لَكُمْ الْأَمْثَالَ ، وَوَقَّتَ لَكُمْ الْأَجَالَ ، وَجَعَلَ لَكُمْ أَسْمَاعًا تَعِي مَا عَنَّاها ، وَأَبْصَارًا لِتَجْلُو عَن غَشَاها ، وَأَفئِدَةً تُفْهَمُ ما دَهَاها .

إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثًا ، وَلَمْ يَضْرِبْ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا بَلْ أَكْرَمَكُمْ بِالنِّعَمِ السَّوَاعِجِ ، وَأَرَصَدَ لَكُمْ الْجَزَاءَ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ وَجُدُّوا فِي الطَّلَبِ ، وَبَادِرُوا بِالْعَمَلِ قَبْلَ هَادِمِ اللَّذَاتِ .

فَإِنَّ الدُّنْيَا لَا يَدُومُ نَعِيمُها ، وَلَا تُؤْمَنُ فَعَائِلُها ، غُرُورٌ حَائِلٌ ، وَسِنَانٌ مَائِلٌ ، اتَّعَظُوا عِبَادَ اللَّهِ بِالْعِبَرِ ، وَازْدَجِرُوا بِالنُّذُرِ ، وَانْتَفِعُوا بِالْمَوْاعِظِ .

فَكَأَنَّ قَدْ عَلِقَتْكُمْ مَخَالِبُ الْمَنِيَةِ ، وَضُمَّتْكُمْ بَيْتَ الثَّرَابِ ، وَدَهَمَتْكُمْ مُفْطِعَاتُ الْأُمُورِ بِنَفْخَةِ الصُّورِ ، وَبَعَثَتْهُمُ الْقُبُورِ ، وَسِيقَ الْمُحْشَرِ ، وَمَوْقِفِ الْحِسَابِ ، بِأَحَاطَةِ قُدْرَةِ الْجَبَّارِ .

كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ يَسُوقُها لِمَحْشَرِها ، وَشَاهِدٌ يَشْهَدُ عَلَيْها :

( وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّها وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشَّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ )

ارْتَبَحَتْ لِذَلِكَ الْيَوْمِ الْبِلَادَ ، وَنَادَى الْمُنَادِي وَحُشِرَتِ الْوَحُوشُ ، وَبَدَتِ الْأَسْرَارُ ، وَارْتَبَحَتْ الْأَفئِدَةُ ، وَبُرُزَتِ الْجَحِيمُ قَدْ تَأَجَّجَ جَحِيمُها وَغَلَا حَمِيمُها .

عِبَادَ اللَّهِ ، اتَّقُوا اللَّهَ تُقِيَّةً مَنْ وَجَلَ وَحَذَرَ وَأَبْصَرَ وَازْدَجَرَ فَاحْتَتَّ طَلَبًا وَنَحَا هَرَبًا ، وَقَدَّمَ لِلْمَعَادِ وَاسْتَظْهَرَ بِالزَّادِ .

وَكَفَى بِاللَّهِ مُنْتَقِمًا وَنَصِيرًا ، وَكَفَى بِالْكِتَابِ خَصْمًا وَحَجِيحًا ، وَكَفَى بِالْجَنَّةِ ثَوَابًا ، وَكَفَى بِالنَّارِ وَبِالْأَعْقَابِ ، وَأَسْتَعْفِرُ اللَّهَ لِي وَلِكُمْ .

شِعْرًا: خَلَقْتَ جِسْمًا ثَرِيًّا ثُمَّ زُرْتَ ثَرِيًّا وَصِرْتَ خَطَاً فَطَالَتْ مُدَّةٌ فَمُحِي

قِفْ بِالْمَنَازِلِ مِنْ عَادٍ وَغَيْرِهِمْوَا      فَمَا تَرِي تَمَّ مِنْ شَخْصٍ وَلَا شَبَحٍ  
كُلُّ مُجَازِي بِمَا أَسَدَاهُ مِنْ حَسَنِ      وَسَيِّئِ فَاهْجُرِ السَّوْآتِ وَأَنْتَرِحِ

وعن كُمَيْلِ بْنِ زِيَادٍ قَالَ : أَخَذَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ بِيَدِي فَأَخْرَجَنِي إِلَى نَاحِيَةِ الْجَبَانِ ، فَلَمَّا أَصَحَرْنَا جَلَسَ ، ثُمَّ تَنَفَسَ ثُمَّ قَالَ : (( يَا كُمَيْلُ بْنُ زِيَادٍ ، الْقَلُوبُ أَوْعِيَةٌ فَخَيْرُهَا أَوْعَاهَا لِلْعِلْمِ ، أَحْفَظْ مَا أَقُولُ لَكَ .

الناس ثلاثة : عالمٌ رباني ، ومُتَعَلِّمٌ على سبيل نَجَاةٍ ، وَهَمَّجٌ رَعَاغٌ أَتْبَاعُ كُلِّ نَاعِقٍ ، يَمِيلُونَ مَعَ كُلِّ رِيحٍ ، وَلَمْ يَسْتَضِيئُوا بِنُورِ الْعِلْمِ وَلَمْ يَلْحَقُوا إِلَى رُكْنٍ وَثِيقٍ .

العلم خير من المال ، العلم يحرسك وأنت تحرس المال ، العلم يزكو على العمل والمال تنقصه بالنفقة ، العلم حاكم والمال محكوم عليه وصناعة المال تزول بزواله .

ومحبة العالم دين يدان بها العلم يُكْسِبُهُ الطَّاعَةَ فِي حَيَاتِهِ وَجَمِيلَ الْأَحْدُوثَةِ بَعْدَ مَمَاتِهِ ، مَاتَ خُزَّانُ الْمَالِ وَهُمْ أَحْيَاءُ ، وَالْعُلَمَاءُ بَاقُونَ مَا بَقِيَ الدَّهْرُ ، أَعْيَانُهُمْ مَفْقُودَةٌ ، وَأَمْثَالُهُمْ فِي الْقُلُوبِ مَوْجُودَةٌ .

إِنْ هَا هُنَا وَأَوْمًا بِيَدِهِ إِلَى صَدْرِهِ عِلْمًا لَوْ أَصَابَتْ لَهُ حَمَلَةٌ بَلَى أَصَابَتْهُ لَقَنَّا غَيْرَ مَأْمُونٍ عَلَيْهِ ، يَسْتَعْمَلُ آلَةَ الدِّينِ لِلدُّنْيَا ، يَسْتُظْهِرُ بِنِعْمِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ ، وَبِحُجْجِهِ عَلَى كِتَابِهِ .

أَوْ مَعَانِدًا لِأَهْلِ الْحَقِّ لَا بِصِيرَةٍ لَهُ فِي إِحْيَائِهِ ، يَنْقَدِحُ الشُّكَّ فِي قَلْبِهِ ، عَارِضٌ مِنْ شَبْهَةٍ . لَا ذَا وَلَا ذَاكَ . أَوْ مِنْهُومًا بِاللَّذَاتِ سَلْسِ الْقِيَادِ لِلشَّهَوَاتِ ، أَوْ مُغْرَى بِجَمْعِ الْأَمْوَالِ وَالْإِدْخَارِ ، لَيْسَا مِنْ دَعَاةِ الدِّينِ فِي شَيْءٍ ، أَقْرَبُ شَبْهًا بِهِمُ الْأَنْعَامِ السَّائِمَةِ .

كَذَلِكَ يَمُوتُ الْعِلْمُ بِمَوْتِ حَامِلِيهِ ، اللَّهُمَّ بَلَى ، لَنْ تَخْلُو الْأَرْضَ مِنْ قَائِمٍ لَلَّهِ بِحُجَّةٍ لَكِي لَا تَبْطُلُ حُجْجُ اللَّهِ وَبَيِّنَاتُهُ أَوْلَئِكَ هُمُ الْأَقْلُونَ عَدَدًا الْأَعْظَمُونَ عِنْدَ اللَّهِ قَدْرًا .

بهم يحفظ الله حججه حتى يُؤدِّدوها إلى نظرائهم ويزرعونها في قلوب أشباههم ، هجم بهم العلم على حقيقة الأمر ، فاستلنا ما استوعر المترفون ، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون .  
صحبوا الدنيا بأبدانٍ أرواحها معلقة في المحلِّ الأعلى آه آه شوقاً إلى رؤيتهم ، وأستغفر الله لي ولك إذا شئتَ فقم ))

وعن أبي أراكة ، قال : صليت مع علي بن أبي طالب عليه السلام صلاة الفجر ، فلما سلم انفتل عن يمينه ، ثم مكث كأن عليه كآبة ، حتى إذا كانت الشمس على حائط المسجد قيد رمح ، قال وقلب يده :

(( لقد رأيت أصحاب رسول الله ﷺ فما أرى اليوم شيئاً يشبههم لقد كانوا يصبحون شعثاً صُفراً عُبراً بين أعينهم أمثال زكبي المعزى ، قد باتوا لله سُجداً وقياماً ، يتلون كتاب الله يراوحن بين جباههم وأقدامهم .

فإذا أصبحوا فذكروا الله مادواً كما تُميد الشجرة في يوم الريح ، وهملت أعينهم حتى تبل ثيابهم ، والله لكأن القوم باتوا غافلين )) .

ثم نهض فما رئي مفترّاً يضحك حتى ضربه ابن مُلجِم ، والسلام .

ولا غرّو بالأشراف إن ظفرت بهم	كلاب الأعدى من فصيح وأعجم
فحربة وحشي سقت حمزة الردى	وموت علي من حسام ابن ملجم
شعراً: وكيف قرت لأهل العلم أعينهم	أو استلدوا لذيد النوم أو هجها
والموت يُنذرهم جهراً علانية	لو كان للقوم أسمع لقد سمعوا
والنار ضاحية لا بُدّ موردهم	وليس يذرون من ينجو ومن يقع
قد أمست الطير والأنعام آمنة	والنون في البحر لن يغتالها فرغ
والأدمي بهذا الكسب مُرتهن	له رقيب على الأشرار يطلع
حتى يوافيه يوم الجمع مُفرداً	وخصمه الجلد والأبصار والسمع
إذا النيبون والأشهاد قائمة	والجن والإنس والأملك قد خشعوا

وطارتِ الصُّحُفُ فِي الأَيْدِي مُنْشَرَّةً      فِيهَا السَّرَائِرُ وَالْأَخْبَارُ تُطْلَعُ  
فَكَيْفَ سَهْوُكَ وَالْأَنْبَاءُ وَاقِعَةٌ      عَمَّا قَلِيلٍ وَلَا تَدْرِي بِمَا يَقَعُ  
أَفِي الْجِنَانِ وَفَوْزٍ لَا انْقِطَاعَ لَهُ      أَمِ الْجَحِيمِ فَلَا تُبْقِي وَلَا تَدْعُ  
تَهْوِي بِسَاكِنِهَا طَوْرًا وَتَرْفَعُهُمْ      إِذَا رَجَوْا مَخْرَجًا مِنْ غَمِّهَا قُمِعُوا  
طَالَ الْبُكَاءُ فَلَمْ يُرْحَمْ تَضَرَعَهُمْ      هَيْهَاتَ لَا رِقَّةَ تَغِي وَلَا جَزَعَ  
لِيَنْفَعِ الْعِلْمُ قَبْلَ الْمَوْتِ عَالِمُهُ      قَدْ سَأَلَ قَوْمٌ بِهَا الرُّجْعِي فَمَا رُجِعُوا

اللهم ارزقنا أنفسًا نفع بعطائك ، وترضى بقضائك ، وتصبر على بلائك ، وتوقن بلقائك  
وتشكر لنعمائك وتحب أوليائك وتبغض أعدائك واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين برحمتك  
يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

فصل : ضرب ابن رجب رحمه الله مثلاً جامعاً لأحوال الخلق كلهم بالنسبة إلى دعوة الرسول  
ﷺ وانقسامهم في إجابة دعوته إلى سابق ، ومقتصد ، وظالم لنفسه ، وبه يظهر فضل العلماء  
الريانيين على غيرهم من الناس أجمعين .

فنقول : مثل ذلك كمثل رسولٍ قديمٍ من بلدٍ الملك الأعظم فأدى رسالة الملك إلى سائر  
البلدان ، وظهر لهم صدقه في رسالته .

فكان مضمون الرسالة التي أداها من الملك إلى رعيته أن هذا الملك لا إحسان أتم من إحسانه  
، ولا عدل أكمل من عدله ، ولا بطش أشد من بطشه .

وأنه لا بد أن يستدعي الرعية كلهم إليه ليقيموا عنده . فمن قديم بإحسان جزاءه بإحسانه أتم  
الجزاء ، ومن قديم عليه بإساءة جزاءه بإساءته أشد الجزاء .

وأنه يحب كذا وكذا ، ويكره كذا وكذا لم يدع شيئاً مما تعمله الرعية إلا أخبرهم بما يحبهُ الملك  
منه وما يكرههُ ، وأمرهم بالتجهز والسير إلى دار الملك ، التي فيها الإقامة .

وَأَخْبَرَهُمْ بِخَرَابِ جَمِيعِ الْبِلَادِ سِوَى ذَلِكَ الْبَلَدِ .  
وَأَنَّ مَنْ لَمْ يَتَّجِهْزْ لِلسَّيْرِ بَعَثَ إِلَيْهِ الْمَلِكُ مَنْ يُزَعِّجُهُ عَنْ وَطَنِهِ وَيَنْقُلُهُ مِنْهُ عَلَى أَسْوَأِ حَالٍ .  
وَجَعَلَ يَصِفُ صِفَاتِ هَذَا الْمَلِكِ الْحُسْنَى مِنَ الْجَمَالِ وَالْكَمَالِ وَالْجَلَالِ وَالْإِفْضَالِ .  
فَانْقَسَمَ النَّاسُ فِي إِجَابَةِ هَذَا الرَّسُولِ الدَّاعِي إِلَى الْمَلِكِ أَقْسَاماً عَدِيدَةً فَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّقَهُ وَلَمْ  
يَكُنْ لَهُ هَمٌّ إِلَّا السُّؤَالُ عَمَّا يُحِبُّ هَذَا الْمَلِكُ مِنَ الرَّعِيَةِ اسْتَصْحَابِهِ إِلَى دَارِهِ عِنْدَ السَّيْرِ إِلَيْهِ .  
فَاشْتَغَلَ بِتَخْلِيصِهِ لِنَفْسِهِ وَبِدُعَاءِ مَنْ يُمَكِّنُهُ دُعَاؤُهُ مِنَ الْخَلْقِ إِلَى ذَلِكَ ، وَعَمَّا يَكْرَهُهُ هَذَا الْمَلِكُ  
فَاجْتَنَبَهُ .

وَأَمَرَ النَّاسَ بِاجْتِنَابِهِ وَجَعَلَ هَمَّهُ الْأَعْظَمُ السُّؤَالُ عَنْ صِفَاتِ الْمَلِكِ وَعَظَمَتِهِ وَإِفْضَالِهِ ، فَزَادَ  
بِذَلِكَ مَحَبَّةً لِهَذَا الْمَلِكِ وَإِحْلَالَهِ وَالشُّوقِ إِلَى لِقَائِهِ .  
فَارْتَحَلَ إِلَى الْمَلِكِ مُسْتَصْحِباً لِأَنْفَسِ مَا قَدَرَ عَلَيْهِ مِمَّا يُحِبُّهُ الْمَلِكُ وَيَرْضَاهُ ، وَاسْتَصْحَبَ مَعَهُ رَكْباً  
عَظِيماً عَلَى مِثْلِ حَالِهِ سَارَ بِهِمْ إِلَى دَارِ الْمَلِكِ .  
وَقَدْ عَرَفَ مِنْ جِهَةِ ذَلِكَ الدَّلِيلِ الَّذِي هُوَ الرَّسُولُ الصَّادِقُ أَقْرَبَ الطَّرِيقِ الَّتِي يَتَوَصَّلُ بِالسَّيْرِ  
فِيهَا إِلَى الْمَلِكِ ، وَمَا يَنْفَعُ مِنَ التَّزَوُّدِ لِلْمَسِيرِ فِيهَا . وَعَمِلَ بِمَقْتَضَى ذَلِكَ فِي السَّيْرِ هُوَ وَمَنْ  
اتَّبَعَهُ .

فهذه صفة العلماء الريانيين الذين اهتموا وهدوا الخلق معهم إلى طريق الله .  
وهؤلاء يقدمون على الملك قُدم الغائبِ على أهلِهِ المنتظرين لِقُدومِهِ المشتاقين إليه أشدَّ  
الشوق .

شِعْرًا: إِذَا خَدَمَ السُّلْطَانَ قَوْمٌ لِيَشْرُقُوا      بِهِ وَيَنَالُوا كُلَّ مَا يَتَشَوَّفُوا  
خَدَمْتُ إِلَهِي وَاعْتَصَمْتُ بِحَبْلِهِ      لِعِصْمَتِي مِنْ كُلِّ مَا أَتَخَوَّفُ

وَيُكْرِمَنِي بِالْعِلْمِ وَالْحِلْمِ وَالتَّقَى  
وَيُؤْتِينِي مَا لَيْسَ يَفْقَى وَيَتَلَفُ  
فَخِدْمَتُ مَنْ يُعْطِي السَّلَاطِينَ مُلْكُهُمْ  
وَيَنْزَعُهُ عَنْهُمْ أَجَلٌ وَأَشْرَفُ

وَقِسْمٌ آخَرُونَ اشْتَعَلُوا بِالتَّاهِبِ بِمَسِيرِهِمْ بِأَنْفُسِهِمْ إِلَى الْمَلِكِ وَلَمْ يَتَقَرَّعُوا لِاسْتِصْحَابِ غَيْرِهِمْ  
مَعَهُمْ .

وهذه صفة العباد الذين تعلموا ما ينفعهم في خاصة أنفسهم واشتعلوا بالعمل بمقتضاه .  
وقسم آخرون تشبهوا بأحد القسمين وأظهروا للناس أنهم منهم وأن قصدهم التزود للرحيل ،  
وإنما كان قصدهم استيطان دارهم التي هم بها مستوطنون .

وحال هؤلاء عند الملك إذا قدموا عليه شر حال ، ويقال لهم اطلبوا جزاء أعمالكم ممن عملتم  
لهم ، فليس لكم عندنا من خلاق . وهم أول من تسعر بهم من أهل التوحيد .

وقسم آخرون فهموا ما أراده الرسول من رسالة الملك لكتبتهم غلب عليهم الكسل والتقاعد عن  
التزود للسفر واستصحاب ما يحب الملك واجتناب ما يكره .

وهؤلاء العلماء الذين لا يعملون بعلمهم ، وهم على شفا هلكة ، وربما انتفع غيرهم بمعرفتهم  
ووصفهم لطريق السير ، فسار المتعلمون فنجوا وانقطع من تعلموا منهم فهلكوا .

وقسم آخرون صدقوا الرسول فيما دعا إليه من دعوة الملك لكتبتهم لم يتعلموا منه طريق السير ،  
ولا معرفة تفاصيل ما يحب الملك وما يكرهه ، فساروا بأنفسهم ورموا أنفسهم في طريق شاقة ،  
ومخاوف ، وقفار وعرة فهلك أكثرهم ، وانقطعوا في الطريق ، ولم يصلوا إلى دار الملك . وهؤلاء  
الذين يعملون بغير علم .

وقسم لم يهتموا بهذه الرسالة ، ولا رفَعوا بها رأساً ، واشتعلوا بمصالح إقامتهم في أوطانهم التي  
أخبر الرسول بخرابها .

وهؤلاء منهم من كَذَّبَ الرسولَ بالكَلِيَّةِ ، ومنهم من صدَّقَه بالقول ولكنه لم يَشْتَغِلْ بِمَعْرِفَةِ مَا دَلَّ عَلَيْهِ وَلَا بِالْعَمَلِ بِهِ . وهؤلاءِ عُمُومُ الخلقِ المَعْرِضُونَ عَنِ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ .  
ومنهم الكُفَّارُ والمُنَافِقُونَ ومنهم العَصَاةُ الظالمونَ لأنفسِهِم فلا يَشْعُرُونَ إِلَّا وَقَدِ طَرَقَهُمُ دَاعِي المَلِكِ فَأَجْلَاهُمْ عَنِ أوطَانِهِمِ واستَدَعَاهُمْ إِلَى المَلِكِ فَقَدِمُوا عَلَيْهِ قُدُومَ الْآبِقِ عَلَى سَيِّدِهِ الغَضْبَانِ عَلَيْهِ .

فَإِذَا تَأَمَّلْتَ أَقْسَامَ النَّاسِ المَذْكُورَةَ لَمْ تَجِدْ أَشْرَفَ وَلَا أَقْرَبَ عِنْدَ المَلِكِ مِنَ العُلَمَاءِ الرِّبَانِيِّينَ .  
فَهُم أَفْضَلُ الخَلْقِ بَعْدَ المُرْسَلِينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمُ أَجْمَعِينَ أ.هـ .

خُرَّانٌ وَحِي اللَّهِ لَمْ يُرَى غَيْرُهُم	أَهْلًا لِحِفْظِ كَلَامِهِ المُنْخَارِ
لَكِنْ عَلَيَّهِمْ أَنْ يَقُومُوا بِالذِّمَّةِ	فِيهِ مِنَ المَشْرُوعِ لِلْأَبْرَارِ
صِدْقٌ وَإِخْلَاصٌ وَحُسْنُ عِبَادَةٍ	وَقِيَامٌ لَيْلٍ مَعَ صِيَامِ نَهَارِ
وَتَوَرُّعٌ وَتَزَهُدٌ وَتَعَفُّفٌ	وَتَشَابُهٌ بِخَلَائِقِ الْأَخْيَارِ
وَدِيَانَةٌ وَصِيَانَةٌ وَأَمَانَةٌ	وَتَجَنُّبٌ لِخَلَائِقِ الْأَشْرَارِ
وَأَدَاءٌ فَرْضٍ وَاجْتِنَابٌ مَحَارِمِ	وَإِدَامَةٌ لِلْحَمْدِ وَالْأَذْكَارِ
يَا حَامِلَ القُرْآنِ إِنْ تَكُ هَكَذَا	فَلَكِ الهِنَاءُ بِفَوْزِ عُقْبَى الدَّارِ )
وَمَتَى أَضَعْتَ حُدُودَهُ لَمْ تَتَّفِ عِ	بِحُرُوفِهِ وَسَكَنْتَ دَارَ بَوَارِ

اللَّهُمَّ عَلِّمْنَا مَا يَنْفَعُنَا وَانْفَعْنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا وَبَارِكْ لَنَا فِي عُلُومِنَا وَأَعْمَالِنَا وَأَعْمَارِنَا وَأَصْلِحْ نِيَاتِنَا  
وَدُرِّيَاتِنَا وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ المَسْلَمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ  
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

( فَصْلٌ )

وقال ابن القيم رحمه الله في الكلام على مَرَاجِلِ الْعَالَمِينَ وكيفية قَطْعِهِمْ إِيَّاهَا فَلنَرْجِعْ إِلَيْهِ فنقول  
أَمَّا الْأَشْقِيَاءُ فَقَطَعُوا تِلْكَ الْمَرَاجِلَ سَائِرِينَ إِلَى دَارِ الشَّقَاءِ مُتَزَوِّدِينَ غَضَبِ الرَّبِّ سُبْحَانِهِ .  
وَمُعَادَاةَ كُتْبِهِ وَرُسُلِهِ ، وَمَا بُعِثُوا بِهِ وَمُعَادَاةَ أَوْلِيَائِهِ وَالصِّدِّقِ عَنْ سَبِيلِهِ وَمُحَارَبَةً مَنْ يَدْعُو إِلَى دِينِهِ  
وَمَقَاتِلَةَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ وَإِقَامَةَ دَعْوَةِ غَيْرِ دَعْوَةِ اللَّهِ الَّتِي بَعَثَ بِهَا رُسُلَهُ لِتَكُونَ  
الدَّعْوَةُ لَهُ وَحْدَهُ .

فَقَطَعَ هَؤُلَاءِ الْأَشْقِيَاءُ مَرَاجِلَ أَعْمَارِهِمْ فِي ضِدِّ مَا يُجِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ : وَأَمَّا السَّائِرُونَ إِلَيْهِ  
فَظَالِمُهُمْ قَطَعَ مَرَاجِلَ عُمْرِهِ فِي غَفْلَاتِهِ وَابْتِئَارِ شَهْوَاتِهِ وَلَدَّاتِهِ عَلَى مَرَاضِ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ وَأَوْامِرِهِ  
مَعَ إِيْمَانِهِ بِاللَّهِ وَكُتْبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ .

لَكِنْ نَفْسُهُ مَغْلُوبَةٌ مَعَهُ مَأْسُورَةٌ مَعَ حِظِّهِ وَهَوَاهُ يَعْلَمُ سُوءَ حَالِهِ وَيَعْتَرِفُ بِتَفْرِيطِهِ وَيَعِزُّ عَلَى  
الرَّجُوعِ إِلَى اللَّهِ فَهَذَا حَالُ الْمُسْلِمِ .

وَأَمَّا مَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ فَرَأَاهُ حَسَنًا وَهُوَ غَيْرُ مُعْتَرِفٍ وَلَا مُقَرِّ وَلَا عَازِمٍ عَلَى الرَّجُوعِ إِلَى اللَّهِ  
وَالْإِنَابَةِ إِلَيْهِ أَصْلًا .

فَهَذَا لَا يَكَادُ إِسْلَامُهُ أَنْ يَكُونَ صَحِيحًا أَبَدًا وَلَا يَكُونُ هَذَا إِلَّا مَنْسَلَخَ الْقَلْبِ مِنَ الْإِيْمَانِ  
وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْخِذْلَانِ .

وَأَمَّا الْأَبْرَارُ الْمُقْتَصِدُونَ فَقَطَعُوا مَرَاجِلَ سَفَرِهِمْ بِالْإِهْتِمَامِ بِإِقَامَةِ أَمْرِ اللَّهِ وَعَقْدِ الْقَلْبِ عَلَى تَرْكِ  
مُخَالَفَتِهِ وَمَعَاصِيهِ فَهَمُّهُمْ مَصْرُوفَةٌ إِلَى الْقِيَامِ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَاجْتِنَابِ الْأَعْمَالِ الْقَبِيحَةِ .

فَأَوَّلُ مَا يَسْتَيْقِظُ أَحَدُهُمْ مِنْ مَنَامِهِ يَسْبِقُ إِلَى لُبِّهِ الْقِيَامُ إِلَى الْوُضُوءِ وَالصَّلَاةِ كَمَا أَمَرَهُ اللَّهُ فَإِذَا  
أَدَّى فَرَضَ وَقَتَّ اشْتَعَلَ بِالتَّلَاوَةِ وَالْأَذْكَارِ إِلَى حِينَ تَطْلُعَ الشَّمْسُ فَيَرْكَعُ الضُّجْحَى .



ثم يذهب إلى ما أقامه الله فيه من الأسباب فإذا حضر فرض الظهر بادر إلى التطهر والسعي إلى الصف الأول من المسجد فأدى فريضة كما أمر مكملاً لها بشرائطها وأركانها وسننها وحقائقها الباطنة من الخشوع والمراقبة والحضور بين يدي الرب .

فينصرف من الصلاة وقد أثرت في قلبه وبدنه وسائر أحواله آثاراً تبدو على صفحته ولسانه وجوارحه ويجد ثمرتها في قلبه من الإنابة إلى دار الخلود والتجاني عن دار الغرور وقلة التكالب والحرص على الدنيا وعاجلها .

قد نتهى صلواته عن الفحشاء والمنكر وحببت إليه لقاء الله ونقرته عن كل قاطع يقطع عن الله فهو معموهم مهموم كأنه في سجن حتى تحضر الصلاة .

فإذا حضرت قام إلى نعيمه وسروره وقره عينه وحياة قلبه فهو لا تطيب له الحياة إلا بالصلاة هذا وهم في ذلك كله مراعون لحفظ السنن لا يخلون منها بشيء ما أمكنهم . فيقصدون من الوضوء أكمله ومن الوقت أوله ومن الصفوف أولها عن يمين الإمام أو خلف ظهره .

ويأتون بعد الفريضة بالاذكار المشروعة كالاستغفار ثلاثاً وقول اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام .

وقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون .

ثم يسبحون ويحمدون ويكبرون تسعاً وتسعين ويحتمون المائة بلا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير .

ومن أَرَادَ المَزِيدَ قَرَأَ آيَةَ الكُرْسِيِّ والمَعْوِذَتَيْنِ عَقَبَ كُلَّ صَلَاةٍ فَإِنَّ فِيهَا أَحَادِيثَ رَوَاهَا النِّسَائِيُّ وَغَيْرُهُ .

ثُمَّ يَرَكْعُونَ السَّنَةَ عَلَى أَحْسَنِ الوُجُوهِ هَذَا دَأْبُهُمْ فِي كُلِّ فَرِيضَةٍ .

فَإِذَا كَانَ قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ تَوَقَّفُوا عَلَى أَذْكَارِ الْمَسَاءِ الْوَارِدَةِ فِي السَّنَةِ نَظِيرُ أَذْكَارِ الصَّبَاحِ الْوَارِدَةِ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ لَا يُخْلُونَ بِهَا أَبَدًا .

فَإِذَا جَاءَ اللَّيْلُ كَانُوا فِيهِ عَلَى مَنَازِلِهِمْ مِنْ مَوَاهِبِ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ الَّتِي قَسَمَهَا بَيْنَ عِبَادِهِ .

فَإِذَا أَخَذُوا مَضَاجِعَهُمْ أَتَوْا بِأَذْكَارِ النَّوْمِ الْوَارِدَةِ فِي السَّنَةِ وَهِيَ كَثِيرَةٌ تَبْلُغُ نَحْوًا مِنْ أَرْبَعِينَ .

فَيَأْتُونَ مِنْهَا مَا عَلَّمُوهُ وَمَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ مِنْ قِرَاءَةِ سُورَةِ الْإِحْلَاصِ وَالْمَعْوِذَتَيْنِ ثَلَاثًا ثُمَّ يَمْسَحُونَ بِهَا رُؤُوسَهُمْ وَوُجُوهُهُمْ وَأَجْسَادَهُمْ ثَلَاثًا وَيَقْرَأُونَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ وَخَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ وَيُسَبِّحُونَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَيَحْمِدُونَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَيُكَبِّرُونَ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ .

ثُمَّ يَقُولُ أَحَدُهُم اللَّهُمَّ إِنِّي أَسَلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنَاجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ . أَمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ وَنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ .

وَإِنْ شَاءَ قَالَ بِاسْمِكَ رَبِّي وَضَعْتُ جَنْبِي وَبِكَ أَرْفَعُهُ فَإِنْ أَمْسَكَتَ نَفْسِي فَاغْفِرْ لَهَا وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاخْفِظْهَا بِمَا تَخْفِظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ .

وَإِنْ شَاءَ قَالَ : اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ رَبِّي وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى مُنَزَّلَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرْكُلِ دَابَّةِ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا .

أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ

الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء إقضى عني الدين وأغني من الفقر .  
وبالجملَة فلا يزال يذكر الله على فراشه حتى يغلبه النوم فهذا نومه عبادة وزيادة له من قربه من الله .

فإذا استيقظ عاد إلى عادته الأولى ومع هذا فهو قائم بحقوق العباد من عيادة المرضى وتشجيع الجنائز وإجابة الدعوة والمعونة لهم بالجاه والبدن والنفس والمال وزيارتهم وتقديرهم . وقائم بحقوق أهله وعياله .

فهو منتقل في منازل العبودية كيف نقله فيها الأمر فإذا وقع منه تفريط في حق من حقوق الله بادَرَ إلى الاعتذار والتوبة والاستغفار ومحوه ومداواته بعمل صالح يُزيل أثره فهذا وظيفته دائماً . هـ .

وقال إن شُورَ الدنيا والآخرة إنما هو الجهل بما جاء به الرسول ρ والخروج عنه .  
وهذا بُرهان قاطع على أن لا نجاة للعبد ولا سعادة إلا بالاجتهاد في معرفة ما جاء به الرسول ρ علماً والقيام به عملاً .  
وكمال هذه السعادة بأمرين أحدهما دعوة الخلق إليه ، والثاني صبره واجتهاده على تلك الدعوة .

فانحصَرَ الكمال للإنسان على هذه المراتب الأربع .  
أحدها العلم بما جاء به النبي ρ .  
والثانية العمل به .  
والثالثة نشره في الناس والدعوة إليه .  
والرابعة صبره وجهاده في أدائه وتنفيذه ومن طلعت همته إلى معرفة ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم وأراد اتباعهم فهذه طريقتهم حقاً .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ ، وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ وَإِذَا أَرَدْتَ فِتْنَةً فِي قَوْمٍ فَتَوَقَّفْنَا  
غَيْرَ مَفْتُونِينَ .

وقال رحمه الله الهجرة هجرتان : هجرة بالجسم من بلد إلى بلد وهذه أحكامها معلومة وليس  
المراد الكلام فيها .

والهجرة الثانية الهجرة بالقلب إلى الله ورسوله وهذه هي المقصود هنا وهذه الهجرة هي الهجرة  
الحقيقية وهي الأصل .

وهجرة الجسد تابعة لها لله وهي هجرة تتضمن ( من ) و ( إلى ) فيها جسر بقلبه من محبة غير  
الله إلى محبته ، ومن عبوديه غيره إلى عبوديته ومن خوف غيره ورجائه ، والتوكل عليه إلى خوف  
الله ورجائه والتوكل عليه ومن دعاء غيره وسؤاله ، والخضوع له والذل له والاستكانة له إلى دعاء  
الله وسؤال الله والخضوع له والذل له والاستكانة له .

وهذا بعينه معنى الفرار إليه قال تعالى : ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ ﴾ والتوحيد المطلوب من العبد هو  
الفرار من الله إليه .

وتحت ( من ) و ( إلى ) في هذا سر عظيم من أسرار التوحيد فإن الفرار إليه سبحانه يتضمن  
إفراده بالطلب والعبودية فهو يتضمن لتوحيد الإلهية التي اتفقت عليها دعوة الرسل صلوات الله  
وسلامه عليهم أجمعين .

وأما الفرار منه إليه فهو يتضمن لتوحيد الربوبية وإثبات القدر وأن كل ما في الكون من المكروه  
والمحذور الذي يفر منه العبد فإنما أوجبه مشيئة الله وحده .

فإن ما شاء كان ووجب وجوده بمشيئته وما لم يشأ لم يكن وامتنع وجوده لعدم مشيئته .  
فإذا فر العبد إلى الله فإنما يفر من شيء إلى شيء ووجد بمشيئة الله وقدره فهو في الحقيقة فاز من  
الله إليه .

وَمِنْ تَصَوَّرَ هَذَا حَقَّقَ تَصَوُّرَهُ فَهَمَّ مَعْنَى قَوْلِهِ ρ : (( وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ )) وَقَوْلِهِ : (( لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَى مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ )) . فَإِنَّهُ لَيْسَ فِي الْوُجُودِ شَيْءٌ يَفْرُ مِنْهُ وَيُسْتَعَاذُ مِنْهُ وَيُلْتَجَأُ مِنْهُ إِلَّا هُوَ مِنَ اللَّهِ خَلْقًا وَإِدْعَاءً .

شِعْرًا: تَوَكَّلْ عَلَى الرَّحْمَنِ فِي كُلِّ حَاجَةٍ      أَرَدْتَ فَإِنَّ اللَّهَ يَقْضِي وَيَقْدِرُ  
مَتَى مَا يُرَدُّ ذُو الْعَرْشِ أَمْرًا بَعْدَهُ      يُصِيبُهُ ، وَمَا لِلْعَبْدِ مَا يَتَخَيَّرُ  
وَقَدْ يَهْلِكُ الْإِنْسَانُ مِنْ وَجْهِ أَمْنِهِ      وَيَنْجُو بِإِذْنِ اللَّهِ مِنْ حَيْثُ يَحْذَرُ

فَالْفَارُّ وَالْمُسْتَعِيدُ فَارٌّ بِمَا أَوْجَدَ قَدَرَ اللَّهُ وَمَشِيئَتُهُ وَخَلْقُهُ إِلَى مَا تَقْضِيهِ رَحْمَتُهُ وَبِرُّهُ وَلُطْفُهُ وَاحْسَانُهُ ، فِي الْحَقِيقَةِ هُوَ هَارِبٌ مِنَ اللَّهِ إِلَيْهِ مُسْتَعِيدٌ بِاللَّهِ مِنْهُ .  
وَتَصَوُّرُ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ يُوجِبُ لِلْعَبْدِ انْقِطَاعَ تَعَلُّقِ قَلْبِهِ عَنْ غَيْرِهِ بِالْكُلِّيَّةِ ، خَوْفًا وَرَجَاءً ، وَمَحَبَّةً .

فَإِنَّهُ إِذَا عَلِمَ أَنَّ الَّذِي يَفْرُ مِنْهُ وَيُسْتَعِيدُ مِنْهُ إِنَّمَا هُوَ بِمَشِيئَتِهِ اللَّهُ وَقُدْرَتِهِ وَخَلْقِهِ لَمْ يَبْقَ فِي قَلْبِهِ خَوْفٌ مِنْ غَيْرِ خَالِقِهِ وَمُوجِدِهِ .

فَتَتَضَمَّنُ ذَلِكَ إِفْرَادَ اللَّهِ وَحْدَهُ بِالْخَوْفِ وَالْحُبِّ وَالرَّجَاءِ . وَلَوْ كَانَ فِرَارُهُ مِمَّا لَمْ يَكُنْ بِمَشِيئَتِهِ وَلَا قُدْرَتِهِ لَكُنْ ذَلِكَ مُوجِبًا لَخَوْفِهِ مِنْهُ مِثْلَ مَا يَفْرُ مِنْ مَخْلُوقٍ إِلَى مَخْلُوقٍ آخَرَ أَقْدَرُ مِنْهُ .

فَإِنَّهُ فِي حَالِ فِرَارِهِ مِنَ الْأَوَّلِ خَائِفٌ مِنْهُ حَذِرًا أَنْ لَا يَكُونَ الثَّانِي يُفِيدُهُ مِنْهُ بِخِلَافِ مَا إِذَا كَانَ الَّذِي يَفْرُ إِلَيْهِ هُوَ الَّذِي قَضَى وَقَدَّرَ وَشَاءَ مَا يَفْرُ مِنْهُ فَإِنَّهُ لَا يَبْقَى فِي الْقَلْبِ التَّفَاتُ إِلَى غَيْرِهِ .

فَتَقَطَّنُ إِلَى هَذَا السِّرِّ الْعَجِيبِ فِي قَوْلِهِ (( أَعُوذُ بِكَ مِنْكَ )) وَ (( لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَى مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ )) فَأَنَّ النَّاسَ قَدْ ذَكَرُوا فِي هَذَا أَقْوَالَ ، وَقُلَّ مَنْ تَعَرَّضَ مِنْهُمْ لِهَذِهِ النُّكْتَةِ الَّتِي هِيَ لُبُّ الْكَلَامِ وَمَقْصُودُهُ . وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ .

فتأمل كيف عادَ الأمرُ كُلُّهُ إلى الفرارِ مِنَ اللهِ إليه وهو مَعنى الهِجرةِ إلى الله تعالى ، ولهذا قال النبي ﷺ ، (( المهاجِرُ مَنْ هَجَرَ ما نَهَى اللهُ عنه )) .

ولهذا يقرُنُ سُبْحانَهُ وتعالى الإيمانَ والهجرةَ في غيرِ موضعٍ لتلازمهما واقتضاءِ أحدهما للآخر .  
والمقصودُ أن الهجرةَ إلى الله تتضمنُ هِجرانَ ما يكرهُهُ واتباعَ ما يُحِبُّه ويرضاه وأصلُهُما الحبُّ والبُغضُ .

فإنَّ المهاجرَ مِنْ شَيْءٍ إلى شَيْءٍ لا بُدَّ أن يكونَ ما يُهاجِرُ إليه أَحَبَّ مما هاجرَ مِنْهُ فَيؤثِرُ أَحَبَّ الأمرينِ إليه على الآخر .

وإذا كان نفسُ العبدِ وهواه ، وشيطانه إنما يدعونه إلى خلاف ما يُحِبُّه ويرضاه ، وقد بُلي بهؤلاءِ الثلاث .

فلا يزالونَ يدعونه إلى غيرِ مَرْضاةِ رَبِّهِ ، وداعيِ الإيمانِ يدعوه إلى مَرْضاةِ رَبِّهِ ، فعليه في كُلِّ وقتٍ أن يُهاجِرَ إلى الله ولا يَنفَكَ في هِجرتهِ إلى الممات .

وهذه الهِجرةُ تقوى وتضعفُ بحسبِ داعيِ المحبةِ في قلبِ العبدِ فإن كان الداعي أقوى كانت هذه الهِجرةُ أقوى وأتم وأكملُ وإذا ضعفتِ الداعي ضعفتِ الهِجرةُ حتى لا يكادُ يشعُرُ بها علماً ، ولا يتحرَّكُ لها إرادةً .

والذي يقضي مِنْهُ العَجَبُ أنَّ المرءَ يُوسِعُ الكلامَ ويُفرِّغُ المسائلَ في الهِجرةِ مِنْ دارِ الكفرِ إلى دارِ الإسلامِ ، وفي الهِجرةِ التي انقطعت بالفتح ، وهذه هِجرَةٌ عارضةٌ . ربَّما لا تتعلَّقُ به في العُمُرِ أصلاً .

وأما هذه الهِجرةُ التي هي واجبةٌ على مَدَى الأنفاسِ لا يَحْصُلُ فيها علماً ولا إرادةً وما ذاكُ إلاً لِلأَعْرَاضِ عَمَّا خُلِقَ لَهُ ، والاشتغالُ بما لا يُنْجِيهِ وخذَهُ عَمَّا لا يُنْجِيهِ غَيْرُهُ قال تعالى : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ ﴾ .

وهذا حال من عَشِيَتْ بَصِيرَتُهُ وَضَعَعَتْ مَعْرِفَتُهُ بِمَرَاتِبِ الْعُلُومِ وَالْأَعْمَالِ وَاللَّهِ الْمُسْتَعَانُ . وبالله التوفيق لا إلهَ غَيْرُهُ ولا رَبَّ سِوَاهُ .

وأما الهَجْرَةُ إِلَى الرَّسُولِ ρ فَعَلِمَ لَمْ يَبْقَ مِنْهُ سِوَى اسْمِهِ وَمَنْهَجُ لَمْ تَتْرُكْ بُنْيَاتُ الطَّرِيقِ سِوَى رَسْمِهِ ، وَمَحَجَّةٌ سَفَتْ عَلَيْهَا السَّوَابِي فَطَمَسَتْ رُسُومَهَا وَغَارَتْ عَلَيْهَا الْأَعَادِي فَعَوَّزَتْ مَنَاهِلَهَا وَغِيَوَتْهَا .

فَسَالِكُهَا عَرِيبٌ بَيْنَ الْعِبَادِ فَرِيدٌ بَيْنَ كُلِّ حِيٍّ وَنَادٍ . بعيد على قرب المكان وحيد على كثرة الجيران .

مستوحش مما به يستأنسون ، مستأنس مما به يستوحشون مقيم إذا ظعنوا ، ظاعن إذا قطنوا ، منفرد في طريق طلبه لا يقر قراره ، حتى يظفر بإربه . فهو الكائن معهم بجسده البائن منهم بمقصده ، نامت في طلب الهدى أعينهم ، وما ليل مطيته بنائم ، وقعدوا عن الهجرة النبوية ، وهو في طلبها مشمر قائم .

يعيونه بمخالفة أرائهم ويزرون عليه إزاراً على جهالاتهم واهوائهم ، قد رجموا فيه الظنون وأحدقوا فيه العيون ، وتريصوا به ريب المنون ﴿ فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ ﴾ ﴿ قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾

وقال رحمه الله الطلبُ لِقَاحُ الْإِيمَانِ ، فإذا اجتمعَ الْإِيمَانُ وَالطَّلِبُ أَثْمَرَ الْعَمَلَ الصَّالِحَ . وحسنُ الظنِّ بِاللَّهِ لِقَاحُ الْإِيمَانِ وَالطَّلِبُ لِقَاحُ الْإِيمَانِ ، فإذا اجتمعَا أَثْمَرَ إِجَابَةَ الدُّعَاءِ .

والخشيةُ لِقَاحُ الْحُبِّ فإذا اجتمعَا أَثْمَرَ امْتِثَالَ الْأَمْرِ ، واجتنابُ النَّوَاهِي .

والصبرُ لِقَاحُ الْيَقِينِ ، فإذا اجتمعَا أُورَثَا الْإِمَامَةَ فِي الدِّينِ قَالَ تَعَالَى

﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾

وصحة الاقتداء بالرسول لِقَاحِ الإِخْلَاصِ فإذا اجتمعَا أَثْمَرَ قَبُولِ الْعَمَلِ وَالاعْتِدَادِ بِهِ .  
وَالْعَمَلُ لِقَاحُ الْعِلْمِ فإذا اجتمعَا كَانَ الْفَلَاحُ وَالسَّعَادَةُ ، وَإِنْ انْفَرَدَ أَحَدُهُمَا عَنِ الْآخَرِ لَمْ يُفِدْ شَيْعًا .

وَالْحِلْمُ لِقَاحُ الْعِلْمِ ، وَإِنْ انْفَرَدَ أَحَدُهُمَا عَنِ صَاحِبِهِ فَاتَ النِّفْعُ وَالانْتِفَاعُ .  
وَالْعَزِيمَةُ لِقَاحُ الْبَصِيرَةِ ، فإذا اجتمعَا نَالَ صَاحِبُهُمَا خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَحَصَلَ الْانْتِفَاعُ بِعِلْمِ الْعَالِمِ ، وَبَلَغَتْ بِهِ هِمَّتُهُ مِنَ الْعِلْيَاءِ كُلِّ مَكَانٍ وَإِنْ انْفَرَدَ أَحَدُهُمَا عَنِ صَاحِبِهِ فَاتَ النِّفْعُ وَالانْتِفَاعُ .

فَتَخَلَّفُ الْكَمَالَاتِ إِذَا مِنْ عَدَمِ الْبَصِيرَةِ ، وَإِذَا مِنْ عَدَمِ الْعَزِيمَةِ ، وَحُسْنُ الْقَصْدِ لِقَاحُ لِيَصِحَّةِ الدُّهْنِ ، فإذا فَقِدَا فَقِدَا الْخَيْرَ كُلَّهُ ، وَإِذَا اجْتَمَعَا أَثْمَرَ أَنْوَاعِ الْخَيْرَاتِ .  
وَصِحَّةُ الرَّأْيِ لِقَاحُ الشَّجَاعَةِ ، فإذا اجْتَمَعَا ، كَانَ النَّصْرُ وَالظَّفَرُ ، وَإِنْ فَقِدَا فَالْحُذْلَانُ وَالْحَيْبَةُ .  
وَإِنْ وُجِدَ الرَّأْيُ بِلَا شَجَاعَةٍ فَالْجُبْنُ وَالْعَجْزُ ، وَإِنْ حَصَلَتْ الشَّجَاعَةُ بِلَا رَأْيٍ ، فَالتَّهَوُّرُ وَالْعَطْبُ .

وَالصَّبْرُ لِقَاحُ الْبَصِيرَةِ ، فإذا اجتمعَا فَالْخَيْرُ فِي اجْتِمَاعِهِمَا . قَالَ الْحَسَنُ : إِذَا شِئْتَ أَنْ تَرَى بَصِيرًا لَهُ رَأْيَتَهُ ، وَإِذَا شِئْتَ أَنْ تَرَى صَابِرًا لَا بَصِيرَةَ لَهُ رَأْيَتَهُ ، فإذا رَأَيْتَ صَابِرًا بَصِيرًا فَذَلِكَ .  
وَالنَّصِيحَةُ لِقَاحُ الْعَقْلِ ، فَكُلَّمَا قَوِيَتْ النَّصِيحَةُ قَوِيَ الْعَقْلُ وَاسْتَنَارَ .  
وَالتَّذَكُّرُ وَالتَّفَكُّرُ كُلُّ مِنْهُمَا لِقَاحُ الْآخِرِ ، إِذَا اجتمعَا أَنْتَجَا الزُّهْدَ فِي الدُّنْيَا . وَالرَّغْبَةَ فِي الْآخِرَةِ .

وَالتَّقْوَى لِقَاحُ التَّوَكُّلِ ، فإذا اجتمعَا اسْتَقَامَ الْقَلْبُ .



وَلِقَاحٌ أَخَذَ أَهْبَةَ الاستعدادِ لِلِقَاءِ قِصْرِ الأَمَلِ ، فإذا اجتمعَا فالخير كله في اجتماعهما ، والشر في فرقتهما .

وَلِقَاحُ الهِمَّةِ العَالِيَةِ ، النيةُ الصحيحةُ فإذا اجتمعَا بَلَغَ العبدُ غَايَةَ المرادِ .  
وقال لا يزال العبدُ مُنْقَطِعاً عن الله حتى تَتَّصِلَ إِرَادَتُهُ ومحبتهُ بوجهه الأعلى ، والمرادُ بهذا الاتصالِ ، أن تُفْضِي المحبةُ إليه ، وتَتَعَلَّقُ بِهِ وَحَدَهُ ، فلا يَحْجُبُهَا شَيْءٌ دُونَهُ .  
وَأَنَّ تَتَّصِلَ المعرفةُ بِأَسْمَائِهِ وصفاتهِ وأفعالهِ ، فلا يَطْمَسُن نُورَهَا ظلمةُ التعطيلِ ، كما لا يَطْمَسُن نُورَ المحبةِ ظلمةُ الشركِ .

وَأَنَّ يَتَّصِلَ ذِكْرُهُ بِهِ سُبْحَانَهُ فَيَزُولُ بَيْنَ الذَّاكِرِ والمذکورِ حِجَابُ العُقْلَةِ والتفائهُ في حَالِ الذِّكْرِ إلى غيرِ مذكورِهِ .

فَحَيْنَئِذٍ يَتَّصِلُ الذِّكْرُ بِهِ ، وَيَتَّصِلُ العَمَلُ بِأوامِرِهِ ونواهيهِ ، فيفعلُ الطاعةَ لأنه أَمَرَ بِهَا وَأَحَبَّهَا ، وَيَتْرُكُ المِنَاهِي لِكَوْنِهِ نَهَى عَنْهَا ، وَأَبْغَضَهَا .  
فهذا معنى اتِّصَالِ العَمَلِ بأمرِهِ ونَهْيِهِ . وَحَقِيقَةُ زَوَالِ العِلَلِ البَاعِثَةِ على الفِعْلِ والتركِ مِنَ الأَعْرَاضِ والحُظُوظِ العَاجِلَةِ .

وَيَتَّصِلُ التَّوَكُّلُ والحُبُّ بِهِ بِحَيْثُ يَصِيرُ وَاثِقاً بِهِ سُبْحَانَهُ ، مُطْمَئِناً إِلَيْهِ ، رَاضِياً بِحُسْنِ تَدْبِيرِهِ لَهُ غَيْرَ مُتَّهِمٍ لَهُ فِي حَالٍ مِنَ الأَحْوَالِ .  
ويتصلُ فَقرُهُ وفاقَتُهُ بِهِ سُبْحَانَهُ دُونَ مَنْ سِوَاهُ .

ويتصلُ خَوْفُهُ وَرَجَاؤُهُ ، وَفَرَحُهُ وَسُرُورُهُ ، وابتهاجُهُ بِهِ وَحَدَهُ ، فلا يَخَافُ غَيْرَهُ ، ولا يَرْجُوهُ ، ولا يَفْرَحُ بِهِ كَلَّ الفَرَحِ ولا يُسِرُّ بِهِ غَايَةَ السُّرُورِ .

وإنَّ نَالَهُ بالمخلوقِ بعضُ الفَرَحِ والسُّرُورِ ، فليسَ الفَرَحُ التامُّ والسُّرُورُ الكاملُ ، والابتهاجُ والنعيمُ وقُرَّةُ العينِ ، وسُكُونُ القلبِ إِلا بِهِ سُبْحَانَهُ . قَالَ تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ . الآيه

وما سِوَاهُ إِنَّ أَعَانَ عَلَى هَذَا الْمَطْلُوبِ فَرَحَ بِهِ وَسُرَّ بِهِ . وَإِنْ حُجِبَ عَنْهُ فَهُوَ بِالْحُزْنِ بِهِ  
وَالْوَحْشَةِ مِنْهُ وَاضْطِرَابِ الْقَلْبِ بِحُصُولِهِ لَهُ أَحَقُّ مِنْهُ بِأَنْ يَفْرَحَ بِهِ ، فَلَا فَرْحَةَ وَلَا سُرُورَ إِلَّا بِهِ ،  
أَوْ بِمَا أَوْصَلَ إِلَيْهِ وَأَعَانَ عَلَى مَرْضَاتِهِ . وَقَدْ أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ بِالدُّنْيَا وَزِينَتِهَا .

شِعْرًا: كَفَلْتُ لِطَالِبِ الدُّنْيَا بِهِمْ طَوِيلٌ لَا يَأْتِيهِمْ إِلَى انْقِطَاعِ  
وَدُلٌّ فِي الْحَيَاةِ بَغَيْرِ عَزٍّ وَفَقْرٍ لَا يَدُلُّ عَلَى اتِّسَاعِ  
وَشُغْلٍ لَيْسَ يَعْقُبُهُ فَرَاغٌ وَسَعْيٍ دَائِمٍ مَعَ كُلِّ سَاعِي  
وَحِرْصٍ لَا يَزَالُ عَلَيْهِ عَبْدًا وَعَبْدُ الْحِرْصِ لَيْسَ بِذِي ارْتِفَاعِ

وأما الفرحُ بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ ، وَهُوَ الْإِسْلَامُ وَالْإِيمَانُ وَالْقُرْآنُ كَمَا فَسَّرَهُ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ .  
وَالْمَقْصُودُ أَنَّ مَنْ اتَّصَلَتْ لَهُ هَذِهِ الْأُمُورُ بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ فَقَدْ وَصَلَ ، وَإِلَّا فَهُوَ مَقْطُوعٌ عَنْ رَبِّهِ  
مُتَّصِلٌ بِحُظِّهِ وَنَفْسِهِ ، فَلَبَّسَ عَلَيْهِ مَعْرِفَتَهُ وَإِرَادَتَهُ وَسُلُوكَهُ .

### (مَوْعِظَةٌ)

الْإِخْلَاصُ مِسْكٌ مَصُونٌ فِي الْقَلْبِ يُبَيِّنُهُ رِيحُهُ عَلَى حَامِلِهِ ، الْعَمَلُ صُورَةٌ وَالْإِخْلَاصُ رُوحٌ ، إِذَا  
لَمْ تُخْلِصْ الْعَمَلَ لِلَّهِ وَحْدَهُ فَلَا تَتَّعَبُ ، لَوْ قَطَّعْتَ الْمَنَازِلَ لَمْ تَكُنْ حَاجِبًا إِلَّا بِشُهُودِ الْوُقُوفِ  
بِالْمَوْقِفِ ، وَلَا تَغْتَرَّ بِصُورَةِ الطَّاعَاتِ .

كَانَ أَيُّوبُ السِّخْتِيَانِي إِذَا تَحَدَّثَ فَرَّقَ قَلْبَهُ وَجَاءَ الدَّمْعُ قَالَ مَا أَشَدَّ الزُّكَامُ .  
وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدَهَمٍ إِذَا مَرِضَ يَجْعَلُ عِنْدَ رَأْسِهِ مَا يَأْكُلُ الْأَصْحَاءُ كَيْلًا يَتَشَبَّهُ بِالشَّاكِينِ .  
وَكَانَ ابْنُ أَبِي لَيْلَى يَصْلِي فَإِذَا أَحَسَّ بِدَاخِلِ نَامٍ عَلَى فِرَاشِهِ .

وكان النخعي يقرأ في المصحف فإذا دخل عليه أخذ غطاه .  
 وكان الواحد من السلف تأتيه العبرة والخشوع فيقوم خشية أن يفتن له .  
 وكان بعضهم يصلي ويبكي وإذا جاءه زائر غسل وجهه عن الدموع لئلا يتنبه له .  
 كل هذا من الإخلاص بلغ يا أخى معشر المرأين الذين إذا ساهموا في مشروع ديني نشروا  
 أسماءهم في الجرائد والمجلات والاذاعات والذين يعددون كم حجوا من سنة وهم ما سئلوا  
 ويقولون نحن نعتز كل سنة وأهلنا وأولادنا ويجلس بالحرم .  
 ويهمل عائلته ولا يحافظ عليهم ولا يدري أين يذهبون في الليل والنهار وربما حصل له بسببهم  
 إثم عظيم لأن سيئة الحرم عظيمة ليست كغيرها .  
 وربما كان مع ذلك المأكل والملبس والمركب حرام نسأل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة .  
 وهذه المسائل قل من ينتبه لها من طلبة العلم فضلاً عن غيرهم .  
 فالرباء من أصعب الأشياء وأخفها وضرره عظيم وقد يجبط الأعمال .  
 فينبغي للإنسان أن يجعله دائماً نصب عينيه في الصلاة والزكاة والصيام والحج وسائر  
 الأعمال .  
 اللَّهُمَّ قَوِّنَا بِالْيَقِينِ وَامْنَحْنَا التَّوْفِيقَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ  
 الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

شِعْرًا: تَبَارَكَ مَنْ شُكْرُ الْوَرَى عَنْهُ يَفْضُرُ  
 وَشَاكِرُهَا يَحْتَاجُ شُكْرًا لِشُكْرِهَا  
 لَكُونَ أَيَادِي جُودِهِ لَيْسَ تُحْصَرُ  
 كَذَلِكَ شُكْرُ الشُّكْرِ يَحْتَاجُ يُشْكُرُ  
 بغير تناء ذونها الشكر يصغر  
 ففي كل شكر نعمة بعد نعمة

فَمَنْ رَامَ يَقْضِي حَقَّ وَاجِبِ شُكْرَهَا  
تُسَبِّحُهُ الْحَيْتَانُ فِي الْمَا وَفِي الْفَلَآ  
وَفِي الْفُلْكِ وَالْأَمْلَاكِ كُلِّ مُسَبِّحٍ  
تُسَبِّحُ كُلُّ الْكَائِنَاتِ بِحَمْدِهِ  
جَمِيعاً وَمَنْ فِيهِنَّ وَالْكُلُّ خَاشِعٌ  
لَهُ كُلُّ ذَرَاتِ الْوُجُودِ شَوَاهِدٌ  
دَحَا الْأَرْضَ وَالسَّبْعَ السَّمَاوَاتِ  
وَأَبْدَعَ حُسْنَ الصَّنْعِ فِي مَلَكُوتِهَا  
وَأَوْتَدَهَا بِالرَّاسِيَاتِ فَلَمْ تَمُدْ  
وَأَخْرَجَ مَرْعَاهَا وَبَثَّ دَوَابَّهَا  
مِنَ الْحَبِّ ثُمَّ الْأَبَّ وَالْقَضْبِ وَالْكَلَا  
فَأَضَحَّتْ بِحُسْنِ الزَّهْرِ تَزْهُو رِيَاضُهَا  
وَرَانَ سَمَاءٌ بِالْمَصَابِيحِ أَصْبَحَتْ  
تَرَاهَا إِذَا جَنَّ الدُّجَى قَدْ تَقَلَّدَتْ  
فِيَا نَاطِرًا زَهَرَ الْبَسَاتِينِ دُونَهَا  
وَيَا مَنْ لَهَا إِنَّ الْمَحَاسِنَ كَلَّهَا  
وَلَا سَمِعَتْ أُذُنٌ وَلَا الْعَيْنُ أَبْصَرَتْ  
تَزِيدُ بِهَاءِ كُلِّ حِينٍ وَعَيْشُهَا  
مِنَ الدَّرِّ وَالْيَاقُوتِ تُبْنَى قُصُورُهَا  
وَمَا يُشْتَهَى مِنْ لَحْمِ طَيْرٍ طَعَامُهَا  
وَمَشْرُوبُهَا كَأَفُورِهَا وَرَحِيقُهَا

تَحْمَلُ صِغْنَ الشُّكْرِ مَا هُوَ أَكْبَرُ  
وُحُوشٌ وَطَيْرٌ فِي الْهَوَايِ مُسَخَّرُ  
نَهَاراً وَلَيْلاً دَائِماً لَيْسَ يَفْتُرُ  
سَمَاءً وَأَرْضَ وَالْجِبَالَ وَأَبْحُرُ  
لِهَيْبَتِهِ الْعُظْمَى وَلَا يَتَكَبَّرُ  
عَلَى أَنَّهُ الْبَارِي الْإِلَهُ الْمَصَوِّرُ  
وَأَتَقَنَهَا لِلْعَالَمِينَ لِيَنْظُرُوا  
وَفِي مَلَكُوتِ الْأَرْضِ كَيْ يَتَفَكَّرُوا  
وَشَقَّ أَنْهَاراً بِهَا تَتَفَجَّرُ  
وَالْكُلُّ يَأْتِي مِنْهُ رِزْقٌ مُقَدَّرُ  
وَنَخْلٍ وَأَعْنَابٍ فَوَاكِهُ تُثْمِرُ  
وَفِي حُلَلِ نَسِجِ الرِّيبَعِ تَبَخَّرُ  
وَأَمْسَتْ بِبَاهِي الْحُسْنِ تَزْهُو وَتَزْهُرُ  
فَلَانِدَ دُرِّيٍّ لِدُرٍّ تُحَقَّرُ  
أَطْنُكَ أَعْمَى لَيْسَ لِلْحُسْنِ تُبْصِرُ  
بِدَارٍ بِهَا مَا لَا عَلَى الْقَلْبِ يَخْطُرُ  
وَمَا تَشْتَهِيهِ النَّفْسُ فِي الْحَالِ يَحْضُرُ  
يَزِيدُ صَفَاءً قَطُّ لَا يَتَكَدَّرُ  
وَمِنْ ذَهَبٍ مَعَ فِضَّةٍ لَا تَغْيَرُ  
وَفَاكِهَةٍ مِمَّا لَهُ يُتَخَيَّرُ  
وَتَسْنِيمُهَا وَالسَّلْسَبِيلُ وَكَوْثُرُ

وَمِنْ عَسَلٍ وَالْخَمْرِ نَهْرَانِ جَوْفُهَا  
 وَعَالِي حَرِيرٍ فُرْشُهَا وَلِبَاسُهَا  
 وَمِنْ زَعْفَرَانٍ نَبْتُهَا وَحَشِيشُهَا  
 فَوَاكِهُ تَكْفِي حَبَّةً لِقَبِيلَةٍ  
 وَأَكْوَابُهَا مَنْ فِضَّةٍ لَا كَبِيرَةٍ  
 وَمِنْ ذَهَبٍ زَاهِي الْجَمَالِ صَحَافُهَا  
 وَأَزْوَاجُهَا حُورٌ حَسَانٌ كَوَاعِبُ  
 هَرَائِلُ خُودَاتٍ وَعَيْدٌ وَخُرْدٌ  
 نَشَتْ غُرْبًا أَتْرَابِ سِنَّ قِوَاصِرٍ  
 عَوَالِي الْحُلَى وَالْحَلِيِّ عَيْنٌ فَوَاحِرٌ  
 ثَوْتُ فِي خِيَامِ الدُّرِّ فِي رَوْضَةِ الْبَهَا  
 مِلَاحٌ زَهَتْ فِي رَوْنَقِ الْحُسْنِ وَالْبَهَا  
 وَمَا الْمَدْحُ فِيمَنْ نَشَرَهَا وَابْتَسَامُهَا  
 وَمَنْ يَعْدُبُ الْبَحْرُ الْأَجَاجَ بَرِيقُهَا  
 وَمَنْ لَوْ بَدَتْ مِنْ مَشْرِقِ ضَاءِ مَغْرَبٍ  
 وَمَنْ مُخْهًا مِنْ تَحْتِ سَبْعِينَ حُلَّةً  
 فَخَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا جَمِيعًا خِمَارُهَا  
 وَأَحْقَرُ بَرَبَاتِ الْمَحَاسِنِ وَالَّتِي  
 فَمَا الْفِضَّةُ الْبَيْضَاءُ شَيَّبَتْ بِعَسْجِدٍ  
 بَهَاءً وَحُسْنًا مَا الْيُوقَاتُ فِي الصَّفَا  
 وَمَا شَبَّهَ الرَّحْمَنُ مِنْ بَعْضِ وَصْفِهَا  
 وَنَهْرَانِ أَلْبَانٍ وَمَاءٍ يُفَجَّرُ  
 وَحَصْبَاؤُهَا وَالتُّرْبُ مِسْكٌ وَجَوْهَرُ  
 وَمِنْ جَوْهَرٍ أَشْجَارُهَا تِلْكَ تُثْمَرُ  
 أُدِيمَتُ أُيِّحَتُ لَا تَبَاعُ وَتُحَجَرُ  
 عَلَى شَارِبٍ مِنْهَا وَلَا هِيَ تَصْغُرُ  
 يَلْدُ بِهَا عَيْشٌ بِهِ الْعَيْنُ تَقْرُرُ  
 رَعَائِبُ أَبْكَارٍ بِهَا التُّورُ يَرْهَرُ  
 مَدَى الدَّهْرِ لَا تَبْلَى وَلَا تَتَّعِيرُ  
 لِطَرْفٍ كَحَيْلٍ لِلْمَلَاخَةِ يُفْتَرُ  
 زَكَّتْ طَهَّرَتْ مِنْ كُلِّ مَا يُتَقَدَّرُ  
 عَلَى سُرْرِ الْيَاقُوتِ تَغْدُرُ وَتَحْضُرُ  
 وَكُلُّ جَمَالٍ دُونَهُ الْمَدْحُ يَقْصُرُ  
 يُضِيءُ الدِّيَاجِي وَالْوُجُودُ يُعْطِرُ  
 وَمَنْ حُسْنُهَا لِلْعَالَمِينَ يُحْيِرُ  
 وَحَارَ الْوَرَى مِنْ حُسْنِهَا حِينَ تَظْهَرُ  
 يُرَى كَيْفَ مُوفِي الْمَدْحِ عَنْهَا يُعْبَرُ  
 فَأَحْسِنَ بِمَنْ تَحْتَ الْخِمَارِ مُحَمَّرُ  
 بِتَشْبِيهِهِ أَوْصَافِ الْجِنَانِ تُصَدَّرُ  
 وَمَا الْبَيْضُ مَكْنُونُ النَّعَامِ الْمُسْتَرُّ  
 وَفِي رَوْنَقِ مَا اللُّؤْلُؤُ الرُّطْبُ يُنْشَرُ  
 بَبَيْضٍ وَيَاقُوتٍ فَذَلِكَ يُذَكَّرُ

عَلَى جِهَةِ التَّقْرِيبِ لِلذُّهْنِ إِذْ لَنَا  
 تَبَارَكَ مُنْشِي الخَلْقِ عَنِ سِرِّ حِكْمَةٍ  
 إِذَا مَا تَجَلَّى اللهُ لِلخَلْقِ جَهْرَةً  
 وَقَدْ زِينَتْ جَنَاتٍ عَدْنٍ وَزُخْرِفَتْ  
 جَمَالاً وَوَصَفَا جَلَّ لَيْسَ كَمِثْلِهِ  
 نَعِيمٌ وَلَذَاتٌ وَعِزٌّ وَرَفَعَةٌ  
 بِمَقْعَدِ صِدْقٍ فِي جِوَارِ مَلِيكِهِمْ  
 أَيَا سَاعَةً فِيهَا السَّعَادَاتُ يُجْتَلَى  
 وَيَا سَاعَةً فِيهَا المَفَاخِرُ تُرْتَقَى  
 أَلَا بَائِعُ الفَانِي الحَقِيرِ بِبَاقِي  
 أَلَا مُقْتَدٍ مِنْ نَارٍ حَرٍّ عَظِيمَةٍ  
 لَهَا شَرَرٌ كَالْقَصْرِ فِيهَا سَلَاسِلُ  
 عُصَاةٍ وَفُجَّارٌ وَسَبْعُ طِبَاقُهَا  
 وَحَيَاتُهَا كَالْبُخْتِ فِيهَا عَقَابُ  
 غَلِيظٌ شَدِيدٌ فِي يَدَيْهِ مَقَامِعُ  
 وَمَطْعُومُهُمْ زُقُومُهَا وَشَرَابُهُمْ  
 وَيُسْقَوْنَ أَيْضاً مِنْ صَدِيدٍ وَجِيفَةٍ  
 وَقَدْ شَابَ مِنْ يَوْمِ عَبُوسٍ شَبَابُهُمْ  
 فَيَا عَجَباً نَدْرِي بِنَارٍ وَجَنَّةٍ  
 إِذَا لَمْ يَكُنْ خَوْفٌ وَشَوْقٌ وَلَا حَيَا  
 وَلَيْسَ لِحَرٍّ صَابِرِينَ وَلَا بَلَاءُ

عُقُولٌ عَلَيْهَا فَهْمٌ مَا يَتَعَسَّرُ  
 هُوَ اللهُ مَوْلَانَا الحَكِيمُ المُدَبِّرُ  
 تَعَالَى لِكُلِّ المُؤْمِنِينَ لِيَنْظُرُوا  
 نَسُوا كُلَّ مَا فِيهَا لِمَا مِنْهُ أَبْصَرُوا  
 وَفَضْلاً وَإِنْعَاماً يَجَلُّ وَيَكْبُرُ  
 وَقُرْبٌ وَرِضْوَانٌ وَمُلْكٌ وَمَتَجَرُّ  
 هَنِيئاً لِمَسْعُودٍ بِذَلِكَ يَظْفُرُ  
 عَلَى وَجْهَهَا ذُرُّ العِنَايَاتِ يُنْشَرُ  
 غَلَاهَا وَخَلَعَاتُ الكِرَامِ تُنْشَرُ  
 خَطِيرٌ وَمُلْكٌ لَيْسَ يَبْلَى وَيَدْمُرُ  
 أَلُوفٌ سِنِينَ تِلْكَ تُحْمَى وَتُسْعَرُ  
 عِظَامٌ وَأَغْلَالٌ فَغَلُّوا وَجَرَجِرُوا  
 وَسَبْعِينَ عَاماً عُمُقُهَا قَدْ تَهَوَّرُوا  
 بَغَالٌ وَضَرْبٌ وَالزَّبَانِي يَنْهَرُ  
 إِذَا ضَرَبَ الصُّمَّ الجِبَالَ تَكْسَرُ  
 حَمِيمٌ بِهَا أَمْعَاؤُهُمْ مِنْهُ تَنْدُرُ  
 تَفَجَّرُ مِنْ فَرْجِ الذِّي كَانَ يَفْجُرُ  
 لَهُوْلٍ عَظِيمٍ لِلخَلَائِقِ يُسْكَرُ  
 وَلَيْسَ لِذِي نَشْتَاقُ أَوْ تِلْكَ نَحْذَرُ  
 فَمَاذَا بَقِيَ فِينَا مِنَ الخَيْرِ يَذْكَرُ  
 فَكَيْفَ عَلَى النَّيْرَانِ يَا قَوْمَ نَصْبِرُ

وَفَوْتُ جِنَانِ الْخُلْدِ أَعْظَمُ حَسْرَةً  
 فَأُفُّ لَنَا أَفُّ كِلَابٍ مَزَابِلِ  
 نَبِيْعُ خَطِيْرًا بِالْحَقِيْرِ عَمَائِيَةِ  
 فَطُوبَى لِمَنْ يُؤْتَى الْقِنَاعَةَ وَالتَّقَى  
 فَيَا أَيُّهَا الْأَخْوَانُ مِنْ كُلِّ سَامِعٍ  
 أَلَا إِنَّ تَقْوَى اللَّهِ خَيْرٌ بِضَاعَةٍ  
 وَطَاعَتُهُ لِلْمَتَّقَى خَيْرٌ حِرْفَةٍ  
 إِذَا أَصْبَحَ الْبَطَالُ فِي الْحَشْرِ نَادِمًا  
 فَطُوبَى لِمَنْ يُمَسِّي وَيُصْبِحُ عَامِلًا  
 بِهَا يَعْمُرُ الْأَوْقَاتَ أَيَّامَ عُمْرِهِ  
 وَيَأْنَسُ بِالْمَوْلَى وَيَسْتَوْحِشُ الْوَرَى  
 وَيَسْأَلُو عَنْ اللَّذَاتِ بِالذُّوْنِ قَانِعٍ  
 حَزِينٍ نَحِيْلٍ جِسْمُهُ ضَامِرُ الْحَشَا  
 إِذَا ذُكِرَتْ جَنَاتُ عَدْنٍ وَأَهْلُهَا  
 وَيَعْلُو جَوَادَ الْعَزْمِ أَذْهَمَ سَابِقًا  
 فَأَذْهَمَ يَسْقِي مَاءَ عَيْنٍ وَأَبْيَضُ  
 وَيَرْكُضُ فِي مَيْدَانِ سَبَقٍ إِلَى الْعَلَا  
 فَمَجْدُ الْعَلَا مَا نَالَهُ غَيْرُ مَا جِدِ  
 سَأَلْتُ الَّذِي عَمَّ الْوُجُودَ بِجُودِهِ  
 يَمُنُّ عَلَيْنَا فِي قُبُولِ دُعَائِنَا  
 وَأَرْكَى صَلَاةَ اللَّهِ ثُمَّ سَلَامِهِ  
 عَلَى تِلْكَ فَلَيْسَتْ حَسْرَةُ الْمُتَحَسَّرِ  
 إِلَى نَتِيهَا نَعْدُوا وَلَا تَتَدَبَّرِ  
 وَلَيْسَ لَنَا عَقْلٌ وَلَبُّ مَنْوَرٍ  
 وَأَوْقَاتُهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ يَعْمُرُ  
 لَهُ فَهَمُّ قَلْبٍ حَاضِرٍ يَتَذَكَّرُ  
 لِصَاحِبِهَا رِبْحٌ بِهَا لَيْسَ يَخْسَرُ  
 بِهَا يَكْسِبُ الْخَيْرَاتِ وَالسَّعْيُ يُشْكُرُ  
 يَعُضُّ عَلَى كَفِّ أَسَى يَتَحَسَّرُ  
 عَلَى كُلِّ شَيْءٍ طَاعَةَ اللَّهِ يُؤَثِّرُ  
 يُصَلِّي وَيَتْلُو لِلْكِتَابِ وَيَتَذَكَّرُ  
 وَيَشْكُرُ فِي السَّرِّ وَفِي الصَّرِّ يَصْبِرُ  
 عَفِيْفٌ لَهُ قَلْبٌ نَقِيٌّ مَنْوَرٌ  
 يَصُومُ عَنِ الدُّنْيَا عَلَى الْمَوْتِ يُفْطِرُ  
 يَذُوبُ اشْتِيَاقًا نَحْوَاهَا وَيَشْمُرُ  
 وَأَبْيَضَ مَجْنُوبًا عَنِ الثُّورِ يُسْفِرُ  
 لَصَبْرٍ عَلَى صَوْمِ الْهَجِيرِ يُضَمَّرُ  
 وَيَسْرِي إِلَى نَيْلِ الْمَعَالِي وَيَسْهَرُ  
 يُخَاطِرُ بِالرُّوحِ الْخَطِيْرِ فَيُظْفِرُ  
 وَمَنْ مِنْهُ فَيُضِ الْفَضْلَ لِلْخَلْقِ يَعْمُرُ  
 وَيُلْحِقُنَا بِالصَّالِحِينَ وَيَغْفِرُ  
 عَلَى الْمُصْطَفَى مَا لَاحَ فِي الْأُفُقِ نَيْرُ

## ( فَصْلٌ )

في ذِكْرِ بَعْضِ سِيَرَةِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ

وَرُؤُوسِهِ وَوَرَعِهِ وَعَدْلِهِ

انصافُهُ مِنْ نَفْسِهِ وَأَقَارِبِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فَعِنْدَمَا تَوَلَّى أَخَذَ جَوَاهِرَ زَوْجَتِهِ وَحُلِيِّهَا فِيمَا أَخَذَ فَأَوْدَعَهُ بَيْتَ الْمَالِ حَتَّى إِذَا احتَاجَ إِلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ أَنْفَقَهُ عَلَيْهِمْ .

وَعِنْدَمَا أَحَسَّ أَنَّهَا لَمْ تَرْضَ أَوَّلَ الْأَمْرِ كُلِّ الرِّضَا بِمَا فَعَلَ خَيْرَهَا بَيْنَ أَنْ تُقِيمَ عِنْدَهُ وَبَيْنَ أَنْ تَلْحَقَ بِأَهْلِهَا فَرَضِيَتْ أَنْ تُقِيمَ عِنْدَهُ وَأَنْ تَدْفَعَ بِحُلِيِّهَا وَجَوَاهِرِهَا إِلَى بَيْتِ الْمَالِ ثُمَّ لَا تَرُدُّهُ إِلَيْهَا أَبَدًا . وَمَا زَالَ عُمَرُ فِي زَوْجَتِهِ حَتَّى أَثَّرَ عَلَيْهَا وَاقْتَدَتْ بِهِ فِي الْوَرَعِ وَالزُّهْدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا . وَكَمَا فَعَلَ عُمَرُ مَعَ زَوْجَتِهِ فَاطِمَةَ فَعَلَ بِأَوْلَادِهِ مِنْ رِجَالٍ وَنِسَاءٍ .

أَرْسَلَتْ إِلَيْهِ ابْنَتَهُ بِلُولَةَ وَقَالَتْ لَهُ : إِنْ رَأَيْتَ أَنَّ تَبَعْتَ لِي بِأَخْتِيهَا حَتَّى أَجْعَلَهَا فِي أُذُنِي فَأَرْسَلْ لَهَا بِجَمْرَتَيْنِ ثُمَّ قَالَ لَهَا إِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَجْعَلِي هَاتَيْنِ الْجَمْرَتَيْنِ فِي أُذُنِيكَ بَعَثْتُ إِلَيْكَ بِأَخْتِيهَا .

وَبَلَغَ عُمَرُ أَنَّ ابْنَهُ اشْتَرَى فَصَّ خَائِمٍ بِأَلْفِ دِرْهَمٍ فَكَتَبَ عَزِيمَةً مِنِّي عَلَيْكَ إِلَّا بَعَثْتَ هَذَا الْخَائِمَ الَّذِي اشْتَرَيْتَهُ بِأَلْفِ دِرْهَمٍ وَتَصَدَّقْتَ بِتَمَنِيهِ اشْتَرَيْتَ آخَرَ بِدِرْهَمٍ نَقَشْتَ عَلَيْهِ : رَحِمَ اللَّهُ أُمَّرًا عَرَفَ قَدْرَ نَفْسِهِ . وَالسَّلَامُ .

وَجَمَعَ يَوْمًا رُؤُسَاءِ النَّاسِ فَحَظَبَهُمْ فَقَالَ : إِنْ فَدَكَ كَانَتْ بِيَدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَضَعُهَا حَيْثُ أَرَاهُ اللَّهُ ثُمَّ وَلِيهَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ كَذَلِكَ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ وَمَا أُدْرِي مَا قَالَ فِي عُثْمَانَ ثُمَّ قَالَ أَنَّ مَرْوَانَ أَقْطَعَهَا فَحَصَلَ لِي مِنْهَا نَصِيبٌ وَوَهَبَنِي الْوَلِيدُ وَسَلِيمَانُ نَصِيبَهُمَا وَلَمْ يَكُنْ مِنْ مَالِي شَيْءٌ أَرَدَهُ أَعْلَى مِنْهَا وَقَدْ رَدَدْتُهَا فِي بَيْتِ الْمَالِ عَلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ فِي زَمَانِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قَالَ فَيُعَسَّ النَّاسُ عِنْدَ ذَلِكَ مِنَ الْمِظَالِمِ ثُمَّ أَمَرَ بِأَمْوَالِ جَمَاعَةٍ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ فَرَدُّوَهَا إِلَى بَيْتِ الْمَالِ وَسَمَّاهَا أَمْوَالِ الْمِظَالِمِ فَاسْتَشَّ فَوَعَّ إِلَيْهِ النَّاسُ وَتَوَسَّلُوا إِلَيْهِ بِعَمَّتِهِ فَاطِمَةَ بِنْتِ مَرْوَانَ فَلَمْ يَنْجَعْ فِيهِ شَيْءٌ .



وَقَالَ لَهُمْ لَتَدْعُنِي وَإِلَّا ذَهَبْتُ إِلَى مَكَّةَ فَنَزَلْتُ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ لِأَحَقِّ النَّاسِ بِهِ .  
 وَقَدْ اجْتَهَدَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي مُدَّةٍ وَلَا يَتِيهِ مَعَ قَصْرِهَا حَتَّى رَدَّ الْمَطْلَمَ وَصَرَفَ إِلَى كُلِّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ .  
 وَكَانَ مُنَادِيهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ يُنَادِي أَيْنَ الْعَارِمُونَ أَيْنَ التَّكَاكُونَ أَيْنَ الْمَسَاكِينُ أَيْنَ الْيَتَامَى حَتَّى أَغْنَى  
 كَلًّا مِنْ هَؤُلَاءِ فَرَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى تِلْكَ الرُّوحِ الْمَطْبُوعِ عَلَى الْعَدْلِ وَالصَّدَقِ وَالْوَرَعِ وَالرُّهْدِ .  
 وَقَالَتْ زَوْجَتُهُ فَاطِمَةُ دَخَلْتُ عَلَيْهِ يَوْمًا وَهُوَ جَالِسٌ فِي مُصَلَاةٍ وَأَضِعًا خَدَّهُ عَلَى يَدِهِ وَدُمُوعُهُ  
 تَسِيلُ عَلَى خَدَّيْهِ فَقُلْتُ مَالِكَ فَقَالَ وَيْحَكَ يَا فَاطِمَةُ قَدْ وُلِّيتُ مِنْ أَمْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ مَا وُلِّيتُ  
 فَتَفَكَّرْتُ فِي الْفَقِيرِ الْجَائِعِ وَالْمَظْلُومِ الْمُتَهَمُورِ وَالْعَرِيبِ وَالْأَسِيرِ وَالشَّيْخِ الْكَبِيرِ وَذِي الْعِيَالِ الْكَثِيرِ  
 وَالْمَرِيضِ الضَّائِعِ وَالْعَارِي الْمَجْهُودِ وَالْيَتِيمِ الْمَكْسُورِ وَالْأَرْمَلَةَ الْوَحِيدَةَ وَالْمَالَ قَلِيلًا وَأَشْبَاهَهُمْ فِي  
 أَقْطَارِ الْأَرْضِ وَأَطْرَافِ الْبِلَادِ .  
 فَعَلِمْتُ أَنَّ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ سَيَسْأَلُنِي عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَنَّ خَصْمِي دُونَهُمْ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
 وَسَلَّمَ فَخَشِيتُ أَنْ لَا يَثْبُتَ لِي حُجَّةٌ عِنْدَ خُصُومَتِهِ فَرَحِمْتُ نَفْسِي فَبَكَيْتُ ، قَالُوا : وَلَمْ يَكُنْ  
 لَهُ سِوَى تَوْبٍ وَاحِدٍ فَكَانَ إِذَا غَسَلُوهُ جَلَسَ فِي الْمَنْزِلِ حَتَّى يَبْسُ . قَالُوا : وَدَخَلَ مَرَّةً عَلَى  
 امْرَأَتِهِ فَسَأَلَهَا أَنْ تُفْرِضَهُ دِرْهَمًا أَوْ فُلُوسًا يَشْتَرِي لَهُ بِهَا عِنَبًا فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهَا شَيْئًا فَقَالَتْ لَهُ أَنْتَ  
 أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَلَيْسَ فِي خِرَاتِكَ مَا تَشْتَرِي بِهِ عِنَبًا .  
 فَقَالَ : هَذَا أَيْسَرُ مِنْ مُعَالِجَةِ الْأَغْلَالِ وَالْإِنْكَالِ غَدًا فِي جَهَنَّمَ . قَالَ وَكَانَ سِرَاجُهُ عَلَى ثَلَاثِ  
 قَصَبَاتٍ فِي رَأْسِهِنَّ طِينٌ وَبَعَثَ يَوْمًا غُلَامَهُ لِيَشْوِي لَهُ لَحْمًا فَجَاءَ بِهَا سَرِيعًا مَشْوِيَةً فَقَالَ أَيْنَ  
 شَوَيْتَهَا قَالَ فِي الْمَطْبَخِ .

فَقَالَ : فِي مَطْبَخِ الْمُسْلِمِينَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . فَقَالَ : كُلُّهَا فَإِنَِّّي لَمْ أَرْزُقْهَا هِيَ رِزْقُكَ وَسَخَّوْا لَهُ الْمَاءَ فِي الْمَطْبَخِ الْعَامِّ فَرَدَّ بَدَلَ ذَلِكَ بِدِرْهِمٍ حَطْبًا .  
 وَكَانَ لَهُ سِرَاجٌ يَكْتُبُ عَلَيْهِ حَوَائِجَهُ وَسِرَاجٌ لَبِيَّتِ الْمَالِ يَكْتُبُ عَلَيْهِ مَصَالِحُ الْمُسْلِمِينَ لَا يَكْتُبُ عَلَى ضَوْئِهِ لِنَفْسِهِ حَرْفًا وَبَلَغَ عُمُرُ أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ تُوْفِيَ فَجَاءَ إِلَى أَهْلِهِ يُعَزِّبُهُمْ فَصَرَخُوا فِي وَجْهِهِ بِالْبُكَاءِ عَلَيْهِ فَقَالَ مَهْ إِنَّ صَاحِبَكُمْ لَمْ يَكُنْ يَرْزُقُكُمْ إِنْ الَّذِي يَرْزُقُكُمْ حَيٌّ لَا يَمُوتُ وَإِنَّ صَاحِبَكُمْ هَذَا لَمْ يَسُدِّ شَيْئًا مِنْ حُفْرِكُمْ ، وَإِنَّمَا سَدَّ حُفْرَةَ نَفْسِهِ ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْكُمْ حُفْرَةً لَا بُدَّ وَاللَّهِ أَنْ يَسُدَّهَا .

إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمَّا خَلَقَ الدُّنْيَا حَكَمَ عَلَيْهَا بِالْحَرَابِ وَعَلَى أَهْلِهَا بِالْفَنَاءِ وَمَا امْتَلَأَتْ دَارٌ حُبْرَةً إِلَّا امْتَلَأَتْ عِبْرَةً وَلَا اجْتَمَعُوا إِلَّا تَفَرَّقُوا حَتَّى يَكُونَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي يَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ بَاكِيًّا فَلْيَبْكِ عَلَى نَفْسِهِ فَإِنَّ الَّذِي صَارَ إِلَيْهِ صَاحِبَكُمْ كُلِّ النَّاسِ يَصِيرُونَ إِلَيْهِ عَدَاً .

شِعْرًا: أَبْقَيْتَ مَالَكَ مِيرَاثًا لَوَارِثِهِ

فَلَيْتَ شِعْرِي مَا أَبْقَى لَكَ الْمَالَ

الْقَوْمُ بَعْدَكَ فِي حَالٍ تَسْرُهُمْ

فَكَيْفَ بَعْدَهُمْ صَارَتْ بِكَ الْحَالُ

مَلُّوا الْبُكَاءَ فَمَا يَبْكِيكَ مِنْ أَحَدٍ

وَاسْتَحْكَمَ الْقَيْلُ فِي الْمِيرَاثِ وَالْقَالَ

مَالَتْ بِهِمْ عَنْكَ دُنْيَا أَقْبَلَتْ لَهُمُوا

وَأَذْبَرَتْ عَنْكَ وَالْأَيَّامُ أَحْوَالُ

وَكَانَ رَحْمَةُ اللَّهِ قَدْ رَزَقَهُ اللَّهُ الْعِلْمَ وَالْحِكْمَةَ وَالْأَدَبَ وَالْعَدْلَ فَمَا

تَزْحَرَجَ قَيْدَ شِبْرِ عَنْ طَرِيقَةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ وَقَدْ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا ذُكِرَ عَنْهُ أَنَّهُ شَيَّعَ جَنَازَةَ فَلَمَّا  
 انْصَرَفَ النَّاسُ تَأَخَّرَ عُمَرُ وَتَأَخَّرَ مَعَهُ أَنَسٌ وَجَلَسُوا نَاحِيَةً .  
 فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لِمَ تَأَخَّرْتَ وَتَرَكْتَ الْجَنَازَةَ وَأَنْتَ وَلِيِّهَا فَقَالَ نَعَمْ نَادَانِي  
 الْقَبْرُ مِنْ خَلْفِي يَا عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَلَا تَسْأَلُنِي مَا صَنَعْتُ بِالْأَجَبَةِ قُلْتُ بلى . قَالَ أَحْرَفْتُ  
 الْأَكْفَانَ وَمَرَّقْتُ الْأَبْدَانَ وَمَصَصْتُ الدَّمَ وَأَكَلْتُ اللَّحْمَ قَالَ أَلَا تَسْأَلُنِي مَا صَنَعْتُ بِالْأَوْصَالِ  
 قُلْتُ بلى قَالَ نَزَعْتُ الْكَفَّيْنِ مِنَ الذَّرَاعَيْنِ وَالذَّرَاعَيْنِ مِنَ الْعَضْدَيْنِ وَالْوَرَكَيْنِ مِنَ الْفَخْدَيْنِ  
 وَالْفَخْدَيْنِ مِنَ الرُّكْبَتَيْنِ وَالرُّكْبَتَيْنِ مِنَ السَّاقَيْنِ وَالسَّاقَيْنِ مِنَ الْقَدَمَيْنِ . ثُمَّ بَكَى عُمَرُ وَقَالَ أَلَا إِنَّ  
 الدُّنْيَا بَقَاؤُهَا قَلِيلٌ وَعَزِيزُهَا ذَلِيلٌ وَعَنِيئُهَا فَعِيرٌ وَشَابُهَا يَهْرُمٌ وَحَيْثُهَا يَمُوتُ فَلَا يَعْرِزُكُمْ إِبْقَالُهَا مَعَ  
 سُرْعَةِ ادِّبَارِهَا فَالْمَعْرُورُ مَنْ اعْتَرَى بِمَا لَا يَدُومُ وَالْمَفْتُونُ مَنْ أَجْهَدَ نَفْسَهُ فِي طَلَبِ مَا لَيْسَ بِمَقْسُومٍ .  
 ثُمَّ قَالَ أَيْنَ سُكَّانُهَا الَّذِينَ تَبَوَّأُوا مَدَائِنَهَا وَشَقُّوا أَنْهَارَهَا وَعَرَسُوا أَشْجَارَهَا لَقَدْ أَقَامُوا أَيَّاماً  
 يَسِيرَةً فَتَنَّتْهُمْ الْعَافِيَةُ وَعَرَّهَمُ النَّشَاطُ وَأَهْمَّتْهُمْ الرَّخَافُ فَرَكِبُوا الْمَعَاصِي حَتَّى أَنَاخَتْ بِهِمْ مَطَايَاهَا  
 عَلَى حَافَاتِ الْحُفْرِ .

وَالْقَبْرُ إِمَّا رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفْرِ النَّارِ  
 فَوَاحِيَةٌ آمَالُهُمْ وَيَا حَسْرَةَ قُلُوبِهِمْ لَقَدْ كَانُوا مَعْبُوطِينَ بِمَا صَنَعُوا

وَمَحْسُودِينَ عَلَى مَا جَمَعُوا وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا صَنَعَ التُّرَابُ بِأَبْدَانِهِمِ وَالْدِيدَانُ بِلِحُومِهِمْ .  
 وَأَطَالَ الْكَلَامُ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ وَهُوَ يَبْكِي إِلَى أَنْ قَالَ يَا سَاكِنَ الْقَبْرِ بَعْدَ أَيَّامٍ قَلِيلٍ مَا غَرَّكَ  
 مِنَ الدُّنْيَا هَلْ ظَنَنْتَ أَنَّكَ تَبْقَى لَهَا أَمَا رَأَيْتَ مِنْ آبَائِكَ مَنْ قَدْ نَزَلَ بِهِ الْأَمْرُ وَجَاءَ الْأَجَلُ  
 فَأَصْبَحَ لَا يَدْفَعُ عَنْ نَفْسِهِ مَا نَزَلَ بِهِ وَهُوَ يَرشَحُ عِرْقًا وَيَتَلَطَّى عَطَشًا وَيَتَقَلَّبُ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ  
 وَسَكَرَاتِهِ .

ثُمَّ قَرَأَ ﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الْخُلُوفُ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ  
 فَلَوْلَا أَنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ وَبَكَى طَوِيلًا ثُمَّ قَالَ لَيْتَ شِعْرِي مَا  
 الَّذِي يَلْقَانِي بِهِ مَلَكُ الْمَوْتِ عِنْدَ خُرُوجِي مِنَ الدُّنْيَا وَمَا يَأْتِينِي بِهِ مِنْ رِسَالَةِ رَبِّي  
 رَأَى بَعْضُهُمْ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَقَالَ :

كَادَتْ تَمُوتُ وَأُخْرَى مِنْكَ تُتَطَّرُ	كَمْ مِنْ شَرِيعَةٍ حَقٍّ قَدْ بَعَثَتْ لَهَا
عَلَى الْحَيْبِ الَّذِي يُسْقَى بِهِ الْمَطَرُ	يَا لَهْفَ نَفْسِي وَلَهْفَ الْوَاجِدِينَ مَعِي
تَظْمُ أَعْظَمُهُمْ فِي الْمَسْجِدِ الْحَفَرُ	ثَلَاثَةَ مَا رَأَتْ عَيْنِي لَهَا شَبَهَا
لِلْحَقِّ وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ تَبْتَدِرُ	وَأَنْتَ رَابِعُهُمْ إِذْ كُنْتَ مُجْتَهِدًا
تَأْتِي رَوَاحًا وَتِيَانًا وَتَبْتَكُرُ	لَوْ كُنْتَ أَمْلِكُ وَالْأَقْدَارُ غَالِبَةٌ
بِدَيْرِ سَمْعَانَ لَكِنْ يَغْلِبُ الْقَدْرُ	صَرَفْتُ عَنْ عُمَرَ الْمَرَضِي مَصْرَعَهُ
فَيَمُنُّ يَمُوتُ وَفِي أَنْبَاءِهِ عِبْرُ	وَفِي مُصَابِ رَسُولِ اللَّهِ تَسْلِيَةٌ
عَلَى الْبَرِيَّةِ وَازْدَادَتْ بِهِ السَّيْرُ	هُوَ الرَّسُولُ الَّذِي مَنْ الْإِلَهُ بِهِ
وَخَيْرَ مَنْ شَرُفَتْ مِنْ أَجْلِهِ مُضْرُ	وَخَيْرَ مَنْ وَلَدَتْ عَدْنَانُ قَاطِبَةً
شَمْسٍ وَمَا خَلَفَتْهَا الْأَنْجُمُ الزَّهْرُ	صَلَى عَلَيْهِ إِلَهُ الْعَرْشِ مَا طَلَعَتْ

اللَّهُمَّ انظِمْنا فِي سِلْكِ أَهْلِ السَّعَادَةِ ، واجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الْمُحْسِنِينَ الَّذِينَ هُمْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ،  
 وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ

والميتين بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وصلى الله على محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين .

( فَصْلٌ )

وَذَكَرَ غَيْرُ وَاحِدٍ عَنْ مُحَمَّدٍ الْمُرُوزِيِّ قَالَ أَخْبَرْتُ أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا دُفِنَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ وَخَرَجَ مِنْ قَبْرِهِ سَمِعَ لِلْأَرْضِ هَدَّةً أَوْ رَجَّةً فَقَالَ مَا هَذِهِ فَقِيلَ لَهُ مَرَكَبُ الْخِلَافَةِ قُرْبَتْ إِلَيْكَ لِتَرْكَبَهَا فَقَالَ : مَا لِي وَلَهَا أَبْعُدُوهَا عَنِّي وَقَرَّبُوا لِي دَابَّتِي فَقُرْبَتْ إِلَيْهِ فَرَكَبَهَا فَجَاءَ صَاحِبُ الشَّرْطَةِ يَسِيرُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِالْحَرْبَةِ جَزِيًّا عَلَى عَادَةِ الْخُلَفَاءِ قَبْلَهُ .

فَقَالَ تَخَّ عَنِّي مَا لِي وَلَكَ إِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ثُمَّ سَارَ مُخْتَلِطًا بَيْنَ النَّاسِ حَتَّى دَخَلَ الْمَسْجِدَ وَصَعَدَ الْمِنْبَرَ وَاجْتَمَعَ النَّاسُ إِلَيْهِ فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَذَكَرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بُلِيْتُ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْ غَيْرِ رَأْيٍ مِنِّي وَلَا طَلِبَةٍ وَلَا مَشُورَةٍ وَإِنِّي قَدْ خَلَعْتُ مَا فِي أَعْنَاقِكُمْ مِنْ بَيْعَةٍ فَاخْتَارُوا لِأَنْفُسِكُمْ غَيْرِي فَصَاحَ الْمُسْلِمُونَ صَيْحَةً وَاحِدَةً قَدْ اخْتَرْنَاكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَرَضِينَاكَ فَلَئِي أَمَرْنَا بِالْيَمَنِ وَالْبَرَكَةِ .

فَلَمَّا سَكَنُوا حَمِدَ اللَّهُ تَعَالَى وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ قَالَ أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ خَلْفٌ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَيْسَ مِنْ تَقْوَى اللَّهِ خَلْفٌ وَأَصْلِحُوا سَرَائِرَكُمْ يُصْلِحْ عِلَانِيَتَكُمْ وَأَكْثِرُوا ذِكْرَ هَازِمِ اللَّذَاتِ الْمَوْتِ وَأَحْسِنُوا لَهُ الْإِسْتِعْدَادَ قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ بِكُمْ .

وَإِنَّ مَنْ لَا يَذْكُرُ مِنْ آبَائِهِ الَّذِينَ لَيْسَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ آدَمَ أَبًا حَيًّا لَمُعْرُقٌ فِي الْمَوْتِ وَإِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ لَمْ تَخْتَلِفْ فِي رَبِّهَا وَلَا فِي نَبِيِّهَا وَلَا فِي كِتَابِهَا إِنَّمَا اخْتَلَفُوا

في الدِّينَارِ والدَّرْهِمِ وَإِيَّيَّ وَاللَّهِ لَا أُعْطِي أَحَدًا بَاطِلًا وَلَا أَمْنَعُ أَحَدًا حَقًّا .  
 أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ أَطَاعَ اللَّهَ تَعَالَى وَجَبَتْ طَاعَتُهُ وَمَنْ عَصَى اللَّهَ فَلَا طَاعَةَ لَهُ أَطِيعُونِي مَا أَطَعْتُ  
 اللَّهَ فَإِذَا عَصَيْتُهُ فَلَا طَاعَةَ لِي عَلَيْكُمْ ثُمَّ نَزَلَ وَدَخَلَ دَارَ الْخِلَافَةِ وَأَمَرَ بِالسُّتُورِ فَهَتِكَتْ وَبِالْبُسُطِ  
 فَرُفِعَتْ وَأَمَرَ بِبَيْعِ ذَلِكَ وَادْخَالِ أَثْمَانِهَا بَيْتَ مَالِ الْمُسْلِمِينَ .

ثُمَّ ذَهَبَ يَتَبَوَّؤُ مَقِيلًا فَأَتَاهُ ابْنُهُ عَبْدُ الْمَلِكِ فَقَالَ مَا تُرِيدُ أَنْ تَصْنَعَ يَا أَبَتِي قَالَ أَيُّ بُنْيَ أَقْبِلُ فَقَالَ  
 تَقْبِلُ وَلَا تُرُدُّ الْمِظَالِمَ فَقَالَ : أَيُّ بُنْيَ قَدْ سَهَرْتُ الْبَارِحَةَ فِي أَمْرِ عَمِّكَ سُلَيْمَانَ فَإِذَا صَلَّيْتُ  
 الظُّهْرَ رَدَدْتُ الْمِظَالِمَ . فقال : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَيْنَ لَكَ أَنْ تَعِيشَ إِلَى الظُّهْرِ فَقَالَ :  
 اذْنُ مَيِّ فِدْنَا مِنْهُ فَقَبِلَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ .

وَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَخْرَجَ مِنْ ظَهْرِي مَنْ يُعِينِي عَلَى دِينِي فَخَرَجَ وَمَ يَقِلُّ وَأَمَرَ مُنَادِيًا يُنَادِي  
 أَلَا مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ فَلْيَرْفَعْهَا إِلَيَّ فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ ذِمِّي مِنْ أَهْلِ حِمصَ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ  
 أَسْأَلُكَ كِتَابَ اللَّهِ قَالَ وَمَا ذَاكَ قَالَ إِنَّ الْعَبَّاسَ بْنَ الْوَلِيدِ اعْتَصَبَنِي أَرْضِي وَالْعَبَّاسُ حَاضِرٌ فَقَالَ  
 عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَا تَقُولُ يَا عَبَّاسُ قَالَ إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْوَلِيدُ أَقْطَعَنِي إِيَّاهَا وَهَذَا كِتَابُهُ .

فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَا تَقُولُ يَا ذِمِّي قَالَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَسْأَلُكَ كِتَابَ اللَّهِ تَعَالَى فَقَالَ  
 عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كِتَابَ اللَّهِ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ مِنْ كِتَابِ الْوَلِيدِ فَارْدُدْ عَلَيْهِ أَرْضَهُ يَا عَبَّاسُ فَارْدَهَا  
 عَلَيْهِ ثُمَّ جَعَلَ لَا يُدْعَى عَلَى شَيْءٍ مِمَّا فِي أَيْدِي أَهْلِ بَيْتِهِ مِنَ الْمِظَالِمِ إِلَّا رَدَّهُ مَظْلَمَةً مَظْلَمَةً وَلَمَّا  
 بَلَغَ الْخَوَارِجَ سِيرَهُ عُمَرُ وَمَا رَدَّ مِنَ الْمِظَالِمِ اجْتَمَعُوا وَقَالُوا مَا يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نُقَاتِلَ هَذَا الرَّجُلَ وَقَالَ  
 فِيهِ كَثِيرٌ عَزَّةً :

وَلَيْتَ وَلَمْ تَسْبُبْ عَلِيًّا وَلَمْ تُخَفِ  
 بَرِيًّا وَلَمْ تَقْبَلْ مَقَالََةَ مُجْرِمِ  
 وَصَدَّقْتَ بِالقَوْلِ الفِعَالَ مَعَ الَّذِي  
 أَتَيْتَ فَأَمْسَى رَاضِيًّا كُلَّ مُسْلِمِ  
 فَمَا بَيْنَ شَرْقِ الأَرْضِ وَالغَرْبِ كُلِّهَا  
 مُنَادٍ يُنَادِي مِنْ فَصِيحٍ وَأَعْجَمِ  
 يَقُولُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ظَلَمْتَنِي  
 بِأَخْذِكَ دِينَارِي وَلَا أَخْذِ دِرْهَمِ  
 فَأُرِيحُ بِهَا مِنْ صَفْقَةٍ لِمَبَايِعِ  
 وَأَكْرِمُ بِهَا مِنْ بَيْعَةٍ ثُمَّ أَكْرِمُ

وَلَمَّا بَلَغَ الجَبَّارَ العَيْنِدَ عُمَرَ بْنَ الوَلِيدِ أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ العَزِيزِ رَحِمَهُ اللهُ رَدَّ الضَّيْعَةَ عَلَى الذِّمِيِّ  
 كَتَبَ إِلَى عُمَرَ بْنَ عَبْدِ العَزِيزِ يَعْتَرِضُ عَلَى عَدْلِهِ وَيَزْعُمُ أَنَّهُ جَوْرٌ ، فقال في كتابه إنك قد  
 ازدريت على من كان قبلك من الخلفاء ، وَعَبَتَ عَلَيْهِمْ وَسَرَتَ بِغَيْرِ سِرْتِهِمْ بِغَضًا لَهُمْ وَشِينًا لِمَنْ  
 بَعْدَهُمْ مِنْ أَوْلَادِهِمْ . قَطَعْتَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ إِذْ عَمَدْتَ إِلَى أَمْوَالِ قُرَيْشٍ وَمَوَارِيثِهِمْ  
 فَأَدْخَلْتَهَا بَيْتَ المَالِ جَوْرًا وَعُدْوَانًا ، وَلَنْ تُتْرَكَ عَلَى هَذِهِ الحَالِ ، وَالسَّلَامُ .

فَلَمَّا قرأ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ كِتَابَهُ كَتَبَ إِلَيْهِ ( بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ) مِنْ عَبْدِ اللهِ عُمَرَ بْنَ  
 عَبْدِ العَزِيزِ إِلَى عُمَرَ بْنِ الوَلِيدِ السَّلَامُ عَلَى المُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ بَلَغَنِي  
 كِتَابُكَ ، أَمَّا أَوَّلُ شَأْنِكَ يَا ابْنَ الوَلِيدِ فَأُثَمِّكُ بِنَانَةُ السُّكُونِ كَانَتْ تَطُوفُ فِي سُوقِ حِمَصَ  
 وَتَدْخُلُ فِي حَوَانِيَّتِهَا ثُمَّ اللهُ أَعْلَمُ بِهَا .

ثُمَّ اشْتَرَاهَا ذُبْيَانُ مِنْ مَالِ الْمُسْلِمِينَ فَأَهْدَاهَا لِأَيِّكَ فَحَمَلَتْ بِكَ فَبَسَّ الْمَوْلُودُ ، ثُمَّ نَشَأَتْ  
وَكُنْتَ جَبَّارًا عِنْدًا نَزَعُمُ أَيُّ مِنَ الظَّالِمِينَ إِذْ حَرَمْتُكَ وَأَهْلَ بَيْتِكَ مَالَ اللَّهِ تَعَالَى الَّذِي هُوَ فِي  
حَقِّ الْقَرَابَاتِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْأَرَامِلِ .

وَإِنَّ أَظْلَمَ مِنِّي وَأَتْرَكَ لِعَهْدِ اللَّهِ مَنْ اسْتَعْمَلَكَ صَبِيًّا سَفِيهًا عَلَى جُنْدِ الْمُسْلِمِينَ تَحْكُمَ فِيهِمْ  
بِرَأْيِكَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ فِي ذَلِكَ نِيَّةٌ إِلَّا حُبُّ الْوَالِدِ لَوْلَدِهِ فَوَيْلٌ لَأَيِّكَ مَا أَكْثَرَ خُصَمَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ  
وَكَيفَ يَنْجُو أَبُوكَ مِنْ خُصَمَائِهِ .

وَإِنَّ أَظْلَمَ مِنِّي وَأَتْرَكَ لِعَهْدِ اللَّهِ مَنْ اسْتَعْمَلَ الْحَجَّاجَ يَسْنُفُكَ الدَّمَاءَ وَيَأْخُذُ الْمَالَ الْحَرَامَ .

وَإِنَّ أَظْلَمَ مِنِّي وَأَتْرَكَ لِعَهْدِ اللَّهِ مَنْ اسْتَعْمَلَ قُرَّةَ أَعْرَابِيًّا جَافِيًّا عَلَى مِصْرٍ وَأَذِنَ لَهُ فِي الْمَعَارِفِ  
وَاللَّهُوِ وَشَرِبَ الْخَمْرَ .

وَإِنَّ أَظْلَمَ مِنِّي وَأَتْرَكَ لِعَهْدِ اللَّهِ مَنْ جَعَلَ لِعَالِيَةِ الْبَرِّيَّةِ فِي خُمْسِ الْعَرَبِ نَصِيبًا فَرُوَيْدًا يَا ابْنَ بَنَانَةَ  
لَوْ التَّقْتَا حَلَقَ الْبَطَانَ وَرَدَّ الْقَمِيَّ إِلَى أَهْلِهِ لَتَفَرَّغَتْ لَكَ وَلِأَهْلِ بَيْتِكَ فَوَضَعْتُهُمْ عَلَى الْمِحْجَةِ  
الْبَيْضَاءِ فَطَالَ مَا تَرَكْتُمُ الْمِحْجَةَ الْبَيْضَاءِ فَطَالَ مَا تَرَكْتُمُ الْحَقَّ وَأَخَذْتُمُ الْبَاطِلَ وَمِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ مَا  
أُرْجُو أَنْ أَكُونَ رَأَيْتُهُ مِنْ بَيْعِ رَقَبَتِكَ وَقَسَمِ ثَمَنِكَ عَلَى الْأَرَامِلِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْيَتَامَى فَإِنَّ لِكُلِّ  
فِيكَ حَقًّا وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى وَلَا يَنَالُ سَلَامُ اللَّهِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ

وَكَتَبَ إِلَيْهِ أَحَدُ عُمَّالِهِ فَقَالَ أَمَا بَعْدُ أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ فَإِنَّ قَبْلِي أَنَا مِنْ الْعُمَّالِ قَدْ اقْتَطَعُوا  
مَالًا عَظِيمًا لَسْتُ أَقْدِرُ عَلَى اسْتِخْرَاجِهِ مِنْ أَيْدِيهِمْ إِلَّا أَنْ أَمْسَهُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْعَذَابِ فَإِنْ  
رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَأْذَنَ لِي فِي ذَلِكَ أَفْعَلُ .



فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ أَمَّا بَعْدُ فَالْعَجَبُ كُلُّ الْعَجَبِ مِنْ اسْتِئْذَانِكَ إِيَّايَ فِي عَذَابٍ بَشَرٍ كَأَنِّي لَكَ  
وَقَايَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ وَكَأَنَّ رِضَائِي عَنْكَ يُنْجِيكَ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَأَنْظُرْ مَنْ قَامَتْ عَلَيْهِ  
بَيِّنَةٌ عُدُولٌ فَخِذْهُ بِمَا قَامَتْ بِهِ الْبَيِّنَةُ .

وَمَنْ أَقَرَّ بِكَ بِشَيْءٍ فَخِذْهُ بِمَا أَقَرَّ بِهِ وَمَنْ أَنْكَرَ فَاسْتَحْلِفْهُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ وَخَلِّ سَبِيلَهُ وَأْتِمِ اللَّهُ  
لَأَنْ يَلْقُوا اللَّهَ بِخِيَانَاتِهِمْ أَحَبُّ مِنْ أَنْ أَلْقَى اللَّهُ بِدِمَائِهِمْ وَالسَّلَامُ .

وَكَانَ لِلْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ابْنِ يُقَالَ لَهُ رُوحٌ وَكَانَ نَشَأً بِالْبَادِيَةِ فَكَأَنَّهُ أَعْرَابِيٌّ فَأَتَى نَاسٌ مِنْ  
الْمُسْلِمِينَ إِلَى عُمَرَ يُخَاصِمُونَ رُوحًا فِي حَوَانِيَتِ بَحْمَصٍ وَكَانَتْ لَهُمْ أَقْطَعَهَا إِيَّاهُمْ أَبُوهُ بِسِجْلٍ  
الْوَلِيدِ .

قَالَ مَا يُعْنِي عَنْكَ سِجْلُ الْوَلِيدِ ، الْحَوَانِيَتِ حَوَانِيَتُهُمْ قَدْ قَامَتْ لَهُمُ الْبَيِّنَةُ عَلَيْهَا خَلَّ لَهُمْ  
حَوَانِيَتُهُمْ فَقَامَ رُوحٌ وَخَصَمُهُ الْحَمِصِيُّ مُنْصَرِفِينَ فَتَوَعَّدَ رُوحَ الْحَمِصِيِّ فَرَجَعَ الْحَمِصِيُّ إِلَى عُمَرَ  
فَقَالَ : هُوَ وَاللَّهِ يَتَوَعَّدُنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .

فَقَالَ عُمَرُ لِكَعْبِ بْنِ حَامِدٍ وَهُوَ مِنْ حَرَسِ عُمَرَ إِذْهَبْ إِلَى رُوحٍ يَا كَعْبُ فَإِنْ سَلَّمَ الْحَوَانِيَتِ  
إِلَى الْحَمِصِيِّ فَذَاكَ وَإِلَّا أَتَيْتَنِي بِرَأْسِهِ فَسَمِعَ بَعْضُ الْمُؤَلِّينَ لِرُوحٍ كَلَامَ عُمَرَ فَاسْرَعَ فِي إِخْبَارِهِ بِمَا  
قَالَ عُمَرُ فَخَلَعَ قَلْبُهُ وَخَرَجَ إِلَيْهِ كَعْبٌ وَقَدْ سَلَّ بَعْضَ السَّيْفِ فَقَالَ لَهُ قُمْ فَخَلِّ لَهُ حَوَانِيَتَهُ  
قَالَ نَعَمْ وَخَلَّى لَهُ الْحَوَانِيَتِ وَتَابَعَ النَّاسُ فِي رَفْعِ الْمِظَالِ فَمَا زُفِعَتْ إِلَيْهِ مِظْلَمَةٌ إِلَّا رَدَّهَا .

شِعْرًا: أَلَا فَاسْأَلُكَ إِلَى الْمَوْلَى سَبِيلًا      وَلَا تَطْلُبْ سِوَى التَّقْوَى دَلِيلًا  
وَسِرْ فِيهَا بِجِدِّ وَانْتِهَاضِ      تَجِدْ فِيهَا الْمُنَى عَرْضًا وَطُولًا  
وَلَا تَرْكُنْ إِلَى الدُّنْيَا وَعَوَّلْ      عَلَى مَوْلَاكَ وَاجْعَلْهُ وَكِيْلًا  
وَإِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ تُعَزَّ عِزًّا      يَدُومُ فَكُنْ لَهُ عَبْدًا دَلِيلًا

وَوَاصِلَ مَنْ أَنْابَ إِلَيْهِ وَقَطَعَ      وَصَالَ الْمُسْرِفِينَ تَكُنْ نَبِيلاً  
 وَلَا تُفْنِي شَابَكَ وَاعْتَمَهُ      وَمَثَّلَ بَيْنَ عَيْنَيْكَ الرَّحِيلاً  
 وَلَا تَصِلِ الدُّنَا وَاهْجُرْ بَيْنَهَا      عَلَى طَبَقَاتِهِمْ هَجْرًا جَمِيلاً  
 وَعَامِلٍ فِيهِمْ الْوَلَى بِصِدْقٍ      يَضَعُ لَكَ فِي قُلُوبِهِ الْقَبُولَا  
 والله أعلم وصلى الله على محمد .

### مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللَّهِ قَدْ كَثُرَ فِي زَمَانِنَا الْيَوْمَ أَنْاسٌ يَرَى أَحَدُهُمْ قَدَرَ نَفْسِهِ فَوْقَ مَا تَتَّصَرُّهُ الْأَفْهَامُ وَيَجْرِمُ كُلَّ  
 الْجَزْمِ أَنَّهٗ رَفِيعُ الْمَقَامِ ، رِفْعَةً كُلُّ رَفِيعٍ مَعَهَا تَحْتَ الْأَقْدَامِ ، لَا تَذْكُرُ أَمَامَهُ فَاضِلاً إِلَّا ضِحْكَ وَهَزَّ  
 رَأْسَهُ مُتَهَكِّمًا سَاخِرًا بِمَا لَهُ مِنْ مَقَامٍ وَقَدِيمًا قِيَلُ :

وَمَنْ جَهَلَتْ نَفْسُهُ قَدْرَهُ

رَأَى غَيْرَهُ مِنْهُ مَا لَا يَرَى

وَتَجِدُ هَذَا الْمَتَكَبِّرُ الْمُعْجَبُ بِنَفْسِهِ شَرِسًا أَحْمَقًا ذَا إِبَاءٍ وَاسْتِعْصَاءٍ حَتَّى عَلَى خَالِقَةِ الْقَدِيرِ الْكَبِيرِ  
 الْمُتَعَالَى وَتَرَاهُ نَارِيَّ الْمَزَاجِ يَلْتَهَبُ التَّهَابًا وَيَنْفَجِرُ لِأَدْنَى كَلِمَةٍ لَا تُرْضِيهِ وَلَوْ لَمْ يَقْصِدْ قَائِلُهَا إِلَّا  
 الْحُسْنَى .

وَمِنْ عَلَامَاتِهِ أَنَّكَ تَجِدُهُ حَرِيصًا عَلَى أَنْ يَكُونَ أَمَامَ النَّاسِ وَأَنْ يُصْعُقُوا إِلَى كَلَامِهِ وَيُؤْلِمَهُ كَلَامُ  
 غَيْرِهِ وَلَوْ كَانَ حَقًّا وَتَجِدُ ثِيَابَهُ مُسْبَلَةً وَفِي مَشْيِهِ يَتَبَخَّرُ مُصْعَرًا خَدَّهُ وَإِنْ كَانَ عَلَيْهِ عِقَالٌ تَجِدُهُ  
 مُبِيلاً لَهُ وَتَجِدُ بَعْضَهُمْ قَدَّ وَقَرَّ شَارِبُهُ وَفَتَلَهُ وَسَوَى شَنْبَاتِهِ كَالْقُرُونِ قَالَ بَعْضُهُمْ :

إِنَّ الْكَمَالَ الَّذِي سَادَ الرَّجَالَ بِهِ

هُوَ الْوَقَارُ وَقَرْنُ الْعِلْمِ بِالْعَمَلِ

فَقُلْ لِمَنْ يَزِدْهِ عِجْبًا بِمَنْطِقِهِ

وَقَلْبُهُ فِي قِيُودِ الْحِرْصِ وَالْأَمَلِ

مَهَلًا فَمَا اللَّهُ سَاهٍ عَن تَلَاعِبِكُمْ      لَكِنَّ مَوْعِدَكُمْ فِي مُنْتَهَى الْأَجَلِ  
 وَقُلْ لِمَنْ فَخْرُهُ فِي قَتْلِ شَارِبِهِ      أَضَعْتَ عُمْرَكَ بَيْنَ الْكَبْرِ وَالْكَسَلِ  
 حَتَّامُ تُبْرُمُ يَا وَافِي الْقَفَا شَنِبًا      مَا فِي طَوَايَاهُ إِلَّا خَيِّئَةُ الْأَمَلِ  
 أَصْبَحْتَ بُعْبَعٌ مِّنْ وَفِي الْبَيْتِ      هَلَا أَحْفَتَ الْعِدَا يَا مَعْرَضَ الْخَجَلِ  
 آخِر: قُلْ لِلَّيْمِ الذِي أَحْفَى لِلْحَيْتِهِ      وَتَاهَ فِي شَنِبَاتٍ حَشَوَهَا قَدْرُ  
 أَرْفُقَ فَلَيْسَ كَمَالًا مَا تَتِيهَ بِهِ      لَكِنَّهُ نَتْنٌ يَشُوْبُهُ مَدْرُ

وَمِنْ عَلَامَاتِهِ أَنَّكَ تَجِدُ صَاحِبَ الْكِبَرِ لَا يَرْعَبُ قُرْبَ الْفُقَرَاءِ مِنْهُ وَلَا يَأْلَفُ إِلَّا الْأَعْنِيَاءَ فَالْمِتَكَبِّرُ  
 لَا يُحِبُّ لِلْمُؤْمِنِينَ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ لِأَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ بِسَبَبِ كِبَرِهِ وَعَجْزِهِ وَلَا يَقْدِرُ عَلَى  
 التَّوَاضُعِ وَهُوَ رَأْسُ أَخْلَاقِ الْأَصْفِيَاءِ .

وَلَا يَقْدِرُ الْمِتَكَبِّرُ عَلَى تَرْكِ الْحَقْدِ وَلَا يَقْدِرُ أَنْ يَدُومَ عَلَى الصِّدْقِ وَلَا يَقْدِرُ عَلَى تَرْكِ الْعَضَبِ  
 وَلَا عَلَى كَظْمِ الْغَيْظِ وَلَا يَسْلَمُ مِنْ احْتِقَارِهِ لِلنَّاسِ وَلَا يَسْلَمُ مِنَ الْغَيْبَةِ وَالْبُهْتِ لِأَنَّهُ فِيهِ مِنَ  
 الْعِظَمَةِ وَالْعِزَّةِ وَالْكَبْرِيَاءِ مَا يَحْوُلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ذَلِكَ .

فَمَا مِنْ خُلُقٍ ذَمِيمٍ وَقَبِيحٍ إِلَّا وَصَاحِبُ الْكِبَرِ مُضْطَرُّ إِلَيْهِ لِيَحْفَظَ بِهِ عِزَّهُ وَعِظَمَتَهُ وَلِذَلِكَ وَرَدَ  
 فِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ : " لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ " . وفي وَصِيَّةِ لُقْمَانَ لِابْنِهِ  
 يَقُولُ ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ .

وَمِنْ تَعَالِيمِ رَبَّنَا هَلْهِيَ الْأُمَّةُ وَنَبِيِّهَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ  
 مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴾

وَبِالْحَقِيقَةِ إِنَّ الْمَتَكَبِّرَ مِسْكِينٌ ثُمَّ مِسْكِينٌ إِلَى حَدِّ يَسْتَحِقُّ مَعَهُ الرَّثَاءُ فَإِنَّكَ بَيْنَمَا تَرَاهُ يَهْدِيهِ الْكِبْرِيَاءُ وَالْعِظْمَةَ تَرَاهُ غَارِقًا فِي بَحْرِ الْمَعَاصِي وَدُلْهَا يُلْقِي نَفْسَهُ فِي جَهَنَّمَ .

أَيُّظُنُّ هَذَا الْمِسْكِينُ أَنَّهُ عَزِيزٌ وَاللَّهُ عَلَيْهِ غَضَبَانُ أَوْ يَطُنُّ أَنَّهُ رَفِيعٌ وَهُوَ فِي قَادُورَاتِ الْمَعَاصِي إِنَّ الْعِزَّةَ وَالرَّفْعَةَ لَا يَخْضُلَانِ بِالدَّعْوَى وَلَيْسَ حُصُونُهُمَا بِيَدِ مَخْلُوقٍ وَلَكِنَّهُمَا بِيَدِ اللَّهِ وَحَدَهُ يَمْنَحُهُمَا إِلَى مَنْ يُسَارِعُونَ إِلَى طَاعَةِ مَوْلَاهُمْ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ .

فِيَا عِبَادَ اللَّهِ انْصَحُوا مَنْ وَقَعَ فِي وَرْطَةِ الْكِبْرِ وَقُولُوا لَهُ تَدَبَّرْ كَلَامَ رَبِّ الْعَالَمِينَ مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ وَقَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلِمًا آيَةً لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْعِيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾ .

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " يُحْشَرُ الْمَتَكَبِّرُونَ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُورِ الرِّجَالِ يَعْشَاهُمْ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ يُسَاقُونَ إِلَى سِجْنٍ فِي جَهَنَّمَ يُقَالُ لَهُ بُؤْلَسٌ تَعْلُوهُمْ نَارُ الْأَنْبِيَارِ يُسْقُونَ مِنْ عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ طِينَةَ الْحَبَالِ " . رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ وَاللَّفْظُ لَهُ وَقَالَ : حَدِيثٌ حَسَنٌ .

شِعْرًا: مَتَى يَصِلِ الْعِطَاشُ إِلَى ارْتِوَاءٍ	إِذَا اسْتَقَّتْ الْبِحَارُ مِنَ الرِّكَايَا
وَمَنْ يَشْنِ الْأَصَاغِرَ عَنِ مُرَادٍ	وَقَدْ جَلَسَ الْأَكَابِرُ فِي الرِّوَايَا
وَإِنَّ تَرْفَعَ الْوُضْعَاءَ يَوْمًا	عَلَى الرُّفَعَاءِ مِنْ إِحْدَى الرِّزَايَا
إِذَا اسْتَوَتْ الْأَسَافِلُ وَالْأَعَالِي	فَقَدْ طَابَتْ مُنَادِمَةُ الْمُنَايَا

آخر : اَعْلَمُ هُدَيْتَ وَخَيْرُ الْعِلْمِ أَنْفَعُهُ  
أَنَّ اتَّبَاعَ الْهَوَى ضَرْبٌ مِنَ الْخَبْلِ  
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ عَلَى  
إِنْعَامِهِ وَتَعَالَى اللَّهُ خَيْرٌ وَلِيٍّ  
فَكَمْ وَكَمْ ظَلَّ بِالْأَهْوَاءِ وَطَاعَتِهَا  
مِنْ عَاقِلٍ جَامِعٍ لِلْعِلْمِ وَالْعَمَلِ  
هُوَ الْهَوَانُ كَمَا قَالُوا وَقَدْ سُرِقَتْ  
النُّونُ مِنْهُ فَجَانِبَهُ وَخُذْ وَمِلِ  
وَأَقْبِلْ عَلَى طَاعَةِ الرَّحْمَنِ وَالزَّمَمِهَا  
فِي كَلِّ حِينٍ وَلَا تَخْلُدْ إِلَى الْكَسَلِ  
وَلَا تُخَالِفْ لَهُ أَمْرًا تَبَارَكَ مِنْ  
رَبِّ عَظِيمٍ وَسِرِّ فِي أَقْوَمِ السُّبُلِ  
وَخُذْ بِمَا فِي كِتَابِ اللَّهِ مُجْتَهِدًا  
مُشَمَّرًا وَاحْتَرِزْ مِنْ سَوْفَ وَالْأَمَلِ  
وَلَا تُعْرِجْ عَلَى دَارِ الْعُرُورِ وَدَا  
وَالْخُلُوفِ وَالزُّورِ وَالنَّسِيَانِ لِلْأَجَلِ  
وَاحْذَرْ مُصَاحِبَةَ الْمَرْءِ الْمُضْئِيعِ فَقَدْ  
صَارُوا إِلَى الشَّرِّ وَالْعِصْيَانِ وَالزَّلَلِ  
وَأَصْبَحُوا فِي زَمَانٍ كُلُّهُ فِتْنٌ  
وَبَاطِلٌ وَفَسَادٌ بَيِّنٌ وَجَلِيٌّ

هُوَ الزَّمَانُ الَّذِي قَدْ كَانَ يَحْذَرُهُ  
 أَنَّمَا الْحَقُّ مِنْ حَبْرٍ وَمِنْ بَدَلِي  
 هُوَ الزَّمَانُ الَّذِي لَا خَيْرَ فِيهِ وَلَا  
 عُرْفٌ نَرَاهُ عَلَى التَّفْصِيلِ وَالْجَمَلِ  
 هُوَ الزَّمَانُ الَّذِي عَمَّ الْحَرَامُ بِهِ  
 وَالظُّلْمُ مِنْ غَيْرِ مَا شَكَّ وَلَا جَدَلِ  
 أَيُّنَ الْقُرْآنَ كَتَابُ اللَّهِ حُجَّتُهُ  
 وَأَيُّنَ سُنَّةَ طَهَةَ خَاتَمِ الرُّسُلِ  
 وَأَيُّنَ هُدًى رَجَالِ اللَّهِ مِنْ سَلَفِ  
 كَانَ الْهُدَى شَأْنُهُمْ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ  
 أَكُلُ أَهْلِ الْهُدَى وَالْحَقِّ قَدْ ذَهَبُوا  
 بِالْمَوْتِ أَمْ سُبُّوا يَا صَاحِبِي فَقُلِ  
 وَالْأَرْضُ لَا تَخْلُو مِنْ قَوْمٍ يَقُومُ بِهِمْ  
 أَمْرُ الْإِلَهِ كَمَا قَدْ جَاءَ فَاحْتَفِلِ  
 فَانْجِ الْإِلَهِ وَلَا تَيْأَسْ وَإِنْ بَعُدَتْ  
 مَطَالِبُكَ إِنَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ مَلِي  
 وَفِي الْإِلَهِ مَلِيكَ الْعَالَمِينَ غَنِّي  
 عَنْ كُلِّ شَيْءٍ فَالْإِزْمُ بَابُهُ وَسَلِي  
 هُوَ الْقَرِيبُ الْمُجِيبُ الْمُسْتَعْتَبُ بِهِ  
 قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ مَعْبُودِي وَمُتَكَلِّمِي  
 وَأَسْأَلُهُ مَغْفِرَةً وَأَسْأَلُهُ خَاتِمَةً  
 حُسْنِي وَعَافِيَةً وَالْجَبْرَ لِلْخَلَلِ

وَأَنْ يُوقِنَنَا لِلصَّالِحَاتِ وَمَا  
يُرِضِيهِ عَنَّا وَيَحْفَظُنَا مِنَ الخَطِّإِ  
وَأَنْ يُصَلِّيَ عَلَيِ الْمُخْتَارِ سَيِّدِنَا  
مُحَمَّدٍ مَا بَكَتْ سُحُبٌ بِمُنْهَمِلِ  
وَالْأَلِّ وَالصَّحْبِ مَا عَنَّتْ مُطَوَّقَةٌ  
عَلَى العُصُونِ فَأَشْجَتْ وَاجِدًا وَخَلِي

اللَّهُمَّ ثَبَّتْ إِيمَانَنَا ثُبُوتَ الْجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ وَوَقَّفْنَا لِلْعَمَلِ فِي الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ وَجَنَّبْنَا جَمِيعَ  
الطُّرُقِ الْمُرْدِيَاتِ وَزَحْزَحْنَا عَنِ النَّارِ وَأَدْخَلْنَا فَرْجَ الْجَنَّتِ يَا رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ بِرَحْمَتِكَ الَّتِي وَسَعَتْ  
الْأَحْيَاءَ وَالْأَمْوَاتِ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَي مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

( فَصْلٌ )

وَكَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَحِمَهُ اللَّهُ إِلَى عُمَّالِهِ أَنْ لَا يُقَيِّدَ مَسْجُونَ فَإِنَّهُ يَمْنَعُهُ مِنَ الصَّلَاةِ وَكَتَبَ  
إِلَى عُمَّالِهِ إِذَا دَعَتُكُمْ قُدْرَتُكُمْ عَلَى النَّاسِ إِلَى ظُلْمِهِمْ فَادْكُرُوا قُدْرَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَنَفَادَ مَا تَأْتُونَ  
إِيَّاهُمْ وَبَقَاءَ مَا يَأْتِي إِلَيْكُمْ مِنَ الْعَذَابِ بِسَبَبِهِمْ وَكَانَتْ حُجْرُهُ إِزَارَهُ قَبْلَ الْخِلَافَةِ غَائِبَةً فِي عُنُقِهِ  
مِنْ الْحَالِ فَلَمَّا تَوَلَّى الْخِلَافَةَ ذَهَبَتْ تِلْكَ الْحَالُ فَلَوْ شِئْتَ أَنْ تُعَدَّ أَضْلَاعُهُ مِنْ غَيْرِ مَسٍّ  
لَعَدَدَتْهَا .

وَكَانَتْ لَهُ غَلَّةٌ خَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ فَلَمَّا وُلِيَ الْخِلَافَةَ صَارَ يُنْفِقُهَا كُلَّ حِينٍ حَتَّى مَا بَقِيَ لَهُ غَيْرُ  
قَمِيصٍ وَاحِدٍ لَا يَخْلَعُهُ حَتَّى يَتَسَخَّ فَإِذَا اتَّسَخَ غَسَلَهُ وَمَكَثَ بِالْبَيْتِ حَتَّى يَجِفَّ ثُمَّ يَلْبَسُهُ .

وَلَمَّا وُلِيَ خَيْرَ حَوَارِيهِ وَقَالَ قَدْ نَزَلَ بِي أَمْرٌ قَدْ شَعَلَنِي عَنْكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَحَتَّى يَفْرُغَ النَّاسُ  
مِنَ الْحِسَابِ فَمَنْ أَحَبَّتْ مِنْكَ عَتَقْتُهَا وَأَعْتَقْتُهَا وَمَنْ أَحَبَّتْ أَنْ أُمْسِكَهَا عَلَى أَنْ لَا يَكُونَ مِنِّي  
إِلَيْهَا شَيْءٌ فَبَكَيْنَ وَارْتَفَعَ بُكَاءُهَا وَإِيَّاساً مِنْهُ .

وَكَانَ يَخْطُبُ النَّاسَ بِقَمِيصٍ مَرْقُوعٍ الْجَبِّ مِنْ قُدَّامِ مَنْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ .  
فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَعْطَاكَ فَلَوْ لَبَسْتَ فَنَكَّسَ رَأْسَهُ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ  
أَفْضَلُ الْقَصْدِ عَنِ الْجِدَّةِ وَأَفْضَلُ الْعَفْوِ عَنِ الْمُقْدِرَةِ .  
وَدَكَرْتُ زَوْجَتَهُ فَاطِمَةَ بِنْتَ عَبْدِ الْمَلِكِ أَنَّ عُمَرَ مَا اغْتَسَلَ عَنْ حُلْمٍ وَلَا جَنَابَةٍ مُنْذُ وُلِيَ الْخِلَافَةَ  
نَهَارُهُ فِي أَشْغَالِ النَّاسِ وَرَدَّ الْمِظَالِمَ إِلَى أَهْلِهَا وَلَيْلُهُ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ .  
وَقَالَ مَسْلَمَةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمَلِكِ دَخَلْتُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ  
أَعُوذُ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ فَإِذَا عَلَيْهِ قَمِيصٌ وَسِخٌ فَقُلْتُ لِفَاطِمَةَ بِنْتِ عَبْدِ الْمَلِكِ اغْسِلِي  
قَمِيصَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَتْ نَفْعَلُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ قَالَ مَسْلَمَةُ ثُمَّ عُدُّهُ فَإِذَا الْقَمِيصُ عَلَى حَالِهِ  
فَقُلْتُ يَا فَاطِمَةَ أَلَمْ أَمُرْكَ أَنْ تَغْسِلِي قَمِيصَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّ النَّاسَ يَعُوذُونَ فَقَالَتْ وَاللَّهِ مَا لَهُ  
قَمِيصٌ غَيْرُهُ وَكَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ كَثِيرًا مَا يَتَمَثَّلُ بِهَذِهِ الْأَبْيَاتِ :

نَهَارُكَ يَا مَغْرُورٌ سَاهُوٌ وَغَفْلَةٌ

وَلَيْلُكَ نَوْمٌ وَالرَّدى لَكَ لَازِمٌ



يَسْرُكُ مَا يَفْنَى وَتَفْرَحُ بِالْمَنَى  
كَمَا غُرَّ بِاللَّدَاتِ فِي النَّوْمِ حَالِمٌ  
وَشُغْلِكَ فِيمَا سَوَّفَ تَكْرَهُ غَبِيهُ  
كَذَلِكَ فِي الدُّنْيَا تَعِيشُ الْبَهَائِمُ  
وَفِعْلُكَ فِعْلُ الْجَاهِلِينَ بِرَبِّهِمْ  
وَعَمْرُكَ فِي التَّقْصَانِ بَلْ أَنْتَ ظَالِمٌ  
فَلَا أَنْتَ فِي الْيَقْظَانِ يَقْظَانُ حَازِمٌ  
وَلَا أَنْتَ فِي النَّوَامِ نَاجٍ وَسَالِمٌ  
فَلَا تَحْمَدِ الدُّنْيَا وَلَكِنْ فَادْمَهَا  
وَلَا تَكْثِرِ الْعِصْيَانَ إِنَّكَ ظَالِمٌ

وَكَانَ يَقُولُ أَدْرَكْنَا الْعُلَمَاءَ ، وَالْأَمْرَاءَ وَالسَّلَاطِينُ يَأْتُونَهُمْ فَيَتَقَمُونَ عَلَى أَبْوَابِ الْعُلَمَاءِ كَالْعَبِيدِ  
حَتَّى إِذَا كَانَ الْيَوْمُ رَأَيْنَا الْعُلَمَاءَ وَالْمُقَدِّمِينَ وَالْعَبَادَ هُمُ الَّذِينَ يَأْتُونَ الْأَمْرَاءَ وَالْأَغْنِيَاءَ فَلَمَّا رَأَوْا  
ذَلِكَ مِنْهُمْ اذْدَرَوْهُمْ وَاحْتَقَرُوهُمْ .

وَقَالُوا لَوْلَا أَنَّ الَّذِي بَأْيَدِينَا خَيْرٌ مِمَّا بَأْيَدِيهِمْ مَا فَعَلُوا ذَلِكَ مَعَنَا . وَثِقَلُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ إِنَّ بَنِي  
إِسْرَائِيلَ لَمَّا كَانُوا عَلَى الصَّوَابِ كَانَتْ الْأَمْرَاءُ تَحْتَاجُ إِلَى الْعُلَمَاءِ وَكَانَتْ الْعُلَمَاءُ تَقْرُبُ بَدِينَهَا مِنْ  
الْأَمْرَاءِ فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَوْمٌ مِنْ رُدَالَةِ النَّاسِ تَعَلَّمُوا ذَلِكَ الْعِلْمَ وَأَتَوْا بِهِ الْأَمْرَاءَ فَاسْتَعْنَتْ بِهِ عَنْ  
الْعُلَمَاءِ وَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ عَلَى الْمُعْصِيَةِ فَسَقَطُوا وَانْتَكَسُوا ، وَلَوْ كَانَ عُلَمَاؤُنَا يَصُونُونَ عِلْمَهُمْ لَمْ  
تَزَلْ الْأَمْرَاءُ تَهَابُهُمْ قُلْتُ : وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَائِلِ :

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ صَانُوهُ صَانَهُمْ  
 وَلَوْ عَظَّمُوهُ فِي النَّفْسِ لَعُظِّمَ مَا  
 وَلَكِنْ أَهَانُوهُ فَهَانُوا وَدَنَسُوا  
 مُحَيِّاهُ بِالْأَطْمَاعِ حَتَّى تَجْهَمَ مَا  
 فَإِنْ قُلْتَ زَنْدُ الْعِلْمِ كَابٍ فَإِنَّ مَا  
 كَبَى حَيْثُ لَمْ تُحْمَى حِمَاهُ وَأَظْلَمَ مَا  
 فَهَبُوا أَهْيَلَ الْعِلْمِ مِنْ رَفْدَةِ الْهَوَى : آخر  
 وَمِيلُوا إِلَى نَهْجِ الرَّشَادِ وَخَالَفُوا  
 هَوَى النَّفْسِ إِنَّ النَّفْسَ مِنْ أَكْبَرِ الْعِدَا  
 وَلِلْعَبْدِ فِيهَا إِنْ أَطَاعَ الْمَتَّالِفُ  
 وَحُثُوا مَطَايَا الْعَزْمِ فِي طَلَبِ الْعُلَا  
 فَقَدْ مَاتَ أَهْلُوهُ الْكِرَامُ السَّوَالِفُ  
 وَنَحْنُ إِذَا مَاتُوا نَمُوتُ بِمَوْتِهِمْ  
 إِذَا لَمْ يَكُنْ مَتَا عَلَى النَّهْجِ عَارِفُ  
 فَأَحْيُوا مَوَاتَ الْعِلْمِ مِنْكُمْ بِعَطْفَةٍ  
 إِلَى الْعِلْمِ كَيْ تَحْيَا بِتِلْكَ الْوَضَائِفُ  
 فَلَا خَيْرَ يُرْجَى فِي الْحَيَاةِ عَلَى الْهَوَى  
 إِذَا لَمْ يَكُنْ فِينَا إِلَى الْعِلْمِ صَارِفُ  
 بَضَاعَتِنَا الْمُزْجَاهُ فِيهِ قَلِيلَةٌ  
 وَقَدْ كَانَ فِينَا جِسْمُهُ وَهُوَ نَاحِفُ  
 وَعَمَّا قَلِيلٍ سَوْفَ يُطَوَى سِجْلُهُ  
 وَتَنْذَهُبُ أَرْبَابٌ لَهُ وَطَوَائِفُ

وَدَخَلَ عَلَى عُمَرَ مَسْلَمَةٌ فِي مَرَضِهِ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّكَ أَفْقَرْتُ أَفْوَاهَ وَلَدِكَ مِنْ هَذَا الْمَالِ وَتَرَكْتَهُمْ عَيْلَةً لَا شَيْءَ لَهُمْ فَلَوْ أَوْصَيْتَ بِهِمْ إِلَى وَالٍ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ بَيْتِكَ فَقَالَ عُمَرُ أَسْنِدُونِي .

ثُمَّ قَالَ أَمَّا قَوْلُكَ إِنِّي أَفْقَرْتُ أَفْوَاهَ وَلَدِي مِنْ هَذَا الْمَالِ فَوَاللَّهِ مَا مَنَعْتُهُمْ حَقًّا هُوَ لَهُمْ وَلَمْ أُعْطِهِمْ مَا لَيْسَ لَهُمْ ، وَأَمَّا قَوْلُكَ لَوْ أَوْصَيْتَ بِهِمْ فَإِنَّ وَصِيِّي وَوَلِيَّ فِيهِمْ ﴿اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾

بَنِي أَحَدِ رَجُلَيْنِ إِمَّا رَجُلٌ يَتَّقِي اللَّهَ فَيَجْعَلُ لَهُ مَخْرَجًا وَإِمَّا رَجُلٌ مُكِبٌّ عَلَى الْمَعَاصِي فَإِنِّي لَمْ أَكُنْ أَقْوِيهِ عَلَى الْمَعَاصِي .

ثُمَّ بَعَثَ إِلَيْهِمْ وَهُمْ بِضْعَةَ عَشَرَ ذَكَرًا فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ فَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ ثُمَّ قَالَ بِنَفْسِي الْفَتِيَّةُ الَّذِينَ تَرَكْتَهُمْ عَيْلَةً لَا شَيْءَ لَهُمْ فَإِنِّي بِحَمْدِ اللَّهِ قَدْ تَرَكْتَهُمْ بِخَيْرِ أَيِّ بَنِي إِنْ أَبَاكُمْ قَدْ مَيَّرَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ بَيْنَ أَنْ تَسْتَعْنُوا وَيَدْخُلَ النَّارَ أَبُوكُمْ ، أَوْ تَفْتَقِرُوا وَيَدْخُلَ أَبُوكُمْ الْجَنَّةَ ، فَكَانَ أَنْ تَفْتَقِرُوا وَيَدْخُلَ الْجَنَّةَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ تَسْتَعْنُوا وَيَدْخُلَ النَّارَ فُؤَمُوا عَصَمَكُمْ اللَّهُ .

وَذَكَرَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ لَمَّا كَانَ فِي الْيَوْمِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ قَالَ أَجْلِسُونِي فَأَجْلَسُوهُ فَقَالَ أَنَا الَّذِي أَمَرْتَنِي فَقَصَّرْتُ وَنَهَيْتَنِي فَعَصَيْتُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَلَكِنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَأَحَدَ النَّظَرَ فَقَالُوا إِنَّكَ لَتَنْظُرُ نَظْرًا شَدِيدًا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ إِنِّي لِأَرِي حَضْرَةَ مَا هُمْ بِإِنْسٍ وَلَا جِنٍّ ثُمَّ قُبِضَ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ :

وَإِذَا شِئْتَ أَنْ تَرِثِي فَقِيدَا مِنَ الْوَرَى	وَتَدْعُوا لَهُ بَعْدَ النَّبِيِّ الْمَكْرَمِ
فَلَا تَبْكِينَ إِلَّا عَلَى فَقْدِ عَالِمٍ	يُبَادِرُ بِالتَّفْهِيمِ لِلْمُسْتَعْلَمِ
وَفَقْدِ إِمَامٍ عَالِمٍ قَامَ مُلْكُهُ	بِأَنْوَارِ حُكْمِ الشَّرْعِ لَا بِالتَّحْكُمِ
وَفَقْدِ شُجَاعٍ صَادِقٍ فِي جِهَادِهِ	وَقَدْ كُسِرَتْ رَأْيُهُ فِي التَّقْدُمِ
وَفَقْدِ كَرِيمٍ لَا يَمَلُّ مِنَ الْعَطَا	لِيُطْفِئَ بُؤْسَ الْفَقْرِ عَنْ كُلِّ مُعْدِمِ

وَفَقَدِ تَقِيٍّ زَاهِدٍ مُتَوَرِّعٍ مُطِيعٍ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ مُعْظَمٍ  
 فَهُمْ خَمْسَةٌ يُنْكِي عَلَيْهِمْ وَعَيْرُهُمْ إِلَى حَيْثُ أَلْقَتْ رَحْلَهَا أَمْ قَشَعَمَ  
 شِعْرًا: وَلَمْ أَرِ أَمْثَالَ الرَّجَالِ تَفَاوُتًا لَدَى الدِّينِ حَتَّى عُدَّ أَلْفٌ بِوَاحِدٍ  
 آخِر: تَفَرَّدَ بِالْعَلْيَاءِ عَنِ أَهْلِ بَيْتِهِ وَذَكَ بِتَوْفِيقِي مِنَ اللَّهِ وَافِدٌ  
 وَتَخْتَلَفُ الْأَثْمَارُ فِي شَجَرَاتِهَا إِذَا شَرِبَتْ بِالْمَاءِ وَالْمَاءِ وَاحِدٌ

إشارة إلى قول الله جل وعلا ﴿يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنَفِضِلْ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ﴾ .

### ( فَصْلٌ )

وَرَوَى سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ قَالَ : قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ لِابْنِهِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَهُوَ مَرِيضٌ كَيْفَ بَجِدُكَ  
 قَالَ فِي الْمَوْتِ قَالَ : لِأَنْ تَكُونَ فِي مِيزَانِي أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أَكُونَ فِي مِيزَانِكَ فَقَالَ لَهُ : وَاللَّهِ يَا أَبَتِ  
 لِأَنْ يَكُونَ مَا تُحِبُّ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ مَا أُحِبُّ .

قِيلَ فَلَمَّا مَاتَ ابْنُهُ عَبْدُ الْمَلِكِ قَالَ عُمَرُ يَا بُيَيَّ لَقَدْ كُنْتُ فِي الدُّنْيَا كَمَا قَالَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ﴿  
 الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ﴿وَلَقَدْ كُنْتُ أَفْضَلَ زِينَتِهَا وَإِنِّي لِأَرْجُو أَنْ تَكُونَ الْيَوْمَ مِنْ  
 الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ الَّتِي هِيَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا وَاللَّهُ مَا سَرَّيْنِي أَنْ دَعَوْتُكَ مِنْ جَانِبٍ  
 فَأَجَبْتَنِي .

وَلَمَّا دَفِنَهُ قَامَ عَلَى قَبْرِهِ فَقَالَ : مَا زِلْتُ مَسْرُورًا بِكَ مُنْذُ بُشِّرْتُ بِكَ وَمَا كُنْتُ قَطُّ أَسْرَّ إِلَيَّ  
 مِنْكَ الْيَوْمَ ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَرَ وَلِمَنْ اسْتَعْفَرَ لَهُ .  
 وَلَمَّا قَامَ النَّاسُ لَهُ قَالَ : يَا مَعْشَرَ النَّاسِ إِنْ تَقُومُوا نَعْمَ وَإِنْ تَقْعُدُوا نَقْعُدْ فَإِنَّمَا يُقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ  
 الْعَالَمِينَ إِنَّ اللَّهَ فَرَضَ فَرَائِضَ وَسَنَّ سُنَنًا مَنْ أَخَذَ بِهَا لَحِقَ وَمَنْ تَرَكَهَا حُقِقَ .

وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَصْحَبَنَا فَلْيَصْحَبْنَا بِحَسْبِ يُوْصِلُ إِلَيْنَا حَاجَةً مَنْ لَا تَصِلُ إِلَيْنَا حَاجَتُهُ ، وَيَدُلُّنَا مِنْ الْعَدْلِ إِلَى مَا لَا نَهْتَدِي إِلَيْهِ ، وَيَكُونُ عَوْنًا لَنَا عَلَى الْحَقِّ ، وَيُوَدِّعِي الْأَمَانَةَ إِلَيْنَا وَإِلَى النَّاسِ وَلَا يَغْتَبِ عِنْدَنَا أَحَدًا ، وَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ فَهُوَ فِي حَرَجٍ مِنْ صُحْبَتِنَا وَالِدُخُولِ عَلَيْنَا .

وَسُئِلَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمَلِكِ زَوْجَةَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَنْ عِبَادَةِ عُمَرَ فَقَالَتْ : وَاللَّهِ مَا كَانَ بِأَكْثَرِ النَّاسِ صَلَاةً وَلَا أَكْثَرَ صِيَامًا وَلَكِنَّ وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ أَحْوَفَ لِلَّهِ مِنْهُ لَقَدْ كَانَ يَذْكُرُ اللَّهَ فِي فِرَاشِهِ فَيَنْتَفِضُ انْتِفَاضَ الْعُصْفُورِ مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ حَتَّى نَقُولُ لِيُصَبِّحَ النَّاسُ وَلَا خَلِيفَةَ لَهُمْ .

قَالَ : وَمَرَّ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ذَاتَ يَوْمٍ بِفَاطِمَةَ زَوْجَتِهِ فَضَرَبَ عَلَى كَتِفِهَا وَقَالَ : يَا فَاطِمَةُ لَنَحْنُ لِيَايِ دَابِقِ أَنْعَمَ مِنَّا الْيَوْمَ ؟ فَقَالَتْ : وَاللَّهِ مَا كُنْتُ عَلَى ذَلِكَ أَقْدَرَ مِنْكَ الْيَوْمَ . فَأَذْبَرَ عَنْهَا وَلَهُ حَيْنٌ وَهُوَ يَقُولُ : يَا فَاطِمَةُ إِنِّي أَخَافُ النَّارَ يَا فَاطِمَةُ ﴿ إِنِّي أَخَافُ أَنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ .

قَالَ : وَكَانَ عُمَرُ يُصَلِّي الْعَتَمَةَ ثُمَّ يَدْخُلُ عَلَى بَنَاتِهِ فَيُسَلِّمُ عَلَيْهِنَّ فَدَخَلَ عَلَيْهِنَّ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَلَمَّا أَحْسَسْنَهُ وَضَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ عَلَى أَفْوَاهِهِنَّ ثُمَّ تَبَادَرْنَ الْبَابَ فَقَالَ لِلْحَاضِنَةِ : مَا شَأْنُهُنَّ ؟ قَالَتْ : إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُنَّ شَيْءٌ يَتَعَشَّيْنَهُ إِلَّا عَدَسٌ وَبَصَلٌ فَكْرِهِنَّ أَنْ تَشُمَّ ذَلِكَ مِنْ أَفْوَاهِهِنَّ . فَبَكَى عُمَرُ ثُمَّ قَالَ لَهُنَّ يَا بَنَاتِي مَا يَنْفَعُكُنَّ أَنْ تَعِيشْنَ الْأَلْوَانَ وَيُؤْمَرُ بِأَيُّكُنَّ إِلَى النَّارِ قَالَ : فَبَكِينَ حَتَّى عَلَتْ أَصْوَاتُهُنَّ ثُمَّ أَنْصَرَفَ .

وَجَاءَتْ عَمَّةٌ لَهُ إِلَى فَاطِمَةَ امْرَأَتِهِ فَقَالَتْ : إِنِّي أُرِيدُ كَلَامَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ قَالَتْ لَهَا اجْلِسِي حَتَّى يَفْرَغَ فَجَلَسَتْ فَإِذَا بِغُلَامٍ قَدْ أَتَى فَأَخَذَ

سراجاً . فقالت لها فاطمة : إن كنت تُريدينه فالآن فإنه إذا كان في حوائج العامة كتبت على الشَّمع وإذا صار إلى حاجة نفسه دعا بسراجِهِ .

فقامت فدخلت عليه فإذا بين يديه أفراسٌ وشيءٌ من ملحٍ وزيتٍ وهو يتعشى فقالت يا أمير المؤمنين أتيتُ لحاجةٍ لي ثم رأيتُ أن أبدأ بك قبل حاجتي قال : وما ذاك يا عمّة ؟ قالت : لو اتَّخذت لك طعاماً ألين من هذا ؟ قال : ليس عندي يا عمّة ولو كان عندي لفعلت .

قالت : يا أمير المؤمنين كان عمك عبدُ الملك يُجري عليّ كذا وكذا ثم كان أخوك الوليدُ فزادني ثم كان أخوك سليمانُ فزادني ثم وليت أنت فقطعتُه عني قال : يا عمّة إن عمي عبد الملك وأخي الوليد وأخي سليمان كانوا يُعطونك من مالِ المسلمين .

وكان سليمانُ بنُ عبد الملك قد أمر لعنيسةَ بنِ سعدٍ بنِ العاصِ من البيتِ الأمويِّ بعشرين ألفِ دينارٍ فدارت المعاملة في الدواوين حتى انتهت إلى ديوانِ الحتم فلم يبق إلا قبضُها فتوفي سليمانُ قبل أن يقبضها .

وكان عنيسةُ صديقاً لعمر بنِ عبد العزيزِ فعدا يطلبُ من عمر ما أمر له به سليمانُ فوجد بني أُميّة حُضوراً ببابِ عمر بنِ عبد العزيزِ يُريدون الإذنَ عليه ليكلّموه في أمورهم فلما رأوا صديقَ عمر عنيسةَ قالوا : ننتظر ماذا يعملُ معه قبل أن نُكلّمه .

فدخلَ عنيسةُ عليه فقال له : يا أمير المؤمنين إن أمير المؤمنين سليمانُ كان قد أمر لي بعشرين ألفِ دينارٍ حتى وصلت إلى ديوانِ الحتم ولم يبق إلا أن أقبضها فتوفي قبل أن أقبضها وأمير المؤمنين أولى

بِاسْتِثْمَامِ الصَّنِيعَةِ عِنْدِي وَمَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ أَعْظَمُ مِمَّا كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ سُلَيْمَانَ .  
فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : كَمْ ذَلِكَ ؟ قَالَ : عَشْرُونَ أَلْفَ دِينَارٍ . قَالَ عُمَرُ : عَشْرُونَ أَلْفَ دِينَارٍ  
تُغْنِي أَرْبَعَةَ آلَافِ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَدْفَعُهَا إِلَى رَجُلٍ وَاحِدٍ وَاللَّهِ مَا لِي إِلَى ذَلِكَ مِنْ  
سَبِيلٍ .

قَالَ عُنْبَسَةُ : فَرَمَيْتُ بِالْكِتَابِ الَّذِي فِيهِ الصَّكُّ . فَقَالَ عُمَرُ : لَا عَلَيْكَ أَنْ يَكُونَ مَعَكَ  
فَلَعَلَّهُ أَنْ يَأْتِي مَنْ هُوَ أَجْرًا عَلَى هَذَا الْمَالِ مِنِّي فَيَأْمَرَ لَكَ بِهِ . فَأَخَذْتُهُ وَخَرَجْتُ إِلَى بَنِي أُمَيَّةَ  
وَأَعْلَمْتُهُمْ مَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا : لَيْسَ بَعْدَ هَذَا شَيْءٌ ارْجِعْ إِلَيْهِ فَاسْأَلْهُ أَنْ يَأْذَنَ لَنَا فِي  
الْبُلْدَانِ .

فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ قَوْمَكَ بِالْبَابِ يَسْأَلُونَكَ أَنْ تُجْرِيَ عَلَيْهِمْ مَا كَانَ  
يُجْرَى عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِكَ . فَقَالَ عُمَرُ : وَاللَّهِ مَا هَذَا الْمَالُ لِي وَمَا لِي إِلَى ذَلِكَ مِنْ سَبِيلٍ .  
قُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَيَسْأَلُونَكَ أَنْ تَأْذَنَ لَهُمْ يَضْرِبُوا فِي الْبُلْدَانِ . قَالَ : مَا شَاءُوا ذَلِكَ  
لَهُمْ وَقَدْ أَذِنْتُ لَهُمْ . قُلْتُ : وَأَنَا أَيْضًا ؟ قَالَ : وَأَنْتِ أَيْضًا قَدْ أَذِنْتُ لَكَ وَلِكَيْ أَرَى لَكَ أَنْ  
تُقِيمَ فَإِنَّكَ رَجُلٌ كَثِيرُ النَّقْدِ وَأَنَا أبيعُ تَرْكَةَ سُلَيْمَانَ فَلَعَلَّكَ تَشْتَرِي مِنْهَا مَا يَكُونُ لَكَ فِي رِجْهِ  
عَوَضٌ مِمَّا فَاتَكَ .

قَالَ : فَأَقَمْتُ فَاشْتَرَيْتُ مِنْ تَرْكَةِ سُلَيْمَانَ مِائَةَ أَلْفٍ فَخَرَجْتُ بِهَا إِلَى الْعِرَاقِ فَبِعْتُهَا بِمِائَتِي  
أَلْفِ دِينَارٍ وَحَبَسْتُ الصَّكَّ فَلَمَّا تُوِّجَّ عُمَرُ وَوَلِيَ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ أَتَيْتُهُ بِكِتَابِ سُلَيْمَانَ  
فَأَنْفَذَ لِي مَا كَانَ فِيهِ .

وَكَانَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَنْظُرُ لَيْلًا فِي أَحْوَالِ الرَّعِيَّةِ فِي ضَوْءِ السَّرَاحِ فَجَاءَ غُلَامٌ لَهُ فَحَدَّثَهُ  
فِي شَأْنِ حَاصِّ بَعْمَرَ فَقَالَ عُمَرُ لِلْغُلَامِ :

أَطْفَى سِرَاحَ بَيْتِ الْمَالِ ثُمَّ حَدَّثَنِي لِأَنَّ الدُّهْنَ مِنْ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ وَلَا يَجُوزُ اسْتِعْمَالُهُ إِلَّا فِي أَشْعَالِ الْمُسْلِمِينَ .

وَعَنْ الْفَهْرِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : كَانَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَقْسِمُ تَفَاحَ الْفِيءِ فَتَنَاولَ ابْنُهُ تَفَاحَةً فَأَنْتَزَعَهَا مِنْهُ عُمَرُ وَأَوْجَعَ فَمَهُ فَسَعَى إِلَى أُمِّهِ فَأَرْسَلَتْ إِلَى السُّوقِ وَاشْتَرَتْ لَهُ تَفَاحًا .

فَلَمَّا رَجَعَ عُمَرُ وَجَدَ رِيحَ التُّفَاحِ فَقَالَ لِزَوْجَتِهِ فَاطِمَةَ : هَلْ فِي الْبَيْتِ شَيْءٌ مِنْ هَذَا الْفِيءِ ؟ قَالَتْ : لَا وَقَصَّتْ عَلَيْهِ الْقِصَّةَ فَقَالَ : وَاللَّهِ لَقَدْ أَنْتَزَعْتُهَا مِنْ ابْنِي وَكَأَنَّمَا أَنْتَزَعْتُهَا مِنْ قَلْبِي وَلَكِنْ كَرِهْتُ أَنْ أُضِيعَ نَفْسِي بِتَفَاحَةٍ مِنْ فِيءِ الْمُسْلِمِينَ .

وَذَكَرَ أَنَّهُ كَانَ فِي زَمَنِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَحَطُّ عَظِيمٌ فَوَفَدَ عَلَيْهِ قَوْمٌ مِنَ الْعَرَبِ فَاخْتَارُوا مِنْهُمْ رَجُلًا لِحِطَابِهِ .

فَقَالَ ذَلِكَ الرَّجُلُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّا أَتَيْنَاكَ مِنْ ضَرُورَةٍ عَظِيمَةٍ وَقَدْ يَبَسَتْ جُلُودُنَا عَلَى أَجْسَادِنَا لِفَقْدِ الطَّعَامِ وَرَاحَتِنَا فِي بَيْتِ الْمَالِ .

وَهَذَا الْمَالُ لَا يَحُلُو مِنْ ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ . إِمَّا أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ . أَوْ لِعِبَادِ اللَّهِ . أَوْ لَكَ فَإِنْ كَانَ لِلَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَنِّي عَنْهُ وَإِنْ كَانَ لِعِبَادِ اللَّهِ فَآتِهِمْ إِيَّاهُ .

وَإِنْ كَانَ لَكَ فَتَصَدَّقْ بِهِ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ .

فَتَعَزَّزَتْ عَيْنَا عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بِالدُّمُوعِ وَقَالَ : هُوَ كَمَا ذَكَرْتَ وَأَمَرَ بِحَوَائِجِهِمْ فَمُضِيَتْ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ .

فَهَمَّ الْأَعْرَابِيُّ بِالْخُرُوجِ . فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : أَيُّهَا الْإِنْسَانُ الْحُرُّ كَمَا أَوْصَلْتَ إِلَيَّ حَوَائِجَ عِبَادِ اللَّهِ وَأَسْمَعْتَنِي كَلَامَهُمْ فَأَوْصِلْ كَلَامِي وَارْفَعْ حَاجَتِي إِلَى اللَّهِ تَعَالَى .

فَحَوَّلَ الْأَعْرَابِيُّ وَجْهَهُ قِبَلَ السَّمَاءِ . وَقَالَ : إِلَهِي اصْنَعْ مَعَ عُمَرَ بْنِ



عَبْدُ الْعَزِيزِ كَصْنِيعِهِ فِي عِبَادِكَ فَمَا اسْتَتَمَ الْأَعْرَابِيُّ كَلَامَهُ حَتَّى ارْتَفَعَ غَيْمٌ فَأَمْطَرَ مَطَرًا غَزِيرًا .  
 وَكَانَ لِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ غُلَامٌ وَكَانَ حَازِنًا لِبَيْتِ الْمَالِ وَكَانَ لِعُمَرَ بَنَاتٌ فَجِئْنَهُ يَوْمَ عَرَفَةَ  
 وَقُلْنَ لَهُ : غَدَا الْعِيدُ وَنِسَاءُ الرَّعِيَّةِ وَبَنَاتُهُمْ يُلْمَنَّا وَيُقْلَنَ : أَنْتُنَّ بَنَاتُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ .  
 وَتَرَكَنَّ عَرِيَانَاتٍ لَا أَقْلَ مِنْ ثِيَابٍ تَلْبَسْنَهَا وَبَكَينَ عِنْدَهُ فَضَاقَ صَدْرُ عُمَرَ فَدَعَا غُلَامَهُ  
 الْحَازِنَ وَقَالَ لَهُ : أَعْطِنِي مُشَاهِرَتِي لِشَهْرٍ وَاحِدٍ .  
 وَقَالَ الْحَازِنُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ تَأْخُذُ الْمُشَاهِرَةَ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ سَلْفًا أَتَظُنُّ أَنَّ لَكَ عُمَرَ  
 شَهْرٍ فَتَأْخُذُ مُشَاهِرَةَ شَهْرٍ فَتَحَيَّرَ عُمَرُ .  
 وَقَالَ : نَعَمْ مَا قُلْتَ أَيُّهَا الْعُلَامُ بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ . ثُمَّ التَفَّتْ إِلَى بَنَاتِهِ وَقَالَ : أَكْظِمْنَ  
 شَهَوَاتِكُنَّ فَإِنَّ الْجَنَّةَ لَا يَدْخُلُهَا أَحَدٌ إِلَّا بِمَشَقَّةٍ .  
 سُئِلَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ مَا كَانَ سَبَبَ تَوْبَتِكَ قَالَ : كُنْتُ أَضْرِبُ يَوْمًا غُلَامًا فَقَالَ لِي :  
 ادْكُرِ اللَّيْلَةَ الَّتِي تَكُونُ صَبِيحَتِهَا الْقِيَامَةَ فَعَمِلَ ذَلِكَ الْكَلَامَ فِي قَلْبِي .  
 رَأَى بَعْضُ الْأَكَابِرِ هَارُونَ الرَّشِيدَ فِي عَرَفَاتٍ وَهُوَ حَافٍ حَاسِرٌ قَائِمٌ عَلَى الرَّمَضَاءِ الْحَارَةِ .  
 وَقَدْ رَفَعَ يَدَيْهِ وَهُوَ يَقُولُ : إِلَهِي أَنْتَ أَنْتَ وَأَنَا أَنَا الَّذِي دَأْبِي كُلَّ يَوْمٍ أَعُودُ إِلَى عَصِيَانِكَ  
 وَدَأْبُكَ أَنْ تَعُودَ إِلَيَّ بِرَحْمَتِكَ .  
 فَقَالَ بَعْضُ الْكُبَرَاءِ : انظُرُوا إِلَى تَضَرُّعِ جَبَّارِ الْأَرْضِ بَيْنَ يَدَيْ جَبَّارِ السَّمَاءِ .  
 سَأَلَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَوْمًا أَبَا حَازِمٍ الْمُوعِظَةَ فَقَالَ لَهُ أَبُو حَازِمٍ : إِذَا نِمْتَ فَضِعْ الْمَوْتَ  
 تَحْتَ رَأْسِكَ .  
 وَكُلُّ مَا أَحْبَبْتَ أَنْ يَأْتِيكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَيْهِ مُصْرٌ فَأَلْزِمَهُ وَكُلُّ مَا لَا تُرِيدُ

أَنْ يَأْتِيكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَيْهِ فَاجْتَنِبْهُ فَرُبَّمَا كَانَ الْمَوْتُ مِنْكَ قَرِيبًا .  
فَيَنْبَغِي لِصَاحِبِ الْوَلَايَةِ أَنْ يَجْعَلَ هَذِهِ الْحِكَايَةَ نَصَبَ عَيْنِيهِ وَأَنْ يَقْبَلَ الْمَوَاعِظَ الَّتِي وَعِظَ  
بِهَا غَيْرُهُ .

فَكُلَّمَا رَأَى عَالِمًا عَامِلًا يَعْلَمُهُ لَيْسَ مِنْ عُلَمَاءِ الدُّنْيَا زَاهِدًا فِيهَا عَلَى طَرِيقَةِ السَّلَفِ  
الصَّالِحِ سَأَلَهُ أَنْ يَعِظَهُ .

وَيَنْبَغِي لِلْعُلَمَاءِ أَنْ يَعِظُوا الْمُلُوكَ بِمِثْلِ هَذِهِ الْمَوَاعِظِ وَلَا يَعْرُوهُمْ وَلَا يَدَّحِرُوا عَنْهُمْ كَلِمَةَ  
الْحَقِّ وَكُلُّ مَنْ عَرَّهْمَ فَهُوَ مُشَارِكٌ لَهُمْ .

وعن الفضل بن الربيع حاجب هارون الرشيد قَالَ : أُرْسِلَ إِلَيَّ الرَّشِيدَ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَحَضَرْتُ  
إِلَيْهِ فَلَمَّا دَخَلْتُ عَلَيْهِ وَجَدْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ ضَبَارَةَ سَيْوْفٍ وَأَنْوَعًا مِنْ آلَاتِ الْعَذَابِ .

فَقَالَ : يَا فَضْلُ . فَقُلْتُ : لَبَّيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ : عَلَيَّ بِهَذَا الْحِجَازِيِّ يَعْنِي  
الشَّافِعِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ مُعْضَبُ السَّاعَةِ السَّاعَةِ .

فَخَرَجْتُ وَبِي مِنَ النِّعَمِ وَالْحُزْنِ مَا لَا يُوصَفُ لِمَحَبَّتِي لِلشَّافِعِيِّ لِفَصَاحَتِهِ وَبِرَاعَتِهِ وَبِلَاغَتِهِ  
وَعَقْلِهِ فَجِئْتُ إِلَى بَابِهِ .

فَأَمَرْتُ مَنْ دَقَّ عَلَيْهِ الْبَابَ فَتَنَحَّحَ فَعَلِمْتُ أَنَّهُ يُصَلِّيُ فَوَقَفْتُ حَتَّى فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ وَفَتَحَ  
الْبَابَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ .

وَقُلْتُ لَهُ : أَجِبْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ : سَمِعًا وَطَاعَةً وَجَدَدَ الْوُضُوءَ وَارْتَدَى وَرَكَعَ رَكَعَتَيْنِ  
وَخَرَجَ يَمْشِي فَمِنْ شَفَقَتِي عَلَيْهِ قُلْتُ : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ قِفْ لِتَسْتَرِيحَ بَيْنَمَا أَسْتَأْذِنُ .

فَدَخَلْتُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَإِذَا هُوَ عَلَى حَالِهِ فِي غَضَبِهِ فَلَمَّا رَأَيْتَنِي قَالَ : أَيُّنَ الْحِجَازِيِّ ؟  
قُلْتُ : عِنْدَ السِّتْرِ . فَقَالَ : مُرْهُ بِالْدُّخُولِ . فَجِئْتُ إِلَيْهِ وَأَمَرْتُهُ بِالْدُّخُولِ .

فَدَخَلَ يَمْشِي مُطْمَئِنًّا غَيْرَ فَرْعٍ وَلَا خَائِفٍ وَلَا قَلِقٍ وَلَا مُنْزَعَجٍ ثُمَّ بَدَأَ يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ وَوَجْهَهُ مُسْتَنْبِرٌ .

فَلَمَّا دَخَلَ وَبَصُرَ بِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ قَامَ إِلَيْهِ قَائِمًا وَاسْتَقْبَلَهُ وَاعْتَنَقَهُ وَجَعَلَ يُقَبِّلُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَهَشَّ بِهِ وَبَشَّ .

وَقَالَ : مَرَحَبًا بِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ لَمْ لَا تَزُورُنَا وَتَكُونُ عِنْدَنَا فَإِنِّي إِلَيْكَ مَشْتَاقٌ وَأَجْلَسَهُ مَكَانَهُ وَقَعَدَ إِلَى جَانِبِهِ وَتَحَدَّثَ مَعَهُ سَاعَةً .

ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِبِدْرَةِ مِنَ الذَّهَبِ فَقَالَ الشَّافِعِيُّ : لَا أَرَبَ لِي فِيهِ فَسَأَلَهُ أَنْ يَقْبَلَهُ فَقَبِلَهُ غَيْرَ مُكْتَرِتٍ بِهِ ( يَعْنِي مَا هُمُّهُ ) .

ثُمَّ أَمَرَنِي أَنْ أُرُدَّهُ إِلَى دَارِهِ وَأَنْ تُحْمَلَ الْبِدْرَةُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَمَّا خَرَجْنَا جَعَلَ يَعْطِي كُلَّ مَنْ رَأَاهُ وَكُلَّ مَنْ سَأَلَهُ يَمِينًا وَشِمَالًا حَتَّى وَصَلَ إِلَى مَنْزِلِهِ وَمَا مَعَهُ مِنْهَا شَيْءٌ .

فَلَمَّا دَخَلَ مَنْزِلَهُ وَاطْمَأَنَّ بِهِ الْجُلُوسُ قَعَدْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَقُلْتُ لَهُ : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ قَدْ عَرَفْتُ مَحَبَّتِي لَكَ وَشَفَقَتِي عَلَيْكَ وَإِنِّي شَاهَدْتُ غَضَبَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي ابْتِدَاءِ طَلَبِهِ إِيَّاكَ .

ثُمَّ لَمَّا دَخَلْتُ عَلَيْهِ رَأَيْتُ مِنْهُ مِنَ التَّوَاضِعِ وَالتَّوَدُّدِ وَالإِجْلَالِ وَالإِكْرَامِ لَكَ مَا سَرَّيْتُ وَكُنْتُ رَأْيَتِكَ حَرَكْتَ شَفَتَيْكَ عِنْدَ دُخُولِكَ عَلَيْهِ .

فَبِالَّذِي سَكَنَ غَضَبُهُ عَلَيْكَ وَسَخَّرَهُ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنِي مَا كُنْتُ تَقُولُ فِي دُخُولِكَ مَعِي عَلَيْهِ .  
فَقَالَ : حَدَّثَنِي نَافِعٌ عَنْ ابْنِ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَرَأَهُ يَوْمَ الْأَحْزَابِ فَهَزَمَهُمُ اللَّهُ وَنَصَرَهُمْ عَلَى عَدُوِّهِمْ .

وَهُوَ هَذَا ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ \* إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴿ ثُمَّ قَالَ : وَأَنَا

أَشْهَدُ بِمَا شَهِدَ بِهِ اللَّهُ وَأَسْتَوِدِعُ اللَّهَ هَذِهِ الشَّهَادَةَ وَدِيْعَةً لِي عِنْدَ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .  
اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِنُورِ قُدْسِكَ وَعَظِيمِ بَرَكَتِكَ وَعَظْمَةِ طَهَارَتِكَ وَبِرَكَّةِ جَلَالَتِكَ مِنْ كُلِّ آفَةٍ  
وَعَاهَةٍ .

وَمِنْ طَوَارِقِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِلَّا طَارِقًا يَطْرُقُ بِخَيْرٍ يَا رَحْمَنُ .  
اللَّهُمَّ أَنْتَ غِيَاثِي فِيكَ اسْتَعِيْثُ وَأَنْتَ مَلَاذِي فِيكَ أَلُوذُ وَأَنْتَ عِيَاذِي فِيكَ أَعُوذُ يَا مَنْ  
ذَلَّتْ لَهُ رِقَابُ الْجَبَابِرَةِ وَخَضَعَتْ لَهُ أَعْنَاقُ الْفِرَاعِنَةِ .

أَعُوذُ بِكَ مِنْ خَزِيكَ وَمِنْ كَشْفِ سِتْرِكَ وَمِنْ نَسْيَانِ ذِكْرِكَ وَالْإِنْصِرَافِ عَن شُكْرِكَ .  
أَنَا فِي حَزْرِكَ وَتَحْتَ كَنْفِكَ لَيْلِي وَنَهَارِي وَنَوْمِي وَفَرَارِي وَظَعْنِي وَأَسْفَارِي وَحَرَكَاتِي وَسَكْنَاتِي  
وَحَيَاتِي وَمَمَاتِي وَجَمِيعِ سَاعَاتِي وَأَوْقَاتِي .

ذِكْرُكَ شِعَارِي وَتَنَاوُكَ دِنَارِي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ وَلَا مَعْبُودَ سِوَاكَ .  
سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ تَشْرِيفًا لِعَظَمَتِكَ وَتَكْرِيمًا لِسُبْحَاتِ وَجْهِكَ وَإِقْرَارًا بِصَمَدَانِيَّتِكَ .  
وَاعْتِرَافًا بِوَحْدَانِيَّتِكَ وَتَنْزِيْهَا لَكَ عَمَّا يَقُولُ الْكَافِرُونَ وَالظَّالِمُونَ وَالْجَاهِلُونَ تَعَالَيْتَ عَن  
ذَلِكَ غُلُوًّا كَبِيرًا .

اللَّهُمَّ أَجْرِي مِنْ خَزِيكَ وَمِنْ شَرِّ عِبَادِكَ وَاضْرِبْ عَلَيَّ سَرَادِقَاتِ حِفْظِكَ وَأَدْخِلْنِي فِي  
حِفْظِكَ وَعِنَايَتِكَ وَجُدْ عَلَيَّ مِنْكَ بِخَيْرٍ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .  
إِلَهِي كَيْفَ أَخَافُ وَأَنْتَ أَمَلِي أَمْ كَيْفَ أَضَامُ وَعَلَيْكَ تَوَكَّلِي أَمْ كَيْفَ أَقْهَرُ وَأَنْتَ عِمَادِي أَمْ  
كَيْفَ أَعْلَبُ وَعَلَيْكَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ اعْتِمَادِي ضَرَبْتُ وَجْهَ كُلِّ

حَاسِدٍ وَحَسَدٍ وَرَاصِدٍ رَصَدَ وَظَالِمٍ كَنَدَ ب ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ \* اللَّهُ الصَّمَدُ \* لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ \*  
وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ .

وَفِي مُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ وَصَحِيحِ ابْنِ جَبَّانٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ مَرْفُوعًا : « مَا أَصَابَ  
عَبْدٌ هَمًّا وَلَا غَمًّا وَلَا حُزْنَ فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ بِنِ عَبْدِكَ بِنِ أُمَّتِكَ نَاصِيَتِي بِيَدِكَ مَاضٍ فِي  
حُكْمِكَ عَدْلٌ فِي قَضَائِكَ .

أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ  
أَوْ اسْتَأْذَنْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدِكَ .

أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رِبْعَ قَلْبِي وَنُورَ صَدْرِي وَجَلَاءَ حُزْنِي وَذَهَابَ هَمِّي .  
إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ حُزْنَهُ وَهَمَّهُ وَابْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَحًا » .

وَمِنْ أَدْعِيَةِ الْمُضْطَّرِّينَ يَا وَدُودَ يَا ذَا الْعَرْشِ الْمَجِيدِ يَا مُبْدِيَّ يَا مُعِيدُ يَا فَعَّالَ لِمَا تُرِيدُ  
أَسْأَلُكَ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي مَلَأَ أَرْكَانَ عَرْشِكَ وَبِقُدْرَتِكَ الَّتِي قَدَرْتَ بِهَا عَلَى جَمِيعِ خَلْقِكَ  
وَبِرَحْمَتِكَ الَّتِي وَسَعَتْ كُلَّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ يَا مُغِيثُ أَغْنِنِي اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ مِنَّا يَسِيرَ الْأَعْمَالِ ،  
وَهَبْ لَنَا إِسَاءَتَنَا فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ وَسَاحِنَا عَنِ الْعُقَلَةِ وَالْإِهْمَالِ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ  
الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

### ( فَضْلٌ )

دَعَا الْمَنْصُورُ أَبَا حَنِيفَةَ وَالشُّورِيَّ وَمِسْعَرًا وَشَرِيكَ لِيُوَلِّيَهُمُ الْقَضَاءَ .

فَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ : أَنَا أَتَّحَمُّقُ فَأَقَالَ وَأَتَّخَلَّصُ .

وَأَمَّا مِسْعَرُ فَيَتَّجَانُ ( أَيُّ يُظْهِرُ كَأَنَّهُ بَجُنُونٍ ) وَيَتَّخَلَّصُ .

وَأَمَّا سُفْيَانُ فَيَهْرَبُ .

وَأَمَّا شَرِيكُ فَيَقْعُ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى الْمَنْصُورِ قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ : أَنَا رَجُلٌ مَوْلَى وَلَسْتُ مِنْ

الْعَرَبِ .

وَلَا تَكَاذُ الْعَرَبُ تَرْضَى بَأْنَ يَكُونُ عَلَيْهِمْ مَوْلَى وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنِّي لَا أَصْلِحُ لِهَذَا الْأَمْرِ فَإِن كُنْتُ صَادِقًا فِي قَوْلِي فَلَا أَصْلِحُ لِلْقَضَاءِ .

وَإِن كُنْتُ كَاذِبًا فَلَا يَجُوزُ لَكَ أَنْ تُوَلِّيَ كَاذِبًا دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ وَأَمْوَالَهُمْ وَفُرُوضَهُمْ .  
وَأَمَّا سُفْيَانُ فَأَدْرَكَهُ الْمُشْحِصُ فِي طَرِيقٍ فَذَهَبَ لِحَاجَتِهِ فَانصَرَفَ الْمُشْحِصُ يَنْتَظِرُ فَرَاعَهُ .  
فَرَأَى سُفْيَانُ سَفِينَةً فَقَالَ لِلْمَلَّاحِ قَائِدِ السَّفِينَةِ : إِنْ مَكَّنْتَنِي مِنْ سَفِينَتِكَ وَإِلَّا دُبِحْتُ بِغَيْرِ سِكِّينٍ .

تَأَوَّلَ قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ : « مِنْ وُلِي الْقَضَاءِ فَقَدْ ذُبِحَ بِغَيْرِ سِكِّينٍ » . فَأَخْفَاهُ الْمَلَّاحُ تَحْتَ السَّارِيَةِ .

وَأَمَّا مِسْعَرُ بْنُ كَدَّامٍ فَدَخَلَ عَلَى الْمَنْصُورِ فَقَالَ لَهُ : هَاتِ يَدَكَ كَيْفَ أَنْتَ وَالذَّوَابِ وَالْأَوْلَادِ فَقَالَ : أَخْرِجُوهُ فَإِنَّهُ مَجْنُونٌ .

وَأَمَّا شَرِيكَ فَقَالَ لَهُ الْمَنْصُورُ : تَقَلَّدَ فَقَالَ لَهُ : أَنَا رَجُلٌ خَفِيفُ الدِّمَاغِ فَقَالَ : تَقَلَّدَ وَعَلَيْكَ بِالنَّبِيذِ الشَّدِيدِ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْكَ عَقْلُكَ فَتَقَلَّدَ .

فَهَجَرَهُ الثَّوْرِيُّ وَقَالَ لَهُ : أَمْكَنَكَ الْهَرَبُ فَلَمْ تَهْرَبْ .  
وَكَتَبَ الْخَلِيفَةُ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ وَهْبٍ فِي قَضَاءِ مِصْرَ فَتَحَنَّنَ نَفْسَهُ وَلَزِمَ بَيْتَهُ فَاطَّلَعَ عَلَيْهِ رَاشِدُ بْنُ سَعْدٍ وَهُوَ يَتَوَضَّأُ فِي صَحْنِ دَارِهِ .

فَقَالَ : أبا محمد ألا تَخْرُجُ إِلَى النَّاسِ فَتَقْضِي بَيْنَهُمْ بَكْتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ فَقَدْ جَنَنْتُ نَفْسَكَ وَلَزِمْتَ بَيْتَكَ .

فَرَفَعَ إِلَيْهِ رَأْسَهُ وَقَالَ : إِلَى هَا هُنَا عَقْلُكَ إِنَّ الْعُلَمَاءَ يُحْشَرُونَ مَعَ الْأَنْبِيَاءِ وَإِنَّ الْقَضَاءَ يُحْشَرُونَ مَعَ السَّلَاطِينِ أَهْ .

بَلِّغْ يَا أَخِي الَّذِينَ يُرْشِحُونَ أَنْفُسَهُمْ لِلْقَضَاءِ وَيُعْمَلُونَ الْوَسَائِطَ لِلْحُصُولِ عَلَيْهِ وَهُمْ غَيْرُ أَهْلِ لَهُ لَمْ يَجْتَمِعْ فِيهِمُ الشَّرُوطُ وَلَا يُحْسِنُونَ الْقَضَاءَ .

وَدَعَا الْخَلِيفَةَ أَيَّامَ الْمِحْنَةِ مُحَمَّدَ بْنَ مُقَاتِلِ الرَّازِيِّ وَأَبَا الصَّلْتِ عَبْدَ السَّلَامِ فَقَالَ لِمُحَمَّدِ ابْنِ مُقَاتِلٍ : مَا تَقُولُ فِي الْقُرْآنِ ؟

قَالَ : أقول التوراة ، والإنجيل ، والزيور ، والفرقان ، فإنَّ هذه الأربعة وأشار إلى أصابعه الأربعة مَخْلُوقَةٌ .

فظنوا أنه يُريدُ الكتبَ المنزلة وهو يُريدُ أصابعَ يديه الأربعة فنَجَا .

فَقَالَ لِلآخِرِ وهو أبو الصَّلْتِ : ما تقول ؟ فَقَالَ : تَعَزَّى يا أمير المؤمنين .

قَالَ : عن مَنْ وَيَلْكَ ؟ قَالَ عن الْقُرْآنِ فَإِنَّهُ مَاتَ . قَالَ : فَكَيْفَ ؟ قَالَ : إِنْ كَانَ مَخْلُوقًا فَإِنَّهُ يَمُوتُ .

وَأُدْحَلُ عِبَادَةُ عَلِيِّ الْوَائِقِ وَالنَّاسُ يُضْرَبُونَ وَيُقْتَلُونَ فِي الْإِمْتِحَانِ بِالْقُرْآنِ قَالَ عُبَادَةُ : فَقُلْتُ فِي نَفْسِي وَاللَّهِ لَئِنْ اِمْتَحَنَنِي قَتَلَنِي فَبَدَأْتُ بِهِ فَقُلْتُ : عَظَّمَ اللَّهُ أَجْرَكَ أَيُّهَا الْخَلِيفَةُ . قَالَ : فِيمَنْ ؟ فَقُلْتُ : فِي الْقُرْآنِ . قَالَ : وَيُحْكَمُ وَالْقُرْآنُ يَمُوتُ ؟ قُلْتُ كُلُّ مَخْلُوقٍ يَمُوتُ إِذَا مَاتَ الْقُرْآنُ فِي شِعْبَانِ فَبَأَي شَيْءٍ يَصْلِي النَّاسَ فِي رَمَضَانَ . فَقَالَ الْوَائِقُ : أَخْرِجُوهُ فَإِنَّهُ مَجْنُونٌ .

فائدة نفيسة : قَالَ أَحَدُ الْعُلَمَاءِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى : اعْلَمْ أَنَّ الدُّنْيَا رَأْسٌ كُلِّ خَطِيئَةٍ كَمَا قَالَ ρ وقد صارت عِدْوَةً لِلَّهِ وَعِدْوَةً لِأَوْلِيَائِهِ وَعِدْوَةً لِأَعْدَائِهِ ، أَمَا عَدَاوَتُهَا لِلَّهِ تَعَالَى فَلِأَنَّهَا قَطَعَتْ الطَّرِيقَ بَيْنَهُ وَأَوْلِيَائِهِ .

ولهذا فَإِنَّهُ لَمْ يَنْظُرْ إِلَيْهَا مُنْذُ خَلَقَهَا ، وَأَمَّا عَدَاوَتُهَا لِأَوْلِيَائِهِ فَلِأَنَّهَا تَزَيَّنَتْ لَهُمْ بِزِينَتِهَا وَعَمَرَتْهُمْ بِزَهْرَتِهَا وَتَزَهَّتْ لَهُمْ بِبَضَارَتِهَا حَتَّى بَجَّرَعُوا مَرَارَاتِ الصَّبْرِ فِي مُقَاتَلَتِهَا وَتَحَمَّلُوا الْمَشَاقِقَ فِي الْبُعْدِ مِنْهَا . وَأَمَّا عَدَاوَتُهَا لِأَعْدَائِهِ فَلِأَنَّهَا اسْتَدْرَجَتْهُمْ بِمَكْرِهِا وَمَكَائِدِهَا وَاقْتَنَصَتْهُمْ بِجَبَائِلِهَا وَأَقْصَدَتْهُمْ بِسَهَامِهَا حَتَّى وَثِقُوا بِهَا وَعَوَّلُوا عَلَيْهَا .

فَخَذَلَتْهُمْ أَحْوَجَ مَا كَانُوا إِلَيْهَا وَغَدَرَتْ بِهِمْ أَسْكَنَ مَا كَانُوا إِلَيْهَا فَاجْتَنَبُوا مِنْهَا حَسْرَةً تَنْقَطِعُ دُونَهَا الْأَكْبَادُ . وَحَرَمَتْهُمْ السَّعَادَةَ الْأَخْرَوِيَّةَ عَلَى طُولِ الْأَمَادِ فَإِنَّتِيهِ يَا مَنْ اعْتَرَّتْ بِهَا قَبْلَ أَنْ يُصِيبَكَ مِثْلَ مَا أَصَابَ الْمُغْتَرِّينَ بِهَا .

وَقَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ : إِذَا كَانَ أَبُوْنَا آدَمَ بَعْدَ مَا قِيلَ لَهُ : أُسْكُنْ أَنْتَ وَرَوْحُكَ الْجَنَّةَ صَدَرَ مِنْهُ ذَنْبٌ وَاحِدٌ فَأَمَرَ بِالْخُرُوجِ مِنَ الْجَنَّةِ فَكَيْفَ نَرْجُوا دُخُولَهَا مَعَ مَا نَحْنُ مُقِيمُونَ عَلَيْهِ مِنَ الذُّنُوبِ الْمُتَتَابِعَةِ وَالْخَطَايَا الْمُتَوَاتِرَةِ .

كان أبو الفتح المنهى قد برع في الفقه وتقدم عند العوام وحصل له مال كثير ودخل بعُداد وفُوضَ إليه التدريس بالنظامية وأدركه الموت بعمدان .

فلما دنت وفاته قال لأصحابه : أخرجوا . فلما خرجوا عنه جعل يطمم وجهه ويقول : ﴿ يَا حَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ ﴾ ويقول لنفسه موبخاً لها : يَا أَبَا الْفَتْحِ ضَيَّعْتَ الْعُمْرَ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا وَتَحْصِيلِ الْمَالِ وَالْجَاهِ وَالتَّرَدُّدِ إِلَى السَّلَاطِينِ وَيُنْشِدُ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ :

عَجِبْتُ لِأَهْلِ الْعِلْمِ كَيْفَ تَغَافَلُوا      يَجْرُونَ ثُوبَ الْحَرِصِ حَوْلَ الْمَمَالِكِ  
يَدُورُونَ حَوْلَ الظَّالِمِينَ كَأَنَّهُمْ      يَطُوفُونَ حَوْلَ الْبَيْتِ وَقَتِ الْمَنَاسِكِ

أرسل عثمان بن عفان رضي الله عنه مع عبد له كيساً من الدراهم إلى أبي ذر رضي الله عنه وقال لعبده : إن قبل هذا أبو ذر فأنت حر أي عتيق فأتى بالكيس إلى أبي ذر وألح عليه في قبوله فلم يقبل فقال العلام لأبي ذر : إنه علق عني على قبولك هذا الكيس . فقال أبو ذر : لكنني في قبوله رقي .

هذه القصيدة الشيبانية عدلنا فيها بعض أبيات وكان بعضها فيه شيء لا يصلح .

سَأَحْمَدُ رَبِّي طَاعَةً وَتَعَبُّدًا      وَأَنْظِمُ عِقْدًا فِي الْعَقِيدَةِ أَوْحَدًا  
وَأَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ لَا رَبَّ غَيْرَهُ      تَعَزَّزَ قَدَمًا بِالْبَقَاءِ وَتَفَرَّدَا  
هُوَ الْأَوَّلُ الْمُبْدِي بَعِيرِ بَدَايَةِ      ( وَلَا بَعْدَهُ شَيْءٌ عَلا وَتَوَحَّخَدَا )  
سَمِيعٌ بَصِيرٌ عَالِمٌ مُتَكَلِّمٌ      قَدِيرٌ يُعِيدُ الْعَالَمِينَ كَمَا بَدَا  
مُرِيدٌ أَرَادَ الْكَائِنَاتِ لَوْفَتِهَا      قَدِيرٌ فَانْشَأَ مَا أَرَادَ وَأَوْجَدَا  
إِلَهٌ عَلَى عَرْشِ السَّمَاءِ قَدِ اسْتَوَى      وَبَايَنَ مَخْلُوقَاتِهِ وَتَوَحَّخَدَا  
إِذِ الْكُونُ مَخْلُوقٌ وَرَبِّي خَالِقٌ      لَقَدْ كَانَ قَبْلَ الْكُونِ رَبًّا وَسَيِّدَا  
وَلَيْسَ كَمِثْلِ اللَّهِ شَيْءٌ وَلَا لَهُ      شَيْءٌ تَعَالَى رُبْنَا وَتَوَحَّخَدَا



وَمَنْ قَالَ فِي الدُّنْيَا يَرَاهُ بِعَيْنِهِ  
 وَخَالَفَ كُتِبَ اللَّهُ وَالرُّسُلَ كُلَّهُمْ  
 وَذَلِكَ مِمَّنْ قَالَ فِيهِ إِلَهَنَا  
 وَلَكِنْ يَرَاهُ فِي الْجَنَانِ عِبَادُهُ  
 وَنَعْتَقِدُ الْقُرْآنَ تَنْزِيلَ رَبِّنَا  
 وَأَنْزَلَهُ وَحِيًّا إِلَيْهِ وَأَنَّه  
 كَلَامٌ كَرِيمٌ مُنَزَّلٌ مِنْ إِلَهِنَا  
 كَلَامٌ إِلَيْهِ الْعَالَمِينَ حَقِيقَةٌ  
 وَمِنْهُ بَدَأَ قَوْلًا وَلَا شَكَّ أَنَّهُ  
 فَمَنْ شَكَّ فِي تَنْزِيلِهِ فَهُوَ كَافِرٌ  
 وَمَنْ قَالَ مَخْلُوقٌ كَلَامٌ إِلَهِنَا  
 وَنُؤْمِنُ بِالْكِتَابِ الَّتِي هِيَ قَبْلَهُ  
 وَإِيمَانُنَا قَوْلٌ وَفِعْلٌ وَبَيِّنَةٌ  
 فَلَا مَذْهَبَ التَّشْبِيهِ نَرْضَاهُ مَذْهَبًا  
 وَلَكِنَّ بِالْقُرْآنِ نَهْدِي وَنَهْتِدِي  
 وَنُؤْمِنُ أَنَّ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ كُلَّهُ  
 فَمَا شَاءَ رَبُّ الْعَرْشِ كَانَ كَمَا يَشَاءُ  
 وَنُؤْمِنُ أَنَّ الْمَوْتَ حَقٌّ وَأَنَّنا  
 وَأَنَّ عَذَابَ الْقَبْرِ حَقٌّ وَأَنَّه  
 وَمُنْكَرُهُ ثُمَّ النَّكِيرُ بِصُحْبَةٍ  
 وَمِيزَانُ رَبِّي وَالصِّرَاطُ حَقِيقَةٌ

فَذَلِكَ زَنْدِيقٌ طَغَى وَتَمَرَّدَا  
 وَزَاعَ عَنِ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ وَأَبْعَدَا  
 يُرَى وَجْهَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَسْوَدَا  
 كَمَا صَحَّ فِي الْأَخْبَارِ نَرْوِيهِ مُسْنَدًا  
 بِهِ جَاءَ جَبْرِيلُ النَّبِيِّ ( مُحَمَّدًا )  
 هُدَى اللَّهُ يَا طُوبَى بِهِ لِمَنْ اهْتَدَى  
 بِأَمْرٍ وَنَهْيٍ وَالِدَلِيلُ تَأَكُّدًا  
 فَمَنْ شَكَّ فِي هَذَا فَقَدْ ضَلَّ وَاعْتَدَى  
 يَعُودُ إِلَى الرَّحْمَنِ حَقًّا كَمَا بَدَأَ  
 وَمَنْ زَادَ فِيهِ قَدْ طَغَى وَتَمَرَّدَا  
 فَقَدْ خَالَفَ الْإِجْمَاعَ جَهْلًا وَأَلْحَدَا  
 وَبِالرُّسُلِ حَقًّا لَا نُفَرِّقُ كَالْعَدَا  
 وَيَزِدَادُ التَّقْوَى وَيَنْقُصُ بِالرَّدَى  
 وَلَا مَقْصَدَ التَّعْطِيلِ نَرْضَاهُ مَقْصَدًا  
 وَقَدْ فَازَ بِالْقُرْآنِ عَبْدٌ قَدِ اهْتَدَى  
 مِنَ اللَّهِ تَقْدِيرًا عَلَى الْعَبْدِ عُدْدَا  
 وَمَا لَمْ يَشَأْ لَا كَانَ فِي الْخَلْقِ مُوَجَّدَا  
 سَنُبْعُ حَقًّا بَعْدَ مَوْتِنَا غَدَا  
 عَلَى الْجِسْمِ وَالرُّوحِ الَّذِي فِيهِ أَلْحَدَا  
 هُمَا يَسْأَلَانِ الْعَبْدَ فِي الْقَبْرِ مُفْعَدَا  
 وَجَنَّتِيهِ وَالنَّارُ لَمْ يُخْلَقَا سُدَى

وَأَنَّ حِسَابَ الْخَلْقِ حَقٌّ أَعَدَّهُ  
 وَحَوْضُ رَسُولِ اللَّهِ حَقًّا أَعَدَّهُ  
 وَيَشْرَبُ مِنْهُ الْمُؤْمِنُونَ وَكُلُّ مَنْ  
 أَبَارَيْقُهُ عَدُوُّ النَّجُومِ وَعَرَضُهُ  
 وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَفْضَلُ مَنْ مَشَى  
 وَأَرْسَلَهُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ رَحْمَةً  
 وَأَسْرَى بِهِ لَيْلًا إِلَى الْعَرْشِ رِفْعَةً  
 وَخَصَّصَ مُوسَى رَبُّنَا بِكَلَامِهِ  
 وَكُلُّ نَبِيٍّ خَصَّهُ بِفَضِيلَةٍ  
 وَأَعْطَاهُ فِي الْحَشْرِ الشَّفَاعَةَ مِثْلُ مَا  
 فَمَنْ شَكَ فِيهَا لَمْ يَنْلَهَا وَمَنْ يَكُنْ  
 وَيَشْفَعُ بَعْدَ الْمُصْطَفَى كُلُّ مُرْسَلٍ  
 وَكُلُّ نَبِيٍّ شَافِعٌ وَمُشَفَّعٌ  
 وَيَغْفِرُ دُونَ الشَّرِكِ رَبِّي لِمَنْ يَشَا  
 وَلَمْ يَبْقَ فِي نَارِ الْجَحِيمِ مُوَحَّدًا  
 وَنَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ خَصَّ رَسُولَهُ  
 فَهُمْ خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ بَعْدَ أَنْبِيَائِهِ  
 وَأَفْضَلُهُمْ بَعْدَ النَّبِيِّ ( مُحَمَّدٍ )  
 لَقَدْ صَدَّقَ الْمُخْتَارَ فِي كُلِّ قَوْلِهِ  
 وَفَادَاهُ يَوْمَ الْغَارِ طَوْعًا بِنَفْسِهِ  
 وَمَنْ بَعْدَهُ الْفَارُوقُ لَا تَنْسَ فَضْلَهُ  
 كَمَا أَخْبَرَ الْقُرْآنُ عَنْهُ وَشَدَّدَا  
 لَهُ اللَّهُ دُونَ الرُّسُلِ مَاءً مَبْرَدًا  
 سُقِيَ مِنْهُ كَأْسًا لَمْ يَجِدْ بَعْدَهُ صَدَا  
 كَبُصْرَى وَصَنَعَا فِي الْمَسَافَةِ حُدُدَا  
 عَلَى الْأَرْضِ مِنْ أَوْلَادِ آدَمَ أَوْ غَدَا  
 إِلَى الثَّقَلَيْنِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ مُرْشِدَا  
 وَأَذْنَاهُ مِنْهُ قَابَ قَوْسَيْنِ مُصْعِدَا  
 عَلَى الطُّورِ نَادَاهُ وَأَسْمَعَهُ النَّدَا  
 وَخَصَّصَ بِالْقُرْآنِ رَبِّي مُحَمَّدَا  
 رُويَ فِي الصَّحِيحَيْنِ الْحَدِيثُ وَأَسْنَدَا  
 شَفِيعًا لَهُ قَدْ فَازَ فَوْزًا وَأَسْعَدَا  
 لِمَنْ عَاشَ فِي الدُّنْيَا وَمَاتَ مُوَحَّدَا  
 وَكُلُّ وَلِيٍّ فِي جَمَاعَتِهِ غَدَا  
 وَلَا مُؤْمِنٌ إِلَّا لَهُ كَافِرٌ فَدَا  
 وَلَوْ قَتَلَ النَّفْسَ الْحَرَامَ تَعْمُدَا  
 بِأَصْحَابِهِ الْأَبْرَارِ فَضْلًا وَأَيَّدَا  
 بِهِمْ يَفْتَدِي فِي الدِّينِ كُلُّ مَنْ افْتَدَى  
 أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ ذُو الْفَضْلِ وَالنَّدَى  
 وَأَمَّنَ قَبْلَ النَّاسِ حَقًّا وَوَحَّدَا  
 وَوَأَسَاهُ بِالْأَمْوَالِ حَتَّى تَجَرَّدَا  
 لَقَدْ كَانَ لِلْإِسْلَامِ حِصْنًا مُشِيدَا

لَقَدْ فَتَحَ الْفَارُوقُ بِالسَّيْفِ عَنُودَهُ  
وَأَظْهَرَ دِينَ اللَّهِ بَعْدَ خَفَائِهِ  
وَعُثْمَانَ ذُو النُّورَيْنِ قَدْ مَاتَ صَائِمًا  
وَجَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرِ يَوْمًا بِمَالِهِ  
وَبَايَعَ عَنْهُ الْمُصْطَفَى بِشِمَالِهِ  
وَلَا تَنْسَ صِرَهِرَ الْمُصْطَفَى وَابْنُ  
وَفَادَى رَسُولَ اللَّهِ طُوعًا بِنَفْسِهِ  
وَمَنْ كَانَ مَوْلَاهُ النَّبِيُّ فَقَدْ عَدَا  
وَطَلَحَتْهُمْ ثُمَّ الزُّبَيْرُ وَسَعَدُهُمْ  
وَكَانَ ابْنُ عَوْفٍ بَاذِلَ الْمَالِ مُنْفِقًا  
وَلَا تَنْسَ بَاقِي صَاحِبِهِ وَأَهْلَ بَيْتِهِ  
فَكُلَّهُمْ أَنَّنَى إِلَهُ عَلَيْهِمْ  
فَلَا تَكُ عَبْدًا رَافِضِيًّا فَتَعْتَدِي  
وَنَسُكْتَ عَن حَرْبِ الصَّابَةِ ۖ فَالَّذِي  
وَقَدْ صَحَّ فِي الْأَخْبَارِ أَنَّ قَتِيلَهُمْ  
فَهَذَا اعْتِقَادُ الشَّافِعِيِّ إِمَامِنَا  
فَمَنْ يَعْتَقِدُهُ كُلُّهُ فَهُوَ مُؤْمِنٌ  
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

#### قصة

تَوَجَّهَ عَافِيَةُ بْنُ يَزِيدِ الْأَوْدِيِّ الْقَاضِي إِلَى الْمَهْدِيِّ يَوْمًا فِي وَقْتِ الظَّهْرِ لِمُقَابَلَتِهِ عَلَى عَجَلٍ .

فَلَمَّا أَذِنَ لَهُ إِذَا بِهِ يَحْمِلُ أَوْرَاقَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَيَسْأَلُ الْمَهْدِيَّ أَنْ يُعْفِيَهُ مِنَ الْقَضَاءِ وَيَسْتَأْذِنَهُ فِي تَسْلِيمِ الْأَوْرَاقِ الَّتِي فِي حَوْزَتِهِ إِلَى مَنْ يَأْمُرُ الْخَلِيفَةُ بِتَسْلِيمِهَا لَهُ .

وَوَظَّنَ الْخَلِيفَةُ أَنَّ الْقَاضِيَّ عَافِيَةَ قَدْ أَقْدَمَ عَلَى طَلْبِ الاسْتِعْفَاءِ مِنَ الْقَضَاءِ لِأَنَّ أَحَدَ رِجَالِ حَاشِيَتِهِ وَمَنْ هُمْ مَحْسُوبُونَ عَلَى الْخَلِيفَةِ قَدْ تَطَاوَلَ عَلَيْهِ أَوْ نَالَ مِنْهُ أَوْ أَسَاءَ مُعَامَلَتَهُ أَوْ أَبْدَى عَدَمَ احْتِرَامٍ لَهُ تَدَخَّلَ فِي شَأْنٍ مِنْ شُؤُونِ قَضَائِهِ فَأَضْعَفَ سُلْطَانَهُ فِي تَنْفِيذِ أَحْكَامِهِ وَلَشَدَّ مَا كَانَتْ دَهْشَتُهُ الْخَلِيفَةَ حِينَمَا عَرَفَ أَنَّهُ لَمْ يَقْعُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ .

فَأَحَبَّ الْخَلِيفَةُ أَنْ يَتَعَرَّفَ مِنْ ذَلِكَ السَّبَبِ الْحَقِيقِيِّ الَّذِي دَفَعَ الْقَاضِيَّ إِلَى الاسْتِعْفَاءِ عَلَى عَجَلٍ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ الَّذِي يَلْجَأُ النَّاسُ فِيهِ إِلَى الرَّاحَةِ وَهُوَ وَقْتُ الظَّهْرِ .

وَلَمَّا أَصَرَ الْخَلِيفَةُ عَلَى طَلْبِ مَعْرِفَةِ السَّبَبِ لَمْ يَجِدِ الْقَاضِيَّ بُدًّا مِنْ أَنْ يَرُوي لَهُ مَا جَرَى لَهُ مِمَّا كَانَ سَبَبًا فِي طَلْبِ الإِعْفَاءِ حِرْصًا عَلَى دِينِهِ وَطَهَارَةً لِنَفْسِهِ .

فَقَالَ الْقَاضِيَّ عَافِيَةَ : مُنْذُ شَهْرَيْنِ وَأَنَا أَتَابِعُ الْبَحْثَ فِي إِحْدَى الْقَضَايَا الْمُعْضَلَةِ مُحَاوَلًا أَنْ أَصِلَ فِيهَا إِلَى وَجْهِ الْحَقِّ فَقَدْ تَقَدَّمُ إِلَيَّ خَصْمَانِ مُوسِرَانِ وَجِيهَانِ فِي قَضِيَّةٍ مُعْضَلَةٍ مُشْكَلَةٍ .

وَكُلُّهُمَا مِنْهُمَا يَدَّعِي بَيْنَهُمَا وَشُهُودًا وَيُدَّعِي بِحُجَجٍ تَحْتَاجُ إِلَى تَأْمُلٍ وَتَنْبُتٍ .

وَمَا لَمْ يَتَبَيَّنْ لِي وَجْهُ الْحَقِّ رَدَدْتُ الْخُصُومَ رَجَاءً أَنْ يَصْلُحُوا أَوْ يَتَبَيَّنَ لِي وَجْهُ فَضْلٍ بَيْنَهُمَا .

وَأَنْنَاءَ ذَلِكَ وَقَفَ أَحَدُ الْخُصْمَيْنِ مِنْ خَبْرِي عَلَى أَنِّي أَحِبُّ الرُّطْبَ السُّكْرِيَّ .

فَعَمَدَ فِي وَقْتِنَا هَذَا وَهُوَ أَوَّلُ وَقْتِ الرُّطْبِ وَجَمَعَ رُطْبًا سُكْرِيًّا لَا يَتَهَيَأُ فِي

هَذَا الْوَقْتِ لِأَحَدٍ جَمْعٍ مِثْلِهِ إِلَّا لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَحَقًّا مَا رَأَيْتُ أَحْسَنَ مِنْهُ .  
ثُمَّ عَمَدَ إِلَى بَوَائِي فَرَشَاهُ جُمْلَةً دَرَاهِمٍ لِيُدْخَلَ الطَّبَقَ إِلَيَّ عَلَى أَنَّهُ لَا يُبَالِي بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّ أَقْبَلَ  
الطَّبَقَ أَوْ أَرَدَّهُ .

فَلَمَّا أَدْخَلَ الطَّبَقَ إِلَيَّ أَنْكَرْتُ أَمْرَهُ وَطَرَدْتُ بَوَائِي وَأَمَرْتُ بِرَدِّ الطَّبَقِ فَرَدَّهُ لِسَاعَتِهِ .  
فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ تَقَدَّمَ إِلَيَّ هَذَا الرَّجُلُ مَعَ خَصْمِهِ فَهَالَنِي أَنَّهُمَا لَمْ يَتَسَاوَيَا فِي قَلْبِي وَلَا فِي  
عَيْنِي .

وهذا يا أمير المؤمنين وأنا لم أقبل فكيف يكون حالي لو قبلتُ ولا آمنُ أن يقعَ على حيلةٍ  
في ديني فأهلكُ وقد فسدَ الناسَ فأقلبي أقالكَ اللهُ وأعفني .

وَلَمْ يَسْعِ الخَلِيفَةُ ُ وَهُوَ يَسْتَمِعُ إِلَى ذَلِكَ الْكَلَامِ الْمُنْبِي عَنْ شِدَّةِ الْوَرَعِ وَالْحِرْصِ الْخَالِصِ عَلَى  
نِزَاهَةِ الْحُكْمِ وَبُعْدِ الْقَاضِيِ عَنِ الْمُؤَثَّرَاتِ أَيًّا كَانَ نَوْعُهَا إِلَّا أَنْ يَسْتَجِيبَ لِطَلْبِ الْقَاضِيِ النَّقِيِ  
النَّبِيلِ فَأَعْفَاهُ مِنَ الْقَضَاءِ .

فَتَأَمَّلْ هَذِهِ الْقِصَّةَ بِدَقَّةٍ . وَقَارِنْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ كَثِيرٍ مِنْ قِصَصَاتِ هَذَا الزَّمَنِ يَتَبَيَّنُ لَكَ الْفَرْقُ  
الْعَظِيمُ وَالْبُؤْسُ الشَّاسِعُ نَسَأَلَ اللهُ الْعَافِيَةَ .

اللَّهُمَّ أَحْيِ قُلُوبَنَا وَنَوِّرْهَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَزَيِّنْهَا بِمَحَبَّتِكَ وَجَمِّلْ أَلْسِنَتَنَا بِذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحَسِّنْ  
أَعْمَالَنَا وَوَفِّقْنَا لِحِفْظِ أَوْقَاتِنَا وَأَحْيِينَا حَيَاةً طَيِّبَةً وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ وَأَلْحِقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ وَصَلَّى  
اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

### ( فَضْلٌ )

وَمِنْ إِعْلَانِ عَمْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجَوَائِزِ لِمَنْ يَدُلُّهُ عَلَى الْحَيْرِ أَنَّهُ كَتَبَ إِلَى أَهْلِ الْمَوْسِمِ : أَمَّا  
بَعْدُ فَأَيُّمَا رَجُلٍ قَدِمَ عَلَيْنَا فِي رَدِّ مَظْلَمَةٍ أَوْ أَمْرٍ يُصْلِحُ اللهُ بِهِ خَاصًّا

أَوْ عَامًا مِنْ أَمْرِ الدِّينِ فَلَهُ مَا بَيْنَ مِائَةِ دِينَارٍ إِلَى ثَلَاثِمِائَةِ دِينَارٍ بَعْدَ مَا يَرِي مِنَ الْحُسْبَةِ وَبَعْدَ السَّفَرِ لَعَلَّ اللَّهَ يُجِيبِي بِهِ حَقًّا أَوْ يُمِيتُ بِهِ بَاطِلًا أَوْ يَفْتَحَ بِهِ مِنْ وِرَائِهِ خَيْرًا وَلَوْلَا أَنِّي أُطِيلُ عَلَيْكُمْ وَأَطْنُبُ فَيَشْغَلُكُمْ ذَلِكَ عَنْ مَنَاسِكِكُمْ لَسَمَّيْتُ أُمُورًا مِنَ الْحَقِّ أَظْهَرَهَا اللَّهُ وَأُمُورًا مِنَ الْبَاطِلِ أَمَاتَهَا اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ هُوَ الْمُتَوَحِّدُ لَكُمْ فِي ذَلِكَ لَا تَجِدُونَ غَيْرَهُ فَإِنَّهُ لَوْ وَكَلَنِي إِلَى نَفْسِي لَكُنْتُ كَعَبْرِي وَالسَّلَامُ .

وَكَتَبَ مَرَّةً إِلَى الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ وَمُطَرِّفَ بْنِ الشَّخِيرِ : مِنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ وَمُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ الشَّخِيرِ سَلَامٌ عَلَيْكُمَا فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكُمَا اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَسْأَلُهُ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيَّ مُحَمَّدِ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أُوصِيكُمَا بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّ مَنْ يَفُوهَا كَثِيرٌ وَمَنْ يَعْمَلُ بِهَا قَلِيلٌ فَإِذَا أَتَاكُمَا كِتَابِي فَعِظَانِي وَلَا تُزَكِّيَانِ وَالسَّلَامُ .

فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْحَسَنُ : إِلَى عُمَرَ سَلَامٌ عَلَيْكَ فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الدُّنْيَا دَارُ خَوْفَةٍ أَهْبَطَ إِلَيْهَا آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عُقُوبَةً تُهِنُ مِنْ أَكْرَمَتِهَا وَتُكْرِمُ مَنْ أَهَانَهَا وَتُفْقِرُ مَنْ جَمَعَ لَهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ قَتِيلٌ فَكُنْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَالْمُدَاوِي لِحَرْجِهِ وَاصْبِرْ عَلَى شِدَّةِ الدَّوَاءِ لِمَا تَخَافُ مِنْ طَوْلِ الْبَلَاءِ .

وَكَتَبَ إِلَيْهِ مُطَرِّفٌ : سَلَامٌ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَمَّا بَعْدُ فَلْيَكُنْ اسْتِنْسَاكَ بِاللَّهِ وَانْقِطَاعَكَ إِلَيْهِ فَإِنَّ قَوْمًا أَنْسُوا بِاللَّهِ وَانْقَطَعُوا إِلَيْهِ فِي وَحْدَتِهِمْ أَشَدُّ اسْتِنْسَاً مِنْهُمْ بِالنَّاسِ فِي كَثْرَةِ عِدَدِهِمْ ، أَمَاتُوا مِنَ الدُّنْيَا مَا خَافُوا أَنْ يُمِيتَ قُلُوبَهُمْ وَتَرَكَوا مِنْهَا مَا عَلِمُوا أَنْ سَيَّرُكُهُمْ فَأَصْبَحُوا لِمَا سَأَلَ النَّاسُ مِنْهَا أَعْدَاءً جَعَلَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ مِنْهُمْ ، فَإِنَّهُمْ قَدْ أَصْبَحُوا بِهَا قَلِيلًا وَالسَّلَامُ .

وَقَدِمَتْ امْرَأَةٌ مِنَ الْعِرَاقِ عَلَى عَهْدِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ . فَلَمَّا صَارَتْ إِلَى بَابِهِ قَالَتْ : هَلْ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ حَاجِبٌ ؟ فَقَالُوا : لَا فَادْخُلِي إِنْ شِئْتِ .

فَدَخَلَتْ الْمَرْأَةَ عَلَى زَوْجَةِ عُمَرَ فَاطِمَةَ وَهِيَ جَالِسَةٌ فِي بَيْتِهَا وَفِي يَدِهَا قُطْنٌ تَعَالِجُهُ  
فَسَلَّمَتْ الْمَرْأَةُ فَرَدَّتْ عَلَيْهَا فَاطِمَةُ السَّلَامَ وَقَالَتْ لَهَا : أَدْخُلِي .

فَلَمَّا جَلَسَتْ الْمَرْأَةُ رَفَعَتْ بَصَرَهَا فَلَمْ تَرَ فِي الْبَيْتِ شَيْئًا لَهُ بَالٌ وَذُو أَهْمِيَّةٍ ، فَقَالَتْ : إِنَّمَا  
جِئْتُ لِأَعْمُرَ بَيْتِي مِنْ هَذَا الْبَيْتِ الْحَرَابِ قَالَتْ فَاطِمَةُ : إِنَّمَا خَرَّبَ هَذَا الْبَيْتَ عِمَارَةُ بُيُوتِ  
أُمَّتَالِكِ فَأَقْبَلِ عُمُرٌ حَتَّى دَخَلَ الدَّارَ فَسَلَّمَ وَدَخَلَ بَيْتَهُ فَمَالَ إِلَى مُصَلَّى كَانَ لَهُ فِي الْبَيْتِ يُصَلِّي  
فِيهِ .

فَسَأَلَ فَاطِمَةُ عَنِ الْمَرْأَةِ فَقَالَتْ : هِيَ هَذِهِ فَأَخَذَ مِكَتَلًا لَهُ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ عِنَبٍ فَجَعَلَ  
يَتَخَيَّرُ لَهَا أَحْسَنَهُ يُنَاوِلُهَا إِيَّاهُ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهَا فَقَالَ : مَا حَاجَتُكِ ؟

فَقَالَتْ : امْرَأَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ لِي خَمْسُ بَنَاتٍ كُسِلِ كُسِدٍ فَجِئْتُكِ ابْتِغِي حُسْنَ نَظْرِكَ لَهُنَّ  
، فَجَعَلَ يَقُولُ : كُسِلٌ ، كُسِدٌ وَيَبْكِي فَأَخَذَ الدَّوَاهَ وَالْقِرْطَاسَ وَكَتَبَ إِلَى وَايِ الْعِرَاقِ فَقَالَ :  
سَمِّي أَكْبَرَهُنَّ فَسَمَّيْتُهَا فَعَرَضَ لَهَا فَقَالَتْ الْمَرْأَةُ : الْحَمْدُ لِلَّهِ .

ثُمَّ سَأَلَهَا عَنْ اسْمِ الثَّانِيَةِ وَالثَّلَاثَةِ وَالرَّابِعَةِ وَالْمَرْأَةُ تَحْمَدُ اللَّهَ فَعَرَضَ لَهَا فَلَمَّا فَرَضَ لِلْأَرْبَعِ  
اسْتَفْرَضَهَا الْفَرْحُ فَدَعَتْ لَهُ فَجَزَتْهُ فَرَفَعَ يَدَهُ وَقَالَ : قَدْ كُنَّا نَعْرِضُ لَهُنَّ حِينَ كُنْتَ تُؤَلِّينَ الْحَمْدَ  
أَهْلَهُ فَمُرِي هَؤُلَاءِ الْأَرْبَعِ يُفَضِّنَ عَلَى هَذِهِ الْخَامِسَةِ .

فَخَرَجَتْ بِالْكِتَابِ حَتَّى أَتَتْ بِهِ الْعِرَاقَ فَدَعَتْهُ إِلَى وَايِ الْعِرَاقِ فَلَمَّا دَفَعَتْ إِلَيْهِ الْكِتَابَ  
بَكَى وَاشْتَدَّ بُكَاءُهُ وَقَالَ : رَحِمَ اللَّهُ صَاحِبَ هَذَا الْكِتَابِ فَقَالَتْ : أَمَاتَ ؟ قَالَ : نَعَمْ  
فَصَاحَتْ وَوَلَوْلَتْ فَقَالَ : لَا بَأْسَ عَلَيْكَ مَا كُنْتُ لِأَرُدَّ كِتَابَهُ فِي شَيْءٍ فَقَضَى حَاجَتَهَا وَفَرَضَ  
لِبَنَاتِهَا .

وَأَرْسَلَ عَطَاءُ إِلَى فَاطِمَةَ بِنْتِ عَبْدِ الْمَلِكِ أَخْبِرِينِي عَنْ عُمَرَ قَالَتْ : أَفْعَلُ . إِنَّ عُمَرَ رَحِمَهُ  
اللَّهُ عَلَيْهِ كَانَ قَدْ فَرَّغَ لِلْمُسْلِمِينَ نَفْسَهُ وَلِأُمُورِهِمْ فَكَانَ

إِذَا أَمْسَى وَمَ يَمْرُغُ فِيهِ مِنْ حَوَائِجِ يَوْمِهِ وَصَلَ يَوْمِهِ بِلَيْلَتِهِ إِلَى أَنْ أَمْسَى مَسَاءً وَقَدْ فَرِغَ حَوَائِجِ يَوْمِهِ فَدَعَا بِسِرَاجِهِ الَّذِي كَانَ مِنْ مَالِهِ فَصَلَّى رُكْعَتَيْنِ ثُمَّ أَفْعَى وَاضِعًا رَأْسَهُ عَلَى يَدَيْهِ تَسْبِيلُ دُمُوعُهُ عَلَى خَدَيْهِ يَشْهَقُ الشَّهْقَةَ يَكَادُ يَنْصَدِعُ قَلْبُهُ لَهَا وَتَخْرُجُ لَهَا نَفْسُهُ حَتَّى إِذَا بَرَقَ الصُّبْحُ أَصْبَحَ صَائِمًا فَدَنَوْتُ مِنْهُ .

فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَلَيْسَ مِنْكَ مَا كَانَ قَالَ : أَجَلُ فَعَلَيْكَ بِشَأْنِكَ وَخَلِّينِي وَشَأْنِي قَالَتْ : فَقُلْتُ إِنِّي أَرْجُو أَنْ أَتَّعِظَ قَالَ : إِذَنْ أُخْبِرُكَ إِنِّي نَظَرْتُ فَوَجَدْتُني قَدْ وُلِّيتُ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَسْوَدَهَا وَأَحْمَرَهَا .

ثُمَّ ذَكَرْتُ الْفَقِيرَ الْجَائِعَ وَالْعَرِيبَ الضَّائِعَ وَالْأَسِيرَ الْمُقَهَّورَ وَذَا الْمَالِ الْقَلِيلِ وَالْعِيَالِ الْكَثِيرِ وَأَشْبَاهَ ذَلِكَ فِي أَقْصَى الْبِلَادِ وَأَطْرَافِ الْأَرْضِ فَعَلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ سَائِلِي عَنْهُمْ وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَاجِي فِيهِمْ فَخِفْتُ أَنْ لَا يَقْبَلَ اللَّهُ مِنِّي مَعْذِرَتِي فِيهِمْ وَلَا تَقُومَ لِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حُجَّةٌ فَرَحِمْتُ وَاللَّهِ يَا فَاطِمَةُ نَفْسِي رَحْمَةً دَمَعَتْ لَهَا عَيْنِي وَوَجَعَ لَهَا قَلْبِي فَأَنَا كُلَّمَا أَزْدَدْتُ لَهَا ذِكْرًا أَزْدَدْتُ مِنْهَا خَوْفًا فَاتَّعِظِي إِنْ شِئْتَ أَوْ دَرِي .

وَكَانَ النَّاسُ فِي زَمَنِهِ كَلَامُهُمْ وَبَحْثُهُمْ فِي الْاِعْتِنَاءِ بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ وَقِيَامِ اللَّيْلِ وَسِيرَةِ الرَّسُولِ وَالصَّحَابَةِ وَالرُّهْدِ وَالْوَرَعِ وَالْبَحْثِ عَنِ الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْأَرَامِلِ وَالْأَيْتَامِ وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَنَحْوِ ذَلِكَ وَهَكَذَا النَّاسُ فِي كُلِّ عَصْرِ تَبِعَ مُلُوكِهِمْ وَقَادِيهِمْ وَعُلَمَائِهِمْ غَالِبًا .

وَكَانَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حُبُّ الْعَدَالَةِ وَالْإِنْصَافِ رَكِيزَةً فِي نَفْسِهِ وَمِنْ لُطْفِ اللَّهِ بِهِ أَنْ وَهَبَ لَهُ ابْنُهُ عَبْدُ الْمَلِكِ وَكَانَ أَعْجُوبَةَ التَّارِيخِ ، كَانَ نَاشِئًا لَمْ يُجَاوِزْ عِشْرِينَ عَامًا ، وَلَكِنَّهُ مِنْ تَوْفِيقِ اللَّهِ لَهُ أَنَّهُ مُنْذُ صَغَرِهِ قَوِي الْإِيمَانِ وَرَعًا زَاهِدًا ، يَقْتَحِمُ عَلَى أَبِيهِ فِي مَجْلِسِهِ وَنَادِيهِ وَمَخْدَعِ نَوْمِهِ وَقَيْلُولَتِهِ يَحْتُتُهُ وَيَعِظُهُ وَيَذَكُرُهُ بِاللَّهِ وَيُوقِظُهُ وَيَنْهِيهِ إِلَّا يُؤَخَّرُ مَظْلَمَةَ النَّاسِ مَخَافَةَ أَنْ يَحْمَ الْأَجَلَ فَتَسْوَأُ الْمَعْبُتُ وَتَلْتَهُبُ عَلَى أَبِيهِ النَّارُ .



وَكَانَ كُلَّمَا دَخَلَ عُمَرُ فِي الْأُمُورِ عَلَى بَيِّنَةٍ افْتَحَمَهَا عَبْدُ الْمَلِكِ قَوِيًّا مُسْتَعَجِلًا وَقَدْ أَتَرَ عَلَى أَبِيهِ وَزَادَ فِي وَرَعِهِ وَتَنَجِيهِهِ لِلْأُمُورِ وَدَخَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ يَوْمًا عَلَى أَبِيهِ وَكَانَ عِنْدَهُ عَمُّهُ مَسْلَمَةٌ فَطَلَبَ إِلَى أَبِيهِ أَنْ يُخْلِيَهُ بِهِ فَقَالَ : أَسِرُّ دُونَ عَمِّكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ فَقَامَ مَسْلَمَةٌ وَجَلَسَ عَبْدُ الْمَلِكِ بَيْنَ يَدَيْ أَبِيهِ فَقَالَ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا أَنْتَ قَائِلٌ لِرَبِّكَ غَدًا إِذَا سَأَلَكَ فَقَالَ : رَأَيْتَ بَدْعَةً لَمْ تُمْتِثْهَا أَوْ سُنَّةً لَمْ تُحْيِهَا فَقَالَ عُمَرُ : يَا بُنَيَّ أَشَيْءٌ حَمَلَكَ أَمْ رَأَيْتَ رَأَيْتَهُ قَالَ : لَا وَاللَّهِ وَلَكِنْ رَأَيْتَ رَأَيْتَهُ مِنْ نَفْسِي عَرَفْتُ أَنَّكَ مَسْئُولٌ فَمَا أَنْتَ قَائِلٌ .

قَالَ أَبُوهُ : يَرَحِمُكَ اللَّهُ يَا بُنَيَّ وَبِحُزْنِكَ مِنْ وَلَدٍ خَيْرًا فَوَاللَّهِ إِنِّي لِأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنَ الْأَعْوَانِ عَلَى الْخَيْرِ يَا بُنَيَّ إِنَّ قَوْمَكَ شَدُّوا هَذَا الْأَمْرَ عُقْدَةً وَعُرْوَةً وَمَتَى مَا أُرِيدَ مُكَابَرَتَهُمْ عَلَى انْتِزَاعِ مَا فِي أَيْدِيهِمْ لَمْ آمَنْ أَنْ يَفْتَقُوا عَلَيَّ فَتَقًا تَكْثُرُ فِيهِ الدَّمَاءُ وَاللَّهُ لِرِزْوَالِ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَيَّ مِنْ أَنْ يُهْرَاقَ فِي سَبَبِي مِخْجَمَةٌ مِنْ دَمٍ أَوْ مَا تَرْضَى إِلَّا يَأْتِي عَلَيَّ عَلَى أَبِيكَ يَوْمٌ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا إِلَّا وَهُوَ يُمِيتُ فِيهِ بَدْعَةً وَيُحْيِي فِيهِ سُنَّةً حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ .

وَلَمْ يَزَلْ عَبْدُ الْمَلِكِ بِأَبِيهِ حَتَّى صَارَ لَا يُبْرَمُ أَمْرًا فِي الْمَظَالِمِ دُونَ رَأْيِهِ قَالَ مَيْمُونُ بْنُ مَهْرَانَ : بَعَثَ إِلَيَّ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَإِلَى مَكْحُولٍ وَإِلَى أَبِي قِلَابَةَ فَقَالَ : مَا تَرَوْنَ فِي هَذِهِ الْأَمْوَالِ الَّتِي أُحْدِثُ مِنَ النَّاسِ ظُلْمًا فَقَالَ مَكْحُولٌ يَوْمَئِذٍ قَوْلًا ضَعِيفًا كَرِهَهُ عُمَرُ قَالَ : أَرَى أَنْ تُسْتَأْنَفَ فَنَظَرَ عُمَرُ إِلَيَّ كَالْمُسْتَعِثِّ بِِي فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ابْعَثْ إِلَى ابْنِكَ عَبْدِ الْمَلِكِ فَأَحْضِرْهُ فَإِنَّهُ لَيْسَ بِدُونَ مَنْ رَأَيْتَ .

وَكَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ قَدْ تَفَقَّهَ وَدَرَسَ حَتَّى صَارَ فِي الصَّفِّ الْأَوَّلِ مِنَ فُقَهَاءِ الشَّامِ ثُمَّ زَهَدَ قَالَ مَيْمُونُ : فَقَالَ عُمَرُ : يَا حَارِثُ ادْعُ لِي عَبْدُ الْمَلِكِ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ لَهُ : يَا عَبْدَ الْمَلِكِ مَا تَرَى فِي هَذِهِ الْأَمْوَالِ الَّتِي أُحْدِثُ مِنَ النَّاسِ ظُلْمًا وَقَدْ حَضَرُوا يَطْلُبُونَهَا وَقَدْ عَرَفْنَا مَوَاضِعَهَا قَالَ : أَرَى أَنْ تَرُدَّهَا فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ كُنْتُ شَرِيكًا لِمَنْ أَخَذَهَا .

تَسْمَعُ حِكَايَاتٍ يُطِيبُ سَمَاعَهَا      وَيَخْلُو كَطَعِمِ الشَّهْدِ فِي ثَغْرِ ذَائِقِ  
فَكَمِ مِنْ شَوَاجِحِ لِلْقُلُوبِ رَفَائِقِ      وَكَمِ مِنْ مَعَانِ لِلْعُومِ حَقَائِقِ

وَدَكَرَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ لَمَّا كَانَ فِي يَوْمِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ قَالَ : أَجْلِسُونِي . فَأَجْلَسُوهُ فَقَالَ : أَنَا الَّذِي أَمَرْتَنِي فَقَصَّرْتَ وَنَهَيْتَنِي فَعَصَيْتُ وَلَكِنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَأَحَدَ النَّظَرَ فَقَالُوا : إِنَّكَ لَتَنْظُرُ نَظْرًا شَدِيدًا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ : إِنِّي لِأَرَى حَضْرَةَ مَا هُمْ بِإِنْسٍ وَلَا جِنٍّ ثُمَّ قُبِضَ . وَقَالَ مَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ : لَمَّا احْتَضَرَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ كُنَّا عِنْدَهُ فِي قُبَّةٍ فَأَوْمَأَ إِلَيْنَا أَنْ أُخْرَجُوا فَخَرَجْنَا حَوْلَ الْقُبَّةِ وَبَقِيَ عِنْدَهُ وَصِيفٌ فَسَمِعْنَاهُ يَقْرَأُ هَذِهِ الْآيَةَ : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ مَا أَنْتُمْ بِإِنْسٍ وَلَا جِنٍّ ثُمَّ خَرَجَ الْوَصِيفُ فَأَوْمَأَ إِلَيْنَا أَنْ ادْخُلُوا فَإِذَا هُوَ قَدْ قُبِضَ .

شَمَّرَ عَسَى أَنْ يَنْفَعِ التَّشْمِيرُ      وَانظُرْ بِفِكْرِكَ مَا إِلَيْهِ تَصِيرُ  
طَوَّلْتَ آمَالًا تَكْتَفِهَا الْهَوَى      وَنَسِيتُ أَنَّ الْعُمَرَ مِنْكَ قَصِيرُ  
قَدْ أَفْصَحْتَ دُنْيَاكَ عَنْ غَدْرَاتِهَا      وَأَتَى مَشِيئِكَ وَالْمَشْيِبُ  
دَارٌ لَهَوَاتٍ بِزَهْوِهَا مُتَمَتِّعًا      تَرْجُو الْمَقَامَ بِهَا وَأَنْتَ تَسِيرُ  
وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ رَاحِلٌ عَنْهَا وَلَوْ      عَمَّرْتَ فِيهَا مَا أَقَامَ ثَبِيرُ  
لَيْسَ الْغِنَى فِي الْعَيْشِ إِلَّا بُلْغَةً      وَيَسِيرُ مَا يَكْفِيكَ مِنْهُ كَثِيرُ  
لَا يَشْغَلَنَّكَ عَاجِلٌ عَنْ آجِلٍ      أَبَدًا فَمُلْتِمَسُ الْحَقِيرِ حَقِيرُ  
وَلَقَدْ تَسَاوَى بَيْنَ أَطْبَاقِ الثَّرَى      فِي الْأَرْضِ مَأْمُورٌ بِهَا وَأَمِيرُ  
آخِرُ: حَانَ الرَّحِيلُ فَوَدَّعَ الدَّارَ الَّتِي      مَا كَانَ سَاكِنُهَا لَهَا بِمُخَلَّدِ  
وَاصْرَعْ إِلَى الْمَلِكِ الْجَوَادِ وَقُلْ لَهُ      عَبْدٌ بِبَابِ الْجُودِ أَصْبَحَ يَجْتَدِي  
لَمْ يَرْضَ إِلَّا اللَّهَ مَعْبُودًا وَلَا      دِينًا سِوَى دِينِ النَّبِيِّ مُحَمَّدِ

قَالَ بَعْضُهُمْ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ : ( إِلَهِي وَسَيِّدِي وَمَوْلَايَ قَدْ آنَ الرَّحِيلُ إِلَيْكَ وَأَزِفَ الْقُدُومَ عَلَيْكَ وَلَا عُذْرَ لِي بَيْنَ يَدَيْكَ غَيْرَ أَنَّكَ الْعُقُورُ وَأَنَا الْعَاصِي وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ وَأَنَا الْجَانِي وَأَنْتَ السَّيِّدُ وَأَنَا الْعَبْدُ أَرْحَمُ .

خُضُوعِي وَرُلَّتِي بَيْنَ يَدَيْكَ فَإِنَّهُ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ ) . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

مَوْعِظَةٌ : عِبَادَ اللَّهِ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَقَرَّبَ التَّحَوُّلُ وَالْمَسِيرُ ، وَأَزِفَتِ الْآزِفَةُ وَلَيْسَ هُنَاكَ حَمِيمٌ وَلَا نَصِيرٌ وَكُتِبَتِ الصَّحِيفَةُ فَلَا نِسْيَانَ لِقَلِيلٍ وَلَا كَثِيرٍ ﴿ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ .

تَاللَّهِ لَقَدْ عَزَّتِ الْأَمَانِي أَكْثَرَ خَلْقِ اللَّهِ فَتَرَكُوا سَبِيلَ الْهُدَى وَأَعْرَضُوا عَنْ دَارِ التَّهَانِي وَالْقَرَارِ فَوَقَعُوا فِي شَرِّكَ الرَّدَى وَمَادُوا عَلَى التَّوَانِي وَظَنُّوا أَنَّ يُتْرَكُوا سُدَى وَنَسُوا قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾ وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ ذَرَهُمْ يَاكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ أَيْجَسِبُونَ أَنَّمَا مُنِّدُهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنَ \* نَسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ .

عِبَادَ اللَّهِ كَيْفَ حَالِكُمْ إِذَا قُمْتُمْ مِنَ الْقُبُورِ حَيَارَى حُفَاءَ عُرَاهُ غُرْلًا ، وَقَدْ عَظُمَتِ الْأَهْوَالُ ﴿ وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى ﴾ وَلَزِمَتِ الصُّحُفُ الْأَعْنَاقَ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقَّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ .

كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا سَمِعْتُمْ قَوْلَ الْجَبَّارِ : ﴿ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ ﴾ ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِحَنَئِمَّ هَلْ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴾ . وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ .

فَعِنْدَ ذَلِكَ يُؤْخَذُ الْمُجْرِمُونَ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ، وَيُطْرَحُ فِي الْجَحِيمِ مَنْ كَانَ لَهُ عَلَى الْمَعَاصِي جِرَاءَةٌ وَإِقْدَامٌ .

وَيَمْرُحُ بِالنَّعِيمِ مَنْ قَدَّمَ الْخَيْرَاتِ لِدَارِ السَّلَامِ وَعَمِلَ بِالْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ وَيَحْطَى بِجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ

وَأَسْأَلُكُمْ طَرِيقَ الشَّرْعِ الْقَوِيمِ الَّذِي لَا اِعْوَاجَ فِيهِ وَتَقُومُوا بِأَوْامِرِ الْمَنَّانِ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ .

وَاحْذَرُوا أَنْ تَكُونُوا مِمَّنْ غَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا بِرِخَارِفِهَا الرَّائِلَةَ وَزِينَتِهَا الْعَاطِلَةَ وَأُولَئِكَ هُمُ الَّذِينَ تَنْقُصُ الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي آجَالَهُمْ وَهُمْ لَاهُونَ وَبَجَرِي بِهِمُ الْأَعْوَامُ إِلَى مَرَاقِدِ قُبُورِهِمْ وَهُمْ نَائِمُونَ وَتَتَخَطَّفُهُمُ الْمَنَائِي لِاعْبُونَ وَتُنَادِيهِمُ الْعَبْرُ وَالْمَوَاعِظُ وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ وَلَا يُبْصِرُونَ وَيَرُونَ مَا وَقَعَ بِالْأَمَمِ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا نَزَلَ بِآبَائِهِمْ وَلَكِنْ لَا يَفْقَهُونَ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ بِمَا لَهُمْ وَمَا إِلَيْهِ صَائِرُونَ ، إِذَا هُمْ وَصَلُوا إِلَى الْعَايَةِ الْمَفْهُومَةِ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمَلَأْ بِهِ ﴾ .

شِعْرًا: يَا غَافِلًا عَمَّا خُلِقْتَ لَهُ انْتَبِهْ  
سَارَ الرَّفَاقُ وَخَلَّفُوكَ مَعَ الْأَوْلَى  
وَرَأَيْتَ أَكْثَرَ مَنْ تَرَى مُتَخَلِّفًا  
لَكِنْ أَتَيْتَ بِخَطِّبِي عَجَزٍ وَجْهٍ  
مَتَّكَ نَفْسُكَ بِاللِّحَاقِ مَعَ الْقُعُوعِ  
وَلَسَوْفَ تَعْلَمُ حِينَ يَنْكَشِفُ الْعِطَا  
آخِر: دُنْيَا مَعْبَهُ مَنْ أَتَى بِهَا عَدَمٌ  
وَفِي الْمُنُونِ لِأَهْلِ الْكُتُبِ مُعْتَبَرٌ  
وَالْمَرْءُ يَسْعَى لِفَضْلِ الرِّزْقِ مُجْتَهِدًا  
كَمْ خَاشِعٍ فِي عُيُونِ النَّاسِ مَنْظَرُهُ  
جَدَّ الرَّحِيلِ وَلَسْتُ بِالْيَقْظَانِ  
فَبِعُوا بِذَا الْحِظِّ الْخَسِيسِ الْفَانِ  
فَتَبِعَتْهُمْ وَرَضِيَتْ بِالْحَرَمَانِ  
لِ بَعْدَ ذَا وَصَحِبَتْ كُلَّ أَمَانِ  
دِ عَنِ الْمَسِيرِ وَرَاحَةِ الْأَبْدَانِ  
مَاذَا صَنَعْتَ وَكُنْتَ ذَا إِمْكَانِ  
وَلَدَّةٌ تَنْقُضِي مَنْ بَعْدَهَا نَدَمٌ  
وَفِي تَزْوُدِهِمْ مِنْهَا التُّقَى غُنْمٌ  
وَمَالِهِ غَيْرُ مَا قَدْ خُطَّ فِي الْقَلَمِ  
وَاللَّهُ يَعْلَمُ مِنْهَا غَيْرَ مَا عَلِمُوا

اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَتَبَيَّنْهَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَفِي الْآخِرَةِ ،  
وَيَسِّرْنَا لِلْيُسْرَى وَجَنِّبْنَا الْعُسْرَى ، وَاجْعَلْ لَنَا هُدَاهُ مُهْتَدِينَ وَاعْفِرْ

لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

### ( فَصْلٌ )

وَوَقَفَ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمًا عَلَى مَنْبَرِهِ بَعْدَ أَنْ قَطَعَ الْعَطَايَا الْمَالِيَةَ عَنْ أَفْرَادِ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ : اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا فَقَامَ إِلَيْهِ أَبُو مُسْلِمٍ الْخَوْلَانِيُّ فَقَالَ : لَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ يَا مُعَاوِيَةُ . قَالَ مُعَاوِيَةُ : وَلِمَ يَا أَبَا مُسْلِمٍ فَقَالَ يَا مُعَاوِيَةُ : كَيْفَ تَمْنَعُ الْعَطَا وَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ كَدِّكَ وَلَا كَدَّ أَبِيكَ وَلَا مِنْ كَدِّ أُمَّكَ .

فَعَضِبَ مُعَاوِيَةُ وَنَزَلَ عَنِ الْمَنْبَرِ وَقَالَ لِلْحَاضِرِينَ : مَكَانَكُمْ . وَغَابَ سَاعَةً عَنْ أَعْيُنِهِمْ ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْهِمْ وَقَدْ اغْتَسَلَ فَقَالَ : إِنَّ أَبَا مُسْلِمٍ كَلَّمَنِي بِكَلَامٍ أَغْضَبَنِي وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « الْعَضْبُ مِنَ الشَّيْطَانِ وَالشَّيْطَانُ خُلِقَ مِنَ النَّارِ وَإِنَّمَا تُطْفَأُ النَّارُ بِالْمَاءِ فَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَغْتَسِلْ » . وَإِنِّي دَخَلْتُ فَاعْتَسَلْتُ وَصَدَقَ أَبُو مُسْلِمٍ إِنَّهُ مِنْ كَدِّي وَلَا مِنْ كَدِّ أَبِي فَهَلِّمُوا إِلَى عَطَائِكُمْ .

وَبِالنَّاتِلِيِّ فَإِلَيْكَ صِفَةُ الْإِمَامِ الْعَادِلِ : كَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا وَلِيَ الْخِلَافَةَ إِلَى الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ لِيُخْبِرَهُ عَنْ صِفَةِ الْإِمَامِ الْعَادِلِ فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْحَسَنُ اعْلَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ اللَّهَ جَعَلَ الْإِمَامَ الْعَادِلَ قِيَامَ كُلِّ مَائِلٍ وَقَصْدَ كُلِّ جَائِرٍ وَصَلَاحَ كُلِّ فَاسِدٍ وَقُوَّةَ كُلِّ ضَعِيفٍ وَنَصْفَةَ كُلِّ مَظْلُومٍ وَمَنْزَعَ كُلِّ مَلْهُوفٍ وَالْإِمَامَ الْعَادِلَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَالرَّاعِي الشَّفِيقِ عَلَى إِبْنِهِ الرَّفِيقِ بِهَا الَّذِي يَزْتَادُ لَهَا أَطْيَبَ الْمَرْعَى وَيَدُودُهَا عَنْ مَرَاعِ الْمَلَكَةِ وَيُجَمِّعُهَا عَنِ السَّبَاعِ وَيُكِنُّهَا عَنْ أَدَى الْحَرِّ وَالْقَرِّ .

وَالْإِمَامَ الْعَادِلَ كَالْأَبِ الْحَائِي عَلَى وَلَدِهِ يَسْعَى لَهُمْ صِعَارًا وَيُعَلِّمُهُمْ كِبَارًا يَكْتَسِبُ لَهُمْ فِي حَيَاتِهِ وَيَدَّخِرُ لَهُمْ بَعْدَ مَمَاتِهِ .

وَالْإِمَامَ الْعَادِلَ كَالْأُمِّ الشَّفِيقَةَ الْبَرَّةَ الرَّقِيقَةَ بَوْلَدِهَا حَمَلَتْهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ

كُرْهًا وَرَبَّتَهُ طِفْلاً تَسْهَرُ بِسَهْرِهِ وَتَسْكُنُ بِسُكُونِهِ تُرْضِعُهُ تَارَةً وَتُقَطِّمُهُ أُخْرَى وَتَفْرَحُ بِعَافِيَتِهِ وَتَعْتَمُ بِشِكَايَتِهِ .

وَالْإِمَامُ الْعَادِلُ وَصِيُّ الْيَتَامَى وَخَازِنُ الْمَسَاكِينِ يُرَبِّي صَغِيرَهُمْ وَيُمُونُ كَبِيرَهُمْ وَالْإِمَامُ الْعَادِلُ هُوَ الْقَائِمُ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ عِبَادِهِ يَسْمَعُ كَلَامَ اللَّهِ وَيُسْمِعُهُمْ وَيَنْظُرُ إِلَى اللَّهِ وَيُرِيهِمْ وَيَنْقَادُ إِلَى اللَّهِ وَيَقُودُهُمْ فَلَا تَكُنْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِيمَا مَلَكَكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ كَعَبْدٍ ائْتَمَنَهُ سَيِّدُهُ وَاسْتَحْفَظَهُ مَالُهُ وَعِيَالَهُ فَبَدَّدَ الْمَالَ وَشَرَّدَ الْعِيَالَ فَأَفْقَرَ أَهْلَهُ وَفَرَّقَ مَالَهُ .

وَأَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ الْحُدُودَ لِيُزْجَرَ بِهَا عَنِ الْخَبَائِثِ وَالْفَوَاحِشِ فَكَيْفَ إِذَا أَتَاهَا مِنْ يَلِيهَا وَإِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ الْقِصَاصَ حَيَاةً لِعِبَادِهِ فَكَيْفَ إِذَا قَتَلَهُمْ مَنْ يَفْتَصُّ لَهُمْ وَادُّرُّكَ الْمَوْتِ وَمَا بَعْدَهُ وَقَلَّةَ أَشْيَاعِكَ عِنْدَهُ وَأَنْصَارِكَ عَلَيْهِ فَتَزَوَّدْ لَهُ وَلِمَا بَعْدَهُ مِنَ الْفَرْعِ الْأَكْبَرِ .

وَأَعْلَمُ أَنَّ لَكَ مَنْزِلًا غَيْرَ مَنْزِلِكَ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ يَطُولُ فِيهِ ثَوَاؤُكَ وَيُفَارِقُكَ أَحِبَّاءُكَ يُسَلِّمُونَكَ فِي قَعْرِهِ وَحِيدًا فَرِيدًا فَتَزَوَّدْ لَهُ مَا يَصْحَبُكَ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَحِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ وَادُّرُّكَ إِذَا بُعِثَ مَا فِي الْقُبُورِ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ فَالْأَسْرَارُ ظَاهِرَةٌ وَالْكِتَابُ لَا يُعَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا .

فَالآنَ وَأَنْتَ فِي مَهَلٍ قَبْلَ حُلُولِ الْأَجْلِ وَأَنْقِطَاعِ الْأَمَلِ لَا تَحْكُمُ فِي عِبَادِ اللَّهِ بِحُكْمِ الْجَاهِلِينَ وَلَا تَسْلُكُ بِهِمْ سَبِيلَ الظَّالِمِينَ وَلَا تُسَلِّطُ الْمُسْتَكْبِرِينَ عَلَى الْمُسْتَضْعِفِينَ فَإِنَّهُمْ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً فَنَبِئْ بِأَوْزَارِكَ وَتَحْمِلِ أَثْقَالَكَ وَأَثْقَالَ مَعَ أَثْقَالَكَ .

وَلَا يَعْرِتُكَ الَّذِينَ يَتَنَعَّمُونَ فِي بُؤْسِكَ وَيَأْكُلُونَ الطَّيِّبَاتِ فِي دُنْيَاهُمْ بِإِذْهَابِ طَيِّبَاتِكَ فِي آخِرَتِكَ وَلَا تَنْظُرْ إِلَى قُدْرَتِكَ الْيَوْمَ وَلَكِنْ انظُرْ إِلَى قُدْرَتِكَ

غَدَاً وَأَنْتَ مَا سُورٌ فِي حَبَائِلِ الْمَوْتِ وَمَوْفُوفٌ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ فِي جَمْعٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ  
وَالْمُرْسَلِينَ وَقَدْ عَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ الَّذِي لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ .  
شِعْرًا : زِدْنَا عَلَيْهِ مَا بَيْنَ الْأَقْوَاسِ .

سَلِ الْمَنَايَا عَلَى عِلْمٍ وَتَجَرُّبَةٍ	فِي أَيِّ شَيْءٍ بَغَى الْإِنْسَانُ أَوْ حَسَدًا
تَنَافَسَ النَّاسُ فِي الدُّنْيَا وَقَدْ عَلِمُوا	أَنَّ سَوْفَ تَقْتُلُهُمْ لِدَاتِهَا بُدَدًا
تَبَادَرُوهَا وَقَدْ آذَنَتْهُمْ فَشَلًّا	وَكَاثَرُوهَا وَقَدْ أَفْنَتْهُمْ عَدَدًا
قُلْ لِلْمَحَدِّثِ عَنِ لُقْمَانَ أَوْ لِبِدٍ	لَمْ يَتْرِكِ الدَّهْرَ لُقْمَانًا وَلَا لِبِدًا
( وَلَمْ يُعَادِرْ عِمَارَاتٍ وَلَا فُلًّا )	( وَلَا قُصُورًا بِهَا الْمَغْرُورُ مُسْتَتِدًا )
( وَلَا بَسَاتِينَ فِي الْأَشْجَارِ زَاهِيَةً )	( وَسَاهِرِ الْمَاءِ فِي الْأَنْهَارِ مُطَّرِدًا )
( وَلَا جَبَانًا يَخَافُ الْمَوْتَ ذَا قَلْقٍ )	( وَلَا شُجَاعًا يَهْزِمُ الْجَمْعَ مُنْفَرِدًا )
( وَلَا كَرِيمًا تُبِيدُ الْمَالَ رَاحَتُهُ )	( وَلَا بَخِيلًا إِذَا اسْتَمْنَحْتَهُ شَرْدًا )

اللَّهُمَّ احْفَظْنَا مِنَ الْمُخَالَفَةِ وَالْعِصْيَانِ وَلَا تُؤَاخِذْنَا بِجَرَائِمِنَا وَمَا وَقَعَ مِنَّا مِنَ الْخَطَا وَالنِّسْيَانِ  
وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى  
اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

### ( فَصْلٌ )

كتب سفيان الثوري إلى أخ له في الله يقول له : ( أما بعد : عافانا الله وإياك من النار  
برحمته ، أوصيك وإيائي بتقوى الله .  
وأحدرك أن تجهل بعد إذ علمت ، فتهلك بعد إذ أبصرت ، وتدع الطريق بعد إذ وضح لك ،  
وتغتر بأهل الدنيا بطلبهم لها ، وحرصهم عليها وإكثارهم منها .

فَإِنَّ الْهُوْلَ شَدِيدٌ ، وَالطَّرِيقَ بَعِيدٌ ، وَالْمَنَاقِشَ عَتِيدٌ ، وَالْخَطَرَ عَظِيمٌ ، وَالْوَقْتَ قَرِيبٌ ، وَكَأَنَّ قَدْ كَانَ .

فَتَفَرَّغْ وَفَرَّغْ قَلْبِكَ ، ثُمَّ الْجَدَّ الْجَدَّ ، وَالْوَحَاءَ الْوَحَاءَ ، وَالْهَرَبَ الْهَرَبَ ، وَارْتَحِلْ إِلَى الْآخِرَةِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُرْتَحَلَ بِكَ .

وَاسْتَقْبِلْ رُسُلَ رَبِّكَ ، وَاشْدُدْ مِعْزَرَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى قَضَاؤُكَ ، وَيُحَالَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ مَا تُرِيدُ ، فَقَدْ وَعَظْتُكَ بِمَا وَعَظْتُ بِهِ نَفْسِي ، وَالتَّوْفِيقُ مِنَ اللَّهِ .

وَمِفْتَاحُ التَّوْفِيقِ التَّضَرُّعُ وَالِاسْتِكَانَةُ وَالنَّدَامَةُ عَلَى مَا فَرَّطْتَ ، وَلَا تُضَيِّعْ حَظَّكَ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ وَاللَّيَالِي الَّتِي هِيَ مَتَجَرُّ الرُّهَادِ ، وَمَكْسَبُ الْعِبَادِ .

ثُمَّ إِيَّاكَ وَمَا يُفْسِدُ عَلَيْكَ عَمَلَكَ وَهُوَ الرِّيَاءُ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ رِيَاءً فَأَعْجَابُكَ بِنَفْسِكَ . وَإِيَّاكَ أَنْ تُحِبُّ مَحَامِدَ النَّاسِ أَوْ تُحِبُّ أَنْ يُكْرِمُوكَ بِعَمَلِكَ .

وَيُرُونَ لَكَ فَضِيلَةً وَشَرَفًا وَمَنْزِلَةً فِي صُدُورِهِمْ ، أَوْ حَاجَةً تَطْلُبُهَا إِلَيْهِمْ فِي أَمْرِ مِنَ الْأُمُورِ . فَإِنَّكَ زَعَمْتَ أَنَّكَ تُرِيدُ بِعَمَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ وَالِدَّارِ الْآخِرَةَ وَلَا تُرِيدُ بِهِ غَيْرَهُ .

وَعَلَيْكَ بِكَثْرَةِ ذِكْرِ الْمَوْتِ ، فَكَفَى بِطُولِ الْأَمَلِ قَلَّةَ الْخَوْفِ ، وَجِرَاءَةً عَلَى الْمَعَاصِي ، وَكَفَى بِالْحُسْرَةِ وَالنَّدَامَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَّكَ لَمْ تَعْلَمْ وَلَمْ تَعْمَلْ بِعِلْمِكَ .

وَاطْلُبِ الْعِلْمَ لِتَعْمَلَ بِهِ ، وَلَا تَطْلُبْهُ لِتُبَاهِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ ، أَوْ لِتَمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ ، أَوْ تَأْكُلَ بِهِ الْأَغْنِيَاءَ .



أَوْ تَسْتَحْدِمَ بِهِ الْفُقَرَاءَ ، أَوْ تَصْرِفَ بِهِ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْكَ ، فَإِنَّ لَكَ مِنْ عِلْمِكَ مَا عَمِلْتَ بِهِ ، وَعَلَيْكَ مَا ضَيَّعْتَ مِنْهُ .

فَكُلُّ مَنْ طَلَبَ الْحَيَّرَ صَارَ غَرِيبًا فِي زَمَانِهِ ، فَلَا تَسْتَوْحِشْ وَاسْتَقِمْ عَلَى سَبِيلِ رَبِّكَ .  
وَاشْتَغَلْ بِذِكْرِ عُيُوبِ نَفْسِكَ عَنْ ذِكْرِ عُيُوبِ غَيْرِكَ ، وَاحْزَنْ عَلَى مَا مَضَى مِنْ عُمْرِكَ فِي غَيْرِ طَلَبِ آخِرَتِكَ .

وَأَكْثِرْ مِنَ الْبُكَاءِ عَلَى مَا أَوْفَرْتَ ظَهْرَكَ ، لَعَلَّكَ تَخْلُصُ مِنْهَا وَلَا تُمَسِّكُ عَنِ الْحَيَّرِ وَأَهْلِهِ ، وَلَا تَتَّبَاعِدَ عَنْهُمْ .

وَتَبَاعَدَ مِنَ الْجُهَّالِ وَبَاطِلِهِمْ مَهْمَا اسْتَطَعْتَ ، فَإِنَّهُ لَا يَنْجُو مِنْ جَاوِرِهِمْ إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللَّهُ .

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ : وَإِنْ أَرَدْتَ اللَّحَاقَ بِالصَّالِحِينَ فَاعْمَلْ عَمَلَهُمْ ، وَاخْذُ سِيرَتَهُمْ ، وَاكْتَفِ بِمَا رُزِقْتَ مِنَ الدُّنْيَا .

وَلَا تَنْسَ مَنْ لَا يَنْسَاكَ ، وَلَا تَعْفَلْ عَمَّنْ وُكِّلَ بِكَ ، يُحْصِي أَثْرَكَ ، وَيَكْتُبُ عَمَلَكَ .  
وَرَاقِبِ اللَّهَ فِي سِرِّكَ وَعَلَانِيَتِكَ ، فَهُوَ رَقِيبٌ عَلَيْكَ ، وَاسْتَحْيِ مِمَّنْ هُوَ مَعَكَ ، وَأَقْرُبْ إِلَيْكَ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ .

وَاعْتَرِفْ بِفَاقَةِ نَفْسِكَ وَارْحَمَهَا وَأَكْثِرْ مِنَ الْبُكَاءِ عَلَيْهَا ، وَلَا تَغْبُطْ أَهْلَ الشَّهَوَاتِ بِشَوَاتِهِمْ وَلَا أَهْلَ النَّعَمِ بِنِعْمِهِمْ .

فَإِنَّ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا تُرْزَلُ فِيهِ الْأَقْدَامُ ، وَتُرْعَدُ فِيهِ الْأَجْسَامُ ، وَتَتَضَاعَفُ فِيهِ الْأَلَامُ ، وَتَتَزَايَدُ فِيهِ الْأَسْقَامُ .

وَيَطُولُ فِيهِ الْقِيَامُ ، وَيَشْتَدُّ فِيهِ الْحِسَابُ ، وَيُشْفَقُ فِيهِ الْعَذَابُ ،

وَتَطِيرُ فِيهِ الْقُلُوبُ حَتَّى تَبْلُغَ الْحَنَاجِرَ ، فَيَا لَهَا مِنْ نَدَامَةٍ عَلَى مَا أَصَابُوا مِنْ هَذِهِ الشَّهَوَاتِ .  
وَاجْعَلْ كَسْبَكَ فِيمَا يَكُونُ لَكَ وَلَا تَجْعَلْهُ فِيمَا يَكُونُ عَلَيْكَ ، وَاجْتَنِبِ الْحَرَامَ وَلَا تَجْلِسْ مَعَ  
مَنْ يَكْسِبُهُ .

وَإِيَّاكَ وَالظُّلْمَ ، أَوْ تَكُونَ عَوْنًا لِلظَّالِمِ أَوْ تَصْحَبَهُ أَوْ تُؤَاكِلُهُ ، أَوْ تَبَسَّمْ فِي وَجْهِهِ ، أَوْ تَنَالَ  
مِنْهُ شَيْئًا فَتَكُونَ عَوْنًا لَهُ ، وَالْعَوْنُ شَرِيكٌ ، وَلَا تُخَالِفْ أَهْلَ التَّقْوَى ، وَلَا تُطْعِ أَهْلَ الْخَطَايَا .  
وَلَا تَجَالِسْ أَهْلَ الْمَعَاصِي ، وَاجْتَنِبِ الْمَحَارِمَ . وَعَلَيْكَ بِالتَّوْبَةِ ، وَجَدِّدْهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ ،  
بَلْ فِي كُلِّ سَاعَةٍ ، فَإِنَّ لِكُلِّ ذَنْبٍ تَوْبَةً ، وَتَرَكَ الذَّنْبَ أَيْسَّرَ مِنْ طَلَبِ التَّوْبَةِ .  
وَلَا تَتَهَاوَنَ بِالدَّنْبِ الصَّغِيرِ ، وَلَكِنْ انظُرْ مَنْ عَصَيْتَ ، عَصَيْتَ رَبًّا عَظِيمًا ، يُعَاقِبُ عَلَى  
الصَّغِيرِ ، وَيَعْفُو عَنِ الْكَبِيرِ إِنْ شَاءَ .

فَإِنَّ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَذَرَ نَفْسَهُ مَعَ قُرْبِهِ وَخُلَّتِهِ ، وَعُلُوِّ مَنْزِلَتِهِ ، فَسَأَلَ رَبَّهُ  
فَقَالَ : ﴿ وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾ .

وَقَالَ يُوسُفُ الصِّدِّيقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ عِصْمَتِهِ وَنُبُوَّتِهِ : ﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ .

وَقَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴾ .  
وَقَالَ شُعَيْبٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿ وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رُبْنَا ﴾ .  
فَهَؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاءُ الْمُقَرَّبُونَ الْمُحْتَبَبُونَ الْمُخْصَوِّصُونَ بِالنُّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ وَعُلُوِّ الْمَنْزِلَةِ خَافُوا عَلَى  
أَنْفُسِهِمْ ، وَتَضَرَّعُوا إِلَى مَالِكِهِمْ .

( تحذير إلي الغافلين )

أَلَا يَا غَافِلًا يُحْصَى عَلَيْهِ      مِنْ الْعَمَلِ الصَّغِيرَةِ وَالْكَبِيرَةِ  
يُصَاحُ بِهِ وَيُنذَرُ كُلَّ يَوْمٍ      وَقَدْ أَنْسَتْهُ غَفْلَتُهُ مَصِيرَهُ  
تَأْتَهُ لِلرَّحِيلِ فَقَدْ تَدَانَى      وَأَنْذَرَكَ الرَّحِيلَ أَخَ وَجِيرَهُ  
وَأَنْتَ رَخِيٌّ بَالٍ فِي غُرُورٍ      كَأَنَّ لَمْ تَقْتَرِفْ فِيهَا صَغِيرَهُ  
وَكَمْ ذَنْبٍ أَتَيْتَ عَلَى بَصِيرَةٍ      وَعَيْنُكَ بِالَّذِي تَأْتِي قَرِيرَهُ  
تُحَاذِرُ أَنْ تَرَكَ هُنَاكَ عَيْنٌ      وَإِنَّ عَلَيْكَ لِلْعَيْنِ الْبَصِيرَهُ  
وَكَمْ حَاوَلْتَ مِنْ أَمْرِ عَظِيمٍ      مُنِعْتَ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَخَيْرَهُ  
وَكَمْ مِنْ مَدْخَلٍ لَوْ مُتَّ فِيهِ      لَكُنْتَ بِهِ نَكَالًا فِي الْعَشِيرَهُ  
وَقِيَتِ السُّوءَ وَالْمَكْرُوهَ فِيهِ      وَرُحْتَ بِنِعْمَةٍ فِيهِ سَاتِيرَهُ  
وَكَمْ مِنْ نِعْمَةٍ لِلَّهِ تُمَسِي      وَتُصْبِحُ لَيْسَ تَعْرِضُفُهَا كَثِيرَهُ

اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْإِيمَانَ وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا وَكِرِهْ إِلَيْنَا الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ وَاجْعَلْنَا مِنَ الرَّاشِدِينَ وَاعْفُ رَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

( فَصْلٌ ) وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ : واعلم يا أخي أَنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ نَافِلَةً حَتَّى تُؤَدِّيَ الْفَرِيضَةَ ، وَأَنَّ اللَّهَ حَقًّا بِاللَّيْلِ لَا يَقْبَلُهُ بِالنَّهَارِ .

وَحَقًّا بِالنَّهَارِ لَا يَقْبَلُهُ بِاللَّيْلِ ، وَأَنَّهُ يُحَاسِبُ الْعَبْدَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْفَرَائِضِ ، فَإِنْ جَاءَ بِهَا تَامَةً قُبِلَتْ فَرَائِضُهُ وَنَوَافِلُهُ .

وَإِنْ لَمْ يُؤَدِّهَا وَأَضَاعَهَا أُحْقَتِ النَّوَافِلُ بِالْفَرَائِضِ ؛ فَإِنْ شَاءَ عَفَرَ لَهُ وَإِنْ شَاءَ عَدَّبَهُ .  
وعليكَ بتقوى الله عَزَّ وَجَلَّ ، وَلِسَانٍ صَادِقٍ وَنِيَّةٍ خَالِصَةٍ ، وَأَعْمَالٍ صَالِحَةٍ ، لَيْسَ فِيهَا غِشٌّ وَلَا خُدْعَةٌ .

فَإِنَّ اللَّهَ يَرَاكَ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ ، فَلَا تُخَادِعِ اللَّهَ يُخَادِعُكَ ، وَأَصْلِحْ

سِرِّرَتِكَ وَعَلَانِيَتِكَ ، وَأَحْسِنُ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ يُحْسِنُ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ النَّاسِ .  
 وَاَعْمَلْ لِأَخْرَجَتِكَ يَكْفِيكَ أَمْرَ دُنْيَاكَ ، وَبِعَ دُنْيَاكَ بِأَخْرَجَتِكَ تَرْبُحُهُمَا جَمِيعًا ، وَلَا تَبِعِ أَخْرَجَتِكَ  
 بِدُنْيَاكَ فَتَخْسِرَهُمَا جَمِيعًا .  
 وَإِيَّاكَ وَمُجَالَسَةَ أَهْلِ الْجَفَاءِ ، وَلَا تَصْحَبْ إِلَّا مُؤْمِنًا ، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيًّا ، وَلَا  
 تُصَاحِبِ الْفَاجِرَ وَلَا مُجَالِسُهُ .  
 وَإِيَّاكَ وَأَبْوَابَ الْمُلُوكِ وَأَبْوَابَ مَنْ يَأْتِي أَبْوَابَهُمْ وَأَبْوَابَ مَنْ يَهْوَى هَوَاهُمْ ، فَإِنَّ مَعَهُمْ مِثْلَ  
 فِتْنِ الدَّجَالِ .

شِعْرًا: مَضَى السَّلْفُ الْأَبْرَارَ يَعْبِقُ ذِكْرَهُمْ فَسِيرُوا كَمَا سَارُوا عَلَى الْبِرِّ وَاصْنَعُوا

وَكُنْ مَبْدُولًا بِمَالِكَ وَنَفْسِكَ لِإِخْوَانِكَ ، وَعَلَيْكَ بِالْكَسْبِ الطَّيِّبِ ، وَمَا تَكْسِبُ بِيَدَيْكَ ،  
 وَإِيَّاكَ وَأَوْسَاحَ النَّاسِ أَنْ تَأْكُلَهُ أَوْ تَلْبَسَهُ .  
 فَإِنَّ الَّذِي يَأْكُلُ أَوْسَاحَ النَّاسِ فَهُوَ يَتَكَلَّمُ مَعَهُمْ بِذَلَّةٍ وَتَوَاضِعٍ وَهَوَى ، وَيَتَوَاضِعُ لَهُمْ مَخَافَةً  
 أَنْ يَمْنَعُوهُ .  
 وَيَا أُخِي ! مَتَى تَنَاوَلْتَ مِنَ النَّاسِ شَيْئًا قَطَعْتَ لِسَانَكَ ، وَأَكْرَمْتَ بَعْضَ النَّاسِ وَأَهْنَتَ  
 بَعْضَهُمْ مَعَ مَا يَنْزِلُ بِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَإِنَّ الَّذِي يُعْطِيكَ مِنْ مَالِهِ فَإِنَّمَا هُوَ وَسَخُهُ .  
 وَتَفْسِيرُ وَسَخِهِ : تَطْهِيرُ عَمَلِهِ مِنَ الذُّنُوبِ ، فَإِنَّ أَنْتَ تَنَاوَلْتَ مِنَ النَّاسِ شَيْئًا فَلَا تَأْمَنُ إِنْ  
 دَعَوْكَ إِلَى مُنْكَرٍ أَجَبْتَهُمْ .  
 وَإِنَّ الَّذِي يَأْكُلُ أَوْسَاحَ النَّاسِ كَالرَّجُلِ لَهُ شُرَكَاءُ فِي شَيْءٍ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُقَاسِمَهُمْ ، يَا أُخِي  
 جُوعٌ وَقَلِيلٌ مِنَ الْعِبَادَةِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَشْبَعَ مِنْ أَوْسَاحِ النَّاسِ وَكَثِيرٌ مِنَ الْعِبَادَةِ .  
 فَقَدْ بَلَّغْنَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَخَذَ حَبْلًا ثُمَّ احْتَطَبَ حَتَّى يُدْبِرَ ظَهْرَهُ ،  
 كَانَ خَيْرًا لَهُ مِنْ أَنْ يَقُومَ عَلَى ظَهْرِ أُخِيهِ فَيَسْأَلُهُ أَوْ يَرْجُوهُ » .

وَبَلَعْنَا أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ حَمْدَنَا ، وَمَنْ لَمْ يَعْمَلْ  
أَتَّهَمْنَا .

وَقَالَ : يَا مَعْشَرَ الْقُرَّا ! اِرْفَعُوا رُؤُوسَكُمْ ، لَا تَزِيدُوا الْخُشُوعَ عَلَى مَا فِي الْقَلْبِ ، اسْتَبْقُوا فِي  
الْحَيْرَاتِ ، وَلَا تَكُونُوا عِيَالًا عَلَى النَّاسِ فَقَدْ وَضَحَ الطَّرِيقُ .

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إِنَّ الَّذِي يَعِيشُ مِنْ أَيْدِي النَّاسِ كَالَّذِي يَغْرِسُ  
شَجَرَةً فِي أَرْضٍ غَيْرِهِ .

فاتق الله يا أحيي ، فإنه ما نال أحدٌ من الناس شيئاً إلا صار حَقِيرًا ذَلِيلًا عِنْدَ النَّاسِ ،  
والمؤمنون شهودُ الله في الأرض .

وَإِيَّاكَ أَنْ تَكْسِبَ حَيْثًا فَتُنْفِقَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ ، فَإِنَّ تَرْكَهُ وَاللَّهُ فَرِيضَةٌ وَاجِبَةٌ ، وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ  
وَجَلَّ لَا يَقْبَلُ إِلَّا الطَّيِّبَ .

أَرَأَيْتَ رَجُلًا أَصَابَ ثَوْبَهُ بَوْلٌ ثُمَّ أَرَادَ أَنْ يَطَهِّرَهُ فَعَسَلَهُ بِبَوْلٍ آخَرَ ، أَتَرَى كَانَ ذَلِكَ يُطَهِّرُهُ ؟  
إِنَّ الْبَوْلَ لَا يُطَهَّرُ إِلَّا بِطَاهِرٍ طَيِّبٍ ، فَكَذَلِكَ لَا تُمَحَّى سَيِّئَةٌ بِسَيِّئَةٍ ، وَلَا تُمَحَّى إِلَّا بِحَسَنَةٍ .  
وَعَلَيْكَ بِالصِّدْقِ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا . وَإِيَّاكَ وَالْكَذِبَ وَالْخِيَانَةَ ، وَإِيَّاكَ وَالرِّيَاءَ فِي الْقَوْلِ  
وَالْعَمَلِ فَإِنَّهُ الشَّرْكَ بَعِينُهُ .

وَإِيَّاكَ وَالْعُجْبَ فَإِنَّ الْعَمَلَ لَا يُرْفَعُ وَفِيهِ عُجْبٌ ، وَلَا تَأْخُذْ إِلَّا بِمَنْ هُوَ مُشْفِقٌ عَلَى دِينِهِ .  
فَإِنَّ مَثَلَ الَّذِي هُوَ غَيْرُ مُشْفِقٍ عَلَى دِينِهِ كَمَثَلِ طَيْبٍ بِهِ دَاءٌ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُعَالِجَ دَاءَ  
نَفْسِهِ ، وَلَا يَنْصَحُ لِنَفْسِهِ ، وَلَا يَتَجَنَّبُ مَا يَضُرُّ مَرَضَهُ وَيَحْمِيهَا مِنْهُ .

فَكَيْفَ يَصْلِحُ أَنْ يُعَالِجَ دَاءَ النَّاسِ وَيَنْصَحُ لَهُمْ ؟! فهذا الذي لا يُشْفِقُ عَلَى دِينِهِ ، كَيْفَ  
يُشْفِقُ عَلَى دِينِكَ ؟!

وَيَا أَخِي ! إِنَّمَا دِينُكَ لِحْمِكَ وَدَمُكَ ، فَأَبِكِ عَلَى نَفْسِكَ وَأَرْحَمَهَا ، فَإِنَّ أَنْتَ لَمْ تَرْحَمَهَا لَمْ تُرْحَمْ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

### ( فَصْلٌ )

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ : وَلْيَكُنْ جَلِيسُكَ مَنْ يُزْهِدُكَ فِي الدُّنْيَا وَيُرْعَبُكَ فِي الْآخِرَةِ ، وَإِيَّاكَ وَجُلَّاسَةَ أَهْلِ الدُّنْيَا الَّذِينَ يَخْوِضُونَ فِي حَدِيثِ الدُّنْيَا ، فَإِنَّهُمْ يُفْسِدُونَ عَلَيْكَ دِينَكَ وَقَلْبَكَ . وَأَكْثَرُ ذِكْرِ الْمَوْتِ .

وَأَكْثَرُ الْاسْتِغْفَارِ مِمَّا قَدْ سَلَفَ مِنْ ذُنُوبِكَ ، وَسَلِ اللَّهَ السَّلَامَةَ وَالْعِصْمَةَ لِمَا قَدْ بَقِيَ مِنْ عُمْرِكَ . ثُمَّ أَحْبِبْ عَلَيْكَ بِأَدَبٍ حَسَنٍ ، وَخُلُقٍ حَسَنٍ . وَلَا تُخَالِفَنَّ الْجَمَاعَةَ إِذَا كَانُوا عَلَى السُّنَّةِ ، فَإِنَّ الْخَيْرَ فِيهَا . وَانصَحْ لِكُلِّ مُؤْمِنٍ إِذَا سَأَلَكَ فِي أَمْرِ دِينِهِ .

وَلَا تَكْتُمَنَّ أَحَدًا مِنَ النَّصِيحَةِ شَيْئًا إِذَا شَاوَرَكَ فِيهَا كَانَ اللَّهُ رِضًا ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَخُونَ مُؤْمِنًا ؛ فَمَنْ خَانَ مُؤْمِنًا فَقَدْ خَانَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ . وَإِذَا أَحْبَبْتَ أَخَاكَ فِي اللَّهِ فَاذِلْ لَهُ نَفْسَكَ وَمَالَكَ . وَإِيَّاكَ وَالْحُصُومَاتِ وَالْجِدَالَ وَالْمِرَاءَ ، فَإِنَّكَ تَصِيرُ ظَلُومًا خَوَّانًا أَثِيمًا .

وعليك بالصبر في المواطن كلها ، فإنَّ الصبرَ يجزئ إلى البرِّ ، والبرُّ يجزئ إلى الجنة . وَإِيَّاكَ وَالْحِدَّةَ وَالغضبَ ؛ فإنهما يجزان إلى الفجور ، والفجور يجزئ إلى النار . وَلَا تُمَارِئَنَّ عَالِمًا فَيَمُوتَكَ ، وَإِنْ ااخْتَلَفَ إِلَى الْعُلَمَاءِ رَحْمَةً ، وَالانقطاعَ عنهم سَخَطُ الرَّحْمَنِ .

فإنهم خزائن الأنبياء وأصحاب موارثهم ، وأمناء الله وهداة الدين

( يُريد العلماء المتبعون للكتاب والسنة والمطبِقون لهما في الأقوال والأفعال ) .  
 لا مَنْ يُسَمُّونَ عُلماءَ وَكَيْسَ بَعُلماءَ لا يُرى عليهم آثارُ العِلمِ فهؤلاء يجب الابتعاد عنهم  
 والتحذير منهم نَسألُ اللهَ السَّلامَةَ والعِصْمَةَ .  
 وعليك بالزهد يُبَصِّرُكَ عَوْرَاتِ الدُّنْيَا ، وَعَلَيْكَ بِالْوَرَعِ يُخَفِّفُ اللهُ حِسَابَكَ .  
 وَدَعَّ كَثِيرًا مِمَّا يَرِيكَ إِلَى ما لا يَرِيكَ تَكُنْ سَالِمًا ، وادْفَعْ الشَّكَّ بِالْيَقِينِ يَسْلَمْ لَكَ دِينُكَ .  
 وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ ، وانه عن المُنْكَرِ تَكُنْ حَبِيبَ اللهِ ، وَأَقِلَّ الفَرْحَ والضَّحِكَ تَزِدُّ قُؤُوءَ عِنْدَ  
 اللهُ ، وَاَعْمَلْ لآخِرَتِكَ يَكْفِكَ اللهُ أَمْرَ دُنْيَاكَ .  
 وإذا أردتَ أَمْرًا من أُمُورِ الدنْيا فَعَلَيْكَ بالتَّوَادَّةِ ؛ فَإِنْ رَأَيْتَهُ مُوافِقًا لآخِرَتِكَ فَخُذْهُ ، وَإِلَّا  
 فَخَفِّفْ عَنْهُ ، وَسَلِّ اللهُ العافيةَ وَحُسْنَ العاقِبَةِ .  
 وَإِذَا هَمَمْتَ بِأَمْرٍ من أُمُورِ الآخرةِ فَشَمِّرْ إِلَيْهَا مُسْرِعًا مِنْ قَبْلِ أَنْ يَحُولَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا  
 الشَّيْطَانُ .  
 وَلَا تَكُونَنَّ أَكُولًا ، وَلَا تَأْكُلَنَّ بغيرِ شَهْوَةٍ ، وَلَا بغيرِ نِيَّةٍ ، وَلَا عَلَى شِبَعٍ ؛ فَيَسْتَفُو قَلْبُكَ .  
 وَإِيَّاكَ وَالطَّمَعِ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ ، فَإِنَّ الطَّمَعِ هَلَاكُ الدِّينِ .  
 وَإِيَّاكَ وَالْحِرْصَ عَلَى الدنْيا ، فَإِنَّ الحِرْصَ يَفْضَحُ يَوْمَ القِيَامَةِ . وَكُنْ طَاهِرَ القَلْبِ نَقِيًّا  
 الجَسَدِ مِنَ الذُّنُوبِ وَالخَطَايَا .  
 نَقِيًّا اليَدَيْنِ مِنَ المِظَالِمِ ، سَلِيمَ القَلْبِ مِنَ العِشِّ والمَكْرِ والخِيَانَةِ ، خَالِي البَطْنِ مِنَ الحَرَامِ ،  
 فَإِنَّهُ لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ لِحْمٍ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ .  
 وَكُفِّ بَصْرَكَ عَنْ عَوْرَاتِ النَّاسِ ، وَلَا تَمْشِينَ إِلَى غَيْرِ حَاجَةٍ ، وَلَا تَكَلِّمَنَّ بغيرِ حِكْمَةٍ .  
 وَإِيَّاكَ ثُمَّ إِيَّاكَ أَنْ تَلِي نَفْسِكَ مِنَ الأمانَةِ شَيْئًا ، وَقَدْ سَمَّاكَ اللهُ ظَلُومًا

جهولاً ، وأقل العثرة ، وأقل الاعتذار ، واغفر ذنب من يُرجى خيره ويُؤمن شره .  
ولا تُبغض أحداً يُطيع الله ورسوله ، ولا تُقطع رحمك ، وصل من قطعك ، وصل رحمك  
وإن قطعتك .

وتجاوز عمن ظلمك تكن رقيق الأنبياء والشهداء ، وأقل دخول السوق ، فإن أهله ذئاب  
عليهم ثياب ، وفي السوق مردة الشياطين من الجن والإنس .  
وإذا دخلتها فقل : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يُحيي  
وَيُميت ، وهو حي لا يموت ، بيده الخير وهو على كل شيء قدير . اللهم صل على محمد  
وعلى آل محمد وأصحابه أجمعين .

فقد بلغنا عن النبي  $\rho$  أنه قال : « يُكتب لِقَائِهَا بِعَدَدِ مَنْ فِي السُّوقِ مِنْ أَعْجَمِي أَوْ  
فَصِيحٍ عَشْرُ حَسَنَاتٍ » . وَإِيَّاكَ أَنْ تُفَارِقُ الدَّسَمَ ؛ فَإِنَّهُ أَمُّ لِعَقْلِكَ ، وَلَا تَمْنَعَنَّ نَفْسَكَ مِنَ  
الحلاوة إن قدرت ؛ فَإِنَّهُ يَزِيدُ فِي الحِلْمِ ، وَعَلَيْكَ بِاللَّحْمِ إِنْ وَجَدْتَهُ ، وَلَا تَدْمُ عَلَيْهِ وَلَا تَدَعُهُ  
أربعين يوماً فيسوء خلقتك ، وَلَا تَرُدَّ الطَّيْبَ ؛ فَإِنَّهُ يَزِيدُ الدَّمَاعَ قُوَّةً .  
والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

### ( فَصْلٌ )

وَقَالَ رحمه الله : وَعَلَيْكَ بِاللَّبَّاسِ الحَشَنِ نَجِدْ حلاوة الإيمان ، وَعَلَيْكَ بِالصَّوْمِ يَسُدُّ بَابَ  
الفجور ، وَيُفْتَحُ عَلَيْكَ بَابَ العِبَادَةِ ، وَعَلَيْكَ بِقَلَّةِ الكَلَامِ يَلِنُ قَلْبُكَ . قُلْتُ : إِنْ بَدَكَ اللهُ  
وما ولاه .

وعليك بطول الصمت تملك الورع ، ( أي إلا ما فيه نفع أخروي أو ما هو وسيلة إليه )  
ولا تكن طعاناً ولا مُعْتَاباً تسلم من ألسن الناس .  
وكن رحيماً تكن محبباً إلى الناس ، وارض بما قسم الله لك تكن غنياً ،



وتوكل على الله تكن قوياً ، وكن متواضعاً تستكمل أعمال البر .  
وكن عفواً تظفر بحاجتك ، وكن رحيماً يترحم عليك ، وعليك بالسخاء فإنه يستثر العورات .

وعليك بكثرة المعروف يُؤنسك الله في قبرك واجتنب المحارم كلها بجد حلاوة الإيمان .  
وأحب أهل الجنة تكن معهم يوم القيامة وابعض أهل المعاصي يُحبك الله والمؤمنون .  
واحرص يا أخي ! أن يكون أول أمرك وآخزه على تقوى الله في السر والعلانية .  
واخش الله خشية من علم أنه ميت ومبعوث ومحشور وموقوف بين يدي الجبار .  
ثم المصير إلى أحد الدارين ؛ إما إلى جنة ناعمة خالدة ، أو إلى نار حامية مؤبدة دائمة .  
وجالس الفقراء ، واصحب المساكين ، وأرض بعيشتهم ، وتأس بفقيرهم ، واصبر علي مضطربهم .

وكن راضياً عن الله بما قسم ، وداخلاً تحت ما حكم ، ساهراً في جنح الظلم . انتهى .  
قال يحيى بن أكنم : كنت أرى شيخاً يدخل على المأمون وكان يخلو به خلوة طويلة ثم ينصرف فلا نسمع له خبراً فلما توفي .

قال لنا المأمون : وأسفاً على فقد صديق مسكونٍ إليه مؤثوق به وثقتبس منه الفوائد  
والعبر فقلنا :

ومن ذاك يا أمير المؤمنين ؟ قال : أما كنت ترى شيخاً يأتينا ويخلو به من دون الناس  
قلت : بلى . قال : قد تأخر عن إبانته وأظن أنه قد مات .

قلت : وما في ذلك ؟ قال : كان صديقي بخرسان وكنت أسريح إليه

استراحة المكروب وأجد به ما يوجد بالولد السار المحبوب ولقد استمد منه رأياً أقوم به أود المملكة وأصل به إلى رضا الله في سياسة الرعية . وآخر ما قال لي عند وداعه : إذا استشنت ما بينك وبين الله فابذلته قلت : بماذا يا صاحب الخير ؟ قال : بالافتداء به في الإحسان إلى عبادة فإنه يجب الإحسان من عباده إلى عباده كما تحب الإحسان إلى ولدك من حاشيتك . والله ما أعطاك القدرة عليهم إلا لتصير على إحسانك إليهم بالشكر على حسناتهم والتعمد لسيئاتهم وأي شيء أوجه لك عند ربك من أن يكون أمامك عدل وإنصاف وإحسان وإسعاف ورفقة ورحمة من لي بمثل هذا القائل وأنى لي بمن يذكرني ما انا إليه صائر .

ألا إنما الدنيا متاع غرور	ودار بلاء مؤذن بثبور
ودار ملومات ودار فجائع	ودار فنا في ظلمة ونحور
دار خيال من شكوك وحيرة	ودار صعود في الهوى وحذور
إن امرأ لم ينج فيها بنفسه	على ما يرى فيها لغير صبور
ولا بد من يومين يوم بليّة	إرادة جبار ويوم نشور
كأنني بيوم ما أخذت تأهباً	لربي رواحى مرة وبكوري
كفى حسرة أن الحوادث لم تنزل	تصير أهل الملك أهل قبور
ألا ربّ أبناء اتساع وفرحة	وزهرة عيش مونتق وحبور
وأبناء لذات وظل مصانع	وظل مقاصير وظل قصور
نظرت إليهم في بيوت من الثرى	مسترة من رضرض بسطور
وكم صور تحت الثراب مقيمة	على غير أبشار وغير شعور
ثوت في سرايل عليها من الحصى	ومن لخب من جندل وصخور
إذا ما مررنا بالقبور لحاجة	مررنا بدور هن أجمل دور
ألا ربّ جبار بها متكبر	ويا ربّ مختال بها وفخور
خليلي كم من ميّت قد حضرته	ولكنني لم أنتفع بحصوري

وَكَمْ مِنْ خُطُوبٍ قَدْ طَوَّئْتِي كَثِيرَةً      وَكَمْ مِنْ أُمُورٍ قَدْ جَرَتْ وَأُمُورٍ  
وَكَمْ مِنْ لَيَالٍ قَدْ أَرْتَنِي عَجَائِبًا      لَهْنًا وَأَيَّامٍ خَلَّتْ وَشُهُورٍ  
وَمَنْ لَمْ تَزِدْهُ السَّنُّ مَا عَاشَ عِبْرَةً      فَذَاكَ الَّذِي لَا يَسْتَضِيءُ بِنُورِ  
مَتَى دَامَ فِي الدُّنْيَا سُرُورٌ لِأَهْلِهَا      فَأَصْبَحَ فِيهَا وَائْتَقَا بِسُرُورٍ؟

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ يَا بَدِيْعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ نَسْأَلُكَ أَنْ تُوفِّقَنَا لِمَا فِيهِ صَلَاحٌ دِينِنَا  
وَدُنْيَانَا وَأَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا وَأَكْرِمِ مَثْوَانَا وَاعْمُرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ  
الرَّاحِمِينَ . وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

### ( فَصْلٌ )

#### فِي مَالِ الْإِنْسَانِ وَمَصِيرِهِ

قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ : بَيْنَمَا الْإِنْسَانُ فِي صِحَّتِهِ مُتَمَتِّعًا فَرِحًا بِقُوَّتِهِ وَشَبَابِهِ يَخْطُرُ لَهُ الضَّعْفُ  
عَلَى قَلْبٍ وَلَا الْمَوْتُ عَلَى بَالٍ إِذْ هَجَمَ عَلَيْهِ الْمَرَضُ وَجَاءَ الضَّعْفُ بَعْدَ الْقُوَّةِ وَحَلَّ الْهَمُّ مِنْ  
نَفْسِهِ مَحَلَّ الْفَرَحِ وَالْكَدْرُ مَكَانَ الصَّفَاءِ وَلَمْ يَعُدْ يُؤْنَسُهُ جَلِيسٌ وَلَا يُرِيحُهُ حَدِيثٌ وَلَا حَوْلٌ وَلَا  
قُوَّةٌ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ قَدْ سَعِمَ وَمَلَّ مِمَّا كَانَ يَرْغَبُهُ فِي أَيَّامِ صِحَّتِهِ وَصَارَ لَا يَشْتَهِي الْغَدَاءَ  
وَيَكْرَهُ تَنَاوُلَ الدَّوَاءِ عَلَى بَقَاءِ فِي لَبِّهِ وَصِحَّتُهُ فِي عَقْلِهِ يُفَكِّرُ فِي عُمُرِ أَفْنَاهِ وَشَبَابِ أَضَاعَهُ فِي  
الْفُسُوقِ وَالْعَصْيَانِ وَعِنْدَ الْمَلَاهِيِ وَالْمُنْكَرَاتِ .

وَيَتَذَكَّرُ أَمْوَالًا جَمَعَهَا وَدُورًا بَنَاهَا وَقُصُورًا شَيَّدَهَا وَضِيَاعًا جَدَّ وَكَدَّ فِي حَيَارَتِهَا وَيَتَأَلَّمُ لِدُنْيَا  
فَارَقَهَا وَيَتْرُكُ ذُرِيَّةً ضِعَافًا يَخَافُ عَلَيْهِمُ الضِّيَاعَ مِنْ بَعْدِهِ مَعَ اسْتِعْغَالِ نَفْسِهِ بِمَرَضِهِ وَالْأَمَةِ وَتَعَلُّقِ  
قَلْبِهِ بِمَا يُعَجِّلُ شِفَاءَهُ وَلَكِنْ مَا الْحِيلَةُ إِذَا اسْتَفْجَلَ الدَّاءُ وَلَمْ يُفِدِ الدَّوَاءَ وَحَارَ الطَّبِيبُ وَيَسَّ  
الْحَبِيبُ ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ .

عِنْدَ هَذَا يَسْتَشْعِرُ النَّدَمَ عَلَى مَا مَضَى وَيَحْسُ بِعَوَاقِبِ التَّفْرِيطِ وَالْإِهْمَالِ

وَقَدْ تَغَيَّرَ لَوْنُهُ وَغَارَتْ عَيْنَاهُ وَمَالَ عُنُقُهُ وَأَنْفُهُ وَذَهَبَ حُسْنُهُ وَجَمَّالُهُ وَخَرَسَ لِسَانُهُ وَصَارَ بَيْنَ أَهْلِهِ  
وَأَصْدِقَائِهِ يَنْظُرُ وَلَا يَفْعَلُ وَيَسْمَعُ وَلَا يَنْطِقُ يُقَلِّبُ بَصَرَهُ فِيمَنْ حَوْلَهُ مِنْ أَوْلَادِهِ وَأَهْلِهِ وَإِخْوَتِهِ وَأَقَارِبِهِ  
وَأَحْبَابِهِ وَجِيرَانِهِ يَنْظُرُونَ مَا يُقَاسِيهِ مِنْ كَرْبٍ وَشِدَّةٍ وَلَكِنَّهُمْ عَنِ انْقَادِهِ أَوْ تَخْفِيفِ كَرْبِهِ عَاجِزُونَ .

شِعْرًا: أَحَاطَتْ بِهِ أَحْزَانُهُ وَهُمُومُهُ      وَأَبْلَسَ لَمَّا أَعْجَزَتْهُ الْمَقَادِرُ  
فَلَيْسَ لَهُ مِنْ كُرْبَةِ الْمَوْتِ فَارِحٌ      وَلَيْسَ لَهُ مِمَّا يُحَادِرُ نَاصِرُ  
وَقَدْ جَشَّاتِ خَوْفِ الْمَنِيَّةِ نَفْسُهُ      تُرَدِّدُهَا مِنْهُ اللَّهُا وَالْحَنَاجِرُ  
فَكَمْ مُوجِعٌ يَبْكِي عَلَيْهِ مُفْجِعٌ      وَمُسْتَنْجِدٌ صَبْرًا وَمَا هُوَ صَابِرُ  
وَمُسْتَرْجِعٌ دَاعٍ لَهُ اللَّهُ مُخْلِصًا      يَعِدُّ مِنْهُ كُلَّ مَا هُوَ ذَاكِرُ  
وَكَمْ شَامِتٍ مُسْتَبْشِرٍ بِوَفَاتِهِ      وَعَمَّا قَلِيلٍ لِلَّذِي صَارَ صَائِرُ  
وَحَلَّ أَحَبُّ الْقَوْمِ كَانَ بِقُرْبِهِ      يَحُثُّ عَلَى تَجْهِيزِهِ وَيَبَادِرُ  
وَشَمَّرَ مَنْ قَدْ أَحْضَرُوهُ لِعَسَلِهِ      وَوَجَّهَ لَمَّا فَاضَ لِلْقَبْرِ حَافِرُ  
وَكُفِّنَ فِي ثَوْبَيْنِ وَاجْتَمَعُوا لَهُ      مُشَاعِرُهُ إِخْوَانُهُ وَالْعَشَائِرُ  
فَلَوْ أَبْصَرْتَ عَيْنَاكَ أَوْلَادَهُ الَّذِي      عَلَى فَقْدِهِ مِنْهُمْ قُلُوبٌ تَفْطُرُ  
لَعَايَنْتَ مِنْ قَبْحِ الْمَنِيَّةِ مَنْظَرًا      يُهَالُ لِمَرَّاهُ وَيَرْتَاعُ نَاطِرُ  
أَكَابِرُ أَوْلَادٍ يَهِيحُ أَكْسَابُهُمْ      إِذَا مَا تَنَاسَوْهُ الْبُنُونَ الْأَصَاغِرُ  
وَرَبَّاهُ نِسْوَانٍ عَلَيْهِ جَوَانِعُ      مَدَامِعُهُمْ فَوْقَ الْخُدُودِ غَوَازِرُ  
ثَوَى مُفْرَدًا فِي لَحْدِهِ وَتَوَزَّعَتْ      مَوَارِيثُهُ أَوْلَادَهُ وَالْأَصَاهِرُ  
وَأَحْنُوا إِلَى أَمْوَالِهِ يَقْسِمُونَهَا      فَلَا حَامِدٌ مِنْهُمْ عَلَيْهَا وَشَاكِرُ  
فِيَا عَامِرِ الدُّنْيَا وَيَا سَاعِيًا لَهَا      وَيَا آمِنًا مِمَّا تَدُورُ الدَّوَائِرُ  
سَتَلَقَى الَّذِي لَاقَى عَلَى الرَّغْمِ أَنْفَا      فَخُذْ أَهْبَةً وَاحْرِصْ فَمَا لَكَ عَادِرُ

وَبَعْدَ أَنْ كَانُوا يُجِبُونَ حَيَاتَهُ وَبَقَاءَهُ صَارُوا يَتَمَنَّوْنَ مَوْتَهُ وَرَاحَتَهُ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهَ عَمَّا قَلِيلٍ مَأْخُودٌ مِنْ  
بَيْنِهِمْ حَيْثُ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى مَنَعِهِ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّ

رُوحٍ هِ إِلَى بَدَنِهِ قَالَ تَعَالَى : ﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُمُومَ \* وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ \* وَنَحْنُ أَقْرَبُ  
إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ \* فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ \* تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ .  
ثُمَّ لَا يَزَالُ يُعَالِجُ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ وَشَدَائِدَهُ وَيَشْتَدُّ بِهِ النَّزْعَ وَجَعَلَ يُتَابِعُ نَفْسَهُ وَاخْتَلَّ نَبْضُهُ  
وَتَعَطَّلَ سَمْعُهُ وَبَصَرُهُ كَمَا تَعَطَّلَ قَبْلَ ذَلِكَ لِسَانُهُ حَتَّى إِذَا جَاءَ الْأَجَلَ وَنَفَذَ الْقَضَاءُ وَفَاضَتْ  
رُوحُهُ إِلَى السَّمَاءِ صَارَ جُثَّةً هَامِدَةً وَجِيفَةً َّ بَيْنَ أَهْلِهِ وَعَشِيرَتِهِ قَدْ اسْتَوْحَشُوا مِنْ جَانِبِهِ  
وَتَبَاعَدُوا وَمَاتَ اسْمُهُ الَّذِي كَانُوا يَعْرِفُونَهُ كَمَا مَاتَ شَخْصُهُ الَّذِي كَانُوا يَأْتَسُونَ بِهِ وَأَصْبَحُوا  
يَقُولُونَ الْمَيِّتُ بَعْدَ أَنْ كَانُوا يُنَادُونَهُ بِاسْمِهِ حَيًّا .

فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ثُمَّ أَخَذَ الْعَاسِلُ فَجَرَّدَهُ مِنْ ثِيَابِهِ وَصَارَ يُقَلِّبُهُ عُرْيَانًا وَيَضَعُ يَدَهُ عَلَى  
سَوَاتِهِ وَعَوْرَتِهِ وَقَدْ كَانَ يَسْتَحْيِي وَيَخْجَلُ مِنْهُ حَالَ حَيَاتِهِ . ثُمَّ أُدْرِجَ فِي أَكْفَانِهِ كَمَا يُدْرِجُ الْمَتَاعُ فِي  
لِفَافِيهِ وَبَعَدَ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ يَحْمِلُونَهُ إِلَى حُفْرَةٍ عَمِيقَةٍ ضَيِّقَةٍ مُوَحِّشَةٍ وَيَتَرَكُونَهُ وَحِيدًا لَا أُنَيْسَ وَلَا  
رَفِيقَ إِلَّا عَمَلَهُ انْتَهَى وَوُجِدَ مَكْتُوبًا عَلَى قَبْرِهِ :

شِعْرًا: فَأَمَسُوا رَمِيمًا فِي الثَّرَابِ وَعَظَلَتْ  
وَحَلُّوا بِدَارٍ لَا تَزَاوُرَ بَيْنَهُمْ  
فَمَا أَنْ تَرَى إِلَّا قُبُورًا تَوَوَّأَ بِهَا  
فَمَا صَرَفَتْ كَفَّ الْمَنِيَّةِ إِذْ أَتَتْ  
وَلَا دَفَعَتْ عَنْهُ الْخُصُونَ الَّتِي بَنَى  
وَلَا قَارَعَتْ عَنْهُ الْمَنِيَّةَ حِيلَةً  
أَتَاهُ مِنَ الْجَبَّارِ مَا لَا يَرُدُّهُ  
مَلِيكَ عَزِيزٌ لَا يُرَدُّ قَضَاؤُهُ  
مَجَالِسُهُمْ مِنْهُمْ وَأَخْلَى الْمَقَاصِرُ  
وَأَنْبَى لِسُكَّانِ الْقُبُورِ التَّرَاوُرُ  
مُسَطَّحَةً تَسْفِي عَلَيْهَا الْأَعَاصِرُ  
مُبَادِرَةً تَهْوِي إِلَيْهَا الدَّخَائِرُ  
وَحَفَّتْ بِهَا أَنْهَارُهُ وَالِدَسَاكِرُ  
وَلَا طَمِعَتْ فِي الدَّبِّ عَنْهَا الْعَسَاكِرُ  
وَأَمَرَ قَضَاهُ اللَّهُ لَا بُدَّ صَائِرُ  
حَكِيمٌ عَلِيمٌ نَافِدُ الْأَمْرِ قَاهِرُ

عَنَى كُلُّ ذِي لِعِزَّةٍ وَجْهَهُ فَكَمِ مِنْ عَزِيزٍ لِلْمُهَيِّمِينَ صَاغِرُ

لَقَدْ خَضَعْتَ وَاسْتَسَلَمْتَ وَتَضَاءَلْتَ لِعِزَّةِ ذِي الْعَرْشِ الْمُلُوكِ الْجَبَّارِ

وَقَفَ بَعْضُ السَّلَفِ عَلَى إِنْسَانٍ شَدِيدِ الْحُزْنِ فَقَالَ : مِنْ أَيِّ شَيْءٍ أَنْتَ مَحْزُونٌ ؟ قَالَ : لِأَنِّي أُصِيبُ فِي نَفْسِي وَذَلِكَ أَنِّي قَتَلْتُهَا بِالذُّنُوبِ فَأَنَا حَزِينٌ عَلَيْهَا ثُمَّ أَسْبَلُ دَمْعَهُ فَقَالَ لَهُ : مَا يُبْكِيكَ الْآنَ ؟ قَالَ : ذَكَرْتُ يَوْمًا مَضَى مِنْ أَجْلِي لَمْ يَحْسُنْ فِيهِ عَمَلِي فَبُكَائِي لِقَلَّةِ الرَّادِ وَبُعْدِ الْمَفَارَةِ وَعَقَبَةُ لَا بُدَّ لِي مِنْ صُعُودِهَا ثُمَّ لَا أَدْرِي أَيْنَ يُهْبَطُ بِي إِلَى الْجَنَّةِ أَمْ إِلَى النَّارِ ثُمَّ أَنْشَدَ :

يَا رَاكِبًا يَطْوِي مَسَافَةَ عُمْرِهِ بِاللَّهِ هَلْ تَدْرِي مَكَانَ نُزُولِكَ

شَمَّرَ وَقَمَّ مِنْ قَبْلِ حَظِّكَ فِي الشَّرَى فِي حُفْرَةٍ تَبْلَى بِطُولِ حُلُولِكَ

- وَوُجِدَ مَكْتُوبًا عَلَى قَبْرِ -

ذَهَبَ الْأَحِبَّةُ بَعْدَ طُولِ تَزَاوُرٍ وَنَأَى الْمَزَارُ وَأَسْلَمُوكَ وَأَقْشَعُوا

تَرْكُوكَ أَوْحَشَ مَا تَكُونُ بِقَفْرَةٍ لَمْ يُؤْنَسُوكَ وَكُرْبَةٍ مَا نَفَسُوا

وَقَضَى الْقَضَاءُ وَصِرْتَ صَاحِبَ حُفْرَةٍ عَنكَ الْأَحِبَّةُ أَعْرَضُوا وَتَصَدَّعُوا

آخِرُ : إِنَّ الْمَسَاءَةَ لِلْمَسْرَةِ مَوْعِدٌ أُخْتَانِ رَهْنٌ لِلْعَشِيَّةِ أَوْ غَدِ

فَإِذَا سَمِعْتَ بِهَالِكٍ فَتَيَقَّنْ أَنْ السَّبِيلَ سَبِيلُهُ فَتَزَوَّدْ

آخِرُ : قِفْ بِالْقُبُورِ وَقُلْ عَلَى سَاحَتِهَا مَنْ مِنْكُمْ الْمَغْمُورُ فِي ظُلْمَاتِهَا

وَمَنْ الْمُكْرَمُ مِنْكُمْ فِي قَعْرِهَا قَدْ ذَاقَ بَرْدَ الْأَمْنِ مِنْ رَوَعَاتِهَا

لَوْ جَاوَبُوكَ لِأَخْبَرُوكَ بِاللُّسَنِ تَصِفُ الْحَقَائِقَ بَعْدَ مِنْ حَالَاتِهَا

أَمَّا الْمُطِيعُ فَنَازِلٌ فِي رَوْضَةٍ يُفْضِي إِلَى مَا شَاءَ مِنْ دَوْحَاتِهَا

وَالْمُجْرِمُ الطَّاعِي بِهَا مُتَقَلِّبٌ فِي حُفْرَةٍ يَأْوِي إِلَى حَيَاتِهَا

وَعَقَابٌ تَسْعَى إِلَيْهِ فَرُوحُهُ فِي شِدَّةِ التَّعْذِيبِ مِنْ لَدَغَاتِهَا

آخِرُ : إِنَّ الْحَبِيبَ مِنَ الْأَحْبَابِ مُخْتَلَسٌ لَا يَمْنَعُ الْمَوْتَ بَوَابٌ وَلَا حَرَسٌ

فَكَيْفَ تَفْرَحُ بِالدُّنْيَا وَلَدَتَّهَا  
 أَصْبَحْتَ يَا غَافِلًا فِي النَّقْصِ مُنْغَمِسًا  
 لَا يَرْحَمُ الْمَوْتَ ذَا جَهْلٍ لِعِرْسِهِ  
 آخِر: بَيْنَا الشَّفِيقُ عَلَى إِلْفٍ يُسْرُّ بِهِ  
 يَبْكِي عَلَيْهِ قَلِيلًا ثُمَّ يُخْرِجُهُ  
 وَكُلُّ ذِي أَجَلٍ يَوْمًا سَيَلُغُهُ  
 آخِر: كَمْ أَخْرَسَ الْمَوْتُ فِي قَبْرِ وَقَفْتَ بِهِ  
 فَدَكَانَ قَصْرِكَ مَعْمُورًا لَهُ شَرْفٌ  
 يَا مَنْ يُعَدُّ عَلَيْهِ اللَّفْظُ وَالنَّفْسُ  
 وَأَنْتَ دَهْرُكَ فِي اللَّذَاتِ مُنْغَمِسُ  
 وَلَا الَّذِي كَانَ مِنْهُ الْعِلْمُ يُقْتَبَسُ  
 إِذْ صَارَ أَغْمَضَهُ يَوْمًا وَسَجَّاهُ  
 فَيُمْكِنُ الْأَرْضَ مِنْهُ ثُمَّ يَنْسَاهُ  
 وَكُلُّ ذِي عَمَلٍ يَوْمًا سَيَلْقَاهُ  
 عَنِ الْجَوَابِ لِسَانًا مَا بِهِ خَرَسُ  
 فَقَبْرِكَ الْيَوْمَ فِي الْأَجْدَاثِ مُنْدَرِسُ

هَذِهِ الْأَبْيَاتُ كُتِبَتْ عَلَى قُبُورٍ لِلْإِعْتِبَارِ فَالْبَصِيرِ هُوَ الَّذِي يَنْظُرُ إِلَى قَبْرِ غَيْرِهِ فَيَرَى مَكَانَهُ  
 بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ فَيَسْتَعِدُّ لِلْحُوقِ بِهِمْ وَيَعْلَمُ أَنَّهُمْ لَا يَبْرَحُونَ مِنْ مَكَانِهِمْ حَتَّى يَلْحَقَ بِهِمْ وَلِيَتَحَقَّقَ  
 أَنَّهُ لَوْ عَرَضَ عَلَيْهِمْ يَوْمٌ مِنْ أَيَّامِ عُمُرِهِ الَّذِي هُوَ مَصِيعٌ لَهُ لَكَانَ ذَلِكَ الْيَوْمُ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِنْ  
 الدُّنْيَا بِحَذَائِفِهَا لِأَنَّهُمْ عَرَفُوا قَدَرَ الْأَعْمَارِ وَالْأَعْمَالِ وَانْكَشَفَتْ لَهُمْ حَقَائِقَ الْأُمُورِ وَإِنَّمَا  
 حَسْرَتُهُمْ عَلَى يَوْمٍ مِنَ الْعُمُرِ لِيَتَذَارَكَ الْمُقَصِّرُ بِهِ تَقْصِيرُهُ فَيَتَخَلَّصَ مِنَ الْعِقَابِ وَلِيَسْتَرِيدَ  
 الْمُوَفَّقُ بِهِ رُتْبَةً فَيَضَاعَفُ لَهُ الثَّوَابَ .

لَا يَحْقِرُ الرَّجُلُ اللَّيْبُ دَقِيقَةً  
 فَكَبَائِرُ الرَّجُلِ الصَّغِيرِ صَغِيرَةٌ  
 آخِر: يَا رَبِّ مَا لِي غَيْرَ لُطْفِكَ مَلْجَأً  
 يَا رَبُّ هَبْ لِي تَوْبَةً أَقْضِي بِهَا  
 أَنْتَ الْخَيْرُ بِحَالِ عَبْدِكَ إِنَّهُ  
 أَسْفًا عَلَى عُمْرِي الَّذِي ضَيَعْتُهُ  
 فِي السَّهْوِ فِيهَا لِلْوَضِيعِ مَعَاذِرُ  
 وَصَغَائِرُ الرَّجُلِ الْكَبِيرِ كَبَائِرُ  
 وَلَعَلَّنِي عَنِ بَابِهِ لَا أُطْرَدُ  
 دِينًا عَلَيَّ بِهِ جَلَالُكَ يَشْهَدُ  
 بِسَلْسِلِ الْوِزْرِ الثَّقِيلِ مُقَيَّدُ  
 تَحْتَ الدُّنُوبِ وَأَنْتَ فَوْقِي تَرْصُدُ

يَا رَبِّ قَدْ ثَقُلْتُ عَلَيَّ كِبَائِرُ  
يَا رَبِّ إِنْ أَبْعَدْتُ عَنْكَ فَإِنَّ لِي  
أَنْتَ الْمُجِيبُ لِكُلِّ دَاعٍ يَلْتَجِي  
مِنْ أَيِّ بَحْرٍ غَيْرِ بَحْرِكَ نَسْتَقِي  
بِإِزَاءِ عَيْنِي لَمْ تَزَلْ تَتَرَدَّدُ  
طَمَعًا بِرَحْمَتِكَ الَّتِي لَا تُبْعَدُ  
أَنْتَ الْمُجِيرُ لِكُلِّ مَنْ يَسْتَنْجِدُ  
وَلَايِي بَابٍ غَيْرِ بَابِكَ نَقْصُدُ

والله أعلم . وصلى الله على محمدٍ وصحبه وسلّم .

وفي الحديث : « مَا مِنْ أَحَدٍ يَمُوتُ إِلَّا نَدِمَ : إِنْ كَانَ مُحْسِنًا نَدِمَ أَنْ لَا يَكُونُ أَزْدَادًا ، وَإِنْ كَانَ مُسِيئًا نَدِمَ أَنْ لَا يَكُونُ نَزَعًا » . فَإِنَّهُمْ إِتِمَّا عَرَفُوا قَدْرَ الْعُمْرِ بَعْدَ انْقِطَاعِهِ فَحَسَرْتُهُمْ عَلَى سَاعَةٍ مِنَ الْحَيَاةِ وَأَنْتَ أَيُّهَا الْحَيُّ قَادِرٌ عَلَى تِلْكَ السَّاعَةِ وَرُبَّمَا أَقْدَرَكَ اللَّهُ عَلَى أَمْثَلِهَا .  
ثُمَّ أَنْتَ مُضَيِّعٌ لِلْوَقْتِ وَقَاتِلٌ لَهُ فِيمَا لَا فَائِدَةَ فِيهِ أَوْ فِيمَا مَضَرَّةٌ عَلَيْكَ فَوَطَّنْ نَفْسَكَ عَلَى النَّدَمِ وَالتَّحَسُّرِ وَالتَّلَهُفِ عَلَى تَضْيِيعِ الْوَقْتِ عِنْدَ خُرُوجِ الْأَمْرِ مِنْ اخْتَارِكَ وَعَدَمِ تَمَكِّنِكَ مِنَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ .

وَأذْكُرُ قَوْلَ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا : ﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّآخِرِينَ ﴾ الْآيَاتِ وَقَوْلُهُ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ : ﴿ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَّ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَأَنْذَرْتَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ ﴾ الْآيَةُ وَقَوْلُهُ : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ .

وَنَحْوُ هَذِهِ الْآيَاتِ الَّتِي هِيَ بِالْحَقِيقَةِ لِمَنْ تَدَبَّرَهَا أَبْلَغُ مِنَ السَّيِّطِ ،



فِي الْحَثِّ عَلَى التَّزَوُّدِ لِلْمَعَادِ وَصِيَانَةِ الْوَقْتِ وَصَرْفِهِ فِيمَا يُقَرِّبُ إِلَى اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا .  
وَقَالَ الشَّيْخُ سَعْدُ بْنُ عَتِيقٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى نَازِمًا الْمَفَاتِيحَ الَّتِي ذَكَرَهَا ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ  
تَعَالَى فِي كِتَابِهِ حَادِي الْأَرْوَاحِ .

حَمِدْتُ الَّذِي يُولِي الْجَمِيلَ وَيَنْعِمُ  
لَهُ الْفَضْلُ يُؤْتِي مَنْ يَشَاءُ وَيُكْرِمُ  
وَأَزْكَى صَلَاةِ اللَّهِ ثُمَّ سَلَامُهُ  
عَلَى خَيْرِ مَخْلُوقٍ عَلَيْهِ يَسَلَّمُ  
مُحَمَّدٍ الْهَادِي وَأَصْحَابِهِ الْأَوْلَى  
بِحُسْنِ اجْتِهَادِ عُلَمَائِهِمْ وَتَعَلُّمِهِمْ  
وَبِعَدْلِ فِقْهِهِ عَنِ الْوَفَاءِ لِسَائِلِ  
بِوَعْدِي إِيَّاهُ بِأَنِّي أَنْظِرُكُمْ  
مَفَاتِيحَ كَانَتْ لِلشُّرُورِ وَضِدَّهَا  
فَقَدْ فَازَ مَنْ بِالْخَيْرِ وَالشَّرِّ يَعْلَمُ  
وَأَضْحَى بِمَا يَدْرِي مِنَ الْحَقِّ عَامِلًا  
فَكُنْ عَامِلًا بِالْعِلْمِ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ  
وَقَدْ جَعَلَ الْمَوْلَى لَهُنَّ مَفَاتِيحًا  
تَنَالُ بِهَا وَاللَّهُ بِالْحَقِّ أَغْلَمُ  
فَمِفْتَاحُ شَرْعِي الصَّلَاةِ طُهُورُنَا  
وَيَفْتِيحُ حَجَّاتِ مَحَرَّمِ حِينَ يُحْرَمُ  
وَبِالصَّدَقِ فَتِيحُ الْبِرِّ وَالْعِلْمُ فَتَجَاهُ  
بِحُسْنِ سُؤَالِ عَنِ فَتَى يَتَعَلَّمُ

وَمُسْتَحْسِنِ الْإِصْغَاءِ وَالنَّصْرِ فَتَحُّهُ  
 مَعَ الظَّفَرِ الْمُحْمُودِ بِالصَّبْرِ فَاعْلَمُوا  
 وَتَوْحِيدَنَا لِلَّهِ مِفْتَاحُ جَنَّةِ النَّارِ  
 عَمِيمٍ فَبِالتَّوْحِيدِ دِينُكُمْ وَالتَّعَمُّرُ  
 وَبِالشُّكْرِ لِلنَّعْمَاءِ فَتَحُّ زِيَادَةٍ  
 وَيَخْصُصُ كُلَّ حُجْبٍ وَالْوَالِيَاءِ تُغْنِيكُمْ  
 بِمِفْتَاحِهِ الذِّكْرُ الشَّرِيفُ وَذُو الشَّقَى  
 يَنْبَأُ بِتَقْوَاهُ الْفَلَاحُ وَيُكْرِمُ  
 وَمِفْتَاحُ تَوْفِيقِ الْفَتَى صِدْقُ رَغْبَةٍ  
 وَرَهْبَتِهِ تُنَمُّ الدُّعَاءُ الْمُكْرِمُ  
 لَدَى اللَّهِ مِفْتَاحُ الْإِجَابَةِ وَاعْلَمَنَّ  
 بِأَنَّ جَمِيلَ الزُّهْدِ لِلْعَبْدِ مَعْنَمُ  
 وَيُفْتَحُ لِلْعَبْدِ التَّجَلُّي بِرَغْبَةٍ  
 بِدَارِ الْبَقَاءِ فَارْهَدْ لَعَلَّكَ تَغْنَمُ  
 وَمِفْتَاحُ إِيْمَانِ الْعِبَادِ تَمَكُّرُ  
 بِمَا كَانَ رَبُّ الْعَالَمِينَ دَعَاؤُهُمْ  
 إِلَيَّ نَظَرٍ فِيهِ وَأَنْ يَتَفَكَّرُوا  
 بِهِ وَدُخُولِ الْعَبْدِ ذَاكَ الْمُفْتَحُ  
 عَلَى رَبِّهِ مِفْتَاحُ ذَاكَ سَلَامَةٌ  
 وَإِسْلَامٌ قَلْبٍ لِلْإِلَهِ فَاسْلِمُوا  
 وَمَعَ ذَاكَ إِخْلَاصٌ بِحُبِّ وَنُغْضٍ  
 وَفِعْلٍ وَتَرْكٍ كُلُّ ذَلِكَ يَلْزَمُ

وِيُخَيِّ قُلُوبَ الْعَارِفِينَ تَضَرُّعُ  
بِأَوْقَاتِ أَسْحَارٍ فَكُنْ أَنْتَ مِنْهُمْ  
كَذَا الْوَحْيِ إِذْ يُتْلَى بِحُسْنِ تَدْبِيرٍ  
وَتَرْكُ الذُّنُوبِ فَهِيَ لِلْقَلْبِ تُؤْلَمُ  
وَإِحْسَانُ عِبَادٍ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ  
وَنَفْعُ الْعِبَادِ وَالْقِيَامُ عَلَيْهِمْ  
لِإِصْلَاحِهِمْ مِفْتَاحُ تَحْصِيلِ رَحْمَةِ الْ—  
إِلَيْهِ فَالْإِزْمُ ذَا لَعَلَّكَ تُرْحَمُ  
وَمِفْتَاحُ رِزْقِ الْعَبْدِ سَعْيِي مَعَ التَّقَى  
وَكَثْرَةُ الْإِسْتِغْفَارِ إِذْ هُوَ مُجْرِمٌ  
وَمِفْتَاحُ عِزِّ الْعَبْدِ طَاعَةُ رَبِّهِ  
وَطَاعَةُ خَيْرِ الْمُرْسَلِينَ فَعِظْمُ—  
وَمِفْتَاحُ الْإِسْتِعْدَادِ مِنْكَ لِمَالِهِ  
تَصْيِيرُ مِنَ الدَّارِ الَّتِي هِيَ أَعْظَمُ  
هُوَ الْقَصْرُ لِلْأَمَالِ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ  
فَمِفْتَاحُهُ رَغْبٌ مِنَ الْعَبْدِ يُعْلَمُ  
بِمَوْلَاهُ وَالِدَارِ الَّتِي بَعْدَ هَذِهِ  
وَمِفْتَاحُ كُلِّ الشَّرِّ إِنْ كُنْتَ نَفَهَ—  
إِطْلَاقُ الْإِمَالِ فَاحْذَرْ غُرُورَهَا  
وَحُبُّكَ لِلدُّنْيَا الَّتِي تَتَصَرَّمُ  
وَمِفْتَاحُ نَارِ الْخُلْدِ شِرْكُ بَرِّنَا  
وَكِبْرُ الْفَتَى فَالْكِبْرُ حُوبٌ مُعْظَمُ

وَإِعْرَاضُهُ عَمَّا عَنِ اللَّهِ قَدْ أَتَى  
 بِهِ الْمُصْطَفَى الْهَادِي النَّبِيَّ الْمُكْرَمَ  
 وَغَفَلْتُهُ عَنْ ذِكْرِهِ وَقِيَامِهِ  
 بِحَقِّ لِيذِي الْعَرْشِ الْمَلِيكِ يُحَاتِمُ  
 وَمِفْتَاحِ إِثْمٍ يُوبِقُ الْعَبْدَ مُسْكِرًا  
 مِنَ الْخَمْرِ فَأَخَذَرَهَا لَعَلَّكَ تَسْلَمَ  
 وَمِفْتَاحِ ذِي الْمَقْتِ الرَّنَا سَيِّءِ الْغِنَا  
 وَذَلِكَ قُرْآنُ اللَّعِينِ وَمَأْتِمُ  
 وَإِطْلَاقِ طَرْفِ الشَّخْصِ مِفْتَاحِ عِشْقِهِ  
 لِمُسْتَحْسِنِ الْأَشْبَاحِ فَهُوَ مُحَرَّمُ  
 وَبِالْكَسَلِ الْمَذْمُومِ مَعَ رَاحَةِ الْفَتَى  
 يَخِيبُ وَكُلُّ الْخَيْرِ لَا شَكَّ يُحْرَمُ  
 وَمِفْتَاحِ كُفْرَانِ الْفَتَى وَبَرِيدُهُ  
 مَعَاصِيهِ وَالْعَاصِي قَرِيبًا سَيِّئًا  
 وَبَابُ نِفَاقِ الْعَبْدِ يَفْتَحُهُ إِذَا  
 يَكُونُ كَذُوبًا وَالْكَذُوبُ مُذَمَّمُ  
 وَشَحُّ الْفَتَى وَالْحِرْصُ مِفْتَاحُ بُخْلِهِ  
 وَمِفْتَاحِ أَخْذِ الْمَالِ مِنْ حَيْثُ يُعْلَمُ  
 بَأَنَّ لَيْسَ حِلًّا مَعَ قَطِيعَةِ رَحْمِهِ  
 وَكُلُّ ابْتِدَاعٍ فِي الْخَلِيقَةِ يُعْلَمُ  
 فَمِفْتَاحُهُ الْإِعْرَاضُ عَمَّا أَتَى بِهِ  
 نَبِيِّ الْهُدَى مِنْ سُنَّةٍ نَعْلَمُ

وَاخْتِمْ قَوْلِي فِي الْقَرِيضِ بَأْتِي  
أُصَلِّي عَلَى خَيْرِ الْوَرَى وَأَسَلِّمْ  
وَأَلِ مَعَ الصَّحْبِ الْكِرَامِ الَّذِينَ هُمْ  
لِمُقْتَسِمِ عِلْمِ الشَّرِيعَةِ أَنْجُمُ

وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ

### مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللَّهِ اتَّقُوا اللَّهَ تَعَالَى وَاحْمَدُوهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَارْعَبُوا إِلَيْهِ فِي حِرَاسَةِ النَّعْمِ عَنِ الزَّوَالِ فَإِنَّ  
نِعْمَ اللَّهُ قَدْ عَمَّتِ الْبُؤَادِي وَالْأَمْصَارَ وَإِنَّ نِعْمَ اللَّهِ لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى وَلَا تُحَدُّ بِمِقْدَارٍ .  
قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ فَكَمْ أَسَدَى  
مَعْرُوفًا وَكَمْ أَغَاثَ مَلْهُوفًا فَاشْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَادْكُرُوهُ كَثِيرًا قَالَ تَعَالَى : ﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ  
الْقُلُوبُ ﴾ .

وَهُبُّوا مِنْ هَذِهِ الرَّقْدَةِ وَالْمَقَامِ وَاحْدَرُوا الْأَهْوَاءَ فَإِنَّهَا تُورِثُ الْمَهَالِكَ وَالْمَدَامَ ، وَالزُّمُومَا طَاعَةَ  
الْمَلِكِ الْعَلَامِ ، وَاعْتَنِمُوا بَقِيَّةَ الْعُمْرِ وَالْأَيَّامِ ، وَبَادِرُوا بِالتَّوْبَةِ مِنَ الْمَعَاصِي وَالْإِجْرَامِ ، قَبْلَ أَنْ  
يَأْتِيَ يَوْمٌ تَشَقَّقُ فِيهِ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَتَظْهَرُ فِيهِ الْخَفَايَا وَالِدَّوَاهِي وَالْأَهْوَالُ الطَّوَامِ ، وَتُنَكَّسُ فِيهِ  
الظُّلْمَةُ رُؤُوسَهَا وَيَعْلُوهَا الدُّلُ مِنْ الرُّؤُوسِ إِلَى الْأَقْدَامِ وَيَتَجَلَّى لِفَصْلِ الْقَضَاءِ بَيْنَ عِبَادِهِ حَاكِمُ  
الْحُكَّامِ .

قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ  
بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ \* وَوُفِّيتْ كُلُّ نَفْسٍ

مَا عَمِلْتَ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿ وَنُودِي أَيْنَ الظُّلْمَةُ وَأَعْوَانُ الظُّلْمَةِ وَمَنْ كَانَ لَهُمْ عَلَى  
المَعَاصِي نُتُوبٌ وَإِقْدَامٌ فَيَا لَهُ مِنْ يَوْمٍ مَا أَطْوَلُهُ وَمِنْ بَلَاءٍ مَا أَهْوَلُهُ وَمِنْ حِسَابٍ مَا أَنْقَلَهُ وَمِنْ  
عَذَابٍ مَا أَعْضَلَهُ وَمِنْ حَزَائٍ مَا أَجْزَلَهُ وَمِنْ حَاكِمٍ مَا أَعْدَلَهُ .

هُنَالِكَ شَابَ الْوَلِيدُ وَحَقَّ الْوَعِيدُ وَعَظَّمَ الْهَوْلُ الشَّدِيدُ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ  
مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ \* لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾  
وَخَضَعَتِ الرَّقَابُ وَذَلَّ كُلُّ فَاجِرٍ كَذَّابٍ وَرَجَعَ الْأَشْقِيَاءُ بِالْحُسْرَانِ وَالتَّبَابِ فَالسَّعِيدُ مَنْ اسْتَعْمَلَ  
نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ الْمَلِكِ الْمَعْبُودِ وَخَافَ أَنْ لَا يَنْجُو مِنَ النَّارِ بَعْدَ الْوُرُودِ .

فَأَنْتَبَهْ أَيُّهَا الْعَبْدُ لِأَيَّامِ شَبَابِكَ قَبْلَ فِرَاقِ أَحْبَابِكَ وَأَحْفَظْ أَيَّامَ عُمْرِكَ قَبْلَ حُلُولِ قَبْرِكَ  
وَاعْتَنِمْ حَيَاتِكَ قَبْلَ أَوَانِ وَفَاتِكَ فَإِنَّ الْعُمَرَ بِالسِّنِينَ يُنْهَبُ وَالْأَجَلَ بِمُرُورِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ يَذْهَبُ .

شِعْرًا:	لِمَنْ وَرَقَاءُ بِالْوَادِي الْمَرِيحِ	تَشُبُّ بِهِ تَبَارِيحُ الضُّلُوعِ
	عَلَى فَيْنَانَةٍ خَضِرَاءَ يَصْفُو	عَلَى أَعْطَافِهَا وَشِي الرِّيْعِ
	تُرَدُّ صَوْتٌ بَاكِئَةٍ عَلَيْهَا	رَمَاهَا الْمَوْتُ بِالْأَهْلِ الْجَمِيعِ
	فَشَتَّتْ شَمْلَهَا وَوَدَّالَ مِنْهُ	غَرَامًا عَاثَ فِي قَلْبِ صَرِيحِ
	عَجِبْتُ لَهَا تَكَلُّمٌ وَهِيَ خَرَسَا	وَتَبْكِي وَهِيَ جَامِدَةٌ الدُّمُوعِ
	فَهَمْتُ حَدِيثَهَا وَفَهَمْتُ أَنِّي	مِنَ الْخُسْرَانِ فِي أَمْرِ شَنِيعِ
	أَتَبْكِي تِلْكَ أَنْ فَقَدْتُ أَنْيْسَا	وَتَشْرَبُ مِنْهُ بِالْكَأْسِ الْفُطِيْعِ
	وَهَا أَنَا لَسْتُ أَبْكِي فَقَدْ نَفْسِي	وَتَضْيِعِي الْحَيَاةَ مَعَ الْمُضْيِعِ
	وَلَوْ أَنِّي عَقَلْتُ الْيَوْمَ أَمْرِي	لَأَرْسَلْتُ الْمَدَامِعَ بِالنَّجِيعِ

أَلَا يَا صَاحِ وَالشَّكْوَى ضُرُوبٌ  
لَعَلَّكَ أَنْ تُعِيرَ أَخَاكَ دَمْعًا  
آخر: مَا زُخْرَفَ الدُّنْيَا وَزُبُرُجُ أَهْلِهَا  
وَلَرُبَّ أَقْوَامٍ مَضَوْا لِسَبِيلِهِمْ  
وَلَرُبَّ ذِي فُرْشٍ مُمَهَّدَةٍ لَهُ  
وَالْمَوْتُ يَعْمَلُ وَالْعُيُونُ قَرِيرَةٌ  
كُلُّ يَدُورٍ عَلَى الْبَقَاءِ مُؤَمَّلًا  
وَالدَّائِمُ الْمَلَكُوتِ رَبُّ لَمْ يَزَلْ  
فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هُوَ دَائِمٌ  
وَذَكَرُ الْمَوْتِ يَذْهَبُ بِالْهُجُوعِ  
فَمَا فِي مُقْلَتَيْهِ مِنَ الدُّمُوعِ  
إِلَّا غُرُورٌ كُلُّهُ وَحَطَّامٌ  
وَلَتَمُضِينَ كَمَا مَضَى الْأَقْوَامُ  
أَمْسَى عَلَيْهِ مِنَ الثَّرَابِ رُكَامٌ  
تَلْهُو وَتَلْعَبُ بِالْمَنَى وَتَنَامُ  
وَعَلَى الْفَنَاءِ تُدِيرُهُ الْأَيَّامُ  
مَلِكًا تَقَطَّعَ دُونَهُ الْأَوْهَامُ  
أَبَدًا وَلَيْسَ لِمَا سِوَاهُ دَوَامٌ

اللَّهُمَّ ثَبَّتْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا ثُبُوتَ الْجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ وَنَوَّرَهَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَاجْعَلْنَا هُدَاهُ  
مُهْتَدِينَ وَتَوَقَّفْنَا مُسْلِمِينَ وَالْحَقَّنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ  
يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

### مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللَّهِ قَدْ حَثَّنَا نَبِيُّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ نَكُونَ إِخْوَانًا مُتَرَاحِمِينَ مُتَعَاوِنِينَ مُتَحَابِّينَ  
مُتَعَاظِفِينَ يُحِبُّ كُلُّ مَنَا لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ وَيَسْعَى فِي ذَلِكَ أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي  
صَحِيحِهِمَا عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ : « الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا » وَشَبَكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ .

وَكُلُّ صَدِيقٍ لَيْسَ فِي اللَّهِ وَدُهُ      فَإِنِّي بِهِ فِي وَدِّهِ غَيْرُ وَائِقٍ  
 آخِر: إِذَا حَقَّقْتَ فِي وَدِّ صَدِيقًا      فَزَرَّهُ وَلَا تَخَفْ مِنْهُ مِلاَلا  
 وَكُنْ كَالشَّمْسِ تَطْلُعُ كُلَّ يَوْمٍ      وَلَا تَكُ فِي مَوَدَّتِهِ هِلاَلا

وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ أَيْضًا فِي صَحِيحِهِ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : «  
 الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ وَمَنْ  
 فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ  
 الْقِيَامَةِ » .

فِي الْحَدِيثِ الْأَوَّلِ مَا يُفِيدُ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ شَأْنِهِمُ التَّنَاصُرُ وَالتَّنَاصُحُ وَالتَّكَاثُفُ وَالتَّعَاوُنُ  
 عَلَى مَصَالِحِهِمُ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ وَأَنْ يَكُونُوا مُتَرَاجِمِينَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يُسَاعِدُ أَخَاهُ وَيُعَاوَنُهُ عَلَى  
 مَا يُصْلِحُ حَالَهُ وَيُصْلِحُ حَالَ الْجَمِيعِ كَمَا فِي الْحَدِيثِ الْآخِرِ : « مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ  
 وَتَرَاجُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عَضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحُمَّى وَالسَّهَرِ  
 . »

وَكَمَا وَصَفَهُمُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ  
 بَيْنَهُمْ ﴾ . وَفِي الْحَدِيثِ الْآخِرِ : « الْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ يَكْفُ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ وَيُحَوِّطُهُ مِنْ وَرَائِهِ  
 . »

وَمِنْ مُقْتَضَى الْأُخُوَّةِ فِي الدِّينِ أَوْ التَّنَسُّبِ أَنَّهُ لَا يَظْلِمُ أَخَاهُ وَلَا يُسْلِمُهُ وَيَسْعَى لِتَفْرِيجِ مَا  
 نَزَلَ بِهِ مِنْ كَرْبٍ وَمَا حَلَّ بِهِ مِنْ ضَيْمٍ وَمَا انْتَابَهُ مِنْ هَمٍّ وَعَسْرٍ وَضَيْقٍ وَلَا يَسْعَى لِهَتْكَ  
 عَرَضِهِ وَنَشْرِ سِرِّهِ وَالتَّشْهِيرِ بِهِ .

وَمَحَلُّ ذَلِكَ إِذَا كَانَ مِنْ ذَوِي الْهَيْئَاتِ وَنَحْوِهِمْ بِمَنْ لَيْسَ مَعْرُوفًا



بِالْفُجُورِ وَالْفِسْقِ وَالْمُحَاهَرَةِ بِالْمَعَاصِي وَهَذَا فِي سِتْرِ مَعْصِيَةٍ وَقَعَتْ وَانْقَضَتْ .  
 أَمَّا إِذَا عَلِمَ مَعْصِيَتَهُ وَهُوَ مُتَلَبِّسٌ بِهَا فَتَجِبُ الْمُبَادَرَةُ بِالْإِنْكَارِ عَلَيْهِ وَمَنْعِهِ مِنْهَا وَالْحِيلُولَةُ  
 بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا بِحَسَبِ الْإِسْتِطَاعَةِ فَإِنْ عَجَزَ لِرِمِّهِ رَفَعَهَا إِلَى وِلي الْأَمْرِ إِنْ لَمْ يَتَرْتَّبْ عَلَى ذَلِكَ  
 مَفَاسِدُ أَعْظَمُ مِنْهَا لِأَنَّ السِّتْرَ عَلَيْهِ يُطْمَعُهُ فِي الْفَسَادِ وَيُجْرِيهِ عَلَى انْتِهَاكِ الْحُرْمَاتِ وَاسْتِرْسَالِهِ فِي  
 طُرُقِ الْعِيِّ وَالْفَسَادِ وَالضَّلَالَاتِ .

وَهَذَا مِنْ بَابِ النَّصِيحَةِ وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ ثُمَّ بَيَّنَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 فِي حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ وَصَفَ الْمُسْلِمَ لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ بِأَنَّهُ لَا يَظْلِمُهُ فِي نَفْسِهِ وَلَا فِي عَرْضِهِ وَلَا فِي  
 مَالِهِ وَالظُّلْمُ مُحَرَّمٌ بِسَائِرِ أَنْوَاعِهِ .

وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ عَنْ أَوْسِ بْنِ شُرْحَبِيلٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَنْ مَشَى مَعَ  
 ظَالِمٍ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ ظَالِمٌ فَقَدْ خَرَجَ مِنَ الْإِسْلَامِ فَهَذَا وَعَيْدٌ شَدِيدٌ لِأَعْوَانِ الظُّلْمَةِ وَمُسَهِّلِي  
 مُصَالِحِهِمْ وَمَوْطِدِي طُرُقِهِمُ الدَّالِينَ لَهُمْ عَلَى عَوْرَاتِ الْمُسْلِمِينَ .

فَمَا الظُّنُّ بِحَالِ الظُّلْمَةِ إِذَا جَاءَ الْحُكْمُ الْعَدْلُ لِلْفَصْلِ بَيْنَ عِبَادِهِ وَشُوفَةِ الظَّالِمِ بِمَا جَنَى  
 وَأَيَّقَنَ بِالْعَذَابِ وَتَمَّتْ أَنَّهُ تَخَلَّصَ مِنْ مَظَالِمِهِ فِي الدُّنْيَا .

وَلِهَذَا أَمَرَنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِنَصْرَةِ الْمَظْلُومِ وَالْأَخْذِ عَلَى يَدِ الظَّالِمِ وَكَفِّهِ عَنِ ظُلْمِهِ  
 وَمَنْعِهِ مِنْ جَوْرِهِ وَفِي الْحَدِيثِ الْآخِرِ يَقُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَنْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ  
 مَظْلُومًا » . قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا ؟ قَالَ : « تَأْخُذُوا  
 عَلَى يَدِهِ » .

وَهُوَ كِنَايَةٌ عَنْ مَنْعِهِ مِنَ الظُّلْمِ بِالْفِعْلِ كَالِاسْتِعَانَةِ عَلَيْهِ بِرَفْعِهِ لِيُولَاةِ

الأُمُورِ وَرَفَعَهُ لِلْحُكَّامِ حَيْثُ لَمْ يُؤْتَرِ فِيهِ التُّصْحُحُ بِاللِّسَانِ وَضُرُوبِ الْكَلَامِ .  
 وَمِنَ النَّصْرَةِ لِلْمَظْلُومِ إِعَانَتُهُ وَالسَّعْيُ لِرَفْعِ ظَلَامَتِهِ وَالضَّرْبُ عَلَى يَدِ الظَّالِمِ وَكَفِّهِ عَنِ ظُلْمِهِ  
 فَهَذَا نُصْرَةٌ لَهُ عَلَى شَيْطَانِهِ الَّذِي يُغْوِيهِ وَيُورِدُهُ الْمَهَالِكَ وَيُوقِعُهُ فِي الْمَازِقِ وَالْوَرَطَاتِ الَّتِي  
 يَصْعَبُ التَّخَلُّصُ مِنْهَا وَنُصْرَةٌ لَهُ عَلَى نَفْسِهِ الشَّرِيرَةِ الَّتِي تَأْمُرُهُ بِالْفَحْشَاءِ .

شِعْرًا: وَإِيَّاكَ وَالْأَمْرَ الَّذِي إِنْ تَوَسَّعْتَ مَوَارِدُهُ ضَاقَتْ عَلَيْكَ الْمَصَادِرُ

فَمَا حَسَنٌ أَنْ يُعْذِرَ الْمَرْءُ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ سَائِرِ الْخَلْقِ عَازِرُ

وَالْعَاقِلُ اللَّيِّبُ مَنْ يَتَحَلَّلَ مِنْ أَهْلِ الْمَظَالِمِ فِي دُنْيَاهُ قَبْلَ الْآخِرَةِ وَلَا يَدْعُ حَقًّا لِأَحَدٍ عَلَيْهِ  
 بَلْ يُسَارِعُ لِأَدَاءِ مَا فِي ذِمَّتِهِ وَيَطْلُبُ الْمُسَاحَاةَ مِمَّنْ حَصَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ مُنَافَسَةٌ أَوْ مُنَازَعَةٌ أَوْ  
 مُعَامَلَةٌ مِنْ جَارٍ أَوْ زَوْجَةٍ أَوْ قَرِيبٍ أَوْ بَعِيدٍ .

قَبْلَ أَنْ يَقِفَ ذَلِكَ الْمَوْقِفَ الرَّهِيْبَ فِي يَوْمٍ يَجْعَلُ الْوُلْدَانَ شِيبًا السَّمَاءُ مُنْقَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعَدُهُ  
 مَفْعُولًا ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ بِجَادِلٍ عَنِ نَفْسِهَا وَتُؤْفَى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ  
 .﴾

وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ عِنْدَ مُسْلِمٍ لَتُؤَدَّنَ الْحُقُوقُ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاتَةِ  
 الْجُلْحَاءِ مِنَ الشَّاتَةِ الْقُرْنَاءِ وَقَدْ عَقَدْنَا فَضْلًا كَامِلًا لِبَيَانِ الظُّلْمِ وَأَنْوَاعِهِ وَأَدْلَةَ تَحْرِيمِهِ وَالتَّحْذِيرِ مِنْهُ  
 فِي الْجُزْءِ الثَّلَاثِ مِنَ الْكِتَابِ ( ص ١٠٥ ) .

وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : مَكْتُوبٌ فِي التَّوْرَةِ يُنَادِي مُنَادٍ مِنْ وَرَاءِ الْجُسْرِ يَعْنِي الصِّرَاطَ يَا مَعْشَرَ  
 الْجَبَابِرَةِ الطُّعَاةِ وَيَا مَعْشَرَ الْمُتْرَفِينَ الْأَشْقِيَاءِ إِنَّ اللَّهَ يَخْلِفُ بِعِزَّتِهِ وَجَلَالِهِ أَنْ لَا يُجَاوِرَ هَذَا الْجُسْرَ  
 ظَالِمٌ .

شِعْرًا: ثَلَاثَةٌ فِيهِمْ لِلْمُلْكِ التَّلْفُ الظُّلْمُ وَالْإِهْمَالُ فِيهِ وَالسَّرْفُ

وَعَنْ جَابِرٍ قَالَ لَمَّا رَجَعَتْ مُهَاجِرَةُ الْحَبْشَةِ عَامَ الْفَتْحِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « أَلَا تَخْبُرُونِي بِأَعْجَبَ مَا رَأَيْتُمْ بِأَرْضِ الْحَبْشَةِ » . فَقَالَ فُتَيْةٌ كَانُوا مِنْهُمْ : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ إِذْ مَرَّتْ بِنَا عَجُوزٌ مِنْ عَجَائِزِهِمْ تَحْمِلُ عَلَى رَأْسِهَا قُلَّةً مِنْ مَاءٍ فَمَرَّتْ بِفَتَى مِنْهُمْ فَجَعَلَ إِحْدَى يَدَيْهِ بَيْنَ كَتْفَيْهَا ثُمَّ دَفَعَهَا فَخَرَّتِ الْمَرْأَةُ عَلَى رُكْبَتَيْهَا وَأَنْكَسَرَتْ قُلَّتُهَا .

فَلَمَّا قَامَتِ التَّفَتَّتْ إِلَيْهِ ثُمَّ قَالَتْ : سَوْفَ تَعْلَمُ يَا غَادِرُ إِذَا وَضَعَ اللَّهُ الْكُرْسِيَّ وَجَمَعَ الْأَوْلِيَيْنِ وَالْآخِرِينَ وَتَكَلَّمَتِ الْأَيْدِي وَالْأَرْجُلُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ، سَوْفَ تَعْلَمُ مَنْ أَمْرِي وَأَمْرُكَ عِنْدَهُ غَدًا .

قَالَ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « صَدَقَتْ كَيْفَ يُقَدِّسُ اللَّهُ قَوْمًا لَا يُؤْخَذُ مِنْ شَدِيدِهِمْ لِضَعْفِهِمْ » .

وَرُويَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « خَمْسَةٌ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ إِنْ شَاءَ أَمْضَى غَضَبَهُ عَلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا وَإِلَّا أَمَرَ بِهِمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَى النَّارِ .

أَمِيرٌ قَوْمٍ يَأْخُذُ حَقَّهُ مِنْ رَعِيَّتِهِ وَلَا يُنْصِفُهُمْ مِنْ نَفْسِهِ وَلَا يَدْفَعُ الظُّلْمَ عَنْهُمْ .  
وَرَعِيمٌ قَوْمٍ يُطِيعُونَهُ وَلَا يُسَاوِي بَيْنَ الْقَوِيِّ وَالضَّعِيفِ وَيَتَكَلَّمُ بِالْهُوَى وَرَجُلٌ لَا يَأْمُرُ أَهْلَهُ  
وَوَلَدَهُ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَلَا يُعَلِّمُهُمْ أَمْرَ دِينِهِمْ .

وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوَى مِنْهُ الْعَمَلَ وَمَ يُوَفِّهِ .

وَرَجُلٌ ظَلَمَ امْرَأَتَهُ صَدَاقَهَا وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ قَالَ : إِنَّ اللَّهَ

تَعَالَى لَمَّا خَلَقَ الْخَلْقَ وَاسْتَمَرُّوا عَلَى أَقْدَامِهِمْ رَفَعُوا رُؤُوسَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالُوا : يَا رَبُّ مَعَ مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : مَعَ الْمَظْلُومِ حَتَّى يُؤَدَّى إِلَيْهِ حَقُّهُ .

وَقِيلَ لَمَّا حُسَّ خَالِدُ بْنُ بَرْمَكٍ وَوَلَدُهُ قَالَ : يَا أَبَتِي بَعْدَ الْعِزِّ صِرْنَا فِي الْقَيْدِ وَالْحَبْسِ فَقَالَ : يَا بُنَيَّ دَعْوَةُ مَظْلُومٍ سَرَتْ بَلِيلٍ غَفَلْنَا عَنْهَا وَلَمْ يَعْمَلِ اللَّهُ عَنْهَا وَكَانَ يَرِيدُ بِنِ حَكِيمٍ يَقُولُ : مَا هَبْتُ أَحَدًا قَطُّ هَيْبَتِي رَجُلًا ظَلَمْتُهُ وَأَنَا أَعْلَمُ لَا نَاصِرَ لَهُ إِلَّا اللَّهُ يَقُولُ : حَسْبِيَ اللَّهُ ، وَاللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ .

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ : يَجِيءُ الظَّالِمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى إِذَا كَانَ عَلَى حَسْرِ جَهَنَّمَ لَقِيَهُ الْمَظْلُومُ وَعَرَفَهُ مَا ظَلَمَهُ بِهِ فَمَا يَبْرُحُ الَّذِينَ ظَلَمُوا بِالَّذِينَ ظَلَمُوا حَتَّى يَنْزِعُوا مَا بَأْيَدِيهِمْ مِنَ الْحَسَنَاتِ فَإِنْ لَمْ يَجِدُوا لَهُمْ حَسَنَاتٍ حَمَلُوا عَلَيْهِمْ مِنْ سَيِّئَاتِهِمْ مِثْلَ مَا ظَلَمُوهُمْ حَتَّى يُرَدُّوا إِلَى الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَنَيْسٍ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « يُحْشَرُ الْعِبَادُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاهُ عُرَاهُ غُرْلًا بُهْمًا فَيُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعْدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرَّبَ أَنَا الْمَلِكُ الدِّيَّانُ لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ أَوْ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ أَنْ يَدْخُلَ النَّارَ وَعِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ إِلَى أَنْ أُقْصَهُ حَتَّى اللَّطْمَةَ فَمَا فَوْقَهَا وَلَا يَظْلُمُ رُبُّكَ أَحَدًا » .

قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ وَإِنَّمَا نَأْتِي حُفَاهُ عُرَاهُ فَقَالَ : « بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ جَزَاءً وَلَا يَظْلُمُ رُبُّكَ أَحَدًا » . وَجَاءَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ ضَرَبَ سَوْطًا ظَلَمًا أَقْتَصَّ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ أَعَانَ ظَالِمًا سَلَّطَ عَلَيْهِ » . وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ رَحِمَهُ اللَّهُ لَا

تَمَلُّوا أَعْيُنَكُمْ مِنْ أَعْوَانِ الظَّلْمَةِ إِلَّا بِالْإِنكَارِ مِنْ قُلُوبِكُمْ لِقَا تَحْبُطَ أَعْمَالِكُمْ .  
وَقَالَ مَكْحُولُ الدَّمَشْقِيُّ : يُنَادِي مُنَادٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَيْنَ الظَّلْمَةُ وَأَعْوَانُ الظَّلْمَةِ فَمَا يَبْقَى  
أَحَدٌ مَدَّ لَهُمْ جَبْرًا أَوْ حَبَّرَ لَهُمْ دَوَاهً أَوْ بَرَى لَهُمْ قَلَمًا فَمَا فَوْقَ ذَلِكَ إِلَّا حَضَرَ مَعَهُمْ فَيُجْمَعُونَ  
فِي تَابُوتٍ مِنْ نَارٍ فَيُلْقَوْنَ فِي النَّارِ .

وَجَاءَ رَجُلٌ خَيَّاطٌ إِلَى سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ فَقَالَ : إِنِّي رَجُلٌ أَحْيَيْتُ ثِيَابَ الشُّطْرَانِ هَلْ أَنَا مِنْ  
أَعْوَانِ الظَّلْمَةِ ؟ فَقَالَ سُفْيَانٌ : أَنْتَ مِنَ الظَّلْمَةِ أَنْفُسِهِمْ وَلَكِنْ أَعْوَانِ الظَّلْمَةِ مَنْ يَبِيعُ مِنْكَ  
الْإِبْرَةَ وَالْحَيْوُوطَ .

وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

### ( فَصْلٌ )

#### فِي التَّوَاضُعِ

التَّوَاضُعُ يُقَابِلُ الْكِبَرَ وَهُوَ انْكِسَارُ الْقَلْبِ لِلَّهِ وَخَفْضُ جَنَاحِ الدُّلِّ وَالرَّحْمَةُ لِلْخَلْقِ وَقِيلَ : هُوَ  
رِضَا الْإِنْسَانِ بِمَنْزِلَةِ دُونَ مَا يَسْتَحِقُّهُ فَضْلُهُ وَمَنْزِلَتُهُ وَفَضِيلَتُهُ لَا تَكَادُ تَظْهَرُ فِي أَكْثَرِ النَّاسِ وَإِنَّمَا  
يَتَبَيَّنُ ذَلِكَ فِي أَجْلَاءِ النَّاسِ وَعُلَمَائِهِمُ الْعَامِلِينَ بِعِلْمِهِمْ وَهَذَا كَانَ فِي عُلَمَاءِ السَّلَفِ كَثِيرٌ أَمَّا  
الْيَوْمَ فَهُوَ نَادِرٌ وَهُوَ مِنْ بَابِ التَّفَضُّلِ لِأَنَّ الْمُتَوَاضِعَ يَتْرُكُ بَعْضَ حَقِّهِ وَالتَّوَاضُعُ مُتَوَسِّطٌ بَيْنَ  
الْكِبَرِ وَالضَّعَةِ وَالْكِبَرُ تَقَدَّمَ تَعْرِيفُهُ فِي أَوَّلِ الْكِتَابِ .

وَالضَّعَةُ وَضَعُ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ فِي مَنْزِلَةٍ تُزْرِي بِهِ مِنَ الدَّنَاءَةِ وَالْخِسَّةِ وَابْتِدَالَ النَّفْسِ فِي سَبِيلِ  
شَهْوَاتِهَا الْفَاسِدَةِ فَتَجِدُ الْوَضِيعَ يَقِفُ فِي

المواقف التي تُزري به من أجل الحصول على وظيفة أو مال أو جاه أو امرأة أو نحو ذلك فلا يُبالي أن يذل لمن دونه أو يتملق لمن يهينه أو يقف على باب من يستثقله ويظهر الاستمزاز منه وهو لا يبالي بالإلحاح عليه والوقوف بين يديه ذليلاً خاضعاً ولا شك أن هذا صفة ذميمة .

ومنشأ التواضع من معرفة الإنسان قدر عظمة ربه ومعرفة قدر نفسه لأن من يدرك أنه شخص ضعيف فإن وأن كل صفة من صفاته الموجبة للرفعة والكبر في هذه الحياة لا تثبت لها بل هي أعراض زائلة ويدرك أن ربه هو الخالق العظيم المتمرد بالبقاء والكبرياء ، فهذا لا يتمرد على خالقه بإفتراف الجرائم والآثام وعند ذلك يُعامل الناس معاملة حسنة بلطف ورحمة ورفق ولين جانب ولا يتكبر على أحد ولا يزهو على مخلوق ولا يبالي بمظاهر العظمة الكاذبة ولا يترفع عن مجالسة الفقراء والمشايخ معهم وإجابة دعوتهم ومخاطبتهم بالكلام اللين ولا يأنف من استماع نصيحة من هو دونه .

وقال الفضيل بن عياض : التواضع أن تخضع للحق وتنتقاد له ولو سمعته من صبي قبلته منه ولو سمعته من أجهل الناس قبلته وللتواضع فوائد ومنافع تعود على الأفراد والجماعات بالخير الكثير فإن المتواضع قريب إلى الناس محبب إلى نفوسهم ضد المتكبر فإنه بغيض إليهم ثقيل عندهم وكلما دنا المتواضع من الناس ارتفعت منزلته عندهم وعظم في عيونهم وثقل ميزانه عندهم واستفاد منهم وأفادهم .

وكلما كان المتواضع عظيماً ذا مكانة رفيعة كان التواضع منه أكبر أثراً وأكثر فائدة لأن الأشياء تعظم بنسبة من تستند إليه كما قيل :

عَلَى قَدْرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ  
وَتَأْتِي عَلَى قَدْرِ الْكِرَامِ الْمَكَارِمُ  
وَتَعْظُمُ فِي عَيْنِ الصَّغِيرِ صَغَارُهَا  
وَتَصْغُرُ فِي عَيْنِ الْعَظِيمِ الْعَظَائِمُ  
وَإِذَا كَانَ الْمُتَوَاضِعُ عَالِمًا بِالتَّوَاضِعِ يَزْدَادُ عِلْمًا لِأَنَّهُ لَا يَسْتَنْكِفُ عَنْ أَخْذِ الْفَائِدَةِ مِمَّنْ هُوَ  
دُونَهُ وَهَذَا قِيلَ : تَعَلَّمُوا قَبْلَ أَنْ تُسَوِّدُوا وَلَا يَأْتِي الْعَالِمُ الْمُتَوَاضِعُ أَنْ يَنْقُلَ الْحَقَّ عَنْ أَيِّ  
مَخْلُوقٍ .

وَقَدْ تَتَلَمَذَ الشَّيْخُ تَقِيَّ الدِّينِ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْقَوِيِّ نَازِمِ عِقْدِ الْفَرَائِدِ وَنَظَمَ ابْنُ عَبْدِ الْقَوِيِّ  
بَعْضَ اخْتِيَارَاتِ الشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ فَعِنْدَمَا ذَكَرَ مَسَافَةَ الْقَصْرِ قَالَ :

وَعِنْدَ إِمَامِ الْعَصْرِ لَا حُجَّةَ لَهُمْ عَلَى ذَا وَلَكِنْ بِاسْمِهِ فَلْيَحْدَدْ  
وَعِنْدَمَا ذَكَرَ قِتَالَ أَهْلِ الْبَغْيِ قَالَ :

وَيَكْرَهُ شَيْخُ الْعَصْرِ أَنْ يَفْضُدَ الْفَتَى بُعَاةَ ذَوِي الْأَرْحَامِ لَا ذُو الْمَجْرَدِ  
عِنْدَمَا ذَكَرَ مِنْهَا عَادَةً مِنَ النِّسَاءِ وَتَعَيَّرَتْ قَالَ :

وَعِنْدَ إِمَامِ الْوَقْتِ تَجَلِّسُ مُطْلَقًا لِظَاهِرِ مَا يُرَوَى بِغَيْرِ تَقْيِيدِ

فَلِلَّهِ دَرَّةٌ مِنْ مُتَوَاضِعٍ . عَكْسُ مَا عَلَيْهِ كَثِيرٌ مِنْ حَامِلِي الشَّهَادَاتِ الْحَالِيَةِ دِكْتُورَاهُ وَمَاجِسْتِيرِ  
وَبِكَالُورِيُوسِ وَدِبْلُومِ وَنَحْوِهَا نَسَأَلُ اللَّهَ الْكَرِيمَ أَنْ يِعَافِيَهُمْ وَلَا يِيلَانَا فِيمَا بُلُوهَا بِهِ مِنَ الْكِبَرِ  
وَالْعُجْبِ وَالْجُهْلِ .

قِيلَ لِيَزِرْ جَمَهْرٌ : مَا النَّعْمَةُ الَّتِي لَا يُجْسَدُ عَلَيْهَا صَاحِبُهَا ؟ قَالَ : التَّوَاضِعُ . قِيلَ لَهُ : فَمَا  
الْبَلَاءُ الَّذِي لَا يُرْحَمُ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ ؟ قَالَ الْعُجْبُ . وَقَالَ : التَّوَاضِعُ مَعَ السَّخَافَةِ وَالْبُخْلِ أَحْمَدُ  
مِنَ الْكِبَرِ مَعَ السَّخَاءِ وَالْآدَابِ فَأَعْظَمُ بِحَسَنَةِ عَفَتْ عَنْ سَيِّئَتَيْنِ وَأَقْبَحُ بِعَيْبِ أَفْسَدَ مِنْ صَاحِبِهِ  
حَسَنَتَيْنِ وَلَقَدْ أَحْسَنَ الْقَائِلُ :

وَأَحْسَنُ مَقْرُونَيْنِ فِي عَيْنِ نَاطِرٍ      جَلَالَةُ قَدْرِ فِي خُمُولِ تَوَاضِعٍ  
 آخِر: لَيْسَ الْخُمُولُ بَعَارٍ      عَلَى امْرِئٍ ذِي جَلَالٍ  
 فَلَيْلَةُ الْقَدْرِ تَخْفَى      وَتِلْكَ خَيْرُ اللَّيَالِ  
 آخِر: إِنَّ التَّوَاضِعَ مِنْ خِصَالِ الْمُتَّقِي      وَبِهِ التَّقِيُّ إِلَى الْمَعَالِي يَرْتَقِي  
 وَمِنَ الْعَجَائِبِ عُجْبٌ مَنْ هُوَ جَاهِلٌ      فِي حَالِهِ أَهْوَى السَّعِيدُ أَمْ الشَّقِي  
 أَمْ كَيْفَ يُخْتَمُ عُمُرُهُ أَوْ رُوحُهُ      يَوْمَ النَّوَى مُتَسْفِلٌ أَوْ مُرْتَقِي  
 وَالْكِبْرِيَاءُ لِرَبِّنَا صِفَةٌ لَهُ      مَخْصُوصَةٌ فَتَجَنَّبَهَا وَاتَّقِي

وقال بعض الحكماء : مَنْ بَرِيءٌ مِنْ ثَلَاثٍ نَالَ ثَلَاثًا مِنْ بَرِيءٍ مِنَ الشَّرْفِ نَالَ الْعِزَّ وَمَنْ بَرِيءٌ مِنَ الْبُخْلِ نَالَ الشَّرْفَ وَمَنْ بَرِيءٌ مِنَ الْكِبْرِ نَالَ كِرَامَةَ التَّوَاضِعِ . وقال مُصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ : التَّوَاضِعُ مَصَائِدُ الشَّرْفِ . وَقِيلَ فِي مَنْثُورِ الْحِكْمِ مَنْ دَامَ تَوَاضَعُهُ كَثُرَ صَدِيقُهُ .

أَمَّا الْمُتَكَبِّرُ فَهُوَ كَالْمَعْرُورِ فَإِنَّهُ كَثِيرًا مَا تَفُوتُهُ الْحَقَائِقُ الْعِلْمِيَّةُ لِأَنَّهُ تَأْتِي عَلَيْهِ نَفْسُهُ أَنْ يَأْخُذَ الْحَقَّ حَيْثُ وَجَدَهُ وَهَذَا قِيلَ ضَاعَ الْعِلْمُ بَيْنَ الْحَيَاءِ وَالْكِبْرِ ثُمَّ إِنْ كَانَ الْمُتَوَاضِعُ تَلْمِيزًا يَجِدُ لُطْفًا وَعَطْفًا مِنَ الْأَسْتَاذِ فَلَا يَبْخُلُ عَلَيْهِ بِمَجْهُودِهِ وَلَا يَشْحُ عَلَيْهِ بِفَائِدَةٍ لِأَنَّ التَّوَاضِعَ يَسْتَلْزِمُ الْأَدَبَ .

وَأَمَّا أَحْسَنُ الْأَدَبِ وَالتَّوَاضِعِ وَاللُّطْفِ مَعَ الْمُعَلِّمِ الَّذِي يَبْدُلُ جُهْدَهُ فِي سَبِيلِ تَثْقِينِهِ وَتَهْدِيهِ وَتَرْبِيَّتِهِ تَرْبِيَّةً صَالِحَةً وَأَنَّهُ بِتَوَاضِعِهِ وَحُسْنِ سِيرَتِهِ مَعَ مُعَلِّمِهِ يُبْرَهُنْ عَلَى أَنَّهُ مِمَّنْ يَعْرِفُ قَدْرَ الْعِلْمِ وَالْعُلَمَاءِ وَأَنَّهُ يُدْرِكُ قِيَمَةَ الْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ مِمَّنْ يُجَازِي عَلَى الْإِحْسَانِ بِالْإِحْسَانِ .

أَمَّا الْمُتَكَبِّرُ الَّذِي يَتَكَبَّرُ وَيَتَعَاطَمُ فِي نَفْسِهِ وَيَحْمِلُهُ الْكِبْرُ عَلَى سُوءِ الْأَدَبِ وَاحْتِقَارِ الْمُعَلِّمِ فَهُوَ بِالْحَقِيقَةِ عَيْيٌ جَاهِلٌ جَلْفٌ فَدِيمٌ لَا يَعْرِفُ لِلْعِلْمِ قِيَمَتَهُ وَلَا يُرِيدُ أَنْ يُخْرَجَ مِنْ جَهْلِهِ وَهَذَا شَيْءٌ مُشَاهِدٌ مَعْرُوفٌ فَإِنَّكَ تَرَى الْمُتَكَبِّرِينَ عَلَى الْمُعَلِّمِينَ يَعْهَمُونَ فِي حُمُقِهِمْ وَجَهْلِهِمْ وَلَا يُخْرَجُونَ عَنِ السَّخْفِ فَضلاً عَمَّا



ارْتَكَبُوهُ مِنْ نُكْرَانِ الْجَمِيلِ وَحَدِّ الْمَعْرُوفِ الَّذِي يُسَدِّى إِلَيْهِمْ وَقَدِيمًا قِيلَ :

فَاصْبِرْ لِدَانِكَ إِنْ جَفَوْتَ طَيِّبَهُ      وَاصْبِرْ لِجَهْلِكَ إِنْ جَفَوْتَ مُعَلِّمًا  
 وَمَنْ لَمْ يَذُقْ مَرَّ التَّعَلُّمِ سَاعَةً      تَجَرَّعَ ذُلَّ الْجَهْلِ طُولَ حَيَاتِهِ  
 فَصَبْرًا عَلَى مُرِّ الْجَفَا مِنْ مُعَلِّمٍ      فَإِنَّ رُسُوبَ الْعِلْمِ فِي نَفَرَاتِهِ  
 وَمَنْ فَاتَهُ التَّعْلِيمُ وَقَتَ شَبَابِهِ      فَكَبَّرَ عَلَيْهِ أَرْبَعًا لَوْفَاتِهِ  
 وَذَاتُ الْفَتَى وَاللَّهُ بِالْعِلْمِ وَالثَّقَى      إِذَا لَمْ يَكُونَا لَا اعْتِبَارَ لِدَاتِهِ  
 آخِرُ:      أَيَّنَ الْمَرَاتِبُ فِي الدُّنْيَا وَرَفَعَتْهَا      مِنَ الَّذِي حَازَ عِلْمًا لَيْسَ عِنْدَهُمْ  
 لَا شَكَّ أَنَّ لَنَا قَدْرًا رَأَوْهُ وَمَا      لِمِثْلِهِمْ عِنْدَنَا قَدْرٌ وَلَا لَهُمُوا  
 هُمْ الْوُحُوشُ وَنَحْنُ الْإِنْسُ حِكْمَتَنَا      تَقْوَدُهُمْ حَيْثُمَا شِئْنَا وَهُمْ نَعْمُ  
 آخِرُ:      اِحْرِصْ عَلَى كُلِّ عِلْمٍ تَبْلُغَ الْأَمَلَا      وَلَا تُوَاصِلْ لِعِلْمٍ وَاحِدٍ كَسَلَا  
 فَالْتَّحِلْ لَمَّا رَعَتْ مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ      أَبَدَتْ لَنَا الْجَوْهَرَيْنِ الشَّمْعَ وَالْعَسَلَا  
 الشَّمْعُ بِاللَّيْلِ نُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ      وَالشَّهْدُ يُبْرِي بِإِذْنِ الْبَارِي الْعَسَلَا

تَنْبِيهِ : وَنَعْنِي بِالْعَالِمِ الْمُعَلِّمِ الَّذِي يَتَأَدَّبُ مَعَهُ وَيَتَوَاضَعُ لَهُ وَيُقَدَّرُ وَيُحْرَصُ عَلَى أَخْذِ الْعِلْمِ مِنْهُ وَمُجَالَسَتِهِ الْعَامِلُ بِعَمَلِهِ الْمُتَأَدَّبُ بِآدَابِ الشَّرِيعَةِ الْمُتَمَسِّكُ بِهَا الَّذِي يَصْدَعُ بِالْحَقِّ وَلَا تَأْخُذُهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمَ الْبَعِيدِ عَنِ الْمُجَامَلَةِ إِذَا رَأَى مَا يُعْضِبُ اللَّهَ الْبَعِيدَ عَنِ الظُّلْمَةِ وَأَعْوَانِهِمُ الْمُتَمَلِّقِينَ .

أَمَّا مَنْ يُسْمُونَ مَشَايخَ وَأَسَاتِدَةً وَيُرَى عَلَيْهِمْ آثَارُ مُخَالَفَةِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ حَلْقِ لِحْيَةٍ أَوْ تَشْبُهِهِ بِالْكَفَرَةِ أَوْ تَرْكِ حُضُورِ جُمُعَةٍ أَوْ جَمَاعَةٍ أَوْ اسْتِعْمَالِ آلَاتِ هُوَ أَوْ شَرَبِ دُخَانٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ فَهَؤُلَاءِ يَتَعَيَّنُ الْإِبْتِعَادُ عَنْ مُجَالَسَتِهِمْ وَمُجَاوَرَتِهِمْ وَمُعَامَلَتِهِمْ وَمُشَارَكَتِهِمْ إِلَّا لِضُرُورَةٍ أَوْ حَاجَةٍ شَدِيدَةٍ تَدْعُو إِلَى ذَلِكَ لِأَنَّ

الطَّبَّاعِ كَسَابَةٌ وَيُخْشَى عَلَى مَنْ قَارَفَهُمْ أَوْ قَارَبَهُمْ أَنْ يَتَّصِلَ مَا بِهِمْ مِنْ مَرَضٍ مَعْنَوِي إِلَى ذَلِكَ الشَّخْصِ الْبَرِّي .

شِعْرًا: خَلَّتِ الْقُلُوبُ مِنَ الْمَعَادِ وَذَكَرَهُ وَتَشَاعَلُوا بِالْحِرْصِ وَالْأَطْمَاعِ

صَارَتْ مَجَالِسُ مَنْ تَرَى وَحَدِيثُهُمْ فِي الصُّحُفِ وَالتَّلْفَازِ وَالْمِذْيَاعِ

آخِر: ( أَلَا أَيُّهَا الْمَغْرُورُ فِي جَرِّ ثَوْبِهِ وَجَزَّ لِبَعْضِ الرَّاسِ فِعْلَ الْأَرَاذِلِ )

( فَمَا الْعَزَّ فِي حَلْقِ اللَّحَا أَوْ خَنَافِسِ وَلَا شَرِبَ دَخَانَ كَفَعَلِ الْأَسَافِلِ )

( وَلَكِنَّهُ بِالْعِلْمِ وَالزُّهْدِ وَالتَّقَى وَصِدْقِ وَحَلْمٍ وَافْتِنَاءِ الْفَضَائِلِ )

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إِنَّ الرَّجُلَ لَيَكُونُ غَائِبًا عَنِ الْمُنْكَرِ فِي بُيُوتِ الْوَلَاةِ وَيَكُونُ عَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِ مَنْ حَضَرَ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ يَبْلُغُهُ فَيَرْضَى بِهِ وَيَسْكُتُ عَلَيْهِ . قُلْتُ : وَفِي وَقْتِنَا مَا أَكْثَرَ السَّاكِنِينَ وَالْمُدَلِّسِينَ وَالْمُدَاهِنِينَ الَّذِينَ هُمُّهُمْ وَهَدَفُهُمُ الْوَحِيدُ مَا يَحْشُونَ بِهِ بُطُونَهُمْ مِنْ مَطْعُومٍ وَمَشْرُوبٍ أَوْ مَا يُجَمَّلُونَ بِهِ ظَوَاهِرُهُمْ مِنْ مَلْبُوسٍ وَمَرْكُوبٍ أَوْ يَتَذَوَّقُونَ بِهِ مِنْ زَوْجَةٍ إِلَى زَوْجَةٍ دَائِمًا يُطَلَّقُ وَيَتَزَوَّجُ لَا يَسْتَقِرُّ عَلَى الدَّوَامِ .

قَالَ ρ : (( لَا تُطَلِّقِ النِّسَاءَ إِلَّا مِنْ رِبِيَّةٍ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُحِبُّ الذَّوَّاقِينَ وَالذَّوَّاقِ الْكَثِيرُ النِّكَاحِ وَالطَّلَاقِ مِنْ غَيْرِ غُدْرٍ شَرْعِيٍّ وَالذَّوَّاقَةُ الَّتِي كُلُّ مَنْ أَخَذَهَا تَتَسَبَّبُ لِفِرَاقِهِ لِأَجْلِ أَنْ تَتَزَوَّجَ بِغَيْرِهِ .

وَإِنْ كَانَ الْمُتَوَاضِعُ تَاجِرًا ذَا مَالٍ فَإِنَّهُ بِمُخَالَطَتِهِ النَّاسَ وَعَدَمِ التَّرَفِّعِ وَالْكِبَرِ عَلَيْهِمْ يَنَالُ بِهِ الْإِنْسَانَ الْأَلْفَةَ وَالِاتِّئَانَ وَالْمَحَبَّةَ وَالِإِقْبَالَ عَلَيْهِ فِي الْمُعَامَلَةِ وَيَعْرِفُ الْفُقَرَاءَ وَالْمُحْتَاجِينَ وَيَرَى مَا يُصِيبُهُمْ مِنَ الشَّقَاءِ وَيَمْسُهُمْ مِنَ الْجُوعِ وَالْعُرْيِ وَمَا يُؤْذِيهِمْ مِنْ أَلَمِ الْحَرِّ وَالْبُرْدِ فَتَأَلَّمْ نَفْسُهُ لِمَا يُصِيبُهُمْ فَيَرْحَمُهُمْ وَيَعْطِفَ عَلَيْهِمْ فَيَسْهَلُ عَلَيْهِ فِعْلُ الْخَيْرِ وَالْمُشَارَكَةُ فِيهِ وَيَسْهَلُ عَلَيْهِ أَدَاءُ مَا

فَرَضَهُ اللهُ عَلَيْهِ مِنْ نَفَقَاتٍ وَزَكَاةٍ وَيَهُونُ عَلَيْهِ إِتْقَادُ الْمَكْرُوبِ وَإِغَاثَةُ الْمَلْهُوفِ .

وَفِي عَمَلِهِ ذَلِكَ مَعَ النَّيَّةِ الصَّالِحَةِ فَائِدَةٌ لَهُ وَلِلنَّاسِ لِأَنَّهُ بِعَمَلِهِ هَذَا يُرْضِي اللهُ أَوَّلًا وَرِضَى الرَّبِّ خَيْرٌ ذَخِيرَةٌ يَدْخِرُهَا الْمَرْءُ تَنْفَعُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لِأَنَّ مَنْ يَرْضَى عَنْهُ مَوْلَاهُ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ فَقَدْ فَازَ بِالدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ أَمَّا بِالدُّنْيَا فَلَمَّا يَحْصُلُ لَهُ مِنْ رَاحَةِ الْخَطْرِ الَّتِي يَتَأَمَّلُ لَهَا الْمُتَكَبِّرُونَ وَتَغْلِي مِنْ أَجْلِهَا دِمَاؤُهُمْ وَيَطْعَى غَضَبُهُمْ فَيَحْمِلُهُمْ عَلَى التَّعَدِّيِّ عَلَى عِبَادِ اللهِ قَوْلًا وَفِعْلًا وَلَمَّا يَكْسِبُهُ مِنْ قُلُوبِ النَّاسِ وَمَحَبَّتِهِمْ لَهُ وَاحْتِرَامِهِمْ لَهُ وَإِخْلَاصِهِمْ فِي خِدْمَتِهِ وَالْمُبَادَرَةَ لِقَضَاءِ حَوَائِجِهِ وَتَضَافِرُهُمْ عَلَى الدَّفَاعِ عَنْهُ وَالِانْتِصَارِ لَهُ .

وَعَلَى عَكْسِهِ الْمُتَكَبِّرُ لِاحْتِقَارِهِ لَهُمْ وَاحْتِقَارِهِمْ وَإِنْ كَانَ التَّوَاضُّعُ مِنْ صَاحِبِ جَاهٍ فَإِنَّ التَّوَاضُّعَ يَجْعَلُ لِجَاهِهِ قِيمَةً لِأَنَّ الْجَاهَ إِنْ لَمْ يُسْتَعْمَلْ فِي فَائِدَةِ الْأُمَّةِ وَالْأَفْرَادِ لَا يَكُونُ لَهُ مَعْنَى وَمَنْ تَرَفَّعَ عَنِ النَّاسِ وَلَمْ يَتَوَاضَعْ لَهُمْ فَإِنَّهُ لَا يَدُونُ مِنْهُ أَحَدٌ وَلَا يَنْتَفِعُ بِجَاهِهِ مُحْتَاجٌ فَيُظَلُّ جَاهَهُ قَاصِرٌ عَلَيْهِ وَيُصْبِحُ اسْمًا بِدُونِ مُسَمًى .

وَمَنْ ظَنَّ أَنَّهُ مَتَى حَصَلَ لَهُ مَا يَسُدُّ شَهْوَتَهُ وَحَدَهُ مِنْ مَالٍ أَوْ جَاهٍ أَوْ سُلْطَانٍ فَقَدْ ظَفَرَ بِلَذَاتِ الدُّنْيَا وَنَعِيمِهَا فَلَا يُبَالِي بَعْدَ ذَلِكَ بِغَيْرِهِ شَقِيٌّ أَمْ سَعِدٌ فَهُوَ ضَائِعٌ أَحْمَقٌ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَسْتَقِلُّ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ بَلْ لَا بُدَّ مِنَ التَّعَاوُنِ مَعَ غَيْرِهِ ، قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا ﴾ قَالَ الشَّاعِرُ :

النَّاسُ لِلنَّاسِ مِنْ بَدُوٍ وَحَاضِرَةٍ

بَعْضٌ لِبَعْضٍ وَإِنْ لَمْ يَشْعُرُوا خَدْمُ

وَكُلُّ عَضْوٍ لِأَمْرٍ مَا يُمَارِسُهُ  
 لَا مَشْيَ لِّلْكَفِّ بَلْ تَمَشِي بِهِ الْقَدَمُ  
 آخِر: إِذَا مَا تَأَمَّلْنَا الْأُمُورَ تَبَيَّنَتْ  
 لَنَا وَأَمِيرُ الْقَوْمِ لِلْقَوْمِ لِقَوْمٍ خَادِمٌ  
 مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللَّهِ مَنْ كَانَ الْمَوْتُ يَطْلُبُهُ كَيْفَ يَقْرُرُ لَهُ قَرَارٌ وَمَنْ كَانَ الدَّهْرُ يُجَارِيهِ فَكَيْفَ يُطِيقُ  
 الْإِنْتِصَارَ ، وَمَنْ كَانَ رَاحِلًا عَنِ الدُّنْيَا إِلَى الْآخِرَةِ كَيْفَ يَلِدُ لَهُ قَرَارٌ ، عَجَبًا لِمَنْ يَمْلَأُ عَيْنَهُ  
 بِالنُّومِ وَهُوَ لَا يَدْرِي أَيْسَاقُ إِلَى الْجَنَّةِ أَوْ إِلَى النَّارِ .  
 وَلَقَدْ أَحْسَنَ مَنْ قَالَ :

( وَكَيْفَ تَنَامُ الْعَيْنُ وَهِيَ قَرِيرَةٌ  
 وَلَمْ تَدْرِ فِي أَيِّ الْمَكَانِينَ تَنْزُلُ )

إِنْ هِيَ إِلَّا غَفْلَةٌ وَأُمْنِيَّةٌ عَاجِلَةٌ وَسَجِيَّةٌ عَادِلَةٌ جَرَى بِهَا الْقَلَمُ وَمَضَى عَلَيْهَا سَالِفُ الْأَمَمِ ،  
 فَيَا فَرَائِسَ الْأَحْدَاثِ وَيَا عَرَائِسَ الْأَجْدَاثِ ، لَقَدْ صَعَقَ الْمَوْتُ فِي دِيَارِكُمْ فَنَعَبَ ، وَصَدَقَكُمْ  
 صَرَفُ الزَّمَانِ وَمَا كَذَبَ ، فَكَأَنَّهُ قَدْ أَعَادَ عَلَيْكُمْ الْكَرَّةَ وَسَلَبَ ، وَنَعَّصَ عَلَيْكُمْ الْمَسْرَةَ ،  
 وَأَنْتَهَزَ فِيكُمْ الْغَرَّةَ ، فَمَا أَقَالَكُمْ عَثْرَةَ .

عَنْ كَعْبٍ أَوْ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ قَالَ : يَقُومُونَ مِقْدَارَ ثَلَاثِمِائَةٍ  
 عَامٍ . قَالَ : سَمِعْتُ الْحَسَنَ يَقُولُ : مَا ظَنُّكَ بِأَقْوَامٍ قَامُوا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى أَقْدَامِهِمْ مِقْدَارُ  
 خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ لَمْ يَأْكُلُوا فِيهَا أَكْلَةً وَلَمْ يَشْرَبُوا فِيهَا شَرْبَةً حَتَّى إِذَا انْقَطَعَتْ أَعْنَاقُهُمْ مِنْ  
 الْعَطَشِ

وَاحْتَرَقَتْ أَجْوَأُهُمْ مِنَ الْجُوعِ انصُرِفَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ فَسُفُوا مِنْ عَيْنٍ قَدْ آنَ حَرْهَا وَاشْتَدَّ نَفْحُهَا .

فَلَمَّا بَلَغَ الْمَجْهُودُ مِنْهُمْ مَا لَا طَاقَةَ لَهُمْ بِهِ كَلَّمَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فِي طَلَبِ مَنْ يُكْرَمُ عَلَى مَوْلَاهُ أَنْ يَشْفَعَ لَهُمْ فِي الرَّاحَةِ مِنْ مَقَامِهِمْ وَمَوْقِفِهِمْ لِيَنْصَرِفُوا إِلَى الْجَنَّةِ أَوْ إِلَى النَّارِ مِنْ وُفُوفِهِمْ فَفَزِعُوا إِلَى آدَمَ وَنُوحٍ وَمِنْ بَعْدِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى كُلُّهُمْ يَقُولُ : إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَعْضَبْ مِثْلَهُ قَبْلَهُ وَلَا يَعْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ فَكُلُّهُمْ يَذْكُرُ شِدَّةَ غَضَبِ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ وَيُنَادِي بِالشُّغْلِ بِنَفْسِهِ فَيَقُولُ نَفْسِي نَفْسِي فَيَشْتَغِلُ بِنَفْسِهِ عَنِ الشَّفَاعَةِ لَهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ لَاهِتِمَامِهِ بِنَفْسِهِ وَخِلَاصِهَا .

وَكَذَلِكَ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ بِجَادِلٍ عَنِ نَفْسِهَا ﴾ فَبَادِرُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ وَأَنْتُمْ فِي مَكَانِ الْإِمْكَانِ ، قَبْلَ ضِيْقِ الْأَوْطَانِ ، وَتَقْلُصِ اللِّسَانَ وَاصْفِرَارِ الْبَنَانِ ، وَالتَّقَلُّبِ مِنْ جِهَةٍ إِلَى جِهَةٍ مِنْ شِدَّةِ الْآلَامِ .

وَرَفْعِ يَدٍ وَوَضْعِ الْأُخْرَى مِنْ شِدَّةِ السَّكَرَاتِ ، لِحُذْبِ الرُّوحِ مِنَ الْعُرُوقِ وَالْعَصَبِ وَالْعِظَامِ ، قَبْلَ شُخُوصِ الْبَصَرِ ، وَبُرُودَةِ الْبَدَنِ ، وَنَقْلِهِ لِيَبْتَ الدَّوْدَ وَالظُّلْمَةَ وَالْوَحْشَةَ وَالْإِنْفِرَادِ وَسُؤَالِ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ ، وَمَا يَعْقُبُهُ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ خَطِيرٍ فِي يَوْمٍ يَشِيبُ مِنْ أَهْوَالِهِ الْوِلْدَانَ .

فَمَا ظَنُّكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِيَوْمٍ بَضَائِعُهُ الْأَعْمَالُ ، وَشُهُودُهُ الْجُلُودُ وَاللِّسَنَةُ وَالْأَوْصَالُ ، وَسِجْنُهُ النَّارُ ، وَحَاكِمُهُ الْجَبَّارُ ، إِنَّ ذَلِكَ لِيَوْمٌ عَظِيمٌ لَا يَعْمَلُ لِحِسَابِهِ إِلَّا مَنْ وَقَفَهُ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَيْسَ فِيهِ لِلْمُجْرِمِ رَاحَةٌ وَلَا نَوْمٌ ، فَانْتَبِهُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ وَتَيَقَّظُوا وَتَزَوَّدُوا فَكَأَنَّكُمْ بِهِ وَقَدْ أَتَى قَالَ تَعَالَى : ﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مَعْرُضُونَ ﴾ ﴿ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾

شِعْرًا: خَبْتُ مَصَائِيحُ كُنَّا نَسْتَضِيءُ بِهَا  
 وَطَوَّحْتُ لِلْمَغِيبِ الْأَنْجُمُ الرَّهَرُ  
 وَاسْتَحَكَمْتُ غُرْبَةَ الْإِسْلَامِ وَأَنْكَسَفْتُ  
 شَمْسُ الْعُلُومِ الَّتِي يَهْدِي بِهَا الْبَشَرُ  
 تُخْرِمُ الصَّالِحُونَ الْمُقْتَدَى بِهِمْ  
 وَقَامَ مِنْهُمْ مَقَامَ الْمُتَبَدِّدِ الْخَبَرُ  
 فَلَسْتُ تَسْمَعُ إِلَّا كَانَ ثُمَّ مَضَى  
 وَيَلْحَقُ الْفَارِطُ الْبَاقِيَ بِمَنْ غَبَرُوا  
 وَالنَّاسُ فِي سَكْرَةٍ مِنْ خَمْرِ جَهْلِهِمْ  
 وَالصَّخُوفُ فِي عَسْكَرِ الْأَمْوَاتِ لَوْ شَعَرُوا  
 نَلَّهُو بِزُخْرَفِ هَذَا الْعَيْشِ مِنْ سَفَهِهِ  
 لَهُوَ الْمُنْبِتِ عَوْدًا مَا لَهُ تَمَرُ  
 وَتَسْتَحِثُّ مَنَائِنَا رَوَّاحِنَا  
 لِمَوْقِفِ مَا لَنَا عَنْ دُونِهِ صَدْرُ  
 إِلَّا إِلَى مَوْقِفِ تَبَدُّوا سَرَائِرُنَا  
 فِيهِ وَيَظْهَرُ لِلْعَاصِينَ مَا سَتَرُوا  
 فَيَا لَهُ مَصْدَرًا مَا كَانَ أَعْظَمَهُ  
 النَّاسُ مِنْ هَوْلِهِ سَكْرَى وَمَا سَكَّرُوا  
 فَكُنْ أَحِي عَابِرًا لَا عَامِرًا فَلَقَدْ  
 رَأَيْتَ مَصْرَعًا مَنْ شَادُوا وَمَنْ عَمَرُوا  
 اسْتُنزَلُوا بَعْدَ عِزٍّ عَنْ مَعَاقِلِهِمْ

كَأَنَّهُمْ مَا نَهَوْا فِيهَا وَلَا أَمَرُوا  
تُعَلُّ أَيْدِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ  
بَرُّوا تَفَكُّ وَفِي الْأَغْلَالِ إِنَّ فَجَرُوا  
وَنُحَ عَلَى الْعِلْمِ نُوْحَ الشَّاكِلَاتِ وَقُلْ  
وَالْهَفِّ نَفْسِي عَلَى أَهْلِ لَهُ قَبِرُوا  
الثَّابِتِينَ عَلَى الْإِيمَانِ جُهْدَهُمْ  
وَالصَّادِقِينَ فَمَا مَانُوا وَلَا خَتَرُوا  
الصَّادِعِينَ بِأَمْرِ اللَّهِ لَوْ سَخَطُوا  
أَهْلَ الْبَسِيطَةِ مَا بَالُوا وَلَوْ كَثُرُوا  
السَّالِكِينَ عَلَى نَهْجِ الرَّسُولِ عَلَى  
مَا قَرَّرَتْ مُحَكَّمُ الْآيَاتِ وَالسُّوْرُ  
الْعَادِلِينَ عَنِ الدُّنْيَا وَزَهْرَتِهَا  
وَالْأَمْرَيْنِ بِخَيْرٍ بَعْدَ مَا ائْتَمَرُوا  
لَمْ يَجْعَلُوا سُلْمًا لِلْمَالِ عِلْمُهُمْ  
بَلْ نَزَّهُوهُ فَلَمْ يَغْلُقْ بِهِ وَضَرُّ  
فَحْيٍ أَهْلًا بِهِمْ أَهْلًا بِذِكْرِهِمْ  
الطَّيِّبِينَ نَنَاءً أَيْنَمَا ذُكِرُوا  
أَشْخَاصُهُمْ تَحْتَ أَطْبَاقِ الثَّرَى وَهُمْ  
كَأَنَّهُمْ بَيْنَ أَهْلِ الْعِلْمِ قَدْ نُشِرُوا  
هَٰذِي الْمَكَارِمِ لَا تَرْوِيقُ أَنْبِيَةَ  
وَلَا الشُّفُوفِ الَّتِي يُكْسَى بِهَا الْجُدْرُ

وَالْعِلْمُ إِنْ كَانَ أَقْوَالًا بِلا عَمَلٍ  
 فَلَيْتَ صَاحِبُهُ بِالْجَهْلِ مُنْعَمٌ رُ  
 يَا حَامِلَ الْعِلْمِ وَالْقُرْآنِ إِنَّ لَنَا  
 يَوْمًا تُضَمُّ بِهِ الْمَاضُونَ وَالْآخِرُ  
 فَيَسْأَلُ اللَّهُ كُلاًّ عَن وظيفته  
 فَلَيْتَ شِعْرِي بِمَاذَا مِنْهُ تَعْتَذِرُ  
 وَمَا الْجَوَابُ إِذَا قَالَ الْعَلِيمُ إِذَا  
 قَالَ الرَّسُولُ أَوْ الصَّادِقُ أَوْ عَمْرُ  
 وَالْكُلُّ يَأْتِيهِ مَغْلُولَ الْيَدَيْنِ فَمِنْ  
 نَاجٍ وَمِنْ هَالِكٍ قَدْ لَوَّحَتْ سَقْرُ  
 فَجَدُّوا نِيَّةَ اللَّهِ خَالِصَةً  
 قُومُوا فَرَادَى وَمَثْنَى وَاصْبِرُوا وَمُرُوا  
 وَنَاصِحُوا وَانصَحُوا مَنْ وَلِي أَمْرِكُمْ  
 فَالصَّفْوُ لا بُدَّ يَأْتِي بَعْدَهُ كَدْرُ  
 وَاللَّهُ يَلْطَفُ فِي الدُّنْيَا بِنَا وَبِكُمْ  
 وَيَوْمَ يَشْخِصُ مِنْ أَهْوَالِهِ الْبَصَرُ  
 وَصَلِّ رَبِّ عَلَي الْمُخْتَارِ سَيِّدِنَا  
 شَفِيعِنَا يَوْمَ نَارِ الْكَرْبِ تَسْتَعِيرُ  
 مُحَمَّدَ خَيْرِ مَبْعُوثٍ وَشِيعَتِهِ  
 وَصَاحِبِهِ مَا بَدَا مِنْ أَفْقِهِ قَمَرُ



اللَّهُمَّ كَمَا صِنْتَ وَجُوهَنَا عَنِ السُّجُودِ لِعَيْرِكَ فَصُنْ وَجُوهَنَا عَنِ الْمَسْأَلَةِ لِعَيْرِكَ ، اللَّهُمَّ مَنْ كَانَ عَلَى هَوَى وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهُ عَلَى الْحَقِّ فَرَّدَهُ إِلَى الْحَقِّ حَتَّى لَا يَظُلُّ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَحَدٌ اللَّهُمَّ لَا تَشْعَلْ قُلُوبَنَا بِمَا تَكْفَلْت لَنَا بِهِ وَلَا تَجْعَلْنَا فِي رِزْقِكَ خَوَلًا لِعَيْرِكَ وَلَا تَمْنَعْنَا خَيْرَ مَا عِنْدَكَ بِشَرِّ مَا عِنْدَنَا وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

### مَوْعِظَةٌ

عباد الله إِنَّ عَلَيْكُمْ مَسْئُولِيَّةً كُبْرَى وَفِي أَعْنَاقِكُمْ أَمَانَةٌ عَظْمَى سَتُسْأَلُونَ عَنْهَا يَوْمَ يَبْعَثُ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ، فَإِنَّ اللَّهَ سَائِلٌ كُلِّ رَاعٍ عَمَّا اسْتَرْعَاهُ حَفِظَ أَمْ ضَيَّعَ .  
عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ فِي أَعْنَاقِكُمْ أَوْلَادَكُمْ وَهُمْ أَفْلَادُ أَكْبَادِكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ فِيهِمْ وَوَجَّهُوهُمْ إِلَى الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَالْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الْأَوْلَادِ سَيَكُونُونَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ رِجَالًا ، فَإِذَا تَرَبُّوا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَتَعَوَّدُوا الْأَخْلَاقَ الصَّالِحَةَ الَّتِي تَرْفَعُ مَقَامَهُمْ وَتُعَلِّي شَأْنَهُمْ وَحَصَّلُوا مِنَ الْعُلُومِ النَّافِعَةِ مَا يَنْفَعُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ وَيَنْفَعُونَ بِهِ عِبَادَ اللَّهِ ، كَانُوا أَسَاسًا مَكِينًا لِنَهْضَةِ الْأُمَّةِ وَهَذَا أَمْرٌ لَا يَخْتَلِفُ فِيهِ اثْنَانِ .

وَإِنْ اسْتَعَادُوا سَافِلِ الْأَخْلَاقِ وَهَجَرُوا الْعُلُومَ الشَّرْعِيَّةَ وَمَا يُعِينُ عَلَيْهَا ، كَانُوا ضَرَرًا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَعَلَى الْأُمَّةِ .

عباد الله التَّرْبِيَةُ أَمْرٌ عَظِيمٌ الْخَطَرِ كَبِيرُ الْقِيَمَةِ ، وَالطُّفُلُ أَمَانَةٌ عِنْدَ وَالِدَيْهِ ، وَقَلْبُهُ الطَّاهِرُ جَوْهَرَةٌ نَفِيسَةٌ خَالِيَةٌ مِنْ كُلِّ نَفْسٍ وَصُورَةٍ فَإِنْ عُوِّدَ الْخَيْرَ وَعُلِّمَهُ نَشَأَ عَلَيْهِ وَسَعَدَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَشَارَكَهُ فِي ثَوَابِهِ أَبَوَاهُ ، وَكُلُّ مُؤَدَّبٍ وَمُعَلِّمٍ لَهُ فِي الْخَيْرِ ، وَإِنْ عُوِّدَ الشَّرَّ وَأَهْمِلَ وَتُرِكَ بِلا عِنَايَةٍ ، شَقِيَ وَهَلَكَ وَكَانَ عَلَى وِلْيَةِ وَرَاعِيهِ مَا يَسْتَحِقُّ مِنَ الْإِثْمِ .

فالتَّربِيَةُ هِيَ غَرْسُ الدِّينِ الإِسْلَامِيِّ وَمَحَبَّتِهِ وَآدَابِهِ قَوْلًا وَعَمَلًا وَاعْتِقَادًا ، وَعَرْسُ الْأَخْلَاقِ  
الْفَاضِلَةِ فِي نُفُوسِ النَّاسِ سَقِيئًا وَسَفِيئًا بِمَاءِ الإِرْشَادِ وَالنَّصِيحَةِ ، وَالتَّوَجِيهِ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ  
رَسُولِهِ وَإِتِّبَاعِ سَبِيلِ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَمَنْ حَذَا حَذْوَهُمْ .  
قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ  
قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (( مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ إِلَّا عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ  
يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ كَمَا تُنْتَجِ الْبَهِيمَةُ جَمْعَاءَ هَلْ تُحْسُونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ )) .  
ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ  
الدِّينُ الْقَيِّمُ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ

### ( فَضْلٌ )

قَالَ فِي الدُّرُوسِ الْوَعُظِيَّةِ عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ : أَجْمَعَ الْعُقَلَاءُ عَلَى أَنَّ الْإِنْسَانَ بِحَاجَةٍ إِلَى  
التَّربِيَةِ فَإِنَّمَا يُوَلَّدُ صَغِيرًا مُجَرَّدًا عَنْ كُلِّ الْمُمَيِّزَاتِ قَابِلًا لِكُلِّ نَقْشٍ مُسْتَعِدًّا لِكُلِّ مَا يُلْقَى إِلَيْهِ مِنْ  
تَعْلِيمٍ وَيُحَاطُ بِهِ مِنْ تَنْقِيفٍ .  
وَالْوَالِدَانِ هُمَا الرَّاعِيَانِ لِوَالِدَيْهِمَا الْمَسْئُولَانِ عَنْهُ لَدَى اللَّهِ وَالنَّاسِ ، فَإِنْ أَحْسَنَا تَأْدِيبَهُ وَعَوَّدَاهُ  
الْحَيَّرَ وَإِنْشَاءَهُ عَلَيْهِ سَعَدَ فِي دُنْيَاهُ وَأُخْرَاهُ وَنَالَ أَمْنِيَّتَهُ وَمُبْتَعَاهُ ، وَكَانَ لِوَالِدَيْهِ وَكُلِّ مَنْ اشْتَرَكَ فِي  
تَعْلِيمِهِ وَسَاهَمَ فِي تَهْدِيئِهِ أَجْرُهُ عِنْدَ اللَّهِ ، وَإِنْ أَهْمَلَهُهُ وَالِدَاهُ إِهْمَالِ الْبَهَائِمِ وَمَنْ يَزْعِمُ أَنَّ اللَّهَ  
بِهِ كَانَ إِثْمُهُمَا عِنْدَ اللَّهِ كَبِيرًا وَسُؤَالُهُمَا خَطِيرًا .

وَإِنَّ مِنَ الْأُمُورِ الْمُحَقَّقَةِ وَالْحَقَائِقِ الْمُشَاهِدَةِ عَلَى مَا قَدَّمْنَا أَنَّ عَقْلِيَّةَ الْوَالِدِ تَتَأَثَّرُ بِتَأَثُّرِ الْبِيئَةِ وَالْمُجْتَمَعِ صِحَّةً وَفَسَادًا ، لِسَدَاجَةِ نَفْسِهِ وَسَلَامَةِ فِطْرَتِهِ إِذَنْ ، فَوَاجِبُ الْوَالِدِ كَبِيرٌ فَعَلَيْهِ أَنْ يَحُوطَهُ بِعِنَايَةٍ دَقِيقَةٍ وَرِقَابَةٍ شَدِيدَةٍ وَتَوْجِيهِ صَحِيحٍ وَتَرْبِيَةٍ حَسَنَةٍ .

وَذَلِكَ بِأَنْ يُؤَدِّبَهُ ، وَيُهْدِبُهُ ، وَيُعَلِّمُهُ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ ، وَحَسَنَ الْعَادَاتِ ، وَيَحْفَظُهُ مِنْ قُرْنَاءِ الشُّوْءِ ، وَذَوِي الْأَخْلَاقِ الْمُنْحَطَّةِ ، وَيُعَلِّمُ الْوَالِدُ أَنْ وَلَدَهُ أَمَانَةٌ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَلْيُوَدِّ وَاجِبُ الْأَمَانَةِ ، وَلْيُفِمْ بِحَقِّ الرِّعَايَةِ .

وَإِذَا أَهْمَلَ الْوَالِدُ فِي ابْتِدَاءِ نَشَأَتِهِ وَأَوَّلِ رِعْرِعَتِهِ وَتَمْيِيزِهِ خَرَجَ خَبِيثَ الطَّبَعِ سَيِّءِ الْأَخْلَاقِ ، مُحْتَالًا كَذَابًا سَرِيفًا كَثِيرَ الْهَدْيَانِ وَفُضُولِ الْكَلَامِ ، يَتَدَخَّلُ فِيهَا لَا يَعْنِيهِ ، بِذِيءِ اللِّسَانِ مُعْتَابًا نَمَامًا وَقَحًا بَعِيدًا عَنِ التَّقْوَى وَالطَّاعَةِ ، قَرِيبًا مِنَ الْفُسُوقِ وَالْفُجُورِ .

وَفِي مِثْلِ هَذِهِ الْحَالِ لَا يَكُونُ وَبَالًا عَلَى الْمُجْتَمَعِ وَعُضْوًا فَاسِدًا يَجِبُ أَنْ يَبْتَرَ وَيُقَطَعَ إِلَّا مَنْ حَفِظَ رُتْكَ .

وَيَجِبُ عَلَى وَلِيِّ الطِّفْلِ وَالطُّفْلِ عِنْدَ إِزَادَةِ التَّعْلِيمِ أَنْ يُسَلِّمَ الْوَالِدَ لِمُرَبِّ صَالِحٍ ، وَمُعَلِّمٍ نَاصِحٍ ، يَحْفَظُ عَلَيْهِ أَخْلَاقَهُ ، وَيُحَسِّنُ آدَابَهُ ، وَيُرَوِّضُهُ وَيُمَرِّنُهُ عَلَى الشَّعَائِرِ الدِّينِيَّةِ ، وَيُلَقِّنُهُ الْعَقَائِدَ الصَّحِيحَةَ السَّلِيمَةَ ، الْإِسْلَامِيَّةَ وَلَا يَتَسَامَحَ مَعَهُ فِي إِهْمَالِ أَمْرِ الدِّينِ وَآدَابِهِ .

وَلَا يَجُوزُ تَسْلِيمُ الطِّفْلِ إِلَى مُعَلِّمٍ مُتَهَتِّكٍ يَسْتَهْتِكُ بِأَمْرِ الدِّينِ أَوْ زَنْدِيقٍ مَارِقٍ لَا يُبَالِي بِعَقَائِدِ الْمُسْلِمِينَ ، أَوْ جَاهِلٍ سَخِيفٍ يَبْهَتُهُ بِالْحَرَافَاتِ وَالْغُرَائِبِ ، وَهُوَ فِي نَفْسِهِ لَا يُبَيِّنُ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ وَالْعُثَّ مِنَ السَّمِينِ ،

أَوْ مُلْحِدٍ خَارِجٍ عَنِ الْأَوَامِرِ الْإِلَهِيَّةِ وَالتَّوَامِسِ السَّمَاوِيَّةِ غَيْرِ مُكْتَرِثٍ بِالتَّعَالِيمِ الدِّينِيَّةِ ، أَوْ يَفْذِفُ بِهِ فِي الْمَدَارِسِ التَّبْشِيرِيَّةِ الْأَجْنَبِيَّةِ ذَاتِ الْأَعْرَاضِ الْمَعْرُوفَةِ وَالْعَايَاتِ الدَّيْنِيَّةِ وَالتَّوْجِيهِ الْفَاسِدِ ضِدَّ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ .

وَلِمَثَلِ هَذِهِ الْأَعْرَاضِ الشَّرِيفَةِ وَالْعَايَاتِ النَّبِيلَةِ ، يُرْشِدُنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى رِعَايَةِ الْوَلَدِ ، وَصِيَانَتِهِ ، وَشِدَّةِ مُرَاقَبَتِهِ ، وَحِمَايَتِهِ فَهُوَ يَقُولُ : (( مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ إِلَّا عَلَى الْفِطْرَةِ الصَّحِيحَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، وَالْعَقِيدَةِ الْمَرْضِيَّةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ )) .

الْمَعْنَى إِذَا تَقَرَّرَ ذَلِكَ فَمَنْ تَغَيَّرَ عَنِ الْفِطْرَةِ الصَّحِيحَةِ وَمَالَ إِلَى الْعَقَائِدِ الْبَاطِلَةِ وَالْآرَاءِ الْفَاسِدَةِ ، وَالْمَذَاهِبِ الرَّايِفَةِ كَانَ سَبَبُ تَغْيِيرِهِ أَنَّ أَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ بِتَعْلِيمِهِمَا إِيَّاهُ ، وَتَرْغِيبِهِمَا فِيهِ ، أَوْ .

وَنَحْوَ هَذِهِ الْآيَةِ وَأَمْرٌ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا وَالْآيَةُ الْأُخْرَى وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

### (فصل)

وقال في توجيهات دينية ومناصحات فيما يجب علي الراعي والرعية .

يا أيها المؤمنون المسئولون الكرام : إن المؤمن إذا أمعن الفكرة ، وتلمس الحقيقة ، وتجافى عن التصنع والمغالطة .

عَلِمَ أَنْ مَا أَصَابَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ تَدَهُّورٍ وَأَهْيَارٍ ، وَنَقْصٍ مِنْ أَخْلَاقِ الدِّينِ الْحَنِيفِ ، وَتَعَالِيهِ الْقِيَمَةِ وَسَبَبُهُ الْوَحِيدُ .

وعامله المفردُ تفریطُ زعماءِ الأمةِ الإسلاميةِ في تربيةِ الشبابِ والتراخي في جهادِ النفوسِ على ما يَجِبُ من مُعَانَاةِ النَّشْءِ :

وَيَنْشَأُ نَاشِئُ الْفِتْيَانِ مِنَّا عَلَى مَا كَانَ عَوْدَهُ أَبُوهُ

ومَن هُم زعماءُ الأمةِ ؟ نَعْنِي كُلُّ مَنْ يَلِي أَمْرًا مِنْ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ بِأَمَارَةٍ أَوْ إِدَارَةٍ ، أَوْ يَشْعَلُ مَنْصِبَ تَعْلِيمٍ ، أَوْ تَكُونُ لَهُ كَلِمَةٌ مَسْمُوعَةٌ .

إن أبناءَ المدارسِ في عمومِ البلادِ الإسلاميةِ . هُم رجالُ المستقبلِ بَلْ هُم المسلمونَ المرجونَ لحملِ الدينِ وَحِمَايَتِهِ .

فإذا أُنْهَرَ كِيَانُ الدِّينِ فِي نُفُوسِهِمْ ، وَتَلَاشَى تَعْظِيمُ الشَّرِيعَةِ فِي قُلُوبِهِمْ ، وَجَهَلُوا مَا بَلَغَ هَذَا الدِّينُ الْعَظِيمُ بِأَهْلِهِ دُنْيَا وَأُخْرَى فِي حَالِ طُفُولَتِهِمْ ، وَفَرَاغِ أَذْهَانِهِمْ .

كَيْفَ يَكُونُ الْحَالُ إِذَا شَبَّ أَبْنَاؤُنَا ، وَهُمْ لَا يَرُونَ وَلَا يَسْمَعُونَ إِلَّا دُعَاةَ الْاِسْتِعْمَارِ ، وَسَمَاسِرَةَ الْغَرْبِ قَوْلًا وَعَمَلًا يَتَشَدَّقُونَ بِتَضَخِيمِ الْغَرْبِ ، وَتَعْظِيمِ رِجَالِهِ ، وَيَنْخَرِطُونَ فِي هُوَّةِ تَقْلِيدِهِمْ .

فَيَفْعَلُ هَوْلَاءُ ، وَيَتَعَاظِلُ أَوْلِيَاءُ عَنْ مَائِرِ هِيَ الْمُثُلُ الْعُلْيَا فِي رُفِيِّ الْبَشَرِ ، قَدَمًا فِي حَيَاتِهِ الْهَيِيَّةِ الْمُوَصَّلَةِ إِلَى حَيَاتِهِ الْأَبَدِيَّةِ فِي جِوَارِ خَالِقِهِ الْكَرِيمِ .

إِنَّ تِلْكَ الْمَائِرِ الَّتِي جَلَّتْ عَنِ الْخَفَاءِ ، وَشَهَدَتْ بِهَا الْأَعْدَاءُ ، وَظَهَرَتْ ظُهُورَ الشَّمْسِ فِي الْمَلَأِ لُتْبُرَهُنَّ عَلَى مَجْدِ أَبْنَائِهَا .

أَوْلِيَاءُ السَّادَةِ آبَاؤُنَا الْكِرَامِ وَسَلْفُنَا الصَّالِحِ ، الَّذِينَ خَالَطَتْ بِشَاشَةَ الْإِيمَانِ قُلُوبَهُمْ ، وَامْتَزَجَتْ عَقَائِدُ الدِّينِ بِنُفُوسِهِمْ ، وَأَنْطَبَعَتْ آدَابُهُ وَتَعَالِيمُهُ فِي أَخْلَاقِهِمْ .

فَمَثَلُوهُ عَمَلًا ، وَدَعَوْا إِلَيْهِ فِعْلًا قَبْلَ دُعَائِهِمْ إِلَيْهِ قَوْلًا ، وَطَبَّقُوا قَوَانِينَهُ وَأَنْظَمَتَهُ حُكُومَاتٍ وَشُعُوبًا وَأَفْرَادًا .

أولئك الذين استترخصوا مهجهم في سبيل إعزازِهِ ، وضحوا بأموالِهِم وأولادِهِم وأوطانِهِم في  
جَمَى حَوَزَتِهِ ، والذب عن كيانِهِ :

هُم الَّذِينَ رَعَوْا لِلدِّينِ حُرْمَتَهُ لِلدِّينِ عِنْدَهُمْ جَاهٌ وَمَقْدَارٌ  
عَظُمَ أَمْرُ الدِّينِ فِي قُلُوبِهِمْ فَلَمْ يُشَارِكْهُ وَطَنٌ وَلَا عَشِيرَةٌ . بِهِ وَحْدَهُ قَامُوا وَبِهِم قَامَ وَلَهُ قَاتَلُوا  
، وَفِيهِ أَحْبَبُوا وَأَبْغَضُوا وَلِشَعَائِرِهِ عَظَّمُوا ، وَعِنْدَ حُدُودِهِ وَقَفُوا ، وَبِأَمْرِهِ امْتَثَلُوا .  
فَامْتَطَّوْا بِهِ هَامَ الْعَالَمِ حِينَ حَمَلُوهُ ، وَأَصْبَحُوا بِهِ مَضْرَبَ الْأَمْثَالِ فِي الْعِزِّ إِذْ مَثَلُوهُ .  
لَمْ تَسْتَعْبِدْهُمْ الدُّنْيَا ، وَلَمْ تُسَيِّطِرْ عَلَى نَفْسِهِمْ شَهْوَةٌ ذَاتِيَّةٌ ، وَلَمْ تَمْلِكْهُمْ الْأَعْرَاضُ  
الشَّخْصِيَّةُ .

وَلَمْ يَجْمَلْهُمْ حُبُّ الْإِنْتِصَارِ عَلَى الظُّلْمِ الْمَدْمَرِ ، وَلَمْ يَثْبِتْهُمْ حُبُّ الْوَطَنِ عَنِ الْهَجْرَةِ إِلَيْهِ :  
سِيرُوا كَمَا سَارُوا لِتَجْنُوا مَا جُنُوا لَا يَحْصُدُ الْحُبُّ سِوَى الزَّرْعِ  
إِنَّ مَخْضَ النَّصْحِ لِيَحْتَمُ التَّصْرِيحُ بِأَنْ مَا حَلَّ بِالْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ إِنَّمَا يَتَّحَمِلُ تَبَعْتَهُ كَاهِلَانِ ،  
وَيَتَقَلَّدُ مَسْئُولِيَّتَهُ عُنُقَانِ : أَمْرَاءُ الْأُمَّةِ ، وَعُلَمَاءُ الدِّينِ .  
أُولَئِكَ الَّذِينَ أَوْجَبَ اللَّهُ لَهُمُ السَّمْعَ وَالطَّاعَةَ ، وَأَخَذَ عَلَيْهِمُ الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ .  
فَإِذَا قَامَ الْعُلَمَاءُ بِنَشْرِ تَعَالِيمِ الدِّينِ ، وَتَجَلِّيَتِهِ بِالْأَعْمَالِ فِي مَظْهَرِهِ الْحَقِيقِيِّ ، وَرَوْنَقِهِ الْبَاهِرِ .  
وَقَامَ الْأَمْرَاءُ بِتَطْبِيقِ أَنْظِمَتِهِ الْكَرِيمَةِ ، وَتَنْفِيدِ أَوَامِرِهِ الْقِيَّامَةِ ، وَالِاسْتِفَادَةِ بِإِرْشَادَاتِهِ السَّاطِعَةِ .  
وَتَحَقُّقُوا بِوَصْفِ اللَّهِ لِخُلُقَائِهِ فِي أَرْضِهِ : ﴿ الدِّينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي

الأرض أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿١٠٠﴾ .

وَأَسْنَدُوا الْأُمُورَ إِلَى أَكْفَائِهَا عَمَلًا بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا ﴾ وَتَصَوَّرُوا مَسْئُلِيَّتَهُمُ الْمُحَقَّقَةَ بِأَخْبَارِ الصَّادِقِ الْمَصْدُوقِ ρ : (( كُلُّكُمْ رَاعٍ ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ )) .

فاجتهدوا حسب الإمكان في اختيار المعلمين في معاهدهم ومدارسهم الدينية ، وتعهدهم بالمراقبة الحقة المكافحة لاتخاذ التعليم مكسباً محضاً لا أمانةً وديناً .

( إن هذا العلم دينٌ فانظروا من تأخذون دينكم عنه ) فمن خالف قوله عملة لا يحل أن يوكل أمانة التعليم ، ولا يصلح لرعاية أولاد المسلمين . بل يجب عليه إصلاح حاله أولاً كما قيل :

- فابدأ بنفسك فانها عن عيها -

ومن الحال أن ينطبع في قلب متعلم ما ليس من صفة معلمه . إن القول المجرد عن العمل لا أثر له ضرره أكثر من نفعه ، لأن المتعلم إذا رأى تعاليم الإسلام عند معلمه صورة مجردة عن العمل اعتقد بحكِّم طفولته وجهله بادئ الأمر أن العلم مقصود لنفسه ، لا للعمل به فلم يرض نفسه على العمل بعلمه .

وهذا تعظم مصيبتُهُ في مستقبل أمره . فيجب أن يتجافى المسئولون في معاهدهم ومدارسهم الدينية عن الذين يقولون ما لا يفعلون ، ويظهرون ما لا يبطنون . أولئك الذين مَقَّتَهُمُ اللهُ تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ \* كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ .

وفي الحديث : (( أَخَوْفَ مَا أَخَافَ عَلَى أُمَّتِي كُلِّ مَنْافِقِ عَلِيمِ اللِّسَانِ )) .  
 وفي شرح ابن رجب على حديث : (( أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ )) . .... الخ زُوي عن عمر رضي  
 الله عنه أنه قَالَ عَلَى المنبر : إن أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الْمَنَافِقَ الْعَلِيمِ . قِيلَ كَيْفَ يَكُونُ  
 الْمَنَافِقُ عَلِيمًا ؟ قَالَ : يَتَكَلَّمُ بِالْحِكْمَةِ وَيَعْمَلُ بِالْجَوْرِ أَوْ قَالَ الْمُنْكَرِ .  
 وَلَا نَلْتَمِسُ مِنَ الْمُسْتَوْلِينَ التَّفْتِيْشَ عَنِ الْبَاطِنِ ، وَتَتَبَعَ السَّرَائِرِ ، فَإِنَّا لَمْ نُؤْمَرْ بِذَلِكَ ،  
 وَيَكْفِي الْمَجَاهِرَةَ بِمُخَالَفَةِ الْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ لِلتَّعَالِيمِ الْمَرْسُومَةِ .  
 فَإِنْ وَفَّقَنَا اللَّهُ لِلْقِيَامِ بِالْوَاجِبِ ، وَأَرْجُوا أَنْ يَكُونَ آتٍ لَنَا ذَلِكَ .  
 وبذلك نكون قد تلافينا الخلل ، وعالجنا الداء ووضعتنا الهناء موضع النقب :

فِيَا مَعْشَرَ الْحُكَّامِ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ	بِنَا فَانْهَضُوا نَحْوَ الْمَعَالِي وَشَمِّرُوا
لِنَعْمَرَ مَجْدًا قَدْ بَنَتْهُ سَرَائِنَا	فَاعْلَوْا وَعَنْ كُلِّ النَّقَائِصِ سَوِّرُوا
وَسِيرُوا بِنَا نَفَقُوا شَرِيعَةَ أَحْمَدٍ	نَبِيِّ آتَى بِالْعَدْلِ وَالْبِرِّ يَأْمُرُ
وَخَافُوا إِلَهَ الْعَرْشِ فِي هَضْمِ أُمَّةٍ	لَهَا نَبَأٌ فِي الذِّكْرِ يُتْلَى وَيُذَكَّرُ
وَمَا الْهَضْمُ إِلَّا أَنْ تُضَامَ شُعُوبُكُمْ	وَمَا الْعُدْرُ عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَتَأَخَّرُوا
فَسِيرُوا بِهَا نَحْوَ الْإِمَامِ نَسْرُكُمْ	فَلَيْسَتْ جُنُودًا بِلِ هِيَ الْأَسْدُ تَزَارُ
إِذَا أُوتِيَ الرَّاعُونَ حُسْنَ قِيَادَةٍ	وَصِدْقًا فَإِنَّ الْجُنْدَ جُنْدٌ مُظْفَرُ
فَمَا نَهَضَ الْكَابُونَ فَضْلًا وَإِنَّمَا	رَأُونَا نِيَامًا ثُمَّ قَامُوا وَزَمَرُوا
وَقَدْ جَاءَ فِي التَّنْزِيلِ وَعَدَا مُحَقَّقًا	بِأَنَّكُمْ إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ تُنصَرُوا
وَهَلْ نَصْرُهُ إِلَّا إِتْبَاعُ كِتَابِهِ	وَتَحْكِيمُ مَا قَالَ الرَّسُولُ الْمُطَهَّرُ
فِيَا قَادَةَ الدِّينِ الْحَنِيفِ تَنَاصَرُوا	وَخَلُّوا أُمُورًا عَنْ عِلَاكُمْ تُقَهَّقَرُ



فَمَا الْعِزُّ إِلَّا فِي اجْتِمَاعِ سَرَاتِكُمْ  
وَلَا تَسَلَمُوا أَبْنَاءَ دِينٍ مُقَدَّسٍ  
وَمَجْهُولِ حَالٍ قَدْ رَأَى الْعِلْمَ صَنْعَةً  
فَمَنْ يَا أَبَا الضَّيْمِ لِلدِّينِ بَعْدَكُمْ  
تَجَافُوا عَنِ الْجَافِينَ فِي كُلِّ مَعْهَدٍ  
كَذَلِكَ عَنِ الْعَالِينَ وَابْعُوا أَفَاضِلًا  
فَمَرَاةَ أَخْلَاقِ الْمُعَلَّمِ طِفْلُهُ  
فَأُولُوهُمْ مِنْكُمْ رِقَابَةٌ مُخْلِصٍ  
فَمَهْمَا اسْتَقَمْتُمْ تَسْتَقِيمُ شُعُوبِكُمْ  
وَأَنْ تَتَوَاصَوْا بِالضَّعَافِ وَتُؤَثِّرُوا  
لِكُلِّ غَيْبٍ بِالْقَبَاحِ يَجْهَرُ  
وَيَكْفِيهِ مِنْهُ أَنْ يُقَالَ مُحَرَّرُ  
وَمَنْ لِلشَّبَابِ النَّاشِئِينَ يُبْصِرُ  
وَمَدْرَسَةٍ فِيهَا الْمَعَارِفُ تُنْشَرُ  
فَضَائِلُهُمْ فِي النَّاشِئِينَ تُؤَثِّرُ  
وَمَا فِيهِ فِي تَلْمِيذِهِ لَكَ يَظْهَرُ  
تُمَحِّصُ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ وَتُطَهِّرُ  
وَأَنْ تُبْصِرُوا أَنْتُمْ فَكُلُّ سَيِّئِصِرُ

اللَّهُمَّ يَا عَالِمَ الْخَفِيَّاتِ وَيَا سَامِعَ الْأَصْوَاتِ وَيَا بَاعِثَ الْأَمْوَاتِ وَيَا مُجِيبَ الدَّعَوَاتِ وَيَا قَاضِيَ الْحَاجَاتِ يَا خَالِقَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ أَنْتَ اللَّهُ الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ، الْوَهَّابُ الَّذِي لَا يَبْخُلُ وَالْحَلِيمُ الَّذِي لَا يَعْجَلُ ، لَا رَادَّ لِأَمْرِكَ وَلَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِكَ ، نَسْأَلُكَ أَنْ تَغْفِرَ ذُنُوبَنَا وَتُنَوِّرَ قُلُوبَنَا وَتُثَبِّتَ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَتُسَكِّنَنَا دَارَ كَرَامَتِكَ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

( فَضْلٌ يَحْتَوِي عَلَى آدَابٍ وَمَوَاعِظٍ وَنَصَائِحٍ وَأَخْلَاقٍ فَاضِلَةٌ )

وَاعْلَمَنَّ أَنَّ وَقَايَةَ الْأَنْفُسِ بِالزَّامِهَا أَوْامِرَ اللَّهِ امْتِنَالًا وَنَوَاهِيهِ اجْتِنَابًا وَالتَّوْبَةُ عَمَّا يُسْحَطُ اللَّهُ ، وَيُوجِبُ الْعَدَابَ .

وَوَقَايَةَ الْأَهْلِ وَالْأَوْلَادِ بِتَأْدِيبِهِمْ وَتَعْلِيمِهِمْ وَإِلْزَامِهِمْ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ فَلَا يَسْلَمُ الْعَبْدُ إِلَّا إِذَا قَامَ بِأَمْرِ اللَّهِ بِهِ فِي نَفْسِهِ وَفِي مَنْ تَحْتَ وَلَا يَتِيهِ وَتَصَرَّفَهُ .

وَرُوِيَ أَنَّ عُمَرَ قَالَ حِينَ نَزَلَتْ الْآيَةُ الْآتِيَةُ بَعْدَ سَطْرَيْنِ : يَا رَسُولَ اللَّهِ نَقِي أَنْفُسَنَا فَكَيْفَ لَنَا بِأَهْلِينَا فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : (( نَهَوْنَهُنَّ عَمَّا نَهَاكُمُ اللَّهُ عَنْهُ وَتَأْمُرُونَهُنَّ بِمَا أَمَرَكُمُ اللَّهُ بِهِ فَيَكُونَ ذَلِكَ وَقَايَةً بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ النَّارِ )) .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ بَعْدَ سِيَاقِهِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا فُؤَا أُنْفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ وَحَدِيثُ : (( كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ )) .

إِنَّ تَرْبِيَةَ الْأَوْلَادِ وَتَعْلِيمَهُمْ لِأَمْرِ عَظِيمٍ لَهُ شَأْنُهُ الْأَكْبَرُ وَخَطَرُهُ الْجَسِيمُ فِي حَيَاتِنَا الدِّينِيَّةِ وَالاجْتِمَاعِيَّةِ ، وَالْخُلُقِيَّةِ ، فَهُمْ قُوَى الْمُجْتَمَعِ الْمُنْتَظَرِ وَدَعَائِمِهِ الَّتِي سَيَفُومُ عَلَيْهَا ، وَعَلَيْهِمْ وَحَدَهُمْ يَتَوَقَّفُ رُؤْيُ الْأُمَّةِ الْحَقِيقِيَّةِ وَمُؤَهَا وَتَقَدُّمُهَا .

وَإِنَّ أَمَامَهُمْ لِحَظْرَ عَظِيمٍ وَعَزْوُ هَائِلٍ مُتَسَتِّرٍ بِبَعْضِ الثَّقَافَاتِ لِهَدْمِ عَقَائِدِهِمْ وَفَسَادِ أَخْلَاقِهِمْ ، وَانْتِرَاعِ رُوحِ الْإِبَاءِ وَالْغَيْبَةِ وَالْعَفَافِ مِنْ نُفُوسِهِمْ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ .  
وَإِنَّ مُشْكَلَتَهُمُ الْيَوْمَ هِيَ أُمُّ الْمَشَاكِلِ فَلَا أَنْ نَحْسَرَ الْأَمْوَالَ وَالْأَنْفُسَ أَيْسُرَ وَأَهْوَنُ مِنْ أَنْ نَحْسَرَ رُوحَ نَشْتِنَا الْمَعْنَوِيَّةِ ، وَعَقَائِدَهُمُ السَّلْفِيَّةِ ، فَيَجِبُ أَنْ نَسْعَى فِي حِيَاطَتِهِمْ بِسِيَاجِ الدِّينِ وَأَنْ نَعْرِسَ فِي نُفُوسِهِمْ أَوْلَاً وَقَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ احْتِرَامَ الْإِسْلَامِ ، وَحُبَّ تَعَالِيمِهِ ، وَآدَابِهِ قَوْلًا وَعَمَلًا وَاعْتِقَادًا .

يَجِبُ أَنْ يَعْتَنِي بِذَلِكَ الْإِبَاءُ وَالْمُصْلِحُونَ يَجِبُ أَنْ لَا يُوَكَّلَ تَرْبِيَتَهُمْ وَتَعْلِيمَهُمْ وَتَهْدِيَتَهُمْ وَالْإِشْرَافُ عَلَيْهِمْ إِلَّا لِمَنْ عُرِفَ بِصِحَّةِ الْعَقِيدَةِ وَسَلَامَةِ الْمَبْدَأِ وَنَزَاهَةِ الْعَرُضِ وَالْمُحَافَظَةِ عَلَى شَعَائِرِ الدِّينِ وَأَرْكَانِهِ فَمَا أَنْتُمْ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بِنَشْتِكُمْ وَمَا النَّشْتُ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بِاللَّذِينَ وَالْأَخْلَاقِ .  
وَإِنَّمَا الْأُمَّةُ الْأَخْلَاقُ مَا بَقِيَتْ فَإِنْ هُمْ ذَهَبَتْ أَخْلَاقُهُمْ ذَهَبُوا

آخر: إِذَا اسْتَحَالَتْ سَجَايَا الْقَوْمِ فَاسِدَةً فَلَيْسَ يَنْفَعُهُمْ عِلْمٌ وَلَا عَمَلٌ وَيُقُولُ الْآخِرُ :

صَلَاحُ أَمْرِكَ لِلْأَخْلَاقِ مَرْجِعُهُ فَقَوِّمِ النَّفْسَ بِالْأَخْلَاقِ تَسْتَقِمَ

وَمَا الْأَخْلَاقُ إِلَّا بِالتَّرْبِيَةِ الْإِسْلَامِيَةِ الصَّحِيحَةِ فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ فِي ثَمَرَاتِ قُلُوبِكُمْ وَفَلذَاتِ أَكْبَادِكُمْ لَا تُهْمَلُوا تَرْبِيَتَهُمُ التَّرْبِيَةُ الْإِسْلَامِيَةُ ، وَلَا تَتَسَاهَلُوا بِهَا فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ فَقَدْ أُلْقِيَتْ إِلَيْكُمْ مَقَالِيدُهُمْ ، وَأَصْبَحْتُمْ رِعَاةَ أُمُورِهِمْ ، وَلَا تَكَلُّوا إِلَى حَاضِنَةٍ وَلَا مُرْتَبِيَةٍ وَلَا إِلَى مُعَلِّمٍ لَمْ تَتَأَكَّدُوا صِحَّةَ إِسْلَامِهِ .

فَإِنَّهُمْ وُلِدُوا أَصْفِيَاءَ النَّفُوسِ قَابِلِينَ لِكُلِّ مَا أُلْقِيَ عَلَيْهِمْ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ ، فَإِنْ وُفِّقَ أَحَدُهُمْ فِيمَنْ يُحْسِنُ تَرْبِيَتَهُ وَتَعْلِيمَهُ وَيَعِذُّهُ بِلِبَانِ الدِّينِ ، وَيُحِبُّهُ لِسِيرَةِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ، شَبَّ حَسَنَ الْأَخْلَاقِ طَيِّبِ النَّفْسِ ، مُتَمَسِّكًا بِدِينِهِ ، مُبْتَعِدًا عَنِ الرَّذَائِلِ ، وَمُتَحَلِّيًا بِالْفَضَائِلِ ، نَافِعًا لِلْأُمَّةِ .

وَإِلَّا فَسَيَشِبُّ نَحِيثَ النَّفْسِ فَاسِدَ الْإِعْتِقَادِ سَيِّءَ الْأَخْلَاقِ خَالٍ مِنَ الرُّوحِ الْإِسْلَامِيَةِ وَالتَّعَالِيمِ النَّبَوِيَّةِ كَلًّا عَلَى نَفْسِهِ وَعَشِيرَتِهِ وَشَقَاءً وَشَرًّا عَلَى جُمُوعِهِ ، وَبِلَاءً .

فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ فِي أَوْلَادِكُمْ بَاعِدُوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ قُرْنَاءِ الشُّوْءِ وَفَاسِدِي الْأَخْلَاقِ وَفَاقِدِي الْمُرُوءَةِ وَالشَّرَفِ ، وَمُرُوهُمْ بِمَا أُمِرْتُمْ بِهِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَأُمِرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ وَأَخْبَرَ عَنْ إِسْمَاعِيلَ فَقَالَ : ﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ ﴾ الْآيَةَ وَقَالَ حِكَايَةً عَنْ لُقْمَانَ وَهُوَ يُوصِي ابْنَهُ : ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ .

وَأَنَّهُمْ عَمَّا يَضُرُّهُمْ كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْ لُقْمَانَ بَعْدَ مَا أَمَرَ ابْنَهُ بِأَشْيَاءَ نَهَاهُ

عَنْ أَشْيَاءَ فَقَالَ : ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ \* وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ .

وَدَكَرَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ آدَابًا نَحْوَ الصَّبِيِّ إِذَا بَلَغَ سِنَّ التَّمْيِيزِ فَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ : وَمَهْمَا بَدَتْ مِنَ الصَّبِيِّ مَخَائِلَ التَّمْيِيزِ فَيَنْبَغِي أَنْ يُحَسِّنَ مُرَاقِبَتَهُ وَمَطَالَعَةَ أَحْوَالِهِ فَإِذَا ظَهَرَتْ فِي وَجْهِهِ أَنْوَارُ الْحَيَاءِ وَكَانَ يَحْتَشِمُ وَيَسْتَحْيِي مِنْ بَعْضِ الْأَفْعَالِ حَتَّى يَرَاهَا قَبِيحَةً .

فَهَذِهِ هِدَايَةٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى إِلَيْهِ وَبِشَارَةٌ تَدُلُّ عَلَى اعْتِدَالِ الْأَخْلَاقِ وَصِفَاءِ الْقَلْبِ .

وَمِنْ هَذِهِ حَالُهُ فَهُوَ مُبَشِّرٌ بِكَمَالِ الْعَقْلِ عِنْدَ الْبُلُوغِ .

فَيَنْبَغِي أَنْ لَا يُهْمَلَ عَنْ رِعَايَةِ الْإِعْتِنَاءِ فِي حَقِّهِ بِحُسْنِ الْأَدَبِ .

وَجُمْلُهُ مَا نُشِيرُ إِلَيْهِ مِمَّا يُعَامَلُ بِهِ مِنَ الْأَدَابِ وَاحِدٌ وَثَلَاثُونَ أَدَبًا .

الْأَدَبُ الْأَوَّلُ : هُوَ أَنَّ الْغَالِبَ عَلَى الْأَطْفَالِ الشَّرُّ فِي الطَّعَامِ فَيَنْبَغِي أَنْ يُؤَدَّبَ فِيهِ فَلَا يَأْكُلُ الطَّعَامَ إِلَّا بِيَمِينِهِ .

وَيَقُولُ بِسْمِ اللَّهِ عِنْدَ أَكْلِهِ وَلِيَأْكُلَ مِمَّا يَلِيهِ .

وَلَا يُبَادِرُ إِلَى الطَّعَامِ قَبْلَ غَيْرِهِ .

قَالَ الشَّاعِرُ :

وَإِنْ مُدَّتِ الْأَيْدِي إِلَى الرَّادِ لَمْ أَكُنْ بِأَعْجَلِهِمْ إِذْ أَجْشَعُ الْقَوْمِ أَعْجَلُ

وَلَا يُحَدِّقُ إِلَى الطَّعَامِ وَإِلَى مَنْ يَأْكُلُهُ فَإِنَّ هَذِهِ دَلِيلٌ عَلَى الْبُخْلِ .

الْأَدَبُ الثَّانِي : يُؤَمَّرُ أَنْ لَا يُسْرَعَ فِي الْأَكْلِ ، وَيَمْتَضِعُ الطَّعَامَ مَضْغًا جَيِّدًا وَلَا يُوَالِي بَيْنَ

الْأَكْلَاتِ وَيُلَطِّفُ اللَّقْمَةَ وَلَا يُلَطِّحُ أَثْوَابَهُ .

الْأَدَبُ الثَّلَاثُ : يُعَوَّدُ أَكْلَ الْخُبْزِ مِنْ غَيْرِ الْإِدَامِ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ

حَتَّى يَصِيرَ بِحَيْثُ لَا يَرَى الْإِدَامَ حَتْمًا وَاجِبًا لِأَنَّهُ زُبْمًا فَقَدَهُ .  
وَيُقْبَحُ عِنْدَهُ كَثْرَةُ الْأَكْلِ بِأَنْ يُشَبَّهُ مَنْ يُكْتَبِرُ الْأَكْلَ بِالْبَهَائِمِ .  
وَيُذَمُّ الصَّيُّ الَّذِي يُكْتَبِرُ الْأَكْلَ عِنْدَهُ وَيُمْدَحُ الصَّيُّ الْقَلِيلُ الْأَكْلِ حَتَّى يَقْتَدِيَ بِذَلِكَ لِئَلَّا  
يَصِيرَ شَرًّا لَا يَهْمُهُ إِلَّا بَطْنُهُ .

الْأَدَبُ الرَّابِعُ : يُحِبُّ إِلَيْهِ الْإِيثَارُ بِالطَّعَامِ وَقَلَّةُ الْمُبَالَاةِ ، وَيُمْدَحُ عِنْدَهُ الطَّعَامُ الَّذِي فِيهِ  
خُشُونَةٌ أَيْ طَعَامٌ كَانَ بِحَيْثُ لَا يَكُونُ مُوَلَعًا بِالطَّعَامِ اللَّيِّنِ فَيَصْنَعُ عَلَيْهِ مُفَارَقَتَهُ .

الْأَدَبُ الْخَامِسُ : يُسْتَحَبُّ أَنْ يَكُونَ لِيَاسُهُ مِنَ الثِّيَابِ الْبَيْضِ دُونَ الثِّيَابِ الْمُلَوَّنَةِ  
بِالصَّبَاغَاتِ الْمُرْعَفَةِ وَالْمَعْصِفَةِ وَأَنْوَاعِ الدِّيَبَاغِ وَالْأَبْرِيسِمِ .  
وَيُقَرَّرُ عِنْدَهُ أَنَّ ذَلِكَ إِتْمًا هُوَ مِنْ لِيَاسِ النَّسْوَانِ وَالرِّجَالِ الَّذِينَ لَا خَيْرَ فِيهِمْ وَلَا دِينَ لَهُمْ  
وَأَنَّ الرِّجَالَ يَسْتَكْفُونَ عَنْ ذَلِكَ .

الْأَدَبُ السَّادِسُ : أَنَّهُ مَهْمَا رَأَى عَلَى صَبِي تَوْبًا مِنْ دِيَبَاغٍ أَوْ حَرِيرٍ أَوْ أَبْرِيسِمٍ فَيَنْبَغِي أَنْ  
يُنْكَرَ عَلَيْهِ فَيَذَمَّ عَلَى لُبْسِهِ وَيُرَالُ عَنْهُ بِكُلِّ حَالٍ وَلَا يُعْتَفَرُ لَهُ ذَلِكَ وَيُذَمُّ عِنْدَهُ إِسْبَالُ الثِّيَابِ  
لِيَعْتَادَ عَدَمَ الْإِسْبَالِ .

الْأَدَبُ السَّابِعُ : يَنْبَغِي أَنْ يُحْفَظَ الصَّيُّ عَنِ الصَّبِيَانِ الَّذِينَ عَوَّدُوا التَّنَعَمَ وَالتَّرَفَّهَ وَلِبَسَ  
الثِّيَابِ الْفَاحِشَةِ وَعَنْ مُحَاظَةِ مَنْ يَزْعَبُ فِيهَا ذِكْرَانَهُ .

فَإِنَّ الصَّيَّ إِذَا أَهْمَلَ فِي أَوَّلِ النَّشْأَةِ خَرَجَ فِي الْأَغْلَبِ رَدِيَّ الْأَخْلَاقِ كَذَابًا حَسُودًا سَرُوقًا  
نَمَامًا جُوجًا دَا فُضُولًا وَجُحُونًا ، وَإِنَّمَا يُحْفَظُ عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ بِحُسْنِ الْأَدَبِ .

الْأَدَبُ الثَّامِنُ : ثُمَّ إِنَّهُ يُسْتَحَبُّ أَنْ يُشْعَلَ فِي الْمَكْتَبِ يَتَعَلَّمُ الْقُرْآنَ وَتَفْسِيرَهُ وَأَحَادِيثَ  
الرَّسُولِ ﷺ وَالْفِقْهَ وَيَجْرُسُ عَلَى حِفْظِ الْقُرْآنِ عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ وَكَذَلِكَ الْأَحَادِيثَ الصَّحِيحَةَ  
كَالْعَمْدَةِ وَكَذَلِكَ مَخْتَصِرَ الْمُقْنَعِ أَوْ دَلِيلَ الطَّالِبِ لِأَنَّ الْحِفْظَ هُوَ الْعِلْمُ فَمَنْ لَمْ يَحْفَظْ لَا يَقْدِرُ  
عَلَى اسْتِخْرَاجِ الْمَسَائِلِ غَالِبًا . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَيَعْتَمِدُ فِي حِفْظِ الْمَوَاعِظِ الْحَسَنَةِ وَأَخْبَارِ الْأَبْرَارِ وَحِكَايَةِ أَهْلِ الصَّلَاحِ فِي الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا وَحُسْنِ الرِّيَاضَةِ لِلنَّفْسِ فَيُنْعَرِسُ فِي قَلْبِهِ حُبُّ الصَّالِحِينَ وَالِاقْتِدَاءَ بِهِمْ . قُلْتُ : وَيَحْذَرُ عَنِ كُتُبِ الْأَشَاعِرَةِ وَالْمَعْتَزِلَةِ وَالرَّافِضَةِ وَجَمِيعِ أَهْلِ الْبِدْعِ .

الْأَدَبُ التَّاسِعُ : يَنْبَغِي أَنْ يُحْفَظَ عَنِ الْأَشْعَارِ الَّتِي فِيهَا ذَكَرَ الْمَهْجَاءَ وَالْعِشَاقَ وَيُحْفَظَ عَنِ مَخَالَطَةِ مَنْ هَذِهِ حَالُهُ فِي إِتِّبَاعِ الْهَوَى فَإِنَّ ذَلِكَ مَهْمَا انْعَرَسَ فِي قُلُوبِ الصَّبِيَّانِ فَإِنَّهُ يَبْذُرُ الْفَسَادَ فِي النَّفُوسِ .

الْأَدَبُ الْعَاشِرُ : أَنْ يُعَوَّدَ كِتَابَةَ الْخَطِّ وَحِفْظَ الْأَمْثَالِ الشَّعْرِيَّةِ وَالْأَشْعَارِ الزَّهْدِيَّةِ فَإِنَّ ذَلِكَ صِفَةٌ كَمَالٍ وَزِينَةٍ ، وَقَدْ قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : عَلَيْكُمْ بِحُسْنِ الْخَطِّ فَإِنَّهُ مِنْ مَفَاتِيحِ الرِّزْقِ .

الْأَدَبُ الْحَادِي عَشَرَ : إِذَا ظَهَرَ مِنْ جِهَةِ الصَّبِيِّ فِعْلٌ جَمِيلٌ وَخُلُقٌ حَسَنٌ فَيَنْبَغِي أَنْ يُكْرَمَ عَلَيْهِ وَيُجَازَى بِمَا يَفْرَحُ بِهِ وَيُمَدِّحُ بَيْنَ أَظْهَرِ النَّاسِ .

فَإِنْ خَالَفَ ذَلِكَ فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ مَرَّةً وَاحِدَةً فَيَنْبَغِي أَنْ يُتَعَافَلَ عَنْهُ وَلَا يُهْتَكُ سِتْرُهُ فِي مَلَأَ مِنَ الْخُلُقِ وَلَا يُكَاشَفُ فِي وَجْهِهِ وَيُظْهَرُ لَهُ أَنَّ مِثْلَ هَذَا لَا يَنْجَاسَرُ عَلَيْهِ أَحَدٌ لِاسِيْمًا إِذَا سَتَرَهُ الصَّبِيُّ وَأَخْفَاهُ .

الْأَدَبُ الثَّانِي عَشَرَ : أَنَّهُ إِنْ عَادَ إِلَى ذَلِكَ فَيَنْبَغِي أَنْ يُعَاتَبَ سِرًّا وَيُعْظَمَ عَلَيْهِ الْأَمْرُ وَيُقَالَ لَهُ إِيَّاكَ أَنْ يُطَّلَعَ عَلَيْكَ فِي مِثْلِ هَذَا فَتَنْتَضِحَ بَيْنَ النَّاسِ .

وَلَا يُكْتَسَرُ عَلَيْهِ الْعِتَابُ فِي كُلِّ حِينٍ فَإِنَّ ذَلِكَ يَهْوُنُ سَمَاعَ الْمَلَامَةِ فِي حَقِّهِ وَيَسْقُطُ وَقَعُ الْكَلَامِ فِي قَلْبِهِ .

الْأَدَبُ الثَّلَاثُ عَشَرَ : أَنْ يَكُونَ الْأَبُّ حَافِظًا لِهَيْبَةِ الْكَلَامِ مَعَهُ وَلَا يُوجِّهُهُ إِلَّا أَحْيَانًا ، وَالْأُمُّ تُخَوِّفُهُ بِالْأَبِّ وَتَرْجُرُهُ عَنِ الْقَبَائِحِ وَتُظْهِرُ لَهُ الْوَعِيدَ بِشِدَّةِ الْأَبِّ وَخَوْفِهِ مِنْهُ .

الْأُمُّ مَدْرَسَةٌ إِذَا أَعَدَّدَتْهَا      أَعَدَّدَتْ شَعْبًا طَيِّبَ الْأَعْرَاقِ

الْأُمُّ رَوْضٌ إِنْ تَعَهَّدَهُ الْحَيَا      بِالْأَدِينِ أَوْرَقَ أَيَّمَا إِيْرَاقِ

الأدب الرابع عشر : يَنْبَغِي أَنْ يُمْنَعَ مِنَ النَّوْمِ نَهَارًا فَإِنَّ ذَلِكَ يُورِثُ الْكَسَلَ فِي حَقِّهِ وَلَا يُمْنَعُ مِنَ النَّوْمِ لَيْلًا لِأَنَّ مَنَعَهُ مِنَ النَّوْمِ فِي اللَّيْلِ يُورِثُ الْمَلَالََةَ وَالتَّسَخُنَ وَيُضْعِفُ عَنِ مُكَابَدَةِ النَّوْمِ وَشِدَّةِ التُّعَاسِ .

الأدب الخامس عشر : يَنْبَغِي أَنْ يُمْنَعَ مِنْ اسْتِعْمَالِ الْفُرْشِ الْوَطِيئَةِ حَتَّى تَتَصَلَّبَ أَعْضَاؤُهُ وَيَسْتَحِفُّ بَدَنُهُ فَلَا يَصْبِرُ عَنِ التَّنَعُّمِ .

بَلْ يُعَوِّدُ الْحُشُونَةَ فِي الْمَلْبَسِ وَالْمَفْرَشِ وَالْمَطْعَمِ وَالْمَشْرَبِ . فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (( إِيَّاكُمْ وَفُضُولَ الْمَطْعَمِ فَإِنَّهُ يَسِمُ الْقَلْبَ بِالْقَسْوَةِ )) .

الأدب السادس عشر : يَنْبَغِي أَنْ يُمْنَعَ مِنْ كُلِّ مَا يَفْعَلُهُ فِي خُفْيَةٍ فَإِنَّهُ لَا يُخْفِيهِ إِلَّا وَهُوَ يَعْتَقِدُ أَنَّ قَبِيحٌ فَيَدْعُو ذَلِكَ إِلَى أَنَّهُ يَتَعَوَّدُ فِعْلَ كُلِّ قَبِيحٍ .

الأدب السابع عشر : يَنْبَغِي أَنْ يُعَوِّدَ فِي بَعْضِ النَّهَارِ الْمَشْيَ فِي الْحَرَكَةِ وَالرِّيَاضَةِ حَتَّى لَا يَغْلِبَ عَلَيْهِ الْكَسَلُ وَيَتَعَوَّدَ الْمِيلَ إِلَيْهِ .

وَإِنْ كَانَ يَمُنُّ يَعْتَادُ الرَّمْيَ وَيُحِبُّهُ فَلَا بَأْسَ بِشُغْلِهِ ، وَهَكَذَا الْحَالُ فِي رُكُوبِ الْخَيْلِ فَقَدْ قَالَ ﷺ : (( ثَلَاثَةٌ لَا تُعَدُّ مِنَ اللَّهِ ، هُوَ الْإِنْسَانُ بِفَرَسِهِ وَهُوَ بِفُوسِهِ وَهُوَ بِأَهْلِهِ )) .

الأدب الثامن عشر : يَنْبَغِي أَنْ يُعَوِّدَ أَنْ لَا يَكْشِفَ أَطْرَافَهُ وَلَا يُسْرِعَ فِي الْمَشْيِ وَلَا يُرْزِحِي يَدَيْهِ يُحْرِكُهُمَا وَرَاءَهُ فِعْلَ الْمُتَبَخَّرِ .

فَقَدْ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ هَذِهِ الْمَشْيَةِ ، وَهَكَذَا حَالُ التَّمَطُّطِ عِنْدَ الْمَشْيِ مَكْرُوهٌ أَيْضًا وَقَدْ نَهَى عَنْهُ .

الأدب التاسع عشر : يَنْبَغِي أَنْ يُمْنَعَ مِنَ الْإِفْتِخَارِ عَلَى أَقْرَانِهِ وَأَمْثَالِهِ بِشَيْءٍ مِمَّا يَمْلِكُهُ أَبَوَاهُ أَوْ بِشَيْءٍ مِنْ مَطَاعِمِهِ وَمَلَابِسِهِ وَنَحْوِ ذَلِكَ وَيُعَوِّدُ التَّوَاضُعَ وَالْإِكْرَامَ لِكُلِّ مَنْ عَاشَرَهُ مِنَ الصَّبِيَّانِ وَيُلَطِّفَ فِي الْكَلَامِ مَعَهُمْ .

الأدب العُشْرُونَ : يُمنَعُ أَنْ يَأْخُذَ عَلَى الصَّبِيَّانِ مِنْ أَمْثَالِهِ شَيْئًا إِذَا كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّرْفِ  
وَالرِّيَّاسَةِ وَيُقَرَّرُ فِي نَفْسِهِ أَنَّ الْأَخْذَ لَوْمْ وَخِسَّةٌ وَتُرْوَلُ قَدْرٌ وَأَنَّ الْإِعْطَاءَ كَرَمٌ وَشَرَفٌ .  
وَإِنْ كَانَ مِنْ أَوْلَادِ الْفُقَرَاءِ فَيُقَرَّرُ فِي نَفْسِهِ أَنَّ الْأَخْذَ طَمَعٌ وَفِي الطَّمَعِ مَهَانَةٌ وَمَذَلَّةٌ وَأَنَّ  
ذَلِكَ مِنْ ذَابِ الْكَلَامِ فَإِنَّهُ يَتَذَلَّلُ فِي انْتِظَارِ لُقْمَةٍ .

الأدب الحَادِي وَالْعُشْرُونَ : يَنْبَغِي أَنْ يُبْحَثَ إِلَى الْأَوْلَادِ حُبَّ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالطَّمَعِ فِيهِمَا  
وَيُحَذَّرُ مِنْهُمَا أَكْثَرَ مِمَّا يُحَذَّرُ مِنَ الْحَيَاتِ وَالْعَقَارِبِ وَالسُّمُومِ .  
فَإِنَّ آفَةَ حُبِّ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالطَّمَعِ فِيهِمَا أَكْثَرُ مِنْ آفَةِ السُّمُومِ عَلَى الصَّبِيَّانِ بَلْ عَلَى  
الْأَكْبَارِ مِنَ الْعُقَلَاءِ ، فَإِنَّ ضَرَرَ السُّمِّ يَنْقَطِعُ بِالْمَوْتِ وَضَرَرُ حُبِّهِمَا يَتَجَدَّدُ بَعْدَ الْمَوْتِ .

الأدب الثَّانِي وَالْعُشْرُونَ : يَنْبَغِي أَنْ يُعَوَّدَ أَنْ لَا يَبْصُقَ فِي الْمَجْلِسِ وَلَا يَتَمَحَّطَ بِحَضْرَةِ غَيْرِهِ  
وَلَا يَسْتَنْدِرَ غَيْرَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَلَا يُكْثِرَ التَّنَاوُبَ .

الأدب الثَّلَاثُ وَالْعُشْرُونَ : يَنْبَغِي أَنْ يُعَلَّمَ كَيْفِيَةَ الْجُلُوسِ عَلَى رُكْبَتَيْهِ عَلَى الْأَرْضِ أَوْ نَاصِبًا  
قَدَمَهُ الْيَمِينَ وَاضِعَ الْأُخْرَى عَلَى الْأَرْضِ أَوْ يَقْعُدُ مُحْتَبِيًا بِيَدَيْهِ ، هَكَذَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَفْعَلُ  
فِي أَكْثَرِ أَحْوَالِهِ .

الأدب الرَّابِعُ وَالْعُشْرُونَ : يَنْبَغِي أَنْ يُمنَعَ مِنْ كَثْرَةِ الْكَلَامِ إِلَّا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَتَبْيِينِ لَهُ أَنَّ ذَلِكَ  
مِنْ أَمَارَةِ الْوَقَاحَةِ وَأَنَّهُ عَادَةٌ أَبْنَاءِ اللَّغَامِ وَأَوْلَادِ السَّفَلَةِ مِنَ النَّاسِ لَيُنزَجِرَ عَنْ ذَلِكَ وَيَمْتَنِعَ مِنْهُ .  
وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

الأدب الْخَامِسَ وَالْعُشْرُونَ : يَنْبَغِي أَنْ يُمنَعَ عَنِ الْإِيمَانِ صِدْقًا كَانَتْ أَوْ كَذِبًا حَتَّى لَا يَتَعَوَّدَ  
ذَلِكَ فِي حَالِ الصَّعْرِ .

الأدب السَّادِسَ وَالْعُشْرُونَ : يُمنَعُ مِنَ لَعْنِ الْكَلَامِ وَفُحْشِهِ وَمِنِ اللَّعْنِ وَالسَّبِّ ، وَمِنْ مُحَاَلَطَةِ  
مَنْ يَجْرِي عَلَى لِسَانِهِ مِثْلُ ذَلِكَ ، فَإِنَّ ذَلِكَ



يَسْرِي لَا مَحَالَةَ مِنْ قُرْنَاءِ السُّوءِ ، وَأَصْلُ تَأْدِيبِ الصَّبِيَّانِ الْحِفْظُ مِنْ قُرْنَاءِ السُّوءِ . قُلْتُ :  
ويحذر من التلفاز والفيديو والمذياع والمجلات الهدامة للأخلاق .

الْأَدَبُ السَّابِعُ وَالْعُشْرُونَ : يَنْبَغِي أَنْ يُتَعَلَّمَ شَجَاعَةَ الْقَلْبِ وَالصَّبْرَ عَلَى الشَّدَائِدِ وَتَمَدِّحَ  
هَذِهِ الْأَوْصَافِ بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِسَمَاعِهِ لَهَا يَنْعَرِسُ فِي قَلْبِهِ حُسْنُهَا وَيَتَعَوَّدُهَا .

الْأَدَبُ الثَّامِنُ وَالْعُشْرُونَ : يَنْبَغِي أَنْ يُعَلَّمَ طَاعَةَ وَالِدَيْهِ وَمُعَلِّمِهِ وَمُؤَدِّبِهِ وَكُلِّ مَنْ هُوَ أَكْبَرَ  
مِنَهُ سَنًا مِنْ قَرِيبٍ أَوْ بَعِيدٍ أَوْ أَجْنَبِيٍّ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَنْ يَكُونَ نَازِرًا إِلَيْهِمْ بَعِينَ الْجَلَالَةِ وَالتَّعْظِيمِ  
، وَأَنْ يَتْرِكَ اللَّعِبَ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ فَهَذِهِ الْآدَابُ كُلُّهَا مُتَعَلِّقَةٌ بِسُنِّ التَّمْيِيزِ فِي حَالَةِ الصَّغَرِ قَبْلَ  
الْبُلُوغِ . انْتَهَى بِاخْتِصَارٍ .

والله أعلم وصلي الله علي محمد وآله وصحبه وسلم .

### فصل في كلامٍ نافعٍ في بيان فوائد الجوع وآفات الشبع

فَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ

الْفَائِدَةُ الْأُولَى : صَفَاءُ الْقَلْبِ وَاتِّقَادُ الْقَرِيحَةِ وَنَقَادُ الْبَصِيرَةِ ، فَإِنَّ الشَّبْعَ يُورِثُ الْبِلَادَةَ  
وَيُعِمِّي الْقَلْبَ وَيُكْثِرُ الْبُخَارَ فِي الدِّمَاعِ يَشْبَهُ السُّكَّرَ حَتَّى يَسْتَوِي عَلَى مَعَادِنِ الْفِكْرَةِ فَيَقْتُلُ  
الْقَلْبَ بِسَبَبِ ذَلِكَ الْجِرْيَانِ فِي الْأَفْكَارِ .

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ : رِقَّةُ الْقَلْبِ الَّتِي يَتَهَيَّبُ بِهَا لِإِدْرَاكِ حَلَاوَةِ الْمُنَاجَاةِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَكَمْ مِنْ  
ذِكْرٍ يَجْرِي عَلَى اللِّسَانِ مَعَ حُضُورِ الْقَلْبِ .

ولكن القلب لا يلتذ به ولا يتأثر عنه حتى كأن بينه وبينه حجاباً من قساوة القلب .  
وقد يرق في بعض الأحوال فيعظم تأثره بالذكر وتلذذه بالمناجاة ، وخلق المعدة هو السبب  
الأظهر في ذلك .

الفائدة الثالثة : الانكسار والذل وزوال البطر والفرح والأشر الذي هو مبدأ الطغيان والغفلة عن الله تعالى .

ولا تنكسر النفس ولا تدل كما تدل بالجوع ، فعنده يستكين العبد لربه ويخشع له ويقف على عجزه ودلّه .

والبطر والفرح بابان من أبواب النار وأصلهما الشبع ، والذل والانكسار بابان من أبواب الجنة ، وأصلهما الجوع .

ومن أعلق باباً من أبواب النار فقد فتح باباً من أبواب الجنة بالضرورة لأنهما متقابلان كالمغرب والمشرق ، فالبعد من أحدهما قرب من الآخر .

الفائدة الرابعة ، لا ينسى بلاء الله وعذابه ولا ينسى أهل البلاء ، فإن الشبان ينسى الجائعين وينسى الجوع ، والمؤمن الفطن لا يشاهد بلاء إلا ويدكره بلاء الآخرة ، ويتذكر من عطشه الخلائق في عرصات القيامة ، ومن جوعه جوع أهل النار حين يجوعون فيطعمون من الرقوم ، والضرب ويسقون العساق والمهل .

الفائدة الخامسة : كسر شهوات المعاصي كلها والاستيلاء على النفس الأمارة بالسوء ، فإن منشأ المعاصي كلها الشهوات .

وتبطل الشهوات مادة القوى ، ومادة الشهوات والقوى لا محالة الأعمى ، فبطلت تضعف كل شهوة وقوة .

والسعادة كلها أن يملك الإنسان نفسه ، والشقاوة في أن تملك الإنسان نفسه وتكون هي المستولية عليه .

الفائدة السادسة : رفع النوم ودوام السهر ، فإن كل من شبع شرب كثيراً ، ومن كثر شربه كثر نومه .

وفي كثرة النوم ضياع العمر وفوت التهجد وبلادة الطبع وقساوة القلب ، والعمر أنفس الجواهر وهو مال الإنسان الذي به يتجر .

الفائدة السابعة : تيسير المواظبة على العبادة فإن كثرة الأكل تمنع من كثرة العبادة .  
لأن الأكل يحتاج إلى زمان يشتغل فيه بالأكل ، وربما احتاج إلى زمان في شراء الطعام  
وطبخه ثم يحتاج إلى غسل اليد والخلال ثم يكثر تردده للخروج إلى بيت الماء .  
وهذه أوقات يمكن صرفها إلى العبادة عوضاً عن الأكل المباح وليس لها سبب إلا كثرة  
الأكل والتوسع في الشبع .

الفائدة الثامنة : صحة البدن ودفع الأمراض فإن سببها كثرة الأكل وحصول فضلات  
الأحلاط في المعدة والعروق .

ثم إن المرض يمنع من العبادات ويشوش القلوب ويمنع من الذكر والفكر ويغص ويحوج إلى  
الفصد والحجامة والدواء والطبيب ، وكل ذلك يحتاج إلى أمور كثيرة وتبعات وفي الجوع ما يمنع  
من ذلك كله .

الفائدة التاسعة : حفة المؤمنة فإن كل من تعود قلة الأكل كفاه من المال قدر يسير .  
والذي تعود الشبع صار بطنه غريماً ملازماً يأخذ بمخنقه كل يوم فيقول ماذا تأكل اليوم .  
فيحتاج إلى أن يدخل في المداخل الحبيثة من الحرام فيعصي أو من الحلال فيذل ويتعب .  
وربما يحتاج إلى أن يمد عينيه إلى الخلق بالطمع فيما في أيديهم وهو غاية الذل والمؤمن  
خفيف المؤمنة .

الفائدة العاشرة : التمكّن من الإيثار والتصدق بما فضل من الأطعمة على اليتامى  
والمساكين ، ويكون يوم القيامة في ظل صدقته كما ورد في الخبر .

فَمَا يَأْكُلُهُ فَخِرَانَتُهُ الْكَئِيفَ وَمَا يَتَصَدَّقُ بِهِ فَخِرَانَتُهُ فَضَّلَ اللَّهُ وَرَحِمْتُهُ .  
فهذه جُمْلَةٌ ما نريد ذِكْرَهُ مِنْ فَوَائِدِ الْجُوعِ ، وأما آفات الشَّبَعِ فهو نقائض هذه الخصال التي  
أوردناها فلا حاجة لنا إلى تكريرها انتهى .

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .  
وقال الشَّيْخُ عَلِيُّ بْنُ حُسَيْنِ بْنِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ حِينَ جَلَوْا مِنْ  
الدَّرْعِيَّةِ بَعْدَ اسْتِيلاءِ الْأَعْدَاءِ عَلَيْهَا سَفْنَاهَا لَعَلَّ الْمُسْلِمِينَ يَسْتَيْقِظُوا مِنْ رَقَدَتِهِمْ وَيَرْجِعُوا إِلَى  
اللَّهِ وَيَأْمُرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ قَوْلًا وَفِعْلًا وَيَخْشَوُا الْعُقُوبَةَ الَّتِي جَاءَتْ لَا تَخْصُ  
الظَّالِمِينَ .

اللهم توفنا مسلمين ، وألحقنا بعبادك الصالحين ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين  
الأحياء منهم والميتين بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ  
أَجْمَعِينَ .

شِعْرًا: خَلِيلِي عُوْجًا عَنِ طَرِيقِ الْعَوَازِلِ

بِمَهْجُورٍ لَيْلَى فَابْكِىَا فِي الْمَنَازِلِ

لَعَلَّ انْحِدَارَ الدَّمْعِ يُعْقِبُ رَاحَةً

مِنَ الْوُجْدِ أَوْ يَشْفِي غَلِيْلَ الْبَلَابِلِ

أَرَى عَبْرَةً غَبْرَاءَ تَتْبَعُ أُخْتَهَا

عَلَى إِثْرِ أُخْرَى تَسْتَهْلُ بِوَابِلِ

تُهَيِّجُ ذِكْرًا لِلْأُمُورِ الَّتِي جَرَتْ

تُشَيِّبُ النَّوَاصِي وَاللِّحَا لِلْأَمَائِلِ

وَتُسْقِطُ مِنْ بَطْنِ الْحَوَامِلِ حَمَلَهَا

وَتُذْهِلُ أَخْيَارَ النَّسَاءِ الْمَطَافِلِ

فَبَيْنَا نَسُودُ النَّاسَ وَالْأَمْرُ أَمْرُنَا  
وَتَنْفُذُ أَحْكَامُ لَنَا فِي الْقَبَائِلِ  
وَتَخْفِقُ رَايَاتُ الْجِهَادِ شَهِيرَةً  
بِشَرْقٍ وَغَرْبٍ يَمَنَةً وَشَمَائِلِ  
تَبَدَّلَتِ النِّعْمَاءُ بُؤْسًا وَأَصْبَحَتْ  
طُغْيَاءً عُنَاءً مَلْجَأً لِلْأَرَاذِلِ  
وَبَثَّ عُنَاتُ الدِّينِ فِي الْأَرْضِ بَغْيَهُمْ  
وَرِيَعَتْ قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ الْغَوَافِلِ  
وَأَقْبَلَ قَادَاتِ الضَّلَالَةِ وَالرَّدَى  
وَسَادَاتُهَا فِي عَسْكَرٍ وَجَحَافِلِ  
وَشَتَّتْ شَمْلُ الدِّينِ وَأَنْبَتَ أَصْلُهُ  
فَأَضْحَى مُضَاعًا كَالْبُدُورِ الْأَوَافِلِ  
وَفَرَّعِنِ الْأَوْطَانَ مَنْ كَانَ قَاطِنًا  
تَرَاهُمْ فُرَادَى نَحْوِ قِطْرِ وَسَاحِلِ  
وَفُرَّقَ شَمْلٌ كَانَ لِلْخَيْرِ شَامِلًا  
وَرَأَلَتْ وُلَاةُ الْمُسْلِمِينَ الْأَعَادِلِ  
وَسَادَ شِرَارُ الْخَلْقِ فِي الْأَرْضِ بَعْدَهُمْ  
وَدَارَتْ رَحَى لِلْأَرْدَلِيِّينَ الْأَسَافِلِ  
فَأَصْبَحَتْ الْأَمْوَالُ فِيهِمْ نَهَائِبًا  
وَأَصْبَحَتْ بِهَا الْأَيْتَامُ حُمْصَ الْحَوَاصِلِ

فَكَمْ دَمَرُوا مِنْ مَسْكِنٍ كَانَ آنَسًا  
 وَكَمْ خَرَبُوا مِنْ مَرْبَعٍ وَمَعَاقِلِ  
 وَكَمْ خَرَبُوا مِنْ مَسْجِدٍ وَمَدَارِسِ  
 يُقَامُ بِهَا ذِكْرُ الصُّحَى وَالْأَصَائِلِ  
 وَكَمْ قَطَعُوا مِنْ بَاسِقَاتٍ نَوَاعِمِ  
 وَكَمْ أَغْلَقُوا مِنْ مَعْقَلٍ وَمَنَازِلِ  
 وَكَمْ أَهْلَكُوا حَرْثًا وَنَسْلًا بِيَغْيِهِمْ  
 وَكَمْ أَيَّتَمُّوا طِفْلًا بِغَدْرِ وَبَاطِلِ  
 وَكَمْ هَتَكُوا سِتْرًا حَيًّا مُمَنَعًا  
 وَكَمْ كَشَفُوا حُجْبَ الْعَدَارِي الْعَقَائِلِ  
 وَكَمْ حَرَقُوا مِنْ كُتُبٍ عِلْمٍ وَحِكْمَةٍ  
 وَفَقَّهِهِ وَتَوْحِيدٍ وَشَرَحَ مَسَائِلِ  
 وَكَمْ هَدَمُوا سُورًا وَقَصْرًا مُشِيدًا  
 وَحِصْنًا حَصِينًا أَوْهَنُوا بِالْمَعَاوِلِ  
 وَكَمْ أَسَرُّوا مِنْ حَاكِمٍ بَعْدَ عَالِمِ  
 وَكَمْ زَلُّوا مِنْ مُخَصَّنَاتٍ غَوَافِلِ  
 وَكَمْ قَتَلُوا مِنْ عُصْبَةِ الْحَقِّ فَنِيَّةً  
 تُقَادَةُ هُدَاةً فِي الدُّجَى كَالْمَشَاعِلِ  
 يَذُودُونَ عَنْ وَرْدِ الدَّنَايَا نُفُوسَهُمْ  
 وَسَعَّوْنَ جُهْدًا لِاقْتِيَاءِ الْفَضَائِلِ  
 فَمَا بَعْدَهُمْ وَاللَّهِ فِي الْعَيْشِ رَغْبَةٌ

( لَدَى مُخْلِصٍ حُرِّكَرِيمِ الشَّمَائِلِ )  
مَضَوْا وَانْقَضَتْ أَيَّامُهُمْ حِينَ أَوْرُتُوا  
ثَنَاءً وَمَجْدًا كَالْهُدَاةِ الْأَوَائِلِ  
فَوَا أَسْفًا مِنْ فُقْدِهِمْ وَفُرَاقِهِمْ  
وَوَاسِوَةً مِنْ بَعْدِ أَهْلِ الْفَضَائِلِ  
فَجَارَاهُمْ الرَّبُّ الْكَرِيمُ بِرَحْمَةٍ  
تَعْمُ عِظَامًا أَوْدَعَتْ فِي الْجَنَادِلِ  
وَأَبْقَى لَهُمْ نَصْرًا وَأَهْلًا مُؤْتَلًّا  
يُعِزُّ هُدَاةَ الْبَدِينِ بَيْنَ الْجَحَائِلِ  
لَقَدْ بَخَلَتْ عَيْنٌ تَظُنُّ بِمَائِهَا  
عَلَى فُقْدِهِمْ أَوْ دَمْعٌ عَيْنٍ تُهَامِلِ  
فَقَدْ كَسِفَتْ شَمْسُ الْمَعَارِفِ بَعْدَهُمْ  
وَسَالَتْ جُفُونٌ بِالْأَدْمُوعِ الْهَوَاطِلِ  
فَكَمْ عَاتِقٍ غَرَاءَ تَبْكِي بِشَجْوِهَا  
وَأَرْمَلَةٍ تَكْلَى وَحُبْلَى وَحَائِلِ  
يَنْحُنُّ بِأَكْبَادِ حِرَارٍ وَعَبْرَةٍ  
وَيُكْطَمُنَ غَيْظًا فِي الْجَوَانِبِ دَاخِلِ  
يُرْجَعْنَ أَلْحَانَ التَّعْزِي بِحُرْقَةٍ  
وَيُظْهِرْنَ صَبْرًا عَنْ شُمَاةٍ وَعَاذِلِ  
فَلَوْ شَهِدَتْ عَيْنَاكَ يَوْمَ رَحِيلِهِمْ  
عَنْ الْمَسْكَنِ الْأَعْلَى الرَّفِيعِ الْمَنَازِلِ

وَفَرَّقْتَ الْأَحْبَابُ فِي كُلِّ قَرِيَّةٍ  
 وَسَارَ بِهِمْ حِزْبُ الْعَدُوِّ الْمَزَائِلِ  
 يَسُوقُونَهُمْ سَوْقًا عَنِيفًا بِشِدَّةٍ  
 وَيُزْجُونَ أَشْيَا بِتِلْكَ الْقَوَافِلِ  
 لَدَابَتِ جُفُونَ الْعَيْنِ وَاحْتَرَقَ الْحَشَا  
 وَسَالَتْ خُدُودٌ بِاللَّدْمُوعِ السَّوَائِلِ  
 فَقَدْ عَاثَتْ الْأَحْزَابُ فِي الْأَرْضِ بَعْدَهُمْ  
 بِكُلِّ مَكَانٍ نَاصِبِينَ الْحَبَائِلِ  
 فَكَمْ غَارَةٌ غَبْرَاءَ يُكْرَهُ وَرُدْهَا  
 عَلَى إِثْرِ أُخْرَى بِئِنَّ تِلْكَ الْقَبَائِلِ  
 وَكَمْ فِتْنَةٌ كُبْرَى تُتَابِعُ أُخْتَهَا  
 عَلَى إِثْرِ صُغْرَى مِنْ قَتِيلٍ وَقَاتِلِ  
 تَرَى حَيْلَهُمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ مُغْيِرَةً  
 عَلَى دَاخِلٍ أَوْ خَارِجٍ أَوْ مُسَابِلِ  
 عَسَى وَعَسَى أَنْ يَنْصُرَ اللَّهُ دِينَنَا  
 وَيَجْبُرَ كَسْرًا مُثْقَلًا بِالْحَبَائِلِ  
 وَيَعْمُرَ لِلسَّمْحَاءِ رُبُوعًا تَهْدَمَتْ  
 وَيُعْلِي مَنَارًا لِلْهُدَى غَيْرَ زَائِلِ  
 وَيَكْسِرَ أَعْلَامَ الضَّلَالَةِ إِنَّهُ  
 قَرِيبٌ مُجِيبٌ مُسْتَجِيبٌ لِسَائِلِ  
 وَيَطْمِسَ أَثَارَ الْفَسَادِ بِدِيمَةٍ



مِنَ النَّصْرِ هَتَّانِ الْجَوَانِبِ وَإِيلِ  
فَيَنْبُتُ زَرْعُ الْحَقِّ أَخْرَجَ شِطَاةَ  
مُسِيحًا بَخِيرٍ لِلثَّمَارِ الْحَوَاصِلِ  
إِلَهِي فَحَقِّقْ ذَا الرَّجَاءِ فَإِنَّا  
عِيْدُكَ تُبْنَا لَسْنَا عَنَّا بِعَافِلِ  
أَغْنِنَا أَغْنِنَا وَأَرْفَعِ الصُّرَّ وَالْبَلَا  
بِعَفْوِكَ عَنَّا يَا قَرِيبُ لِأَمَلِ  
فَإِن لَمْ تُغْنِنَا يَا قَرِيبُ فَمَنْ لَنَا  
لِنَقْضِ دَفْعِ الْأُمُورِ الثَّقَائِلِ  
إِلَيْكَ أَنْبِنَا فَاغْفِرِ الذَّنْبَ وَالْخَطَا  
إِلَيْكَ رَجَعْنَا فَارْجِعِ الْخَيْرَ كَامِلِ  
فَقَدْ سَامَنَا الْأَعْدَاءُ سَوْمًا مُبْرِحًا  
بِقَتْلِ وَأَسْرٍ مُوْتَقَّاتٍ بِالْحَبَائِلِ  
عَلَى غَيْرِ جُرْمٍ غَيْرِ تَوْحِيدِ رَبِّنَا  
وَهَدْمِ قِبَابِ الْمُشْرِكِينَ الْأَبَاطِلِ  
وَأَمْرِ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْكَارِ مُنْكَرٍ  
وَفِعْلِ صَلَاةٍ فِي الْجَمَاعَةِ خَافِلِ  
وَأَخْذِ زَكَاةِ الْمَالِ فَرَضًا مُوَكَّدًا  
يُرْدُ لِيذِي فَقْرٍ وَعُزْمٍ وَعَامِلِ  
وَحِجِّ وَتَقْوِيمِ الْجِهَادِ لِأَنَّهُ  
أَمَانٌ وَعِزٌّ عَنِ مَذَلَّةِ خَاذِلِ

إِذَا مَا مَلَكْنَا قَرِيَةً أَوْ قَبِيلَةً  
 أَقَمْنَا بِهَا شَرَعَ الْهُدَاةِ الْكَوَامِلِ  
 فَهَنَدِمُ أَوْثَانًا وَنَبِيَّ مَسَاجِدًا  
 وَنَكْسِرُ مِرْمَارًا وَطَبْلًا لِجَاهِلِ  
 وَنَقْطَعُ سُرَاقًا وَنَرْجُمُ مُحْصَنًا  
 وَنَجْلِدُ سَكْرَانًا بِنَصِّ الرَّسَائِلِ  
 نَكْفُ ظُلُومَ الْبَدْوِ وَالْحَضْرَ إِنْ غَدَا  
 يُعِيرُ عَلَيَّ حَقَّ الصَّعَافِ الْأَرَامِلِ  
 وَتَبَعُ أَثَارَ الرَّسُولِ وَصَحْبِهِ  
 مَعَ السَّلَفِ الْبِرِّ الثَّقَاةِ الْأَفَاضِلِ  
 كَأَحْمَدَ وَالتُّعْمَانَ قُلُوبًا وَمَالِكِ  
 كَذَا الشَّافِعِي رُكْنَ الْحَدِيثِ وَنَاقِلِ  
 فَمَاذَا عَلَيْنَا إِذْ سَلَكْنَا سَبِيلَهُمْ  
 بِقَوْلٍ وَفِعْلٍ مُسْنَعِدٍ فَنُؤَاوِدِ  
 أَلَا أَيُّهَا الْإِخْوَانُ صَبْرًا فَإِنِّي  
 أَرَى الصَّبْرَ لِلْمَقْدُورِ خَيْرَ الْوَسَائِلِ  
 وَلَا تَيَأَسُوا مِنْ كَشْفِ ذَا الْكَرْبِ وَالْبَلَا  
 فَادُّوا الْعَرْشَ فَارَاجُ الْأُمُورِ الْجَلَائِلِ  
 عُيُونُ الْقَضَا لَيْسَتْ نِيَامًا وَسَهْمُهُ  
 مُصِيبٌ فَمَا يُخْطِي عُيُونَ الْمُقَاتِلِ  
 فَطُوبَى لِعَبْدٍ قَامَ لِلَّهِ مُخْلِصًا

تَرَنَّمٌ فِي مِحْرَابِهِ مُتَمَائِلٍ  
يُمُدُّ يَدَيْهِ سَائِلًا مُتَضَرِّعًا  
لِرَبِّ قَرِيبٌ بِالْإِجَابَةِ كَافِلٍ  
فَجَاءَتْ سِهَامُ اللَّيْلِ تَهْوِي بِسُرْعَةٍ  
إِلَى ظَالِمٍ عَنِ ظُلْمِهِ مُتَعَاظِلٍ  
أَصَابَتْ نِيَاطَ الْقَلْبِ فِي وَسْطِ نَحْرِهِ  
فَأَبَّ بِخَسْرَانٍ وَحَرَّرَ بِلَابِلٍ  
فَقُمَ قَارِعًا لِلْبَابِ وَالنَّابِ نَادِمًا  
عَلَى مَا جَرَى وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ وَسَائِلِ  
وَأَمَّا بَنُو الدُّنْيَا فَلَا تَرْجُ نَفْعُهُمْ  
فَلَا مُرْتَقَى مِنْهُمْ يُرْجَى لِنَازِلِ  
فِيَّيْ تَتَبَعْتُ الْأَنَامَ فَلَمْ أَجِدْ  
سِوَى حَاسِدٍ أَوْ شَامِتٍ أَوْ مُعَاذِلِ  
فَلَمْ أَرَى أَنْكَى لِلْعَدُوِّ مِنَ الدُّعَا  
كَرَمِي بِنَبْلٍ أُوتِرَتْ بِالْمَنَاصِلِ  
فَلَا تَدْعُ غَيْرَ اللَّهِ فِي كُلِّ حَالَةٍ  
وَخَلَّ جَمِيعَ الْخَلْقِ طُرًّا وَعَازِلِ  
سَأَلْتُكَ يَا ذَا الْجُودِ وَالْمَنِّ وَالْعَطَا  
تَجُودُ وَتَغْفُو عَنْ عُبَيْدِكَ يَا وَلِي  
وَتُرْسِلُ طَاعُونًَا وَرِجْزًا وَنِقْمَةً  
وَتَطْعَنُ لَطْعَانٍ وَقَتْلًا لِقَاتِلِ

يَعْمُ لِأَحْزَابِ الضَّالِّالِ وَصَحْبِهِمْ  
 بِسَوْطِ عَذَابٍ عَاجِلٍ غَيْرِ آجِلٍ  
 فَإِنَّكَ قَهَّارٌ عَلَى كُلِّ قَاهِرٍ  
 وَأَمْرُكَ غَالِبٌ لِكُلِّ مُحَاوِلٍ  
 وَأَرْكَى صَلَاةً لَا تَنَاهَى عَلَى الَّذِي  
 لَهُ أَنْشَقُّ إِيوَانٍ لِكِسْرَى بَابِلٍ  
 مُحَمَّدٍ وَالْأَصْحَابِ مَا هَبَّتِ الصَّبَا  
 وَآلِ رَسُولِ اللَّهِ زِينِ الْمَحَافِلِ

اللَّهُمَّ أَنْبِرْ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ أَمْرَ رُشْدٍ يُعْزُ فِيهِ أَهْلَ طَاعَتِكَ وَيُذِلُّ فِيهِ أَهْلَ مَعْصِيَتِكَ وَيُؤَمِّرُ فِيهِ  
 بِالْمَعْرُوفِ وَيُنْهَى فِيهِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُرْأَلُ بِهِ مَا حَدَثَ مِنْ بَدْعٍ وَمُنْكَرَاتٍ وَمَعَاصِيٍّ وَيُخَيِّأُ بِهِ بَدَلَهَا  
 مَا أُمِيتَ مِنْ سُنَّةٍ وَغَيْرَةٍ وَشِيْمَةٍ كَرِيْمَةٍ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَبِالْإِجَابَةِ جَدِيرٌ .  
 اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ يَا بَدِيْعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ نَسْأَلُكَ أَنْ تُوقِّفَنَا لِمَا فِيهِ صَلَاحٌ دِينِنَا  
 وَدُنْيَانَا ، وَأَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا وَأَكْرِمْ مَثْوَانَا ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ الْمُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ  
 الرَّاحِمِيْنَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

### ( فَصْلٌ )

كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَوَاضِعًا كَانَ يَرْكَبُ الْحِمَارَ وَيُرْدِفُ خَلْفَهُ فَقَدْ أُرْدِفَ بَعْضَ  
 نِسَائِهِ وَأُرْدِفَ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ وَأُرْدِفَ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ ، وَقَدْ رُوِيَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَانَ فِي  
 سَفَرٍ وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ بِإِصْلَاحِ شَاةٍ فَقَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَيَّ ذُبْحُهَا . وَقَالَ آخَرُ : عَلَيَّ  
 سَلْحُهَا . وَقَالَ آخَرُ : عَلَيَّ طَبْحُهَا .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (( وَعَلَيَّ جَمْعُ الْحُطَبِ )) . فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ  
 نَكْفِيكَ الْعَمَلَ فَقَالَ : (( عَلِمْتُ أَنْكُمْ تُكْفُونِي وَلَكِنْ أَكْرَهُ أَنْ أَمَيِّرَ عَلَيْكُمْ ، وَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ  
 وَتَعَالَى يَكْرَهُ مِنْ عَبْدِهِ أَنْ يَرَاهُ مُتَمَيِّرًا بَيْنَ أَصْحَابِهِ )) . وَقَدْ جَاءَ وَقَدْ النَّجَاشِي فَقَامَ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْدُمُهُمْ فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ : نَكْفِيكَ ، قَالَ : (( إِنَّهُمْ كَانُوا لِأَصْحَابِنَا مُكْرِمِينَ ، وَأَنَا أَحَبُّ أَنْ أُكَافِئَهُمْ )) .

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ : أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَاحِبَ بَزٍ فَاشْتَرَى مِنْهُ قَمِيصًا بِأَرْبَعَةِ دَرَاهِمٍ فَخَرَجَ وَهُوَ عَلَيْهِ ، فَإِذَا رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ اكْسِنِي قَمِيصًا كَسَاكَ اللَّهُ مِنْ ثِيَابِ الْجَنَّةِ فَنَزَعَ الْقَمِيصَ فَكَسَاهُ إِيَّاهُ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى صَاحِبِ الْحَاثُوتِ فَاشْتَرَى مِنْهُ قَمِيصًا بِأَرْبَعَةِ دَرَاهِمٍ وَبَقِيَ مَعَهُ دَرَاهِمَانِ ، فَإِذَا هُوَ بِجَارِيَةٍ تَمْشِي فِي الطَّرِيقِ تَبْكِي فَقَالَ : (( مَا يُبْكِيكَ )) ؟ قَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ دَفَعَ إِلَيَّ أَهْلِي دَرَاهِمِينَ اشْتَرَى بِهِنَّ دَقِيقًا فَهَلَكَا فَدَفَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهَا الدَّرَاهِمِينَ الْبَاقِيَيْنِ .

ثُمَّ وَلَّتْ وَهِيَ تَبْكِي فَدَعَاَهَا فَقَالَ : (( مَا يُبْكِيكَ وَقَدْ أَخَذْتَ الدَّرَاهِمِينَ )) . فَقَالَتْ : أَخَافُ أَنْ يُضْرِبُونِي فَمَشَى مَعَهَا إِلَى أَهْلِهَا فَسَلَّمَ فَعَرَفُوا صَوْتَهُ ثُمَّ عَادَ فَسَلَّمَ ثُمَّ عَادَ فَتَلَّتْ فَرَدُّوا .

فَقَالَ : (( أَمَا سَمِعْتُمْ أَوَّلَ السَّلَامِ )) . فَقَالُوا : نَعَمْ وَلَكِنْ أَحْبَبْنَا أَنْ تَزِيدَنَا مِنَ السَّلَامِ فَمَا أَشْخَصَكَ بِأَيِّنَا وَأُمَّنَا قَالَ : (( أَشْفَقْتُ هَذِهِ الْجَارِيَةَ أَنْ تَضْرِبُوهَا )) .

قَالَ صَاحِبُهَا هِيَ حُرَّةٌ لِرُوحِ اللَّهِ لِمَمْشَاكَ مَعَهَا فَبَشَّرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْخَيْرِ وَالْجَنَّةِ .

وقال : (( لَقَدْ بَارَكَ اللَّهُ فِي الْعَشْرَةِ كَسَا اللَّهُ نَبِيَّهُ قَمِيصًا وَرَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ قَمِيصًا وَأَعْتَقَ مِنْهَا رَقَبَةً وَأَحْمَدُ اللَّهُ هُوَ الَّذِي رَزَقَنَا هَذَا بِقُدْرَتِهِ )) . أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ كَمَا فِي جَمْعِ الزَّوَائِدِ ( فِي ٩ ص ١٣ ) .

فَهَذَا الْحَدِيثُ يَشْهَدُ لِتَوَاضُعِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَمَاحَتِهِ وَرَحْمَتِهِ وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ إِنَّ كَانَتْ الْأُمَّةُ مِنْ إِمَاءِ الْمَدِينَةِ لَتَأْخُذُ بِيَدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَنْطَلِقُ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ .

وعن الأسود بن يزيد قال سألت عائشة رضي الله عنها ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يصنع في بيته قالت : كان يكون في مهنة أهله ، يعني خدمة أهله فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة . رواه البخاري .

ودخل الحسن والنبي صلى الله عليه وسلم يصلي فركب الحسن ظهره وهو ساجد فأبطأ صلى الله عليه وسلم في سجوده فلما فرغ قال له بعض أصحابه لقد أطلت سجودك قال : (( إن ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله )) .

وكان صلى الله عليه وسلم يباسط أصحابه وقالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله ﷺ إذا خلا في بيته ألين الناس بسامًا ضحًا .

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب ينقل التراب وقد وارى البياض بياض بطنه .

وعن أنس رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود المريض ويشهد الجنائز ويأتي دعوة المملوك ويركب الحمار ولقد رأيته يومًا على حمار خطامه ليف .

وعن أنس رضي الله عنه ما كان شخص أحب إليهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا إذا رأوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهيته لذلك .

وعن الحسن رضي الله عنه أنه ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : لا والله ما كان يعلق دونه الأبواب ولا يقوم دونه الحجاب ، ولا يعدى عليه بالجفان ولا يراح عليه بها ولكنه بارزًا من أراد أن

يُلْمَى نَبِيَّ اللَّهِ لَفِيهِ كَانَ يَجْلِسُ بِالْأَرْضِ وَيُوضَعُ طَعَامُهُ بِالْأَرْضِ وَيَلْبَسُ الْعَلِيظَ وَيَرْكَبُ الْحِمَارَ وَيُرْدِفُ بَعْدَهُ وَيَلْعَقُ وَاللَّهُ يَدُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَعَنْ قُبَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا قَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ اسْتَقْبَلْتُهُ رِعْدَةً فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (( هَوْنٌ عَلَيْكَ فَإِنِّي لَسْتُ مَلِكًا إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ كَانَتْ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ )) .

وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ حَسَمًا لِمَوَادِّ الْكِبَرِ وَقَطْعًا لِذَرَائِعِ الْإِعْجَابِ وَكَسْرًا لِأَشْرِ النَّفْسِ وَبَطْرِهَا وَتَذَلِيلًا لِسَطْوَةِ الْإِسْتِعْلَاءِ وَهَذَا أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ قَبْلَ أَنْ يَتَوَلَّى الْخِلَافَةَ يَجْلِبُ لِلضُّعْفَاءِ مِمَّنْ حَوْلَهُ أَعْنَامُهُمْ فَلَمَّا وُلِيَ الْخِلَافَةَ سَمِعَ جَارِيَةً تَقُولُ : الْيَوْمَ لَا تُحْلَبُ لَنَا مَنَائِحُ دَارِنَا فَسَمِعَهَا فَقَالَ : بَلَى لَعَمْرِي لِأَخْلُبْنَهَا لَكُمْ فَكَانَ يَحْلِبُهَا وَرُبَّمَا سَأَلَ صَاحِبَتِهَا يَا جَارِيَةُ أَتُحْبِبِينَ أَنْ أُرْغِي لَكَ أَمْ أَصْرِّحُ فَرُبَّمَا قَالَتْ أُرْغِ وَرُبَّمَا قَالَتْ صرِّحُ فَأَيُّ ذَلِكَ قَالَتْ فَعَلَن .

وَمِثْلُ ذَلِكَ مَا رُوِيَ عَنْ عَمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ نَادَى الصَّلَاةُ جَامِعَةً فَلَمَّا اجْتَمَعَ النَّاسُ صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ لَقَدْ رَأَيْتَنِي أُرْعَى عَلَى خَالَاتٍ لِي مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ فَيَقْبِضَنَ لِي الْقَبْضَةَ مِنَ التَّمْرِ وَالزَّبِيبِ فَأَظْلُ الْيَوْمَ وَأَيُّ يَوْمٍ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ : وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا زِدْتَ عَلَيَّ أَنْ قَصَّرْتَ بِنَفْسِكَ . فَقَالَ : وَيْحَكَ يَا ابْنَ عَوْفٍ إِنِّي حَلَوْتُ فِحَدَّثْتَنِي نَفْسِي فَقَالَتْ أَنْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَمَنْ أَفْضَلُ مِنْكَ فَأَرَدْتُ أَنْ أُعَرِّفَهَا نَفْسَهَا .

شِعْرًا: تَوَاضَعَ لِرَبِّ الْعَرْشِ عَلَّكَ تُرْفَعُ

فَمَا خَابَ عَبْدٌ لِلْمُهَيْمِنِ يَخْضَعُ

وَدَاوِ بِذِكْرِ اللَّهِ قَلْبَكَ إِنَّهُ

لَأَشْفَى دَوَاءَ لِلْقُلُوبِ وَأَنْفَعُ

آخِر: تَوَاضَعَ تَكُنْ كَالنَّجْمِ لَاحٍ لِنَاطِرٍ عَلَى صَفْحَاتِ الْمَاءِ وَهُوَ رَفِيعٌ

وَلَا تَكُ كَالدُّخَانِ يَرْفَعُ نَفْسَهُ إِلَى طَبَقَاتِ الْجَوِّ وَهُوَ وَضِيعٌ

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (( لَوْ دُعِيْتُ إِلَى كُرَاعٍ لَأَجَبْتُ وَلَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ ذِرَاعٌ لَقَبِلْتُ )) .

وَعَنْ بِنِ أَبِي أُوْفَى قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يَأْنَفُ وَلَا يَسْتَكْبِرُ أَنْ يَمْشِيَ مَعَ الْأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ فَيُقْضِي لَهُ حَاجَتَهُ وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ امْرَأَةً كَانَتْ فِي عَقْلِهَا شَيْءٌ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً قَالَ : (( يَا أُمَّ فُلَانٍ خُذِي فِي أَيِّ طَرِيقٍ شِئْتِ فُؤْمِي حَتَّى أَفُؤِمَ مَعَكَ )) . فَخَلَا مَعَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُنَاجِيَا حَتَّى قَضَى حَاجَتَهَا .

وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كُنْتُ أَرَى امْرَأَةً تَدْخُلُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَكَانَ يُقْبَلُ عَلَيْهَا بِحَفَاوَةٍ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيَّ فَعَلِمَ ذَلِكَ مِنِّي فَقَالَ : (( يَا عَائِشَةُ هَذِهِ كَانَتْ تَغْشَانَا أَيَّامَ خَدِيجَةَ وَإِنْ حُسِنَ الْعَهْدُ مِنَ الْإِيمَانِ )) .

قُلْتُ : وَلِلَّهِ دَرُ الْقَائِلِ :

وَإِنَّ أَوْلَى الْمَوَالِي أَنْ تُوَالِيَهُ عِنْدَ السُّرُورِ الَّذِي وَاسَاكَ فِي الْحُزْنِ

إِنَّ الْكِرَامَ إِذَا مَا أَيْسَرُوا ذَكَرُوا مَنْ كَانَ يَأْلِفُهُمْ فِي الْمَنْزِلِ الْخَشِنِ

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَبِي ذَرٍّ قَالَا : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَجْلِسُ



بَيْنَ ظَهْرَانِي أَصْحَابِهِ فَيَجِيءُ الْعَرِيبُ فَلَا يَدْرِي أَيُّهُمْ هُوَ حَتَّى يَسْأَلَ فَطَلَبْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَجْعَلَ مَجْلِسًا يَعْرِفُهُ الْعَرِيبُ إِذَا أَتَاهُ فَبَيْنَمَا لَهُ دُكَّانًا مِنْ طِينٍ فَكَانَ يَجْلِسُ عَلَيْهِ وَيَجْلِسُ بِجَانِبِهِ وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ كُلَّ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ مُتَكِّمًا فَإِنَّهُ أَهْوَنُ عَلَيْكَ قَالَ : (( لَا بَلْ أَكُلُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ وَأَجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْدُ )) .

وَعَنْهَا قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَاءَنِي مَلِكٌ فَقَالَ إِنَّ رَبَّكَ يُقْرئُكَ السَّلَامَ وَيَقُولُ إِنَّ شِئْتَ نَبِيًّا عَبْدًا وَإِنْ شِئْتَ نَبِيًّا مَلِكًا فَتَنْظَرْتُ إِلَى جِبْرِيلَ فَأَشَارَ لِي ضَعَّ نَفْسَكَ فَقُلْتُ : (( نَبِيًّا عَبْدًا )) . وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُكْثِرُ الذِّكْرَ وَيَقُولُ اللَّغْوَ وَيُطِيلُ الصَّلَاةَ وَيُقْصِرُ الْحُطْبَةَ وَلَا يَأْنَفُ وَلَا يَسْتَنْكِفَ أَنْ يَمْشِيَ مَعَ الْأَرْمَلَةِ وَالْمَسْكِينِ يَفْضِي لَهُمَا حَاجَتَهُمَا .

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ كُنْتُ فِي عِصَابَةِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ جَالِسًا وَإِنَّ بَعْضَهُمْ يَسْتَتِرُ بِبَعْضٍ مِنَ الْعُرَى وَقَارِي لَنَا يَقْرَأُ عَلَيْنَا فَكُنَّا نَسْتَمِعُ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : (( الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ أُمِرْتُ أَنْ أُصَبِّرَ مَعَهُمْ نَفْسِي )) . ثُمَّ جَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَسَطْنَا لِيَعْدَلَ بَيْنَنَا بِنَفْسِهِ فَقَالَ : (( أَبْشُرُوا مَعَاشِرَ صَعَالِيكِ الْمُهَاجِرِينَ بِالنُّورِ التَّامِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ قَبْلَ الْأَغْنِيَاءِ بِنِصْفِ يَوْمٍ وَذَلِكَ خَمْسُمِائَةِ عَامٍ )) .

### ذِكْرُ شَيْءٍ مِنْ مُعْجَزَاتِهِ ﷺ

شِعْرًا:	إِلَيْكَ رَسُولَ اللَّهِ مِنَّا تَحِيَّةً	وَصَلَّى عَلَيْكَ الْعَابِدُ الْمُتَهَجِّدَ
	فَأَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ هَادٍ وَمُهْتَدٍ	نَبِيٌّ هُدَى لِلْأَنْبِيَاءِ مُؤَيَّدٌ
	وَقَدْ قَالَ حَسَّانٌ وَفِي الشَّعْرِ شَاهِدٌ	تُجَدِّدُهُ الْأَيَّامُ يُرَوِّى وَيُنْشَدُ
	( أَغْرُ عَلَيْهِ لِلنَّبِوَةِ خَاتِمٌ	مِنَ اللَّهِ مَشْهُودٌ يَلُوحُ وَيُشْهَدُ )
	( وَضَمَّ الْإِلَهَ اسْمَ النَّبِيِّ إِلَى اسْمِهِ	إِذَا قَالَ فِي الْخَمْسِ الْمُوَدَّنُ أَشْهَدُ )
	فَقُلْتُ شَبِيهَا بِالَّذِي قَالَ إِنَّبِي	بِهِ مُؤَمَّنًا حَقًّا لِرَبِّي مُوَحَّدٌ
	فَلَا يُقْبَلُ التَّوْحِيدُ إِلَّا بِذِكْرِهِ	لِيَقْرَنَهُ عِنْدَ النَّدَاءِ الْمُوَحَّدُ

وَمَا جَاءَ يَدْعُونَا بغيرِ دَلَالَةٍ  
 وَمَنْ ذَاكَ جَدُّعٌ حَنَّ شَوْقًا إِلَى الرِّضَا  
 وَقَدْ سَمِعُوا صَوْتًا مِنَ الجِدْعِ بَيْنَا  
 وَمِنْ ذَاكَ شَاةٌ خَلَوَةُ الصَّرْعِ مَسَّهَا  
 فَقَامَ إِلَيْهَا الحَالِيَانِ فَاتَّرَعَا  
 وَسَارَ إِلَى البَيْتِ المُقَدَّسِ لَيْلَةً  
 يُخَبِّرُ بِالعِيرِ الَّتِي فِي طَرِيقِهِ  
 وَمِنْ ذَاكَ أَحْبَابٌ عَنِ العَيْبِ قَالَهَا  
 فَسُودِدُهُ بِاللهِ إِذْ كَانَ وَحِيَهُ  
 فَأَظْهَرَ بِالإِسْلَامِ دَعْوَةَ صَادِقٍ  
 تُسَلِّمُ أَحْبَابًا عَلَيْهِ فَصِيحَةٌ  
 وَيُسْمَعُ مِنْ أَصْوَاتِهَا فِي طَرِيقِهِ  
 وَأَنْشَأَ رَبِّي مُزْنَةً فَوْقَ رَأْسِهِ  
 تُظَلِّلُهُ مِنْ كُلِّ حَرٍّ يُصِيبُهُ  
 وَإِنْ سَارَ سَارَتْ لَا تُفَارِقُ رَأْسَهُ  
 حَلِيمٌ رَحِيمٌ لَيْسَ مُتَوَاضِعٌ

وَقَالَ آخَرَ:

نَبِيٌّ تَسَامَى فِي المَشَارِقِ نُورُهُ  
 أَتَتْنَا بِهِ الأَنْبَاءُ قَبْلَ مَجِيئِهِ  
 وَرَامَ اسْتِزَاقَ السَّمْعِ حِينَ فَرِيَّتْ  
 هَدَانَا إِلَى مَا لَمْ نَكُنْ نَهْتَدِي لَهُ  
 فَلَا حَتَّ بَوَادِيهِ لِأَهْلِ المَغَارِبِ  
 وَشَاعَتْ بِهِ الأَخْبَارُ فِي كُلِّ جَانِبِ  
 مَقَاعِدِهِمْ مِنْهَا رُجُومُ الكَوَاكِبِ  
 لِطُولِ العَمَى مِنْ وَاضِحَاتِ المَذَاهِبِ

وَجَاءَ بآيَاتٍ تَبَيَّنَ أَنَّهَا  
فَمِنْهَا نُبُوعُ الْمَاءِ بَيْنَ بَنَانِهِ  
فَرَوَى بِهِ جَمًّا غَفِيرًا وَأَسْهَلَتْ  
وَبُرِّ طَعَتْ بِالْمَاءِ مِنْ مَسِّ سَهْمِهِ  
وَضَرَعِ مَرَاهُ فَاسْتَدْرَكَ وَلَمْ يَكُنْ  
وَتُطْقِ فَصِيحٍ مِنْ ذِرَاعِ مُبِينَةٍ  
وَمِنْ تَلْكَمِ الْآيَاتِ وَحَتَّى أَتَى بِهِ  
تَفَاصِرِ الْأَفْكَارِ عَنْهُ فَلَمْ يَطْعُ  
حَوَى كُلِّ عِلْمٍ وَاحْتَوَى كُلَّ حِكْمَةٍ  
أَتَانَا بِهِ لَا عَنْ رَوِيَّةٍ مُرْتَبِي  
يُؤَاتِيهِ طُورًا فِي إِجَابَةِ سَائِلِ  
وَإِيْتَانِ بُرْهَانٍ وَفَرَضِ شَرَائِعِ  
وَتَصْرِيفِ أَمْثَالٍ وَتَثْبِيْتِ حُجَّةِ  
وَفِي مَجْمَعِ النَّادِي وَفِي حَوْمَةِ الْوَعْيِ  
فِيَأْتِي عَلَى مَا شِئْتَ مِنْ طُرُقَاتِهِ  
يُصَدِّقُ مِنْهُ الْبَعْضُ بَعْضًا كَأَنَّمَا  
وَعَجَزُ الْوَرَى عَنْ أَنْ يَجِيئُوا بِمِثْلِ مَا  
وَكَانَ رَسُولَ اللَّهِ أَكْرَمَ مُنْجِبِ  
عَلَيْهِ سَلَامُ اللَّهِ فِي كُلِّ شَارِقِ

دَلَائِلُ جَبَّارٍ مُثِيبٍ مُعَاقِبِ  
وَقَدْ عَدِمَ الْوَرَادُ قُرْبَ الْمَشَارِبِ  
بِأَعْنَاقِهِ طَوْعًا أَكْفُ الْمَذَانِبِ  
وَمَنْ قَبْلُ لَمْ تَسْمَحْ بِمَذْقِهِ شَارِبِ  
بِهِ دِرَّةٌ تَصْغَى إِلَى كَفِّ حَالِبِ  
لِكَيْدِ عَدُوٍّ لِلْعَدَاوَةِ نَاصِبِ  
قَرِيبُ الْمَآتِي مُسْتَجِمُّ الْعَجَائِبِ  
بَلِيغًا وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ خَاطِبِ  
وَفَاتَ مَرَامَ الْمُسْتَمِرِّ الْمُوَارِبِ  
وَلَا صُحْفِ مُسْتَمَلٍ وَلَا وَصْفِ كَاتِبِ  
وَإِفْتَاءِ مُسْتَفْتٍ وَوَعْظِ مُخَاطِبِ  
وَقِصِّ أَحَادِيثِ وَنَصِّ مَآرِبِ  
وَتَعْرِيفِ ذِي جَحْدٍ وَتَوْقِيفِ كَاذِبِ  
وَعِنْدَ حُدُوثِ الْمُعْضَلَاتِ الْغَرَائِبِ  
قَوِيمِ الْمَعَانِي مُسْتَدِرِّ الضَّرَائِبِ  
يُلَاحِظُ مَعْنَاهُ بَعَيْنِ الْمُرَاقِبِ  
وَصَفْنَاهُ مَعْلُومٍ بِطُولِ التَّجَارِبِ  
جَرَى فِي ظُهُورِ الطَّيِّبِينَ الْمَنَاجِبِ  
أَلَا حَ لَنَا ضُوءًا وَفِي كُلِّ غَارِبِ

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ إِنَّا نَسْأَلُكَ بِأَسْمَائِكَ الْحُسْنَى وَصِفَاتِكَ الْعُلَى أَنْ

تُعْتَقِ رِقَابَنَا وَرِقَابَ آبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا مِنَ النَّارِ وَالِدِّينِ وَالْمَظَالِمِ يَا عَزِيزُ يَا غَفَّارُ يَا كَرِيمُ يَا سَتَّارُ  
وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى  
آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

### مَوْعِظَةٌ

عباد الله افْتَضَتْ حِكْمَةُ اللَّهِ الْعَلِيمِ الْخَبِيرِ بِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ لَهُ ابْتِدَاءٌ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ نَهَائِهِ ، وَكُلَّ شَيْءٍ لَهُ أَوَّلٌ حَتْمًا لَا مَنَاصَ لَهُ آخِرٌ ، وَالْعِبْرَةُ بِالْخَاتِمَةِ نَسَأَلُ اللَّهَ حُسْنَهَا .  
وَأَنَّ الْأَيَّامَ وَاللَّيَالِي تَمُرُّ وَالْعُمُرُ يَنْقُضِي وَالْحَيَاةُ تَزُولُ ، وَلَا يَبْقَى إِلَّا مَا قَدَّمْتَهُ مِنْ صَالِحِ  
الْأَعْمَالِ يَنْفَعُكَ ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴾ \* إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ  
نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴾ .  
فَالْأَمْرُ أَيُّهَا الْمُسْلِمُ خَطِيرٌ فَإِنْ مَوْقِفًا مِنْ مَوَاقِفِ الْقِيَامَةِ تَشِيبُ مِنْ هَوْلِهِ الْوِلْدَانَ يَوْمَ تَمُورُ فِيهِ  
السَّمَاءُ مُورًا وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سِيرًا .

يَوْمَ تَذْهَلُ فِيهِ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ حَامِلٍ حَمْلَهَا ﴿ يَوْمَ يُفْرُ الْمَرْءُ مِنْ أَحِيهِ ﴾ \*  
وَأُمُّهُ وَأَبِيهِ \* وَصَاحِبَتِيهِ وَبَنِيهِ \* لِكُلِّ امْرِيٍّ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿ ﴿ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ  
مَكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ .

يُنَادِ بِالْحَشْرِ : يَا أَيُّهَا الْعِظَامُ الْبَالِيَةُ وَالْأَوْصَالُ الْمُتَقَطَّعَةُ وَاللُّحُومُ الْمُتَمَرِّقَةُ وَالشُّعُورُ الْمُتَفَرِّقَةُ  
، إِنْ اللَّهُ يَأْمُرُكَ أَنْ تَجْتَمِعَنَّ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ ، فَتَخْرُجِ الْخَلَائِقُ مِنْ قُبُورِهَا .  
إِنْ يَوْمًا هَذَا بَعْضُ أَحْوَالِهِ جَدِيرٌ أَنْ يُسْتَعَدَّ لَهُ بِصَالِحِ الْأَعْمَالِ .  
فِيَا عِبَادَ اللَّهِ كُونُوا مِنَ الدُّنْيَا عَلَى حَذَرٍ وَأَكْثِرُوا ذِكْرَ هَازِمِ اللَّذَاتِ وَتَذَكَّرُوا مَا ذَهَبَ مِنْ  
أَعْمَارِكُمْ كَمْ وَقَاتَ فَكَأَنِّي بِكُمْ وَقَدْ نَقَلْتُكُمْ الْأَجَلَ إِلَى انْقِضَاءِ الْمَدَّةِ .

فيا رَهَائِنَ الموتِ وأعراضَ المنغمسينَ في الآثامِ أَعْلَى اللهُ بَحْتَرُونَ ، وعلى الدنيا وحطامِها  
الفاني تَتَنَافَسُونَ ، وفي دارِ النُّقْلةِ تَتَحَاسِدُونَ .

أمرْتُم بِجِرَائِهَا فَعَمَّرْتُمُوهَا وَهَيْبْتُمُ عَنْ تَزِينِهَا فَزَخَرْتُمُوهَا وَنَذِيبْتُمُ لطلبِ الآخرةِ فَأَهْمَلْتُمُوهَا  
وَدَعَيْتُمُ الخداعَةَ العَرَّازَةَ بِدَاوِعِهَا فَأَجَبْتُمُوهَا فَشَعَلْتُمُ بِلذاتِها وَقَمَعْتُمُ بِشَهَوَاتِها وَرَضَيْتُمُ مِنَ  
الكثيرِ باليسيرِ وَبِعْتُمُ الجَزِيلَ بِالْحَقِيرِ وَتَكَاسَلْتُمُ عَنِ الجِدِّ وَالتَّشْمِيرِ وَأَقَمْتُمُ عَلَى التَّسْوِيفِ  
والتَّعْذِيرِ .

عبادِ اللهُ أَيْنَ الخَوْفُ وَالْوَجَلُ وَالِاسْتِغْفَارُ ، وَأَيْنَ الخُشُوعُ وَالْحُضُوعُ وَالبِكَاءُ وَجريانِ الدموعِ  
على الذنوبِ التي تَدَكَّرُها يَرُوعُ ، أَيْنَ التَّفَكُّرُ والاعتبارُ .

ألا فاحذروا المعاصي فإنها جَالِبَةُ النِّقَمِ وَمُغَيِّرَةُ النِّعَمِ والأحوالِ وَقَالَ اللهُ جلَّ وعلا : ﴿  
إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُعَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ  
دُونِهِ مِنْ وَاٍلٍ ﴾ .

عِبَادَ اللهِ لا تُعْرَتِكُمُ الدنيا كمالِ عَرَّتْ مِنْ قَبْلِكُمْ فَإِنَّ حَظَّها مَشْهُومٌ وَإِنْ نَعِمَها وَإِنْ طَالَ  
لا يَدُومُ :

وَلَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا عَرُوسًا وَجَدَّتْهَا بِمَا قَتَلْتَ أَوْلَادَهَا لا تُزَوِّجُ

ويقول الآخر :

وَلَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا مِنَ الْإِنْسِ لَمْ تَكُنْ سِوَى مُؤْمِسٍ أَفْنَتَ بِمَا سَاءَ عُمْرُها

عِبَادَ اللهِ لا يَجِدَعْنِكُمُ الأملُ فَإِنَّ الأَجَلَ مُحْتَمٌ ولا يَصْدَنِكُمُ الشَّيْطَانُ عَمَّا خَلَقْتُمُ لَهُ مِنْ  
عِبادةِ الحيِّ القيومِ ولا تَغْرَنِكُمُ الأُماني فَإِذَا حَلَمَ المُسْتَيْقِضُ وَسَلَوَهُ المَحْزُونُ ، قَالَ اللهُ جلَّ وعلا :  
﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مَعْرِضُونَ ﴾ وقال تعالى ﴿ وَأَنْذَرْتَهُمْ يَوْمَ الحَسْرَةِ إِذْ  
فُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ .

شِعْرًا :

لِكُلِّ شَيْءٍ إِذَا مَا تَمَّ نُقْصَانُ  
هي الأمور كما شاهدتها دُول  
وَعَالَمِ الْكَوْنِ لَا تَبْقَى مُحَاسِنُهُ  
يُمزَّقُ الدَّهْرُ حَتَّمَا كُـلَّ سَابِغَةٍ  
وَيُنْتَضَى كُـلَّ سَيْفٍ لِلْفَنَاءِ وَلَوْ  
أَيْنَ الْمُلُوكِ ذُورَا التَّيْجَانِ مِنْ يَمَنِ  
وَأَيْنَ مَا شَادَهُ شَدَادٌ مِنْ إِرْمِ  
وَأَيْنَ مَا حَارَهُ قَارُونَ مِنْ ذَهَبِ  
أَتَى عَلَى الْكُلِّ أَمْرٌ لَا مَرَدَّ لَهُ  
وَصَارَ مَا كَانَ مِنْ مُلِكٍ وَمِنْ مَلِكِ  
دَارَ الزَّمَانِ عَلَى دَارَا وَقَاتِلِهِ  
كَأَنَّمَا الصَّعْبُ لَمْ يَسْهَلْ لَهُ سَبَبُ  
فَجَائِعِ الدَّهْرِ أَنْوَاعٌ مُنَوَّعَةٌ  
وَلِلْمَصَائِبِ سُلُوانٌ يَهْوُنْهَا  
دَهَى الْجَزِيرَةِ أَمْرٌ لَا عَزَاءَ لَهُ  
أَصَابَهَا الْعَيْنُ فِي الْإِسْلَامِ فَاِرْتَرَأَتْ  
فَاسْأَلْ بِلِنْسِيَّةٍ مَا شَأْنُ مُرْسِيَّةِ  
وَأَيْنَ حِمَصٌ وَمَا تَحْوِيهِ مِنْ نُزِهِ  
كَذَا طُلَيْطَلَةٌ دَارُ الْعُلُومِ فَكَمْ  
وَأَيْنَ غُرْنَاطَةٌ دَارُ الْجِهَادِ وَكَمْ

فَلَا يُعْرِئُ بِطِيبِ الْعَيْشِ إِنْسَانَ  
مَنْ سَرَّهُ زَمَنٌ سَأَتْهُ أَرْمَانُ  
وَلَا يَدُومُ عَلَى حَالٍ لَهَا شَانَ  
إِذَا نَبَتْ مَشْرِفِيَاتٍ وَخِرْصَانَ  
كَانَ ابْنُ ذِي يَزَنٍ وَالْعُمْدُ غُمْدَانُ  
وَأَيْنَ مِنْهُمْ أَكَالِيلٌ وَتِيْجَانُ  
وَأَيْنَ مَا سَاسَهُ فِي الْفُرسِ سَاسَانُ  
وَأَيْنَ عَادَ وَشَدَادٌ وَقَحْطَانُ  
حَتَّى قَضَوْا فَكَانَ الْكُلُّ مَا كَانُوا  
كَمَا حَكَى عَنِ خِيَالِ الطَّيْفِ وَسَنَانُ  
وَأَمَّ كَسْرِي فَمَا آوَاهُ إِيْوَانُ  
يَوْمًا وَلَمْ يَمْلِكِ الدُّنْيَا سُلَيْمَانُ  
وَلِلزَّمَانِ مَسَرَّاتٌ وَأَحْزَانُ  
وَمَا لِمَا حَلَّ بِالإِسْلَامِ سُلوَانُ  
هَوَى لَهُ أَحَدٌ وَإِنْ هَدَّ تَهْلَانُ  
حَتَّى حَلَّتْ مِنْهُ أَقْطَارُ وَبِلْدَانُ  
وَأَيْنَ قُرْطُبَةٌ أَمْ أَيْنَ جِيَّانُ  
وَنَهْرُهَا الْعِدْبُ فَيَاضُ لَهُ شَانَ  
مَنْ عَالِمٌ قَدْ سَمَا فِيهَا لَهُ شَانَ  
أَسْدُ بِهَا وَهُمْ فِي الْحَرْبِ عُقْبَانُ

وَأَيْنَ حَمْرًاؤَهَا الْعَلِيَا وَزُخْرُفُهَا  
قَوَاعِدُكُمْ أَرْكَانَ الْبِلَادِ فَمَا  
وَالْمَاءُ يَجْرِي بِسَاحَاتِ الْقُصُورِ بِهَا  
وَنَهْرُهَا الْعَذْبُ يَخْكِي فِي تَسْلُسِلِهِ  
وَأَيْنَ جَامِعُهَا الْمَشْهُورُ كَمْ تُلَيْتَ  
وَعَالِمُ كَانَ فِيهِ لِلْجَهُولِ هُدَى  
وَعَابِدٌ خَاضِعٌ لِلَّهِ مُبْتَهَلٌ  
وَأَيْنَ مَالِقَةُ مَرَسَى الْمَرَكَبِ كَمْ  
وَكَمْ بَدَاخِلَهَا مِنْ شَاعِرٍ فَطِنٍ  
وَكَمْ بِخَارِجِهَا مِنْ مَنْزِهِ فَرَجٍ  
وَأَيْنَ جَارَتْهَا الزُّهْرَا وَقُبَّتْهَا  
وَأَيْنَ بَسْطَةُ دَارِ الزُّعْفَرَانِ فَهَلْ  
وَكَمْ شُجَاعُ زَعِيمٍ فِي الْوَعَى بَطْلٍ  
وَوَادِيَا مَنْ عَدَتْ بِالْكَفْرِ عَامِرَةٌ  
كَذَا الْمَرِيَّةُ دَارُ الصَّالِحِينَ فَكُمْ  
تَبْكِي الْخَنِيْفَةُ الْبَيْضَاءُ مِنْ أَسْفٍ  
حَتَّى الْمَحَارِبِ تَبْكِي وَهِيَ جَامِدَةٌ  
عَلَى دِيَارٍ مِنَ الْإِسْلَامِ خَالِيَةٍ  
حَيْثُ الْمَسَاجِدُ قَدْ أَمْسَتْ كَنَائِسَ مَا  
يَا غَافِلًا وَلَهُ فِي الدَّهْرِ مَوْعِظَةٌ  
وَمَا شِيَا مَرَحًا يُلْهِيَهُ مَوْطِنُهُ

كَأَنَّهَا مِنْ جِنَانِ الْخُلْدِ عَدْنَانُ  
عَسَى الْبِقَاءُ إِذَا لَمْ تَبْقَى أَرْكَانُ  
قَدْ حَفَّ جَدَوْلَهَا زَهْرٌ وَرَبِحَانُ  
سُيُوفَ هِنْدٍ لَهَا فِي الْجَوِّ لَمَعَانُ  
فِي كُلِّ وَقْتٍ بِهِ آيٌ وَفُرْقَانُ  
مُدْرَسٌ وَلَهُ فِي الْعِلْمِ تَبْيَانُ  
وَالدَّمْعُ مِنْهُ عَلَى الْخَدَّيْنِ طُوفَانُ  
أُرْسَتْ بِسَاحَتِهَا فُلُكٌ وَعُزْبَانُ  
وَذِي فُنُونٍ لَهُ حِذْقٌ وَتَبْيَانُ  
وَجَنَّةٌ حَوْلَهَا نَهْرٌ وَبُسْتَانُ  
وَأَيْنَ يَا قَوْمُ أَبْطَالُ وَفُرْسَانُ  
رَأَى شَبِيهَا لَهَا فِي الْحُسْنِ إِنْسَانُ  
تَبْكِيهِ مَنْ أَرْضِيهِ أَهْلٌ وَوِلْدَانُ  
وَرَدَّ تَوْحِيدَهَا شِرْكَاً وَطُغْيَانُ  
قُطِبَ بِهَا عِلْمٌ بَحْرٌ لَهُ شَانَ  
كَمَا بَكَى لِفِرَاقِ الْإِلْفِ هَيْمَانُ  
حَتَّى الْمَنَابِرِ تَبْكِي وَهِيَ عِيدَانُ  
قَدْ أَفْقَرْتُ وَلَهَا بِالْكَفْرِ عُمْرَانُ  
فِيهِنَّ إِلَّا نَوَاقِيسٌ وَصُلْبَانُ  
إِنْ كُنْتَ فِي سِنَةِ فَالِدَّهْرِ يَقْظَانُ  
أَبْعَدَ حِمَصٍ تَعْرُ الْمَرْءِ أَوْطَانُ

تِلْكَ الْمَصِيْبَةُ أَنْسَتْ مَا تَقَدَّمَهَا  
يَا رَاكِبِينَ عِتَاقَ الْحَيْلِ صَامِرَةً  
وَحَامِلِينَ سُيُوفَ الْهِنْدِ مُرْهَفَةً  
وَرَاتِعِينَ وَرَاءَ النَّهْرِ فِي دَعَاةٍ  
أَعْنَدَكُمْ نَبَأً مِنْ أَمْرِ أَنْدَلُسِ  
كَمْ يَسْتَعِيْثُ صِنَادِيْدُ الرَّجَالِ وَهُمْ  
إِلَّا نُفُوسٌ أَبْيَاتٌ لَهَا هِمَمٌ  
يَا مَنْ لِنُصْرَةِ قَوْمٍ قَسِمُوا  
بِالْأَمْسِ كَانُوا مُلُوكًا فِي مَنَازِلِهِمْ  
فَلَوْ تَرَاهُمْ حَيَارَى لَا دَلِيْلَ لَهُمْ  
وَلَوْ رَأَيْتَ بُكَاهُمْ عِنْدَ بَيْعِهِمْ  
يَا رَبَّ طِفْلٍ وَأُمَّ حِيْلٍ بَيْنَهُمَا  
وَطِفْلَةٍ مِثْلَ حُسْنِ الشَّمْسِ إِذْ طَلَعَتْ  
لِمِثْلِ هَذَا يَدُوبُ الْقَلْبُ مِنْ كَمَدٍ  
هَلْ لِلْجِهَادِ بِهَا مِنْ طَالِبٍ فَلَقَدْ  
وَأَشْرَفَ الْخُورُ وَالْوَلْدَانُ مِنْ غُرْفِ  
ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى الْمُخْتَارِ مِنْ مُضَرٍ

هذه منظومة وعظية نقلناها من مقامات الحريري :

خَلِ اذْكَارَ الْأَرْبَعِ  
وَالظَّالِمِينَ الْمُؤَدَّعِ  
وَأَنْدَبَ زَمَانًا سَالِفًا  
وَالْمَعَهَدِ الْمُرْتَبِعِ  
وَعَنْدَ عَنُوهُ وَدَعِ  
سَوَدَّتْ فِيهِ الصُّحُفَا



وَلَمْ تَنْزِلْ مُعْتَكِفًا  
كَمْ لَيْلَةٍ أودَعْتَهَا  
لِشَهْوَةٍ أَطَعْتَهَا  
وَكَمْ خُطَى حَشْتَهَا  
وَتَوْبَةٍ نَكَشْتَهَا  
وَكَمْ تَجَرَّتْ عَلَيَّ  
وَلَمْ تُرَاقِبْهُ وَلَا  
وَكَمْ غَمَضْتِ بِرُّهُ  
وَكَمْ نَبَذْتِ أَمْرَهُ  
وَكَمْ رَكُضْتِ فِي اللَّعِبِ  
وَلَمْ تُرَاعِ مَا يَجِبُ  
فَالْبِسْ شِعَارَ النَّدَمِ  
قَبْلَ زَوَالِ الْقَدَمِ  
وَاحْضَعِ خُضُوعَ الْمُعْتَرِفِ  
وَاعْصِ هَوَاكَ وَانْحَرِفِ  
إِلَامَ تَسْتَهُوْ وَتَنِي  
فِيمَا يَضُرُّ الْمُقْتَرِي  
أَمَا تَرَى الشَّيْبَ وَخَطَّ  
وَمَنْ يَلِخُ وَخَطَّ الشَّمَطُ  
وَيَحْكُ يَا نَفْسُ احْرِصِي  
وَطَاوِعِي وَاخْلِصِي

عَلَى الْقَيْحِ الشَّنِيعِ  
مَائِمًا أَبَدَعْتَهَا  
فِي مَرْقَدٍ وَمَضَجِ  
فِي خَزْنَةٍ أَخَدْتَهَا  
لِمَلْعَبٍ وَمَرْتِعِ  
رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْعَالِي  
صَادَقْتَ فِيمَا تَدْعِي  
وَكَمْ أَمْنَتَ مَكْرَهُ  
نَبَذَ الْحَذَاءَ الْمُرْقِعِ  
وَفُهِتَ عَمَدًا بِالْكَذِبِ  
مَنْ عَهْدِهِ الْمُتَّبِعِ  
وَأَسْكُبْ شَأْيِبَ الدَّمِ  
وَقَبْلَ سُوءِ الْمَضَرِعِ  
وَلِذَ مَا لَذَ الْمُقْتَرِفِ  
عَنْهُ انْحِرَافَ الْمُقْلِعِ  
وَمُعْظَمُ الْعُمُرِ فَنِي  
وَلَسْنَتِ بِالْمُرْتَدِعِ  
وَخَطَّ فِي الرَّأْسِ خُطَطُ  
بِفؤدِهِ فَقَدْ نُعِي  
عَلَى ارْتِيَادِ الْمَخْلِصِ  
وَأَسْتَبِيعِي التُّصْحَ وَعِي

وَأَعْتَبِرِي بِمَنْ مَضَى      مِنْ الْقُرُونِ وَأَنْقَضَى  
 وَأَخْشَى مُفَاجَأَةَ الْقَضَا      وَخَاذِرِي أَنْ تُخْذَعِي  
 وَأَنْتَهَجِي سُبُلَ الْهُدَى      وَادْكِرِي وَشُكَّ الرَّدَى  
 آهَالَهُ بَيْتُ الْبَلَى      وَالْمَنْزِلَ الْفَقْرِ الْخَلَا  
 وَمُورِدِ السَّفْرِ الْأُولَى      وَاللَّاحِقِ الْمَتَّبِعِ  
 بَيْتٌ يُرَى مَنْ أُودِعَهُ      قَدْ ضَامَهُ وَأَسْتَوْدَعَهُ  
 بَعْدَ الْفَضَاءِ وَالسَّعَةِ      قَيْدَ ثَلَاثِ أَذْرَعِ  
 لَا فَزَقَ أَنْ يَحْلَلَهُ      دَاهِيَةً أَوْ أَبْلَهُ  
 أَوْ مُعْسِرٌ أَوْ مَنْ لَهْ      مُلْكٌ كَمُلْكِ تَبَعِ  
 وَبَعْدَهُ الْعَرَضُ الَّذِي      يَخْوِي الْحَيِّ وَالْبَدِي  
 وَالْمُتَبَدِّي وَالْمُحْتَدِي      وَمَنْ رَعَى وَمَنْ رُعِيَ  
 فَيَا مَفَازَ الْمُتَّقِي      وَرَبِّحَ عَبْدٌ قَدْ وَقِيَ  
 سُوءَ الْحَسَابِ الْمُوْبِقِ      وَهَوَّلَ يَوْمَ الْمَفْزَعِ  
 وَيَا خَسَارَ مَنْ بَغَى      وَمَنْ تَعَدَّى وَطَغَى  
 وَشَبَّ نِيرَانَ الْوَعَى      لِمَطْعَمِهِمْ أَوْ مَطْمَعِ  
 يَأْمَنُ عَلَيْهِ الْمُتَكَلِّ      قَدْ زَادَ مَا بِي مِنْ وَجَلِ  
 لِمَا اجْتَرَمْتُ مِنْ زَلَلِ      فِي عُمْرِي الْمَضْيَعِ  
 فَاعْفِرْ لِعَبْدٍ مُجْتَرِمِ      وَارْحَمْ بُكَاهُ الْمُنْسَجِمِ  
 فَأَنْتَ أَوْلَى مَنْ رَحِمِ      وَخَيْرَ مَدْعُوِّ دُعِي

اللَّهُمَّ نَبْتَ مَحَبَّتِكَ فِي قُلُوبِنَا وَقَوَّهَا وَوَفَّقْنَا لِشُكْرِكَ وَذِكْرِكَ وَارْزُقْنَا التَّأَهُبَ وَالِاسْتِعْدَادَ  
 لِلْقَائِكَ وَاجْعَلْ خِتَامَ صَحَائِفِنَا كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا  
 أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

( فَصْلٌ )

في المُعَاشِرَةِ وَالْحِلْمِ وَآثَارِهِ  
وَالْأَسْبَابِ الْبَاعِثَةِ عَلَى ضَبْطِ النَّفْسِ

الْحِلْمُ لُغَةٌ الْأَنَاءُ وَالْعَقْلُ لِكُونِهِ سَبَبُ الْحِلْمِ وَاصْطِلَاحًا ضَبْطُ النَّفْسِ وَالطَّبَعِ عِنْدَ هَيْجَانِ الْعُضْبِ  
أَوْ احْتِمَالِ الْأَذَى مِنَ الْأَذَى وَهُوَ يَرْجِعُ إِلَى الْأَوَّلِ لِأَنَّ مَنْ احْتَمَلَ الْأَذَى مِمَّنْ دُونَهُ مَعَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهِ  
فَقَدْ ضَبَطَ نَفْسَهُ عِنْدَ الْعُضْبِ .

وَقَالَ الْقَاضِي عِيَّاضٌ : الْحِلْمُ حَالَةٌ تُوقَّرُ وَتُبَاتٍ . أَي صِفَةٌ تُورَثُ طَلَبَ وَقَارٍ وَتُبُوتٍ فِي الْأَمْرِ  
وَاسْتِثْقَارٍ عِنْدَ الْأَسْبَابِ الْمُحَرِّكَةِ لِلْعُضْبِ الْبَاعِثَةِ عَلَى الْعَجَلَةِ فِي الْعُقُوبَةِ . وَلَا يُسَمَّى الْمَرْءُ حَلِيمًا  
إِلَّا إِذَا كَانَ ذَلِكَ طَبَعًا لَا تَكَلُّفًا وَقَدْ وَصَفَ اللَّهُ بِهِ سَيِّدَنَا إِبْرَاهِيمَ الْحَلِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ ﴿ إِنَّ  
إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾ . وَكَمَا قَالَ فِي وَلَدِهِ ﴿ فَبَشِّرْنَاهُ بِعَلَامٍ حَلِيمٍ ﴾ .

قَالَ الشَّاعِرُ :

أَلَا إِنَّ حِلْمَ الْمَرْءِ أَكْرَمُ نِسْبَةٍ

تَسَامَى بِهَا عِنْدَ الْفَخَّارِ حَلِيمٌ

فَيَا رَبِّ هَبْ لِي مِنْكَ حِلْمًا فَإِنِّي

أَرَى الْحِلْمَ لَمْ يَنْدَمْ عَلَيْهِ كَرِيمٌ

وَقَالَ الْآخَرُ :

أَحِبُّ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ جُهْدِي

وَأَكْرَمُهُ أَنْ أَعْيَبَ وَأَنْ أَعَابَ

آخِرُ : فَإِنْ كُنْتَ تَرْجُو فِي الْعُقُوبَةِ رَاحَةً فَلَا تَرْهَدَنَّ عِنْدَ الْمُعَافَاتِ فِي الْأَجْرِ

آخِرُ : فَهَنَيْتِي مُسِيئًا كَالَّذِي قُلْتَ ظَالِمًا فَعَفُوًّا جَمِيلٌ كَيْ يَكُونَ لَكَ الْفَضْلُ

فَإِنْ لَمْ أَكُنْ لِلْعَفْوِ أَهْلًا لِسُوءِ مَا أَتَيْتَ بِهِ جَهْلًا فَأَنْتَ لَهُ أَهْلٌ

آخِرُ : مَا كُلُّ مَنْ حَسُنَتْ فِي النَّاسِ سَمْعَتُهُ وَحَازَ قَلْبًا ذَكِيًّا أَدْرَكَ الْأَمَلَا

مَا السَّمْعَ وَالْقَلْبُ مُدْنٍ مِنْكَ مَنْفَعَةً      إِنَّ لَمْ يَكُنْ مِثْلُ ذَا زُهْدًا وَذَاكَ تُقَى  
 آخِر: أَحَبُّ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ جُهْدِي      وَأَكْرَهُ أَنْ أَعِيبَ وَأَنْ أُعَابَا  
 وَأَصْفَحُ عَنِ سَبَابِ النَّاسِ حِلْمًا  
 وَشَرُّ النَّاسِ مَنْ يَهْوَى السَّبَابَا  
 وَمَنْ هَابَ الرَّجَالَ تَهَيَّبُوهُ  
 وَمَنْ حَقَرَ الرَّجَالَ فَلَنْ يُهَابَا

فَأَمَّا ضَبَطُ النَّفْسِ عِنْدَ الْعُضْبِ مَعَ التَّكْلِيفِ فَهُوَ تَحْلُمٌ لَا حِلْمٌ فَإِذَا تَكَلَّفَ الْإِنْسَانُ الْحِلْمَ  
 بِأَنْ مَرَّنَ نَفْسَهُ عَلَى كَظْمِ الْعَيْظِ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ أَصْبَحَ الْحِلْمُ لَهُ عَادَةً .  
 وَأَصْلُ الْكَظْمِ شَدُّ رَأْسِ الْقَرِيْبَةِ عِنْدَ امْتِلَائِهَا وَكَظْمِ الْبَابِ سَدُّهُ شَبَّهَ بِهِ مَنْ أَمْسَكَ نَفْسَهُ  
 وَضَبَطَهَا عِنْدَ امْتِلَائِهَا بِالْعُضْبِ فَلَمْ يَنْتَقِمِ مِمَّنْ أَهَاجَهُ وَمِنْهُ فُلَانٌ كَظِيمٌ بِمَعْنَى مُتَمَلِّئٌ حُزْنًا قَالَ  
 تَعَالَى عَنْ يُونُسَ : ﴿ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴾ أَي غَيْظًا عَلَى قَوْمِهِ إِذْ لَمْ يُؤْمِنُوا لِمَا دَعَاهُمْ إِلَى  
 الْإِيمَانِ .

وَالْعَيْظُ مُرَادِفٌ لِلْعُضْبِ وَلَا يَتَّمُ حِلْمُ الْإِنْسَانِ إِلَّا بِإِمْسَاكِ الْجَوَارِحِ كُلِّهَا : الْيَدِ عَنِ الْبَطْشِ  
 وَاللِّسَانِ عَنِ الْفُحْشِ وَالْعَيْنِ عَنِ فُضُولَاتِ النَّظَرِ وَأَقْرَبُ لَفْظٍ يُسْتَعْمَلُ ضِدَّ الْحِلْمِ التَّدْمُرُ .  
 وَأَمَّا الْعَفْوُ وَالصَّفْحُ فَهُمَا صُورَتَا الْحِلْمِ فَالْعَفْوُ تَرْكُ الْمُؤَاخَذَةِ بِالذَّنْبِ ، وَالصَّفْحُ تَرْكُ  
 التَّشْرِيْبِ وَهُوَ مَحْمُودٌ إِذَا كَانَ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يَجِبُ . بِأَنْ لَا يَتَرْتَّبَ عَلَيْهِ إِخْلَالٌ بِالذَّنْبِ ، قَالَ  
 تَعَالَى : ﴿ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴾ تَنْبِيْهَا عَلَى مَا يَجْمَلُ مِنْهُ .  
 وَأَمَّا الصَّفْحُ فِي غَيْرِ مَحَلِّهِ فَلَا يَصْفَحُ حَيْثُ اقْتَضَى الْمَقَامُ الْعُقُوبَةَ ، كَعُقُوبَةِ الْمُعْتَدِينَ  
 الظَّالِمِينَ الَّذِينَ لَا يَنْفَعُ فِيهِمْ إِلَّا الْعُقُوبَةُ .

وَقَدْ حَثَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ : ﴿ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ﴾ فَأَمَرَ  
 جَلَّ وَعَلَا بِالْحِلْمِ وَالْعَفْوِ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ﴾ وَقَالَ : ﴿ فَاغْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ  
 إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ وَقَالَ : ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾ ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿

ادْفَعْ بِأَلْتِي هِي أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ \* وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ  
صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٢٠٥﴾ .  
وَقَالَ الشَّاعِرُ :

وَاصْدُقْ صَدِيقَكَ إِنْ صَدَقْتَ صَدَاقَةً  
وَادْفَعْ عَدُوَّكَ بِأَلْتِي فَإِذَا الَّذِي

وَأَمَّا إِنْ كَانَ الْحِلْمُ عَلَى مَنْ يَعْتَدِي عَلَى الدِّينِ أَوْ الْعَرِضِ أَوْ الْمَالِ فَهَذَا غَايَةُ الْجُبْنَ  
وَمُنْتَهَى الدَّمِّ نَعْمَ يَنْبَغِي لِمَنْ يُدَافِعُ عَنِ الْفَضِيلَةِ أَنْ يَضْبِطَ نَفْسَهُ عِنْدَ الدَّفَاعِ فَلَا يُسْرِفَ فِي  
الانْتِقَامِ .

وَيُعْجِبُنِي جَوَابُ مَا ذُكِرَ فِي الْقِصَّةِ الْمَشْهُورَةِ مِنْ أَنَّ مُعَلِّمًا كَانَ يُلْقِي دَرْسًا أَوْ هُوَ يَعِظُ  
فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ إِنْسَانٌ لَمْ يَسْتَعْمِلِ الرَّفْقَ وَتَسْرَعَ فِي الْانْتِقَادِ وَخَطَأَ الْمُعَلِّمَ جَهْرًا وَالنَّاسَ يَسْمَعُونَ  
وَمَضَى الشَّيْخُ فِي شَرْحِهِ ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ تَبَيَّنَ لِلنَّاقِدِ أَنَّهُ أَخْطَأَ وَأَنَّ الصَّوَابَ مَا قَالَهُ الشَّيْخُ فَذَهَبَ  
إِلَيْهِ فِي بَيْتِهِ مُعْتَذِرًا مِمَّا فَرَطَ مِنْهُ فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ نَظْمًا جَوَابًا لَهُ :

جَفَاءً جَرَى جَهْرًا لَدَى النَّاسِ وَانْبَسَطَ  
وَعُذْرٌ أَتَى سِرًّا فَأَكْثَرَ مَا فَرَطَ  
وَمَنْ ظَنَّ أَنْ يَمْخُو جَلِيَّ جَفَائِهِ

خَفِيٌّ اعْتِذَارٍ فَهُوَ فِي أَعْظَمِ الْعَلَطِ

فَالنَّقْدُ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ بِأَلْتِي هِي أَحْسَنُ لِيَكُونَ مِنْ وَرَائِهِ بُحَاخُ الْقَصْدِ وَالسَّلَامَةِ مِنَ الْإِثْمِ  
وَالزَّلَلِ وَكَانَ الْوَاجِبُ عَلَى الْمُنتَقِدِ أَنْ يُلَطِّفَ الْكَلَامَ وَيَأْتِيَ بِصِيعَةِ سُؤَالٍ وَاسْتِفْهَامٍ وَيَسْأَلَ مَنْ  
حَوْلَهُ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ هَذَا إِذَا كَانَ مُتَيَقِّنًا لِلْخَطَأِ وَإِلَّا فَبَعْدَ التَّثَبُّتِ يُبَيِّنُ لَهُ ذَلِكَ بِالْكَلِمِ الطَّيِّبِ  
وَالْمَعْرُوفِ مِنَ الْقَوْلِ وَيُحَذِّرُ مِنْ خُشُونَةِ الْكَلَامِ فَإِنَّهَا مُنْفَرَةٌ وَدَاعِيَةٌ إِلَى التَّمَادِي فِي الْبَاطِلِ .

وَعَلَى الْحَلِيمِ أَنْ لَا يَتَجَاوَزَ الْحَدَّ الْمَشْرُوعَ لِرَدِّ الْمُعْتَدِينَ وَرَدِّعِهِمْ وَإِلَّا كَانَ مُتَهَوِّرًا ظَالِمًا  
فَالشَّجَاعَةُ تَسْتَلْزِمُ الْحِلْمَ لِأَنَّ الشَّجَاعَةَ لَيْسَتْ مُجَرَّدُ الْقُوَّةِ الَّتِي يَسْتَطِيعُ بِهَا الْمَرْءُ مُوَاجَهَةَ  
الْأَخْطَارِ بَلْ لَا بُدَّ مَعَهَا مِنْ ضَبْطِ النَّفْسِ عِنْدَ الْغَضَبِ حَتَّى يَتِمَّكَنَ مِنْ إِتِّبَاعِ سُنَنِ الدِّينِ .  
وَالشَّجَاعَةُ هِيَ الْحَدُّ الْوَسْطَ بَيْنَ رَذِيلَتِي الْجُبْنِ وَالتَّهَوُّرِ فَفِي الْجُبْنِ تَفْرِيطٌ وَتَضْيِيعٌ وَتَفْصِيرٌ  
وَفِي التَّهَوُّرِ إِفْرَاطٌ وَتَعَدُّ لِلْحُدُودِ وَفِي الشَّجَاعَةِ السَّلَامَةِ بِأَنْ يُقَدِّمَ حَيْثُ يَرَى الْإِقْدَامَ عَزْمًا  
وَيُحْجِمَ حَيْثُ يَرَى الْإِحْجَامَ حَزْمًا .

وَيَتَرْتَّبُ عَلَى الْحِلْمِ آثَارٌ جَلِيلَةٌ وَمَنَافِعٌ عَظِيمَةٌ يَعْرِفُ الْإِنْسَانُ قَدْرَهَا إِذَا حَصَلَ الْغَضَبُ  
وَأَثَارَ الْعَوَاطِفَ وَأَثَارَ النُّفُوسِ وَشَبَّ نَارَ الْفِتْنَةِ فَاضْطَرَبَتِ الْأُمُورُ وَتَعَيَّرَتِ وَاسْتَحْكَمَتِ الْعَدَاوَةُ  
وَالْبَغْضَاءُ وَاسْتَوْلَى عَلَى النَّفْسِ حُبُّ النَّزَاعِ وَالصَّدَامُ وَحُبُّبَ إِلَى النُّفُوسِ الْفِتْكَ وَالذَّمَارُ وَنُسِيَتْ  
عَوَاقِبُ الْأُمُورِ مِمَّا يَجْرُهُ الطَّيِّشُ وَالتَّهَوُّرُ مِنْ بَلَاءٍ وَدَمَارٍ وَشَقَاءٍ وَنَتَائِجٍ وَخِيَمَةٍ فَعِنْدَ ذَلِكَ يَتَبَيَّنُ  
وَيُظْهِرُ فَضْلُ الْحِلْمِ .

فَإِنَّ الْحِلْمَ إِذَا أَرَادَ اللَّهُ يَدْفَعُ بِهِ هَذِهِ الشُّرُورَ لِأَنَّ الْحَلِيمَ يَسْتَطِيعُ إِذَا

وَقَعَهُ اللهُ أَنْ يَنْظَرَ إِلَى كُلِّ أَمْرٍ مِنَ الْأُمُورِ نَظْرًا صَادِقًا وَيُقَدِّرُهُ تَقْدِيرًا صَحِيحًا وَيَزِينُهُ بِمِيزَانٍ عَادِلٍ فَلَا يَسْتَحِفُّهُ الْعُضْبُ وَالطَّيْشُ فَيَدْفَعُهُ إِلَى الْمُخَاطَرَةِ وَيَسُوِّفُهُ إِلَى مَا لَا قَبْلَ لَهُ بِهِ .

فَالْحِلْمُ خَيْرٌ وَقَايَةُ تَقْيِي مَصَارِعِ السُّوءِ وَتَحْفَظُ مِنَ الْوُقُوعِ فِي مَوَاطِنِ الْهَلَاكِ وَقَدْ مَثَلَ الْعُلَمَاءُ لِذَلِكَ أَمثلةً مِنْهَا إِذَا كَانَ الْحَاكِمُ حَلِيمًا لَا يَسْتَنْفِزُهُ الْعُضْبُ إِلَى إِبْرَامِ الْأُمُورِ قَبْلَ التَّثَبُّتِ مِنْهَا فَإِنَّهُ يَكُونُ نِعْمَةً وَبِرَكَّةٍ عَلَى نَفْسِهِ وَعَلَى رَعِيَّتِهِ لِأَنَّ التَّثَبُّتَ فِي الْأُمُورِ قَبْلَ إِبْرَامِهَا يَسْتَلْزِمُ الْعَدْلَ وَإِعْطَاءَ كُلِّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ وَجَزَاءَ كُلِّ فَرْدٍ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ وَبِذَلِكَ تَسْتَعِدُّ وَتَدُومُ الدَّوْلَةُ بِإِذْنِ اللهِ وَتَرْتَفِعُ مَكَانَتُهُ عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ عِبَادِهِ .

الْمِثَالُ الثَّانِي : الرُّعَمَاءُ وَالرُّؤَسَاءُ إِذَا كَانُوا حُلَمَاءَ فَإِنَّهُمْ يَرْفَعُونَ عَنْ أَتْبَاعِهِمْ إِذَا أَرَادَ اللهُ كَثِيرًا مِنَ الْأَذَى وَيَدْفَعُونَ عَنْهُمْ شَرَّ التَّنَازُعِ وَالْخُصُومَاتِ مَعَ بَعْضِهِمْ وَمَعَ غَيْرِهِمْ فَإِنَّ الْحَلِيمَ يُمَكِّنُهُ أَنْ يُعَالِجَ الْأُمُورَ بِالْهُدُوءِ وَالرَّفْقِ وَالتَّلَطُّفِ وَيُفَكِّرُ فِي الْوَسَائِلِ وَالْأَسْبَابِ الَّتِي تُزِيلُ الْأَحْقَادَ وَالضَّغَائِنَ وَالْخِصَامَ وَيَكْفِيهِمْ عَنِ الشَّرِّ وَيَأْخُذُ مِنْهُمْ بِحِلْمِهِ وَلِينِهِ مَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَخْذُهُ بِقُوَّتِهِ وَجَاهِهِ فَتَنْحَسِمُ مَادَّةُ الشَّرِّ وَيَجَلُّ الْوَنَامُ مَحَلَّ الْخِصَامِ .

وَمِنْ الْأَمْثَلَةِ الْقُضَاءُ إِذَا كَانُوا مُتَّصِفِينَ بِالْحِلْمِ فَإِنَّهُمْ بِإِذْنِ اللهِ يَهْتَدُونَ إِلَى الصَّوَابِ وَيُظْهِرُ لَهُمُ الْحَقُّ لِأَنَّ سَعَةَ صَدْرِ الْقَاضِي لِاسْتِمَاعِ جَمِيعِ مَا يَذْكُرُهُ الْخُصُومُ وَحِلْمُهُ عَلَيْهِمْ حَتَّى يُدْلُوا إِلَيْهِ بِكُلِّ حُجَجِهِمْ وَيُبَيِّنُوا لَهُ كُلَّ مَا

يَسْتَطِيعُونَهُ مِنْ طُرُقِ الْإِثْبَاتِ مِنْ خَيْرِ الْوَسَائِلِ الَّتِي تَفِيدُ فِي اسْتِنْبَاطِ الْحَقِّ وَمَعْرِفَةِ الْمُبْطَلِ مِنْ الْمُحَقِّ بِخِلَافِ الْأَحْمَقِ الْعَصُوبِ فَإِنَّ ضَرَرَهُ أَكْثَرُ مِنْ نَفْعِهِ وَخَطَأُهُ أَكْثَرُ مِنْ صَوَابِهِ .

وَمِنْ الْأَمْثَلَةِ لِذَلِكَ أَنَّ الْمُرِّيَّ إِذَا كَانَ حَلِيمًا فَإِنَّهُ إِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْتَجَّ أَحْسَنَ النَّتَائِجِ وَيُؤَدِّي لِأُمَّتِهِ أَجَلَ الْجَدَمِ وَأَفْضَلَهَا لِأَنَّهُ يَسْتَطِيعُ بِحِلْمِهِ أَنْ يَتَبَيَّنَ مَوْضِعَ الضَّعْفِ مِنْ نَفْسِ الْقَائِمِ عَلَى تَرْبِيَّتِهِ فَيُعَاجِلُهُ بِمَا يُنَاسِبُ حَالَهُ حَتَّى يَشِبَّ صَالِحًا نَافِعًا إِذَا كَانَ قَائِمًا بِتَلْقِينِهِ الْعِلْمَ فَإِنَّ مُلْكَنَ الْعِلْمِ إِذَا لَمْ يَكُنْ حَلِيمًا فَإِنَّهُ يُضِيعُ عَلَى مَنْ يُعَلِّمُهُ أَحْسَنَ الْفُرْصِ فِي حَيَاتِهِ لِأَنَّهُ يَمْنَعُهُ مِنْ مُنَاقَشَةِ الْحَقَائِقِ الْعِلْمِيَّةِ الَّتِي يَتِمَكَّنُ بِهَا مِنْ مَعْرِفَةِ الْخَطَأِ مِنَ الصَّوَابِ وَالْحَقِّ مِنَ الْبَاطِلِ وَيَتَدَرَّبُ بِهَا عَلَى الْمُنَاطَرَةِ الْمُفِيدَةِ لِلْفِكْرِ .

وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ الْمُرِّيَّ الْأَحْمَقَ يُضِيفُ إِلَى ذَلِكَ أَثْرًا سَيِّئًا فِي نَفْسِ الْمُرِّيِّ لِأَنَّ الطَّبَاعَ كَسَابَةً فَيَتَأَثَّرُ مِنْهُ وَيَسْرِي إِلَيْهِ مِنْ أَسْتَاذِهِ مِنْ مَا بِهِ مِنْ أَمْرَاضٍ أَخْلَاقِيَّةٍ غَالِبًا وَيَكُونُ شَرًّا مُتَعَدِّيًا عَلَى نَفْسِهِ وَعَلَى غَيْرِهِ .

وَمِنْ الْأَمْثَلَةِ لِذَلِكَ الرَّوْجُ مَعَ زَوْجَتِهِ فَإِذَا كَانَ كُلُّ مِنْهُمَا حَلِيمًا فَإِنَّهُمَا يَعِيشَانِ عَيْشَةً مَرْضِيَّةً إِذَا كَانَ كُلُّ مِنْهُمَا يُعْضِي عَنْ هَفَوَاتِ الْآخِرِ وَيَرْفُوهَا فَلَا يُثِيرَانِ نِزَاعًا لِأَيْسَرِ الْأُمُورِ وَأَحْقَرِ الْأَسْبَابِ وَأَتْفَهَهَا وَإِنْ وَقَعَ نَادِرًا عَاجِلًا بِلُطْفٍ وَحِرْصًا عَلَى كَثْمِهِ عَنِ الْأَوْلَادِ لِعِلْمِهِمَا بِمَا يَتَرْتَّبُ عَلَى إِظْهَارِهِ مِنَ الضَّرَرِ الْعَظِيمِ خُصُوصًا إِذَا كَانَ الْأَبْنَاءُ فِي حَدِّ قَابِلٍ لِانْطِبَاعِ الْأَخْلَاقِ فِيهِمْ وَانْتِقَالِ الصِّفَاتِ إِلَيْهِمْ فَإِنَّ الْحِلْمَ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ مَوْقَعُهُ عَظِيمٌ وَضَرَرُ الْحَمَاقَةِ شَدِيدٌ جَدًّا لِمَا يُصِيبُ الْأَبْنَاءَ مِنْ ضَرَرِ عَدَمِ الْحِلْمِ فَالْحِلْمُ فِي الْحَقِيقَةِ سَعَادَةٌ عَاجِلَةٌ وَخَيْرٌ لِلْأُسْرَةِ بِتَمَامِهَا .

شِعْرًا :

رَجَعْتُ عَلَى السَّفِيهِ بِفَضْلِ حِلْمِي      فَكَانَ الْحِلْمُ عَنْهُ لَهُ لِحَامًا  
وَوَظَنَ بِي السَّفَاهُ فَلَمْ يَجِدْنِي      أَسَافَهُهُ وَقُلْتُ لَهُ سَلَامًا



فَقَامَ يَجُرُّ رَجُلَيْهِ ذَلِيلًا      وَقَدْ كَسَبَ الْمَذَلَّةَ وَالْمَلَامَا

وَفَضَّلَ الْحِلْمَ أَبْلَغُ فِي سَفِيهِ      وَأُخْرَى أَنْ تَنَالَ بِهِ انْتِقَامَا

وَمِنَ الْأَمْثَلَةِ لِذَلِكَ التَّاجِرُ فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ حَلِيمًا تَرُوجُ تِجَارَتُهُ وَيَقْبَلُ الْمُعَامِلُونَ عَلَيْهِ لِأَنَّ حِلْمَهُ يُرْعَبُ فِي مُعَامَلَتِهِ أَمَّا إِذَا كَانَ حَمَقِيًّا غَضُوبًا لِأَهْوَى الْأَشْيَاءِ وَأَيْسَرَ الْأُمُورِ فَتَجِدُهُ مَعَ النَّاسِ فِي لِحَاجٍ وَحِصَامٍ لَا يُمَكِّنُ غَضَبُهُ أَحَدًا مِنْ مُقَاهَمَتِهِ فِيمَا يُرِيدُ أَنْ يَبِيعَهُ أَوْ يَشْتَرِيَهُ وَرُبَّمَا أَدَّى بِهِ غَضَبُهُ وَعَدَمُ حِلْمِهِ إِلَى إِتْلَافِ السَّلْعَةِ الَّتِي يُرِيدُ بَيْعَهَا أَوْ إِلَى الْإِيْمَانِ أَنَّهَا لَا يَبِيعُهَا مِنَ الْمُسَاوِمِ لَهُ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ بِمَا يَفْعَلُهُ كَثِيرٌ مِنَ الْحَمَقَى الْجَاهِلِينَ فَإِنَّهُ مِنْ أَعْظَمِ الْأَسْبَابِ لِكَسَادِ تِجَارَةِ هَؤُلَاءِ وَأَنْصِرَافِ النَّاسِ عَنْهُمْ وَنُفْرَتِهِمْ مِنْ مُعَامَلَتِهِمْ . وَقَدْ يُفَضَّلُونَ مُعَامَلَةَ الْحَلِيمِ حَتَّى وَلَوْ كَانَتْ سِلْعَتُهُ أَقَلَّ جُودَةً مِنْ سِلْعَةِ ذَلِكَ الْأَحْمَقِ .

وَمِثْلُ ذَلِكَ أَهْلُ الصَّنَائِعِ إِذَا كَانُوا حَمَقَاءَ فَإِنَّ النَّاسَ لَا يُعَامِلُونَهُمْ خَوْفًا مِنْ أَلْسِنَتِهِمْ وَيَذْهَبُونَ عَنْهُمْ إِلَى مَنْ كَانَ حَلِيمًا لِأَنَّهُ يَكُونُ مُحِبًّا إِلَى النُّفُوسِ يَسْتَرِيحُ مَعَهُ النَّاسُ .

### ( مَوْعِظَةٌ )

عِبَادَ اللَّهِ تَنَبَّهُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ بِقَوَارِعِ الْعِبَرِ وَتَدَبَّرُوا مَوْاعِظَ كِتَابِ رَبِّكُمْ فَإِنَّهُنَّ صَوَادِقُ الْخَبَرِ وَتَفَكَّرُوا فِي حَوَادِثِ الْأَيَّامِ فَإِنَّ فِيهَا الْمُرْدَجِرُ وَتَأَمَّلُوا دَوْرَ الزَّمَانِ عَصْرًا فَعَصْرًا أَيَّامًا وَشَهْرًا يَتَلَوُ شَهْرًا وَسَنَةً تَتَلَوُ سَنَةً وَأَوْقَاتٌ تُطَوُّ فَتُخَرَّبُ عُمْرَانَا وَتَعْمُرُ قُفْرًا وَتُغَيِّرُ مَرَّةً وَتَسْلُبُ أُخْرَى .

مَوْاعِظُ تُنَادِي الْعَاقِلُ بِلِسَانِ الْحَقِيقَةِ جَهْرًا فَاحْذَرُوا زَخَارِفَ الدُّنْيَا الْمُظَلَّلَةَ وَاعْلَمُوا أَنَّهُ مِنْ تَكَثَّرَ مِنْهَا وَلَمْ يَسْتَعْمِلْهُ فِي مَرَاضِي اللَّهِ وَيَجْعَلْهُ دُخْرًا لِلدَّارِ الْآخِرَةِ لَمْ يَزِدْ مِنْ اللَّهِ إِلَّا قَلَّةً .

فَتَرَوُودُوا مِنْهَا التَّقْوَى فَإِنَّهَا خَيْرٌ زَادٍ وَخُدُوا أَهْبَةَ التَّحَوُّلِ وَانْتَبَهُوا مِنْ

سِنَّةِ الرُّقَادِ قَبْلَ أَنْ تُقَرَّبَ لَكُمْ مَرَائِبُ التَّحْوِيلِ إِلَى الثُّبُورِ وَيُنَادِي بِكُمْ الرَّحِيلُ إِلَى الْآخِرَةِ .  
 خُذُوا أَهْبَةً فِي الزَّادِ فَالْمَوْتُ كَائِنٌ      فَمَا مِنْهُ مَنَجًا وَلَا عَنْهُ عُنْدُ  
 فَمَا دَارُكُمْ هَذِي بِدَارِ إِقَامَةٍ      وَلَكِنَّهَا دَارُ ابْتِلَاءٍ وَتَزْوُدِ  
 أَمَا جَاءَكُمْ عَنْ رَبِّكُمْ وَتَزْوُدَا      فَمَا عَذْرُ مَنْ وَفَاهُ غَيْرُ مُزْوَدِ  
 فَمَا هَذِهِ الْأَيَّامُ إِلَّا مَرَاحِلٌ      تُقَرَّبُ مِنْ دَارِ اللَّقَاكُلِ مُبْعَدِ  
 آخِر: نَهْوَى الْحَيَاةَ وَلَوْ صَحَّتْ عَزَائِمُنَا      لِمَا صَرَفْنَا إِلَى الْخَدَاعَةِ الْهَمَمَا  
 لَوْ عَلِمْنَا عَلِمْتَ شُمْ الْجِبَالِ بِهِ      أَزَالَ ذَلِكَ مِنْ آنَافِهَا الشَّمَمَا  
 إِنَّ الشُّخُوصَ الَّتِي كَانَتْ رَجَاحَتُهَا      تُوَازِنُ الْهَضْبَ صَارَتْ فِي الْفَرَى رَمَمَا  
 عَمَّتُهُمْ حَادِثَاتٌ غَيْرُ مُبْقِيَةٍ      شَيْئًا فَلَمْ تَبْقَ أَبْدَانًا وَلَا قِمَمَا

اللَّهُمَّ عَافِنَا مِنْ مَكْرِكَ وَزَيِّنَا بِذِكْرِكَ وَاسْتَعْمِلْنَا بِأَمْرِكَ وَلَا تَهْتِكْ عَلَيْنَا جَمِيلَ سَتْرِكَ وَامْنُنْ  
 عَلَيْنَا بِلُطْفِكَ وَبِرِّكَ وَأَعِنَّا عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ اللَّهُمَّ سَلِّمْنا مِنْ عَذَابِكَ وَآمِنَّا مِنْ عِقَابِكَ وَاعْفِرْ  
 لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ  
 أَجْمَعِينَ .

### ( فَضْلٌ )

قَالَ الْعُلَمَاءُ وَأَسْبَابُ الْحِلْمِ الْبَاعِثَةُ عَلَى ضَبْطِ النَّفْسِ عَشْرَةٌ أَحَدُهَا الرَّحْمَةُ لِلْجَهَالِ وَذَلِكَ  
 مِنْ خَيْرِ يُوَافِقُ رِفْقَةً وَقَدْ قِيلَ فِي مَنْشُورِ الْحَكَمِ مِنْ أَوْكِدِ أَسْبَابِ الْحِلْمِ رَحْمَةُ الْجُهَّالِ فَيَأْمَنُ وَيَأْمُنُونَ  
 مِنْ اسْتِحْدَاثِ الْبُغْضِ وَالْقَطِيعَةِ الْمُؤَدِّينَ إِلَى تَرْكِ النَّصْرَةِ وَالْغَيْبَةِ .

شِعْرًا : وَمَا قَتَلَ السَّفَاهَةَ مِثْلُ حِلْمٍ      يَعُودُ بِهِ عَلَى الْجَهْلِ الْحَلِيمِ  
 فَلَا تَسْفَهُهُ وَإِنْ مُلِّتَ غَيْظًا      عَلَى أَحَدٍ فَإِنَّ الْفُحْشَ لَوْمِ  
 وَلَا تَقْطَعْ أَحَا لَكَ عِنْدَ ذَنْبٍ      فَإِنَّ الدَّنْبَ يَعْفُوهُ الْكَرِيمِ  
 آخِر: إِذَا سَبَّيْ نَذْلُ تَزَايِدَتْ رِفْعَةً      وَمَا الْعَارُ إِلَّا أَنْ أَكُونَ أَجَاوِبَهُ  
 وَلَوْ أَنَّ مَا نَفْسِي عَلَيَّ عَزِيْرَةٌ      لَقَرَّبْتُهَا مِنْ كُلِّ نَذْلٍ تُخَاطِبُهُ

آخر: لا يُعْجَبَنَّكَ مَنْ يُصُونُ ثِيَابَهُ حَذَرَ الْعُبَارِ وَعَرَضُهُ مَبْذُولٌ

فَلَرَبَّمَا افْتَقَرَ الْفَتَى فَرَأَيْتَهُ وَسَخَّ الثِّيَابِ وَعَرَضُهُ مَغْسُولٌ

الثَّانِي : مِنْ أَسْبَابِ الْحِلْمِ الْقُدْرَةُ عَلَى الْإِنْتِقَامِ وَالْإِنْتِصَافِ وَذَلِكَ الْحِلْمُ مِنْ سِعَةِ الصَّدْرِ وَحُسْنِ الثَّقَةِ بِاللَّهِ وَبِقُدْرَتِهِ وَقَالَ بَعْضُ الْبُلْغَاءِ : أَحْسَنُ الْمَكَارِمِ عَفْوُ الْمُقْتَدِرِ وَجُودُ الْمُفْتَقِرِ .

شِعْرًا: خَيْرُ الْخَلِيلَيْنِ مَنْ أَعْضَى لِصَاحِبِهِ وَلَوْ أَرَادَ انْتِصَارًا مِنْهُ لَا انْتَصَرَ

وَالثَّلَاثُ : مِنْ أَسْبَابِ الْحِلْمِ التَّرْفُّعُ عَنِ السَّبَابِ وَعَدْلُكَ مِنْ شَرَفِ النَّفْسِ وَعُلُوُّ الْهَمَّةِ وَقَالَتِ الْحُكَمَاءُ شَرَفُ النَّفْسِ أَنْ تَحْمَلَ الْمَكَارَةَ وَقَالَ الشَّاعِرُ :

لَا يَبْلُغُ الْمَجْدَ أَقْوَامٌ وَإِنْ كَرُمُوا حَتَّى يَذِلُّوا وَإِنْ عَزُّوا لِأَقْوَامٍ

وَيُشْتَمُّوا فَتَرَى الْأَلْوَانَ مُسْفِرَةً لَا صَفْحَ ذُلٍّ وَلَكِنْ صَفْحَ أَحْلَامٍ

آخر: إِذَا شِئْتَ يَوْمًا أَنْ تَسُودَ عَشِيرَةً فَبِالْحِلْمِ سُدَّ لَا بِالتَّسْرِعِ وَالتَّشْتِمِ

آخر: وَإِنْ هُوَ لَمْ يَحْمِلْ عَلَى النَّفْسِ صَيِّمَهَا فَلَيْسَ إِلَى حُسْنِ الثَّنَاءِ سَبِيلٌ

وَالرَّابِعُ : مِنْ أَسْبَابِ الْحِلْمِ الْاسْتِهَانَةُ بِالْمُسِيءِ قَالَ الشَّاعِرُ :

قَوْمٌ إِذَا مَا جَنَّا جَانِيَهُمْوَا أَمِنُوا لِلُّومِ أَحْسَابِهِمْ أَنْ يُقْتَلُوا قَوْدًا

وَقَالَ آخَرُ :

فَدَعَ الْوَعِيدَ فَمَا وَعَيْدَكَ ضَائِرِي أَطْنِينُ أَجْنَحَةَ الدُّبَابِ يَظِيرُ

آخر: وَكَمْ مِنْ لَيْمٍ وَدَّ أَنْي شَتَمْتُهُ وَإِنْ كَانَ شَتْمِي فِيهِ صَارِبٌ وَعَلَقْمٌ

وَلَلْكَفُّ عَنْ شَتْمِ اللَّيْمِ تَكْرَمًا أَضُرُّ لَهُ مِنْ شَتْمِهِ حِينَ يَشْتَمُ

آخر: إِذَا نَطَقَ السَّفِيهِ فَلَا تُجِبْهُ فَخَيْرٌ مِنْ إِجَابَتِهِ السُّكُوتُ

سَكَتُ عَنِ السَّفِيهِ فَظَنَّ أَنِّي عَمِيْتُ عَنِ الْجَوَابِ وَمَا عَمِيْتُ  
وَالْحَامِسُ : مِنْ أَسْبَابِ الْحِلْمِ الِاسْتِحْيَاءُ مِنْ جَزَاءِ الْجَوَابِ وَهَذَا يَكُونُ مِنَ النَّفْسِ وَكَمَالِ  
الْمُرُوءَةِ كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ :

إِنِّي لِأَعْرِضُ عَنِ أَشْيَاءَ أَسْمَعُهَا حَتَّى يَظُنُّ رِجَالٌ أَنَّ بِي حَمَقًا  
أَخْشَى جَوَابَ سَفِيهِ لَا حَيَاءَ لَهُ فَسَلِ يَظُنُّ رِجَالٌ أَنَّهُ صَدَقًا  
آخِرُ : فَمَا الْأَنْسُ بِالْأَنْسِ الَّذِينَ عَهَدْتُهُمْ بِأَنْسٍ وَلَكِنْ فَقَدْ أَنْسَهُمْ أَنْسُ  
إِذَا سَلِمَتْ نَفْسِي وَدِينِي مِنْهُمْ وَإِذَا سَلِمَتْ نَفْسِي وَدِينِي مِنْهُمْ تُرْسُ  
السَّادِسُ : مِنْ أَسْبَابِ الْحِلْمِ التَّفَضُّلُ عَلَى السَّبَابِ وَهَذَا يَكُونُ مِنَ الْكِرَمِ وَحُبِّ التَّالِفِ قَالَ  
الشَّاعِرُ :

إِذَا كَانَ دُونِي مَنْ بُلِيَتْ بِجَهْلِهِ أَيْتُ لِنَفْسِي أَنْ أَقَابِلَ بِالْجَهْلِ  
وَإِنْ كَانَ مِثْلِي فِي مَحَلٍّ مِنَ الْعُلَا هَوَيْتُ إِذَا حِلْمًا وَصَفْحًا عَنِ الْجَهْلِ  
وَإِنْ كُنْتُ أَدْنَى مِنْهُ فِي الْفَضْلِ رَأَيْتُ لَهُ حَقَّ الْعِلَاوَةِ وَالْفَضْلِ  
آخِرُ : فَيَا هَارِبًا مِنْ سُخْطِنَا مُتَنَصِّلًا هَرَبْتَ إِلَى أَنْجَى مُقَرِّ وَمَهْرَبٍ  
فَعُذْرِكَ مَبْسُوطٌ لَدَيَّ مُقَدَّمٌ وَوُدُّكَ مَقْبُولٌ بِأَهْلٍ وَمَرْحَبٍ  
وَلَوْ بَلَغْتَنِي عَنْكَ أَدْنَى أَقْمَتِهَا لَدَيَّ مَقَامَ الْكَاشِحِ الْمُتَكَدِّبِ  
آخِرُ : أَنْتَلُبُ صَاحِبًا لَا عَيْبَ فِيهِ وَأَيُّ النَّاسِ لَيْسَ لَهُ عَيْبٌ  
آخِرُ : وَلَسْتَ بِمُسْتَبْتِقٍ أَخًا لَا تَلْمُهُ عَلَى شَعَثِ أَيُّ الرَّجَالِ الْمُهَذَّبِ  
السَّابِعُ : مِنْ أَسْبَابِ الْحِلْمِ اسْتِكْفَافُ السَّبَابِ وَقَطْعُ السَّبَابِ وَهَذَا يَكُونُ مِنَ الْحَزْمِ وَجَوَدَةِ

العقل وبما ينسب للإمام الشافعي رحمه الله :

قَالُوا سَكَتَ وَقَدْ خُوصِمْتَ قُلْتُ لَهُمْ إِنَّ الْجَوَابَ لِبَابِ الشَّرِّ مِفْتَاحُ

فَالصَّمْتُ عَن جَاهِلٍ أَوْ أَحْمَقٍ شَرَفٌ  
أَيضًا وَفِيهِ لَصَوْنُ الْعَرِضِ إِصْلَاحٌ  
أَمَّا تَرَى الْأُسْدَ تُخَشَى وَهِيَ صَامِتَةٌ  
وَالكَلْبُ يَخْشَى لِعَمْرِي وَهُوَ نَبَّاحٌ  
آخِر: إِذَا فَاهَ السَّفِيهُ بِسَبِّ عَرِضِي  
كَرِهْتُ بِأَنْ أَكُونَ لَهُ مُجِيبًا  
يَزِيدُ سَفَاهَةً وَأَزِيدُ حِلْمًا  
كَعُودٍ زَادَهُ الْإِحْرَاقُ طِيًّا  
آخِر: لَنْ يُدْرِكَ الْمَجْدَ أَقْوَامٌ وَإِنْ كُرِمُوا  
حَتَّى يَذِلُّوا وَإِنْ عَزُّوا الْأَقْوَامَ  
وَيَشْتُمُوا فَتَرَى الْأَلْوَانَ كَاسِفَةً  
لَا ذُلٌّ عَجَزٍ وَلَكِنْ ذُلُّ أَحْلَامٍ  
آخِر: مَا صَاحِبُ الْمَرْءِ مَنْ إِنْ زَلَّ عَاقِبُهُ  
بَلْ صَاحِبُ الْمَرْءِ مَنْ يَعْفُو إِذَا قَدِرَا  
فَإِنْ أَرَدْتَ وَصَالًا لَا يُكَدِّرُهُ  
هَجْرٌ فَكُنْ صَافِيًا لِلنَّحْلِ إِنْ كَدِرَا  
آخِر: زَيْنُ أَخَاكَ بِحُسْنٍ وَصَفِكَ فَضْلُهُ  
وَبَيْتٌ مَا يَأْتِي مِنَ الْحَسَنَاتِ  
وَتَجَافَ عَن عَثْرَاتِهِ وَانظُرْ إِلَى  
مَنْ ذَا الَّذِي يَنْجُو مِنَ الْعَثْرَاتِ

وَتَعَرَّضَ رَجُلٌ أَحْمَقٌ لِأَحَدِ الْعُقَلَاءِ الْحُكَمَاءِ وَأَسْمَعَهُ كَلَامًا غَلِيظًا وَأَفْحَشَ فِي الْقَوْلِ فَتَحَلَّمَ  
عَنْهُ وَتَرَكَهُ يُنَوِّعُ سَبَّهُ وَلَمْ يُجِبْهُ بِشَيْءٍ فَقِيلَ لِمَاذَا لَا تُجِبْهُ؟  
فَقَالَ: أَرَأَيْتَ لَوْ عَضَّكَ جِمَارٌ أَوْ رَمَحَكَ أَكُنْتَ تَعُضُّهُ أَوْ تَرْمَحُهُ قَالَ لَا، قَالَ أَرَأَيْتَ لَوْ نَبَحَ  
عَلَيْكَ كَلْبٌ أَوْ عَضَّكَ أَكُنْتَ تَعُضُّهُ أَوْ تَنْبَحُ عَلَيْهِ قَالَ لَا قَالَ فَإِنَّ السَّفِيهَ إِذَا كَانَ كَالْكَلْبِ  
أَوْ كَالجِمَارِ لِأَنَّهُ مَا يَخْلُ مِنْ جَهْلٍ وَأَذَى وَشَرٌّ وَكَثِيرًا مَا يَجْتَمِعَانِ فِيهِ فَالْأَبْعَادُ عَنْهُ غَنِيمَةٌ لِيُحْصَلَ  
عَلَى السَّلَامَةِ مِنْ شَرِّهِ وَأَذَاهُ.

شِعْرًا: كَالثَّوْرِ عَقْلًا وَمِثْلُ التَّيْسِ مَعْرِفَةً  
فَلَا يُفَرِّقُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْفَنَدِ  
الْجَهْلُ شَخْصٌ يُنَادِي فَوْقَ هَامَتِهِ  
لَا تَسْأَلُ الرَّبْعَ مَا فِي الرَّبْعِ مِنْ أَحَدٍ

آخر: زَوَامِلُ لِلْأَسْفَارِ لَا عِلْمَ عِنْدَهُمْ      بِمَكُونِهَا إِلَّا كَعِلْمِ الْأَبَاعِرِ  
 لَعْمُرِكَ مَا يَدْرِي الْبَعِيرُ إِذَا غَدَا      عَلَى ظَهْرِهِ مَا فِي بَطُونِ الْغَرَائِرِ  
 وَالثَّامِنُ : مِنْ أَسْبَابِ الْحُلْمِ الْخَوْفُ مِنَ الْعُقُوبَةِ عَلَى الْجَوَابِ وَهَذَا يَكُونُ مِنْ ضَعْفِ النَّفْسِ  
 وَرُبَّمَا أَوْجَبَهُ الرَّأْيُ السَّدِيدُ وَافْتِنَاؤُهُ الْحُرْمُ .

وَالثَّاسِعُ : مِنْ أَسْبَابِ الْحُلْمِ الرَّعَايَةُ لِيَدِ سَلَفَتْ وَحُرْمَةٌ لَزِمَتْ وَهَذَا يَكُونُ مِنَ الْوَفَاءِ وَحُسْنِ  
 الْعَهْدِ وَقِيلَ فِي مَنْثُورِ الْحَكَمِ أَكْرَمُ الشَّيْمِ أَرْعَاهَا لِلدَّمِ وَالْعَاشِرُ مِنْ أَسْبَابِ الْحُلْمِ الْكَيْدُ وَالْمَكْرُ  
 وَتَوَقُّعِ الْفُرْصِ الْخَفِيَّةِ وَهَذَا يَكُونُ مِنَ الدَّهَاءِ .

يَقُولُ لَكَ الْعَقْلُ الَّذِي زَيْنَ الْفَتَى      إِذَا أَنْتَ لَمْ تَقْوَى عَدُوَّكَ دَارِهِ  
 وَلَا قَهَ بِالْتَّرْحِيبِ وَالْبِشْرِ وَالرِّضَا      وَبَارِكْ لَهُ مَا دُمْتَ تَحْتَ اقْتِدَارِهِ  
 وَقَبْلَ يَدِ الْجَانِي الَّذِي لَسْتَ قَادِرًا      عَلَى قَطْعِهَا وَارْتِقَبْ سُقُوطَ جِدَارِهِ  
 آخِرُ : وَإِذَا عَجَزْتَ عَنِ الْعَدُوِّ فَدَارِهِ      وَامْرَحْ لَهُ إِنَّ الْمِرَاحَ وَفَاقُ  
 فَالْنَارُ بِالْمَاءِ الَّذِي هُوَ ضِدُّهَا      تُعْطِي النَّضَاجَ وَطَبْعُهَا الْإِحْرَاقُ

وَقَدْ قِيلَ فِي مَنْثُورِ الْحَكَمِ مَنْ ظَهَرَ غَضَبُهُ قَلَّ كَيْدُهُ وَقَالَ بَعْضُ الْأَدَبَاءِ غَضَبُ الْجَاهِلِ فِي  
 قَوْلِهِ وَغَضَبُ الْعَاقِلِ فِي فِعْلِهِ وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ إِذَا سَكَتَ عَنِ الْجَاهِلِ فَقَدْ أَوْسَعَتْهُ جَوَابًا  
 وَأَوْجَعَتْهُ عِقَابًا وَقَالَ إِيَّاسُ بْنُ قَتَادَةَ :

( تُعَاقِبُ أَيْدِينَا وَيَحْلَمُ رَأْيُنَا      وَنَشْتُمُ بِالْأَفْعَالِ لَا بِالتَّكْلِمِ )  
 آخر :

تَخَالَهُمْ لِلْحِلْمِ صُمًّا عَنِ الْخَنَا      وَخُرْسًا عَنِ الْفَحْشَاءِ عِنْدَ التَّفَاخُرِ  
 وَمَرْضَى إِذَا الْأَقْوَا حَيَاءً وَعَقْفَةً      وَعِنْدَ الْحِفَاطِ كَاللُّيُوثِ الْكُؤَاسِرِ  
 آخِرُ : لَقَدْ أَسْمَعَ الْقَوْلَ الَّذِي كَادَ كَلَّمَا      تُدَكِّرُنِيهِ النَّفْسِ قَلْبِي يُصَدِّعُ

فَأَبْدِي لِمَنْ أَبَدَاهُ مِنِّي بِشَاشَةً      كَأَنِّي مُسْرُورٌ بِمَا مِنْهُ أَسْمَعُ  
وَمَا ذَاكَ مِنْ عُجْبٍ بِهِ غَيْرَ أَنَّنِي      أَرَى أَنْ تَرَكَ الشَّرَّ لِلشَّرِّ أَقْطَعُ  
آخِر:      وَفِي الْحِلْمِ وَالْإِسْلَامِ لِلْمَرْءِ وَازِعٌ  
بَصَائِرُ يُرْشِدُنَ الْفَتَى مُسْتَبِينَةً      وَأَخْلَاقٌ صِدْقٍ عَلِمَهَا بِالتَّعْلَمِ  
آخِر:      إِذَا اعْتَذَرَ الصَّدِيقُ إِلَيْكَ يَوْمًا  
فَصِنُّهُ عَنِ عِتَابِكَ وَاعْفُ عَنْهُ      مِنْ التَّقْصِيرِ عُذْرٌ فَتَى مُقِرِّ  
آخِر:      تُكْثِرُ مِنْ أَهْلِ الدِّينِ مَا اسْتَطَعْتَ إِنَّهُمْ  
فَمَا بِكَ كَثِيرِ أَلْفِ خَلٍ مُوَفَّقٍ      فَإِنَّ الْعَفْوَ شِيمَةٌ كُلَّ حُرِّ  
آخِر:      إِذَا تَخَلَّفْتَ عَنِ صَدِيقٍ  
فَلَا تَعُدْ بِعَدِّهَا إِلَيْهِ      عِمَادٌ إِذَا اسْتَنْجَدْتَهُمْ وَظُهُورُ  
لِطَاعَةِ رَبِّ الْعَرْشِ تُحْطَى بِقُرْبِهِ  
آخِر:      إِذَا خَلِيلِي لَمْ يُكْثِرْ إِسَاءَتَهُ  
يَجْنِي عَلَيَّ وَأَحْنُو صَافِحًا أَبَدًا      وَلَمْ يُعَاتِبِكَ فِي التَّخَلُّفِ  
فَإِنَّهَا وَدَّهَ تَكْلُفُ  
فَأَيْنَ مَوْضِعُ إِحْسَانِي وَعُفْرَانِي  
لَا شَيْءَ أَحْسَنَ مِنْ حَانَ عَلَيَّ جَانِ

قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ ثَلَاثَةٌ لَا يُعْرَفُونَ إِلَّا فِي ثَلَاثَةِ مَوَاطِنَ لَا يُعْرَفُ الْجَوَادُ إِلَّا فِي الْعُسْرَةِ وَلَا يُعْرَفُ الشُّجَاعُ إِلَّا فِي الْحَرْبِ وَلَا يُعْرَفُ الْحَلِيمُ إِلَّا فِي الْغَضَبِ قَالَ الشَّاعِرُ :

( مَنْ يَدَّعِي الْحِلْمَ أَغْضِبُهُ لِتَعْرِفَهُ      لَا يُعْرَفُ الْحِلْمُ إِلَّا سَاعَةً

وَمَنْ فَقَدَ الْغَضَبَ فِي الْأَشْيَاءِ الْمُغْضِبَةِ حَتَّى اسْتَوَتْ حَالَتَاهُ قَبْلَ الْإِغْضَابِ وَبَعْدَهُ فَقَدَ عَدِمَ مِنْ فَضَائِلِ النَّفْسِ الشُّجَاعَةِ وَالْأَنْفَةِ وَالْحَمِيَّةِ وَالْغَيْرَةِ وَالِدَّفَاعِ وَالْأَخَذَ بِالثَّأْرِ لِأَنَّهَا خِصَالُ مُرَكَّبَةٍ مِنَ الْغَضَبِ فَإِذَا عَدِمَهَا هَانَ بِهَا وَلَمْ يَكُنْ لِبَقَاءِ فَضَائِلِهِ فِي النَّفْسِ قِيَمَةٌ وَلَا لَوْفُورِ حِلْمِهِ مَوْقِعٌ .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ إِذَا كَانَ الْحِلْمُ يُؤَدِّي إِلَى فَسَادٍ بَانَ كَانَ الْمَحْلُومُ عَلَيْهِ

لَيْبِمَا يَزْدَادُ شَرُّهُ مَعَ الْحِلْمِ فَالْجَهْلُ مَعَهُ أَحْسَنُ لِأَنَّهُ يَرُدُّعُهُ عَنِ الشَّرِّ وَالتَّمَادِي فِيهِ .

شِعْرًا: لَئِنْ كَانَ حِلْمٌ عَوْنٌ عَدُوهُ  
وَفِي الْحِلْمِ ضَعْفٌ وَالْعُقُوبَةُ قُوَّةٌ  
آخِر: أَبَا حَسَنِ مَا أَفْبَحَ الْجَهْلُ بِالْفَتَى  
آخِر: وَأَنْزَلِي طُولَ النَّوَى دَارَ غُرْبَةٍ  
فَحَامِقْتُهُ حَتَّى يُقَالَ سَجِيَّةٌ  
آخِر:

تَأَمَّلْتُ الْوَرَى جِيلاً فَجِيلاً  
لَهُمْ صُورَ تَرُوقٍ وَلَا حُلُومًا  
آخِر: إِذَا خَطَبَ الصَّدَاقَةَ مِنْكَ كُفُوءٌ  
فَقَدْ صَدَّاتُ قُلُوبِ النَّاسِ غِشًّا  
آخِر: وَمَا أَنَا بِالتَّكْسِ الدُّنْيَاءِ وَلَا الَّذِي  
وَلَكِنَّهُ إِنْ دَامَ دُمْتَ وَإِنْ يَكُنْ  
لَأَنَّ الْبُودَ وَدُّ تَطَوَّعَتْ  
آخِر: وَلِلدَّهْرِ أَنْوَابٌ فَكُنْ فِي تِيَابِهِ  
فَكُنْ أَكْيَسَ الْكَيْسَى إِذَا كُنْتَ فِيهِمْ

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ الْعَفْوُ يَفْسِدُ مِنَ اللَّئِيمِ بِقَدْرِ إِصْلَاحِهِ مِنَ الْكَرِيمِ وَقَالَ أَبُو الطَّيِّبِ :  
مِنَ الْحِلْمِ أَنْ تَسْتَعْمَلَ الْجَهْلَ دُونَهُ إِذَا اتَّسَعَتْ فِي الْحِلْمِ طُرُقُ الْمَظَالِمِ

فالحكيم يضع كل شيء في المحل اللائق به فلا يعامل الكريم معاملة



اللئيم ولا بالعكس فإن هذا فيه ضرر عظيم ويخل في منصب الشخص ويحط من قدره ويدل على ضعف عقله وأنه لا يحسن أن ينزل الناس منازلهم وَيَقُولُ أبو الطيب في ذلك :

إِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الْكَرِيمَ مَلَكَتَهُ      وَإِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللَّئِيمَ تَمَرَّدَا  
فَوَضِعُ النَّدَا فِي مَوْضِعِ السَّيْفِ بِالْعُلَا      مُضِرٌّ كَوْضِعِ السَّيْفِ فِي مَوْضِعِ النَّدَا  
آخِر: الصَّمْتُ زَيْنٌ وَالسُّكُوتُ سَلَامَةٌ      فَإِذَا انْطَقْتُ فَلَا تَكُنْ مَهْدَارًا  
مَا إِنْ نَدِمْتُ عَلَى سُكُوتِي مَرَّةً      وَلَقَدْ نَدِمْتُ عَلَى الْكَلَامِ مَرَارًا  
وَيَقُولُ الأخر :

وَالْعَفْوُ عِنْدَ لئِيمِ الطَّبَعِ مَفْسَدَةٌ      تُطْغِي وَلَكِنَّهُ عِنْدَ الْكَرِيمِ يَدَا  
وَقَالَ آخِر :

وَلِي فَرَسٌ لِلْحِلْمِ بِالْحِلْمِ مُلْجَمٌ      وَلِي فَرَسٌ لِلْجَهْلِ بِالْجَهْلِ مُسْرَجٌ  
فَمَنْ شَاءَ تَقْوِيمِي فَإِنِّي مُقَوِّمٌ      وَمَنْ شَاءَ تَعْوِيجِي فَإِنِّي مُعَوِّجٌ  
وَمَا كُنْتُ أَرْضَى الْجَهْلَ خِدْنَا      وَلَكِنِّي أَرْضَى بِهِ حِينَ أُخْرَجُ  
وَيَقُولُ الأخر :

إِذَا كُنْتَ بَيْنَ الْحِلْمِ وَالْجَهْلِ نَاشِئًا      وَخَيْرَتَ أَنِّي شِئْتُ فَالْحِلْمُ أَفْضَلُ  
وَلَكِنْ إِذَا أَنْصَفْتَ مَنْ لَيْسَ مُنْصِفًا      وَلَمْ يَرْضَ مِنْكَ الْحِلْمَ فَالْجَهْلُ أَمْثَلُ

ولما ظفر النَّبِيُّ ρ وَهُوَ بِحَمْرَاءِ الأَسَدِ بِأبي عزة الشاعر الَّذِي من عَلَيْهِ النَّبِيُّ ρ يوم بدر وتعهد للنبي ρ أن لا يناصب المسلمين العدا ولا يحرص عَلَيْهِ الأعداء فلم يف بقوله ولم يصدق بوعده بل نقض العهد وخان الميثاق وما أبرم من الاتفاق فأمر عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بقتله فَقَالَ : يا مُحَمَّدُ أَقْلَنِي وامن علي ودعني لبناتي وأعطيك عهداً إلا أعود لمثل ما فعلت فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : (( وَاللَّهِ لا تسمع عارضيك بمكَّةَ وَتَقُولُ خدعت محمداً مرتين لا

يلدغ المؤمن من جحر مرتين أضرب عنقه يا زيد )) . فضرب عنقه . اللهم سلمنا من عذابك  
وآمنا من عقابك واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك . يا أرحم الراحمين وصلى الله  
على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

### ( موعظة )

عباد الله إن مكارم الأخلاق التي هي آداب الإسلام جمال لا يوازنه جمال وحظ الإنسان منها  
يكون بقدر ما تخلق به تلك الأخلاق ولما كان النبي ﷺ متخلقا بجميعها كان أجمل خلق الله  
أجمعين .

وجاء عنه ﷺ أنه قال : (( إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق )) . وجاء في حديث مرسل أن  
رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ما الدين ؟ فقال النبي ﷺ : (( حسن الخلق )) .  
وهذا يدل على أن حسن الخلق ركن الإسلام العظيم الذي هو لا قيام للدين بدونه كالوقوف  
بعرفات بالنسبة للحج فقد جاء عنه ﷺ أنه قال : (( الحج عرفة )) . أي أنه ركن الحج العظيم  
الذي لا يكون الحج إلا به الوقوف بعرفات .

ومما يدل على أن للأخلاق مكانة عظيمة أن المؤمنين يتفاضلون في الإيمان وأن أفضلهم  
فيه أحسنهم خلقاً جاء عن النبي ﷺ في الحديث أنه قال لما قيل له رسول الله أي المؤمنين  
أفضل إيماناً ؟ قال : (( أحسنهم خلقاً )) .

ومن ذلك أن المؤمنين يتفاوتون في الظفر بحب رسول الله ﷺ والقرب منه يوم القيامة وأكثرهم  
ظفراً بحبه والقرب منه الذين حسنت أخلاقهم جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال : (( إن  
أحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً )) .

ومن ذلك أن حسن الخلق أمر لازم وشرط لا بد منه للنجاة من النار والفوز بالجنة وإن  
إهمال هذا الشرط لا يغني عنه الصلاة والصيام جاء في

الحديث أن أحد المسلمين قال لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ : إن فلانة تصوم النَّهَارَ وتُفِئِمُ اللَّيْلَ وهي سيئة الخلق تؤذي جيرانها . قال : (( لا خَيْرَ فِيهَا هِيَ فِي النَّارِ )) .

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو رَبَّهُ بِأَنْ يُحَسِّنَ خُلُقَهُ وَهُوَ أَحْسَنُ النَّاسِ خُلُقاً وَكَانَ يَقُولُ فِي دَعَائِهِ : (( اللَّهُمَّ حَسِّنْ خُلُقِي فَحَسِّنْ خُلُقِي )) . وَيَقُولُ : (( اللَّهُمَّ أَهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ فَإِنَّهُ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ )) . ومعلوم أنه لا يدعو إلا بما يحبه الله ويقره منه .

ومن ذَلِكَ مَدْحُ اللَّهِ تَعَالَى لِلنَّبِيِّ ﷺ بِحَسَنِ الْخُلُقِ فَقَدْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ وَاللَّهُ لَا يَمْدَحُ إِلَّا عَلَى الشَّيْءِ الْعَظِيمِ ، ومن ذَلِكَ كَثْرَةُ آيَاتِ الْقُرْآنِ بِمَوْضِعِ الْأَخْلَاقِ أَمْراً بِالْجَيِّدِ مِنْهَا وَمَدْحاً لِلْمُتَصِفِينَ بِهِ وَمَعَ الْمَدْحِ الثَّوَابِ ، وَنَهياً عَنِ الرَّدِيِّ مِنْهَا وَذَمِّ لِلْمُتَصِفِينَ بِهِ وَمَعَ الذَّمِّ الْعِقَابَ وَلَا شَكَّ أَنَّ كَثْرَةَ آيَاتِ فِي مَوْضِعِ الْأَخْلَاقِ دَلِيلٌ عَلَى أَهْمِيَّتِهَا .

وبالتالي فالإكثار من الأخلاق الفاضلة والإقلال منها يكون جمال الإنسان بنسبة ذلك الإكثار أو الإقلال وكذلك ترك مكارم الأخلاق شين لتاركها كبير وعلي قدر ما تركه شينه عند الكبير منا والصغير فمهما أكثرت أو أقللت من تركها يكون شينك بنسبة ذلك التقدير .

ولذلك أنظر إلى الكفار حيث أنهم تركوها كُلِّهَا ولم يكن عندهم من مكارم الأخلاق شيء تجدهم في قبح الأخلاق عندنا فقط بل عند الله به يمدح الله الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَصِفِينَ بِذَلِكَ ويدخلهم الجنة فأنظر أي نصيب نصيبك من تلك الخلال الحسان لتعرف قدرك وقيمتك عند الله وعند خلقه إن الأمل ليملأ الجوانح على الأخلاق الفاضلة وعلى عُشاقها الفضلاء النبلاء ماتت وماتوا ، أين هي الإخلاص الذين يرون الموت خيراً من حياة الرياء .

أين أهل الصدق الَّذِينَ يرون قطع ألسنتهم أخف عندهم من أن يكذبوا أو يتملقوا أو يداهنوا أو ينافقوا أو ينموا أو يغتابوا أو يتجسسوا على الْمُؤْمِنِينَ ليزجونهم بالسجون .  
 أين الَّذِينَ إذا وعدوا صدقوا وإذا عاهدوا وَفَوْا أين أهل العفو عِنْدَ المقدرة أين أهل العدل والإنصاف .

الذين حلمهم مثل الجبال الراسيات أين الَّذِينَ يلتمسون الكرب لِيُفْرَجُوها ، أين الَّذِينَ يتعدون عن الربا ومعاملية أين الَّذِينَ يعرفون الولاء والبراء ولا يألفون ولا يجالسون إلا أهل الصلاح ويتعدون كُلَّ البعد عن أهل المعاصي من اللوطية والزناة الَّذِينَ يطاردون النساء في السواق وَالَّذِينَ يساكنون الكفار والعياذ بِاللَّهِ .

أين الَّذِينَ يبحثون عن الفقراء الَّذِينَ لا مورد لَهُمْ فينعشونهم بما تيسر من زكاة أو صدقة تطوع دراهم أو طعام أو كسوة . أو يتسببون لَهُمْ في وظائف يكفون بها وجوههم عن النظر لما في أيدي النَّاسِ .

أين الَّذِينَ يودون الزَّكَاةَ مكملة لمن يستحقها لا يحابون بها ويبحثون عن أهل العوائد فإذا وجدوهم غير مستحقين لم يبالوا بِهِمْ ولم يعطوهم لعلمهم أنها لا تبرا ذمهم بِذَلِكَ .

أين الَّذِينَ يبحثون عن الأراامل والأيتام ليجبوا قُلُوبَهُمْ بما من الله عَلَيْهِمْ به ، أين الَّذِينَ يهجون الفسقة والظلمة والمجرمين حتى ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم .

أين الرجل المهذب الَّذِي لا يلتبس في سره ولا في علانيته بحال يستحي من اطلاع العقلاء عَلَيْهِ ولا يعمل عملاً لا يرفعه عِنْدَ الله درجة ولا يَقُولُ قولاً غير مفيد لسامعه فائدة في دينه ولا يُضْمِرُ لعدوه سوءاً إذا سالمه ولا يتخلق إلا بكل خُلق جميل .

أين الَّذِينَ لا يعرفون إلا النصح لِلْمُسْلِمِينَ يبعدون عن الغش كُلَّ البعد ، بعث أبو حنيفة بمتاع إلى شريكه في التجارة حفص بن عبد الرحمن وأعلمه أن في ثوب منه عيباً واستوفى الثمن كاملاً لثوب غير كامل وقيل ثمن المتاع الَّذِي يبيع ثلاثون ألفاً أو خمسة وثلاثون ألفاً فأبى أبو حنيفة إلا أن يبعث لشريكه في التجارة يكلفه أن يبحث عن المشتري ولكن لم يجده بعد البحث عَنْهُ .

فأبى أبو حنيفة إلا انفصلاً من شريكه وتاركا بل أبي أبو حنيفة أن يضيف الثمن إلى حُر ماله وتصدق به كاملاً من شدة الورع .

ويروى أنه كَانَ عِنْدَ يونس بن عبيد حُلل مختلفة الثمان ضَرَبَ قِيَمَةَ كُلِّ حُلَّةٍ مِنْهُ أَرْبَعَمِائَةَ وَضَرَبَ كُلَّ حُلَّةٍ قِيَمَتَهَا مِائَتَانِ فَمَرَّ إِلَى الصَّلَاةِ وَخَلَفَ ابْنَ أَخِيهِ فِي الدَّكَانِ فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ وَطَلَبَ حُلَّةً بِأَرْبَعَمِائَةَ فَعَرَضَ عَلَيْهِ مِنْ حُللِ الْمِائَتَيْنِ فَاسْتَحْسَنَهَا وَرَضِيَهَا وَاشْتَرَاهَا وَمَضَى بِهَا وَهِيَ عَلَى يَدَيْهِ .

فاستقبله يونس فعرف حُلَّتَهُ فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ : بكم اشتريت ؟ فَقَالَ : بِأَرْبَعَمِائَةَ . فَقَالَ : لا تساوي أكثر من مائتين فارجع حتى تردها . فَقَالَ : هذه تساوي في بلدنا خمسمائة وأنا ارتضيتها . فَقَالَ يونس : انصرف فإن النصح في الدين خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا . ثُمَّ رَدَّهُ إِلَى الدَّكَانِ وَرَدَّ عَلَيْهِ مِائَتِي دَرَاهِمٍ وَخَاصِمَ ابْنَ أَخِيهِ فِي ذَلِكَ وَقَالَ : أما استحيت أما اتقيت الله تريح مثل ثمنها وتترك النصح لِلْمُسْلِمِينَ فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا أَخَذَهَا إِلَّا وَهُوَ رَاضٍ بِهَا . قال : فهل رضيت له بما ترضاه لنفسك .

وروي عن مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدَرِ أَنَّ غَلَامَهُ بَاعَ لِأَعْرَابِيٍّ فِي غَيْبَتِهِ مِنَ الْخَمْسِيَّاتِ بَعْشَرَ فَلَمْ يَزَلْ يَطْلُبُ ذَلِكَ الْأَعْرَابِيَّ طَوْلَ النَّهَارِ لِيَرِدَ عَلَيْهِ خَمْسَةَ حَتَّى وَجَدَهُ فَقَالَ لَهُ : إن الغلام قد غلط فباعك ما يساوي خمسةً بعشر .

فَقَالَ : يا هَذَا رَضِيْتُ . فَقَالَ : وإن رضيت فإننا لا نرضى لك إلا ما نرضاه

لأنفسنا . ورد عليه خمسة ومثل هذا كثير يوجد من الورعين الناصحين الذين يحبون لإخوانهم المؤمنين ما يحبون لأنفسهم نسأل الله أن يكثر أمثالهم وأن يقلل الغشاشين السراقين المنافقين الكذابين ، أين الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم .

أين الذين يحنون إلى بيوت الله حنين الألف فارقه الألف .

أين الذين لا يطيب لهم مجلس إلا عند كتاب الله والبحاري ومسلم وسائر الشنن أو ما أخذ منها أو ما هو وسيلة إليها .

أين الذين إذا فاتهم قيام الليل جلسوا ليكون على ما فات .

أين الذين درسوا سيرة المصطفى وأصحابه فكأنهم بينهم يترددون .

أين الذين يتقدمون إلى بيوت الله قبل الوقت ويسبحون ويهللون مات هؤلاء وبليه من أكبر البلا أن نفقد هذا الطراز فهل لك يا أخي أن تسلك سبيل هؤلاء لتكون قدوة ومثلاً للعاملين .

وتفوز برضا رب العالمين فتحظى بالفوز بسكنى جنات النعيم التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر من الحور العين والفواكه وغير ذلك فإن رغبت في ذلك فاجتهد في تحسين عملك الذي هو المهر لذلك .

قال بعضهم :

فَإِنْ كُنْتُ لِلْمَهْرِ الَّذِي عَزَّ قَادِرًا	فَنَافِسْ وَسَابِقْ نَحْوَهَا كُلَّ سَابِقِ
وَإِنْ كُنْتَ مِثْلِي عَاجِزًا فَارْضِ بِالْدُنْيَا	فَبِالدُّونِ يَرْضَى الدُّونُ عِنْدَ الْعَلَائِقِ
رَعَى اللَّهُ مَنْ أَضْحَى وَأَمْسَى مُشْمَرًا	لِنَيْلِ الْمَعَالِي قَاطِعًا كُلَّ عَاقِقِ
إِلَى أَنْ عَلَا فَوْقَ الْمَقَامَاتِ فِي الْعُلَا	وَنَالَ الْمُنَى مِنْ قُرْبِ مَوْلَى الْخَلَائِقِ
آخِر: اعْلَمْ بِأَنَّ طَرِيقَ الْحَقِّ مُنْفَرِدٌ	وَالسَّالِكُونَ طَرِيقَ الْحَقِّ أَفْرَادٌ

لَا يُطَلَّبُونَ وَلَا تُطَلَّبُ مَسَاعِيَهُمْ فَهُمْ عَلَى مَهَلٍ يَمْشُونَ قَصَادُ  
وَالنَّاسُ فِي غَفْلَةٍ عَمَّا لَهُ قَصَدُوا فَجَلُّهُمْ عَنِ طَرِيقِ الْحَقِّ رُقَادُ

اللَّهُمَّ اسلك بنا سبيل عبادك الأبرار ونجنا من عذاب النار وأسكننا الجنة دار القرار وَاغْفِرْ لَنَا  
وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ  
أَجْمَعِينَ .

### ( فَصْلٌ )

اعلمم وفقنا الله وإيَّاك وجميع المسلمين لما يحبه ويرضاه أن الزواج هو أهم مقومات الحياة والمتمم  
للو وظائف الحيوية والحافظ للجامعة البشرية من الانقراض والزوال بإذن الله وأساس لتقدير المرء في الهيئة  
الاجتماعية .

وقوامه وجود الألفة والتحابب والاحترام والتوقير بين الزوجين وبه يحصل التعاون والتعاقد  
والتآلف والتآزر بين الأسر المتناسبة بسبب ما تم بينها من المصاهرة المقربة للبعيد والمحبة للقريب  
والمدينة للأجنبي .

وقد نذب الله إلى الزواج فقال عز من قائل : ﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ  
وَإِمَائِكُمْ ﴾ وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ﴾  
﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾  
﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾ .

ولهذا خاطب النبي ﷺ الشباب يدعوهم إلى الزواج والمبادرة إليه متى كان قادراً على مؤن الزواج  
ونفقاته وكان به توقان إلى النساء حتى لا تنزل به القدم في مهوات المعاصي فتقوده نفسه ويغريه  
شيطانه فيقع فيما لا يحل من الموبقات والذنوب المهلكات فإن للشباب فتوة ونزوة تدفع الشباب إلى  
طاعة شهوته وتقهره على إرضائها بدون أن يبالي بسوء مغبة أو حسنها .

وَكَمْ مِنْ شَابٍ أَغْرَتْهُ شَهْوَتُهُ وَاسْتَعْبَدَتْهُ لَذَّتُهُ فَآتَى نَفْسَهَا مِنَ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي حَظَّهَا وَأَرَوَى مِنَ الْمَوْبِقَاتِ غَلَّتْهَا .

فَكَانَ عَاقِبَةُ ذَلِكَ ضِيَاعَ الثَّرْوَةِ وَالِافْتِقَارَ بَعْدَ الْيَسْرِ وَالْمَالَ الْعَرِيضَ وَالذَّلَّةَ بَعْدَ الْجَاهِ وَالْعِزَّةَ ، وَالضَّعْفَ بَعْدَ الْقُوَّةِ وَالصَّحَّةَ الشَّامِلَةَ وَانْتَابَتْهُ بَعْدَ نِضَارَةِ شِبَابِهِ الْعِلَلُ وَالْأَسْقَامُ وَصَارَ حَلِيفَ الْهَمِّ وَالْغَمِّ وَالسَّهَادِ يَنَامُ عَلَى مِثْلِ شَوْكِ الْقِتَادِ قَدْ أَقْضَى مَضْجَعَهُ وَذَبَلَتْ نَضْرَتُهُ وَتَنَكَّرَتْ لَهُ الْحَيَاةُ بَعْدَ إِقْبَالِهَا وَكَشَرَتْ لَهُ الْأَيَّامُ بَعْدَ ابْتِسَامِهَا أَنْيَابَهَا وَذَلِكَ بِمَا قَدِمَتْ يَدَاهُ .

وَكَانَ أَصْحَابُهُ يَنْفِرُونَ عَنْهُ بَعْدَ مَا كَانَ قَرَّةَ أَعْيُنِهِمْ وَمَوْضِعَ الْغِبْطَةِ وَالسَّرُورِ وَلَقَدْ بَيْنَ الرَّسُولِ ρ حِكْمَةَ الْمُبَادَرَةِ إِلَى الزَّوْجِ بَعْدَ الْقُدْرَةِ وَالِاسْتِطَاعَةِ بِأَنَّهَا تُحْصِنُ الْفَرْجَ عَنِ الْوُقُوعِ فِي الْمَحْرَمَاتِ وَمَلَابِسَةَ مَا يَغْضِبُ فَاطِرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ وَيُزِيْرِي بِالشَّرْفِ وَالْكَرَامَاتِ .

وَإِنْ الْمُبَادَرَةُ تَدْعُو إِلَى الْعَفَةِ وَغَضِّ الْبَصْرِ عَنِ الْمَحْرَمَاتِ أَضْفَ إِلَى ذَلِكَ أَنَّ الْمُبَادَرَةَ فِي الزَّوْجِ تَمْلِكُنَ الْمَرْءَ بِإِذْنِ اللَّهِ إِذَا رَزَقَهُ اللَّهُ أَوْلَادًا مِنْ تَرْبِيَّتِهِمْ وَالْقِيَامِ بِشُؤْنِهِمْ وَإِعْدَادِهِمْ لِمُسْتَقْبَلِ حَيَاتِهِمْ وَجَعَلَهُمْ رِجَالًا صَالِحِينَ مُصْلِحِينَ يَنْفَعُونَ أَنْفُسَهُمْ وَأُمَّتَهُمْ وَيَجْعَلُ مِنْهُمْ عِمَادًا لَهَا وَقُوَّةَ يَرْهَبُ بِهِنَّ جَنَابُهَا وَتَقْوَى شَوْكَتِهَا وَتَحْفِظُ هَيْبَتَهَا وَكَرَامَتِهَا وَيُدْفَعُ مِنْ يَرِيدِ إِذْلَالِهَا وَاسْتِعْبَادِهَا .

تَأْمَلُ فِي حَيَاةِ الْمُنْزُوجِ عِنْدَمَا يَفَاجِئُهُ مَرَضٌ أَوْ تَنْتَابُهُ نَائِبَةٌ وَعِنْدَهُ زَوْجَةٌ صَالِحَةٌ كَيْفَ يَكُونُ مُحَاطًا بِعَظْفِهَا وَقِيَامِهَا بِخِدْمَتِهِ نَائِمًا عَلَى فِرَاشِ الرَّاحَةِ وَتَسْلِيهِ وَتَوْئِنِهِ وَتَقُومِ بِخِدْمَتِهِ وَتَضْمُرُ الْحَيْرَ لَهُ .

وَارْجِعْ بِنَظْرِكَ إِلَى الْعِزْبِ فِي حَالَةِ مَرَضٍ فِي حَالَةِ يَأْسٍ وَقُنُوطٍ وَنَدَمٍ عَلَى مَا فَرَطَ مِنْهُ لِعَدَمِ اقْتِرَابِهِ بِزَوْجَةٍ صَالِحَةٍ وَقَرِينَةٍ نَاصِحَةٍ تَكُونُ لَهُ خَيْرَ مَعِينَةٍ وَأَفْضَلَ مَسَاعِدَةٍ عَلَيَّ نَوَائِبِ الدَّهْرِ وَأَنْكَادِهِ فَقَدْ فَقَدَ الْعِزْبَ الْعَطْفَ وَالرَّافَةَ بِهِ وَالرَّاحَةَ وَالْقِيَامَ بِتَمْرِيضِهِ وَحَوَائِجِهِ الْكَثِيرَةِ فِي أَشَدِّ الْأَوْقَاتِ وَأَحْرَجَهَا وَأَضْيَقَ



الساعات وكانَ في حالته المحزنة كالغريب النائي عن وطنه وأقربائه وأصدقائه يتمنى ويتلهف علي أحد يتصدق عَلَيْهِ بشربة ماء أو نحوها .

وأما الإبطاء عن الزواج حتى يتقدم في العمر صاحبه علي خطر فقد لا يستطيع تربية أولاده لضعف قوته وعجزه عن تحصيل ما به حياتهم وتوفير أسباب السعادة لهم .

وَرُبَّمَا اخترمته المنية فيتركهم كزُغب القطا مهيضي الجناح أيتام لا يقدرّون على التخلص من الأكدار والأنكاد زد على ذلك أن الإبطاء في الزواج يزيد كثرة الفتيات العانسات ويفوت عليهن زمن نضرتهم وجني ثمارهن وليسَ لمن قوة علي دفع الشهوة كالرجال فرما تطغى عليهن ويسلكن طريق الغواية والفساد .

وهناك الطامة الكبرى والمصيبة العظمى من اختلاط الأنساب وانتهاك حرمة الأعراض وتمزيق ثوب الحياء والاستهتار بما يزيل الكرامة ويذل الشرف والعزة ويقضي على الإباء والمروءة والنخوة .

وإنَّ مِمَّا يؤسف له أشد الأسف من انصراف الشباب وإعراضهم عن الزواج إعراضًا تامًا ظنًا مِنْهُمْ أن حياة العزوبة ألد وأهنأ وأهون حملاً وأخف كلفة من الزواج مَعَ أنهم مخطئون في عملهم شاذون في رأيهم ضالون عن طريق الحق تائهون عن جادة الصواب .

لأن التزوج سنة المرسلين والنَّبِيِّ ﷺ يَقُولُ : (( فمن رغب عن سنتي فليسَ مني )) . وكانَ ﷺ يأمر بالبَاءة وينهى عن التبتل نهيًا شديدًا وروي : « لا ضرورة في الإسلام » . والضرورة الَّذِي لم يتزوج .

وَقَالَ أَحْمَدُ : لَيْسَ العزوبة من أمر الإسلام في شيء . وَقَالَ : من دعاك إلى غير التزوج فَقَدْ دعاك إلى غير الإسلام .

وَقَالَ ابن عباس لرجل تزوج : فإن خَيْرَ هذه الأمة أكثرها نساء ولو لم

يكن في الحث على الزواج والنهي عن العزبة إلا قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُم أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴾ لكفى وشفى .

شِعْرًا: وَإِنْ صَافَيْتَ أَوْ خَالَلتَ خَلا  
فِي الرَّحْمَنِ فَاجْعَلْ مَنْ تُؤَاحِي  
وَلَا تَعْدِلْ بِتَقْوَى اللَّهِ شَيْئًا  
وَدَعْ عَنكَ الضَّلَالَةَ وَالتَّرَاحِي  
فَكَيْفَ تَنَالُ فِي الدُّنْيَا سُرُورًا  
وَأَيَّامَ الْحَيَاةِ إِلَى انْسِلَاحِ  
وَإِنَّ سُرُورَهَا فِيمَا عَهَدْنَا  
مَشُوبٌ بِالْبُكَاءِ وَبِالصُّرَاحِ  
فَقَدْ عَمِيَ ابْنُ آدَمَ لَا يَرَاهَا  
عَمَى أَفْضَى إِلَى صَمَمِ الصَّمَاخِ

اللَّهُمَّ وفقنا لصالح الأعمال وأكفنا بجلالك عن حرامك وبفضلك عن سواك إنك على كل شيء قدير وصلى الله على محمد وآله أجمعين .  
( فصل )

وَقَالَ ρ : (( من تزوج فقد استكمل نصف دينه فليتق الله في النصف الباقي )) . رواه الطبراني في الأوسط وَقَالَ ρ : (( من أحب فطرتي فليستن بسنتي ومن سنتي النكاح )) . رواه البيهقي في السنن الكبرى وَقَالَ ρ : (( أيما رجل تزوج في حداثة سنه عج شيطانه يا ويله عضم دينه )) . رواه أبو يعلى في مسنده .

وَقَالَ ρ : (( ثلاثة حق على الله عونهم المحاهد في سبيل الله ، والمكاتب الذي يريد الأداء ، والناكح الذي يريد العفاف )) . رواه الترمذي والنسائي وغيرهما بإسناد صحيح .

وَقَالَ ρ لعكاف بن وداعة الهلالي : (( ألك زوجة يا عكاف )) ؟ قال : لا . قال : (( ولا جارية )) ؟ قال : ولا جارية . قال : (( وأنت مؤسرٌ بخير )) ؟ قال : وأنا مؤسرٌ بخير . قال : (( أنت إذا من إخوان الشياطين لو كنت من النصارى كنت من رهبانهم إن سنتنا شراركم غزابكم وأرذل موتاكم غزابكم أبا الشيطان تمسون؟! ما للشيطان سلاحٌ أبلغ في الصالحين من النساء إلا المتزوجون أولئك المطهرون المبرؤن من الخنا ويحك يا عكاف إنهن صواحب أيوب وداود ويوسف وكُرفس )) .

قال له بشر بن عطية : من كُفِّسُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قال : (( رجل يعبد الله بساحل من سواحل البحر ثلاثمائة عام يصوم النَّهَارَ ويقوم الليل ثُمَّ إنه كفر بالله بسبب امرأة عشقها وترك ما كَانَ عَلَيْهِ من عبادة ثُمَّ استدركه الله ببعض ما كَانَ منه فتاب عَلَيْهِ ويحك يا عكاف تزوج وإلا فَأَنْتَ من المدبرين )) . قال : زوجني يَا رَسُولَ اللَّهِ . قال : (( زوجتك كريمة بنت كلثوم الحميري )) . رواه أَحْمَدُ وَأَبُو يَعْلَى فِي مسنده .

وَكَانَ ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ : لو لم يبق من عمري إلا عشرة أيام أحببت أن أتزوج حتى لا ألقى الله عزبًا وتزوج الإمام أَحْمَدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي اليَوْمِ الثاني من وفاة امرأته وَقَالَ : أكره أن أبيت عزبًا وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ : (( ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله عَزَّ وَجَلَّ خيرًا له من زوجة صالحة إن أمرها أطاعته وإن نظر إليها سرتة وإن أقسم عَلَيْهَا برته وإن غاب عَنْهَا نصحته فِي نفسها وماله )) . رواه ابن ماجة .

وَقَالَ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إني لأُكْرِهُ نفسي على الجماع رجاء أن يخرج الله نسمة تُسَبِّحُه وتُذَكِّرُه وَقَالَ ρ : (( دعوا الحسناء العاقر وتزوجوا السوداء الولود فإني أكاثر بكم الأمم يوم القيامة )) . رواه الطبراني والأمر للندب .

وَقَالَ عمر : تكثروا من العيال فإنكم لا تدرون بمن ترزقون وَقَالَ ρ : (( تزوجوا الودود الولود فإني مُكاثر بكم الأمم )) . رواه ابن ماجة والنسائي وَقَالَ ρ : (( لا تُطلق النساء إلا من ربية إن الله تَعَالَى لا يحب الذواقين ولا الذواقات )) . والذواق الكثير النكاح والطلاق من دون عُذر شرعي والذواق التي كُلُّ من أخذها تتسبب لفراقه لأجل التزوج بغيره هَذَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ معناهما .

ومن الأسباب الرئيسية لتوقف كثير من الشباب عن الزواج ثقل المهور

والتبذير السخيف في الطرق التي غير شرعية وسبب ذلك موافقة سُحفاء العقول في تصرفاتهم .

فالعاقل إذا جاءه من يرضى دينه وعقله ما يغتر بالزخارف وينخدع بالبهارج الكاذبة ويجذو حذاء المسرفين بل ينقاد لعقله الراجح ودينه الحق وتعاليمه السامية ويرضى بالميسور إذا كان له السلطة التامة علي أهله ، وإن كان من المستضعفين فيحاول بالتي هي أحسن فإن عجز فليس له والله إلا الصبر والرّضا بما قدره الله وقضاه في هذا الزمن الذي انخط أهله وسيطرت فيه النساء على الرجال وصار الأكثر من الرجال عند أهليهم وأولادهم بمنزلة الخادم الحقير ومع ذلك فهو حارس وخادمٌ محقورٌ ومحامي للأموال التي ستؤول إليهم ولا شكر منهم ولا ثناء . والله المُستعانُ وعليه التكلان .

اللَّهُمَّ اجعلنا ممن يأخذ الكتاب باليمين ، واجعلنا يوم الفزع الأكبر آمنين ، وأوصلنا برحمتك وكرمك إلى جنات النعيم ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين ، برحمتك يا أرحم الراحمين ، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

( فَصْلٌ )

### وإليك قصة سعيد بن المسيب رحمه الله

قال أبو وداعة : كنت أجالس سعيد بن المسيب ففقدني أياماً فلما جئته قال : أين كنت ؟  
 قلتُ : توفيت زوجتي فاشتغلت بها . فقال : هلا أخبرتنا فشهدناها فلما أردت أن أقوم قال :  
 هل أحدثت امرأة غيرها ؟ فقلتُ : برحمتك الله ومن

يزوجني وما أملك إلا درهين أو ثلاثة . قال : إن فعلت تفعل ؟ قُلْتُ : نعم ثُمَّ حمد الله وصلى على النَّبِيِّ ﷺ وزوجني ابنته على درهين .

وفي مساء ذلك اليوم إذا بالبَّاب يُقرع فقلْتُ : من هذا ؟ فقَالَ : سعيد ففكرت في كُلِّ إنسان أعرفه اسمه سعيد إلا سعيد بن المسيب فإنه لم ير مُنذُ أربعين سنة إلا ما بين بيته والمسجد فقامت وفتحت البَّاب وإذا سعيد بن المسيب فظننت أنه بدا له فقلْتُ : فما تأمرني ؟ قال : رأيتك رجلاً عزباً فكرهت أن تبيت اللَّيْلَةَ وحدك وهذه زوجتك فإذا هي قائمة خلفه في طوله ثُمَّ دفعها ورد البَّاب . فالله دره من عالم .

اسمَع يا من سول له الشيطان وأملى له فأحدث بدعاً بيوتاً للأعراس صادم بها الأُمر بتخفيف الصداق والحث على تكثير الأمة نسأل الله العافية وهذه البيوت تُؤجر بإجارات باهضة فيما يبلغنا يعجز الفقير عن تحصيل أجرتها فضلاً عن الصداق الَّذِي سيدفعه وقد بلغنا أن أجرتها ثلاثة آلاف أو أربعة نسأل الله السلامة والعافية ممَّا بُلي به من أحدثوها أو ساعدوا على إحداثها أو استأجروها فشجعوا من أحثوها كم عرقلن عن الزواج من فقراء متعنفين نسأل الله الحي القيوم العلي العظيم أن يوفق ولات الأُمر لإزالتها اللَّهُمَّ صلي على مُحَمَّد وآله وسلم . فحذر يا مَنْ منَّ الله عَلَيْهِ بعدم إحداثها أو المِشَارَكَة فيها أو الإعانة عَلَيْهَا بقول أو فعل وأكثر من قول الحمد لله الَّذِي عافانا ممَّا ابتلوا به وانصح عَنْهَا من يقبل منك من أقارب وأصحاب وأحَدَر الحضور فيها فتكون ممن يشجع على البدعة المحرمة .

وثقل المهور ينشأ عَنْهُ التزوج بالأجنبيات وهذا من أكبر الأضرار على الأمة ومن أعظم الأسباب لكساد بنات الوكن لأنه يكسد واحدة ويأتي بأخرى تحمله في كُلِّ زيارة مهراً جديداً ويعد أن تتفق الطباع بينهما وإن حصل أولاد ثُمَّ فراق فأعظم به من ضرر .

وأكثر من يتزوج بالأجنبيات الأغبياء قصار النظر الذين لا يحسبون للمستقبل حساباً ولا يفكرون ولا يفرضون ويقدرّون أهل ظواهر فقط عقولهم ضعيفة ونظرهم قاصر .

وَالنَّاسُ أَكْثَرُهُمْ فَأَهْلُ ظَوَاهِرٍ  
تَبَدُّو لَهُمْ لَيْسُوا بِأَهْلٍ مَعَانِي  
فَهُمُ الْقُشُورُ وَالْقُشُورِ قِوَامُهُمْ  
وَاللُّبُّ مِنْهُ خُلَاصَةُ الْإِنْسَانِ

ثمّ اعلم أن الغالب في الأجنبيةات السفور الاستهانة بالأزواج وكثرة الخُروج واستطالة اللسان على الزوج وضعف الدين أو عدمه والغلظة على الأولاد وتكليف الزوج بالمصاريف الباهضة حتى تجلسه على بساط الفقر هَذَا في الغالب ولهذا نسمع أن بعض الذين اغتروا وتزوجوا بهن يئنون ويتمنون الخلاص وهيئات الخلاص بعد ما امتلأ البيت من الأولاد البنات ولذلك تجدهم يتضجرون ويتشكون بعدما تورطوا .

وكم من إنسان اضطر إلى مصادقة زوجته لأجل الأولاد وبالعكس فكم من زوجة اضطرت إلى مجاملة زوجها والصبر على جوره أولادها قال بعضهم وأظنه ممن ابتلي بزوجة يبغضها ولكنه مضطر إلى المجاملة والصدقة .

وَإِنِّي لَمُشْتَاقٌ إِلَى مَوْتِ زَوْجَتِي  
وَلَكِنْ قَرِينُ السُّوءِ بَاقٍ مُعَمَّرُ  
فِيَا لَيْتَهَا فِي الْقَبْرِ أَمَسَتْ ضَاجِعَةً  
يُعَذِّبُهَا فِيهِ نَكِيرٌ وَمُنْكَرُ

وكم من زعيم اضطر إلى مصادقة زعيم وكم من مرؤوس اضطر إلى مصادقة رئيس وصبر على النكد والضّرر وهذا من أثقل ما يكون على

التُّفُوسُ قَالَ الْمُنْتَبِي :

وَمِنْ نَكْدِ الدُّنْيَا عَلَى الْحُرِّ أَنْ يَرَى  
عَدُوًّا لَهُ مَا مِنْ صَدَاقَتِهِ بُدُّ  
آخر : محذراً عمن لا تصلح وحاتاً على التي تصلح :  
وَأَيَّاكَ يَا هَذَا وَرَوْضَةَ دِمْنَةٍ  
سَتَرْجِعُ عَنْ قُرْبِ إِلَى أَصْلِهَا الرِّدِّي  
وَحَيْرُ النِّسَاءِ مَنْ سَرَّتْ الزَّوْجَ مَنْظَرًا  
وَمَنْ حَفِظَتْهُ فِي مَغِيبٍ وَمَشَاهِدِ  
قَصِيرَةٌ أَلْفَاظٍ قَصِيرَةٌ بَيْتِهَا  
قَصِيرَةٌ طَرْفِ الْعَيْنِ عَنْ كُلِّ أَبْعَدِ  
حَسِيْبَةٌ أَصْلٍ مِنْ كِرَامٍ تَفُزُ إِذَا  
بُوْلِدِ كِرَامٍ وَالْبَكَارَةَ فَاقْصُدِ  
وَوَاحِدَةٌ أَدْنَى إِلَى الْعَدْلِ فَاقْتَبِعِ  
وَإِنْ شِئْتَ فَابْلُغِ أَرْبَعًا لَا تَزِيدِ

اللَّهُمَّ اجعلنا من أهل الصلاح والنجاح والفلاح ومن المؤيدين بنصرك وتأيدك ورضاك يا رب العالمين .

( اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ) .

يا ودود يا ذا العرش المجيد يا مبدئ يا معيد يا فعال لما تريد نسألك بنور وجهك الذي ملأ أركان عرشك وبقدرتك التي قدرت بها على جميع خلقك وبرحمتك التي وسعت كل شيء لا إله إلا أنت أن تغفر ذنوبنا وسيئاتنا وأن تبدلها لنا بحسنات إنك جواد كريم رؤوف رحيم .

اللَّهُمَّ افتح لدعائنا باب القبول والإجابة واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين برحمتك يا  
أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

( فَصْلٌ )

ثُمَّ اعْلَمْ وفقني الله وَإِيَّاكَ وَجَمِيعَ المسلمين أنه يسن لمن أراد النكاح أن يتخَيَّرَ ذات الدين  
لحديث أَبِي هُرَيْرَةَ مرفوعاً : (( تُنكح المرأة لأربع لمالها ولجمالها ولحسبها ولدينها فاظفر بذات  
الدين تربت يداك )) . متفق عَلَيْهِ . وأن تَكُون ذات عقل لا حمقى جاهلة لأن النكاح يراد  
للعشرة الحسنة ولا تصلح العشرة مَعَ الحمقاء ولا يطيب معها عيش وَرُبَّمَا تعدى ذَلِكَ إلى ولدها  
وقَدْ قيل : اجتنبوا الحمقاء فإن ولدها ضياع وصحبتها بلاء ولا ينفع فيها العلاج . وقديماً  
قيل :

لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ يُسْتَطَبُ بِهِ      إِلَّا الْحَمَاقَةَ أَعْيَتْ مَنْ يُدَاوِيهَا  
آخِر: إِنَّ الرِّجَالَ إِذَا لَمْ يَحْمِهَا رَشْدٌ      مِثْلُ النِّسَاءِ عَرَاهَا الخُلْفُ وَالخُلْفُ  
أَلَّا تَرَى جَمْعَ مَا لَا عَقْلَ يُسْنِدُهُ      جَمْعَ المُونِثِ زَيْدَ التَّاءِ وَالْأَلْفِ

وأن تَكُون الزوجة من بيت معروف بالقناعة لأنه مظنة دينها وقناعتها ويستحب أن تَكُون  
جميلة لأنه أسكن لنفسه وأغض لبصره وأكمل لمودته ولذلك جاز النظر إليها قبل النكاح .  
وعن المغيرة بن شعبة أنه خطب امرأة فَقَالَ له النَّبِيُّ ﷺ : (( انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم  
بينكما )) . رواه الخمسة إلا أبو داود وعن جابر قال : سمعت رسول الله ﷺ : يَقُولُ : (( إذا  
خطب أحدكم المرأة فَقَدِرْ أن يرى منها بعض ما يدعو إلى نكاحها فليفعل )) . رواه أحمد  
وأبو داود .

وعن موسى بن عبد الله عن أبي حميد أو حميدة قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (( إذا خطب  
أحدكم امرأة فلا جناح عَلَيْهِ أن ينظر منها إذا كَانَ إنما ينظر إليها



لخطبة وإن كانت لا تعلم )) . رواه أحمد .

وعن محمد بن مسلمة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (( إذا ألقى الله عز وجل في قلب امرئ خطبة امرأة فلا بأس أن ينظر إليها )) . رواه أحمد وابن ماجه .  
ويشترط أن يكون نظره إليها بلا خلوة لحديث : (( لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم )) . فإن لم يتيسر له النظر إليها بعث امرأة ثقة تتأملها له وتصفها لأنه ﷺ بعث أم سليم إلى امرأة وقال : (( انظري عرقوبها وشمي عوارضها )) . رواه الحاكم وصححه والعرقوب إذا لم يكن طويلاً فهو أحسن بأن يكون مساوي للساق ، وكانوا يذمون التي عرقوبها طويل بعضهم وهؤ من المتناقلين للصيام .

أُنْبِتُ أَنْ فَتَاةً كُنْتُ أَخْطُبُهَا

عُرْقُوبُهَا مِثْلُ شَهْرِ الصَّوْمِ بِالطُّولِ

والعوارض الأسنان التي في عرض الفم وهي ما بين الثنايا والأضراس وذلك لاختبار النكهة فإن لم تعجبه سكت ولا يقول إلا خيراً لا يقول : لا أريدها . لأن في ذلك إيذاء .  
ولحديث أبي هريرة قال : قيل يا رسول الله أي النساء خير ؟ قال : (( التي تسره إذا نظر إليها وتطيعه إذا أمرها ولا تخالفه في نفسها ولا في ماله بما يكره )) . رواه أحمد والنسائي وعن يحيى بن جعدة أن رسول الله ﷺ قال : (( خير فائدة أفادها المرء المسلم بعد إسلامه امرأة جميلة إذا نظر إليها تسره وتطيعه إذا أمرها وتحفظه في غيبته في ماله ونفسها )) . رواه سعيد .

شِعْرًا : وَمَنْ سَعِدَ حَظُّ الْمَرْءِ وَجَدَانَ زَوْجَةٍ      تَطِيبُ بِهَا هَذِي الْحَيَاةُ وَتَعَذُّبُ  
آخِر : لِكُلِّ أَبِي بِنْتٍ يُرْجَى بَقَاءَهَا      ثَلَاثَةُ أَصْهَارٍ إِذَا ذُكِرَ الْمَهْرُ  
فَبِئْتُ يُعْطِيهَا وَزَوْجَ يَصُونُهَا      وَقَبْرُ يُوَارِيهَا وَخَيْرُهُمَا الْقَبْرُ

آخر: وَزَادَنِي رَغْبَةً فِي الْعَيْشِ مَعْرِفَتِي  
 ذَلَّ الْيَتِيمَةَ يَجْفُوهَا ذُورُ الرَّحِمِ  
 أَحَاذِرُ الْفَقْرَ يَوْمًا أَنْ يُلِمَّ بِهَا  
 فَيَهْتِكُ السِّتْرَ عَنْ لَحْمٍ عَلَى وَضَمٍ  
 تَهْوَى حَيَاتِي وَأَهْوَى مَوْتَهَا شَفَقًا  
 وَالْمَوْتُ أَكْرَمُ نَزَالٍ عَلَى الْحُرْمِ  
 أَخْشَى فِظَاظَةَ عَمٍّ أَوْ جَفَاءَ أَخٍ  
 وَكُنْتُ أَبْقَى عَلَيْهَا مِنْ أَدَى الْكَلِمِ

وإن نظر إليها وأحبها وتعلقت بنفسه وهي ذات دين ولو لم تكن جميلة فقد لا يجب

الجميلة فالأحسن أن يتزوج بمن يجب فإنه أحرى أن يؤدم بينهما

شعرًا: يَا ابْنَتِي إِنْ أَرَدْتِ آيَةً حُسْنٍ  
 وَجَمًّا إِلَّا يَزِينُ جِسْمًا وَعَقْلًا  
 فَانْبِذِي عَادَةَ التَّبْرِجِ نَبْذًا  
 فَجَمَالَ النَّفْسِ أَسْمَى وَأَعْلًا  
 يَصْنَعُ الصَّانِعُونَ وَرَدًّا وَلَكِنْ  
 وَرَدَةَ الرَّوْضِ لَا تُضَارِعُ شِكْلًا  
 آخر: لَا تَطْلُبِ الْحُسْنَ إِنْ الْحُسْنَ آفَتْهُ  
 أَنْ لَا يَزَالَ طَوَالَ الدَّهْرِ مَطْلُوبًا  
 وَلَنْ تُصَادِفَ يَوْمًا لَوْلَا حَسَنًا  
 بَيْنَ اللَّالِي إِلا كَانَ مَثْقُوبًا

وشاور رجل رجلاً في النكاح فقال: إياك والجمال الفائت فإن الشاعر قال:

وَلَنْ تُصَادِفَ مَرَعَى مُونِقًا أَبَدًا  
 إِلَّا وَجَدْتَ بِهِ آثَارَ مَا أَكُولِ  
 آخر: لَا تَرَكْنِي إِلَى ذِي مَنْظَرٍ حَسَنِ  
 فَرُبَّ رَائِقَةٍ قَدْ سَاءَ مَخْبَرُهَا  
 مَا كَلُّ أَصْفَرَ دِينَارًا لِصُفْرَتِهِ  
 صُفْرُ الْعَقَارِبِ أَرْدَاهَا وَأُنْكَرُهَا  
 آخر: وَرُبَّ مَلِيحٍ لَا يُحِبُّ وَضِدَّهُ

يُقْبَلُ مِنْهُ الْعَيْنُ وَالْأَنْفُ وَالْفَمُ

هُوَ الْجَدُّ خُذْهُ إِنْ أَرَدْتَ مُسَلِّمًا

وَلَا تَطْلُبِ التَّعْلِيلَ فَالْأَمْرُ مُبْتَهَمٌ

آخر: لِكُلِّ سَاقِطَةٍ فِي الْحَيِّ لِاقِطَةٍ  
 وَكُلِّ بَائِرَةٍ يَوْمًا لَهَا سُوقٌ  
 آخر: تَقُولُ مَنْ لِلْعَمَى بِالْحُسْنِ قُلْتُ لَهَا  
 كَفَى عَنِ اللَّهِ تَصْدِيقَهُ الْخَبْرُ

الْقَلْبُ يُدْرِكُ مَا لَا عَيْنَ تُدْرِكُهُ وَالْحُسْنَ مَا اسْتَحْسَنَتْهُ النَّفْسُ لَا وَيَقُولُ الْآخَرُ :

وَعَيَّرَنِي الْأَعْدَاءَ وَالْعَيْبُ فِيهِمُوا وَلَيْسَ بَعِيْبٍ أَنْ يُقَالَ ضَرِيْرُ  
رَأَيْتُ الْعَمَى أَجْرًا وَذُخْرًا وَعِصْمَةً وَإِنِّي إِلَى تِلْكَ الثَّلَاثِ فَقِيْرُ  
إِذَا أَبْصَرَ الْمَرْءُ الْمُرُوَّةَ وَالتَّقَى فَإِنَّ عَمَى الْعَيْنَيْنِ لَيْسَ يَضِيْرُ  
آخِرُ: إِنَّ الْمَلِيْحَةَ مَنْ تَزَيْنَ حُلِيِّهَا لَا مَنْ غَدَتَ بِحُلِيِّهَا تَتَزَيْنُ  
آخِرُ: وَمَا الْحُبُّ مِنْ حُسْنٍ وَلَا مِنْ مَلَاْحَةٍ

وَلَكِنَّهُ شَيْءٌ بِهِ الرُّوْحُ تُكَلِّفُ

آخِرُ: كَلَّفْتُ بِهَا شَمَطَاءَ شَابٍ وَلِيْدَهَا

وَلِلنَّاسِ فِيْمَا يَعْشَقُونَ مَذَاهِبُ

آخِرُ: لِكُلِّ سَاقِطَةٍ فِي الْحَيِّ لَاقِطَةٌ وَكُلُّ بَائِرَةٍ يَوْمًا لَهَا سُوقٌ  
آخِرُ: فَكُمْ فِي الْعُرْسِ أَبْهَى مِنْ عُرُوسٍ وَلَكِنْ لِلْعُرُوسِ اللهُ سَاعِدٌ

ويُسن أن تكون ولوْدًا لحديث أنس كان رسول الله ﷺ يقولُ : « تزوجوا الودود الولود فياني مكاتر بكم الأمم يوم القيامة » رواه سعيد .

ويعرف كون البكر ولوْدًا بكونها من نساء يعرفن بكثرة الأولاد فإذا كانت أمها وأختها وخالتها وعمتها والقريبات من النساء ولوْدَاتٍ فالغالب والعلم لله أنها تكون مثلهن ويعد أن تكون بخلاف ذلك .

وليحذر الإنسان من خضراء الدمن ففي الحديث الذي رواه الدارقطني في الأفراد والعسكري في الأمثال : « إياكم وخضراء الدمن » . قالوا : وما خضراء الدمن يا رسول الله ؟ قال : « المرأة الجميلة من المنبت السوء » . قال ابن الجوزي : ينبغي للعاقل أن ينظر في الأصول فيمن يخالطه ويعاشره ويشاركة ويصادقه ويزوجه أو يتزوج إليه ثم ينظر بعد ذلك في الصور .  
قال : أما الأصول فإن الشيء يرجع إلى أصله وبعيد ممن لا أصل له أن

يكون فيه معني حسن فإن المرأة الحسنة إذا كانت من بيت رديء فقل أن تكون أمينة وكذا  
أيضاً المخالط والصديق والمباضع والمعاشر وإياك أن تخالط إلا من له أصل يخاف عليه الدنس  
فالغالب السلامة وإن وقع خلاف ذلك كان نادراً . أ . هـ .  
وقال ابن القيم :

يَا مُطْلِقَ الطَّرْفِ الْمُعَذِّبِ بِالْأُولَى

جُرِّدْنَ عَن حُسْنٍ وَعَن إِحْسَانِ

لَا تَسْبِيْنَكَ صُورَةٌ مِّنْ تَحْتَهَا الدَّ

اءُ الـدَّفِينُ تَبُوءُ بِالْحُسْنِ رَانَ

قُبْحَتْ خَلَاتُهَا وَقُبِّحَ فِعْلُهَا

شَاطِئَانَةٌ فِي صُورَةِ الْإِنْسَانِ

تَنْقَادُ لِلْأَنْذَالِ وَالْأَذَالِ هُمُ

أَكْفَاؤُهَا مِمَّنْ دُونَ ذِي الْإِحْسَانِ

مَا تَمَّ مِنْ دِينٍ وَلَا عَقْلِ وَلَا

خُلُقٍ وَلَا خَوْفٍ مِمَّنِ الرَّحْمَنِ

وَجَمَالُهَا زُورٌ وَمَصْنُوعٌ فَإِنْ

تَرَكْتَهُ لَمْ تَطْمَخْ لَهَا قَطُّ يَدَانِ

إِنْ قَصَرَ السَّاعِي عَلَيْهَا سَاعَةٌ

قَالَتْ وَهَلْ أَوْلَيْتَ مِنْ إِحْسَانِ

أَوْ رَامَ تَقْوِيْمًا لَهَا اسْتَعَصَتْ وَلَمْ

تَقْبَلْ سِوَى التَّغْوِيْحِ وَالنُّقْصَانِ

أَفْكَارُهَا فِي الْمَكْرِ وَالْكَيْدِ الَّذِي  
 قَدْ حَارَ فِيهِ فِكْرَةُ الْإِنْسَانِ  
 فَجَمَالَهَا قِشْرُ رَقِيقٍ تَحْتَهُ  
 مَا شِئْتَ مِنْ عَيْبٍ وَمِنْ نُقْصَانِ  
 نَقْدُ رَدِيءٍ فَوْقَهُ مِنْ فَضْلةٍ  
 شَيْءٌ يَظُنُّ بِهِ مِنَ الْأَثْمَانِ  
 فَالْتَأَقِدُونَ يَرُونَ مَاذَا تَحْتَهُ  
 وَالنَّاسُ أَكْثَرُهُمْ مِنَ الْعُمَيَّانِ  
 أَمَا جَمِيلَاتُ الْوُجُوهِ فَخَائِنَا  
 تٌ بُعُودُهُنَّ وَهُنَّ لِلْأَخْرَدَانِ  
 وَالْحَافِظَاتُ الْعَيْبِ مِنْهُنَّ الَّتِي  
 قَدْ أَصْـبَحَتْ فَرْدًا مِنَ النَّسْوَانِ

اللَّهُمَّ وفقنا توفيقاً يقينا عن معاصيك وأرشدنا إلى السعي فيما يرضيك وأجرنا يا مولانا من خزيك وعذابك وهب لنا ما وهبته لأوليائك وأحبابك وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

( موعظة )

عباد الله كَانَ تعدد الزوجات عادة شائعة في الْعَرَبِ فَإِنَّهُمْ لم يكونوا يتقيدون فيه بعدد ولا يراعون عدلاً بين الزوجات فَكَانَ ذَلِكَ مِمَّا أَصْلَحَهُ الْإِسْلَامُ فلم يمنعه منعاً باتاً لما في ذَلِكَ من الحرج ولم يتركه فوضى كما كَانَ بل أباحه إلى أربع وشرط للحل شرطاً وثيقاً وَهُوَ العدل بين الزوجات في المعاملة .  
 قال الله تَعَالَى : ﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ حِفْظُهُمْ إِلَّا تَعَدَّلُوا فَوَاحِدَةً ﴾ فتراه قَدْ شرط إباحة تعدد الزوجات بالعدل كما

جعل مجرد خوف الجور والظلم سبباً كافياً في تحريم التعدد فمن لم يأنس من نفسه أن يقوم بالقسط بين الزوجات لا يتاح له التعدد ويجب عليه الاقتصار على واحدة .

نعم الأصل في التزوج التوحد فيه يتم السكن لكل من الزوجين إلى الآخر ويستقيم أمرهما ويهنأ عيشهما وتسعد أولادهما بإذن الله ولكن قد تدعو الحاجة أو الضرورة إلى التعدد وتقتضيه المصلحة لمسائل كثيرة كما إذا لم ترغب أم أولاده في مضاجعته والاتصال به وكما لو كان بها مرض لا يرجى بُرؤه أو مات أولادها ووقفت عن الحمل أو يكون به شبق ولا يكتفي بواحدة لما يتعرضها من حيض أو استحاضة أو نفاس أو نحو ذلك .

فإذا تزوج أكثر من واحدة وجب عليه العدل بين زوجاته فبييت عند إحداهن كما بييت عند الأخرى وكذلك يفعل في المطعم والمسكن والملبس وسائر أنواع النفقة إن كن في الغنى متساويات وإن لم تفعل ذلك وجرت مع إحداهما فأنت في عداد الظالمين .

ولا تظن الأمر في هذا بسيطاً هيناً لا بل اعلم أنه عظيم من أحل به جاء يوم القيامة وشقه ساقط كما أخبر بذلك الرسول الكريم وهو جزاء يناسب جرمه لأنه أسقط ناحية المظلومة بإخلاله الذميم .

ويا ليت الأمر يقف عند هذا الحد بل وراءه النار دار المذنبين ولذلك معاذ بن جبل الذي أثنى عليه رسول الله ﷺ وقال : « أعلم أمتي بالحلال والحرام كانت عنده امرأتان فإذا كان عند إحداهما لم يشرب من بيت الأخرى الماء » . معناه أنه من ورعه وخوفه من الميل إلى إحداهما إذا كانت النوبة لواحدة وفر يومها وليلتها عليهما فلو مر في يومها في بيت ضررتها وهو عطشان لم يشرب من عندها حتى يأتي بيت التي اليوم يومها .

هذا العدل أصبح عند الناس الذين اختاروا التعدد نادر الوجود يترك

أحدهم زوجته التي لا يحبها مدة طويلة تقاسي من آلام الجور والغيرة وما تقاسي وهو مع المحبوبة أو صاحبة المال ليله ونهاره كأنه لاعن تلك المبعوضة فخرمت عليه أبد الأبدين .  
وتجده إذا دعاه إنسان جعله في ليلة المبعوضة ويومها والمفروض أن يستعمل القرعة وإذا قدم أتى إلى المحبوبة ويختار لها المسكن الطيب وكذلك الصوغ والثياب والطعام والأطياب والفواكه وبوده لو استراح وطلق المبعوضة ولكنه يخشى أن تترك الأولاد وتذهب أو تسحب ما لها عنده من أموال فلها هذا يجاملها مع العداوة والبغض وينطبق عليه قول المتنبي :

وَمِنْ نَكْدِ الدُّنْيَا عَلَى الحُرِّ أَنْ يَرَى عَدُوًّا لَهُ مِنْ صَدَاقَتِهِ بُدًّا

ولكن ليعلم هذا الجائر أن الله جلَّ وَعَلَا له ولأمثاله بالمرصاد وليعلم أن حنين الزوجة إلى زوجها يزيد بعد زواجه عليها أضعافاً مضاعفات وقد كانت قبل زواجه لا تصبر عنه ساعة فكيف تصبر بعد الزواج شهوراً أو سنوات فأطل التفكير في هذا لتعلم كيف تكون العاقبة لعلك تسلك طريق العدل وتبعد عن الجور والجائرين .

ففي الحديث إذا كانت عند الرجل امرأتان فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وشقه ساقط رواه الترمذي وأبو داود وغيرهما .

شِعْرًا: وَمَنْ جَمَعَ الضَّرَاتِ يَطْلُبُ لَذَّةً فَقَدْ بَاتَ بِالْأَضْرَارِ غَيْرَ سَدِيدٍ

اللَّهُمَّ وفقنا للاستقامة والعدل فيما وليتنا عليه اللهم إنا نعوذ بك من دنيا تمنع خير الآخرة ونعوذ بك من حياة تمنع خير الممات ونعوذ بك من أمل يمنع خير العمل ونسألك أن تغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

( فصل )

وينبغي أن يتخير المدينة حسنة السيرة راجحة العقل المحسنة للتدبير وليحذر كل الحذر من الخرقاء والبخيلة فكلاهما ما يفسدانه أكثر مما يصلحانه إن حصل صلاح وفيما قيل قديماً :

وَمَنْ لَمْ يَكُنْ فِي بَيْتِهِ فَهَرْمَانَةٌ      فَذَلِكَ بَيْتٌ لَا أَبَا لَكَ ضَائِعُ  
 إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي مَنْزِلِ الْمَرْءِ حُرَّةً      رَأَى خَلَاً فِيمَا تَوَلَّى الْوَلَائِدُ  
 فَلَا يَتَّخِذُ مِنْهُنَّ حُرّاً قَعِيدَةً      فَهِنَّ لَعَمْرُ اللَّهِ بِئْسَ الْقَعَائِدُ  
 ( وَدُونَكَ بَيْتًا قَدْ تَحَلَّى بِهِ النَّهْيُ      كَمَا يَتَحَلَّى مَعْصَمٌ بِسِوَارِهِ )  
 ( إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي مَنْزِلِ الْمَرْءِ حُرَّةً      تُدَبِّرُهُ ضَاعَتْ مَصَالِحُ دَارِهِ )  
 إِذَا شِئْتَ يَوْمًا تُعْطِي الرِّيحَ عَشِيرَهَا      وَمِنْهُمْ مَنْ تَبَيَّ بِخُسْرِ تَجَارِهَا  
 فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَخْتَرُ لِنَفْسِكَ حُرَّةً      عَلَيْكَ بَيْتِ الْجُودِ خُذْ مِنْ خِيَارِهِ  
 وَإِيَّاكَ وَالْبَيْتَ الدَّنِيَّ فَرِيماً      تُعَارُ بِطُولٍ فِي الزَّمَانِ بَعَارِهِ  
 وَفِيهِنَّ مَنْ تَأْتِي الْفَتَى وَهُوَ مُعْسِرٌ      فَيُصْبِحُ كُلُّ الْخَيْرِ فِي وَسْطِ دَارِهِ  
 وَفِيهِنَّ مَنْ تَأْتِيهِ وَهُوَ مُيَسِّرٌ      فَيُصْبِحُ لَا يَمْلِكُ عَلَيْكَ حِمَارِهِ  
 وَفِيهِنَّ مَنْ لَا بَيِّضَ اللَّهُ وَجْهَهَا      إِذَا غَابَ عَنْهَا الزَّوْجُ طَلَّتْ لِحَارِهِ

وورد أن المرأة الصالحة كالغراب الأعصم وهو أبيض الجناحين فلا يكاد يوجد إلا القليل ومن الصالحات ما في حديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « ألا أخبركم برجالكم في الجنة ؟ قلنا : بلى يا رسول الله . قال النبي ﷺ في الجنة : « ألا أخبركم بنساءكم في الجنة ؟ قلنا : بلى يا رسول الله . قال : « ودود



ولوؤد إذا غضبت أو أسيء إليها أو غضب زوجها قَالَتْ : هذه يدي في يدك لا أكتحل بغمض حتى ترضي » . المعنى أنها ترضيه رواه الطبراني .

وقد ورد ما فيه بشارة عظيمة أجر المرأة الصالحة القانئة ونجاتها فمنها ما رواه الإمام أحمد والطبراني عن عبد الرحمن ابن عوف رضي الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها وأطاعت زوجها قيل لها ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت » .

ونحو هذا في رواية ابن حبان عن أَبِي هُرَيْرَةَ وروى الحاكم وصححه : « أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة » . وَقَالَ ﷺ : « أيما امرأة خرجت من بيتها بغير إذن زوجها كانت في سخط الله حتى ترجع إلى بيتها أو يرضى عنها زوجها » . رواه الخطيب عن أنس ابن مالك .

وَقَالَ ﷺ : « إني لأبغض المرأة تخرج من بيتها تجر ذيلها تشكو زوجها » . رواه الطبراني وَقَالَ ﷺ : « أيهما امرأة وضعت ثيابها في غير بيت زوجها فقد هتكت ستر ما بينها وبين الله عز وجل » . رواه أحمد والحاكم .

وَقَالَ ﷺ : « أيما امرأة نزع ثيابها في غير بيت زوجها حرق الله عز وجل عنها ستره » . رواه أحمد والطبراني والبيهقي والحاكم في مستدركه .

وأن تكون طيبة الأصل حسيبة ليكون الولد بإذن الله نجيباً فإنه أشبه أهلها فاجذبوه بالخلق والخلق وفي الخبر انظر في أي شيء تضع ولدك فإن العرق دساس وَقَالَ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ : « تخيروا لطفكم فإن النساء يلدن أشباه إخوانهن وأخواتهن » . رواه ابن عدي وابن عساكر عن عائشة رضي الله عنها .

وأن تكون بكرًا لما في الصحيحين عن جابر رضي الله عنه : « فهلا بكرًا تلاعبها وتلاعبك » . ولقوله : « فهلا بكرًا تعضها وتعضك » . رواه الطبراني وإسناده صحيح ولقوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « عليكم بالأبكار فإنهن أعذب أفواهاً » .

وأنتق أرحامًا وأرضى باليسير . رواه ابن ماجة وغيره وفي رواية : « عليكم بالأبكار فإنهن أطيب أفواهاً وأنتق أرحامًا وأرضى باليسير من الجماع » .  
ومن فوائد نكاح البكر أنها تحب الزوج الأول وتألفه فإن الطباع مجبولة على حب الأنس بأول مألوف وفي هذا المعنى قيل :

نَقَلْ فُؤَادَكَ مَا اسْتَطَعْتَ مِنَ الْهَوَى	مَا الْحُبُّ إِلَّا لِلْحَبِيبِ الْأَوَّلِ
كَمْ مَنْزِلٍ فِي الْأَرْضِ يَأْلُفُهُ الْفَتَى	وَحَيْنُهُ أَبَدًا لِأَوَّلِ مَنْزِلٍ
آخِر: قَالُوا نَكَحْتَ صَغِيرَةً فَأَجَبْتَهُمْ	أَشْهَى الْمَطِيِّ إِلَيَّ مَا لَمْ يُرَكَبِ
كَمْ بَيْنَ حَبَّةٍ لَوْلُوٍ مَثْقُوبَةٍ	ثَقْبًا وَحَبَّةٍ لَوْلُوٍ لَمْ تُثَقَّبِ
آخِر: إِنَّ الْمَطِيَّةَ لَا يُلَذُّ رُكُوبُهَا	حَتَّى تُذَلَّلَ بِالرُّكُوبِ وَتُرَكَّبَا
وَالدُّرُّ لَيْسَ بِنَافِعٍ أَصْحَابَهُ	مَا لَمْ يُؤَلَّفِ فِي النَّظَامِ وَيُنْقَبَا
آخِر: كَذَبَ الَّذِينَ تَحَدَّثُوا فِي قَوْلِهِمْ	مَا الْحُبُّ إِلَّا لِلْحَبِيبِ الْأَوَّلِ
الْحُبُّ لِلْمَحْبُوبِ سَاعَةً وَصَلِيهِ	مَا الْحُبُّ فِيهِ لِآخِرٍ وَلَا أَوَّلِ
مَا أَنْ أَحْنُ إِلَى خَرَابٍ مُقْفَرٍ	دَرَسْتَ مَعَالِمَهُ كَأَنْ لَمْ يُوهَلِ
مَقْتِي لِمَنْزِلِي الَّذِي اسْتَحَدَّثْتُهُ	أَمَّا الَّذِي وَلَى فَلَيْسَ بِمَنْزِلِ
لَا شَكَّ فِي أَنَّ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا	فَاقَ الْبَرِيَّةَ وَهُوَ خَيْرُ مُرْسَلِ
آخِر: وَالآنَ جَاءَ مِصْدَاقُ هَذَا عِنْدَنَا	تَرَكُوا الْقَدِيمَ لِأَجْنَبِي يَسْكُنُوا
أَتَانِي هَوَاهَا قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ الْهَوَا	فَصَادَفَ قَلْبًا خَالِيًا فَتَمَكَّنَا

ومن أمثلة العُرب ( لا تنسى الشياء أبا عذرها ولا قاتل بكرها ) .

المعنى أنها لا تنسى الذي افتض بكراتها ولا الذي يقتل أول أولادها ولهذا قال بعضهم :  
النساء ثلاث واحدة لك وواحدة عليك وواحدة لا لك ولا عليك .

فأما التي لك فالبكر التي لم تر غيرك إن رأت خيراً حمدت الله وإن رأت غير ذلك  
قالت : هكذا الرجال أجمع .

وأما التي لا لك ولا عليك غالباً فالثيب إن رأت خيراً قالت : هكذا يجمل بي وإن رأت  
شراً حنت إلى الأول ولو أنه مُسيء فيها وهذا إذا كنت أنت زوجها الأول متقاربين في السن  
والكرم والغنا والعفاف وإن كنت دونه سمعت ما يسؤك ويؤملك ورأيت ما يحزنك ويقلقك من  
ذكر زوجها الأول وأفعاله لمراً وهزناً ولهذا قال بعضهم مُحذراً عنها :

وَلَا تَنْكِحَنَّ الدَّهْرَ مَا عِشْتَ أَيَّمَا مُجْرَبَةً قَدْ مَلَّ مِنْهَا وَمَلَّتِ

وقيل لبعضهم قد كرهت امرأتك شيبتك فقال : إنما مالت إلى الإبدال لقلة المال والله لو  
كنت في سن نوح وشيبة إبليس وخلقة منكر ونكير ومعني مال لكنت أحب إليها من مُقتز في  
جمال يوسف وخلق داود وسن عيسى وجود حاتم وحلم أحنف .

آخر: أَعْرُ طَرْفَكَ الْمَرَّاةَ وَأَنْظُرُ فَإِنْ نَبَا بَعَيْنِكَ مِنْهُ الشَّيْبُ فَالْيَبِضُ أَعْدَرُ

إِذَا شَنَأْتُ عَيْنَ الْفَتَى شَيْبَ نَفْسِهِ فَعَيْنُ سِوَاهُ بِالشَّنَاءِ أَجْدَرُ

آخر: يُرِدُنْ ثَرَاءَ الْمَالِ حَيْثُ عَلِمْنَهُ وَشَرَحُ الشَّبَابِ عِنْدَهُنَّ عَجِيبُ

آخر: فَجَعَلْتُ أَطْلُبُ وَصَلَهَا بَتَمَلُّقٍ خَيْرٌ بِأَدْوَاءِ النِّسَاءِ طَيِّبُ

إِذَا شَابَ رَأْسُ الْمَرْءِ أَوْ قَلَّ مَالُهُ فَلَيْسَ لَهُ مِنْ وُدِّهِنَّ نَصِيبُ

يُرِدُنْ ثَرَاءَ الْمَالِ حَيْثُ عَلِمْنَهُ وَشَرَحُ الشَّبَابِ عِنْدَهُنَّ عَجِيبُ

آخر: رَأَيْتِ الْغَوَالِي الشَّبَّ لَاحَ بَعَارِضِي فَأَعْرَضَنَ عَنِّي وَبِالْخُدُودِ النَّوَاطِرِ

وَكُنَّ إِذَا أَبْصَرْنِي أَوْ سَمِعَنَ بِي رَيْنَ فَرَفَعَنَ الْكُؤَى بِالْمَحَاجِرِ

آخر: لَمْ أَعْشِقُ السُّمْرَ إِلَّا مِنْ حِيَارَتِهِمْ لَوْنِ الشَّبَابِ وَحَبِّ الْقَلْبِ وَالْحَدَقِ

وَلَا سَلَوْتُ بِيَاضَ الشَّيْبِ عَن غَلَطِ إِنْ نِي مِنَ الشَّيْبِ وَالْأَكْفَانِ فِي فَرَقِ

آخر: تَهَزَّتْ أَنْ رَأَتْ شَيْبِي فَقُلْتُ لَهَا لَا تَهْزَيْ مَن لَّا يَطْلُ عُمُرٌ بِهِ يَشِبُ

شَيْبُ التَّقِي لَهُ عِزٌّ وَمَكْرَمَةٌ  
 آخِر: بَدَا شَيْبُهُ مِثْلَ النَّهَارِ وَلَمْ يَكُنْ  
 يُحَدِّثُهَا مَا لَا تُرِيدُ اسْتِمَاعَهُ  
 تَوَدُّ لَوْ أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاهُ حَتْفَهُ  
 تَقُولُ لَهُ فِي النَّفْسِ غَيْرَ مُبِينَةٍ  
 آخِر: الشَّيْبُ أَعْظَمُ جُرْمٍ عِنْدَ غَانِيَةٍ  
 آخِر: وَمُدَّعٍ شَرَحَ شَبَابٍ وَقَدْ  
 يَخْضِبُ بِالْأَسْوَدِ لِحْيَتَهُ  
 آخِر: خَضِبْتُ الشَّيْبَ لَمَّا كَانَ عِيًّا  
 وَلَمْ أَخْضِبْ مَخَافَةَ هَجْرِ خَلٍّ  
 وَلَكِنَّ الْمَشِيبَ بَدَا ذَمِيمًا  
 آخِر: أَنْذَرَكَ الشَّيْبُ فَخُذْ نَصْحَهُ  
 وَعَلِّئْهُ الشَّيْبُ إِذَا مَا اعْتَرَتْ  
 آخِر: وَلَا تَكُ فِي وَطْءِ الْكُوعِيبِ مُسْرِفًا  
 وَإِيَّاكَ إِيَّاكَ الْعَجُوزُ وَوِطْأَهَا  
 آخِر: إِذَا فَكَّرْتُ فِي شَيْبِي وَسِنِّي  
 كَأَنَّ الشَّيْبَ غَارَ عَلَى الْعَوَالِي  
 آخِر: وَالشَّيْبُ تَغْتَفِرُ الْغَوَانِي ذَنْبَهُ  
 آخِر: مَا كَانَ أَقْصَرَ أَيَّامَ الشَّبَابِ وَمَا  
 مَا وَاجَهَ الشَّيْبُ مِنْ عَيْنٍ وَإِنْ رَمَقَتْ  
 إِذَا اسْتَقَامَ بِلا شَكٍّ وَلَا رَيْبٍ  
 يُشَابِهُهُ فَجْرًا أَوْ نُجُومَ ظَلَامٍ  
 وَلَمْ يَبْقَ عِنْدَ الشَّيْخِ غَيْرُ كَلَامٍ  
 وَكَفَّلَهَا مِنْ بَعْدِهِ بِغُلَامٍ  
 خُذِ الْمَهْرَ مِنِّي وَأَنْصِرْفِ بِسَلَامٍ  
 مِنْ ابْنِ مُلْجِمٍ عِنْدَ الْفَاطِمِيْنَ  
 عَمَّمَهُ الشَّيْبُ عَلَى وَفْرَتِهِ  
 يَكْفِيهِ أَنْ يَكْذِبَ فِي لِحْيَتِهِ  
 وَخَضِبْتُ الشَّيْبَ أَوْلَى أَنْ يُعَابَا  
 وَلَا عُتْبَا خَشِيْتُ وَلَا عِتَابَا  
 فَصَيَّرْتُ الْخِضَابَ لَهُ عِقَابَا  
 فَإِنَّمَا الشَّيْبُ نَذِيرٌ نَصِيحٍ  
 أَعَيْتَ لَوْ أَنَّ الْمَدَاوِي الْمَسِيحِ  
 فِإِسْرَافُهُ لِلْعُمْرِ أَقْوَى الْهَوَادِمِ  
 فَمَا هِيَ إِلَّا مِثْلُ سُمِّ الْأَرَاقِمِ  
 عَتَبْتُ عَلَيْهِ فِيمَا نَالَ مِنِّي  
 فَعَرَّضْتُهُنَّ لِلْإِعْرَاضِ عَنِّي  
 مَا دَامَ ذَاكَ الشَّيْءُ فِيهِ تَحَرُّكٌ  
 أَبْقَى حَلَاوَةَ ذِكْرَاهُ الَّتِي يَدَعُ  
 إِلَّا لَهَا نَبْوَةٌ عَنْهُ وَمُرْتَدَعُ

آخر: رَأَيْتُ سَوَادَ الرَّأْسِ وَاللَّهُوِ تَحْتَهُ  
 فَلَمَّا اضْمَحَلَّ اللَّيْلَ زَالَ نَعِيمُهُ  
 آخر: حَلَّ الْمَشِيبُ بِعَارِضِي وَمَفَارِقِي  
 رَحَلَ الشَّبَابُ فَقُلْتُ قِفْ لِي سَاعَةً  
 آخر: رَحَلَ الشَّبَابُ فَمَا لَهُ مِنْ عَوْدَةٍ  
 آخر: عَانِقُ مِنَ النَّسْوَانِ كُلِّ فُتَيَّةٍ  
 أَخَذِرَكَ عَنْ نَفْسِ الْعَجُوزِ وَبُضْعِهَا  
 آخر: عَجُوزٌ تَمَنَّتْ أَنْ تَكُونَ فُتَيَّةً  
 تَرُوحُ إِلَى الْعَطَّارِ تَبْغِي شَبَابَهَا  
 وَمَا غَرَّنِي إِلَّا خِضَابُ بِكْفِهَا  
 وَجَاؤًا بِهَا قَبْلَ الْمَحَاقِ بِلَيْلَةٍ  
 كَلَيْلٍ وَحُلْمٍ بَاتَ رَأْيِيهِ يَنْعَمُ  
 وَلَمْ يَنْقِ إِلَّا عَهْدُهُ الْمُتَوَهَّمُ  
 بئسَ القَرِينِ أَرَاهُ غَيْرَ مَفَارِقِي  
 حَتَّى أُودِعَ قَالَ إِنَّكَ لَاحِقِي  
 وَأَتَى الْمَشِيبُ فَأَيْنَ مِنْهُ الْمَهْرَبُ  
 أَنْفَاسُهَا كَرَوَائِحِ الرِّيحَانِ  
 فَهَمَّا لِجَسْمِ ضَجِيعِهَا سَقَمَانِ  
 وَقَدْ يَبِسَ الْجَنْبَانِ وَاحْدُودَبَ الظُّهْرُ  
 وَهَلْ يُصْلِحُ الْعَطَّارُ مَا أَفْسَدَ الدَّهْرُ  
 وَكُحْلٌ بِعَيْنِهَا وَأَنْوَابُهَا الصُّفْرُ  
 فَكَأُ مَحَاقٍ كُلُّهُ ذَلِكَ الشَّهْرُ

وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ : يَكْرَهُ نِكَاحَ الْحَنَانَةِ وَالْمَنَانَةِ وَالْأَنَانَةِ وَالْحَدَاقَةَ وَالْبِرَاقَةَ وَالْمَمْرَاضَ .

فالحنانة التي لها ولد تحن إليه أو زوج تحبه من قبلك وفي المثل : ( حب الأول ما يتحول )

والمنانة التي تمن على زوجها بما تفعله أو تبذله .

والأنانة كثيرة الأئنين الكسلانة المتكاسلة .

والحداقة التي تسرق كُلَّ شَيْءٍ بِمَحْدَقَتِهَا الَّتِي تَحِبُّ أَنْ تَطَّلِعَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَتَكْلِفُ زَوْجَهَا

بأنواع المشقات .

والبراقة التي تشتغل بتبريق وجهها ويديها ورجليها من تَحْمِيرٍ وَتَبْيِضٍ وَتَنْمِيقٍ وَتَحْسِينٍ وَقِيلَ

أَنَّهَا الَّتِي تَغْضَبُ عِنْدَ الطَّعَامِ وَلَا تَأْكُلُ إِلَّا وَحْدَهَا الَّتِي تَبْحَمُ بِالشَّيْءِ .

والشراقة كثيرة الكلام قليلة الصمت .

والممراض التي تمارض غالب أوقاتها وَلَيْسَ فِيهَا مَرَضٌ إِنَّمَا تَهْرَبُ مِنَ الْعَمَلِ أَوْ الْاسْتِمْتَاعِ

بِهَا فَهِيَ دَائِمًا تَعْبَسُ بِوَجْهِهَا مَقْطَبَةً دَائِمًا كَسَلَانَهُ تَحِبُّ النُّومَ وَالرَّاحَةَ .

عصمنا الله وإياكم من الزلل ووقفنا لصالح العمل وهدانا بفضل سبيل الرشاد وطريق السداد  
إنه جل شأنه نعم المولى ونعم النصير وصلى الله على مُحَمَّد وآله وصحبه أجمعين .

### موعظة :

عباد الله يَقُولُ اللهُ تَعَالَى وَهُوَ أَصْدَقُ قَائِلٍ ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ وَيَقُولُ جَلَّ وَعَلَا : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ وَيَقُولُ جَلَّ وَعَلَا : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ وَيَقُولُ ﷺ : « تركتم على الحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي هالك وَيَقُولُ جَلَّ وَعَلَا ﴿ مَا فَزَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ وَيَقُولُ ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ .

وبذلك قد وضح الأمر وتبين الرشد من الغي والهدى من الضلال ولم يبق بعد ذلك حجة لطالب الرشد ولا عذر لمن وقع في الغواية ولكن فريفاً من الناس وضعوا عقولهم تحت أرجلهم ولم يبالوا بمخالفة الكتاب والسنة واتبعوا الشهوات أنفسهم فعميت بصائرهم واسقطوا أنفسهم من درجة الكمال الذي أعدهم الله له .

وذلك بأنهم سعوا بما يضر نفوسهم ودينهم وأموالهم وهو شربهم لأبي الخبائث الدخان الذي لا يتوقف عالم بتحريمه ولا يتوقف طبيب بمضرته ولو لم يكن من الأدلة الدالة على تحريمه إلا الآيات المتقدمة لكانت كافية لأن إخوان الشياطين وهو إسراف ﴿ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ .

ومن أوضح الأدلة على تحريمه قوله تعالى في حق نبيه ﷺ ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ﴾ ولا يمتري عاقل فضلاً عن العالم أنه من قسم الخبائث وله من المفاسد والأضرار ما لا يخفى على ذي بصيرة وإليك تعداد بعض مضاره وهي قليل من كثير :

١- فمن مضاره الدينية أنه إسراف والله لا يحب المسرفين .

٢- ومنها أنه تبذير والمبذرين إخوان الشياطين .

- ٣- ومنها أنه يعدي أولاده فيقلدونه بشربه .
- ٤- أنه يثقل على العُبد العبادات ويغضها عنده .
- ٥- ومنها أن يغض إليه المكث في بيت الله المسجد .
- ٦- ومنها أنه يكره الصيام لشاربه .
- ٧- ومنها أنه يدعو إلي مخالطة الأندال والسفل .
- ٨- ومنها أنه يزهد في مُجَالَسَةِ الأخيار .
- ٩- ومنها اقتطاع جزء من العمر كبير في هذه المعصية وَذَلِكَ وَقْتُ شربه وشرائه .
- ١٠- ومنها إيذاء الكرام الكاتبين في رائحته الكريهة .
- ١١- ومنها إيذاء المعقبات كَذَلِكَ .
- ١٢- ومنها توسيخ موضع قراءة كلام الله وسنة رسوله لأن محل التلاوة اللسان والحلق والصدر والدخان يلوثه .
- ١٣- ومنها إيذاء المسلمين المجالسين والماشين معه .
- ١٤- ومن مضاره البدنية احتواؤه على مادة النيكوتين السامة وأنه سبب لارتفاع ضغط الدم .
- ١٥- ومن مضاره أن شاربه يتعرض لأمراض خطيرة كثيرة في بدنه من ذَلِكَ تعسير هضم الطعام وإفساد مجاري البول .
- ١٦- ومنها إحداث التهاب في الرئتين .
- ١٧- ومنها إحداث السعال وكثرة المخاط .
- ١٨- ومنها تعطيل الشرايين الصدرية وأوله تضيقها .
- ١٩- ومنها ما يحدث من عسر التنفس .
- ٢٠- ومنها التأثير على القلب بتشويش انتظام دقاته .
- ٢١- ومنها أن شاربه يعين علي قتل نفسه .

- ٢٢- ومنها إضعاف البصر وأوله إثارة إفراز الدموع .
- ٢٣- ومنها إضعاف شهية الطعام شَيْئًا فَشَيْئًا .
- ٢٤- ومنها إضعاف شهوة الجماع أو قطعها مفاجأة .
- ٢٥- ومنها إضعاف السَّمْع .
- ٢٦- ومنها إضعاف العقل إذ العقل يضعف تبع الجسم .
- ٢٧- ومنها أنه يحدث الخفقان في القَلْب .
- ٢٨- ومنها إضعاف الفكر والحفظ فتضعف الذاكرة .
- ٢٩- ومنها أنه يورث الحمق وسرعة العُضْب .
- ٣٠- ومنها إحدائه للجنون التوتوني كما ذكره العلماء والجنون فنون ولو أن إنسانا أتى بألف من الريالات وحرقها أمام النَّاس لَقَالُوا مجنون ولم يشكوا وشارب الدخان يحرق آلافاً في جوفه لا في الفضاء نسأل الله العافية فَاَنْظُرْ وفكر واحكم أيهما أحق بإطلاق الجنون عليه الَّذِي يحرق ماله في الفضاء أم الَّذِي يحرق به بدنه ويعذب به نَفْسُهُ نعوذ بِاللَّهِ من عمى البصيرة وإتباع الهوى والنفس الأمارة بالسُّوء .
- ٣١- ومنها أنه يخرب كريات الدم التي تدفع المكروبات عن الجسم .
- ٣٢- ومنها انحطاط القوة العصبية .
- ٣٣- ومنها أنه يؤدي إلى مرض السل الرئوي .
- ٣٤- ومنها الموت بالسكتة القلبية .
- ٣٥- ومنها تقلص الأوعية الدموية بالأطراف .
- ٣٦- ومنها أثره المحسوس في مرض السرطان .
- ٣٧- ومنها تسويده الفم والشفَتين والحلق .
- ٣٨- ومنها تسويد الأسنان وسرعة بلائها وتخطمها وتآكلها بالسوس وذهاب نظرتها وتكريهها لناظرها .



- ٣٩- ومنها انهيار الفم والبلعوم وَرُبَّمَا حدث سرطان في الحلق بسببه أو شلل في الأعضاء .
- ٤٠- ومنها أنه يكره شاربه عِنْدَ زوجته وأهله لما يحدثه من البخر لأنه يخيس الفم والأنف .
- ٤١- ومنها أن ضرره يتعدى إلى المجتمع دينيًا واقتصاديًا .
- ٤٢- ومنها أنه يُحدث الأرق وَهُوَ السهر وعدم النوم فيتضرر به .
- ٤٣- ومنها إضعافه حاسة الشم وَرُبَّمَا تعطلت كليًا بسببه .
- ٤٤- ومنها أن كثيرًا من الحرائق تحدث بسببه .
- ٤٥- ومنها ما ذكره بعض العلماء من أنه يولد الباسور ويزداد معه إن كَانَ موجودًا من قبل شُرْبِهِ .
- ٤٦- ومنها أن بعض العلماء لا يقبل شهادته لأنه يعتبره فاسقًا بهذه المعصية والعياذِ بِاللَّهِ .
- ٤٧- ومنها أنها لا تصح إمامته عِنْدَ بعض العلماء .
- ٤٨- ومنها ما ذكره الأطباء من أنه يحدث تيبس في الكبد وأنه من أهم المسببات للقرحة المعوية .
- ٤٩- ومنها ما ذكره بعض العلماء من أنه يحدث الفالج .
- ٥٠- ومنها أن شاربه يُجلد أربعين جلدة عِنْدَ بعض العلماء لأنه محرم كالخمر وفيه مضار أخرى ذكرها الأطباء تركناها خوف الإطالة .
- فوالواجب علي العاقل الناصح لنفسه التوبة إلى الله عن شربه قبل أن يموت بسببه فيكون قَدْ أَعَانَ عَلَى قَتْلِ نَفْسِهِ .
- اللَّهُمَّ يَا مَنْ خَلَقَ الْإِنْسَانَ وَبَنَاهُ وَاللِّسَانَ وَأَجْرَاهُ ، يَا مَنْ لَا يَخِيبُ مَنْ دَعَاهُ ، هَبْ لِكُلِّ مَنْ مَا رَجَاهُ ، وَبَلِّغْهُ مِنَ الدَّارَيْنِ مَنْاهُ ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا

جميع الزلات ، واستر علينا كل الخطيئات وسامحنا يوم السؤال والمناقشات ، وانفعنا وجميع المسلمين بما أنزلته من الكلمات يا أرحم الراحمين .

### ( فصل )

ومما لا يستهان به ويحرص عليه أن تكون الزوجة ذات دين شريفة فإن الشريفة غالبًا تحافظ علي شرفها وسمعتها وتبعد عما يندس الشرف وقد قال عمر بن عبد العزيز لرجل : أشر علي فيمن أستعمل . فقال : أمّا أرباب الدين فلا يريدونك وأمّا أرباب الدنيا فلا تريدك ولكن عليك بالإشراف فإنهم يصونون شرفهم عما لا يصلح .

وروي عن أبي إسحاق قال : دعاني المعتصم يومًا فأدخلني معه الحمام ثم خرج فخلا بي وقال : يا أبا إسحاق في نفسي شيء أريد أن أسالك عنه إن أخي المأمون اصطنع فأنجبوا واصطنعت أنا مثلهم فلم ينجبوا قلت : ومنهم قال : اصطنع طاهر وابنه وإسحاق وآل سهل فقد رأيت كيف هم واصطنعت أنا الأفشين فقد رأيت إلي ما آل أمره وأساس فلم أجده شيئًا وكذلك انبأ ووصيف .

قلت : يا أمير المؤمنين ها هنا جواب على أمان من العصب . قال : لك ذلك . قلت : نظر أخوك إلى الأصول فاستعملها فأنجبت فروعها واستعملت فروعًا لا أصول لها فلم تُنجب . فقال : يا أبا إسحاق مقاسأه ما مر بي هذه المدة أهون علي من هذا الجواب . هـ .

وقيل : إن جعفر بن سليمان بن علي عاب يومًا على أولاده وأنهم ليسوا كما يجب فقال له ولده أحمد بن جعفر : إنك عمدت إلى فاسقي مكة والمدينة فأوعيت فيهن بضحك ثم تريد أن ينجبوا وإنما نحن لضاجبات الحجاز هلا فعلت في ولدك ما فعل أبوك فيك حين اختار لك عقيلة قومها .

وينبغي أن يقتصر على زوجة واحدة خوفًا من عدم العدل قال الله تعالى : ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ

تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ ﴿٤٠﴾ .  
 وله أن يتزوج أربع نسوة ولا يزيد على ذلك إلا بملك اليمين فله أن يتسرى بما شاء من  
 الإماء وإن أراد اصطحاب واحدة من نسائه في سفره أقرع بينهن ومدح أحد العلماء زوجته  
 وبالغ في مدحها فقال :

مُكَمَّلَةُ الْأَوْصَافِ خُلِقَا وَخُلِقَتْهُ  
 فَأَهْلًا بِهَا وَسَهْلًا بِهَا سَهْلًا  
 وَدُودٌ وَلُودٌ حُرَّةٌ قُرَيْشِيَّةٌ  
 مُخَدَّرَةٌ مَعَ حُسْنِهَا تُكْرِمُ الْبَعْلَا  
 وَبِأَذْلَى نَظِيفَةٌ وَلَطِيفَةٌ  
 مِنْ أَظْرَفِ إِنْسَانٍ وَأَحْسَنِهِمْ شَكْلًا  
 شَكُورٌ صَبُورٌ حُلُوءَةٌ وَفَصِيحَةٌ  
 وَمُتَّقِنَةٌ تُتَمِّنُ الْفُؤُولَ وَالْفِعْلَا  
 تَغَارُ مِنْ أَسْبَابِ التَّقَائِصِ كُلِّهَا  
 وَتَحْفَظُ مَالَ الزَّوْجِ وَالنَّفْسَ وَالْأَهْلَا  
 حِصَانٌ رَزَانٌ لَيْسَ فِيهَا تَكْبُرٌ  
 قَبُوعٌ فَلَا شِرْبٌ يَدُومٌ وَلَا أَكْلَا  
 مُطَاوَعَةٌ لِلْبَعْلِ يَقْضِي أَدِيَّةً  
 مُوَافِقَةٌ قَوْلًا وَفِعْلًا فَمَا أَعْلَا  
 صَغِيرَةٌ سِنَّ فِي الْكَلَامِ كَبِيرَةٌ  
 نُهَاهَا يُرَى مُمْتَازَ أَكْرَمٍ بِهِ عَقْلَا  
 يَشِيرُ عَلَيْهَا بِالتَّفْرِجِ مَرَّةً  
 فَتَأْبَى وَقَعْرُ الْبَيْتِ فِي عَيْنِهَا أَحْلَا

مُدَارِيَةٌ لِلْأَهْلِ إِنْ عَيَّبَتْ وَإِنْ  
أَحَبَّتْ فَلَا حِفْذَ لَدَيْهَا وَلَا ذِلًّا  
رَقِيقَةً قَلْبٍ مَعَ سَلَامَةِ دِينِهَا  
فَلَسْتُ تَرَى شِبْهًا لَهَا فِي النَّسَاءِ أَصْلًا  
خَدُومٌ بِقَلْبٍ فِي جَمِيعِ أُمُورِهَا  
مُبَاشَرَةٌ لِلْكُلِّ مَا ذُقَّ أَوْ جَلَا  
مُلَازِمَةٌ لِلشُّغْلِ فِي الْبَيْتِ دَائِمًا  
عَلَى صِغَرٍ مِنْ سِنَّهَا لَا تَبِي فِعْلًا  
مُطَرِّزَةٌ خِيَاطَةَ ذَهَبِيَّةً  
مُقَصِّلَةٌ خَطَّاطَةَ تُحْكِمُ الْغَزْلًا  
تَنْقُلُ فِي الْأَشْغَالِ مِنْ ذَا لِدَا وَذَا  
وَتَفْعَلُ حَتَّى الْكُنْسِ وَالطَّبْخِ وَالْعَسَلَا  
وَمَا ذَاكَ مِنْ عُدْمٍ فَلَمْ يَخُلْ بَيْتُهَا  
مِنْ امْرَأَةٍ تَكْفِي إِذَا شَاءَتِ الْفِعْلَا  
وَلَكِنَّهَا اعْتَادَتْ نِظَافَةَ شُغْلِهَا  
فَعَافَتْ فِعَالَ الْكُلِّ وَاحْتَمَلَتْ فِعْلَا  
خَفِيفَةً رُوحٍ مَعَ وَقَارٍ ذَكِيَّةً  
فَتَنْفَهُمْ مَا يُلْقَى لَدَيْهَا وَمَا يُتَلَى  
لَهَا هِمَّةٌ عَلَيْهَا تَطُولُ شُرُوحُهَا  
عَلَى صَعَبِ الْأَشْغَالِ تَتْرُكُهُ سَهْلًا  
مُرِيَّةً حَنَانَةً ذَاتُ رَحْمَةٍ

وَكُلُّ يَتِيمٍ وَاحِدٍ عِنْدَهَا فَضْلاً  
 نَفُورٌ إِذَا ارْتَابَتْ أُلُوفٌ لِأَهْلِهَا  
 فَمَهْلاً إِذَا قَيْسَ النِّسَاءِ بَهَا مَهْلاً  
 عَدِيمَةٌ لَفْظٍ وَالتَّفَاتِ إِذَا مَشَتْ  
 صَمُوتٌ فَلَا قَطْعًا تَرُدُّ وَلَا وَصْلاً  
 وَلَمْ يَنْكَشِفْ مِنْهَا بَنَانٌ يَحَارُ مَنْ  
 مَشَى مَعَهَا فِي حِفْظِهَا يَدَهَا قَبْلاً  
 يَعِزُّ عَلَى مَنْ يَطْرُقُ الْبَابَ لَفْظُهَا  
 جَوَابًا فَلَا عَقْدًا تَرَاهُ وَلَا حَلاً  
 يُطِيلُ وَفُوقًا لَا يُجَابُ مُحَرَّمٌ  
 عَلَيْهَا كَلَامُ الْأَجْنَبِيِّ وَإِنْ قَلَا  
 وَحَافِظَةٌ لِلْغَيْبِ صَالِحَةٌ أَتَتْ  
 لِحَاقٍ إِذَا كَانَتْ مَنَاقِبُهَا تُثَلَا  
 وَقَانِتَةٌ صَوَامَةٌ وَمُدَلَّةٌ  
 بِعَقْلِ وَتَذْيِيرٌ تَرَاهُ الْعِدَا بُخْلاً  
 تَجَمَّعَ فِيهَا عِقَّةٌ وَنَزَاهَةٌ  
 وَعِزَّةٌ نَفْسٍ فَهِيَ تَكْلًا وَلَا تُقْلًا

قُلْتُ : ما أظن مثل هذه وجدت ولا في القرن الرابع أو الخامس فضلاً عما بعدهما  
 وخصوصاً في زمننا الذي استطاعت فيه النساء على الرجال بعد مخالطة الأجانب الخاضعين لهن  
 واستعمر النساء الرجال استعماراً ما بعده استعمار وصار الزوج بالنسبة لشئون الأولاد والبيت  
 والذهاب والمجيء مسيراً لا مخيراً كالسيارة بيد السائق والملعقة بيد الأكل والقلم بيد الكاتب هي  
 التي تدبره وتصرفه كالصبي الخادم .

وإن وجد أحد خلاف ما ذكرنا فهو من النادر والشاذ والسبب الوحيد في ذلك هو تقليدنا للأجانب الذين هم في أيدي نساءهم كالحاتم تصرفه كيف شاءت يتبعها أينما توجهت سار خلفها حاملاً لولدها قد نبذ الحياء كما نبذته هي بدون مبالاة ولا خجل فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

اللَّهُمَّ أَهْمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَوَفَّقْنَا لِمَا وَفَّقْتَ لَهُ الصَّالِحِينَ مِنْ خَلْقِكَ وَاعْفُرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

### ( موعظة )

عباد الله لقد طغت شهوة الفرج اليوم على كثير من الناس طغياناً ليس فوقه طغيان وأصبح سلطانها على أفرادها شيئاً وشباناً لا يدانيه سلطان حتى إنه ليخيل إلى بعضهم أن فاحشة الزنا بسيطة والعياذ بالله وأن مغازلة النساء والخلوقة بمن مباحة نسأل الله العافية .

يدلك على ذلك ما تشاهده من الرجال والنساء فترى الرجال في تأنق بديع في لباسهم قد حلقوا لحاهم وألهبوا الأصباغ في وجناتهم وذكت روائحهم ورجلوا شعر رؤوسهم وتعرضوا للنساء في الطرق قد خلعوا سربال الحياء .

وترى النساء تستعد استعداداً تاماً إذا أرادت الخروج من بيتها فتزين بأنواع الزينة من لباس براق وشفاف ومن حلي يلمع لمعاناً يأخذ بالأبصار ومن تعطر بما تهزأ رائحته برائحة المسك ومن أدهان تدهن به وجهها وأطرافها وحاجبها وشفتيها ومن آلة تفرق بها رأسها وجفونها ليصير ناعماً لامعاً كثيراً وبذلك تنقلب فتنة للناظرين بعد أن كانت قبل ذلك تشق على العيون رؤيتها وعلى الأذان سماع صوتها ويفر من شهابتها وقبحها وهيئتها التي كانت تتقدم بها لزوجها في البيت كل ذلك سببه مخالطة الأجنبية أبعدهن الله .

فما ظنك إذا التقا هؤلاء إنها لمصائب تجرح قلب كل مؤمن غيور لدينه كمدًا من هذه المنكرات وأشباهها قال ρ محذراً عن فتنة النساء : « اتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن إبليس طلاع رصاً وما هو بشيء من فُخُوحه بأوثق لصيده في الأتقياء من النساء » .

وخص الأتقياء لما هُتم من الشهرة على قهر الشيطان ورد كيده فما ظنك بغير الأتقياء فهو ما يثق بصيده الأتقياء بشيء من آلات الصيد وثوقه بالنساء وكونهن من فخوحه فلأنه جعلهن مصيدة لا تفلت يزينهن في قلوب الرجال ويغريهم بهن فيورطهم في الزنا كصائد ينصب شبكة ليصطاد بها ويغري الصيد عليها ليقع في حبالها قال بعضهم :

شِعْرًا: عَجُوزُ النَّحْسِ إِنْ لَيْسَ يَرَاهَا تُعَلِّمُهُ الْخَدِيعَةَ فِي السُّكُوتِ  
تَقُودُ مِنَ السِّيَاسَةِ أَلْفَ بَغْلٍ إِذَا انْفَرَدَتْ بِخَيْطِ الْعَنْكَبُوتِ  
آخِر: إِذَا رَأَيْتِ أُمُورًا مِنْهَا أَلْفُؤَادُ تَفَتَّتْ  
فَتِشْ عَلَيْهِهَا تَجِدُهَا مِنْ النَّسَاءِ تَأْتَتْ  
آخِر: لَا تَنْكَحَنَّ عَجُوزًا إِنْ أَتَوْكَ بِهَا وَاخْلَعْ ثِيَابَكَ مِنْهَا مُنْعِنًا هَرَبًا  
فَإِنْ أَتَوْكَ وَقَالُوا إِنَّهَا نَصَفُ فَإِنَّ أَحْسَنَ نَصْفِهَا الَّذِي ذَهَبَا  
آخِر: إِذَا كُنْتَ ذَا اثْنَيْنِ فَاغْدُ مُحَارِبًا عَدُوِّينِ وَاحْذِرْ مِنْ ثَلَاثِ ضَرَائِرِ  
وَإِنْ هُنَّ أَبْدَيْنَ الْمَوَدَّةَ وَالرِّضَى فَكَمْ مِنْ حَقُودٍ غِيَّتْ فِي الظَّمَائِرِ  
وَإِنْ كُنْتَ غِرًّا بِالزَّمَانِ وَأَهْلِهِ فَيَكْفِيكَ إِحْدَى الْإِنْسَاتِ الْغَرَائِرِ

قال p : « يا أيها الناس انهو نساءكم عن لبس الزينة والتبختر في المسجد فإن بني إسرائيل لم يلعنوا حتى لبس نساؤهم الزينة وتبخترن في المساجد » . رواه ابن ماجه وفي الحديث الآخر : « ما من صباح إلا وينادي ملكان ويل للرجال من النساء وويل للنساء من الرجال » . رواه ابن ماجه والحاكم .

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي p قال : « إِنَّ الْمَرْأَةَ تُقْبَلُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ وَتُدْبَرُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ فَإِذَا أَرَى أَحَدُكُمْ مِنْ امْرَأَةٍ مَا يَعْجِبُهُ فَلْيَأْتِ أَهْلَهُ فَإِنَّ ذَلِكَ يَرُدُّ مَا فِي نَفْسِهِ » .

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « إِنَّ الْمَرْأَةَ عَوْرَةٌ فَإِذَا خَرَجَتْ اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ » .  
 رواه الترمذي قَالَ أَبُو حمزة الخرساني : النظر رسول البلايا وسهام المَنَايَا .  
 وَقَالَ بعض الحكماء من غلب هواه عقله افتضح ومن غض طرفه استراح .  
 وَقَالَ بَعْضُهُمْ : لا شَيْءَ أَشَدَّ مِنْ تَرْكِ الشَّهْوَةِ لِأَنَّ تَحْرِيكَ السَّاكِنِ أَيْسَرُ مِنْ تَسْكِينِ الْمُتَحَرِّكِ .  
 وَقَالَ ابْنُ الْحَاجِّ : قال صَاحِبُ الْأَنْوَارِ : احذروا الاغترار بالنساء وإن كن نساكًا عبادًا فإنهن  
 يركن إلية كُلِّ بليّة ولا يستوحشن من كُلِّ فتنة .

شِعْرًا : إِنَّ النَّسَاءَ كَأَشْجَارٍ نَبْتَنَ مَعَا مِنْهُنَّ مُرٌّ وَبَعْضَ الْمُرِّ مَا كُؤُلُ  
 إِنَّ النَّسَاءَ مَتَى يُنْهَيْنَ عَنْ خُلُقٍ فَإِنَّهُ وَاجِبٌ لَا بُدَّ مَفْعُولُ

وَقَالَ بعض العارفين : ما أيسر الشيطان من إنسان قط إلا أتاه من قبل النساء لأن حبس  
 النفس ممكن لأهل الكمال إلا عن النساء لأنهن من ذوات الرِّجَالِ وشقائقهم ولسن غَيْرًا حتى  
 يمكن التباعد عنه والتحرر عنه .

شِعْرًا : لا تَأْمَنَنَّ عَلَى النَّسَاءِ وَلَوْ أَحَا يَا رَاعِي الذُّودِ لا تَرْحَلْ لِمَكْرَمَةٍ  
 مَا فِي الرَّجَالِ عَلَى النَّسَاءِ أَمِينُ إِنَّ الْقِلاصَ إِذَا مَا غَابَ رَاعِيهَا  
 لَمْ يَنْتَهَ أَحَدٌ دُونَ الْفُحُولِ فَلَا تُهْمَلْ قَلْوَصَكَ إِمَّا كُنْتَ تَحْمِيهَا  
 وَلَا تَلْمُهَا عَلَى وَرْدٍ وَقَدْ ظَمِئَتْ لَوْ شِئْتَ أَرُوَيْتَهَا إِذْ كُنْتَ سَاقِيهَا  
 أَحْظَرُ مَشَارِبِهَا وَاحْضَفْ جَوَانِبِهَا وَارْمُ مَذَاهِبِهَا تَسْلَمَ قَوَاصِيهَا  
 خَلَيْتَهَا لِفُحُولٍ غَيْرِ فَاخِرَةٍ فِي كُلِّ بَرِيَّةٍ قَفْرٍ فَيَافِيهَا

قال الله تَعَالَى : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ وما عداهن  
 فاتباع هوى النفس فيه آية تكذيب الرحمن وعلامة الاسترسال مع الشيطان وتصديقه فيما يزينه  
 من البهتان .

ولذا نرى الحازم اللبيب الكامل منقادًا مسترسل الزمام لتلك الناقصات دينًا وعقلًا مقهورًا  
 تحت حكمهن قال جرير :



إِنَّ الْعُيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا حَوْرٌ  
قَتَلْنَا ثُمَّ لَا يُحْيِينَا قَتْلَانَا  
يَضْرَعْنَ ذَا اللَّبِّ حَتَّى لَا حَرَكَ بِهِ  
وَهُنَّ أضعْفُ خَلْقِ اللَّهِ إِنْسَانَا

فالنساء فتنة عظيمة للرجال فالذي يقوى على قهر نفسه عن هواها أمام هذه الشهوة خوفاً من الله تعالى ويلزمها وعدم التسخط عند فادحات المصائب رضى بما قدره الله وأجراه دليل على كمال إيمانه بخلاف المتبع لهواه عادم الصبر والاحتساب وهذا هو الميزان عند الاختبار .  
قال بعضهم :

وَعَبْدُ الْهَوَى يَمْتَازُ مِنْ عَبْدِ رَبِّهِ  
لَدَى شَهْوَةٍ أَوْ عِنْدَ صَدْمِ بَلِيَّةٍ  
بِكَيْرِ الْبَلَا يَبْدُو مِنَ التَّبَرِّ حُسْنُهُ  
وَيَبْدُو نُحَاسُ النُّحْسِ فِي كُلِّ مِخْنَةٍ  
خَلَا مِنْ حُلَى قَوْمٍ كَرَامٍ تَدَرَّعُوا  
دُرُوعَ الرِّضَا وَالصَّبْرِ فِي كُلِّ شِدَّةٍ  
وَلَا قُوا طِعَانَ النَّفْسِ فِي مَعْرِكِ الْهَوَى  
وَرَأَحُوا وَقَدَّ أَرْوُوا مَوَاضِيَ الْأَسِنَّةِ  
وَسَافُوا جِيَادَ الْجِدِّ عِنْدَ اشْتِيَاقِهِمْ  
وَأَرْخَوْ لَهَا نَحْوَ الْعُلَا لِلْأَعْنَةِ  
سَمَوْا فَاعْتَلَوْا بِيضَ الْمَعَالِي عَوَالِيَا  
بِيضِ الْعَوَالِي فِي الْقُصُورِ الْعَلِيَّةِ  
مَقَامَاتِ قَوْمٍ أَنْعَبُوا النَّفْسَ فِي السُّرَى  
وَفَازُوا بِمَا نَالُوهُ فَوَقَّ الْأَسْرَةَ

بِذُلِّ أُبْيُلُوا الْعِزَّ وَالْجُهْدِ رَاحَةً  
 وَفَقْرِ غِنًىٍ وَالْخُزْنِ كُلِّ مَسْرُورَةً  
 وَطَيْبِ عَيْشٍ بِالطَّوَى ثُمَّ بِالظَّمَا  
 شَرَابِ كُؤُوسِ حَالِيَاتِ هَيَّيَّةِ  
 بَجَنَاتِ عَدْنٍ فِي رِيَاضِ أَنْيَقَةِ  
 لَهُمْ ذُلُّتْ مِنْهَا قُطُوفٌ تَدَلَّتْ  
 جَنَوْا مِنْ جَنَاهَا زَاكِيَا لَا يَدُوقُهُ  
 مِنْ الْخَلْقِ إِلَّا كُلُّ نَفْسٍ زَكِيَّةِ  
 تَسَلَّتْ عَنِ الدُّنْيَا وَمَاتَتْ عَنِ الْهَوَى  
 وَغَسَّأَلَهَا فِي مَوْتِهَا مَاءُ دَمْعَةٍ  
 وَصَلَّتْ عَلَيْهَا صَالِحَاتُ فِعَالِهَا  
 وَقَدْ كُفِّنَتْ فِي بَيْضِ أَنْوَابِ تَوْبَةٍ  
 وَنَالَتْ مُنَاهَا وَالسَّعَادَاتِ كُلَّهَا  
 فَيَا سُوْعَدَ نَفْسٍ أَدْرَكْتَ مَا تَمَنَّتِ

إذا فهمت ذلك فاحرص كل الحرص علي صيانة أهلك في هذا الزمن وأما البيوت فمتمردات على الرجال لا يهدأن ليلاً ولا نهاراً من المشاغبات والتدخل فيما لا يعني حتى أن الرجل ليكره دخول بيته لأنها من المؤذيات لا ينتهي ذلك الشغب في يوم ولا أسبوع ولا شهر ولا سنة .

كل يوم تجدد محاضرات المشاغبة فقاتلهن الله ما للؤمن مع الرجال حد تقف عنده أولئك اللئيمات وصار الرجل لا يقدر على منعها من الخروج إلى الأسواق ولا من الجلوس عند التلفزيون والنظر إليه الذي حطم الأخلاق والعقائد والأديان وقتل الغيرة الدينية والمرؤة وسبب الانحلال والتميع في العائلات وخدر أعصاب الأبوين وانتزع السلطة منهما وسبب نشوز الزوجة

عن زوجها والزوج عن زوجته ودل النَّاس على طرق المكر والحيل والسلب والنهب والعدوان على النَّاس مع ما فيه من احتقار المسلمين وخصوصًا علماءهم وأبطالهم وتعظيم الكفرة والمنافقين والنظر إلى الأجنيات ونزع الحياء والعفة والتشبه بأعداء الله والسير في ركابهم وضياع الأوقات فيما يضر ولا ينفع إلى غير ذلك من المضار التي فيما أظن تزيد على المائتين نسأل الله العافية في الدنيا والآخرة إنه القادر على ذلك .

شِعْرًا: هِيَ الصَّلْعُ الْعُوجَاءُ لَسْتَ تُقِيمُهَا  
 أَتَجْمَعُ ضِعْفًا وَاقْتِدَارًا عَلَى الْفَتَى  
 آخِر: إِذَا كُنْتَ بِالتَّلْفَازِ وَالْفَيْدِيُو مُوَلَعًا  
 وَتَشْرَبُ دَخَانًا وَتَخْلُقُ لِحْيَةً  
 فَأَنْتَ سُكْرَتِيْرٌ لِمَنْ كَانَ فَاسِقًا  
 آخِر: أَلَا قِفْ بِدَارِ الْمُتْرُفَيْنِ وَقُلْ لَهُمْ  
 وَأَيْنَ الْمُلُوكِ النَّاعِمُونَ بِعِبْطَةِ  
 فَلَوْ نَطَقْتَ دَارٌ لَقَالَتْ دِيَارُهُمْ  
 وَأَفْنَاهُمْ كَرُّ النَّهَارِ وَلَيْلُهُ  
 آخِر: بِضَاعَةُ الْعُمْرِ الْمَاضِي يُفُوزُ بِهَا  
 يَا نَفْسُ ضَيِّعْتِ رَأْسَ الْمَالِ فِي غَلْطٍ  
 يَا ضَيِّعَتِ الْعُمْرِ مَاضٍ مَا انْتَفَعْتُ بِهِ  
 آخِر: وَلَا تُرْجِ فِعْلَ الصَّالِحَاتِ إِلَى غَدٍ  
 آخِر: وَلَيْسَ جَلِيلًا فَقَدْ مَالٍ وَرِزْوُهُ  
 آخِر: وَلَوْ أَنَّ عَيْنًا سَاعَدَتْ لَتَوَكَّفَتْ  
 وَلَكِنَّهَا مِنْ قَسْوَةِ الْقَلْبِ أَفْحَطَتْ  
 آخِر: يَا أَسْفَا يَا حَسْرَتَا يَا مُصِيبَتَا  
 إِلَّا إِنَّ تَقْوِيمَ الضُّلُوعِ انْكِسَارُهَا  
 أَلَيْسَ عَجِيْبًا ضَعْفُهَا وَاقْتِدَارُهَا  
 وَعِنْدَكَ مِذْيَاعٌ وَكُورَةٌ لَاعِبٍ  
 وَتَعَشِقُ فَنَانًا وَصَوْتًا لِمُطْرِبٍ  
 يُفِيدُكَ إِنْ أَقْبَلْتَ بِالْأَمِّ وَالْأَبِ  
 أَلَا أَيْنَ أَرْبَابِ الْمَدَائِنِ وَالْقُرَى  
 وَمَنْ عَانَقَ الْبَيْضَ الرَّعَائِبِ كَالدُّمَى  
 لَكَ الْخَيْرُ صَارُوا لِلشَّرَابِ وَلِلْبَلَى  
 فَلَمْ يَبْقَ لِلْأَيَّامِ كَهْلٌ وَلَا فَتَى  
 مَنْ يَقْطَعُ الدَّهْرَ فِي عَزْمٍ وَتَشْمِيرٍ  
 فَمَرَّ عُمْرُكَ فِي سَهْوٍ وَتَبْدِيرٍ  
 وَلَا حَصَلْتُ عَلَى الْبَاقِي بِتَدْبِيرٍ  
 لَعَلَّ غَدًا يَأْتِي وَأَنْتَ فَقِيدُ  
 وَلَكِنَّ فَقْدَ الدِّينِ فَهُوَ جَلِيلُ  
 سَحَابُهَا بِالْدمْعِ دِيمًا وَهَطْلًا  
 فَيَا ضَيِّعَتِ الْأَعْمَارِ تَمْشِي سَبْهَلًا  
 وَيَا ضَيِّعَةَ الْأَعْمَارِ عِنْدَ الْمَنَاكِرِ

آخر: **وَكُلُّ كَسْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَجْبِرُهُ وَمَا لِكَسْرِ قَنَاقَةِ الدِّينِ جُبْرَانُ**  
 اللَّهُمَّ نور قلوبنا بنور الإيمان واحمنا من الفتن والطغيان وآتنا في الدُّنْيَا حسنة وفي الآخرة  
 حسنة وقنا عذاب النار وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ  
 المسلمين بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .  
 ( فَصْلٌ )

اعلم وفقنا الله وإيَّاك وجميع المسلمين لما يحبه الله ويرضاه أنه يلزم كل واحد من الزوجين  
 معاشرته الآخر بالمعروف من الصحبة الجميلة ، وكف الأذى ، وأن لا يطله بحقه ، مع قدرته ،  
 ولا بظهور الكراهة لبذله ، بل ببشر وطلاقة ، وطيب نفس ، ولا يتبعه منه ، ولا أذى لأن هذا  
 من المعروف المأمور به .

لقوله تعالى : ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ وقوله : ﴿ وَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾  
 قال ابن عباس : إني لأحب أن أتزين للمرأة كما أحب أن تتزين لي ، لأن الله تعالى يقول :  
 ﴿ وَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ .

وحق الزوج على المرأة أعظم من حقها عليه ، لقوله تعالى : ﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ .  
 ولقوله ρ : « لو كنت امرأةً أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت النساء أن يسجدن لأزواجهن  
 لما جعل الله عليهن من الحق » . رواه أبو داود .

وقال : « إِذَا بَاتَتِ الْمَرْأَةُ هَاجِرَةً فِرَاشِ زَوْجِهَا لَعْنَتُهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ » . متفق عليه .  
 وفي الصحيحين أن رسول الله ρ قال : « إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فَلَمْ تَأْتِهِ لَعْنَتُهَا  
 الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ » .

وفي لفظ : « فَبَاتَ وَهُوَ عَلَيْهَا غَضَبَانٌ ، لَعْنَتُهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ » . ولفظ  
 الصحيحين أيضًا : « إِذَا بَاتَتِ الْمَرْأَةُ هَاجِرَةً زَوْجِهَا فَتَأْبَى عَلَيْهِ إِلَّا كَانَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ سَاحِطًا  
 عَلَيْهَا ، حَتَّى يَرْضَى عَنْهَا زَوْجَهَا » .

وعن جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النَّبِيِّ ﷺ قال : « ثلاثة لا يقبل الله هُمنَّ صلاة ولا ترفع هُمنَّ إلى السماء حسنة العُبد الأبق حتى يرجع إلى مواليه فيضع يده في أيديهم والمرأة الساخط عَليها زوجها حتى يرضى عَنْهَا ، والسكران حتى يصحوا » .

وَقَالَ ﷺ : « لا تؤذي امرأة زوجها إلا قَالَتْ زوجته من الحور العين : لا تؤذيه قاتلك الله فإنما هُوَ عندك دخيل يوشك أن يفارقك » . رواه ابن ماجة والترمذي وَقَالَ : حديث حسن .  
وعن عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ : سألت رسول الله ﷺ أي النَّاس أعظم حَقًّا على المرأة ؟ قال : « زوجها » . قُلْتُ : فأَي النَّاس أعظم حَقًّا على الرجل ؟ قال : « أمه » . رواه البزار والحاكم .

وعن الحسن قال : حدثني من سمع النَّبِيِّ ﷺ يَقُولُ : « أول ما تسأل عَنْهُ المرأة يوم القيامة ، عن صلاتها وعن بعلمها » .

وعن ابن عباس أن امرأة من خثعم أتت رسول الله ﷺ فقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللهِ أَخْبِرْنِي مَا حَقَّ الزوج على الزوجة ، فإني امرأة أيم فإن استطعت وإلا جلست أيمًا . قال : « إن حق الزوج على زوجته إن سألتها نفسها وهي على ظهر قتب أن لا تمنعه نفسها .

ومن حقوق الزوج على زوجته أن لا تصوم تطوعًا إلا بإذنه ، فإن فعلت جاعت وعطشت ولا يقبل منها ، ولا تَخْرُجَ من بيتها إلا بإذنه ، فإن فعلت لعنتها ملائكة السماء وملائكة الرحمة ، وملائكة العذاب ، حتى ترجع » . قَالَتْ : لا جرم ولا أتزوج أبدًا » . رواه الطبراني .

ومِمَّا يدل على عظم حق الزوج ، ما رواه البزار عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال : وجاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللهِ أَنَا وافدة النساء إليك ، هَذَا الجهاد كتبه الله على الرِّجَال ، فإن أصيبوا أجروا ، وإن قتلوا كانوا أحياء عند الله يرزقون .

وَنَحْنُ معشر النساء ، نقوم عليهنَّ فما لنا من ذَلِكَ ، قال : فَقَالَ رسول الله ﷺ : « بلغني من لقيت من النساء أن طاعة الزوج واعترافًا بحقه يعدل ذَلِكَ وقليل منكن من يفعله » .

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى عَظَمِ حَقِّ الزَّوْجِ ، حَدِيثُ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : أَتَى رَجُلٌ بَابَتَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : ابْنَتِي هَذِهِ أَبَتْ أَنْ تَتَزَوَّجَ فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَطِيعِي أَبَاكَ » . فَقَالَتْ : وَالَّذِي بَعَثَكَ لَا أَتَزَوَّجُ حَتَّى تَخْبِرَنِي مَا حَقُّ الزَّوْجِ عَلَى زَوْجَتِهِ . قَالَ : « حَقُّ الزَّوْجِ عَلَى زَوْجَتِهِ لَوْ كَانَتْ بِهِ قَرْحَةٌ فَلَحَسَتْهَا ، أَوْ تَنَثَرَ مِنْخِرَاهُ صَدِيدًا وَدَمًا ثُمَّ ابْتَلَعَتْهُ ، مَا أَدَّتْ حَقَّهُ » . قَالَتْ : وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا . فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « لَا تَنَكِّحُوهُنَّ إِلَّا بِإِذْنِهِ » . رَوَاهُ الْبِزَارُ وَابْنُ حَبَانَ فِي صَحِيحِهِ .

وَقَالَتْ عَمَةُ حَصِينِ بْنِ مِحْصَنٍ وَذَكَرَتْ زَوْجَهَا لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ : « انظري من أين أنت منه ، فإنه جنتك ونارك » . أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ .

وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ لَوْ تَعَلَّمْنَ بِحَقِّ أَزْوَاجِكُنَّ عَلَيَكُنَّ لَجَعَلْتُ الْمَرْأَةَ مِنْكُنَّ تَمْسُحُ الْغُبَارَ عَنْ قَدَمِي زَوْجَهَا بِخَدِّ وَجْهِهَا .

وَقَالَ ﷺ : « نِسَاؤُكُمْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْوَدُودِ الَّتِي إِذَا أُودِيَتْ أَوْ آذَتْ أَتَتْ زَوْجَهَا حَتَّى تَضَعُ يَدَهَا فِي كَفِّهِ فَتَقُولُ لَا أَذُوقُ غَمَضًا حَتَّى تَرْضَى » .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَى امْرَأَةٍ لَا تَشْكُرُ زَوْجَهَا وَهِيَ لَا تَسْتَغْنِي عَنْهُ » .

وَجَاءَ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « إِذَا خَرَجْتَ الْمَرْأَةَ مِنْ بَيْتِ زَوْجِهَا لِعَنْتِهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تَرْجِعَ أَوْ تَتُوبَ » .

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « الْمَرْأَةُ لَا تُؤَدِّي حَقَّ زَوْجِهَا كُلَّهُ وَلَوْ سَأَلَهَا وَهِيَ عَلَى ظَهْرِ قَتَبٍ لَمْ تَمْنَعَهُ نَفْسَهَا » . رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ .

وَعَنْ ابْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « اثْنَانِ لَا تَجَاوِزُ صَلَاتَهُمَا رُؤُوسَهُمَا عَبْدٌ أَبْقَى مِنْ مَوَالِيهِ حَتَّى يَرْجِعَ وَامْرَأَةٌ عَصَتْ زَوْجَهَا حَتَّى تَرْجِعَ » .

وعنه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : سمعت رسول الله ﷺ يَقُولُ : « إن المرأة إذا خرجت من بيتها وزوجها كاره لعَنَهَا كُلَّ مَلِكٍ فِي السَّمَاءِ وَكُلِّ شَيْءٍ مَرَّتْ عَلَيْهِ ، غير الجن والإنس ، حتى ترجع » . رواه الطبراني في الأوسط .

وعن طلق بن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « إذا دعا الرجل زوجته لحاجته فلتأته وإن كانت على التنور » . رواه الترمذي وَقَالَ : حديث حسن والنسائي وابن حبان في صحيحه .

وعن ابن أبي أوفى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : لما قدم معاذ بن جبل من الشام سجد للنبي ﷺ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « ما هذا ؟ » قَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ قدمت الشام فوجدتهم يسجدون لبطارتهم وأساقفتهم فأردت أن أفعل ذلك بك .

قال : « فلا تفعل فإني لو أمرت أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تُؤَدِي الْمَرْأَةُ حَقَّ رِبْهَا حَتَّى تُؤَدِيَ حَقَّ زَوْجِهَا » . رواه ابن ماجه وابن حبان في صحيحه .

وَقَالَ ﷺ : « لو أمرت أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عَلَيْهَا وَلَا تُجِدُ حِلَاوَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى تُؤَدِيَ حَقَّ زَوْجِهَا وَلَوْ سَأَلَهَا نَفْسُهَا وَهِيَ عَلَى ظَهْرِ قَتَبٍ » .

وَقَالَ ﷺ : « لا يحل لامرأة تؤمن بالله أن تأذن في بيت زوجها وهو كاره ولا تخرج وهو كاره ولا تطيع فيه أحدًا ولا تعزل فراشه ولا تضربه فإن كان هو أظلم فلتأته حتى ترضيه فإن قبل منها فيها ونعمت وقبل الله عذرها وأفلح حُجَّتْهَا وَلَا إِثْمَ عَلَيْهَا وَإِنْ هُوَ لَمْ يَرْضَ فَقَدْ أْبَلِغْتَ عِنْدَ اللهِ عَذْرَافَهَا » . رواه الحاكم وَقَالَ : صحيح الإسناد .

اللَّهُمَّ ارزقنا حبك وحب من يحبك وحب العمل الذي يقربنا إلى حبك اللَّهُمَّ افتح لدعائنا باب القبول والإجابة وألهمنا ذكرك وشكرك ووقفنا لامتنال أمرك وآتنا في الدنيا حسنة وفي

الآخرة حسنة وقنا عذاب النار وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .  
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

( فَضْلٌ )

إِذَا عَلِمَ مَا سَبَقَ فَالواجب على المرأة أن تطلب رضا زوجها وتجتنب سخطه ولا تمتنع منه متى أرادها وهي طاهرة وينبغي أن تقدر كأنها كمملوكة للزوج فلا تتصرف في نفسها ولا في ماله إلا بإذنه .

وتقدم حقه على حقها وحقوق أقاربه على حقوق أقاربها وتكون مستعدة لتمتعه بها بجميع أسباب النظافة ولا تفتخر عليه ولا تتطاول عليه برفع صوتها كما تفعله ضعيفات الدين سخيفات العقول الملسنات الفاهرات اللاتي يحمل أزواجهن همًا عظيمًا إذا أراد دخول بيته خوفًا من شرورهن وألسنتهن وما أكثرهن في هذا الزمن .



ويجب عَلَيْهَا أيضًا دوام الحياء من زوجها وغيض طرفها قدامه ولا تفعل قدامه ما يكرهها عنده ولا تسمعه ما ينغص عَلَيْهِ عيشه ويكدر خاطره وتطيعه إذا أمرها في غير معصية الله .  
وتسكت عند كلامه ولا تنازعه القول ولا تتدخل فيما لا يعينها لئلا يحصل فراق وتبتعد عن كُلِّ ما يسخطه وتقوم معه عِنْدَ خروجه .  
وتعرض نفسها عَلَيْهِ عِنْدَ النوم وتتجنب خيانتة في غيبته وفي حضوره في فراشه وماله وبيته وتطيب رائحتها .

وتتعاهد فمها بالسواك وبالمسك والطيب ودوام الزينة بحضرتة وتتركها في غيبته وتحرص على كُلِّ ما يسلكها عنده وتكرم أهله وأقاربه وترى القليل مِنْهُمْ كثيرًا وهذا إذا كَانَ مستقيمًا في أعماله وأخلاقه .  
ولقد أحسن القائل يخاطب زوجته :

خُذِي الْعَفْوَ مِنِّي تَسْتَدِيمِي مَوَدَّتِي  
وَلَا تَنْطِقِي فِي سَوْرَتِي حِينَ أَعْضَبُ  
فَإِنِّي رَأَيْتُ الْحُبَّ فِي الصَّدْرِ وَالْأَذَى  
إِذَا اجْتَمَعَا لَمْ يَلْبَثِ الْحُبُّ يَذْهَبُ

ومن حقوق الزوج على زوجته أن لا تألو جدًّا فيما يحبها إليه ، قالت أسماء بنت خارجة الفزاري لابنتها عِنْدَ الزفاف : يا بنية إنك خرجت من العش الَّذِي درجت فيه فصرت إلى فراش لم تعرفه وقرين لم تألفيه .  
فكوني له أرضًا يكن لك سماء وكوني له مهادًا يكن لك عمادًا وكوني له أمة يكن لك عبدًا  
لا تلحفني فيقلاك ( المعني لا تلحي عَلَيْهِ فيبغضك ) ولا

تباعدي عَنهُ فينساك إن دنا منك فأقربني منه واحفظني أنفه وسمعه وعينه فلا يشم منك إلا طيباً ولا يسمع إلا حسناً ولا ينظر إلا جميلاً .

وهكذا تكون المرأة المؤدبة الناجحة في امتلاك قلب زوجها لا كالتى إذ أتت لزوجها استقبلته بتياب المطبخ والملابس الوسخة شهباء الوجه غبراء الجلد شعثناء الشعر طويلة اللسان جاحدة الإحسان كأن زوجها عندها خادم حقير مضطر إليها لا تقيم له وزناً ولا تبالي فيه ولا تهتم منه .

ومن حقوق زوجها عَلَيْهَا أن تترك له وقتاً يتفرغ فيه لنفسه ولفكره فإن كَانَ عابداً تركت له وقتاً تطمئن فيه نَفْسُهُ إلى عبادة ربه بخشوع وخضوع وحضور وقلب وإن كَانَ عالماً تركت له وقتاً يطالع فيه ويقرأ الكتب أو يؤلف أو يفكر .

فاللذة التي يجدها العالم في قراءته والعابد في خلوته لا تعدلها لذة في الحياة قال بعض العلماء : ( لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نَحْنُ فيه لجالدون عَلَيْهِ بالسيوف ) . وقد لا تشعر المرأة بهذه اللذة فلا تفهم لها معنى وقد تتألم منها على معنى الكره والبعد عَنهَا وهي في ذَلِكَ مُتَجَنِّية على زوجها ونفسها ورُبَّمَا جنت على نفسها .

اللَّهُمَّ طهر قلوبنا من النفاق وعملنا من الرياء وألستنا من الكذب وأعيننا من الخيانة اللَّهُمَّ إننا نسألك إيماناً يباشر قلوبنا و يقيناً صادقاً حتى نعلم أنه لا يصيبنا إلا ما كتبت لنا وأغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

### ( فَصْلٌ )

وإذا كانت المرأة مأمورة بطاعة زوجها وبطلب رضاه فالزوج أيضاً مأمور

بالإحسان إليها واللطف بها والصبر على ما يبدو منها من سوء خلق وغيره وإيصالها حقها من النفقة .

والكسوة والعشرة الجميلة لقوله تعالى : ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ .  
 ولقوله ρ : « أَلَا وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا فَإِنَّمَا هُنَّ عَوَانٌ لِّكُمْ لَيْسَ تَمْلِكُونَ مِنْهُنَّ شَيْئًا غَيْرَ ذَلِكَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيَّنَةٍ فَإِن فَعَلْنَ فَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ( أي ضربًا غير مبرح ) فَإِن أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا .  
 ألا إن لكم على نساءكم حقًا ولنساءكم عليكم حقًا فحقوقكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم من تكرهون ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن » .

وَقَالَ ρ : « خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي مَا أَكْرَمَ النِّسَاءَ إِلَّا كَرِيمٌ وَلَا أَهَانُ إِلَّا لئيم » .

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ρ : « أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنَهُمْ خَلْقًا وَخِيَارَكُمْ خِيَارَكُمْ لِنِسَائِهِمْ » .

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ρ : « إِنْ مِنْ أَكْمَلِ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنَهُمْ خَلْقًا وَالْطَفْهَمَ بِأَهْلِهِ » .

وَقَالَ ρ : « إِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ ، فَإِنَّ أَقْمَتَهَا كَسَرْتَهَا فَدَارَهَا تَعَشَّ بِهَا » . رواه ابن حبان في صحيحه .

وفي الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : « اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ ، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلَاهُ ، فَإِنْ ذَهَبَتْ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ » . وفي رواية

لمسلم : « إِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضَلَعٍ لَنْ تَسْتَقِيمَ لَكَ عَلَى طَرِيقَةٍ فَإِنْ اسْتَمْتَعْتَ بِهَا اسْتَمْتَعْتَ بِهَا وَفِيهَا عَوْجٌ وَإِنْ ذَهَبَتْ تُقِيمُهَا كَسَرْتَهَا وَكَسَرْتُهَا طَلَأُهَا » .

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « لَا يَفْرُكُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ » رواه مسلم .

ففي هَذَا الْحَدِيثِ إرشاد منه ﷺ للزوج في معاشرته زوجته وهذا الإرشاد من أكبر الأسباب والدواعي إلى حسن العشرة واستدامتها فقد نهي ﷺ عن سوء العشرة .

ومفهوم الحديث الحث على حسن العشرة وأمره ﷺ الزوج أن ينظر إلى المحاسن والمساوئ ويجعل ما كره في مقابلة ما رضي منها فإنه إذا تأمل بإنصاف الأخلاق الحميلة والأخلاق التي يكرهها تبين له في الغالب أنها أقل من الأخلاق الفاضلة بكثير .

فإذا كَانَ صَاحِبَ إِنْصَافٍ وَعَدْلٍ ورأى رجحان المحاسن على المساوئ غضَّ عن المساوئ طرفه لاضمحلالها في المحاسن .

واسمَعَ ما يلي روي أن رجلاً جَاءَ إلى أمير المؤمنين عُمَرَ بنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يشكو زوجته من جهة سوء خلقها معه فوقف بيباب عمر ينتظر خروجه فسمع امرأة عمر تستطيل عَلَيْهِ بلسانها وتخاصمه وعمر ساكت لا يرد عَلَيْهَا فقنع الرجل وانصرف راجعاً قائلاً في نَفْسِهِ : إِذَا كَانَ هَذَا حال أمير المؤمنين مع شدته وصلابته وحزمه فكيف حالي أنا مع ضعفي . فخرَجَ عمر قبل أن يبعد الرجل فرأى الرجل مدبراً مولياً عن بابه .

فناداه عمر وَقَالَ له : ما حاجتك يا رجل ؟ فَقَالَ : يا أمير المؤمنين جئت أشكو

إليك سوء خُلق زوجتي واستطالتها علي فلَمَّا سمعت زوجتك كذَلِكَ رجعت وقُلْتُ : إذا كَانَ هَذَا حال أمير الْمُؤْمِنِينَ مَعَ زوجته فَكَيْفَ حالي .

فَقَالَ عمر : يا أخي إني احتملُها لحقوق لها علي إنها طباحة لطعامي خبازة لخبزي غسالة لثيابي مُرضعة لولدي وَلَيْسَ ذَلِكَ كله بواجب عَلَيْهَا ويسكن بها قلبي عن الحرام فَأَنَا احتملُها لذلِكَ . فَقَالَ الرجل : يا أمير الْمُؤْمِنِينَ وَكَذلِكَ زوجتي .

قال عمر : فاحتملها يا أخي فإنما هي مدة يسيرة . فأنظُرْ إلى هَذَا الإنصاف لأمير الْمُؤْمِنِينَ فإنه لاحظ الأخلاق الجميلة والمحاسن وغيض عن المساوئ بالكلية وتناساها .  
ثُمَّ انظر كيف أثرت سيرته على هَذَا الرجل الَّذِي جَاءَ إليه ليشكو امرأته وَرَجَعَ قانعًا راضيًا . وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

#### ( فَصْلٌ )

ومن حقوق الزوجة على زوجها أن يغار عَلَيْهَا فلا يعرضها للشبهة ولا يتساهل معها في ما يؤذي الشرف والمرؤة ولا يعرضها لألسنة السوء والتساهل في هَذَا قبيح يعد من سَفْسَافِ الأخلاق لما يجره من الشقاء لها وللأسرة ولزوجها .

وما زال النَّاسُ تتأثر سمعتهم وكرامتهم بسلوك الزوجات فمن أغضى عن زوجته وَهُوَ يرى ويسمَعُ أو أغضى عن بناته أو أخواته أو أي أنثى من قراباته فَقَدْ أَخْرَجَ نَفْسَهُ من زمرة الرِّجَالِ الَّذِيْنَ لَهُمْ حرمة وشرف في النَّفُوسِ ومنزلة عِنْدَ اللهُ على أنها إذا رأت منه تسامحًا ربما ازدادت توسعًا فيما همت به أو دخلت فيه .

فالمرأة شديدة التأثر بسلوك زوجها الديني فإن رأت منه حرصاً على التستر والعفة والنزاهة والعبادة اقتدت به وبادرت إلى ذلك استجابة لعاطفته وإرضاء لزوجها وإن رأت منه تشجيعاً على الإهمال والانفلات من أحكام الدين وأدب الأسرة لم تجد بُدّاً آخر الأمر من أن تستجيب له وتفعل ما يرضيه .

هَذَا فِي الْغَالِبِ وَقِيلَ أَنَّ تَجِدُ مَنْ تَبْتَعِدُ عَنْهُ إِذَا رَأَتْهُ غَيْرَ مُسْتَقِيمٍ وَكَمْ مِنْ زَوَاجَاتٍ خَرَجْنَ مِنْ بَيْوتِ آبَائِهِنَّ عَفِيفَاتٍ قَانِتَاتٍ يَصْمُنَ أَيَّامَ الْبَيْضِ وَيَقْمُنَ لَصَلَاةِ اللَّيْلِ فَمَا مَكْتَنَ غَيْرَ زَمَنٍ يَسِيرٍ حَتَّى انْحَرَفْنَ عَنِ ذَلِكَ كُلِّهِ بِتَأْثَرِ الزَّوْجِ وَانْحِرَافِهِ وَجَهْلِهِ وَتَوَجِيهَاتِهِ الْفَاسِدَةِ وَتَعْلِيمِهِ لَهَا بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ نَسَأَلَ اللَّهُ الْعَافِيَةَ .

وَأَقَلُّ النَّاسِ إِيمَانًا وَتَوْفِيقًا وَأَبْعَدَهُمْ عَنِ الْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ مِنْ أَهْدَرِ الْمُحَاسِنِ كُلِّهَا وَلَوْ كَانَتْ تَرَبُّو بِكَثِيرٍ عَلَى الْمَسَاوِي .

وَجَعَلَ الْمَسَاوِي نَصَبَ عَيْنِيهِ وَرَبَّمَا مَدَدَهَا وَبَسَطَهَا وَطَوَّلَهَا وَأَلْحَقَ بِهَا غَيْرَهَا وَكُرَّرَهَا وَأَعَادَهَا وَفَسَّرَهَا بِظَنُونِهِ السَّيِّئَةِ وَتَأْوِيلَاتِهِ الْفَاسِدَةِ .

وَأَضَافَ إِلَيْهَا مِنَ الْكُذْبِ وَالْبَهْتِ مَا تَسْتَعِثُ مِنْهُ الْفَضِيلَةُ كَمَا هُوَ الْوَاقِعُ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ هَذَا الْعَصْرِ الْمَظْلَمِ بِالْمَعَاصِي وَالْفِتَنِ وَالْمُنْكَرَاتِ وَالظُّلْمِ .

وَبَعْضٌ يَلَاحِظُ الْمُحَاسِنَ وَالْمَسَاوِيَّ وَيُوزَنُ بَيْنَهُمَا وَيَعَامَلُ الزَّوْجَةَ بِمَا يَرَى أَنَّهُ مُقْتَضَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا وَهَذَا مِنْصَفٌ وَلَكِنَّ الْكَمَالَ فِي الْحَالَةِ الْأُولَى وَقَدْ حَرَمَهُ وَلَقَدْ أَجَادَ الْقَائِلُ :

إِذَا قِيسَ إِحْسَانَ امْرِئٍ بِإِسَاءَةٍ  
فَأَرْبَىٰ عَلَيْهَا فَالْإِسَاءَةُ تُغْفَرُ

وقد ورد في فضل المرأة المطاوعة لزوجها أحاديث كثيرة نذكر بعضها إن شاء الله من ذلك ما ورد عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيُّ امْرَأَةٍ مَاتَتْ وَزَوْجُهَا عَنْهَا رَاضٍ دَخَلَتْ الْجَنَّةَ». رواه ابن ماجه والترمذي وحسنه .  
وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا صَلَّتِ امْرَأَةٌ خَمْسَهَا وَحَصَّنَتْ فَرْجَهَا وَأَطَاعَتْ بَعْلَهَا دَخَلَتْ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شَاءَتْ». رواه ابن حبان في صحيحه .  
وروي عنه ﷺ أنه قال: «يَسْتَغْفِرُ لِلْمَرْأَةِ الْمَطِيعَةِ لَزَوْجِهَا الطَّيْرُ فِي الْهَوَاءِ وَالْحَيْتَانُ فِي الْمَاءِ وَالْمَلَائِكَةُ فِي السَّمَاءِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ مَا دَامَتْ فِي رِضَا زَوْجِهَا». «وَأَيُّ امْرَأَةٍ عَصَتْ زَوْجَهَا فَعَلَيْهَا لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ وَأَيُّ امْرَأَةٍ كَلَّحَتْ فِي وَجْهِ زَوْجِهَا فَهِيَ فِي سَخَطِ اللَّهِ إِلَى أَنْ تَضَاحِكَهُ وَتَسْتَرْضِيَهُ وَأَيُّ امْرَأَةٍ خَرَجَتْ مِنْ دَارِهَا بِغَيْرِ إِذْنِ زَوْجِهَا لَعْنَتُهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تَرْجِعَ». «تَنْبِيهِ: الْمُرَادُ بِطَاعَةِ الْمَرْأَةِ لَزَوْجِهَا إِنَّمَا هِيَ فِي حُدُودِ الشَّرِيعَةِ قَالَ ﷺ: «لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ». فلو أمرها زوجها بمَعْصِيَةٍ كَاتِيَانَهَا فِي الدَّبْرِ أَوْ فِي الْمَحِيضِ فَلَا يَجُوزُ لَهَا الْمَوْافَقَةُ وَيَحْرَمُ عَلَيْهَا ذَلِكَ» .

وَكَذَا لَوْ أَمَرَهَا بِتَرْكِ صِيَامِ رَمَضَانَ أَوْ حَجِّ الْبَيْتِ أَوْ أَمَرَهَا بِتَرْكِ الزَّكَاةِ فَلَا

يجوز لها طاعته وكذا لو أراد جماعها وهي حائض حرم عَلَيْهَا طاعته في ذَلِكَ وفي مثل هذه الأمور يفهمها الموفق .

لِكُلِّ تَفَرُّقِ الدُّنْيَا اجْتِمَاعُ      فَمَا بَعْدَ الْمُنُونِ مِنْ اجْتِمَاعِ  
فِرَاقِ فَاصِلٍ وَنَوَى شَطُونُ      وَشُغْلٌ لَا يُبَلِّثُ لِلْوَدَاعِ  
وَكُلُّ أُحْوَةٍ لَا بُدَّ يَوْمًا      وَإِنْ طَالَ الْوِصَالُ إِلَى انْقِطَاعِ  
وَإِنَّ مَتَاعَ دِي الدُّنْيَا قَلِيلٌ      فَمَا يُجِدِي الْقَلِيلُ مِنَ الْمَتَاعِ

اللَّهُمَّ نور قلوبنا بنور الإيمان وثبتها على قولك الثابت في الحياة الدُّنْيَا وفي الآخرة واجعلنا هداة مهتدين وتوفنا مسلمين وألحقنا بعبادك الصالحين يا أكرم الأكرمين ويا أرحم الراحمين وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

#### ( فَصْلٌ )

اعلم وفقنا الله وإيَّاكَ وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ أنه يقع مشاكل كثيرة بين الزوجين للتنبيه عَلَيْهَا لِتُحْتَبَ من أسباب المشاكل العائلية سوء خلق أحد الزوجين وكونه يثور لأدني سبب ويغضب لأقل كلمة ولو كانت خارجة سهواً فكم ثارت في البيوت مشاكل من أسباب ضيق الصدر وسوء الخلق .

وَكَمْ انهارت بيوت فتفرقوا من أجل ضيق الصدر والحمق من الزوج أو الزوجة والغالب أن الزوج أكثر تجنُّباً من الزوجة فالمرأة تتحمل من الزوج غالباً أكثر ممَّا يتحمل زوجها منها لغروره هَذَا في الزمن الأول أما الآن فالنساء أكثرهن على العكس لأن المرأة في زمننا صار لها الكلام وسيطرت على الرِّجَالِ في الغالب بأسباب مخالطة الأجنبي لأنهم يخضعون لهن ويقدمونهن في كُلِّ شَيْءٍ ولا يخرجون عن رأيهن أبداً .

ومن أسباب المشاكل العائلية سوء الظن من أحدهما وغضبه قبل التذكر والتثبت فيقع النزاع وَرُبَّمَا حصل فراق ثُمَّ تبين الأمر خلاف الظن .



ومن أسباب المشاكل العائلية تدخل الزوج في الشؤون البيتية أكثر مما تدعو الحاجة أو الضرورة إليه وكم من رجل فارغ من العمل يقف مع زوجته في المطبخ ويعترض اعتراضات تافهة واقتراحات يريد بها التحدي والتعجيز وهذا تضيق زوجته بفضوله فما تلبث أن تنفجر وتثور ويقع الخصام واللجاج .

ومن أسباب المشاكل سوء فهم كل من الزوجين لطباع الآخر فقد يكون الزوج حاد المزاج شديد الإحساس يتأثر لأقل الأشياء التي يراها مخالفة لذوقه فلا تراعي زوجته فيه هذا فمثلاً تركه وهو يوجه إليها الكلام وتمزح والمقام يقتضي الجد وتضحك وهو غضبان ويتكلم بالكلمة .

فتقابله بعشرين كلمة فقل أن تطول المدة قبل الانفجار وقد يجبرها على ما تكره لبسه أو يسكنها بما لا يصلح لمثلها فما تلبث الزوجة أن تحس بضيق الصدر والانقباض ثم ينقلب الانقباض إلى تبرم ثم يؤدي إلي الشقاق لأقل سبب وربما أمرها والعياذ بالله بقص رأسها أو على أن تحضر عند الملاهي .

ومن الأسباب التدخل فيما لا يعني إما منها أو منه وأكثر المشاكل تقع من هذا السبب ولهذا في الحديث « من حسن إسلام المرء تركه ما يعنيه » .

ومن الأسباب عدم رضا أحدهما بالآخر رضى صحيح وقبول وانقياد عند عقد النكاح بل إكراه أو مجاملة فهذا لا يلبث إلا زمن يسير ثم يقع الخصام والفرق والدعاوي والمطالبات .

ومن الأسباب تدخل أحد الأبوين بين الزوج والزوجة فتقع المشاكل

بينهما ويطول النزاع وقد تقع الفرقة من ذلك السبب .

ومن الأسباب خروج المرأة من بيتها من غير إذن زوجها وقد كثر هذا في زمننا بسبب مخالطة الأجانب أبعدهم الله عنا .

ومن الأسباب خلو الزوجة مع أقارب الزوج الذين ليسوا محارم لها ولهذا قال ρ : « الحموم الموت » .

ومن الأسباب إذا كان له زوجتان فأكثر ميله إلى إحدى الزوجات فتجد بعض من عنده أكثر من زوجة يحرص على أن يجعل مواعيد الدعوة لطعام أو غيره في ليلة التي يكرهها أو أقل محبة من الأخرى ويأتي في ليلة التي يحبها من حين يصلي العشاء إن كان ممن يشهدون صلاة الجماعة ، وبعضهم يأتي راجحة المحبة في ليلة المرجوحة بغير رضاها والعياذ بالله .

وأما العادل فينظر إلى الساعة ويضع قرعة للدعوة فأيتهن خرجت في ليلتها عمل بذلك ، هذه هي معظم ما يحصل به المشاكل بين الزوجين فينبغي للإنسان أن يلاحظها ويجعلها على باله دائماً ليتجنبها وإذا كان الرجل أكمل عقلاً منها فعليه أن يدمج الزلات البسيطة لتدوم العشرة وتسود المحبة وعليها هي أيضاً أن تحرص كل الحرص على طاعته في غير معصية الله .

شِعْرًا :

وَ تَهْوَى أَنْ تَكُونَ لَهُ مُسَاعِدٌ	إِذَا رَفَعَ إِلَهُ مَكَانَ شَخْصٍ
يُنِيلُكَ إِنْ دَنَوْتَ وَإِنْ تَبَاعَدُ	أَنْلَهُ مَكَانَ رُتْبَتِهِ تَجِدُهُ
تَكُنْ رَجُلًا عَنِ الْحُسْنَى تَقَاعَدُ	وَلَا تَقُلِ الَّذِي تَدْرِيهِ فِيهِ
وَلَكِنْ لِلْعُرْسِ أُنْهَى مِنْ عُرُوسٍ	فَكَمْ فِي الْعُرْسِ أُنْهَى مِنْ عُرُوسٍ
وَتُوقَى عَذَابًا بِالنِّسَاءِ صَارَ مُحْدِقًا	آخِر: أَلَا يَا غَوَانِي مَنْ أَرَادَتْ سَعَادَةً

فَأَكْثَرُ أَهْلِ النَّارِ هُمْ حَقِيقَةٌ  
رَوَيْنَا حَدِيثًا فِيهِ صِدْقًا مُصَدَّقًا  
تَوَخَّلِي التَّبَاهِي تُبَدِّلُ اللَّهْوَ بِالْبُكَاءِ  
وَتَبَدِّلُ كُلَّ الْجُهْدِ بِالزُّهْدِ وَالتَّقَى  
وَتَعْتَاضُ عَنِ لِيْنِ خُشُونَةً  
وَعَنْ يَابِسِ فِي الدِّينِ أَخْضَرَ مُورِقًا  
رَعَى اللَّهُ نِسْوَانًا تَبِيَّتْ قَوَاتِنَا  
وَيُصْبِحُ مِنْهَا الْقَلْبُ بِالْخَوْفِ مُحْرَقًا  
تَظَلُّ عَنِ الْمَرْعَى الْخَصِيبِ صَوَائِمًا  
وَيُؤْمِسِي سَمِينُ الْبَطْنِ بِالظَّهْرِ مُلْصَقًا  
تَرَى بَيْنَ عَيْنٍ وَالشُّهَادِ تَوَاصِلًا  
وَبَيْنَ الْكِرَى وَالْعَيْنِ مِنْهَا تَفْرِقًا  
وَبَيْنَ مَعَاءٍ وَالْغِذَاءِ تَقَاطُعًا  
وَبَيْنَ خُلُوفِ الْمِسْكِ وَالثَّغْرِ مُلتَقَى  
تَرَى نَاحِلَاتِ قَارِنَاتِ مَصَاحِفًا  
وَلَوْلُؤُ بَحْرِ الدُّرِّ فِي الْوَرْدِ مُشْرِقًا  
فَدَتْهَا مِنَ الْآفَاتِ كُلِّ نَفْسٍ مَنْ  
يُخَالِفُهَا فِي الْوَصْفِ غَرَبًا وَمَشْرِقًا  
خَلِيلِي إِنَّ الْمَوْتَ لَا شَكَّ نَازِلُ  
وَبَيْنَ الْأَجْبَا لَا يَزَالُ مُفَرَّقًا

فَجَدًّا لِدَارٍ لَا يَزُولُ نَعِيمُهَا  
 بِهَا الْحُسْنُ وَاللَّدَاتُ وَالْمُلْكُ وَالْبَقَا  
 وَوَلَقِيَا حِسَانِ نَاعِمَاتٍ مُنَعَّمٍ  
 بِهِنَّ سَعِيدٌ سَعِدَ ذَلِكَ مَن لَقَا  
 كَوَاعِبَ أَتْرَابٍ زَهَتْ فِي خِيَامِهَا  
 بِظِلِّ نَعِيمٍ قَطُّ مَا مَسَّهَا شَقَا  
 كَدْرٌ وَيَاقُوتٍ وَيَبِضُ نِعَامَةٍ  
 كَشَاهَا الْبَهَا وَالنُّورُ وَالْحُسْنُ رَوْنَقَا  
 تُعْنِي بِمَا لَمْ تَسْمَعْ الْخَلْقُ مِثْلَهُ  
 وَقَدْ حَبَّرَتْ صَوْتًا رَحِيمًا مُشَوِّقَا  
 غِنَاهُنَّ نَحْنُ الْخَالِدَاتُ فَقَطُّ مَا  
 نَبِيدُ وَنَحْنُ النَّاعِمَاتُ فَلَا شَقَا  
 وَلَا سَخَطٌ وَالرَّاضِيَاتُ بِنَا الْمُنَى  
 فَطُوبَى لِمَن كُنَّا لَهُ مِنْ أَوْلِي التَّقَى  
 وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

### فَصْلٌ

( فِي ذِكْرِ بَعْضِ أَحْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ )

( وَالرَّدُّ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ )

عباد الله قد سبق ذكر الموت وأحوال الميت في سكراته وفتنة القبر وسؤال منكر ونكير وعذاب القبر ونعيمه وخطر من كان مسخوطاً عليه وأعظم من ذلك الأخطار التي بين يديه من نفخ الصور والبعث والنشور والعرض على الجبار والسؤال عن الدقيق والجليل ونصب الميزان لمعرفة المقادير .

ثُمَّ جَوَّازِ الصَّرَاطِ مَعَ دَقَّتِهِ وَحَدَّتِهِ ثُمَّ أَنْتَظِرِ النَّدَاءَ عِنْدَ فَصْلِ الْقَضَاءِ إِمَّا بِالْإِسْعَادِ وَإِمَّا بِالْأَشْقَاءِ فَهَذِهِ أَحْوَالٌ وَأَهْوَالٌ لَا بَدَّ مِنْ مَعْرِفَتِهَا ثُمَّ الْإِيمَانَ بِهَا عَلَى سَبِيلِ الْجَزْمِ وَالتَّصْدِيقِ ثُمَّ تَطْوِيلِ الْفِكْرِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي مَقْدَارُهُ خَمْسُونَ أَلْفَ سَنَةٍ .

كَمَا جَاءَ فِي الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ يَجْمَعُ اللَّهُ فِيهِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِيَ وَيَنْفِذُهُمُ الْبَصَرَ لَا يَغِيبُ مِنْهُمْ أَحَدٌ وَتَدْنُو مِنْهُمْ الشَّمْسُ وَيُلْجِمُهُمُ الْعَرَقُ هَذَا الْيَوْمَ هُوَ الْيَوْمُ الَّذِي تَذْهَلُ فِي كُلِّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ .

فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يَبْلُغُ الْأَمْرُ مِنَ الْحَيْرَةِ وَالدهْشَةِ وَالاضْطِرَابِ وَالدهُولِ أَنْ تَذْهَلِ الْمَرْضِعَةُ عَنْ وَلَدِهَا الَّذِي فِئْتُهُ فِي ثَدْيِهَا وَهُوَ أَعَزُّ شَيْءٍ لَدَيْهَا فَكَيْفَ بِالدهُولِ عَمَّا سِوَاهِ وَتَسْقُطُ الْحَوَامِلُ مِنَ الْفَرْعِ وَالرَّعْبِ وَالرُّوعِ مَا فِي بَطُونِهَا مِنَ الْأَجْنَةِ قَبْلَ التَّمَامِ وَتَرَى النَّاسَ كَأَنَّهُمْ سُكَارَى مِنْ شِدَّةِ الرُّوعِ وَالْفَرْعِ وَالخَوْفِ الَّذِي صِيرَ مِنْ رَأْيِهِمْ يَشْبَهُهُمْ بِالسُّكَارَى لِذهَابِ عَقُولِهِمْ مِنْ شِدَّةِ الخَوْفِ كَمَا يَذْهَبُ عَقْلُ السُّكَرَانِ مِنَ الشَّرَابِ ﴿ يَوْمَ تَرُجِفُ الرَّاغِفَةُ تَتَّبِعُهَا الرَّاِدِفَةُ ﴾ تَكُونُ الْأَرْضُ كَالسَّفِينَةِ فِي الْبَحْرِ عِنْدَ اضْطِرَابِ الْأَمْوَاجِ تَكْفَأُ بِأَهْلِهَا .

فَيَمِيدُ النَّاسُ عَلَى ظَهْرِهَا وَيَتَسَاقَطُونَ مِنْ شِدَّةِ الْأَمْرِ وَبَلُوغِهِ أَقْصَى الْغَايَاتِ وَلِهَذَا أَذْهَلُ الْعُقُولِ وَأَذْهَبُ التَّمْيِيزِ وَالْفِكْرِ وَالصَّحْوِ إِنَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا \* وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴾ .

إنها لهزة عنيفة للقلوب الغافلة حيث ترجف الأرض الثابتة ارتجافاً وتزلزل زلزالا وتنفض ما في جوفها وتخرج ما يثقلها من أجساد ونقود وغيرها مما حملته طويلاً وهو مشهد يهز كل شيء ثابت والأرض تهتز والسماء تمور .

إنه لمشهد مجرد تصوره ، يخلع القلوب يري الإنسان ما لا يعهد ويواجه ما لا يدرك ويشهد ما لا يملك الصبر أمامه ولا السكوت عنه ﴿ وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ﴾ ما الذي يزلزها هكذا ويرجها رجاً .

وكأنه من شدة ما نزل يتمايل علي ظهر الأرض ويتشبث ويحاول أن يمسك بشيء لعله يثبت لأن كل ما حوله يمور موراً شديداً قد امتلأ من الرعب والفرع والدهشة والعجب .

يرى الجبال وهي تسير وإذا الجبال سيرت ، هذه الجبال وقد نسفت وبست وراءها ذرات في الهواء ﴿ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا \* فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا ﴾ ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴾ ﴿ وَسَيَّرَ الْجِبَالَ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴾

هذه تصرح وتشير إلي حدث عظيم تتزلزل منه الجبال وتذهب هباء يتلاشى ثباتها ورسوخها واستقرارها وتماسكها والإنسان ينظر ولا يكاد يلتقط أنفاسه ﴿ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطِمِينَ ﴾ .

هنا يشاهد ويواجه الحشر والحساب والوزن والجزاء ويقف جبريل عليه السلام والملائكة صفًا بين يدي الرحمن ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا ﴾ بين يدي الرحمن ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا ﴾ لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً ﴿ ذَلِكَ يَوْمٌ جَمُوعٌ لَهُ

النَّاسِ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ \* يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ \* ، ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ .

وموقف هؤلاء المقربين خاشعين خاضعين لعظمة الله ، ﴿ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴾ ، ﴿ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾ .  
موقفهم هكذا صامتين لا يتكلمون إلا بإذن من الرحمن يلقي في النفس الرهبة والرعب والفرع من ذَلِكَ الْيَوْمِ الْعَظِيمِ الَّذِي يَنْكَشِفُ فِيهِ كُلُّ مَسْتَوْرٍ وَيَعْلَمُ فِيهِ كُلُّ مَجْهُولٍ .

وتقف فيه النفس أمام ما أحضرت من الرصيد والزاد في موقف الفصل والحساب ﴿ هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ ﴾ ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ﴾ ، ﴿ يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾ ، ﴿ يَوْمَئِذٍ يُؤْفِقِهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ ﴾ .

في ذَلِكَ الْيَوْمِ يكون التغير العظیم الشامل للمعهودات السماوات والأرض الشمس مكورة والنجوم منكورة والسماء منشفة والوحوش النافرة محشورة والأنعام والطيور والعشار معطلة . ﴿ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ \* وَخَسَفَ الْقَمَرُ \* وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ \* يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُ ﴾ ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ \* وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَشَرَتْ \* وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴾ ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا ﴾ ﴿ فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴾ .

هذه الآيات وأمثالها تشير إلى ذلك الحادث الهائل في الكون كله ولا يعلم حقيقته إلا الله إنه حادثٌ عظیمٌ ترجف الأرض منه وتخاف وتنهار فكيف

بالخلق الضعاف المهازيل الَّذِينَ تَهْزَمُ الصَّوَاقِقُ هَرًّا وَتَخْلَعُ قُلُوبُهُمْ خَلْعًا ﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا \* السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ ﴾ ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴾

وفي وسط هذا الرعب والخوف والقلق والفرع والذهول والانقلاب يتساءل الإنسان المدعور أين المفر ويدو ذلك في سؤاله وكأنما ينظر في كل اتجاه فإذا هو مسدود دونه مأخوذ غايته ولا ملجأ ولا محيص ولا منفذ ولا وقاية من قهر الله وأخذه ، والرجعة إليه والمصير والمستقر عنده ﴿ كَلَّا لَا وَزَرَ \* إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴾ ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا ﴾ .

ففي هذا الموقف الرهيب يتبين عجز الخلائق وضعفهم وكمال سلطان الله وقدرته ونفوذ مشيئته ﴿ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ ﴿ إِنَّكُمْ فِي قَبْضَةِ اللَّهِ ﴾ ﴿ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ﴾ ، إنه ليوم عصيب وموقف رهيب ﴿ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا \* لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا \* وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴾ .

فلا مجال لهرب أحد ولا نسيان لأحد فعين الله على كل فرد وكل فرد يقوم وحيداً لا يأنس بأحد فإذا هو فريد وحيد أمام الديان . ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ بِجُودِلٍ عَنِ نَفْسِهَا ﴾ ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ \* وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ \* وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ \* لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾

مشهد المرء يفر وينسلخ ويهرب من أقرب الناس إليه وألصقهم به أولئك الذين تربطهم به وشائج وروابط لا تنفصم ولكن الصاححة والطامة تُمزق



هذه الروابط وتقطع الوشائج والصلوات ﴿ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾ .  
 فالهول يفرع النفس ويقلقها ويفصلها من محيطها ويستبد بها استبدادًا فلكل نفسه وشأنه  
 ولديه الكفاية من الهم الخاص به الذي لا يدع له فضلة من وعي أو جهد ﴿ لِكُلِّ امْرِيٍّ مِّنْهُمْ  
 يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ ﴿ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطِمِينَ ﴾

فها هي ذي الساعة التي يغفل عنها الغافلون ويلهوا عنها اللاهون وَيَسْتَعْجِلُ بِهَا  
 المستعجلون ﴿ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا  
 الْحَقُّ ﴾ ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْلِسُ الْمُجْرِمُونَ \* وَمَنْ يَكُنْ لَهُمْ مِّنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءَ وَكَانُوا  
 بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ \* وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُؤْمِنُونَ \* فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ  
 فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ \* وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ  
 مُحْضَرُونَ ﴾ .

وهؤلاء المجرمون حائرين يائسين لا أمل في النجاة ولا رجاء ولا خلاص بل قد أيقنوا في  
 العطب ﴿ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُّوَاقِعُوهَا وَمَنْ يَجِدُهَا مَصْرِفًا ﴾ ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ  
 الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾ .  
 هنا يعترفون بالخطيئة ويقرون بالحق الذي جحدوه بالدُّنيا ويعلمون اليقين بما شكوا فيه  
 ويطلبون العودة إلى الدُّنيا لإصلاح ما فات في الدُّنيا ومنظرهم إذ ذاك مُفزعٌ مخيفٌ وهم ناكسوا  
 الرؤوس خجلاً وحزناً .

فالأمر أمر فظيع والحال مزعجة أقومًا حاسرين مكروبين وسؤال غيرُ

مَجَاب لِفَوَاتٍ وَقَتِ الْإِمْهَالِ ﴿ وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَلَيْنَا لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ .

فيا عباد الله انتبهوا من رقدتكم واستدركوا بقية أعماركم واحذروا الانهماك في دار الغرور فالويل لكم إن أدرككم الموت وأنتم على هذه الحالة ، زينتم القلل والقصور ونسيتم القبور ، اذكروا القبر وظلمته ووحشته والموت وسكرته والميزان وخفته أو رجحته والكتاب وأخذته والصراط ودقته ، والموت ، وسكرة في سكرة وحيرة في حيرة وجذبة يا لها من جذبة وكربة يا لها من كربة فالمسكين يكابد عُصص المنون داهش العقل كالمحزون .

فالله الله عباد الله أفيقوا من سكراتكم وانتبهوا من نوماتكم واستيقظوا من غفلاتكم قبل مفاجأة المنية وحلول الرزية ووقوع البلية حيث لا مال ولا ولد نافع ولا حميم شافع ولا فرح واقع ولا رجاء طامع ولا حسنة تُزاد ولا سيئة تُحذف ولا حياة تعاد ويزودك أحبابك بالحزن عَلَيْكَ والبكاء فلا عشرة تُقال ولا رجعة تُنال .

شِعْرًا: أَلَا إِنَّ أَيَّامَ الْحَيَاةِ مَرَاحِلُ

طَرِيقِ الْفَتَى مِنْهَا إِلَى الْمَوْتِ سَاحِلُ

يُسْرُ بِمَا يَمْضِي لِمَا هُوَ آمِلُ

وَيَأْتِي الرَّدَى مِنْ دُونِ مَا هُوَ آمِلُ

وَمَا يَوْمُهُ إِلَّا غَرِيمٌ مُحَكَّمُ

إِذَا مَا اقْتَضَاهُ نَفْسَهُ لَا يُمَاطِلُ

عَجِبْتُ لِمَنْ يَبْغِي السَّلَامَةَ جَاهِدًا  
وَمَرُّ اللَّيَالِي كُلُّهُنَّ غَوَائِلُ  
وَنَحْنُ بُنُو الْأَيَّامِ نَظَلِمُ نَفُوسَنَا  
وَنَرْجِعُ وَهِيَ الْقَاتِلَاتُ الثَّوَاكِلُ

اللَّهُمَّ أقم علم الجهاد ووقفنا لسلوك طريق الحق والرشاد ، وأقمع الكفر والزيغ والشر والفساد ، وانصر دينك وانصر من نصره من العباد ، وثبتت محبتك في قلوبنا وقوها ، يا كريم يا جواد ، وأغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين .  
وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

( فَضْلٌ )

وتفكر في حالتهم في المحشر تجد مشهد مكروب ذليل يثير الفزع والخوف ﴿ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ .  
هذه أبصارهم لا تطرف من الهول الذي فوجئوا به يَقُولُونَ يَا وَيْلَنَا وَهُوَ تَفْجَعُ وَتَوَجَّعُ المفجوء الذي تنكشف له الحقيقة المرعبة بغتة فيذهل ويشخص بصره فلا يطرف ويدعو بالويل والهلاك ويعترف ويندم ولكن بعد فوات الأوان .

إنها مشاهد يوم القيامة وما يجري فيه من تغيرات كونية ومن اضطرابات نفسية ومن حيرة وتحسر في مواجهة الأحداث وتحسر في مواجهة الأحداث الغالبة حيث يتجلى

الهلول في صميم الكون وفي اغترار النفس وهي تروغ من هنا ومن هناك .  
﴿فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ \* يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ  
سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ \* خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكِ الْيَوْمِ الَّذِي كَانُوا  
يُوعَدُونَ﴾ .

وكذلك خروجهم من القبور ينبئ أنهم في كرب وشدة وأنهم أذلاء غير متمكنين من  
الاستعصاء على الداعي إذ هم يهرولون مقهورين مع خشوع أبصارهم وذلتها لهول ما تحققوا  
من العذاب .

قد ملك القلق والخوف قلوبهم واستولى على أفئدتهم وسكن حركاتهم وقطع أصواتهم تعلقوا  
وجوههم القترة لما أصابهم من الكآبة والحزن والهم العظيم الذي لا يرجي له فرج ﴿تَرَى  
الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾ ﴿تَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ  
مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ﴾ ﴿وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ .  
إن هؤلاء الظالمين الطغاة كانوا في الدنيا متكبرين فناسب أن يكون الذل والصغار هؤ  
مظهرهم البارز يوم القيامة الجزاء على الأعمال فعند ما يشاهدون الحقائق ويرون العذاب  
تتهاوى كبرياؤهم وعظمتهم ويتساءلون في ذل وانكسار وخوف ﴿هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ﴾ .

في هذه العبارة التي يفهم منها اليأس مع التلهف والانهيار مع التطلع إلى أي بارقة للخلاص  
ويعرضون على النار خاشعين لا من ورع ولا تقوى ولا من حياء وخجل ولكن من الذل والهوان  
منكسي أعينهم من الذل والعار ينظرون من طرف خفي .

إنه لمنظرٌ ومَرّاً فظيماً صعباً شنيعاً مجرد تصويره يزعج ويقلق حيث يظهر منه الندم العظیم والحزن الطويل والأسف الشديد على ما سلف مِنْهُمْ من الإهمال والتفريط والتضييع الَّذِي لا يمكن تلافيه .

فيا أيها العَافِلُ الساهي المهمل وكلنا كَذَلِكَ انتبه ومثل نفسك في هَذَا الْيَوْمِ الْعَظِيمِ الْجَامِعِ للأولين والآخرين فيا لعظم يوم يوجه السؤال فيه لمن قال الله جلا وعلا في حقهم : ﴿ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴾ ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ ﴿ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴾ .

في ذَلِكَ الْيَوْمِ العصيب ينادون الخلائق واحداً واحداً يا فلان هَلُمَّ إلى العرض وعند ذلك تنخلع القلوب وترتعد الفرائض وتضطرب الجوارح وتنبهت العقول وتتحير ويبس اللسان وتشخص الأبصار .

فما ظنك بمن يؤخذ بناصيته ويقاد وفؤاده مضطرب ولبه طائر وفرائضه ترتعد وجوارحه تنتفض ولونه متغير ولسانه وشفته قد نشف ما بهما من رطوبة وقد عض على يديه ولم يأكل ولم يشرب ولم ينم ولم يسترح ولم يجلس ولم يركب .

والعالم والجو عَلَيْهِ مظلّم وضافت عَلَيْهِ الأرض وصارت الدُّنْيَا أضيق من سم الخياط مملوء من الرعب والخجل من علام الغيوب والأولين والآخرين وأهل السماوات وأتى يتخطى رقاب الناس ويخترق الصفوف يقاد كما يقاد الفرس المجنوب وقد رفع الخلائق إليه أبصارهم حتى انتهى به إلى عرش الرحمن فرموه من أيديهم .

وناداه الله سُبْحَانَهُ وتعالى فدنى بقلب محزون خائف وجل وطرف خاشع ذليل وفؤاده متحطم متكسر وأعطى كتابه الَّذِي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها .  
 فكم من فاحشة نسيها فتذكرها وَكَمْ من ساعة قتلها عِنْدَ منكر وَكَمْ من ليلة أضاعها عِنْدَ ملهى وَكَمْ من فلوس أنفقها في المعاصي وَكَمْ من صلاة ضيعها عِنْدَ ملهى وَكَمْ من زكاة تهاون بها وَكَمْ من صيام في الكذب والغيبة خرقه وَكَمْ من أعراض انتهكها وجلود مزقها وَكَمْ من جيران تأذوا بمجاورته وَكَمْ من بريء قذفه بالزنا واللواط وَكَمْ من محصنة قذفها واتهمها وَكَمْ من مُحصنة حاولها للفساد وَكَمْ من مخالط له أوقعه في المعاصي وَكَمْ من أرحام قطعهم وَكَمْ من مسلم غشه وَكَمْ من ساعة قتلها فيما يُغضب الله حول المنكرات وَكَمْ من زكاة تناساها وَكَمْ من صلاة أضاعها وأسدها .

وَكَمْ من حقوق لخلق الله نسيها أو تناساها ومن أسرار تسمعها لم يؤن له في ذَلِكَ وَكَمْ من محرم نظر إليه ومسلم جس عَلَيْهِ وأوقعه فأفزع وأزعج أولاده وأحباءه وأثر به الفزع والهلم إلى أن أباده وَكَمْ من رحلة إلى بلاد الكفر أقامها وأنفق فيها الأموال في المعاصي .  
 وَكَمْ من أعداء لله جالسهم ومازحهم وشاركهم وولاهم وداهنهم وَكَمْ من أولياء الله عاداهم وانتهك أعراضهم وَكَمْ من كفار والاهم وصادقهم ومدحهم وَكَمْ من عمل بالرياء أفسده ﴿ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴾ ﴿ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ .

فليت شعري بأي قدم يقف بين يدي الله وبأي لسان يجيب وبأي قلب

يعقل ما يُقُولُ وبأي يد يتناول وبأي عين ينظر وبديع السماوات والأرض أمامه ﴿﴾ إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِيَ الرَّحْمَنِ عَبْدًا \* لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا \* وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴿﴾ .

إذا فهمت ما سبق من أحوال يوم القيامة وأدلتها فاعلم أن أكثر خلق الله لم يدخل الإيمان باليوم الآخر في قلوبهم ولم يتمكن من سويدهاء أفئدتهم .

ويدل على ذلك استعدادهم لبرد الشتاء وحر الصيف وتهاونهم بجهنم وزمهيرها وزقومها وحميمها وويلها وغساقها مع ما يتبع ذلك من الشدائد والأهوال والكروب والقلائل والمزعجات .

ولو كانوا مصدقين ما كانوا بهذه الحال ، اللسان يصدق والعمل يكذب إذا سئلوا عن اليوم الآخر نطقت ألسنتهم وغفلت عنه قلوبهم .

ومن قدم له طعام وأخبر أنه مسموم فقال للذي أخبره صدقت فيه سم ثم مد يده يتناوله ليأكل كأن مصدقاً بلسانه ومكذباً بفعله وتكذيب العمل أبلغ من تكذيب اللسان قال بعضهم :

شِعْرًا: وَمُنْتَظِرٍ لِلْمَوْتِ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ

يَشِيدُ وَيَبْنِي دَائِمًا وَيُحَصِّنُ

لَهُ حِينَ تَبْلُوهُ حَقِيقَةُ مُوقِنٍ

وَأَعْمَالُهُ أَعْمَالُ مَنْ لَيْسَ يُوقِنُ

عِيَانٌ كَانِكَارٍ وَكَالْجَهْلِ عَلَيْهِ

بِمَذْهَبِهِ فِي كُلِّ مَا يَتَّقِنُ

آخر: بَادِرُ شَبَابِكَ أَنْ تَهْرَمَ مَا وَصِيحَةَ جِسْمِكَ أَنْ تَسْقَمَا

وَأَيَّامَ عَيْشِكَ قَبْلَ الْمَمَاتِ فَمَا قَصْرُ مَنْ عَاشَ أَنْ يَسْلَمَا

وَوَقْتُ فَرَاغِكَ بَادِرُ بِهِ لِيَالِي شُغْلِكَ فِي بَعْضِ مَا

آخر: أَمِنْ بَعْدِ شَيْبِ أَيُّهَا الرَّجُلُ الْكَهْلُ جَهَلْتَ وَمِنْكَ الْيَوْمَ لَا يَحْسُنُ الْجَهْلُ

تَحَكَّمَ شَيْبُ الرَّأْسِ فِيكَ وَإِنَّمَا  
دَعِ الْمَطْلَ وَالْتَسْوِيفَ إِنَّكَ مَيِّتٌ  
سَأْبُكِي زَمَانًا هَدَنِي بِفِرَاقِهِ  
عَجِبْتُ لِقَلْبِي وَالْكَرَى إِذْ تَهَاجَرَا  
أَخَذْتُ لِنَفْسِي حَنْفَ نَفْسِي بِكَفِّهَا  
وَبَارَزْتُ بِالْعِضْيَانِ رَبًّا مَهِيْمِنًا  
أَخَافُ وَأَرْجُو عَفْوَهُ وَعِقَابَهُ  
تَمِيلُ إِلَى الدُّنْيَا وَيَخْدَعُكَ الْمَطْلُ  
وَبَادِرُ بَجْدٍ لَا يُخَالِطُهُ هَزْلٌ  
فَلَيْسَ لِقَلْبِي عَنْ تَذَكُّرِهِ شُغْلٌ  
وَقَدْ كَانَ قَبْلَ الْيَوْمِ بَيْنَهُمَا وَصْلٌ  
وَأَثَقَلْتُ ظَهْرِي مِنْ ذُنُوبٍ لَهَا ثِقْلٌ  
لَهُ الْمَنُّ وَالْإِحْسَانُ وَالْجُودُ وَالْفَضْلُ  
وَأَعْلَمُ حَقًّا أَنَّهُ حَكَمٌ عَدْلٌ

( موعظة )

عباد الله إن من عباد الله من إذا أنعم الله عليه بمال كثير كانت الحال عنده فوضى فلا تضع زوجتك ولا بناته أيديهم في دقيق ولا جليل من أعمال البيت فيجيء لهن بخدامين وسواقين وطباخين الواحد منهم في طول النخلة في منتهى العافية ولا يبعد أن يكون من الشباب الذين يعجبون النساء جمالاً وزمماً خلو في النساء وصاحب البيت من زوج أو غيره لاه في أمور دنياه أو في عمله لا يفكر فيما تفكر فيه النساء ولا فيما يفكر فيه الخادم أو السائق وكأن نساءه في اعتقاده معصومات ولا يدري أنه ما خلا رجل بامرأة إلا وثالثهما الشيطان وأن النساء حبائل الشيطان وأنهن من أضر ما على الرجل وأن لذة الرجل عندهن ولذاتهن عنده لا يخالف في ذلك أحد إلا معتوه أو نحوه فإذا رأت المرأة شاباً ولا ثالث لهما فلا يبعد أن تدعوه لذلك فما موقف هذا المغفل أمام بديع السماوات والأرض الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور .  
ولعل جواب هذا الجاهل أنه لا يدور في خلده أن امرأته تقدم على مثل هذا لأنها معصومة قولوا له أما سمعت بقصة امرأة العزيز اقرأها لعلك تأخذ جذرك وتعلم أنه لا يسلم من فتنهن إلا عباد الله المخلصين .



قولوا له تأمل القِصَّةَ لعلك تفهم أن الله جلا وعلا لم يذكرها في القرآن إلا ليعتبر أولو الأبصار فيحترس الرِّجال علي نساءهم من الخدم ونحوهم .

إن امرأة العزيز كانت ذات مركز عَظِيم في مصر وكان يوسف عَلَيْهِ الصَّلَاة والسَّلَام في بيتها كخادم لها ومع ذلك لم تسأل عن شرفها وكرامتها ولا شرف زوجها بل داستهما بنعل الشهوة دوسًا ولم تتوقف في بذل كُلِّ ما تستطيع من قوة وحيلة لإخضاع يوسف عَلَيْهِ السَّلَام ولولا أن الله عصمه وصرف عنه السُّوء والفحشاء لوصلت إلى ما تريد قال تَعَالَى : ﴿ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾ .

والفتنة الثَّانِيَّة أنك تجد آخر يأتي بخدمة ويتخيَّر القوية الجميلة وبيته الواسع مملوء من العزب أولاد وإخوان وُرُمًا خلو بها وهُوَ أيضًا ربما خلا بها وُرُمًا تكون أجمل من زوجته أو أولاده فلا تمه تلك الناحية التي يعرفها بعض النساء الفاسقات ويستبعد ذلك من نساءه وأنه من المحال عنده فتنبهوا يا عباد الله ولا تستخدموا الشباب ولا الشابات من النساء وإلا فقد عرضتم أنفسكم للفتن والمشاكل والعقوبات . واحذروا استخدام الكافرين والكافرات .

فإن كان لابد فاستخدموا الرِّجال خارج البيوت واحذروا من اتصالمهم بنساءكم وأما الخدامات فاحرصوا على كبيرة السن المتدنية غير الجميلة لتبتعدوا عن أسباب الشر والفساد وتطمئنوا على ما يأتيكم من أولاد أنهم من أصلابكم وإن أبيتم فالضَّرر عائد عليكم دنيا وأخري .

شِعْرًا:	بَدَلْتُ لَهُمْ نُصْحِي بِمُنْعَرِجِ اللَّوَا	فَلَمْ يَسْتَبِينُوا الرُّشْدَ الأَضْحَى العَدِ
آخر:	أَتَيْتُكَ رَاجِيًا يَا ذَا الجَلَالِ	فَفَرَّجَ مَا تَرَى مِنْ سُوءِ حَالِي
	عَصِيَّتِكَ سَيِّدِي وَيَلِي بِجَهْلِي	وَعَيْبُ الذَّنْبِ لَمْ يَخْطُرْ بِيَالِي
	إِلَى مَنْ يَشْتَكِي المَمْلُوكِ إِلا	إِلَى مَوْلَاهُ يَا مَوْلَى المَوَالِي
	فَوَيْلِي لَيْتَ أُمِّي لَمْ تَلِدْنِي	وَلَا أَعْصِيكَ فِي ظُلْمِ اللَّيَالِي

وَهَا أَنَا ذَا عَيْدِكَ عَبْدَ سُوءٍ      بِبَابِكَ وَاقِفٌ يَا ذَا الْجَلَالِ  
فَإِنِّ عَاقِبَتِ يَا رَبُّ فَإِنِّي      مَحْقٌ بِالْعَذَابِ وَبِالنَّكَالِ  
وَإِن تَعْفُو فَعَفْوُكَ أَرْجِيهِ      وَيَحْسُنُ إِن عَفَوْتَ قَبِيحَ حَالِي

اللَّهُمَّ وفقنا لصالح الأعمال وأكفنا بجلالك عن حرامك وبفضلك عن سواك إنك على كل شيء قدير وصلى الله على محمد وآله وسلم .

( فَصْلٌ )

وقسم من الناس والعياذ بالله أنكروا يوم القيامة بتاتا مستبعدين ومستفهمين استفهام إنكار وتهكم ﴿ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴾ ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ فأوضح جلَّ وعلا وبين أن الذي خلقهم وأنشأهم أول مرة قادر على إحيائهم بعد فنائهم .

بل الإعادة أهون في نظر الناس وحدود قدرتهم من الإبداع فالذي يعترف ويقر بأن الله تعالى هو الذي بدأ الخلق يجب عليه ويتحتم أن يُيسلَمَ بأن الله تعالى قادر على الإعادة .  
وذكر جلَّ وعلا البداء دليلاً على الإعادة فقال : ﴿ وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا \* أَوْلَا يَذُكَّرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴾ وذكر جلا وعلا في سورة الروم أن إعادة الخلق أهون من ابتدائه فقال جلَّ وعلا ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ .

ومن الأدلة العقلية الدالة على البعث دلالة قاطعة بمجرد نظر العاقل إليها يستدل بها استدلالاً لا يقبل الشك والشبهة بوقوع ما خبرت به الرسل من البعث خلق السماوات والأرض على عظمها فكل منصف يعلم بالدهامة الحسية أن خلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس في ابتدائهم وإعادتهم .

وورد بعدة آيات الاستدلال بخلق السماوات والأرض على قدرة الله تعالى على إحياء الموتى قال تعالى ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْصِي بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ أَفَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ بهذه الآية أكد جلاً وعلماً صحة البعث ، المعنى أن ابتداء الخلق لم يعجز الله والإعادة أسهل من الابتداء والكل على الله هين ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ ، فلا مجال للشك في الإعادة عند من يقر في الابتداء .

وَقَالَ جلا وعلما مخبراً عما قاله الكفار الَّذِينَ يَسْتَعِدُونَ الْبَعْثَ وَرَادًا عَلَيْهِمْ : ﴿ أَئِنذًا كُنَّا عِظَامًا نَّحْرَةً \* قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴾

وقد أمر الله رسوله ﷺ أن يجيبهم ويعرفهم قدرته على بعثه إياهم بعد مماتهم وإنشائه لهم كما كانوا قبل بلائهم خلقاً جديداً على أي حال كانوا عظاماً أو رفاتاً أو حجارة أو حديداً أو خلقاً مما يستبعد عندكم قبوله للحياة فإن الله على كل شيء قدير ، لا يعجزه إعادتكم مهما تحولتم وتمزقتم وتفرقتم ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ \* فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ﴾ .

شِعْرًا: يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَوْ عَلِمْتَ بِهِوْلِهِ لَفَرَرْتَ مِنْ أَهْلِ وَمِنْ أَوْطَانِ  
يَوْمَ تَشَقَّقَتِ السَّمَاءُ لَهُوْلِهِ وَتَشِيبُ مِنْهُ مَفَارِقُ الْوُلْدَانِ

وأخبر أنه عِنْدَمَا يقيم عَلَيْهِم الحجة على البعث يقولون من يعيدنا أي من يعيدنا ونَحْنُ بهذه الحال : فقل تحقيقًا للحق وإزاحة للاستبعاد وإرشادًا إلى طَرِيق الاستدلال ، الَّذِي يفعل ذَلِكَ هُوَ القدير العَظِيم الَّذِي لا يعجزه شَيْء في الأرض ولا في السماء .

الَّذِي ذرَأكم في الأرض أول مرة على غير مثال يحتذى ولا منهاج معين ينتحى وكنتم ترابًا لم يشم رائحة الحياة أَلَيْسَ الَّذِي يقدر علي ذَلِكَ يقدر على أن يجمع ما تفرق ويفيض الحياة ويعيده كَمَا خَلَقَهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ بلى إنه سُبْحَانَهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

ثُمَّ بين سُبْحَانَهُ ما يفعلونه حين ما يسمعون الجواب ﴿ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ ﴾ أي متى هَذَا البعث وفي أي وَقْت وحال يعيدنا خلقًا جديدًا كَمَا كنا أَوَّلَ مَرَّةٍ ومقصدهم من هَذَا السؤال استبعاد حصوله .

وفي معنى هذه الآية قوله تَعَالَى حكاية عنهم ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ قال تَعَالَى ﴿ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا ﴾ أي فاحذروا فإنه قريب منكم وسيأتي لا محالة وكل آت قريب وكل ما هُوَ محقق الحصول قريب .

وإن طال الزمان في نظر العباد ولم يخبر به أَحَدًا لا ملكًا مقرَّبًا ولا نبيًا مُرْسَلًا ﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ ﴾ أي يوم يدعوكم للبعث والنشور والحساب والجزاء فتستجيبون له من قبوركم بقدرته ودعائه إياكم وله الحمد في كُلِّ حال وتظنون حين تقومون من قبوركم إن لبثتم إلا قليلا في دار الدُّنْيَا وقوله ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ ﴾ .

ونحو هذه الآية قوله تَعَالَى : ﴿ كَانَتْهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴾ وقوله : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ﴾ وقوله : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ﴾ وقوله : ﴿ إِذْ يَقُولُ أََمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴾ .

شِعْرًا :

هُوَ الدَّهْرُ فَاصْبِرْ مَا عَلَى الدَّهْرِ مَعْتَبُ  
وَلَيْسَ لَنَا مِمَّا قَضَى اللَّهُ مَهْرَبُ  
وَلَا بُدَّ مِنْ كَأْسِ الْحَمَامِ ضَرُورَةً  
وَمَنْ ذَا الَّذِي مِنْ كَأْسِهِ لَيْسَ يَشْرَبُ  
وَمَا يَعْمُرُ الدُّنْيَا الدَّيْنَةَ حَازِمٌ  
إِذَا كَانَ فِيهَا عَامِرُ الْعُمَرِ يَخْرَبُ  
وَإِنَّ عَلِيًّا ذَمَّهَا فِي كَلَامِهِ  
وَوَلَّقَهَا وَالْجَاهِلُ الْعِرُّ يَخْطُبُ  
أَلَا إِنَّ هَذَا الْكَوْنُ فِيهِ مَوَاعِظُ  
لِمُتَّعِظٍ مِنْ ظَلَمَةِ الْقَبْرِ يَهْرَبُ  
فَكَمْ مِنْ عَظِيمِ الْبَأْسِ صَارَتْ عِظَامُهُ  
أَوَانٍ وَمِنْهَا الْمَاءُ يَا قَوْمُ يُشْرَبُ  
وَيُنْقَلُ مِنْ أَرْضٍ لِأُخْرَى وَمَا دَرَى  
فَوَاهَا لَهُ بَعْدَ الْبَلَى يَتَغَرَّبُ

اللَّهُمَّ قومنا إذا اعوججنا وأعنا إذا استقمنا وكن لنا ولا تكن علينا وأحينا في الدنيا مؤمنين طائعين وتوفنا مسلمين مخلصين واجعلنا عند السؤال

ثابتين وَاجْعَلْنَا ممن يأخذ كتابه باليمين وَاجْعَلْنَا يوم الفزع الأكبر من الآمنين ومتعنا بالنظر إلى وجهك الكريم بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

### ( فَصْلٌ )

ومن توهّمات المنكرين للبعث أن من يموت يضل رفاته في الأرض فتذهب صورته وصفاته فكيف يرجع الله هذه الذوات والصفات وكيف يجمع هذه الذرات المتفتتة من عظامهم وأثر هذا التوهم الفاسد يظهر في توهمهم أن علم الله غير محيط بكل صغير وكبير من أعداد الذين يموتون من الناس وغير محيط بصفاتهم وأوصافهم وأعمالهم .

وقد ذكر الله جلَّ وَعَلَا مقالتهم الفاسدة التي تدل علي التوهم من توهّماتهم قال تَعَالَى حكاية عنهم : ﴿ وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ وهؤلاء قاسوا قدرة الخالق الذي بدأهم أول مرة على قدرة المخلوق العاجز .

وستان ما بين القدرتين ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ ﴿ فَأَيُّهَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ \* فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ﴾ .

ثم زاد في النعي عليهم والإنكار لآرائهم بقوله : ﴿ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ﴾ أي تعدوا ذلك إلى الجحود بلقاء ربهم وذكر الله جلَّ وَعَلَا مقالتهم هذه في سورة سبأ وهم أتوا بها على وجه الاستهزاء والتهمك والتكذيب والاستبعاد والإنكار .

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنْبِئُكُمْ إِذَا مُرِّقْتُمْ كُلَّ مُمْرِقٍ إِنَّا نَحْنُ خَلْقٌ جَدِيدٌ ﴾  
 ﴿ أَيِ إِنَّهُ يَقُولُ إِذَا أَكَلْتُمْ الْأَرْضَ وَصَرْتُمْ رِفَاتًا وَعِظَامًا وَقَطَعْتُمْ السَّبَاعَ وَالطَّيْرَ سَتَحْيُونَ  
 وَتَبْعُونَ ثُمَّ تَحْسَبُونَ عَمِي مَا فَرَطَ مِنْكُمْ مِنْ صَالِحِ الْعَمَلِ وَسَيِّئِهِ .

وإن أمره دائر بين أمرين إما أن يكون مفترياً علماً الله وإما أن يكون مجنوناً فرد الله عليهم  
 مقاتلتهم وأثبت لهم ما هو أشد وأنكى فقال : ﴿ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ  
 وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ﴾ أي ليس الأمر كما زعموا ولا كما ذهبوا إليه .

بل إن محمداً ﷺ صادق فيما أخبر به من البعث وهم في شقاء عذاب في حياتهم من داخل  
 نفوسهم كفر وشكوك وأوهام وفي الآخرة إذا بعثوا ذاقوا ألوان العذاب لأنهم مجرمون متمردون  
 على الحق وهم في الضلال البعيد الدال على عدم استبعاد البعث وهو أنهم لو نظروا إلى ما بين  
 أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض فرأوا من قدرة الله فيهما ما يبهر العقول ومن عظمته  
 ما يذهل العلماء الفحول ولكنهم كما قال تعالى : ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ  
 يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾ وقال عما قاله نوح عليه السلام : ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ  
 كُنْتُ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِّنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ فَعَمَّيْتُ عَلَيْكُمْ أَنْزِلُكُمْ مَوْهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ  
 . ﴾

وَفِي الْكَوْنِ مِنْ سِرِّ الْوُجُودِ عَجَائِبُ

أَطَّلَ عَلَيْهَا الْعَارِفُونَ وَأَشْرَفُوا

آخر: فَيَا عَجَبًا مِمَّنْ يُضَيِّعُ حَيَاتَهُ  
 عَلَى حِفْظِ مَالٍ وَهُوَ لِلْغَيْرِ يَذْخِرُ  
 وَمَنْ تُتَوَفَّى نَفْسُهُ كُلَّ لَيْلَةٍ  
 وَتَرْجِعُ فِيهِ كَيْفَ لِلْبَعْثِ يُنْكَرُ  
 بَلَى قَادِرٌ أَنْشَأَهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ  
 عَلَى رَدِّ رُوحٍ مِنْهُ فِي الْجِسْمِ أَقْدَرُ

آخر :

تَأْمَلْ سَطُورَ الْكَاتِبَاتِ فَإِنَّهَا  
 مِنْ الْمَلِكِ الْأَعْلَى إِلَيْكَ رَسَائِلُ  
 وَقَدْ كَانَ فِيهَا لَوْ تَأْمَلْتَ خَطَّهَا  
 أَلَّا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهُ بِاطِّلُ

وفي سورة ق ذكر الله تعالى أنهم استبعدوا البعث وتعجبوا قال تعالى حكاية عما قالوا : ﴿ فَعَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ \* أَيُّدَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴾ .  
 فعقول هؤلاء سخيفة حيث قاست قدرة من هو على كل شيء قدير وبكل شيء عليم  
 الكامل من كل وجه بقدرة العبد الفقير الضعيف العاجز من جميع الوجوه الجاهل الذي لا علم  
 له .

﴿ فَعَالَ جَلَّ وَعَلَا مُشِيرًا إِلَى دَلِيلِ جَوَازِ الْبَعْثِ وَقَدْرَتِهِ عَلَيْهِ مُؤَكَّدًا عِلْمَهُ بِجَمِيعِ الْأَشْيَاءِ ﴾  
 قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيفٌ ﴿ حافظ لتفاصيل الأشياء كلها محفوظ  
 عن التغيير والتبديل بكل ما يجري عليهم في حياتهم أو مماتهم .



بعد أن ذكر حال منكري البعث لفت أنظارهم إلى الدليل الذي يدحض كلامهم ألا وهو النظر في آياته الأفاقية كي يعتبروا ويستدلوا بها على ما جعلت أدلة عليه .

فإن من خلق السماء وزينها بالكواكب وأحكمها وبسط الأرض وجعل فيها رواسي وأنبت فيها صنوف النّبات صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ويتفاضل في الأكل .

وجعل ذلك تبصرة لأولي الأبّاب ونزل من السماء ماء فأنبت به خضر الجنان والزرع المختلف الأصناف والألوان والطعوم والنخل الباسق ذا الطلع المتراكم بعضه فوق بعض رزقاً للعباد وأحيا الأرض الموات .

أفلا يستطيع من هذه قدرته وهذا شأنه أن يخرج النّاس من القبور بعد بلائهم وبعد أن يصيروا عظاماً ورفاتاً وينشئهم خلقاً آخر في حياة أخرى وعالم غير هذا العالم بلي والله إنه على كلّ شيء قدير وبكل شيء أحاط علماً .

وما أحسن ما قاله السفاريني :

وَاجْزِمُ بِأَمْرِ الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ

وَالْحَشْرُ حَزْمًا بَعْدَ نَفْخِ الصُّورِ

كَذَا وَقُوفِ الْخَلْقِ لِلْحِسَابِ

وَالصُّحُفِ وَالْمِيْزَانِ لِلثَّوَابِ

كَذَا الصِّرَاطِ ثُمَّ حَوْظِ الْمُصْطَفَى

فَيَا هَنَا لِمَنْ بِهِ نَالَ الشُّفَا

عَنْهُ يُذَادُ الْمُفْتَرِي كَمَا وَرَدُ  
 وَمَنْ نَحَا سُبُلَ السَّلَامَةِ لَمْ يُرِدْ  
 وَكُنْ مُطِيعًا وَأَقْفُ أَهْلِ الطَّاعَةِ  
 فِي الْحُوضِ وَالْكَوْثَرِ وَالشَّفَاعَةِ  
 فَإِنَّهَا ثَابِتَةٌ لِلْمُصْطَفَى  
 كَغَيْرِهِ مِنْ كُلِّ أَرْبَابِ الْوَفَا  
 مِنْ عَالِمِ كَالرُّسُلِ وَالْأَبْرَارِ  
 سِوَى الَّتِي خُصِّتْ بِذِي الْأَنْوَارِ

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ وَدُرُكِ الشَّقَاءِ وَشِمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ وَسُوءِ الْمَنْظَرِ فِي الْأَهْلِ  
 وَالْمَالِ وَالْوَلَدِ اللَّهُمَّ حُبِّ إِلَيْنَا الْإِيمَانَ وَزِينَهُ فِي قُلُوبِنَا وَكَرِهْ إِلَيْنَا الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ  
 وَاجْعَلْنَا مِنَ الرَّاشِدِينَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ . وَصَلَّى اللَّهُ  
 عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

### ( فَصْلٌ )

ومن الأدلة الدالة على البعث قوله تَعَالَى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْتَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا  
 أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

إن جفاف الزرع ويبس الشجر وانقطاع تغذيته من الأرض وحصاده وتحطمه يشبه حالة  
 الموت في الأحياء .

ثم إن سنة الله الكونية الدائمة الظاهرة المشاهدة في عملية انشقاق

الحبوب في بطن الأرض ونباتها بعد ما سبق من حالها التي تشبه حالة الموت وعودتها إلى الحياة .

والنظرة كرة آخرةً وَذَلِكَ عِنْدَ وجودها في البيئة الملائمة من ماء ممتزج بالتُّراب الصالح لتعطي تقريباً حسياً مشاهداً باستمرار في الظواهر الكونية لقصة بعث الحياة وتفرق أجزائها في تراب الأرض .

وقَد نبه الله في القرآن إلى هَذَا الشاهد الكوني الَّذِي يقرب إلى تصور أصحاب هَذَا التوهم إمكَانَ الحياة الأخرى وإنها تشبه عودة الحياة إلى الزرع والنَّبات بعد جفافها وما يشبه حالة الموت فيها قال الله تَعَالَى : ﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ \* ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

وَقَالَ في سورة الروم : ﴿ فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

وَقَالَ في سورة ق ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ \* وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ \* رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴾ جعل سُبْحَانَهُ وتعالى ما سبق دليلاً على البعث لأنه شبيه به .

وفي التعبير عن إخراج النَّبات من الأرض بالإحياء وعن إحياء الموتى بالخروج تفخيم لشأن الإنبات وتهوين لأمر البعث وتحقيق للماثلة بين إخراج النَّبات وإحياء الموتى لتوضيح منهج القياس وتقريبه لأفهام النَّاسِ وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيْتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾

كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٠﴾ .

ففي إحياء الأرض اليابسة بعد نزول المطر عَلَيْهَا دَلِيلٌ قاطع واضح على إحياء الموتى فكما أحيا الأرض بعد موته يحيي الأجساد ويعيد إليها أرواحها يوم القيامة .

فيقوم النَّاسُ من قبورهم لرب العالمين كما أخبرنا جَلَّ وَعَلَا وَهُوَ أَصْدَقُ قائلٍ وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ ينزل ماء من السماء فتمطر الأرض أربعين يَوْمًا فتنبت منه الأجساد في قبورهم كما ينبت الحب في الأرض ، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى :

وَإِذَا أَرَادَ اللهُ إِخْرَاجَ السُّورَى

بَعْدَ الْمَمَاتِ إِلَى مَعَادٍ ثَانِي

أَلْقَى عَلَى الْأَرْضِ التِّي هُمْ تَحْتَهَا

وَاللهُ مَقْتَدِرٌ وَذُو سُلْطَانٍ

مَطَرًا غَلِيظًا أَبْيَضًا مُتَابِعًا

عَشْرًا وَعَشْرًا بَعْدَهَا عَشْرَانِ

فَتَظْهَرُ فِيهَا تَنْبُتٌ مِنْهُ أَجْسَامٌ

وَأَحْسَابٌ وَمِنْهُمْ كَمَا بَيَّضَتِ الرِّيحَانِ

حَتَّى إِذَا مَا الْأُمُّ حَانَ وِلَادُهَا

وَتَمَخَّضَتْ فَنَفَّسَتْهَا مَتَدَانِ

أَوْحَى لَهَا رَبُّ السَّمَاءِ فَتَشَقَّقَتْ

فَبَدَا الْجَنِينُ كَأَنَّكَ لِي الشُّبَّانِ

وَتَحَلَّتِ الْأُمُّ الْوُلُودُ وَأَخْرَجَتْ  
أَنْتَقَالَهَا أَنْثَى وَمِنْ ذُكْرَانِ  
وَاللَّهُ يُنْشِئُ خَلْقَهُ فِي نَشْأَةٍ  
أُخْرَى كَمَا قَدْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ  
هَذَا الَّذِي جَاءَ الْكِتَابُ وَسُنَّةُ الْ  
— هَادِي بِهِ فَاحْرِصْ عَلَى الْإِيمَانِ

يضاف إلى هذه الأدلة ما ذكر الله في كتابه أيضاً مثل قصة إحياء قتيل بني إسرائيل لسؤاله عن القتال وهذه القصة أخبرنا الله بها في أوائل سورة البقرة وملخصها فيما ذكر أنه كان في بني إسرائيل شيخ موسر له ابن واحد قتله ابن عمه طمعاً في ميراثه .

ثُمَّ جَاءَ يَطَالِبُ بَدْمَهُ قَوْمًا آخَرِينَ فَأَنْكَرَ الْمُتَهَمُونَ قَتْلَهُ وَتَرَفَعُوا إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كُلٌّ مِنْهُمْ يَدْفَعُ التَّهْمَةَ عَنْ نَفْسِهِ فَقَالَ لَهُمْ مُوسَى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً ﴾ وَذَلِكَ لِيَتَبَيَّنَ لَهُمُ الْقَاتِلَ الْحَقِيقِي فَقَالُوا : أَتَهْرَأُ بِنَا قَالَ مُوسَى : ﴿ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ فَسَأَلُوهُ عَنِ مَا تَتَمَيَّزُ بِهِ مِنَ الْأَوْصَافِ وَشَدَّدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ فَشَدَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَثَرُوا عَلَيْهَا وَذَبَحُوهَا فَأَحْيَا اللَّهُ الْقَتِيلَ وَأَخْبَرَ بِالْقَاتِلِ .

ومن ذلك قصة أصحاب الكهف وكيف ضرب الله على آذانهم ثلاثة قرون وتزيد تسع سنين وحفظ أجسامهم من البلى على طول الزمان وثيابهم من العفن والبلى وأعثر عليهم الفريق الآخر الَّذِينَ كَانُوا فِي شَكٍّ مِنْ قُدْرَةِ اللَّهِ عَلَى إِحْيَاءِ الْمَوْتَى وَفِي مَرِيَةٍ مِنْ إِنْشَاءِ أَجْسَامِ خَلْقِهِ كَهَيْئَتِهِمْ يَوْمَ قَبْضِهِمْ بَعْدَ

البلى ليعلموا أن وعد الله حق ويقنوا أن الساعة آتية لا ريب فيها ففي ذلك عبرة ودليل على وقوع المعاد الجسماني يوم القيامة .

ومن ذلك الَّذِينَ أخرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقالَ اللهُ موتوا ثمَّ أحياهم ثمَّ بعد هذه الإماتة أحياهم فيها أيضًا عبرة ودليل قاطع على وقوع المعاد الجسماني وأنه لا مرية فيه ومن ذلك قصة الَّذِي مر على قرية وهي خاوية على عروشها فقالَ مستبعدًا لعودة عمارتها وإحياء أهلها ﴿ أَلَيْسَ يُحْيِي هَذِهِ اللهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ﴾ قيل إن الله تعالى أماته في أول النَّهَارِ وأحياه بعد المائة آخر النَّهَارِ .

وقيل وَاللهُ أَعْلَمُ أول شيء أحياه الله فيه عينيه لينظر بهما إلى قدرة الله وصنعه كيف يحيي بدنه فلمَّا استقل سويًّا ﴿ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ قال جل وعلا وتقدس : ﴿ بَلْ لَبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ ﴾ قيل كَانَ معه عنب وتين وعصير فوجده لم يتغير وانظر إلى حمارك كيف يحييه الله عز وجل ﴿ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ ﴾ أي دليلاً على المعاد حيث أحياه الله بعد إماتته وأحيا حماره ولم يتغير طعامه وشرابه .

ومن ذلك إحياء الطيور الأربعة لما طلب أبينا إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَام من الله أن يريه كيف يحيي الموتى ليطمئن قلبه فأمره أن يأخذ أربعة من الطير فيقطعهن أجزاء ثم يفرقها على عدة جبال حوله ثم يدعوها ففعل ودعاها بأسمائهن فاقبلن إليه سرعات تطير والطير أشد الحَيَوَان نفورًا من الإنسان غالبًا فهذا أكبر برهان على كمال عزة الله وحكمته وقدرته على البعث والمعاد والجزاء . فتبارك الله أحسن الخالقين .

وَمِنَ الْأَدْلَةِ الدَّالَّةِ عَلَيِ البَعْثِ مَا فِي قِصَّةِ مُوسَى وَهَارُونَ مَعَ فِرْعَوْنَ فِي قَلْبِ عَصِيِّ مُوسَى حَيَّةً تَسْعَى تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ أَكْبُرُ بُرْهَانٍ عَلَى البَعْثِ وَذَلِكَ أَنَّهَا صَارَتْ تَبِيناً عَظِيماً هَائِلاً ذَا قَوَائِمٍ وَعُنُقٍ وَرَأْسٍ وَأَضْرَاسٍ فَجَعَلَتْ تَبْتَلِعُ تِلْكَ الحِبَالَ وَالْعَصِيَّ حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْهَا شَيْءٌ إِلَّا ابْتَلَعَتْهُ وَالسَّحَرَةَ وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَى ذَلِكَ عِيَاناً جَهْرَةً نَهَاراً ضَحْوَةً .

ثُمَّ أَمَرَهُ اللهُ جَلَّ وَعَلَا بِأَنْ يَأْخُذَهَا قَالَ لَهُ ﴿ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ﴾ فَلَمَّا أَمَرَهُ بِأَخْذِهَا لَفَّ طَرْفَ المِدرَعَةِ عَلَى يَدِهِ فَقَالَ لَهُ مَلَكٌ أَرَأَيْتَ يَا مُوسَى لَوْ أَدِنَ اللهُ بِمَا تُحَادِثُ أَكَانَتْ المِدرَعَةُ تُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً قَالَ لَا وَلَكِنِّي ضَعِيفٌ وَمِنْ ضَعْفِ خُلْفَتِي فَكَشَفَ عَنْ يَدِهِ ثُمَّ وَضَعَهَا فِي فَمِ الحَيَّةِ حَتَّى سَمِعَ حَسَّ الأَضْرَاسِ والأَنْبَابِ ثُمَّ قَبِضَ فَإِذَا هِيَ عَصَاهُ الَّتِي عَاهَدَهَا وَإِذَا يَدُهُ فِي مَوْضِعِهَا إِذَا يَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا بَيْنَ الشُّعْبَتَيْنِ فَفِيهَا دَلِيلٌ وَاضِحٌ عَلَيِ بَعْثِ الأَجْسَادِ لِمَنْ بَصَّرَهُ اللهُ وَنَوَّرَ عَقْلَهُ وَمِنَ الْأَدْلَةِ الدَّالَّةِ عَلَيِ البَعْثِ مَا أُيِّدَ اللهُ بِهِ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ عَلَيَّ إِحْيَاءِ المَوْتَى قَالَ اللهُ تَعَالَى ﴿ وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَيُّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَيُّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللهِ ﴾ فَكَانَ يُصَوِّرُ مِنَ الطِّينِ شَكْلَ طَيْرٍ ثُمَّ يَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً عِيَاناً بِإِذْنِ اللهِ .

فَهَذَا مِنْ أَكْبَرِ البُرْهَانِ عَلَيِ بَعْثِ الأَجْسَادِ وَكَذَلِكَ إِحْيَاءِ المَوْتَى بِإِذْنِ اللهِ قَالَ اللهُ تَعَالَى ﴿ وَأُحْيِي المَوْتَى بِإِذْنِ اللهِ ﴾ فَهَذَا بُرْهَانٌ وَاضِحٌ عَلَيِ بَعْثِ الأَجْسَادِ لِأَنَّ رَبَّ فِيهِ لِيذِي عَقْلٍ سَلِيمٍ .

اللَّهُمَّ يَا مَنْ لَا تَضُرُّهُ المَعْصِيَةُ وَلَا تَنْفَعُهُ الطَّاعَةُ أَتَقِظْنَا مِنْ نَوْمِ العَقْلَةِ وَنَبِّهْنَا لِأَعْتِنَامِ أَوْقَاتِ المَهْلَةِ وَوَقْفِنَا لِمَصَالِحِنَا وَاعْصِمْنَا مِنْ قَبَائِحِنَا وَذُنُوبِنَا وَلَا تُؤَاخِذْنَا بِمَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ ضَمَائِرُنَا وَاكْتَنَتْهُ سَرَائِرُنَا مِنْ أَنْوَاعِ القَبَائِحِ وَالمَعَائِبِ

التي تَعَلَّمُهَا مِنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(( هَذِهِ أُبْيَاتٌ مُخْتَارَةٌ مِنْ قَصِيدَةِ لِبَعْضٍ ))

(( الْعُلَمَاءُ رَدًّا عَلَى مَنْ قَالَ بِالطَّبِيعَةِ ))

وَاهَا لِدُنْيَا إِذَا مَا أَقْبَلْتَ قَتَلْتَ  
 وَشَوْطُ إِفْبَالِهَا فَوَتْ وَإِدْبَارُ  
 دَسَتْ لَكَ السُّمَّ فِي حَلْوَى زَخَارِفِهَا  
 وَزَيْنَتْ لَكَ مَا عَقَبَاهُ أَضْرَارُ  
 وَعِشْتَ دَهْرًا مِنَ الْأَعْوَامِ مُنْتَظِرًا  
 فِي مَلْعَبٍ كُلُّهُ جُزْمٌ وَإِضْرَارُ  
 حَتَّى إِذَا جَاءَ وَقْتُ الْمَقْتِ وَانْتَشَبَتْ  
 يَا لَاهِيَا لِلْمَنَائِيَا فِيكَ أَظْفَارُ  
 خَابَتْ ظَنُونُكَ فِي دُنْيَا مُخَادِعَةٍ  
 أَلْوَتْ عِنَانَكَ عَمَّا كُنْتَ تَخْتَارُ  
 يَا ذَا الْوَجَاهَةِ وَالْجَاهِ الْعَرِيضِ لَقَدْ  
 خَانَكَ عَنْهُ هُوَذَاكَ أَعْوَانٌ وَأَنْصَارُ  
 أَلْقُوكَ فِي حُفْرَةِ هَالَتِكَ وَخَشْتِهَا  
 كَأَنَّهَا مِنْخَدَعٌ يُغْلِي بِهِ الْقَارُ  
 وَعَادِرُوكَ وَمَا فِي الْحَيِّ مِنْ حَكَمٍ  
 تَشْكُو إِلَيْهِ وَمَا فِي الدَّارِ دِيَارُ  
 يَا رَاقِدًا وَمَضِيقُ الْقَبْرِ مَضْجَعُهُ  
 أَمَلَّكَ الْقَطْرُ أَمْ ضَاقَتْ بِكَ الدَّارُ



أَبْعَدَ مَا فِي مَعَانِي الْحَيِّ مِنْ سَعَةٍ  
تُغْنِي الضَّجِيعَ عَنِ الْأَمِيَالِ أَشْبَارُ  
خَلَوْتَ وَخَدَكَ لَا خِلَّ وَلَا خَدَمَ  
فَهَلْ تُنَاجِيكَ بِالْإِصْلَاحِ أَفْكَارُ  
أَمْ أَنْتَ مِمَّنْ يَرُونَ الْمَوْتَ رَاحَتَهُمْ  
يَا حَبَّذَ الْمَوْتَ لَوْلَا الْحَشْرُ وَالنَّارُ  
وَالْقَبْرُ إِنْ لَمْ تَكُنْ فِيهِ مُنْعَصَةً  
حَاكَتْ زَوَايَاهُ رَوْضاً فِيهِ أَزْهَارُ  
لَكِنَّهُ وَظِلَامُ الزَّبْغِ يُوحِشُهُ  
سَجْنٌ لَهُ مِنْ ذَوَاتِ النَّهْشِ عُمَارُ  
فَهَلْ يُحَاكِي قُبُورَ الْقَوْمِ مَضْجَعُكُمْ  
أَمْ زَاخَمْتِكَ ظَلَامَاتٌ وَأَصَارُ  
بِالْأَمْسِ صَدْرًا أَخَا كَبِيرٍ وَغَطْرَسَةٍ  
وَمَا سَوَى الصَّادِرِ نَهَاؤُ وَأَمَّارُ  
وَالْيَوْمَ بَيْنَ هَوَامِ الْأَرْضِ مُضْطَجِعٌ  
فِي مَضْجَعٍ مَا بِهِ جَارٌ وَسُمَّارُ  
وَاهَا لِدُنْيَا إِذَا مَا أَقْبَلْتَ قَتَلْتَ  
وَشَوُطُ إِقْبَالِهَا فَوُتٌ وَإِدْبَارُ  
تَمُرُّ بِالْمَرِّ مَرَّ الطَّيْفِ بِأَسِمَةٍ  
وَحَلْفُهَا مِنْ جِيُوشِ الْحُزْنِ جَرَّارُ

إِذَا سَقَتْ كَأْسَ إِيْنَاسٍ أَخَا سَفَهٍ  
 تَجَرَّعَ السُّمَّ مِنْهُ وَهُوَ مُخْتَارُ  
 وَمَا السُّمُّومُ سِوَى لِذَاتِهَا وَبِهَا  
 وَمَا السُّمُّومُ سِوَى لِذَاتِهَا وَبِهَا  
 تَزْهَوُوا لِأَهْلِ الْهَوَى حَتَّى إِذَا ابْتَهَجُوا  
 جَاءَتْ بِمَا فِيهِ أَرْزَاءٌ وَأَكْدَارُ  
 يَا وَيْحَ مَنْ أَخَذَتْ يَوْمًا بِمُخَنِقِهِ  
 إِلَي طَرِيقٍ إِلَيْهَا يَنْتَهِي الْعَارُ  
 وَيَا نَدَامَةً مَنْ لَمْ يَبْكِ إِنْ ضَحِكْتُ  
 فَضَحِكُهَا لِذَوِي اللَّذَاتِ إِنْ ذَارُ  
 وَيَا خَسَارَةً مَنْ أَنْسَتْهُ مَبْدَأُهُ  
 وَمُنْتَهَاهُ وَلَمْ يُوقِظْهُ تَذْكَارُ  
 كَالشَّابِّ تُنْسِيهِ عَصَرَ الشَّيْبِ غُرْتُهُ  
 حَتَّى إِذَا عَلَقَتْ بِالْأُزْرِ أَوْزَارُ  
 فَرَّ الشَّبَابُ وَظَلَّ الشَّيْبُ هَازِمَهُ  
 إِنَّ الشَّبَابَ أَمَامَ الشَّيْبِ فَرَّارُ  
 فَهَلْ لِيذِي الْجَاهِ أَنْ يَنْسَى مَنِيَّتَهُ  
 وَالْمَوْتُ فِي رَأْسِ رَبِّ الْجَاهِ مَعْتَارُ  
 وَكَمْ وَجِيهِ تَعَامَى عَنِ عَوَاقِبِهِ  
 إِذْهَابُهُ خَشْيَةً عَمَّرُو وَعَمَّارُ  
 وَظَلَّ فِي زُخْرَفِ التَّضَلُّيلِ مُتَّجِرًا

وَالنَّاسُ مِنْهُ بِسُوقِ الزَّيْفِ تَمْتَارُ  
حَتَّى إِذَا مَا الرَّدَى لِلْمَوْتِ أَضْجَعُهُ  
أَضْحَى كَأَضْحَى حَيْهِ مِنْ حَوْلَهَا دَارُوا  
وَمَاتَ وَالْخَوْفُ حَيِّ بَيْنَ أَضْلَعُهُ  
وَلِلْمَخَازِي بِيْلِكَ الـلـدَارِ أَدْوَارُ  
أَفْ لِمُقْبَلَةِ مَرَّتْ عَلَي عَجَلِ  
كَأَنَّهَا الْفَجْرُ لَمْ يُمَهَلْهُ إِسْفَارُ  
كَأَنَّمَا أَنْتَ وَالْدُنْيَا وَمَا صَنَعْتَ  
أَلْعُوبَةَ بَاعَهَا الصَّبِيَانِ مِنْ زَارُ  
أَلْهَتُهُمْ وَبُرْهَةً حَتَّى إِذَا تَلَفْتَ  
وَفَاتَهُمْ فِي الْمَسَادِفِ وَمِزْمَارُ  
لَمْ يَلْبَثُوا فِي الْمَلَاهِي غَيْرَ سَاعَتِهِمْ  
وَقَدْ دَهَبَتْهُمْ مِلَمَاتٌ وَأَكْدَارُ  
وَهَكَذَا كُلُّ حَالٍ لَا بَقَاءَ لَهَا  
وَكُلْنَا فِي الْجَنَى لِلْمَوْتِ أَثْمَارُ  
وَكُلُّ مَنْ كَانَتْ الْإِيَامُ مَرْكَبَهُ  
فَكُلُّ أَوْقَاتِهِ ظَعْنٌ وَأَسْفَارُ  
تَبَّالِدَارِ أَرْتَنَا مِنْ مَلَاعِبِهَا  
عَجَائِباً مَا أَتَاهَا الدَّهْرَ سَحَارُ  
فِيَا أَحَا الْعِلْمِ لَا يُنْجِيكَ عِلْمُكَ إِنْ  
فَاتَتْكَ خَشْيَةُ رَبِّ اسْمُهُ الْبَارُ

وَيَا أَحَا الْمَالِ لَا تَرْكُنْ لِكَثْرَتِهِ  
 فَالْمَالُ كَالْمَاءِ كَرَارًا وَفَرَارًا  
 وَالجَّاهُ ضَيْفٌ وَعُقْبَى الضَّيْفِ رِحْلَتُهُ  
 وَإِنْ دَعْتَهُ لَطُولِ الْمُكُوثِ أَوْطَارًا  
 وَاضْرَعْ إِلَى اللَّهِ يَا مَنْ بَاتَ فِي سَعَةٍ  
 مِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ دَوَّارٌ  
 وَنِعْمَةُ اللَّهِ تَأْتِي طَيِّبِي رَحْمَتِهِ  
 كَمَا طَرِبَ غَيْثُهُ الْهَطَّالُ مِندَرَارًا  
 لِكِنَّمَا الْعَيْ وَالطُّغْيَانُ يَنْقُصُهَا  
 فَمَا تَهَيَّئِ بِهَا فِي الْكَوْنِ كُفَّارًا  
 وَإِنْ تَقُلْ إِنَّ أَهْلَ الْبَغْيِ فِي نَعَمٍ  
 فَارْكُبْهُمْ فِي طَرِيقِ الْعَمِّ سَيَّارًا  
 وَالْغَافِلُونَ لَهُمْ فِي الْقَبْرِ مُزْعِجَةٌ  
 وَيَعْدُ فَضْلُ الْقَضَا عُقْبَاهُمْ النَّارُ

اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَأَشْرَحْ صُدُورَنَا وَاسْتُرْ عُيُوبَنَا وَأَمِّنْ حَوْفَنَا وَوَقِّفْنَا لاسْتِعْرَاقِ  
 أَوْقَاتِنَا فِي الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ  
 يَحْزَنُونَ وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَأَعِزَّنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ  
 الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

( فصل )

قال ابن القيم رحمه الله :

طَبَقَاتُ الْمِكْلَفِينَ فِي الْآخِرَةِ ثَمَانِي عَشْرَةَ طَبَقَةً أَعْلَاهَا مَرْبَعَةُ الرَّسُلِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ وَهُمْ ثَلَاثُ طَبَقَاتٍ أَعْلَاهُمْ أُولُو الْعِزِّ الْحَمْسَةُ ثُمَّ مَنْ عَدَاهُمْ مِنَ الرَّسُلِ ثُمَّ الْأَنْبِيَاءُ الَّذِينَ لَمْ يُرْسَلُوا إِلَى الْأُمَّمِ .

الرَّابِعَةُ : الصَّدِيقُونَ وَرَثَةُ الرَّسُلِ الْقَائِمُونَ بِمَا بُعِثُوا بِهِ عِلْمًا وَعَمَلًا وَدَعْوَةً لِلْخَلْقِ إِلَى اللَّهِ عَلَى طَرِيقِهِمْ .

الخَامِسَةُ : أَيْمَةُ الْعَدْلِ وَوُلَاتُهُ .

السادِسَةُ : الْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ .

السَّابِعَةُ : أَهْلُ الْإِيثَارِ وَالْإِحْسَانِ وَالصَّدَقَةِ .

الثَّامِنَةُ : مَنْ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ بَابًا مِنْ أَبْوَابِ الْخَيْرِ الْقَاصِرِ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ صَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَحَجٍّ وَغَيْرِهَا .

التَّاسِعَةُ : طَبَقَةُ أَهْلِ النَّجَاةِ وَهُمْ مَنْ يُؤَدِّي فَرَائِضَ اللَّهِ وَيَجْتَنِبُ مَحَارِمَهُ .

العَاشِرَةُ : طَبَقَةُ قَوْمٍ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَعَشَوْا كِبَائِرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ وَلَكِنْ رَزَقَهُمُ اللَّهُ التَّوْبَةَ النَّصُوحَ قَبْلَ الْمَوْتِ فَمَاتُوا عَلَى تَوْبَةٍ صَاحِبَةٍ .

الحَادِيَةَ عَشْرَةَ : طَبَقَةُ أَقْوَامٍ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا وَلَقُوا اللَّهَ مُصِرِّينَ غَيْرَ تَائِبِينَ لَكِنْ حَسَنَاتُهُمْ أَغْلَبَ مِنْ سَيِّئَاتِهِمْ فَإِذَا وُزِنَتْ بِهَا رَجَحَتْ كِفَّةُ الْحَسَنَاتِ فَهَؤُلَاءِ أَيْضًا نَاجِحُونَ فَائِزُونَ .

الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ : قَوْمٌ تَسَاوَتْ حَسَنَاتُهُمْ وَسَيِّئَاتُهُمْ وَهُمْ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ وَهُوَ مَوْضِعٌ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَلَكِنْ مَا هُمْ إِلَّا دُخُولُ الْجَنَّةِ .

الثَّلَاثَةَ عَشْرَةَ : طَبَقَةُ أَهْلِ الْبَلِيَّةِ وَالْمِحْنَةِ وَهُمْ قَوْمٌ مُسْلِمُونَ حَقَّتْ مَوَازِينُهُمْ وَرَجَحَتْ سَيِّئَاتُهُمْ عَلَى حَسَنَاتِهِمْ وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ ثَبَّتَتْ فِيهِمُ الْأَحَادِيثُ أَنََّّهُمْ يَدْخُلُونَ النَّارَ فَيَكُونُونَ فِيهَا عَلَى مِقْدَارِ أَعْمَالِهِمْ ثُمَّ يُخْرَجُونَ

مِنْهَا بِشَفَاعَةِ الشَّافِعِينَ وَبِرَحْمَةِ أَرْحَمِ الرَّاحِمِينَ .

الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ : قَوْمٌ لَا طَاعَةَ لَهُمْ وَلَا مَعْصِيَةَ وَلَا كُفْرَ وَلَا إِيمَانَ وَهُمْ أَصْنَافٌ مِنْهُمْ مَنْ لَمْ تَبْلُغْهُمْ الدَّعْوَةَ بِحَالٍ وَمِنْهُمْ المَجْنُونُ الَّذِي لَا يَعْقِلُ وَمِنْهُمْ الْأَصْمُ الَّذِي لَا يَسْمَعُ شَيْئاً أَبَداً وَمِنْهُمْ أَطْفَالُ المِشْرِكِينَ الَّذِينَ مَاتُوا قَبْلَ أَنْ يُمَيِّزُوا شَيْئاً فَاخْتَلَفَتِ الأئِمَّةُ فِيهِمْ عَلَى ثَمَانِيَةِ مَذَاهِبٍ أَرْجَحَهَا أَنَّهُمْ يُمْتَحِنُونَ فِي عَرَصَاتِ القِيَامَةِ وَيُرْسَلُ إِلَيْهِمْ هُنَاكَ رَسُولٌ فَمَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ دَخَلَ الجَنَّةَ وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ .

وَهَذَا تَتَفَقَّ الأَحَادِيثُ وَتُؤَافِقُ الحِكْمَةُ والعَدْلُ .

الطَّبَقَةُ الخَامِسَةَ عَشْرَةَ : طَبَقَةُ الرِّزَادِقَةِ وَهؤلاءِ المِنَافِقُونَ الَّذِينَ أَظْهَرُوا الإِسْلَامَ وَأَبْطَنُوا الكُفْرَ وَهُمْ فِي الدَّرَكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ .

الطَّبَقَةُ السَّادِسَةَ عَشْرَةَ : رُؤْسَاءُ الكُفْرِ وَأئِمَّتُهُ وَدُعَاتُهُ وَيَتَغَلَّظُ الكُفْرُ بِعِلَظِ العَقِيدَةِ وَبالعِنَادِ وَبالدَّعْوَةِ إِلَى البَاطِلِ .

الطَّبَقَةُ السَّابِعَةَ عَشْرَةَ: طَبَقَةُ المُقَلِّدِينَ وَجُهَّالِ الكَفَرَةِ وَقَدْ اتَّفَقَتِ الأئِمَّةُ عَلَى أَنَّهُمْ كُفَّارٌ .

الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ: طَبَقَةُ الجِنِّ وَهُمْ مُكَلَّفُونَ مُثَابُونَ وَمُعَاقِبُونَ بِحَسَبِ أَعْمَالِهِمْ وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُؤْفِيَهُمْ أَعْمَالِهِمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ .

وَقَالَ الإِنَابَةُ الرَّجُوعُ إِلَى اللَّهِ وَانصِرَافُ دَوَاعِي القَلْبِ وَجَوَادِبِهِ إِلَيْهِ وَهِيَ تَتَضَمَّنُ المِحَبَّةَ وَالحَشِيَّةَ وَالنَّاسُ فِي إِنَابَتِهِمْ دَرَجَاتٌ مُتَفَاوِئَةٌ فَمِنْهُمْ المُنِيبُ إِلَى اللَّهِ بِالرُّجُوعِ إِلَيْهِ مِنَ المِخَالَفَاتِ وَالمِعَاصِي وَالحَامِلُ الحَوْفُ وَالعِلْمُ .

وَمِنْهُمْ الْمُنِيبُ إِلَى اللَّهِ فِي أَنْوَاعِ الْعِبَادَاتِ فَهُوَ سَاعٍ بِجُهِدِهِ وَمُصَدِّرُهَا الرَّجَاءُ وَمُطَالَعَةُ الْوَعْدِ  
وَالثَّوَابِ وَهَوْلَاءِ أَبْسَطُ نُفُوساً مِنَ الْأَوَّلِينَ وَكُلُّ مِنْهُمَا مُنِيبٌ بِالْأَمْرَيْنِ وَلَكِنْ يَغْلِبُ عَلَى الْأَوَّلِينَ  
الْخَوْفُ وَيَغْلِبُ الرَّجَاءُ عَلَى الْآخِرِينَ .

وَمِنْهُمْ الْمُنِيبُ إِلَيْهِ بِالتَّضَرُّعِ وَالدُّعَاءِ وَكَثْرَةِ الْاِفْتِقَارِ وَسُؤَالِ الْحَاجَاتِ كُلِّهَا مَعَ قِيَامِهِمْ بِالْأَمْرِ  
وَالنَّهْيِ وَمِنْهُمْ الْمُنِيبُ إِلَى اللَّهِ عِنْدَ الشَّدَائِدِ فَقَطُّ إِنَابَةَ الْمُضْطَّرِّ لَا إِنَابَةَ اخْتِيَارٍ .  
وَأَعْلَى أَنْوَاعِ الْإِنَابَاتِ إِنَابَةُ الرُّوحِ بِجُمْلَتِهَا إِلَيْهِ لِشِدَّةِ الْمَحَبَّةِ الْحَالِصَةِ الْمَغْنِيَةِ لَهُمْ عَمَّا سِوَى  
مَحْبُوبِهِمْ وَحِينَ أَنْابَتْ إِلَيْهِ لَمْ يَتَخَلَّفْ مِنْهُمْ شَيْءٌ عَنِ الْإِنَابَةِ فَإِنَّ الْأَعْضَاءَ كُلَّهَا رَعِيَّتُهَا وَأَدَّتْ  
وِظَائِفَهَا كَامِلَةً فَسَاعَةُ مِنْ إِنَابَةِ هَذَا أَعْظَمُ مِنْ إِنَابَةِ سِنِينَ مِنْ غَيْرِهِ وَذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ أَنْتَهِي .

#### (( موعظة ))

عِبَادَ اللَّهِ نَحْنُ فِي عَصْرِ بَارِكِ اللَّهُ فِيهِ بَرَكَةٌ عَمَّتِ الْمَشَارِقَ وَالْمَغَارِبَ وَكُلَّ مَا لِلْأَرْضِ مِنْ أُنْحَاءٍ مِمَّا  
نَعْلَمُهُ وَجَهَ بِقُدْرَتِهِ وَإِرَادَتِهِ أَفْكَارَ بَنِي آدَمَ إِلَى مَا أَوْدَعَهُ فِي خَلْقِهِ مِنْ أَسْرَارٍ تَفُوتُ الْإِحْصَاءَ  
وَيَسَّرَ لَهُمُ السَّبِيلَ فَوَصَلُوا مِنَ التَّرَاقِي فِي الْاِخْتِرَاعِ وَالْإِطْلَاعِ إِلَى مَا يُدْهِشُ الْأَفْكَارَ وَتَزْدَادُ بِهِ  
عَقِيدَةُ الْمُؤْمِنِ قُوَّةً فَلَا يَعْتَرِيهِ أَدْنَى شَكٍّ فِي مَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ وَرَسُولُهُ .

أَصْبَحَتِ الدُّنْيَا كُلُّهَا كَأَنَّهَا بَيْتٌ وَاحِدٌ يُكَلِّمُ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً مَعَ بُعْدِ الْمَسَافَةِ وَيُسَافِرُونَ  
بَرّاً وَبَحْراً فَيَقْطَعُونَ بِالْمَرَائِبِ الْبَرِّيَّةِ وَالْبَحْرِيَّةِ فِي مُدَّةٍ يَسِيرَةٍ مَا يَحْتَاجُ إِلَى مُدَّةٍ طَوِيلَةٍ فِيمَا مَضَى  
وَتَنْقُلُ تِلْكَ الْمَرَائِبُ الَّتِي خَلَقَهَا

اللَّهُ لَنَا مِنَ الْأَثْقَالِ بُقُوعٌ وَسُرْعَةٌ تَقْفُ أَمَامَهَا الْأَبَابُ حَائِرَاتٍ بَلْ لَوْ أَرَادُوا مُسَابِقَةَ الطَّيْرِ فِي السَّمَاءِ لَسَبَقُوهُ بِالطَّائِرَاتِ .

فَسُبْحَانَ مَنْ أَرْشَدَ عِبَادَهُ إِلَى صُنْعِ هَذِهِ الْمَخْتَرَعَاتِ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

وَانظُرْ إِلَى الْكَهْرَبَاءِ وَفَائِدَتِهَا الْعَظِيمَةِ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ فَقَدْ صَارَ اللَّيْلُ بِأَنْوَارِهِ وَكَأَنَّهُ نَهَارٌ وَمَا فِيهِ مِنْ أَسْبَابِ الرَّاحَةِ وَالْمَنَافِعِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي لَمْ تَحْصُلْ لِمَنْ قَبْلَنَا أَلَيْسَ هَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْبَرَاهِينِ وَالْأَدِلَّةِ عَلَى صِدْقِ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ بِقَوْلِهِ : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ .

وَعَلَىٰ صِدْقِ مَا أَخْبَرَ بِهِ الصَّادِقُ الْمِصْدُوقُ مِنْ أَنَّ الزَّمَانَ يَتَقَارَبُ وَهِيَ أَنْتَ لَا تَمُشِي شَرْقًا وَلَا غَرْبًا إِلَّا وَأَنْتَ تَرَىٰ وَتَسْمَعُ مِنْ تِلْكَ الْأَسْرَارِ مَا تَحَارِبُهُ الْأَفْكَارُ فَنَحْنُ الْيَوْمَ نَتَقَلَّبُ فِي كُلِّ أَحْوَالِنَا فِي نَعِيمٍ لَمْ يَطْفُرْ بِهِ عَصْرٌ مِنَ الْإِعْصَارِ حَتَّىٰ إِنَّكَ تَرَىٰ حَيَوَانَ هَذَا الْعَصْرِ فِي رَاحَةٍ وَإِكْرَامٍ لَمْ تَتَمَتَّعْ بِهَا بَنُو الْعُصُورِ الْمَاضِيَاتِ إِنَّ حَقًّا عَلَيْنَا إِزَاءَ كُلِّ هَذَا أَنْ نَكُونَ أَسْبَقَ الْأَجْيَالِ فِي مِيدَانِ شُكْرِ اللَّهِ لِيُبْرِهِنَ كُلِّ مَنَّا أَنَّهُ يُحْسُ وَيَشْعُرُ بِمَا اخْتَصَّ بِهِ مَوْلَاهُ . أ . ه .

وَلَكِنْ يَا لِلْأَسْفِ لَمْ يَكُنْ مِنَّا شُكْرُ هَذِهِ النِّعَمِ وَاسْتِعْمَالُهَا فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَمَرْضِيهِ وَدَلِيلُ ذَلِكَ مَا تَرَىٰ وَتَسْمَعُ مِنَ الْمَعَاصِي وَالْمُنْكَرَاتِ الَّتِي تَكَادُ أَنْ تَبْكِي مِنْ فُشُوهَا وَازْدِيَادِهَا الْجَمَادَاتِ .

فَيَا لِلَّهِ لِلْمُسْلِمِينَ إِنَّهَا لَتَجْرَحُ قَلْبَ الْمُؤْمِنِ السَّالِمِ مِنْهَا حَرْجًا يُوشِكُ أَنْ يُوَصِّلَهُ إِلَى الْقَبْرِ اللَّهُمَّ وَفَقُّ وُلَاتِنَا لِإِزَالَةِ هَذِهِ الْمُنْكَرَاتِ وَلِتَأْيِيدِ الْإِسْلَامِ .



والمسلمين في جميع الجهات ووقفهم للرفق في رعايتهم والتضح لهم وسدد خطاهم .  
 اللهم وقفنا لصالح الأعمال ، ونجنا من جميع الأهوال ، وأمنا من الفرع الأكبر يوم الرجف  
 والزلال ، واغفر لنا ولوالدينا ، وجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم  
 الراحمين ، وصلي الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

### ( فصل )

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة  
 والفراغ رواه البخاري والترمذي والنسائي وأحمد وابن ماجه .

لقد صدق رسول ﷺ فيما قاله في هذا الحديث العظيم فإن كثيراً من الناس يهمل واجب النعم  
 عليه فلا يستقبل النعم بما يجب لها من الشكر ولا يحاول استبقاؤها بأداء حق الله فيها بل  
 يعرض عن الله وينأى بجانبه ولا يذكر هذه النعمة من نعم الله على عظمها إلا حين يعدو  
 عليها المرض فيدبل نضرة العافية ويخطو بقوة الشباب على غير موعد إلى ضعف الشيخوخة .  
 أما حين ينعم الإنسان بسلامة أعضائه وقوة بنيته وحين يحس الحيوية تسري في عروقه فهو  
 ينطلق في شهواته خاضعاً لها ، وهو يظن نفسه الأمر الناهي ، وخاسراً بها وهو يحسب نفسه  
 قد ربح كل شيء .

وتمضي به أيامه ولياليه وهو يرتع كالحيوان في ملذاته من مأكولات ومشروبات دون تفرقة بين  
 حلال وحرام ومن غير تمييز بين طيب وخبيث فيسيء إلى نفسه ويبحسها حقها إذ يضيع  
 طاقتها على العمل النافع وعلى الطاعة الواجبة في اللهو واللعب . قال الله جل وعلا : ﴿ وما  
 خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾

وَبَلَا شَكَّ أَنَّ الصَّحَّةَ عَرَضٌ لَا يَدُومُ بَلَّ يَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ وَأَنَّ المَرَضَ يُفْقِدُ الْإِنْسَانَ مُعْظَمَ طَاقَتِهِ عَلَى العَمَلِ بَلَّ زُبْمًا فَقَدَهَا كُلَّهَا وَعَجَزَ فَمِنَ السَّفَهِ وَالْحُمُقِ إِذَا أَنْ لَا يَعْتَنِمَ الْإِنْسَانُ فُرْصَةَ الصَّحَّةِ وَالْفَرَاحِ مِنَ الشَّوَاغِلِ لِلطَّاعَةِ وَالْعِبَادَةِ .

وَكُلُّ إِنْسَانٍ يَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ يَوْمٍ يَتَقَدَّمُ بِهِ الزَّمَنُ يَفْصُرُ عُمُرُهُ وَمَقْدِرَتُهُ عَلَى العَمَلِ تَضْعُفُ كُلَّمَا خَطَا بِهِ الزَّمَنُ وَمَحْصُولُهُ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ يَقِلُّ كُلَّمَا أَقْعَدَهُ المَرَضُ أَوْ أَثْقَلَتْهُ السَّنُونُ فَالعَاقِلُ الْيَقِظُ يُحَافِظُ عَلَى وَفْتِهِ أَكْثَرَ مِنْ مُحَافِظَتِهِ عَلَى مَالِهِ وَلَا يُضَيِّعُ مِنْهُ شَيْئًا بَلَّ يَسْتَعْمِلُهُ فِيمَا يُقَرِّبُهُ إِلَى اللَّهِ وَالدَّارِ الْآخِرَةِ أَوْ مَا هُوَ سَبَبٌ إِلَى ذَلِكَ فَإِنَّ فَاتَهُ شَيْءٌ أَوْ نَسِيَ شَيْئًا مِنْ أَعْمَالِهِ بِاللَّيْلِ فَضَاهُ بِالنَّهَارِ وَبالعَكْسِ .

وَلِلَّهِ آيَاتٌ كَوْثِيَّةٌ وَآيَاتٌ قُرْآنِيَّةٌ يَتَمَشَّى المِسْلِمُ النَّشِيطُ المُنْتَعِدُ عَنِ الكَسَلِ وَالعَجْزِ عَلَى ضَوْئِهَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ وَقَالَ : ﴿ إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴾ .

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ يُعْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا ﴾ فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ لَمْ يَخْلُقْ هَذِهِ عَبَثًا فَالدَّاهِلُونَ عَنِ مَعَانِي هَذِهِ الْآيَاتِ ، الهَائِمُونَ وَرَاءَ مَنَافِعِهِم المَعْجَلَةَ حَمَقِي لَا يَنْتَصِحُونَ مِنْ حِكْمَةٍ وَلَا يَسْتَفِيدُونَ مِنْ دَرْسِ تَجْدِهِمْ لَا يُبَالُونَ بِإِضَاعَةِ أَوْقَاتِهِمْ فِي غَيْرِ فَائِدَةٍ وَرُبَّمَا أَضَاعُوهَا فِي المَعَاصِي .

شِعْرًا: أَجِيبْ جِيَادًا مِنَ التَّقْوَى مُضْمَرَةً	لِلسَّبْقِ يَوْمَ يُفُوزُ النَّاسُ بِالسَّبْقِ
ثُمَّ مَرَّ الرِّيحِ الهُوجِ عَاصِفَةً	أَوْ لَمَحَةَ البَرْقِ إِذَا يَجْتَازُ بِالْأَفْقِ
وَارْتُكُضَ إِلَى الغَايَةِ القُصْوَى وَخَلَّ لَهَا	عَنَانَ صِدْقٍ رَمَى فِي فِتْيَةٍ صُدُقِ
فَإِنَّ خَلْفَكَ أَعْمَالًا مُثَبِّطَةً	وَلَسْتَ تَنْهَضُ إِلَّا وَبِكَ بِالعَنَقِ
كَمْ حَلَّ عَزَمَكَ مِنْ دُنْيَا مُعْرَجَةٍ	بِقَصْدِكَ اليَوْمَ عَنِ مَسْلُوكَةِ الطَّرِيقِ
يَا غَافِلًا وَالمَنَايَا مِنْهُ ذَاكِرَةً	وَضَاحِكًا وَالرَّدَى مِنْهُ عَلَى حَنَقِ

قَطَعْتَ عُمْرَكَ فِي سَهْوٍ وَفِي سِنَةٍ وَمِنْ أَمَامِكَ لَيْلٌ دَائِمٌ  
آخر: (( إِذَا شَغَلَ الضُّيَاعُ آيَاتِ لَهْوِهِمْ  
وَطَابَ لَهُمْ عِنْدَ الْمَلَأِهِىَ مَحْفَلٌ ))  
(( وَسُرُّوا بِمَا فِيهِ هَلَاكُ نَفُوسِهِمْ  
وَدِينُهُمْ وَالْأَهْلَالُ وَالْمَمَالُ أَوَّلٌ ))  
(( فَقُمْ وَتَوَضَّأْ وَأَقْصِدْ الْمَاجِدَ الَّذِي  
إِذَا مَا مَضَى الثُّلُثَانِ لِلَّيْلِ يَنْزِلُ ))  
(( يَقُولُ أَلَا مِنْ سَائِلٍ يُعْطَى سُؤْلُهُ  
وَمُسْتَعْفِرٍ يُعْفَرُ لَهُ مَا يُؤْمَلُ ))  
(( وَمَنْ مُذْنِبٍ مِمَّا جَنَى جَاءَ تَائِباً  
إِلَى غَافِرٍ لِلذَّنْبِ لِلتَّوْبِ يَقْبَلُ ))  
(( وَكَرَّرَ سُؤْلاً وَالِدُعَا بِتَضَرُّعٍ  
لَعَلَّكَ تُحْظَى بِالْفَلَاحِ فَتُقْبَلُ ))  
(( وَقُلْ عَبْدُكَ الْمِسْكِينُ قَدْ جَاءَ تَائِباً  
وَيَرْجُوكَ تَوْفِيقاً وَلِلْعَفْوِ يَأْمَلُ ))  
(( فَجُدْ وَتَجَاوَزْ يَا جَوَادُ لِمَنْ أَتَى  
وَلَيْسَ لَهُ إِلَّا رَجَاؤُكَ مَوْئَلُ ))

اللَّهُمَّ وَقَفْنَا لِصَالِحِ الْأَعْمَالِ ، وَبِحَنَّا مِنْ جَمِيعِ الْأَهْوَالِ ، وَأَمْنَا مِنَ الْفَرَعِ الْأَكْبَرِ يَوْمَ الرَّجْفِ  
وَالزَّلْزَالِ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا ، وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ  
الرَّاحِمِينَ ، وَصَلِي اللَّهُمَّ عَلِي سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

( فَصْلٌ )

ثُمَّ اعْلَمَ أَهْلَ الضِّيَاعِ لِلْوَقْتِ الَّذِينَ كَانَ أَمْرُهُمْ فُرْطًا وَأَعْمَارُهُمْ سَبْهَلًا لَا يُفِيضُونَ مِنْ قَتْلِ  
أَوْقَاتِهِمْ فِي الْبَطَالَةِ وَعِنْدَ الْمُنْكَرَاتِ مِنْ كُرَّةٍ وَفَدْيُو وَتَلْفِزِيُونَ وَمَذْيَاعٍ وَسَيْنَمَا وَوَرَقٍ وَغَيْبَةٍ وَنَمِيمَةٍ  
وَتَحْسُسٍ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَنَحْوِ ذَلِكَ .

وَرَبَّمَا أَضَافُوا إِلَى ذَلِكَ الْجِنَايَةَ عَلَى أَوْقَاتِ الْآخِرِينَ فَشَعَلُوهُمْ عَنْ أَعْمَالِهِمْ بِشُئُونِ تَافِهَةٍ أَوْ فِيمَا  
يَعُوذُ عَلَيْهِمْ بِالْحُسْرَانِ فَهَوْلَاءِ أَسَاءُوا مِنْ جَهْتَيْنِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ إِذْ يُمَضُّونَ أَيَّامَهُمْ فِي غَيْرِ عَمَلٍ  
وَعَلَى غَيْرِهِمْ حَيْثُ شَعَلُوهُمْ عَنْ الْعَمَلِ وَالْعَجَبُ أَنَّ هَوْلَاءِ الَّذِينَ اعْتَادُوا قَتْلَ الْوَقْتِ إِذَا مَا  
تَبَيَّنَ فَشَلُّهُمْ فِي نُوبَةٍ يَقْطَعُ رَاحُوا يَتَسَاءَلُونَ عَنْ سِرِّ هَذَا الْفَشْلِ وَيَتَهَمُونَ الْأَيَّامَ تَارَةً وَالْحِطَّ تَارَةً  
أُخْرَى ، كَأَنَّهُمْ عِنْدَ أَنْفُسِهِمْ مَطْبُوعُونَ عَلَى التَّجَاحِ دُونَ عَمَلٍ وَأَنْ يَجْنُوا ثَمَارَ مَوَاهِبِهِمْ بَعْدَ أَنْ  
قَتَلُوا هَذِهِ الْمَوَاهِبَ .

أَمَّا السَّبَبُ الْحَقِيقِيُّ لِفَشْلِهِمْ فَهُوَ لَا يَخْطُرُ لَهُمْ بِيَالٍ وَلَا يُفَكِّرُونَ فِيهِ وَذَلِكَ لِضَعْفِ عُقُولِهِمْ .  
فَعَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَبْتَعِدَ عَنْ هَوْلَاءِ الْكُسَالَى كُلِّ الْبُعْدِ لِئَلَّا يُؤْتَرُوا عَلَيْهِ فَيُصِيبُهُ مَا أَصَابَهُمْ مَنْ  
ضِيَاعِ الْعُمْرِ سُدَى وَيَجْتَهِدَ فِي صُحْبَتِهِ ضِدَّ هَوْلَاءِ أَنْاسٍ أَتَقِيَاءَ مُحَافِظِينَ عَلَى أَوْقَاتِهِمْ لَا يُمَضُّونَهَا  
إِلَّا فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَمَا أَحْسَنَ مَا قِيلَ :

أَخُو الْفِسْقِ لَا يُعْرُوكَ مِنْهُ تَوَدُّدٌ فَكُلُّ حِبَالِ الْفَاسِقِينَ مَهِينٌ

وَصَاحِبٌ إِذَا مَا كُنْتَ يَوْمًا مُصَاحِبًا أَخَا ثِقَةٍ بِالْغَيْبِ مِنْكَ أَمِينٌ

آخر: بَعْشَرَتَكَ الْكِرَامَ تُعَدُّ مِنْهُمْ فَلَا تُرِينَ لغيرهم أُلُوفًا

آخر: فَصَاحِبٌ تَقِيًّا عَالِمًا تَنْتَفِعُ بِهِ

فَصُحْبَةُ أَهْلِ الْخَيْرِ تُرْجَى وَتُطْلَبُ

وَإِيَّاكَ وَالْفُسَّاقَ لَا تَصْحَبْنَهُمْ

فَقُرْبُهُمْ يُغْدِي وَهَذَا مُجَرَّبٌ

فَإِنَّا رَأَيْنَا الْمَرْءَ يَسْرِقُ طَبَعَهُ  
 مِنَ الْإِلْفِ ثُمَّ الشَّرُّ لِلنَّاسِ أَغْلَبُ  
 وَجَانِبُ ذَوِي الْأَوْزَارِ لَا تَقْرَبُهُمْ  
 فَفَرَّوْهُمْ يُرْدِي وَلِلْعَرُضِ يَثْلُبُ

آخر: وَأَهْوَى مِنَ الْإِخْوَانِ كُلِّ مُجَنَّبٍ عَنِ اللَّهِ مَقْدَامًا عَلَى فِعْلِ طَاعَةٍ  
 لَهُ عِفَّةٌ عَنِ كُلِّ شَيْءٍ مُحَرَّمٍ وَذُو رَغْبَةٍ فِيمَا يَقُودُ لِحَنَّةِ  
 آخر: لَا يُعْجِبُنكَ أَنْوَابٌ عَلَى رَجُلٍ وَانظُرْ إِلَى دِينِهِ وَانظُرْ إِلَى الْأَدَبِ  
 فَالْعُودُ لَوْ لَمْ تَفُحْ مِنْهُ رَوَائِحُهُ مَا فَارَقَ النَّاسُ بَيْنَ الْعُودِ وَالْحَطَبِ

وبالتالي فالذي يُرشدنا إليه النبي ﷺ في هذا الحديث أنه يُقرَّر أولاً أن صحَّة البدن نعمة من أعظم نعم الله علينا ليُربِّي فينا الوعي بقيمة الطَّاقة الإنسانيَّة التي خلقها الله فينا . فنستغلها فيما يعُود علينا أفراداً وجماعةً بالحيِّر والنَّفع .

ويُقرَّر لنا p ثانياً أن الوقت هو الحياهُ ، وأن ما نحسبه فراغاً فنتمنئ في وسائل قتله هو الطريق إلى التَّقدم فالحقيقتُه أن الحيِّ الذي يُقدِّر حياته يَبخلُ في الوقت أن يكون فيه فراغاً وِجتهُ فيه في العَمَل الذي يُقرِّبه إلى الله وإلى مرَضاتِهِ مِنْ صَلَاةٍ وَصَدَقَةٍ وَتَهْلِيلٍ وَتَسْبِيحٍ وَتَكْبِيرٍ وَتَحْمِيدٍ . وَمِنْ اسْتِغْلَالِ الْوَقْتِ بِأَنْفَعِ الْوَسَائِلِ الْمِدَاوِمَةِ عَلَى الْعَمَلِ وَإِنْ كَانَ قَلِيلاً . وَذَلِكَ أَنَّ اسْتِدَامَةَ الْعَمَلِ الْقَلِيلِ عَلَى تَوَالِي الزَّمَانِ وَاسْتِمْرَارِهِ يُكُونُ مِنَ الْقَلِيلِ كَثِيراً مِنْ حَيْثُ لَا يَجِدُ الْإِنْسَانُ مَشَقَّةً وَلَا ضَجْرًا .

وفي الحديث إنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ مَا دَامَ وَإِنْ قَلَّ وفي الحديث الآخر إنَّ الدِّينَ يُسْرُّ وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا وَاسْتَعِينُوا بِالْعَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّبْحَةِ وَالْقَصْدِ الْقَصْدِ .

فَقَدْ خَتَمَ ρ هَذَا الْحَدِيثَ بِوَصِيَّةٍ خَفِيْفَةٍ عَلَى النَّفْسِ ، نَافِعَةٌ تُرْشِدُ إِلَى الْمِحَافَظَةِ عَلَى الْوَقْتِ ، حَيْثُ حَثَّ فِيهَا عَلَى التَّبَكُّرِ وَرَعَّبَ أَنْ يَبْدَأَ الْمُسْلِمُ أَعْمَالَ يَوْمِهِ نَشِيطاً طَيِّبَ النَّفْسِ مُكْتَمِلَ الْعَزْمِ فَإِنَّ الْحِرْصَ عَلَى الْإِنْتِفَاعِ مِنْ أَوَّلِ الْيَوْمِ يَسْتَتْبِعُ الرَّغْبَةَ الْقَوِيَّةَ فِي أَنْ لَا يَضِيْعَ سَائِرُهُ سُدَى .

فَهَذِهِ الْأَوْقَاتُ الثَّلَاثَةُ الْمَذْكُورَةُ فِي الْحَدِيثِ ، كَمَا أَنَّهَا السَّبَبُ الْوَحِيدُ لِقَطْعِ الْمَسَافَاتِ الْقَرِيْبَةِ وَالْبَعِيْدَةِ فِي الْأَسْفَارِ الْحِسِّيَّةِ مَعَ رَاحَةِ الْمَسَافِرِ وَرَاحَةِ رَاحِلَتِهِ وَوُضُوْلِهِ بِرَاحَةٍ وَسَهُوْلَةٍ فَهِيَ السَّبَبُ الْوَحِيدُ لِقَطْعِ السَّفَرِ الْأُخْرَوِيِّ وَسُلُوكِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ وَالسِّيَرِ إِلَى اللَّهِ سَيْرًا جَمِيْلًا .

فَمَتَى أَخَذَ الْعَامِلُ نَفْسَهُ وَسَعَلَهَا بِالْخَيْرِ وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الْمُنَاسِبَةِ لَوَقْتِهِ أَوَّلَ نَهَارِهِ وَآخِرَ نَهَارِهِ وَشَيْئاً مِنْ لَيْلِهِ وَخُصُوصاً آخِرَ اللَّيْلِ حَصَلَ لَهُ مِنَ الْخَيْرِ وَمِنَ الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ أَكْمَلُ حَظٍّ وَأَوْفَرُ نَصِيْبٍ وَنَالَ السَّعَادَةَ وَالْفُوزَ وَالْفَلَاحَ وَتَمَّ لَهُ النَّجَاحُ بِإِذْنِ اللَّهِ فِي رَاحَةٍ وَطُمَأْنِيْنَةٍ مَعَ حُصُولِ مَقْصِدِهِ الدُّنْيَوِيِّ وَأَعْرَاضِهِ النَّفْسِيَّةِ .

وَمِمَّا وَرَدَ فِي الْحَثِّ عَلَى صِيَانَةِ الْوَقْتِ مَا وَرَدَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ρ قَالَ اعْتَنِ مِمْ خَمْساً قَبْلَ خَمْسٍ : شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ وَغِنَاكَ قَبْلَ فُقْرِكَ وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ .

وَقَالَ ρ مَنْ خَافَ أَذْجَ وَمَنْ أَذْجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ الْأَيَّ إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةٌ إِلَّا إِنْ سِلْعَةَ اللَّهِ الْجَنَّةَ وَرُويَ عَنِ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ مَرَّ بِي رَسُولُ اللَّهِ ρ وَأَنَا مُضْطَجِعَةٌ مُتَّصِحَّةٌ فَحَرَّكَنِي بِرِجْلِهِ ثُمَّ قَالَ يَا بُنَيَّةُ قُومِي فَاشْهَدِي رِزْقَ رَبِّكَ وَلَا تَكُونِي مِنَ الْغَافِلِينَ فَإِنَّ اللَّهَ يَقْسِمُ أَرْزَاقَ النَّاسِ مَا بَيْنَ طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ ) إِذْ أَنَّ الْجَادِيْنَ أَوْ الْكُسَالِيَّ يَتَمَيِّزُونَ فِي هَذَا الْوَقْتِ فَيُعْطَى كُلُّ امْرِئٍ حَسَبَ اسْتِعْدَادِهِ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

شِعْرًا: إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَطْلُبْ مَعَاشًا لِنَفْسِهِ      شَكَ الْفَقْرَ أَوْ لَامَ الصَّدِيقَ فَأَكْثَرَ  
وَصَارَ عَلَى الْأَدْنَيْنِ كَالًّا وَأَوْشَكَتْ      صَلَاتُ ذَوِي الْقُرْبَى لَهُ أَنْ تَنْكَرَا

وَحَتَاماً فَيُنْبَغِي لِلْعَاقِلِ اللَّيِّبِ أَنْ لَا يُضَيِّعَ أَيَّامَ صِحَّتِهِ وَفَرَاغَ وَقْتِهِ بِالتَّقْصِيرِ فِي طَاعَةِ اللَّهِ ، وَأَنْ لَا يَتَّقِيَ بِسَالِفِ عَمَلٍ وَيَجْعَلَ الاجْتِهَادَ غَنِيمَةً صِحَّتِهِ ، وَيَجْعَلَ الْعَمَلَ فُرْصَةً فَرَاغِهِ . فَلَيْسَ الزَّمَانُ كُلُّهُ مُسْتَعِدّاً وَلَا مَا فَاتَ مُسْتَدْرِكاً .

شِعْراً: لَيْسَ السَّعَادَةُ أَنْ تَبِيَّتَ مُنْعَمًا وَتَظَلُّ سَالِكًا مَسْلُوكَ الْكَسَلَانِ

مَا لِلرِّجَالِ وَلِلنِّعَمِ إِنَّمَا خُلِقُوا لِيُعْبَدُوا خَالِقَ الْإِنْسَانِ

قَالَ بَعْضُهُمْ فَوْتُ الْوَقْتِ أَشَدُّ مِنْ فَوْتِ الرُّوحِ عِنْدَ أَصْحَابِ الْحَقِيقَةِ لِأَنَّ فَوْتَ الرُّوحِ انْقِطَاعٌ عَنِ الْخَلْقِ وَفَوْتُ الْوَقْتِ انْقِطَاعٌ عَنِ الْحَقِّ .

وَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الرَّاحَةُ لِلرِّجَالِ عَقْلٌ وَلِلنِّسَاءِ غِلْمَةٌ فَالْفَرَاغُ مَفْسَدَةٌ وَقَالَ بَعْضُهُمْ لَا تَمُضْ يَوْمَكَ فِي غَيْرِ مَنْفَعَةٍ وَلَا تُضِعْ مَا لَكَ فِي غَيْرِ الْفِعْلِ الْحَسَنِ ، فَالْعُمُرُ أَقْصَرُ مِنْ أَنْ يَنْفَدَ فِي غَيْرِ الْمَنَافِعِ كَمَا قِيلَ :

أَذَانُ الْمَرْءِ حِينَ الطُّفْلِ يَأْتِي

وَتَأْخِيرُ الصَّلَاةِ إِلَى الْمَمَاتِ

دَلِيلٌ أَنْ مَحْيَاهُ قَلِيلٌ

كَمَا بَيَّنَّ الْأَذَانَ إِلَى الصَّلَاةِ

وَالْمَالُ أَقَلُّ مِنْ أَنْ يُصْرَفَ فِي غَيْرِ الصَّنَائِعِ وَالْعَاقِلِ أَجَلٌ وَأَكْبَسُ مِنْ أَنْ يُفْنِيَ أَيَّامَهُ فِيهَا لَا يَعُودُ إِلَيْهِ نَفْعُهُ وَخَيْرُهُ وَيُنْفِقُ أَمْوَالَهُ فِيهَا لَا يَحْصُلُ لَهُ ثَوَابُهُ وَأَجْرُهُ .

وَقَالَ عِيْسَى عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِينَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ الْبُرُّ ثَلَاثَةٌ الْمُنْطِقُ وَالنَّظَرُ وَالصَّمْتُ فَمَنْ كَانَ مِنْطِقُهُ فِي غَيْرِ ذِكْرٍ فَقَدْ لَغَا وَمَنْ كَانَ نَظَرُهُ فِي غَيْرِ اعْتِبَارٍ فَقَدْ سَهَا وَمَنْ كَانَ صَمْتُهُ فِي غَيْرِ فِكْرٍ فَقَدْ لَهَا .

شِعْراً: عَقَلْتُ فَوَدَّعْتُ التَّصَابِي وَإِنَّمَا تَصُرُّمُ لَهُوَ الْمَرْءُ أَنْ يَكْمَلَ الْعَقْلُ

أَرَى الْكُفْرَ شَرًّا فِي الْحَيَاةِ وَبَعْدَهَا وَلَا عُمَرَ إِلَّا مَا يُنَالُ بِهِ الْفَضْلُ

وَمِمَّا يَخْفِزُ الْإِنْسَانَ عَلَى الْمَسَابِقَةِ إِلَى فِعْلِ الطَّاعَاتِ تَذَكُّرُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَحَالَةَ السَّبْقِ لِلْمُحَدِّثِينَ  
قَالَ بَعْضُهُمْ :

إِذَا مَضَتِ الْأَوْقَاتُ فِي غَيْرِ طَاعَةٍ  
وَلَمْ تَكُ مَحْزُونًا فَذَا أَعْظَمُ الْخَطْبِ  
عَلَامَةٌ مَوْتِ الْقَلْبِ أَنْ لَا تَرَى بِهِ  
حَرَكَاتًا إِلَى التَّقْوَى وَمَيْلًا عَنِ الدَّنْبِ  
وَقَالَ الْآخَرُ :

وَلَوْ قَدْ جِئْتَ يَوْمَ الْفَصْلِ فَرْدًا  
وَأَبْصَرْتَ الْمَنَازِلَ فِيهِ شَيْئًا  
لَأَعْظَمْتَ النَّدَامَةَ فِيهِ لَهْفًا  
عَلَى مَا فِي حَيَاتِكَ قَدْ أَضَعْتَا  
فَالْعَاقِلُ مَنْ يُبَادِرُ أَيَّامَ الصِّحَّةِ وَالسَّلَامَةِ وَلَا يُفَوِّتُ مِنْهَا شَيْئًا فِي غَيْرِ طَاعَةِ اللَّهِ .  
قَالَ الْأَعْمَشِيُّ :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَرْحَلْ بِزَادٍ مِنَ التُّقَى  
وَأَبْصَرْتَ بَعْدَ الْمَوْتِ مَنْ قَدْ تَزَوَّدَا  
نَدِمْتَ عَلَى أَنْ لَا تَكُونُ كَمِثْلِهِ  
وَأَنَّكَ لَمْ تُرْصِدْ كَمَا كَانَ أَرْصَدَا  
شِعْرًا: وَإِنْ سَكَنْتَ عَمَّا قَلِيلٍ تَحَرَّكَ  
وَإِنْ سَكَنْتَ عَمَّا قَلِيلٍ تَحَرَّكَ  
وَبَادِرْ بِأَوْقَاتِ السَّلَامَةِ إِنَّهَا  
رَهَانٌ وَهَلْ لِلرَّهْنِ عِنْدَكَ مَتْرُكٌ



نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُوفِّقَنَا لِتَدْبِيرِ آيَاتِهِ وَفَهْمِ سُنَّتِهِ نَبِيِّهِ ﷺ وَالْعَمَلِ بِهَا وَأَنْ يَرْزُقَنَا الْإِنْتِفَاعَ بِمُرُورِ الزَّمَنِ عَلَى خَيْرِ وَجْهِ إِنَّهُ الْقَادِرُ عَلَى ذَلِكَ ، اللَّهُمَّ أَيْقِظْنَا مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ وَوَفِّقْنَا لِاتِّبَاعِ ذَوِي النُّفُوسِ الْمُحْسِنَةِ وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ، اللَّهُمَّ وَآتِنَا أَفْضَلَ مَا تُؤْتِي عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

### ( فَصْلٌ )

وَفِي وَصِيَّةِ الْإِمَامِ الْمُؤَفَّقِ ابْنِ قُدَامَةَ مَا لَفَظَهُ : فَاعْتَنِمَ رَحِمَكَ اللَّهُ حَيَاتِكَ النَّفْسِيَّةَ وَاحْتَفِظْ بِأَوْقَاتِكَ الْعَزِيْزَةَ وَاعْلَمْ أَنَّ مُدَّةَ حَيَاتِكَ مَحْدُودَةٌ وَأَنْفَاسِكَ مَعْدُودَةٌ فَكُلُّ نَفْسٍ يَنْقُصُ بِهِ جُزْءٌ مِنْكَ وَالْعُمْرُ كُلُّهُ قَصِيْرٌ وَالْبَاقِي مِنْهُ هُوَ الْيَسِيْرُ وَكُلُّ جُزْءٍ مِنْهُ جَوْهَرَةٌ نَفْسِيَّةٌ لَا عِدْلَ لَهَا وَالْبَاقِي مِنْهُ هُوَ الْيَسِيْرُ وَكُلُّ جُزْءٍ مِنْهُ جَوْهَرَةٌ نَفْسِيَّةٌ لَا عِدْلَ لَهَا وَلَا خَلْفَ مِنْهَا فَإِنَّ هَذِهِ الْحَيَاةَ الْيَسِيْرَةَ خُلُودٌ الْأَبَدِ فِي النَّعِيمِ أَوْ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ .

وَإِذَا عَادَلْتَ هَذِهِ الْحَيَاةَ بِخُلُودِ الْأَبَدِ عَلِمْتَ أَنَّ كُلَّ نَفْسٍ يُعَادِلُ أَكْثَرَ مِنْ أَلْفِ أَلْفِ عَامٍ فِي نَعِيمٍ لَا خَطَرَ لَهُ أَوْ خِلَافَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ هَكَذَا فَلَا قِيَمَةَ لَهُ فَلَا تُضَيِّعْ جَوَاهِرَ عُمْرِكَ النَّفْسِيَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ وَلَا تُذْهِبْهَا بِغَيْرِ عَوْضٍ وَاجْتَهِدْ أَنْ لَا يَخْلُو نَفْسٌ مِنْ أَنْفَاسِكَ إِلَّا فِي عَمَلٍ طَاعَةٍ أَوْ قُرْبَةٍ تُقَرِّبُ بِهَا فَإِنَّكَ لَوْ كَانَ مَعَكَ جَوْهَرَةٌ مِنْ جَوَاهِرِ الدُّنْيَا لَسَاءَكَ ذَهَابُهَا فَكَيْفَ تُفَرِّطُ فِي سَاعَاتِكَ وَكَيْفَ لَا تَحْزَنُ عَلَى عُمْرِكَ الدَّاهِبِ بِغَيْرِ عَوْضٍ أَنْتَهِي .

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ ذَرٍّ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ اعْمَلُوا لِأَنْفُسِكُمْ رَحِمَكُمُ اللَّهُ فِي هَذَا اللَّيْلِ وَسَوَادِهِ ، فَإِنَّ الْمُعْبُودَ مَنْ عُبِيَ خَيْرَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَالْمَحْرُومُ مَنْ حُرِمَ خَيْرَهُمَا ، إِنَّمَا جُعِلَ سَبِيلاً لِلْمُؤْمِنِينَ إِلَى طَاعَةِ رَبِّهِمْ ، وَوَيْبَالاً عَلَى الْآخِرِينَ لِلْعَقْلَةِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ فَأَحْيُوا لِلَّهِ أَنْفُسَكُمْ بِذِكْرِهِ ، فَإِنَّمَا تَحْيَا الْقُلُوبُ بِذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

كَمْ مِنْ قَائِمٍ لِلَّهِ جَلَّ وَعَلَا فِي هَذَا اللَّيْلِ قَدْ اغْتَبَطَ بِقِيَامِهِ فِي ظُلْمَةٍ

حُفِرَتْهُ وَكَمْ مِنْ نَائِمٍ فِي هَذَا اللَّيْلِ قَدْ نَدِمَ عَلَى طُولِ نَوْمَتِهِ عِنْدَمَا يَرَى مِنْ كَرَامَةِ اللَّهِ لِلْعَابِدِينَ غَدًا فَاغْتَنِمُوا مَرَّ السَّاعَاتِ وَاللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ رَحِمَكُمُ اللَّهُ وَرَاقِبُوا اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا فِي كُلِّ لَحْظَةٍ وَدَاوِمُوا شُكْرَهُ .

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ التِّرْمِذِيُّ اجْعَلْ مُرَاقِبَتَكَ لِمَنْ لَا تَعْيِبُ عَنْ نَظَرِهِ إِلَيْكَ واجْعَلْ شُكْرَكَ لِمَنْ لَا تَنْقَطِعُ نِعْمَتُهُ عَنْكَ واجْعَلْ خُضُوعَكَ لِمَنْ لَا تَخْرُجُ عَنْ مُلْكِهِ .

وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ : الْعَبْدُ مِنْ حِينِ اسْتَقَرَّتْ قَدَمُهُ فِي هَذِهِ الدَّارِ فَهُوَ مُسَافِرٌ فِيهَا إِلَى رَبِّهِ ، وَمُدَّةُ سَفَرِهِ عُمُرُهُ وَالْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي مَرَاحِلُ فَلَا يَزَالُ يَطْوِيهَا حَتَّى يَنْتَهِيَ السَّفَرُ ، فَالْكَيْسُ لَا يَزَالُ مُهْتَمًّا بِقَطْعِ الْمَرَاحِلِ فِيمَا يُقَرِّبُهُ إِلَى اللَّهِ لِيَجِدَ مَا قَدَّمَ مُحْضَرًا ثُمَّ النَّاسُ مُنْقَسِمُونَ إِلَى أَقْسَامٍ ، مِنْهُمْ مَنْ قَطَعَهَا مُتَزَوِّدًا بِمَا يُقَرِّبُهُ إِلَى دَارِ الشَّقَاءِ مِنَ الْكُفْرِ وَأَنْوَاعِ الْمَعَاصِي .

وَمِنْهُمْ مَنْ قَطَعَهَا سَائِرًا فِيهَا إِلَى اللَّهِ وَإِلَى دَارِ السَّلَامِ ، وَهُمْ ثَلَاثَةٌ أَقْسَامٍ : سَابِقُونَ أَدْوَا الْفَرَائِضَ وَأَكْثَرُوا مِنَ النَّوَافِلِ بِأَنْوَاعِهَا ، وَتَرَكُوا الْمَحَارِمَ ، وَالْمَكْرُوهَاتِ وَفُضُولِ الْمِيَاحَاتِ ، وَمُقْتَصِدُونَ أَدْوَا الْفَرَائِضَ وَتَرَكُوا الْمَحَارِمَ ، وَمِنْهُمْ الظَّالِمُ لِنَفْسِهِ الَّذِي خَلَطَ عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا وَهُمْ فِي ذَلِكَ دَرَجَاتٍ يَتَفَاوَتْونَ تَفَاوُتًا عَظِيمًا أ . ه .

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ : النَّاسُ مُنْذُ خُلِقُوا لَمْ يَزَالُوا مُسَافِرِينَ لَيْسَ لَهُمْ حَطٌّ عَنْ رِحَالِهِمْ إِلَّا فِي الْجَنَّةِ أَوْ النَّارِ وَالْعَاقِلُ يَعْلَمُ أَنَّ السَّفَرَ مَبْنِيٌّ عَلَى الْمَشَقَّةِ وَرُكُوبِ الْأَخْطَارِ وَمِنَ الْمِحَالِ عَادَةً أَنْ يُطَلَّبَ فِيهِ نَعِيمٌ ، وَلَدَّةٌ وَرَاحَةٌ إِمَّا ذَلِكَ بَعْدَ انْتِهَاءِ السَّفَرِ وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ كُلَّ وَطْأَةٍ قَدِمَ أَوْ كُتِلَ آِنْ مِنْ آَنَاتِ السَّفَرِ غَيْرِ وَاقِفَةٍ وَلَا الْمَكْلَفُ وَاقِفٌ وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّهُ سَافِرٌ عَلَى الْحَالِ الَّتِي يُحِبُّ أَنْ

يَكُونُ الْمَسَافِرُ مِنْ تَهَيَّئَةِ الرَّادِّ الْمُوصِلِ وَإِذَا نَزَلَ أَوْ نَامَ أَوْ اسْتَرَاحَ فَعَلَى اسْتِعْدَادٍ .

شِعْرًا: أَنْتَ الْمَسَافِرُ وَالِدُنْيَا الطَّرِيقُ وَأَنْ

فَاسْ خُطَاكَ وَرَأْسُ الْمَرْءِ إِيْمَانُ

فَاجْعَلْ لِنَفْسِكَ تَقْوَى اللَّهِ مَدْرَجَةً

فَلِلْإِسَاءَاتِ قُطَّاعٌ وَأَعْمَوانُ

يَا قَوْمُ ذُنَيْبًا كُمْؤَا دَارٍ مُرَوِّقَةً

لَكِنْ لَهَا وَضِعَتْ فِي الرَّمْلِ أَرْكَانُ

بِهَا سُقُوفٌ بِإِلْأَسٍ مُزْحَرَفَةً

وَكَيْفَ يُنْبِي بَغْيِرِ الْأَسِّ بُنْيَانُ

كَمْ فَاتِحِ عَيْنِهِ فِيهَا تَحْطَفُهُ

أَيْدِي الرِّدَى قَبْلَ أَنْ تَنْصَمَّ أَجْفَانُ

هِيَ السَّرَابُ وَمَاءُ الْوَجْهِ تُرْهَقُهُ

وَلَا يَبْرَى فِيهِ وَجْهَ الْمَاءِ عَطَشَانُ

رَحَى يَدُورُ دَقِيقٌ شَأْنُهُ عَجَبُ

غَدَا لِكُلِّ خَلِيلٍ وَهُوَ طَحَّانُ

يَسْرُ كُلُّ فَتَى طُولُ الزَّمَانِ بِهِ

وَلِلْفَتَى حَاصِلُ الْأَزْمَانِ إِزْمَانُ

وَقَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ وَعِمَارَةُ الْوَقْتِ الْإِسْتِعْالُ فِي جَمِيعِ آنَائِهِ بِمَا يُقْرَبُ إِلَى اللَّهِ أَوْ يُعِينُ عَلَى

ذَلِكَ مِنْ مَأْكَلٍ وَمَشْرَبٍ أَوْ مَنْكَحٍ أَوْ مَنَانٍ أَوْ رَاحَةٍ

فَأَنَّهُ مَتَى أَخَذَهَا بِنِيَّةِ الثَّوَّةِ عَلَى مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَتَحَبَّبَ مَا يُسَخِّطُهُ كَانَتْ مِنْ عِمَارَةِ الْوَقْتِ وَإِنْ كَانَ لَهُ فِيهَا أُمَّمٌ لَدَّةٌ فَلَا تَحْسَبْ عِمَارَةَ الْوَقْتِ بِهَجْرِ اللَّذَاتِ وَالطَّيِّبَاتِ فَالْمُحِبُّ الصَّادِقُ رُبَّمَا كَانَ سَيْرُهُ الْقَلْبِي فِي حَالِ أَكْلِهِ وَشُرْبِهِ وَجَمَاعِ أَهْلِهِ وَرَاحَتِهِ أَقْوَى مِنْ سَيْرِهِ الْبَدَنِيِّ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ .

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ : وَالْعَبْدُ إِذَا عَزَمَ عَلَى فِعْلٍ أَمْرٍ فَعَلَيْهِ أَنْ يَعْلَمَ أَوَّلًا هَلْ هُوَ طَاعَةٌ لِلَّهِ أَمْ لَا فَإِنْ لَمْ يَكُنْ طَاعَةً فَلَا يَفْعَلْهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مُبَاحًا يَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى الطَّاعَةِ وَحِينَئِذٍ يَصِيرُ طَاعَةً فَإِذَا بَانَ لَهُ أَنَّهُ طَاعَةٌ فَلَا يُقَدِّمُ عَلَيْهِ حَتَّى يَنْظُرَ هَلْ هُوَ مُعَانٌ عَلَيْهِ أَمْ لَا فَإِنْ لَمْ يَكُنْ مُعَانًا عَلَيْهِ فَلَا يُقَدِّمُ عَلَيْهِ فَيُذِلُّ نَفْسَهُ وَإِنْ كَانَ مُعَانًا عَلَيْهِ بَقِيَ عَلَيْهِ نَظَرٌ وَهُوَ أَنْ يَأْتِيَهُ مِنْ غَيْرِ بَابِهِ أَضَاعَهُ أَوْ فَرَطَ فِيهِ أَوْ أَفْسَدَ مِنْهُ شَيْئًا فَهَذِهِ الْأُمُورُ الثَّلَاثَةُ : الطَّاعَةُ وَالْإِعَانَةُ وَالْهُدَايَةُ أَصْلُ سَعَادَةِ الْعَبْدِ وَفَلَاحِهِ .

وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِ الْعَبْدِ لِرَبِّهِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ فَاسْعُدِ الْخَلْقَ أَهْلُ هَذِهِ الْعِبَادَةِ وَالِاسْتِعَانَةَ وَالْهُدَايَةَ إِلَى الْمَطْلُوبِ وَأَشْقَاهُمْ مَنْ عَدِمَ الْأُمُورَ الثَّلَاثَةَ وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ لَهُ نَصِيبٌ مِنْ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَنَصِيبُهُ مِنْ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ مَعْدُومٌ أَوْ ضَعِيفٌ فَهَذَا مَخْدُولٌ مَهِينٌ مَحْزُونٌ وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ نَصِيبُهُ مِنْ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ قَوِيًّا وَنَصِيبُهُ مِنْ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ضَعِيفًا أَوْ مَفْقُودًا فَهَذَا لَهُ نُفُودٌ وَتَسَلُّطٌ وَقُوَّةٌ وَلَكِنْ لَا عَاقِبَةَ لَهُ بَلْ عَاقِبَتُهُ أَسْوَأُ عَاقِبَةٍ .

وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ لَهُ نَصِيبٌ مِنْ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ وَلَكِنْ نَصِيبُهُ مِنَ الْهُدَايَةِ إِلَى الْمَقْصُودِ ضَعِيفٌ جِدًّا كَحَالِ كَثِيرٍ مِنَ الْعِبَادِ وَالزُّهَادِ الَّذِينَ قَلَّ عَلَيْهِمْ بَحَقَائِقِ مَا بَعَثَ اللَّهُ بِهِ مُحَمَّدًا ﷺ مِنَ الْهُدَى وَالتَّقَى .

شِعْرًا: مَا الْفَخْرُ إِلَّا لِأَهْلِ الْعِلْمِ الْعِلْمُ إِنَّهُمْوَا  
عَلَى الْهُدَى لِمَنْ اسْتَهْدَى أَدْلَاءُ  
وَقِيَمَةُ الْمَرْءِ مَا قَدْ كَانَ يُحْسِنُهُ  
وَالْجَاهِلُونَ لِأَهْلِ الْعِلْمِ أَعْدَاءُ  
فَعِشْ بِعِلْمٍ تَفْرُ حَيًّا بِهِ أَبَدًا  
التَّاسُ مَوْتَى وَأَهْلُ الْعِلْمِ أَحْيَاءُ

اللَّهُمَّ اجْعَلْ إِيمَانَنَا بِكَ عَمِيقًا وَسَهْلًا لَنَا إِلَى مَا يُرْضِيكَ طَرِيقًا وَأَلْطَفْ بِنَا يَا مَوْلَانَا ۝ وَوَفِّقْنَا  
لِلْبَقِيَّاتِ الصَّالِحَاتِ تَوْفِيقًا وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى  
اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

### ( فَصْلٌ )

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ :

أَقَامَ اللَّهُ سُبْحَنَهُ هَذَا الْخَلْقَ بَيْنَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالْعَطَاءِ وَالْمَنْعِ فَافْتَرَقُوا فِرْقَتَيْنِ ، فِرْقَةً قَابَلَتْ أَمْرَهُ  
بِالتَّرْكِ ، وَهَيْبَهُ بِالْإِزْتِكَابِ ، وَعَطَاءَهُ بِالْعَقْلَةِ ، عَنْ الشُّكْرِ وَمَنْعَهُ بِالسُّخْطِ وَهَوْلَاءِ أَعْدَائِهِ ،  
وَفِيهِمْ مِنَ الْعَدَاوَةِ بِحَسَبِ مَا فِيهِمْ مِنْ ذَلِكَ .

وَقَسَمَ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ عِندَكَ ، فَإِنْ أَمَرْتَنَا سَارَعْنَا إِلَى الْإِجَابَةِ ، وَإِنْ نَهَيْتَنَا أَمْسَكْنَا نُفُوسَنَا  
وَكَفَفْنَاهَا عَمَّا نَهَيْتَنَا عَنْهُ وَإِنْ أَعْطَيْتَنَا حَمْدَنَاكَ وَشَكَرْنَاكَ ، وَإِنْ مَنَعْتَنَا تَضَرَّعْنَا إِلَيْكَ وَدَكَّرْنَاكَ ،  
فَلَيْسَ بَيْنَ هَوْلَاءِ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ إِلَّا سِتْرُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، فَإِذَا مَرَّقَهُ عَلَيْهِمُ الْمَوْتُ ، صَارُوا إِلَى  
النَّعِيمِ الْمُقِيمِ وَفِرَّةِ الْعَيْنِ ، كَمَا أَنَّ أَوْلِعَكَ لَيْسَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ النَّارِ إِلَّا سِتْرُ الْحَيَاةِ ، فَإِذَا مَرَّقَهُ  
الْمَوْتُ صَارُوا إِلَى الْحُسْرَةِ وَالْأَلَمِ .

فَإِذَا تَصَادَمَتْ جُيُوشُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فِي قَلْبِكَ وَأَرَدْتَ أَنْ تَعْلَمَ مِنْ أَيِّ الْفِرْقَيْنِ أَنْتَ ، فَانظُرْ  
مَعَ مَنْ تَمِيلُ مِنْهُمَا ، وَمَعَ مَنْ تُقَاتِلُ ، إِذْ لَا يَمَكِّنُكَ الْوُقُوفُ بَيْنَ الْجَيْشَيْنِ ، فَأَنْتَ مَعَ أَحَدِهِمَا  
لَا مَحَالَةَ .

فَفَرِّقْ مِنْهُمْ اسْتَعْشُوا الْهَوَى فَخَالَفُوهُ ، وَاسْتَنْصَحُوا الْعَقْلَ فَشَاوَرُوهُ ، وَفَرَّغُوا قُلُوبَهُمْ لِلْفِكْرِ فِيمَا  
خُلِقُوا لَهُ ، وَجَوَّارِحُهُمْ لِلْعَمَلِ بِمَا أُمِرُوا بِهِ ،

وَأَوْقَاتِهِمْ لِعِمَارَتِهَا بِمَا يَعْمُرُ مَنَازِحَهُمْ فِي الْآخِرَةِ ، وَاسْتَظْهَرُوا عَلَى سُرْعَةِ الْعَمَلِ بِالْمِبَادَرَةِ إِلَى الْأَعْمَالِ ، وَسَكَنُوا الدُّنْيَا وَقُلُوبُهُمْ مُسَافِرَةٌ عَنْهَا ، وَاسْتَوَظَّنُوا الْآخِرَةَ قَبْلَ انْتِقَالِهِمْ إِلَيْهَا .

وَاهْتَمُّوا بِاللَّهِ وَطَاعَتِهِ عَلَى قَدْرِ حَاجَتِهِمْ إِلَيْهِ ، وَتَزَوَّدُوا لِلْآخِرَةِ عَلَى قَدْرِ مَقَامِهِمْ فِيهَا ، فَجَعَلَ لَهُمْ سُبْحَانَهُ مِنْ نَعِيمِ الْجَنَّةِ وَرُوحَهَا أَنْ أَنْسَهُمْ بِنَفْسِهِ ، وَأَقْبَلَ بِقُلُوبِهِمْ إِلَيْهِ ، وَجَمَعَهَا عَلَى مَحَبَّتِهِ ، وَشَوَّقَهُمْ إِلَى لِقَائِهِ وَنَعَمَتِهِمْ بِقُرْبِهِ ، وَفَرَّغَ قُلُوبَهُمْ بِمَا مَلَأَ قُلُوبَ غَيْرِهِمْ مِنْ حُبَّةِ الدُّنْيَا وَالْهَمِّ وَالْحُزْنِ عَلَى فَوْتِهَا ، وَالْعَمِّ مِنْ خَوْفِ ذَهَابِهَا ، فَاسْتَلَانُوا مَا اسْتَوْعَرَهُ الْمُتَرْفُونَ ، وَأَنْسُوا بِمَا اسْتَوْحَشَ مِنْهُ الْجَاهِلُونَ ، صَحِبُوا الدُّنْيَا بِأَبْدَانِهِمْ وَالْمَلَأَ الْأَعْلَى بِأَرْوَاحِهِمْ عَلَى حَدِّ قَوْلِ الشَّاعِرِ :

وَصَاحَبُوهَا بِأَبْدَانٍ قُلُوبُهُمْ

طَيَّرَ لَهَا فِي ضِلَالِ الْعَرْشِ أَوْكَارَ

فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَكُونُ سَيِّدَ عَمَلِهِ وَطَرِيقُهُ الَّذِي يَعُدُّ سُلُوكَهُ إِلَى اللَّهِ طَرِيقَ الْعِلْمِ وَالتَّعْلِيمِ قَدْ وَقَّعَ عَلَيْهِ زَمَانُهُ مُبْتَغِيًّا بِهِ وَجْهَ اللَّهِ فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ عَاكِفًا عَلَى طَرِيقِ الْعِلْمِ وَالتَّعْلِيمِ حَتَّى يَصِلَ مِنْ تِلْكَ الطَّرِيقِ إِلَى اللَّهِ وَيَفْتَحَ لَهُ فِيهَا الْفَتْحَ الْخَاصَّ أَوْ يَمُوتَ فِي طَرِيقِ طَلْبِهِ فَيُرْجَى لَهُ الْوُصُولُ إِلَى مَطْلَبِهِ بَعْدَ مَمَاتِهِ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾ .

وَقَدْ حُكِيَ عَنْ جَمَاعَةٍ كَثِيرَةٍ مِمَّنْ أَدْرَكَهُ الْأَجَلُ وَهُوَ حَرِيصٌ طَالِبٌ لِلْقُرْآنِ أَنَّهُ رُؤِيَ بَعْدَ مَوْتِهِ وَأَخْبَرَ أَنَّهُ فِي تَكْمِيلِ مَطْلُوبِهِ وَأَنَّهُ يَتَعَلَّمُ فِي الْبَرَزِخِ فَإِنَّ الْعَبْدَ يَمُوتُ عَلَى مَا عَاشَ عَلَيْهِ .

ومن النَّاسِ مَنْ يَكُونُ سَيِّدَ عَمَلِهِ الذِّكْرَ وَقَدْ جَعَلَهُ زَادَهُ لِمَعَادِهِ وَرَأْسَ مَالِهِ لِمَالِهِ فَمَتَّى فِتْرَ عَنَّهُ أَوْ قَصَرَ رَأْيِي أَنَّهُ قَدْ غَبِنَ وَخَسِرَ .

ومن النَّاسِ مَنْ يَكُونُ سَيِّدَ عَمَلِهِ وَطَرِيقَةَ الصَّلَاةِ فَمَتَّى قَصَرَ فِي وَرْدِهِ مِنْهَا أَوْ مَضَى عَلَيْهِ وَقْتُ وَهُوَ غَيْرَ مَشْغُولٍ بِهَا أَوْ مُسْتَعِدٌّ لَهَا أَظْلَمَ عَلَيْهِ وَقْتُهُ وَضَاقَ صَدْرُهُ .

ومن النَّاسِ مَنْ يَكُونُ طَرِيقَهُ الْإِحْسَانَ وَالنَّفْعَ الْمُتَعَدِّيَ كَقَضَاءِ الْحَاجَاتِ وَتَفْرِيجِ الْكُرْبَاتِ وَإِغَاثَةِ اللَّهْفَاتِ وَأَنْوَاعِ الصَّدَقَاتِ قَدْ فَتَحَ لَهُ فِي هَذَا وَسَلَّكَ مِنْهُ طَرِيقاً إِلَى رَبِّهِ .

وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَكُونُ طَرِيقُهُ الصَّوْمَ فَهُوَ مَتَّى أَفْطَرَ تَغَيَّرَ عَلَيْهِ قَلْبُهُ وَسَاءَتْ حَالُهُ .

وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَكُونُ طَرِيقُهُ تِلَاوَةَ الْقُرْآنِ وَهِيَ الْعَالِبُ عَلَى أَوْقَاتِهِ وَهِيَ أَعْظَمُ أَوْزَانِهِ .

وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ طَرِيقُهُ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ قَدْ فَتَحَ اللَّهُ لَهُ فِيهِ وَنَفَذَ مِنْهُ إِلَى رَبِّهِ .

وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ طَرِيقُهُ الَّذِي نَفَذَ فِيهِ الْحَجَّ وَالْإِعْتِمَارَ .

وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ طَرِيقُهُ قَطْعَ الْعَلَائِقِ وَتَجْرِيدَ الْهِمَّةِ وَدَوَامَ الْمُرَاقَبَةِ وَمُرَاعَاةَ الْخَوَاطِرِ وَحِفْظَ الْأَوْقَاتِ أَنْ تَذْهَبَ ضَائِعَةً .

وَمِنْهُمْ جَامِعُ الْمِنْفَذِ السَّالِكِ إِلَى اللَّهِ فِي كُلِّ وَادٍ الْوَاصِلِ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ طَرِيقٍ فَهُوَ جَعَلَ وَظَائِفَ عِبُودِيَّتِهِ قِبَلَةَ قَلْبِهِ وَنَصَبَ عَيْنَهُ يَوْمُهَا أَيْنَ كَانَتْ وَيَسِيرُ

معها حيث سارت قد ضرب مع كل فريق بسهم فأين كانت العبودية وجدته هناك إن كان علم وجدته مع أهله أو جهاده وجدته في صف المجاهدين أو صلاة وجدته في القانتين أو ذكر وجدته في الذاكرين أو إحسان ونفع وجدته في زمرة المحسنين أو محبة ومراقبة وإنابة إلى الله وجدته في زمرة المحسنين المنيبين .

يَدِينُ بِدِينِ الْعُبُودِيَّةِ أَيَّ اسْتَقَلَّتْ رِكَائِبُهَا وَيَتَوَجَّهْ إِلَيْهَا حَيْثُ اسْتَقَرَّتْ مَضَارِبُهَا لَوْ قِيلَ لَهُ : مَا تُرِيدُ مِنَ الْأَعْمَالِ ؟ لَقَالَ أُرِيدُ أَنْ أَنْفِذَ أَوْامِرَ رَبِّي حَيْثُ كَانَتْ وَأَيْنَ كَانَتْ جَالِيَةً مَا جَلَبْتُ مُقْتَضِيَةً مَا افْتَضَتْ جَمْعَتِي أَوْ فَرَّقَتْنِي .

لَيْسَ لِي مُرَادٌ إِلَّا تَنْفِيدُهَا وَالْقِيَامُ بِأَدَائِهَا مُرَاقِبًا لَهُ فِيهَا عَاكِفًا عَلَيْهِ بِالرُّوحِ وَالْقَلْبِ وَالْبَدَنِ وَالسِّرِّ قَدْ سَلَّمْتُ إِلَيْهِ الْمَيْعَ مُنْظَرًا مِنْهُ تَسْلِيمَ التَّمَنِ ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ ﴾ فَهَذَا هُوَ الْعَبْدُ السَّالِكُ إِلَى رَبِّهِ النَّافِذُ إِلَيْهِ حَقِيقَةً .

ومعني النفوذ إليه أن يتصل به قلبه ويعلق به تعلق المحب التام المحبة بمحبوبه فيسلوا به عن جميع المطالب سواه فلا يبقى في قلبه إلا محبة الله وأمره وطلب التقرب إليه (( وصلي الله علي محمد وآله وصحبه أجمعين .

(فصل) فإذا سلك العبد علي هذا الطريق عطف عليه ربه فقربه واصطفاه وأخذ بقلبه إليه وتولاه في جميع أموره في معاشه ودينه وتولي تربيته أحسن وأبلغ مما يربِّي الوالد الشفيق ولده فإنه سُبْحَانَهُ الْقِيَوْمَ الْمُقِيمَ لِكُلِّ شَيْءٍ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ طَائِعَهَا وَعَاصِيَهَا .

فَكَيْفَ تَكُونُ قِيَوْمِيَّتَهُ بَمَنْ أَحَبَهُ وَتَوَلَّاهُ وَآثَرَهُ عَلِي مَا سِوَاهُ وَرَضِيَ بِهِ مِنْ



التَّاسِ حَبِيبًا وَرَبًّا وَوَكِيلًا وَنَاصِرًا وَمُعِينًا وَهَادِيًا فَلَوْ كَشَفَ الْغِطَاءُ عَنِ الطَّافِهِ وَبَرَّهُ وَصُنِعِهِ لَهُ مِنْ حَيْثُ يَعْلَمُ وَمِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُ لَذَابَ قَلْبُهُ حَبَّةً لَهُ وَشَوْقًا إِلَيْهِ وَتَقَطَّعَ شُكْرًا لَهُ .  
وَلَكِنْ حَبَبَ الْقُلُوبِ عَنِ مُشَاهَدَةِ ذَلِكَ إِخْلَادُهَا إِلَى عَالَمِ الشَّهَوَاتِ وَالتَّعَلُّقِ بِالْأَسْبَابِ فَصَدَّتْ عَنِ كَمَالِ نَعِيمِهَا وَذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ وَإِلَّا فَأَيُّ قَلْبٍ يَذُوقُ حَلَاوَةَ مَعْرِفَةِ اللَّهِ وَمَحَبَّتِهِ ثُمَّ يَرْكُنُ إِلَى غَيْرِهِ وَيَسْكُنُ إِلَى مَا سِوَاهُ هَذَا مَا لَا يَكُونُ أَبَدًا .

ومن ذاق شيئاً من ذلك وعرف طريقاً موصلة إلى الله ثم تركها وأقبل علي إرادته وراحاته وشهواته ولداته وقع في آثار المعاطب وأودع قلبه سجون المضايق وعذب في حياته عذاباً لم يعذب به أحداً من العالمين ، فحياته عجز وغم وحزن وموته كدر وحسرة ومعاده أسف وندامة قد فرط عليه أمره وشتت عليه شمله وأحضر نفسه الغموم والأحزان .

فلا لذة الجاهلين ولا راحة العارفين يستغيث فلا يغاث ويشتكى فلا يشكي فقد ترحلت أفراحه وسروره مدبرة وأقبلت آلامه وأحزانه وحسراته فقد أبدل بأنسه وحشة وبعزه ذلاً وبغناه فقراً وبجمعيته تشتيتاً وأبعدوه فلم يظفر بقربهم وأبدلوه مكان الأنس إيجاشاً .  
ذلك بأنه عرف طريقه إلى الله ثم تركها ناكباً مكباً علي وجهه فأبصر ثم عمي وعرف ثم أنكر وأقبل ثم أدبر ودعي فما أجاب وفتح له فولي ظهره الباب قد ترك طريق مولاه وأقبل بكليته علي هواه .

فلو نال بعض حظوظه وتلذذ براحاته وشؤونه فهو مقيد القلب عن

انطلاقه في فسيح التوحيد وميادين الأنس ورياض المحبة وموائد القرب قد انحط بسبب إعراضه عن إله الحق إلى أسفل سافلين وحصل في عداد المهالكين فنار الحجاب تطلع كحل وقت فؤاده وإعراض الكون عنه - إذ أعرض ربه - حائل بينه وبين مراده .

فهو قبر يمشي علي وجه الأرض وروحه في وحشة من جسمه وقلبه في ملال من حياته يتمني الموت ويشتهي ولو كان فيه ما فيه حتى إذا جاء الموت علي تلك الحال والعياذ بالله فلا تسأل عما يحل به من العذاب الأليم بسبب وقوع الحجاب بينه وبين مولاه الحق وإحراقه بنار البعد من قربه والإعراض عنه وقد حيل بينه وبين سعادته وأمنيته .

فَلَوْ تَوَهَّم الْعَبْدُ الْمِسْكِينُ هَذِهِ الْحَالَ وَصَوَّرَهَا لَهُ نَفْسُهُ وَأَرَتْهُ إِيَّاهَا عَلَى حَقِيقَتِهَا لَتَقَطَّعَ وَاللَّهِ قَلْبُهُ وَمَلَّ يَلْتَدُّ بِطَعَامٍ وَلَا شَرَابٍ وَخَرَجَ إِلَى الصُّعَدَاتِ يَجْأُرُ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَعِينُ بِهِ وَيسْتَعِينُهُ فِي زَمَنِ الْاسْتِعْتَابِ هَذَا مَعَ أَنَّهُ إِذَا أَثَّرَ شَهَوَاتِهِ وَلِدَاتِهِ الْفَانِيَّةَ الَّتِي هِيَ كَحَيَالِ طَيْفٍ أَوْ مُرْتَبَةِ صَيْفٍ نَعَّصَتْ عَلَيْهِ لَدَّتْهَا أَحْوَجَ مَا كَانَ إِلَيْهَا وَحِيلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا أَقْدَرَ مَا كَانَ عَلَيْهَا وَتِلْكَ سُنَّةُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَارْتَبَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْن بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ .

وهذا هو غيب إعراضه وإيثار شهواته علي مرضاة ربه يعوق القدر عليه أسباب مرداه فيخسر الأمرين جميعاً فيكون معذباً في الدنيا بتنغيص شهواته وشدة اهتمامه بطلب ما لم يقسم له وإن قسم له منه شيء فحشوه الخوف والحزن والنكد والألم فهم لا ينقطع وحسرة لا تنقضي وحرص لا ينفد وذل لا

ينتهي وطمع لا يقلع وهذا في هذه الدار .

وأما في البرزخ فأضعاف أضعاف ذلك قد حيل بينه وبين ما يشتهي وفاته ما كان يتمناه من قرب ربه وكرامته ونيل ثوابه وأحضر جميع غمومه وأحزانه ، وأما في دار الجزاء فسجن أمثاله من المبعدين المطرودين فواغوثاه ثم واغوثاه بغيث المستغيثين وأرحم الراحمين .

فَمَنْ أَعْرَضَ عَنِ اللَّهِ بِالْكُلِّيَّةِ أَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُ بِالْكُلِّيَّةِ وَمَنْ أَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُ لَزِمَهُ الشَّقَاءُ وَالْبُؤْسُ وَالْبَخْسُ فِي أَحْوَالِهِ وَأَعْمَالِهِ وَقَارَنَهُ سُوءُ الْحَالِ وَفَسَادُ فِي دِينِهِ وَمَالِهِ فَإِنَّ الرَّبَّ إِذَا أَعْرَضَ عَنْ جِهَةِ دَارَتْ بِهَا النُّحُوسُ وَأَظْلَمَتْ أَرْجَاؤُهَا وَانْكَسَفَ أَنْوَارُهَا وَظَهَرَ عَلَيْهَا وَحْشَةُ الْإِعْرَاضِ وَصَارَتْ مَأْوَى لِلشَّيَاطِينِ وَهَدَفًا لِلشُّرُورِ وَمَصَبًا لِلْبَلَاءِ .

فَالْمُخْرُومُ كُلُّ الْمُخْرُومِ مَنْ عَرَفَ طَرِيقًا إِلَيْهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا أَوْ وَجَدَ بَارِقَةً مِنْ حُبِّهِ ثُمَّ سَلِبَهَا لَمْ يَنْفُذْ إِلَى رَبِّهِ مِنْهَا خُصُوصًا إِذَا مَالَ بِتِلْكَ الْإِرَادَةِ إِلَى شَيْءٍ مِنَ اللَّذَاتِ وَأَنْصَرَفَ بِجُمْلَتِهِ إِلَى تَحْصِيلِ الْأَعْرَاضِ وَالشَّهَوَاتِ عَاكِفًا عَلَى ذَلِكَ فِي لَيْلِهِ وَنَهَارِهِ وَعُدُوَّهُ وَرَوَاحِهِ هَابِطًا مِنَ الْأَوْجِ الْأَعْلَى إِلَى الْحَضِيضِ الْأَدْنَى .

قد مضت عليه برهة من أوقاته وكان همه الله وبغيته قربه ورضاه وإيثاره علي كل ما سواه علي ذلك يصبح ويمسي ويظل ويضحى وكان الله في تلك الحال وليه لأنه ولي من تولاه وحبیب من أحبه ووالاه .

فأصبح في سجن الهوى ثاويًا وفي أسر العدو مقيمًا وفي بئر المعصية ساقطًا وفي أودية الحيرة والتفرقة هائمًا معرضًا عن المطالب العالية إلى

الأغراض الخسيسة الفانية كَانَ قَلْبُهُ يَجُومُ حَوْلَ الْعَرْشِ فَأَصْبَحَ مَجْبُوساً فِي أَسْفَلِ الْحِشِّ :  
 فَأَصْبَحَ كَالْبَازِ الْمُتَتَفِّ رِيْشُهُ      يَرِي حَسْرَاتٍ كَلَّمَا طَارَ طَائِرُ  
 وَقَدْ كَانَ دَهْرًا فِي الرِّيَاضِ مُنْعَمًا      عَلَيَّ كُلِّ مَا يَهْوَى مِنَ الصَّيْدِ قَادِرُ  
 إِلَى أَنْ أَصَابَتْهُ مِنَ الدَّهْرِ نَكْبَةٌ      إِذَا هُوَ مَقْصُوصُ الْجَنَاحَيْنِ حَاسِرُ  
 فَيَا مَنْ ذَاقَ شَيْئًا مِنْ مَعْرِفَةِ رَبِّهِ وَمَحَبَّتِهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا وَاسْتَبَدَلَ بِغَيْرِهَا مِنْهَا يَا عَجَبًا لَهُ بِأَيِّ  
 شَيْءٍ تَعَوَّضَ وَكَيْفَ قَرَّرَ قَرَارَهُ فَمَا طَلَبَ الرُّجُوعَ إِلَى أَحْنَيْتِهِ وَمَا تَعَرَّضَ وَكَيْفَ اتَّخَذَ سِوَى أَحْنَيْتِهِ  
 سَكَنًا وَجَعَلَ قَلْبَهُ لِمَنْ عَادَاهُ مَوْلَاهُ مِنْ أَجْلِهِ وَطَنًا أَمْ كَيْفَ طَاوَعَهُ قَلْبُهُ عَلَى الْإِصْطِبَارِ  
 وَوَأَفَقَهُ عَلَى مُسَاكَنَةِ الْأَغْيَارِ .

فَيَا مُعْرِضًا عَنْ حَيَاتِهِ الدَّائِمَةِ وَنَعِيمِهِ الْمُقِيمِ وَيَا بَائِعًا سَعَادَتَهُ الْعُظْمَى بِالْعَذَابِ الْأَلِيمِ وَيَا  
 مُسْنَخَطًا مِنْ حَيَاتِهِ وَرَاحَتِهِ وَفَوْزِهِ فِي رِضَاهُ وَطَالِبًا رِضَى مَنْ سَعَادَتُهُ فِي إِرْضَاءِ سِوَاهُ إِنَّمَا هِيَ لَدَّةٌ  
 فَانِيَةٌ وَشَهْوَةٌ مُنْقِضِيَةٌ تَذْهَبُ لَدَائِمًا وَتَبْقَى تَبْعَاتُهَا فَرَحٌ سَاعَةً لَا شَهْرٌ وَعَمُّ سَنَةٍ بَلْ دَهْرٌ طَعَامٌ  
 لَدِيدٌ مَسْمُومٌ أَوَّلُهُ لَدَّةٌ وَآخِرُهُ هَلَاكٌ .

فَالْعَالِمُ عَلَيْهَا وَالسَّاعِي فِي تَوْصِيلِهَا كَدُودَةُ الْقَرِيسِ عَلَيَّ نَفْسُهُ الْمَذَاهِبُ بِمَا نَسَجَ عَلَيْهَا مِنَ  
 الْمَعَاطِبِ فَيَنْدَمُ حِينَ لَا تَنْفَعُ النَّدَامَةُ وَيَسْتَقِيلُ حِينَ لَا تَقْبَلُ الْإِسْتِقَالَةَ فَطُوبَى لِمَنْ أَقْبَلَ عَلَيَّ اللَّهُ  
 بِكَلْبَتِهِ وَعَكْفَ عَلَيْهِ بِإِرَادَتِهِ وَمَحَبَّتِهِ .

فإن الله يقبل عليه بتوليه ومحبه وعطفه ورحمته وإن الله سبحانه إذا أقبل علي عبد استنارت جهاته وأشرقت ساحاتها وتنورت ظلماتها وظهر عليه آثار إقباله من بهجة الجلال وآثار الجمال .

وَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ أَهْلُ الْمَلَأِ الْأَعْلَى بِالْمَحَبَّةِ وَالْمُوَالَاةِ لِأَنَّهُمْ تَبِعُوا لِمَوْلَاهُمْ فَإِذَا أَحَبَّ عَبْدًا أَحَبُّهُ وَإِذَا وَآلَى وَلِيًّا وَالْوَهُ إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ نَادَى يَا جِبْرَائِيلُ إِنِّي أَحْبَبْتُ فُلَانًا فَأَحَبَّهُ فِينَادِي جِبْرَائِيلُ فِي السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحَبُّهُ فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ثُمَّ يُحِبُّهُ أَهْلُ الْأَرْضِ .

فَيُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ بَيْنَهُمْ وَيَجْعَلُ اللَّهُ قُلُوبَ أَوْلِيَائِهِ تَفْدًا إِلَيْهِ بِالْوُدِّ وَالْمَحَبَّةِ وَالرَّحْمَةِ وَنَاهِيكَ مَنْ يَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ مَالِكُ الْمَلِكِ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ بِمَحَبَّتِهِ وَيُقْبَلُ عَلَيْهِ بِأَنْوَاعِ كَرَامَتِهِ وَيَلْحَظُهُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى وَأَهْلُ الْأَرْضِ بِالتَّبَجُّيلِ وَالتَّكْرِيمِ وَذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ .

وصلي الله علي محمد وآله وصحبه أجمعين

### ( فَصْلٌ )

(قاعدة) السائر إلى الله والدار الآخرة بل كل سائر إلى مقصد لا يتم سيره ولا يصل إلى مقصوده إلا بقوتين - قوة علمية - وقوة عملية - فبالقوة العلمية يبصر منازل الطريق ومواقع السلوك فيقصدتها سائراً فيها ويجتنب أسباب الهلاك ومواقع العطب وطرق المهالك المنحرفة عن الطريق الموصل .

فقوته العلمية كنور عظيم بيده يمشي في ليلة عظيمة مظلمة شديدة الظلمة فهو يبصر بذلك النور ما يقع الماشي في الظلمة في مثله من الوهاد والمتآلف ويعثر به من الأحجار والشوك وغيره ويبصر بذلك النور أيضاً أعلام الطريق وأداتها المنصوبة عليها فلا يضل عنها فيكشف له النور عن الأمرين

### أَعْلَامُ الطَّرِيقِ وَمَعَاطِبِهَا

وَبِالْقُوَّةِ الْعَمَلِيَّةِ يَسِيرُ حَقِيقَةً بَلِ السَّيْرِ هُوَ حَقِيقَةُ الْقُوَّةِ الْعَلَمِيَّةِ فَإِنَّ السَّيْرَ هُوَ عَمَلُ الْمَسَافِرِ وَكَذَلِكَ السَّائِرُ إِلَى رَبِّهِ إِذَا أَبْصَرَ الطَّرِيقَ وَأَعْلَامَهَا وَأَبْصَرَ الْمَعَابِرَ وَالْوَهَادَ وَالطُّرُقَ النَّاكِبَةَ عَنْهَا فَقَدْ حَصَلَ لَهُ شَطْرُ السَّعَادَةِ وَالْفَلَاحِ وَبَقِيَ عَلَيْهِ الشَّطْرُ الْآخِرُ وَهُوَ أَنْ يَضَعَ عَصَاهُ عَلَى عَاتِقِهِ وَيُشَمَّرَ مَسَافِرًا فِي الطَّرِيقِ قَاطِعًا مَنَازِلَهَا بَعْدَ مَنَزِلَةٍ فَكُلَّمَا قَطَعَ مَرَحَلَةً اسْتَعَدَّ لِقَطْعِ الْأُخْرَى وَاسْتَشَعَرَ الثَّرْبَ مِنَ الْمَنَزِلِ فَهَانَ عَلَيْهِ مَشَقَّةُ السَّفَرِ .

وَكُلَّمَا سَكَنْتَ نَفْسُهُ مِنْ كَلَالِ السَّيْرِ وَمُواصَلَةِ الشَّدِّ وَالرَّحِيلِ وَعَدَهَا قُرْبُ التَّلَاقِي وَبَرْدُ الْعَيْشِ عِنْدَ الْوُصُولِ فَيُحَدِّثُ لَهَا ذَلِكَ نَشَاطًا وَفَرَحًا وَهَمَّةً فَهُوَ يَقُولُ : يَا نَفْسُ أَبْشِرِي فَقَدْ قُرْبَ الْمَنَزِلِ وَدَنَا التَّلَاقِي فَلَا تَنْقَطِعِي فِي الطَّرِيقِ دُونَ الْوُصُولِ فَيُحَالَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ مَنَازِلِ الْأَحِبَّةِ .

فَإِنْ صَبَرْتَ وَوَاصَلْتَ الْمَسْرِي وَصَلْتَ حَمِيدَةً مَسْرُورَةً جَذَلَةً وَتَلَقَّتْكَ الْأَحِبَّةُ بِأَنْوَاعِ التَّحْفِ وَالكَرَامَاتِ وَلَيْسَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ذَلِكَ إِلَّا صَبْرُ سَاعَةٍ فَإِنَّ الدُّنْيَا كُلَّهَا كَسَاعَةٍ مِنْ سَاعَاتِ الْآخِرَةِ وَعَمْرُكَ دَرَجَةٌ مِنْ دَرَجَاتِ تِلْكَ السَّاعَةِ فَاللَّهُ اللَّهُ لَا تَنْقَطِعِي فِي الْمَفَازَةِ فَهُوَ وَاللَّهُ الْهَالِكُ وَالْعَطْبُ لَوْ كُنْتَ تَعْلَمِينَ .

فَإِنْ اسْتَصْعَبَ عَلَيْهِ فليذكرها ما أمامها من أحبائها وما لديهم من الإكرام والإنعام وما خلفها من أعدائها وما لديهم من الإهانة والعذاب وأنواع البلاء فإن رجعت فإلى أعدائها رجوعها وإن تقدمت فإلى أحبائها مصيرها وإن وقفت في طريقها أدركها أعداؤها فإِنَّهُمْ وَرَاءَهَا فِي الطَّلَبِ وَلَا بَدَ لَهَا مِنْ قَسَمٍ مِنْ هَذِهِ الْأَقْسَامِ الثَّلَاثَةِ فَلْتَحْتَرِ أَيُّهَا شَاءَتْ أَنْتَهِي .

شِعْرًا :

تَرَاهُمْ وَأَمْلَأَكَ الرَّضَا يَفْدُمُونَهُمْ  
يَسِيرُونَ فِي أَمْنٍ إِذَا الْخَلْقُ فُرَّعٌ  
إِلَى جَنَّةٍ طَابَتْ وَطَابَ نَعِيمُهَا  
وَقَدْ بَرَزَتْ نَارٌ وَشَبَّ جَحِيمُهَا

آخر :

فَلِلَّهِ كَمٍ مِنْ خَيْرٍ قَدْ تَهَيَّئَتْ  
يُجَاوِزُونَ رَبَّ الْعَالَمِينَ إِلَهُهُمْ  
لِقَوْمٍ عَلَى الْأَقْدَامِ بِاللَّيْلِ قَوْمٌ  
فَتَسْرِي هُمُومُ الْقَوْمِ وَالنَّاسُ نُومٌ

آخر :

وَاللَّهُ أَلطَّفٌ بَطِيٍّ قَضَائِهِ  
فَمُوسَى بِقَذْفِ الْيَمِّ تَمَّ غُلُوهُ  
أَخُو الْفَهْمِ فِي أَسْرَارِهَا يَتَفَهَّمُ  
تَرْقَى إِلَى أَعْلَى الذُّرَى وَهُوَ مُكْرَمٌ  
وَيُؤَسِّفُ بَعْدَ الْجُبِّ وَالسَّجْنِ حُقْبَةً  
حَوَى الْمُلْكَ وَهُوَ الْمُسْتَفَادُ الْمُعْظَمُ  
وَبِالصَّبْرِ وَالتَّقْوَى تُنَالُ هِبَاتُهُ  
وَأَتَقَى الْوَرَى عِنْدَ الْمُهَيِّمِينَ أَكْرَمُ

وَقَالَ رَجَمَهُ اللَّهُ :

السنة شجرة والشهور فروعها والأيام أغصانها والساعات أوراقها والأنفاس ثمرها فمن كانت أنفاسه في طاعة فثمرة شجرته طيبة ومن كانت في معصية فثمرته حنظلٌ وإنما يكون الجداد يوم المعاد فعند ذلك يتبين حلو

الثمار من مرها .

والإخلاص والتَّوْحِيد شجرة في القَلْب فروعها الأعمال وثمره طيب الحياة في الدُّنْيَا والنَّعِيم المُقِيم في الآخرة وكما أن ثمار الجَنَّة لا مقطوعة ولا ممنوعة فثمره التَّوْحِيد والإخلاص في الدُّنْيَا كَذَلِكَ .

والشرك والكذب والرياء شجرة في القَلْب ثمرها في الدُّنْيَا الخوف والهَم والغم وضيق الصدر وظلمة القَلْب وثمرها في الآخرة الرقوم والعذاب الأليم وقد ذكر هاتين الشجرتين في سورة إبراهيم .

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ : إِشْتَرِ نَفْسَكَ فَالسُّوقُ قَائِمَةٌ وَالثَّمَنُ مَوْجُودٌ وَلَا بُدَّ مِنْ سِنَةِ الْعِزَّةِ وَرِقَادِ الْهَوَى وَلَكِنْ كُنْ خَفِيفَ النَّوْمِ فَحُرَّاسُ الْبَلَدِ يَصْحَوْنَ دَنَا الصَّبَاحِ نُورُ الْعَقْلِ يُضِيءُ فِي لَيْلِ الْهَوَى فَتَلُوْحُ جَادَةُ الصَّوَابِ فَيَتَلَمَّحُ الْبَصِيرُ فِي ذَلِكَ النُّورِ عَوَاقِبَ الْأُمُورِ أُخْرِجَ بِالْعَزْمِ مِنْ هَذَا الْفِنَاءِ الضَّيِّقِ الْمَحْشُوِّ بِالْآفَاتِ إِلَى ذَلِكَ الْفِنَاءِ الرَّحْبِ الَّذِي فِيهِ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ .

فَهُنَاكَ لَا يَتَعَدَّرُ مَطْلُوبٌ وَلَا يُفْقَدُ مَحْبُوبٌ يَا بَائِعًا نَفْسَهُ بِهَوَى مَنْ حُبُّهُ ضَنًّا وَوَصْلُهُ أَدَى وَحُسْنُهُ إِلَى فَنَاءٍ لَقَدْ بَعْتَ أَنْفَسَ الْأَشْيَاءِ بِثَمَنِ بَخْسٍ كَأَنَّكَ لَمْ تَعْرِفْ قَدْرَ السَّلْعَةِ حَتَّى إِذَا قَدِمْتَ يَوْمَ التَّعَايُنِ تَبَيَّنَ لَكَ الْعَبْرُ فِي عَقْدِ التَّبَايُعِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ سِلْعَةُ اللهِ مُشْتَرِيهَا ، وَمَنْهَا الْجَنَّةُ .

اللَّهُمَّ ثَبِّتْنَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ اللَّهُمَّ وَأَيَّدْنَا بِنَصْرِكَ وَارزُقْنَا مِنْ فَضْلِكَ وَنَجِّنَا مِنْ عَذَابِكَ يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ . وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى وَسَلَّمَ .



شِعْرًا :

كَرِهْتُ وَعَلَامَ الْغُيُوبِ حَيَاتِي  
فَشَا السُّوءُ إِلَّا فِي الْقَلِيلِ مِنَ الْوَرَى  
وَضَاعَتْ لَدَيْهِمْ حُرْمَةُ الدِّينِ وَاعْتَدَتْ  
وَقَدْ فَسَدَتْ أَخْلَافُهُمْ وَتَغَيَّرَتْ  
وَسَارَ الْخَنَا فِيهِمْ فَلَسْتُ أَرَى سِوَى  
فَمِنْهُمْ كَذُوبٌ فِي الْوِدَادِ مُخَادِعٌ  
يُقَابِلُنِي بِالْبِشْرِ وَاللُّطْفِ عِنْدَمَا  
وَإِنْ غَبْتُ عَنْهُ سَبَبِي وَأَهَانِي  
وَمِنْهُمْ شَقِيٌّ هَمُّهُ الْفِسْقُ وَالزِّنَا  
تُلَاقِيهِ يَجْرِي خَلْفَ مُسْلِمَةٍ بِلَا  
وَأَصْبَحْتُ أَرْجُو أَنْ تَحِينَ وَفَاتِي  
وَخَاضُوا بِحَارِ اللَّهْوِ وَالشَّهَوَاتِ  
نُفُوسُهُمْوَا فِي الْفِسْقِ مُنْغَمِسَاتِ  
وَأَضَحَتْ خِلَالَ الْحِزْبِ مُنْتَشِرَاتِ  
كَتَائِبِ فُسَّاقٍ وَجَمْعِ طُعَاةِ  
أَرَاهُ صَدِيقِي وَهُوَ رَأْسُ عُدَاتِي  
يَرَانِي وَيَدْعُو لِي بِطُولِ حَيَاتِي  
وَعَدَّ عُيُوبِي لِلْوَرَى وَهَنَاتِي  
وَلَوْ كَانَ عُقْبَاهُ إِلَى الْهَلَكَاتِ  
حَيَاءٍ وَلَا خَوْفٍ مِنَ اللَّعْنَاتِ

كَانَ لَمْ يُفَكِّرْ أَنْ تَلِكْ كَأَخِيهِ  
 وَيُؤَدِّي لَهَا الإِعْجَابَ غِشًّا وَخُدْعَةً  
 وَآخِرُ أَمْسَى لِلْعُقَارِ مُعَاقِرًا  
 تَرَاهُ إِذَا مَا أَسْدَلَ اللَّيْلُ سِتْرَهُ  
 يُدِيرُ ابْنَةَ الْعُنُقُودِ بَيْنَ صِحَابِهِ  
 وَقَدْ أَغْفَلَ الْمَسْكِينُ ذِكْرَ مَمَاتِهِ  
 يَتِيَهُ عَلَى كُلِّ الْعِبَادِ بِعُجْبِهِ  
 غَدَاةُ يُوَارَى فِي التُّرَابِ وَيَعْتَدِي  
 وَآخِرُ مَغْرُورٌ بِكَثْرَةِ مَالِهِ  
 يُفَاخِرُ خَلَقَ اللَّهُ بِالْجَاهِ وَالْغِنَى  
 وَلَمْ يَدْرِ أَنَّ الْمَالَ فَاِنٍ وَأَنَّهُ  
 فَيَغْمِرُهَا لِلْحَظِّ وَالْغَمَرَاتِ  
 وَلَمْ يَرْعَ حَقَّ اللَّهِ فِي الْحُرْمَاتِ  
 وَأَصْبَحَ فِي حَبْلِ فِي سَكَرَاتِ  
 عَلَيْهِ وَوَافِي بَادِي الظُّلُمَاتِ  
 وَيَطْرُبُ بَيْنَ الْكَاسِ وَالنَّغَمَاتِ  
 وَمَا سَيْلَاقِي مِنْ جَوَى النَّزَعَاتِ  
 وَيَخْتَالُ كِبْرًا نَاسِيًا لَغَدَاةِ  
 طَعَامًا لَدُودِ الْقَبْرِ وَالْحَشَرَاتِ  
 وَمَا عِنْدَهُ فِي الْبَنكِ مِنْ سَنَدَاتِ  
 وَبِالْمَالِ لَا بِالْفَضْلِ وَالْحَسَنَاتِ  
 يَزُولُ كَسُحْبِ الصَّيْفِ مُنْقَشَعَاتِ

وَذَا شَاهِدٌ بِالزُّورِ إِنْ يَسْتَعِينُ بِهِ  
وَلَمْ أَدْرِ مَاذَا قَدْ أَعَدَّ لِمَوْقِفِ  
وَذَا آكِلٌ مَالِ الْيَتِيمِ وَلَمْ يَدْعُ  
وَفِي بَطْنِهِ قَدْ أَدْخَلَ النَّارَ عَامِداً  
وَذَلِكَ مُغْتَابٌ وَهَذَا مُنَافِقٌ  
وَهَذَا يَغُشُّ النَّاسَ فِي الْبَيْعِ وَالشِّرَا  
وَهَذَا حَوَى كُلَّ الْخَنَا وَصِفَاتُهُ  
وَكَمْ مُعَلِنٍ لِلْفُطْرِ وَالنَّاسِ صُومٌ  
وَلَيْسَ يُبَالِي بَانْتِقَامِ إِلَهِهِ  
وَكَمْ مِنْ غَنِيٍّ مُسْتَطِيعٍ تَرَاهُ لَا  
فَيَسْعَى بِنَفْسٍ مَلُؤَهَا الْبِرُّ وَالتَّقَى

أَخُو شِقْوَةٍ يَشْهَدُ بِكُلِّ ثَبَاتٍ  
بِهِ يَقِفُ الْعَاصِي بِغَيْرِ حُمَاةٍ  
لَهُ عِنْدَ رَدِّ الْحَقِّ غَيْرَ فُتَاتٍ  
وَأَصْبَحَ مَحْرُوماً مِنَ النَّفَحَاتِ  
لِحَطِّهِ قَدْ عُدَّ فِي التَّكِرَاتِ  
وَأَرْبَاحُهُ مَنْزُوعَةٌ الْبَرَكَاتِ  
مَعَ الْخَلْقِ وَالْخَلَاقِ شَرُّ صِفَاتِ  
يُجَاهِرُ فِي الْإِفْطَارِ فِي الطَّرُقَاتِ  
وَتَعْدِيهِ لِلْأَنْفُسِ النَّجَسَاتِ  
يُبَادِرُ بِحَجِّ الْبَيْتِ قَبْلَ فَوَاتِ  
لِتَلْيِيَةِ الرَّحْمَنِ فِي عَرَفَاتِ

وَلَمْ أَرَ إِلَّا التَّنَزَّرَ فِيهِمْ مُسَارِعاً  
 وَمَا الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ إِلَّا وَسَائِلٌ  
 وَتَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ الَّذِي  
 وَيَنْدُرُ أَنْ أَلْقَى غِيّاً بِمَالِهِ  
 فَمَا انْتَمَرُوا بِالْأَمْرِ كَلَا وَلَا انْتَهَوْا  
 وَعَاثُوا فَسَاداً فِي الْبِلَادِ فَأَصْبَحُوا  
 خَلَائِقُ يَأْبَاهَا الرَّشِيدُ لِقُبْحِهَا  
 وَيُنْكِرُهَا ذُو الْعَقْلِ وَالرَّأْيِ وَالْحِجَا  
 وَمَنْ يَتَّخِذْهَا مِنْهَجاً خَابَ سَعْيُهُ  
 إِذَا جَاءَ وَقْتُ الصَّيْفِ شَدَّ رِجَالَهُ  
 كَأَنَّ بَنِي الْإِسْلَامِ فِي عَصْرِنَا غَدَوْا  
 لِإِخْيَاءِ دِينِ اللَّهِ بِالصَّلَوَاتِ  
 عَلَى الْمُتَّقِي تَسْتَنْزِلُ الرَّحْمَاتِ  
 يَزُجُّ بِمَنْ يَأْتِيهِ فِي الْكُرْبَاتِ  
 يَجُودُ لِذِي جُوعٍ وَذَاتِ عُرَاةٍ  
 عَنِ النَّهْيِ حَتَّى سَوَّدُوا الصَّفَحَاتِ  
 بَعْضِيَانِهِمْ فِي أَسْفَلِ الدَّرَجَاتِ  
 وَلَا يَرْضِيهَا غَيْرُ أَحْمَقَ عَاتِي  
 وَيَخْجَلُ مِنْهَا صَادِقُ الْعَزَمَاتِ  
 وَلَا يَفْتَتِي مِنْهَا سِوَى الْحَسَرَاتِ  
 إِلَى الْغَرْبِ يَلْهُو وَالشَّبَابُ مُوَاتِي  
 لِهَدْمِ عُلَا الْإِسْلَامِ شَرُّ دُعَاةٍ

فَتَوْبُوا عِبَادَ اللَّهِ اللَّهُ وَارْجِعُوا  
وَلَا تَقْرُبُوا مَا لَا يَحِلُّ وَأَبْعُدُوا  
وَأَدُّوا حُقُوقَ اللَّهِ وَارْعَوْا حُدُودَهُ  
وَلَا تَهِنُوا يَوْمًا وَلَا تَحْزَنُوا لِمَا  
تَفُوزُوا بِرِضْوَانِ الْإِلَهِ وَلُطْفِهِ  
وَيَفْتَحَ لَكُمْ بَابَ الْقَبُولِ وَيَسْتَجِبَ  
وَيَجْعَلَ لَكُمْ فِي النَّسْلِ قُرَّةَ أَعْيُنٍ  
وَيُمَدِّدْكُمْ بِالنَّصْرِ حَتَّى إِذَا طَغَى  
فَمَا حَلَّ هَذَا الْحَالُ إِلَّا لِنَبِيذِكُمْ  
وَمَا سَلَّطَ اللَّهُ الْعَدُوَّ عَلَيْكُمْ  
سِوَى بَعْدِكُمْ عَنْ دِينِهِ وَلَا نَكْمٍ  
إِلَيْهِ تَنَالُوا مُنْتَهَى الرَّغَبَاتِ  
نُفُوسَكُمْ حَتَّى عَنْ الشُّبُهَاتِ  
كَمَا يَنْبَغِي فِي الْجَهْرِ وَالْخَلَوَاتِ  
يُصَيِّبُكُمْ فِي الْحَقِّ مِنْ عَقَبَاتِ  
وَيُغْدِقْ عَلَيْكُمْ أَنْعَمًا وَهَبَاتِ  
إِذَا مَا دَعَوْتُمْ صَالِحَ الدَّعَوَاتِ  
وَيَرْزُقْكُمْ مِنْ أَطْيَبِ الثَّمَرَاتِ  
عَلَيْكُمْ عَدُوٌّ رَدَّهُ بِشَتَاتِ  
تَعَالِيمِ دِينِ اللَّهِ نَبَذَ نَوَاةِ  
فَلَمْ يَبْقَ فِيكُمْ غَيْرُ بَعْضِ رُقَاتِ  
فَنَعْتُمْ عَنْ الْأَعْمَالِ بِالْكَلِمَاتِ

اللَّهُمَّ ثَبَّتْ وَقُوَّ مَحَبَّتِكَ فِي قُلُوبِنَا وَاشْرَحْ صُدُورَنَا وَنُورِهَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَاجْعَلْنَا هِدَاةَ مَهْتَدِينَ وَأَهْمَنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ يَفُوزُ بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ فِي جَنَاتِ النَّعِيمِ يَا حَلِيمٌ وَيَا كَرِيمٌ وَاعْفُزْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

### ( فَصْلٌ )

وَقَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ :

الْجِهَادُ أَرْبَعُ مَرَاتِبَ أَحَدُهَا أَنْ يُجَاهِدَهَا عَلَى تَعَلُّمِ الْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ الَّذِي لَا فَلَاحَ لَهَا وَلَا سَعَادَةَ لَهَا فِي مَعَاشِهَا وَمَعَادِهَا إِلَّا بِهِ وَمَتَى فَاتَهَا عِلْمُهُ شَقِيَّتْ فِي الدَّارَيْنِ الثَّانِيَةِ أَنْ يُجَاهِدَهَا عَلَى الْعَمَلِ بِهِ عِلْمِهِ وَإِلَّا فَمُجَرَّدُ الْعِلْمِ بِلَا عَمَلٍ إِنْ لَمْ يَضُرَّهَا لَمْ يَنْفَعَهَا الثَّلَاثَةُ أَنْ يُجَاهِدَ عَلَى الدَّعْوَةِ إِلَيْهِ وَتَعْلِيمِهِ مَنْ لَا يَعْلَمُهُ وَإِلَّا كَانَ مِنَ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْهُدَى وَالْبَيِّنَاتِ وَلَا يَنْفَعُهُ عِلْمُهُ وَلَا يُنَجِّيه مِنْ عَذَابِ اللَّهِ .

الرابعة : أن يجاهدها علي الصبر علي مشاق الدعوة إلي الله وأذى الخلق ويتحمل ذلك كله لله فإذا استكمل هذه المراتب الأربع صار من الربانيين فإن السلف مجتمعون علي العالم لا يستحق أن يسمي ربانياً حتى يعرف الحق ويعمل به ويعلمه .

فمن علم وعلم وعمل فذاك يدعي عظيماً في ملكوت السماء وأما جهاد الشيطان فمربتان جهاده علي دفع ما يلقي إلي العبد من الشبهات والشكوك القادحة في الإيمان .

الثانية : جهادُه على دَفْعِ ما يُلقِيه مِنَ الإراداتِ والشَّهواتِ فالجِهَادُ الأوَّلُ يَكُونُ بَعْدَ اليَقِينِ والثَّاني بَعْدَهُ الصَّبْرُ قالَ تَعَالَى ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ فأخْبَرَ أَنَّ إِمَامَةَ الدِّينِ إِنَّمَا تُنالُ بِالصَّبْرِ واليَقِينِ فالصَّبْرُ يَدْفَعُ الشَّهواتِ والإراداتِ واليَقِينُ يَدْفَعُ الشُّكوكَ والشُّبهاتِ وأما جِهَادُ الكُفَّارِ والمِنَافِقِينَ فَأَرْبَعُ مَرَاتِبٍ بِاللِّسانِ وَاللِّسانِ وَالنَّفْسِ وَجِهَادُ الكُفَّارِ أَخْصُ بِاليدِ وَجِهَادُ المِنَافِقِينَ أَخْصُ بِاللِّسانِ وأما جِهَادُ أَرْبابِ الظُّلْمِ والبِدَعِ والمُنكَرَاتِ فَثَلَاثُ مَرَاتِبٍ الأوَّلَى بِاليدِ إِذا قَدَرَ فَإِنْ عَجَزَ انْتَقَلَ إِلى اللِّسانِ فَإِنْ عَجَزَ جَاهَدَ بقلْبِهِ فَهَذِهِ ثَلَاثَةٌ عَشْرَةٌ مَرْتَبَةً مِنَ الجِهَادِ وَمَنْ ماتَ وَلَمْ يَغْزُ وَلَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بِالغَزْوِ ماتَ على شُعْبَةٍ مِنَ التَّفَاقِقِ وَلَا يَتِمُّ الجِهَادُ إِلاَّ بِالهِجْرَةِ وَلَا بِالهِجْرَةِ إِلاَّ بِالإيمانِ .

والراجون رحمة الله هم الَّذِينَ قاموا بهذه الثلاثة قال تَعَالَى " إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ » .

وكما أن الإيمان فرض علي كُلِّ أحدٍ ففرض عليهِ هجرتان في كُلِّ وَقْتٍ هجرة إلى الله عزَّ وجلَّ بالتَّوْحِيدِ والإِخْلَاصِ والإِنابَةِ والتَّوَكُّلِ والخوفِ والرَّجاءِ والمحبةِ والتَّوْبَةِ وهجرة إلى رسوله بالمتابعة والانقياد لأمره والتصديق بخبره وتقديم أمره وخبره علي أمر غيره وخبره .

فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه .

وفرض عليهِ جهاد نفسه في ذات الله وجهاد شيطانه فهَذَا كله فرض

عين لا ينوب فيه أحد عن أحد وأما جهاد الكفار والمنافقين فقد يكتفي فيه ببعض الأمة إذا حصل منهم مقصود.

وَأَكْمَلُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْ أَكْمَلَ مَرَاتِبَ الْجِهَادِ كُلِّهَا ، وَالْخَلْقُ مُتَفَاوِثُونَ فِي مَنَازِلِهِمْ عِنْدَ اللَّهِ تَفَاوُثُهُمْ فِي مَرَاتِبِ الْجِهَادِ وَهَذَا كَانَ أَكْمَلُ الْخَلْقِ وَأَكْرَمُهُمْ عَلَى اللَّهِ خَاتَمُ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ فَإِنَّهُ كَمَّلَ مَرَاتِبَ الْجِهَادِ وَجَاهَدَ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ وَشَرَعَ فِي الْجِهَادِ مِنْ حِينَ بُعِثَ إِلَى أَنْ تَوَفَّاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَإِنَّهُ لَمَّا نَزَلَ عَلَيْهِ " يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ " شَمَّرَ عَنْ سَاقِ الدَّعْوَةِ وَقَامَ فِي ذَاتِ اللَّهِ أَتَمَّ قِيَامٍ وَدَعَا إِلَى اللَّهِ لَيْلًا وَنَهَارًا وَسِرًّا وَجَهْرًا فَلَمَّا نَزَلَ عَلَيْهِ " فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ " صَدَعَ بِأَمْرِ اللَّهِ لَا تَأْخُذْهُ فِيهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ فَدَعَا إِلَى اللَّهِ الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ وَالْحَرِّ وَالْعَبْدِ وَالذَّكَرِ وَالْأُنْثَى وَالْأَحْمَرَ وَالْأَسْوَدَ وَالْجِنِّ وَالْإِنْسَ .

ولما صدع بأمر الله وصرح لقومه بالدعوة وناداهم بسب آهتهم وعيب دينهم اشتد أذاهم له ولمن استجاب له من أصحابه ونالوهم بأنواع الأذى وهذه سنة الله عزَّ وجلَّ في خلقه كما قال تَعَالَى " مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ " وَقَالَ : « وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ " وَقَالَ : « كَذَلِكَ مَا آتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رُسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَآغُوتٌ » .

فعزى سبحانه بذلك وأن له أسوة بمن تقدمه من المرسلين وعزى أتباعه بقوله " أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ » .



شِعْرًا :

لَعْمَرِي إِنَّ الْمَجْدَ وَالْفَخْرَ وَالْعُلَا  
وَنَيْلَ الْأَمَانِي وَارْتِفَاعَ الْمَرَاتِبِ  
لِمَنْ قَامَ بِالذِّينِ الْحَنِيفِيِّ صَادِقًا  
وَجَاهَدَ أَهْلَ الشَّرِّ مِنْ كُلِّ نَاكِبِ

وَقَوْلِهِ " أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ، وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ  
فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ، أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا  
سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ، مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ، وَمَنْ  
جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ، وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ  
عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ "

﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ  
مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ، وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ،  
وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ  
مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْلَىٰ آلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴾ . فليتأمل العبد  
سياق هذه الآيات وما تضمنته من العبر وكنوز الحكم فإن الناس إذا أرسل إليهم الرسل بين  
أمرين : إما أن يقولوا أحدهم آمنا ، وإما أن لا يقول ذلك بل يستمر علي السيئات والكفر .  
فمن قال آمنا . امتحنه ربه وابتلاه وفتنه والفتنة الابتلاء والاختبار ليتبين الصادق من  
الكاذب . ومن لم يقل آمنا فلا يحسب أنه يعجز الله ويفوته ويسبقه فإنه إنما يطوي المراحل في  
يديه .

وَكَيْفَ يَفِرُّ الْمَرْءُ عَنْهُ بِذَنْبِهِ إِذَا كَانَ يَطْوِي فِي يَدَيْهِ الْمَرَا حِلَّ

فمن آمن بالرسل وأطاعهم عاداه أعداؤهم وآذوه فابتلي بما يؤلمه ،

وإن لم يؤمن بهم ولم يطعمهم عوقب في الدنيا والآخرة فحصل له ما يؤلمه وكان هذا المؤلم أعظم وأدوم من ألم إبتاعهم فلا بد من حصول الألم لكل نفس آمنت أو رغبت عن الإيمان لكن المؤمن يحصل له الألم لكل نفس آمنت أو رغبت عن الإيمان لكن المؤمن يحصل له الألم في الدنيا ابتداء ثم يكون له العاقبة في الدنيا والآخرة والمعرض عن الإيمان يحصل له لذة ابتداء ثم يصير في الألم الدائم ، وصلي الله علي محمد وآله وصحبه أجمعين

### ( فصل )

وَسُئِلَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ أَيُّمَا أَفْضَلُ لِلرَّجُلِ أَنْ يُمَكَّنَ أَوْ يُبْتَلَى فَقَالَ لَا يُمَكَّنُ حَتَّى يُبْتَلَى وَاللَّهِ تَعَالَى ابْتَلَى أَوْلَى الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ فَلَمَّا صَبَرُوا مَكَّنَهُمْ .

فَلَا يَظُنُّ أَحَدٌ أَنَّهُ يَخْلُصُ مِنَ الْأَلَمِ الْبَتَّةِ وَإِنَّمَا تَفَاوَتَ أَهْلُ الْأَلَامِ فِي الْعُقُولِ فَأَعْقَلُهُمْ مَنْ بَاعَ الْمَاءَ مُسْتَمِرًّا عَظِيمًا بِالْمِ مَنَقَطِعِ يَسِيرٍ وَأَشْقَاهُمْ مَنْ بَاعَ الْأَلَمَ الْمُنْقَطِعَ الْيَسِيرَ بِالْأَلَمِ الْعَظِيمِ الْمُسْتَمِرِّ . فَإِنْ قِيلَ كَيْفَ يَخْتَارُ الْعَقْلُ هَذَا ؟ قِيلَ الْحَامِلُ لَهُ عَلَى هَذَا التَّقْدِ وَالنَّسِيئَةُ وَالنَّفْسُ مُوَكَّلَةٌ بِالْعَاجِلِ ﴿ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴾ أَيِ الدُّنْيَا ﴿ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴾ ﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴾ وَهَذَا يَحْضُلُ لِكُلِّ أَحَدٍ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ مَدِينِيٌّ بِالطَّبَعِ لَا بُدَّ لَهُ أَنْ يَعْيشَ مَعَ النَّاسِ .

وَالنَّاسُ لَهُمْ إِرَادَاتٌ وَتَصَوُّرَاتٌ فَيَطْلُبُونَ مِنْهُ أَنْ يُوَافِقَهُمْ عَلَيْهَا وَإِنْ لَمْ يُوَافِقَهُمْ آذَوْهُ وَعَذَّبُوهُ ، وَإِنْ وَافَقَهُمْ حَصَلَ لَهُ الْأَذَى وَالْعَذَابُ تَارَةً مِنْهُمْ ، وَتَارَةً مِنْ غَيْرِهِمْ كَمَنْ عِنْدَهُ دِينَ وَتَقَى حِلَّ بَيْنِ قَوْمٍ فَجَارِ ظَلْمَةٍ وَلَا يَتِمَكَّنُونَ مِنْ فَجْوَرِهِمْ وَظَلْمِهِمْ إِلَّا بِمُوَافَقَتِهِ لَهُمْ وَسَكَوَتِهِ عَنْهُمْ فَإِنْ وَافَقَهُمْ أَوْ سَكَتَ عَنْهُمْ سَلِمَ مِنْ شَرِّهِمْ فِي الْإِبْتِدَاءِ ثُمَّ يَسْلُطُونَ عَلَيْهِ بِالْإِهَانَةِ وَالْأَذَى أضعاف

ما كَانَ يَخَافُهُ ابْتِدَاءَ لَوْ أَنْكَرَ عَلَيْهِمْ وَخَالَفَهُمْ وَإِنْ سَلِمَ مِنْهُمْ فَلَا بَدَّ أَنْ يَهَانَ وَيَعَاقِبَ عَلِيٌّ يَدَ غَيْرِهِمْ .

فَالْحَزْمُ كُلُّ الْحَزْمِ فِي الْأَخْذِ بِمَا قَالَتْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ لِمَعَاوِيَةَ : مَنْ أَرْضِيَ اللَّهُ بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللَّهُ مَوْئِنَةَ النَّاسِ وَمَنْ أَرْضِيَ النَّاسَ بِسَخَطِ اللَّهِ لَمْ يَغْنُوا عَنْهُ شَيْئاً .

وَمَنْ تَأَمَّلَ أَحْوَالَ الْعَالَمِ رَأَى هَذَا كَثِيراً فَيَمُنُّ بِعَيْنِ الرُّؤْسَاءِ عَلِيٍّ أَغْرَضَهُمُ الْفَاسِدَةُ وَفِي مَنِّ يَمُنُّ بِأَهْلِ الْبَدْعِ عَلِيٍّ بِدَعْوِهِمْ هَرَباً مِنْ عَقُوبَتِهِمْ فَمَنْ هَدَاهُ اللَّهُ وَأَلْهَمَهُ رَشْدَهُ وَوَقَاهُ شَرَّ نَفْسِهِ ائْتَمَعَ مِنَ الْمَوَافِقَةِ عَلِيٍّ فَعَلَ الْمَحْرَمَ وَصَبَرَ عَلِيٌّ عَدَاوَتَهُمْ ثُمَّ يَكُونُ لَهُ الْعَاقِبَةُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ كَمَا كَانَتْ لِلرُّسُلِ وَأَتْبَاعِهِمْ كَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَمَنْ ابْتَلَى مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْعِبَادِ وَصَالِحِي الْوَلَاةِ وَالتَّجَارِ وَغَيْرِهِمْ وَلَمَّا كَانَ الْأَلَمُ لَا مَحِيصَ مِنْهُ الْبَتَّةَ عَزَى سُبْحَانَهُ مِنْ اخْتَارِ الْأَلَمِ الْيَسِيرِ الْمَنْقَطِعِ عَلِيٍّ الْأَلَمِ الْعَظِيمِ الْمُسْتَمِرِّ بِقَوْلِهِ " مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ " .

فَضْرَبَ لِمُدَّةِ هَذَا الْأَلَمِ أَجْلاً لَا بَدَّ أَنْ يَأْتِيَ وَهُوَ يَوْمَ لِقَائِهِ فَيَلْتَذُّ الْعَبْدُ أَعْظَمَ اللَّذَّةِ بِمَا تَحْمَلُ مِنَ الْأَلَمِ فِي اللَّهِ وَاللَّهُ وَأَكْدَى هَذَا الْعِزَاءِ وَالتَّسْلِيَةِ بِرَجَاءِ لِقَائِهِ لِيَحْمَلَ الْعَبْدُ اشْتِيَاقَهُ إِلَى لِقَائِ رَبِّهِ وَوَلِيهِ عَلِيٌّ تَحْمَلُ مَشَقَّةَ الْأَلَمِ الْعَاجِلِ بَلْ رُبَّمَا غِيْبَةَ الشُّوقِ إِلَى لِقَائِهِ عَنْ شُهُودِ الْأَلَمِ وَالْإِحْسَاسِ بِهِ وَلِهَذَا سَأَلَ النَّبِيُّ ﷺ رَبَّهُ الشُّوقَ إِلَى لِقَائِهِ فَقَالَ الدُّعَاءُ الَّذِي رَوَاهُ أَحْمَدُ وَابْنُ حَبَانَ :

( اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِعِلْمِكَ الْغَيْبِ وَقُدْرَتِكَ عَلِيَّ الْخَلْقِ أَحْيَانِي إِذَا

كانت الحياة خيراً لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة وأسألك نعيماً لا ينفذ وأسألك قرة عين لا تنقطع وأسألك الرضا بعد القضاة وأسألك برد العيش بعد الموت وأسألك لذة النظر إلي وجهك وأسألك الشوق إلي لقاءك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين ) .

فالشوق يحمل المشتاق علي الجد في السير إلي محبوبه ويقرب علي الطريق ويطوي له العبيد ويهون علي الآلام والمشاق وهو من أعظم نعمة أنعم الله بها علي عبده ولكن لهذه النعمة أقوال وأفعال وأعمال هما السبب الذي تنال به والله سبحانه سميع لتلك الأقوال عليم بتلك الأفعال وهو عليم بمن يصلح لهذه النعمة كما قال تعالى " فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ " .

فإذا فاتت العبد نعمة من نعم ربه فليقرأ علي نفسه " أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ " ثم عزاهم تعالى بعزاء آخر وهو أن جهادهم فيه إنما هو لأنفسهم وثمرته عائدة عليهم وإنه غني عن العالمين ومصلحة هذا الجهاد ترجع إليهم لا إليه سبحانه ثم أخبر أنه يدخلهم بجهادهم وإيمانهم في زمرة الصالحين ثم أخبر عن حال الداخل في الإيمان بلا بصيرة وأنه إذا أوزي في الله جعل فتنة الناس له كعذاب الله .

وهي أذاهم له ونيلهم إياه بالمكروه والألم الذي لا بد أن يناله الرسل وأتباعهم ممن خالفهم جعل ذلك الذي ناله منهم كعذاب الله الذي فر منه المؤمنون بالإيمان فالمؤمنون لكامل بصيرتهم فروا من ألم عذاب الله إلي الإيمان وتحملوا ما فيه من الألم الزائل المفارق عن قريب .

وهَذَا لضعف بصيرته فر من ألم عذاب أعداء الرسل إلي موافقتهم ومتابعتهم ففر من ألم عذاب الله فجعل ألم فتنة النَّاس في الفرار منه بمنزلة ألم عذاب الله وغبن كُلِّ الغبن إذ استجار من الرمضاء بالنار وفر من ألم ساعة إلي ألم الأبد وإذا نصر الله جنده وأولياءه قال إني معكم والله عليم بما انطوي عَلَيْهِ صدره من النفاق .

والمقصود أن الله سُبْحَانَهُ اقتضت حكمته أنه لا بد أن يمتحن النَّفُوس ويبتليها فيظهر بالامتحان طبيها من خبيثها ومن يصلح لمولاته وكراماته ومن لا يصلح وليمحص النَّفُوس التي تصلح له ويخلصها بكير الامتحان كالذهب لا يخلص ولا يصفو من غشه إلا بالامتحان إذ النفس في الأصل جاهلة ظالمة وقد حصل لها بالجهل والظلم من الخبث ما يحتاج خروجه إلي السبك والتصفية فإن خَرَجَ في هذه الدار وإلا ففي كير جهنم فإذا هُذَّبَ الْعَبْدُ ونقي أذن له في دخول الْجَنَّةِ .

قال الناظم رَحِمَهُ اللهُ :

وَإِنَّ جِهَادَ الْكُفْرِ فَرَضٌ كِفَايَةٌ      وَيَفْضُلُ بَعْدَ الْفَرَضِ كُلِّ تَعَبُدٍ  
لَأَنَّ بِهِ تَخْصِيْنَ مِلَّةِ أَحْمَدٍ      وَفَضْلُ عُمُومِ النَّفْعِ فَوْقَ الْمُقَيَّدِ  
فَلِلَّهِ مَنْ قَدْ بَاعَ لِلَّهِ نَفْسَهُ      وَجُودَ الْفَتَى فِي النَّفْسِ أَقْصَى التَّجَوُّدِ  
وَمَنْ يَغْزُؤُا إِنْ يَسْلَمَ فَأَجْرٌ وَمَغْنَمٌ      وَإِنْ يَرْدُ يَظْفُرُ بِالنَّعِيمِ الْمُخَلَّدِ

وَمَا مُحْسِنٌ يَبْغِي إِذَا مَاتَ رَجَعَةً  
 لِفَضْلِ الَّذِي أُعْطُوا وَنَالُوا مِنَ الرَّضَى  
 كَفَى أَنَّهُمْ أَحْيَا لَدَى اللَّهِ رُوحَهُمْ  
 وَغُدُوَّةَ غَازٍ أَوْ رَوَاحٍ مُجَاهِدٍ  
 يُكْفَرُ عَنْ مُسْتَشْهَدِ الْبَرِّ مَا عَدَا  
 وَقَدْ سُئِلَ الْمُخْتَارُ عَنْ حَرِّ قَتْلِهِمْ  
 كُلُّهُمْ غُرَاةَ اللَّهِ الْوَأَنْ نَزَفَهَا  
 وَلَمْ يَجْتَمِعْ فِي مَنْحَرِ الْمَرْءِ يَا فَتَى  
 كَمَنْ صَامَ لَمْ يُفْطِرْ وَقَامَ فَلَمْ يَنَمْ  
 لَشَتَانِ مَا بَيْنَ الضَّجِيعِ بِفُرْشِهِ  
 يُدَافِعُ عَنْ أَهْلِ الْهُدَى وَحَرِيمِهِمْ  
 سِوَى الشَّهَادَا كَيْ يَجْهَدُوا فِي التَّزْوُدِ  
 يَفُوقُ الْأَمَانِي فِي النَّعِيمِ الْمُسْرَمَدِي  
 تَرْوِحُ بِجَنَّاتِ النَّعِيمِ وَتَغْتَدِي  
 فَخَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا بِقَوْلِ مُحَمَّدٍ  
 حُقُوقَ الْوَرَى وَالْكُلُّ فِي الْبَحْرِ فَاجْهَدِ  
 فَقَالَ يَرَاهُ مِثْلَ قَرْصَةِ مُفْرَدِ  
 دَمٍ وَكَمِيسِكِ عَرْفُهَا فَاحِ فِي غَدِ  
 غُبَارِ جِهَادٍ مَعَ دُخَانٍ لَطَى أَشْهَدِ  
 جِهَادُ الْفَتَى فِي الْفَضْلِ عِنْدَ التَّعَدُّدِ  
 وَسَاهِرِ طَرْفٍ لَيْلَةً تَحْتَ أَجْرَدِ  
 وَأَمْوَالِهِمْ بِالنَّفْسِ وَالْمَالِ وَالْيَدِ

وَمَنْ قَاتَلَ الْأَعْدَاءَ لِإِعْلَاءِ دِينِنَا  
 وَيَحْسَنُ تَشْيِيعَ الْغُرَاةِ لِرَاجِلٍ  
 وَأَهْلُ الْكِتَابِ وَالْمَجُوسِ إِنْ تَشَاءُ  
 وَيُعْزُونَ حَتَّى يُسَلِّمُوا أَوْ يُسَلِّمُوا  
 وَغَيْرُ أَوْلَى فليُدْعَ قَبْلَ قِتَالِهِ  
 وَعَرَّفَهُ بِالْبُرْهَانِ حَتَّمِ اتِّبَاعَهُ  
 وَإِنَّ رَبَّاطَ الْمَرْءِ أَجْرٌ مُعْظَمٌ  
 وَيَجْرِي عَلَى مَيْتٍ بِهِ أَجْرٌ فِعْلُهُ  
 وَلَا حَدَّ فِي أَدْنَاهُ بَلْ أَرْبَعُونَ فِيهِ  
 وَأَفْضَلُهُ مَا كَانَ أَخَوْفَ مَرْكَزاً  
 وَذَلِكَ أَتَى مِنْ مَقَامِ بِمَكَّةِ  
 فَذَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا غَيْرُ قَيْدٍ  
 وَحَلَّ بِلَاكُرِهِ تَلْقَيْهِمْ أَشْهَدِ  
 بِغَيْرِ دُعَاءٍ إِذْ بِإِبْلَاغِهِمْ بُدِي  
 صَعَاراً إِلَيْنَا جَزِيَّةَ الذُّلِّ عَنِ يَدِ  
 إِلَى أَشْرَفِ الْأَدْيَانِ دِينِ مُحَمَّدٍ  
 وَلَا تَقْبَلَنْ مِنْهُ سِوَاهُ بِأَوْطَدِ  
 مُلَازِمٌ تَعْرِ لِلْقَا بِالتَّعَدُّدِ  
 كَحَيِّ وَيُؤْمِنُ بِأَفْتَانِ بِمَجْلَدِ  
 تَمَامٍ وَيُعْطَى أَجْرَ كُلِّ مُزَيِّدِ  
 وَأَقْرَبَ مِنْ أَرْضِ الْعَدُوِّ الْمُنْكَدِ  
 وَفِي مَكَّةِ فَضْلُ الصَّلَاةِ فَرِيْدِ

وَمَنْ لَمْ يُطِقْ فِي أَرْضٍ كُلِّ ضَلَالَةٍ      قِيَاماً وَإِظْهَاراً لِإِدِينِ مُحَمَّدٍ  
فَحَتَمَ عَلَيْهِ هَجْرَةً مَعَ أَمْنِهِ الْـ      هَلَاكاً وَلَوْ فَرُوداً وَذَاتَ تَعَدُّدٍ  
بِإِلَّا مَحْرَمٍ مَشِياً وَلَوْ بَعْدَ الْمَدَى      لِفِعْلِ الصَّحَابِيَّاتِ مَعَ كُلِّ مُهْتَدٍ

اللَّهُمَّ أَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَوَفَّقْنَا لِمَا وَفَّقْتَ لَهُ الصَّالِحِينَ مِنْ خَلْقِكَ وَأَعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ  
المسلمين بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ . وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

#### فائدة جلييلة

وَقَالَ إِذَا أَصْبَحَ الْعَبْدُ وَأَمْسَى وَلَيْسَ هَمُّهُ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ يَحْمِلُ اللهُ سُبْحَانَهُ حَوَائِجَهُ كُلَّهَا وَحَمْلَ  
عَنْهُ كُلِّ مَا أَمَّهُ ، وَفَرَّغَ قَلْبُهُ لِمَحَبَّتِهِ وَلِسَانَهُ لَذِكْرِهِ وَجَوَارِحَهُ لَطَاعَتِهِ وَإِنْ أَصْبَحَ وَأَمْسَى وَالذُّنْيَا هَمُّهُ  
حَمَلَهُ اللهُ هُمُومَهَا وَغَمُومَهَا وَأَنْكَادَهَا وَوَكَلَهُ إِلَى نَفْسِهِ فَشَغَلَ مَحَبَّتَهُ بِمَحَبَةِ الْخَلْقِ وَلِسَانَهُ عَنْ ذِكْرِهِ  
بذکرهم وجوارحه عن طاعته بخدمتهم وأشغالهم .

فهو يكدح كدح الوحش في خدمة غيره كالكبير ينفخ بطنه ويعصر أضلعه في نفع غيره فكل  
من أعرض عن عبودية الله وطاعته ومحبته بلي بعبودية المخلوق ومحبته وخدمته قال تَعَالَى " وَمَنْ  
يَعِشْ عَنِ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ " . أ . هـ .

شِعْرًا :

كَأَنِّي بِنَفْسِي قَدْ بَلَغْتُ مَدَى عُمْرِي      وَأُنْكُرْتُ مَا قَدْ كُنْتُ أَعْرِفُ مِنْ دَهْرِي



وَطَالَبْنِي مَنْ لَا أَقْوَمُ بِدَفْعِهِ  
وَفَازَ بِمِيرَاتِي أَنْاسٌ فَشَسَّوْا  
وَأَهْمَلَنِي مَنْ كَانَ يُبْدِي مَحَبَّتِي  
وَلَمْ يَسْخُ لِي مِنْهُمْ صَدِيقٌ بِدَعْوَةٍ  
وَأَضْحَى لِبَيْتِي سَاكِنٌ مُبْهَجٌ بِهِ  
فِيَا شِفْوَتِي إِنْ لَمْ يَجِدْ بِنَجَاتِهِ  
فَقَدْ أَثْقَلَتْ ظَهْرِي ذُنُوبٌ لَوْ أَنَّهَا  
وَحَوَّلْتُ مِنْ دَارِي إِلَى ظُلْمَةِ الْقَبْرِ  
يَأْفَسَادِهِمْ مَا كُنْتُ أَجْمَعُ فِي عُمْرِي  
وَأُخْلِصُهُ وَدِّي وَيَعْمُرُهُ بِرِّي  
إِذَا مَا جَرَى يَوْمًا بِحَضْرَتِهِ ذِكْرِي  
وَفِي اللَّحْدِ بَيْتِي لَا أَقْوَمُ إِلَى الْحَشْرِ  
إِلَهِي وَلَمْ يَجْبُرْ بِرَحْمَتِهِ فَقْرِي  
عَلَى ظَهْرٍ طَوْرٍ أَثْقَلْتُهُ مِنَ الْوِزْرِ

### " موعظة "

عِبَادَ اللَّهِ مَضَى رِجَالٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ كَانُوا يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ خَشْيَةَ الْعَارِفِينَ الْمُوقِنِينَ لِذَلِكَ كَانَتْ  
أَقْوَالُهُمْ وَأَفْعَالُهُمْ مُوزَوْنَةً بِمَا لِلشَّرْعِ مِنْ مُوَازِينَ كَانُوا يَزِنُونَ كَلَامَهُمْ قَبْلَ أَنْ يَلْفِظُوا بِهِ لِأَنَّهُمْ يُوَقِنُونَ  
أَنَّ خَالِقَهُمْ سَمِعَهَا وَشَهِدَ عَلَيْهَا وَهُوَ تَعَالَى خَيْرُ شَاهِدٍ .  
كَانُوا إِذَا أَظْلَمَ اللَّيْلُ يَقِفُونَ فِي مَحَارِبِهِمْ بَاكِينَ مُتَضَرِّعِينَ لَهُمْ أَنْ يَنْزِلَ الْوَيْلُ الْمُرْضِي لَهُمْ وَحِينَ  
كَحْنِ الشُّكْلِ وَكَانُوا رُبَّمَا مَرُوا بِالْآيَةِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ

فجعلوا يرددونها بقلب حزين فأثرت عليهنّ ومرضوا بعدها مات أولئك السلف الصالح الذين تتجافي جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً .  
 وماتت تلك الخشية وأعقبها قسوة أذهلت العباد عن طاعة الله فصاروا يأتون ويذرون ما يذرون دون سؤال عن سخط الله ورضاه .  
 وغدت جوارحهم مطلقة في كل ما يغضب الله وصارت أفعالهم فوضي ليس لها ضوابط ولا قيود العين تجول في المناظر المحرمة من نساء سافرات إلى سينما إلى تلفزيون إلى الفيديو معلم الفساد إلى كورة إلى مجلات في طيها الشرور إلى صورة مجسدة وغير مجسدة إلى كتب هدامة للأخلاق إلى غير ذلك من المحرمات التي تجرح القلوب .  
 والفرج يسرح كما شاء إلى الفواحش الدين ضعيف والخلق فاسد والأذن لا تشيع من سماع ما يسخط ربهما والبطن يستزيد من سحت الأقوات .  
 وأما اليد فحدث ولا حرج في تعدي الحدود وأما اللسان فليله ونهاره يتحرك ويتقلب في منكر القول وزوره ولا كأن ربه السميع البصير العليم موجود وتراه في أعراض الغوافل ويمزق جلودهم في السب والغيبة والبهت والكذب ولا يعف عن عرض أي بشر .  
 ويحلف بالله العلي العظيم كل يوم مرات ولا يهمله أبر في يمينه أم فجر وأما وعوده وعهوده وعقوده فتهمل ولا كأنه مكلف باحترامها فهذا وأمثاله قد انهمكوا في المعاصي وتوغلوا فيها وصارت عندهم عادات وشيء طبيعي مألوف لهم .

ولذلك إذا مررت بهم أو مررت حول بيوتهم استوحشت من سماع الأغاني والرقص والمطربين والسب واللعن والقذف والاستهزاء بالدين وأخذت في العجب بين هؤلاء وأولئك الذين في أوقات التجليات في حنادس الظلم يناجون ربهم راغبين في رضوان العزيز الجبار خائفين من سخط المنتقم القهار متفكرين في سرعة حلول المنايا التي تسارع الأيام والليالي في اقترابها وموقنين بأنهم محاسبون علي الفتيل والنقير والقطمير عالمين بأنهم مكلفون بواجبات عبودية ما قاموا بالقليل منها وهم عنها مسؤولون وعلي ما قدموه من خير وشر قادمون .

وهل حال هؤلاء السعداء في جانب أولئك التعساء الأشقياء إلا كحال المصاب بالجنون في جانب أوفر الناس عقلاً وأكملهم وقاراً فأكثر يا أخي من قولك الحمد لله الذي عافانا بما ابتلاهم الله يعافهم ولا يبلانا قال تعالى ﴿ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾

وَكُلَّ كَسْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَجْزِيهِ وَمَا لِكَسْرِ قَنَاةِ الدِّينِ جُبْرَانُ

فتنبه أيها المؤمن واعلم أنك مسئول عن كل ما تعمل لا مهمل كالأنعام فانهج نهج الاستقامة وراقب ربك في مصادرک ومواردك لتقف عند الحدود قال بعض المرشدين إلى معالم الرشد ضارباً لذلك مثلاً :

واعلم أن الإنسان في تقلبه في أطوار حياته كمثل غريب ألقته به المقادير إلى قوم استقبلوه بترحاب وتكریم وكان ذلك النازل فاقد القوى غير عالم بما عليه القوم من الشؤون ولا يدري من أين أتى ولا إلى أين يذهب .

فقام القوم بواجبات خدمته وإكرامه حتى قويت حواسه وجوارحه ومداركه وأخذ يعمل القوم فجاء رجل من علائقهم قائلاً : يا هذا إن هذه الدار التي توطنها مكرموك ما هي دار إقامة ولا هي مملوكة لأحد من الخلق ولكنهم أمثالك نزلاء من كانوا يعمرون هذه الدار قبلهم ثم رحلوا وتركوها وما كان رحيلهم إلي مكان بعيد ولكنه كان إلي سجن ضيق ومكان مظلم لو أرسلت ببصرك لرأيتته وقد فقدوا تلك القوي وتناسوا ذلك النعيم .

ثم أخذ بيده إلي مكان قفر وأعني به المقبرة وقال له : هذا مراح القوم ومستقط رؤوسهم وإن الطريق التي توصلك إلي هؤلاء القوم هي الطريق التي سلكها مكرموك وإنها لطريق ذات عقبات مهلكة ولها أحوال من تورطها هلك ولا مخلص من تلك الأحوال إلا بتجنب تلك العقبات أو تجاوزها عدواً .

فإن رمت السلامة فسر فريداً متحفظاً من تخاصم القوم وتنازعهم ومن ملاهيهم وألعبهم ولا تصغ لمن يناديك من خلفك فإن الذي يناديك من خلفك في طريق النجاة هو أجهل منك بها ولا تخالف من ناداك من الأمام فإنهم أدري منك بمفاوز الطريق .

وإياك أن تشته علك الطرق وأصوات المنادين فإن طريق السلامة لها أعلام ومصايح نيرة علي رأس كل مرحلة من مراحلها وأما باقي الطرق فإنها مظلمة موحشة مهلكة وما هي إلا طريق واحدة ولكنها ذات شعب ومسارب كثيرة .

فاحذر أن تتهاون بنفسك كما تتهاون القوم بنفوسهم فهلكوا وهم لا يشعرون فإن كان النازل الغريب علي استعداد لتعقل النصائح وذا قابلية تقبل

الإرشاد وقف علي أفواه الطريق وفتح عينيه واستعمل فكره وتبصر في أمره وتدبر عواقب ما عَلَيْهِ وأخذ لنفسه بأحوط الأحوال وأقربها إلى السلامة وجعل عينه متجهة للنظر إلى منازل الراحلين التي لا أنيس بها ولا جليس .

وَتَأْمَلْ سُرْعَةَ الرَّحِيلِ وَقَصْرَ أَوْقَاتِ الْإِقَامَةِ وَتَجَنَّبِ الْأَلْعَابَ وَالْمَلَاهِي وَسَلِّكَ سَبِيلَ الْمُهْتَدِينَ وَإِنْ كَانَ ضَيْقَ الْحُضِيرَةِ قَاصِرَ النَّظَرِ ضَعِيفَ الْهِمَّةِ ضَائِعَ الْعَقْلِ سَيِّئَ التَّصَوُّرِ فَاقْدِ الْفِكْرَ خَبِيثَ الاستعدادِ لَيْئِمَ الطَّبَعِ لَا يَجِدُ بُدًّا مِنْ مُنَارَعَةِ اللَّاعِبِينَ وَمُسَابَقَةِ اللَّاهِيْنَ وَتَعَاْفَ لِعَنْ عَاقِبَةِ أَمْرِهِ وَسُوءِ مَصِيرِهِ وَتَبَاعَدَ عَنْ صِيَاحِ النَّاصِحِينَ وَأَضَعَى إِلَى مُدَاهِنَةِ الْعَاوِينَ أَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ .

وما ضربنا لك هَذَا المثل إلا لتعلم أنك أَنْتَ الغريب الَّذِي نزلت يوم ولدتك أمك بقومك وَأَنْتَ ضعيف القوي لا تعلم شيئاً كما قال تعالي " والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السَّمْعَ والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون )) ففرح بك قومك وأكرموك إلى أن قويت الآت أعمالك وصرت تحسن الرحيل وحدك .

ونريد بالرحيل هنا سلوك إحدى الطريقين إما طريق الكمالات وإما طريق النقائص لأنهما مسارب المكلفين الَّذِينَ لا بد لهم من السير فيها للوصول إلى أحد الغايتين فإنه ما من طريق إلا ولها غاية ينتهي إليها مسير سالكها .

وما نريد بالرجل العاقل المرشد إلا صاحب الرسالة عَلَيْهِ الصَّلَاة والسَّلَام أو النائب عَنْهُ في تبليغها وما نريد بمن يناديك من الأمام إلا السَّلَف

الصالح الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَبَيْنَا لَنَا طَرِيقَ النِّجَاةِ أَوْ الْأَتْقِيَاءِ الْمُقْتَفُونَ لِآثَارِهِمُ الَّذِينَ ثَبَتَتْ  
استقامتهم .

وما نريد بِالَّذِينَ ينادوك من خلفك إِلَّا الَّذِينَ لَا قَدَمَ لَهُمْ فِي طَرِيقِ النُّبُوَّةِ فَلَمْ يَسْلُكُوا سَبِيلَ  
المهتدين بل اعتمدوا في إرشادهم علي مقال لا حال معه ولا عمل وهذا لا تصلح متابعتة  
لأنهم أجهل النَّاسِ بِطَرِيقِ الاستقامة .

وما أهل الاستقامة إِلَّا الَّذِينَ رَاقَبُوا قُلُوبَهُمْ وَأَمْسَكُوا أَلْسِنَتَهُمْ وَطَهَرُوا أَقْلَامَهُمْ فَلَا عِزْمَ لَهُمْ إِلَّا  
علي أعمال البر والمواساة ولا يقولون إِلَّا الحق المنجي ولا يكتبون إِلَّا ما لو سئلوا عَنْهُ يوم  
القيامة لأحسنوا الإجابة وَالَّذِينَ يذكرون الله كثيراً وَإِذَا ذَكَرَ اللهُ وَجَلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَالْبَكَاءُونَ من  
خشية الله الْمُقْتَفُونَ لِآثَارِهِ ρ .

شِعْرًا: نُورُ الْحَدِيثِ مُبِينٌ فَادُنْ وَاقْتَسِبِ	وَاحِدُ الرِّكَابِ لَهُ نَحْوُ الرِّضَا النَّدْسِ
مَا الْعِلْمُ إِلَّا كِتَابُ اللهِ أَوْ أَثَرُ	يَجْلُو بِنُورِ هُدَاةِ كُلِّ مُلْتَبِسِ
نُورٌ لِمُقْتَسِبِ خَيْرٌ لِمُلْتَبِسِ	حِمَى لِمُخْتَرِسِ نِعْمَى لِمُبْتَسِسِ
فَاعْكُفْ بِبَابِهِمَا عَلَى طِلَابِهِمَا	تَمَحُّو الْعَمَى بِهِمَا عَنْ كُلِّ مُلْتَبِسِ

وَرَدَّ بِقَلْبِكَ عَذَابًا مِنْ حِيَاضِهِمَا      تَغْسِلُ بِمَائِهِمَا مَا فِيهِ مِنْ دَنَسٍ  
وَأَقْفُ النَّبِيِّ وَاتَّبَاعِ النَّبِيِّ وَكُنْ      مِنْ هَدْيِهِمْ أَبَدًا تَدْنُو إِلَى قَبَسِ  
وَالزَّمْ مَجَالِسَهُمْ وَاحْفَظْ مُجَالِسَهُمْ      وَأَنْدَبِ مَدَارِسَهُمْ بِالْأَرْبَعِ الدُّرُسِ  
وَاسْلُكْ طَرِيقَهُمْ وَاتَّبِعْ فَرِيقَهُمْ      تَكُنْ رَفِيقَهُمْ فِي حَضْرَةِ الْقُدْسِ  
تِلْكَ السَّعَادَةُ إِنْ تُلِمَ بِسَاحَتِهَا      فَحُطَّ رَحْلُكَ قَدْ عُوْفِتَ مِنْ تَعَسِ

وما نريد بمراحل حياتك إلا الأطوار التي تتقلب بك فيها الشمس كلما غربت أو أشرقت وتنتقل بك إليها الليالي وأنت لا تشعر فما أسرع مُرور الشمس بك إلى نهاية أجلك وما أغفلك عن عملها فيك .

وما نريد بأحوال حياتك إلا متابعة شهواتك عند بلوغ الحلم فإن لطور الشبوية أحوال مهلكة وهي الشهوات البهيمية التي تضطر الشباب الذي غلبت شهوته عقله إلى مغازلة الغانيات ومعانقة الملاهي وتعاطي المحرمات فيصير قي أحوال تناسبه .

وما من أحد تستطيع تلك الأحوال إلا الذي وفقه الله فتباعد عن ظلمات الزيف وتنور بنور العلم الديني الذي علمه العليم الخبير لرسوله ﷺ وأمره بتعليمه للناس لأنه جل شأنه هو الحكيم العليم الذي علم الداء ودبر

الدواء قال تَعَالَى ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ ﴿﴾ انتهى بتصريف يسير .  
شِعْرًا :

مَثَلٌ لِنَفْسِكَ أَيُّهَا الْمَغْرُورُ	يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاءُ تَمْوَرُ
قَدْ كَوَّرَتْ شَمْسُ النَّهَارِ وَأُضْعِفَتْ	حَرًّا عَلَى رُؤْسِ الْعِبَادِ تَقْوَرُ
وَإِذَا الْجِبَالُ تَعَلَّقَتْ بِأُصُولِهَا	فَرَأَيْتَهَا مِثْلَ السَّحَابِ تَسِيرُ
وَإِذَا النُّجُومُ تَسَاقَطَتْ وَتَنَاسَرَتْ	وَتَبَدَّلَتْ بَعْدَ الضِّيَاءِ كَدُورُ
وَإِذَا الْعِشَارُ تَعَطَّلَتْ عَنْ أَهْلِهَا	خَلَّتِ الدِّيَارُ فَمَا بِهَا مَعْمُورُ
وَإِذَا الْوُحُوشُ لَدَى الْقِيَامَةِ أُحْضِرَتْ	وَتَقُولُ لِلْأَمْلَاقِ أَيَّنَ نَسِيرُ
فَيَقَالُ سِيرُوا تَشْهَدُونَ فَضَائِحًا	وَعَجَائِبًا قَدْ أُحْضِرَتْ وَأُمُورُ
وَإِذَا الْجَنِينُ بِأُمِّهِ مُتَعَلِّقٌ	خَوْفَ الْحِسَابِ وَقَلْبُهُ مَدْعُورُ
هَذَا بِلاَ ذَنْبٍ يَخَافُ لِهَوْلِهِ	كَيْفَ الْمُقِيمِ عَلَى الذُّنُوبِ دُهُورُ



اللَّهُمَّ ثَبِّتْ وَقْوِي مَحَبَّتِكَ فِي قُلُوبِنَا وَأَهْمِنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَوَفِقْنَا لَطَاعَتَكَ وَامْتِثَالَ أَمْرِكَ اللَّهُمَّ  
نور قلوبنا بنور الإيمان وَاجْعَلْنَا هِدَاةَ مَهْتَدِينَ وَتَوْفِنَا مُسْلِمِينَ وَأَلْحِقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ وَاعْفِرْ لَنَا  
وَلِوَالِدِينَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ  
أَجْمَعِينَ .

( فَصْلٌ )

(( نَحْنُمُ هَذَا الْجُزْءَ فِي فَصْلِ يَحْتَوِي عَلَيَّ نُبْذَةَ يَسِيرَةٍ ))

(( عَنْ سِيرَةِ النَّبِيِّ ﷺ ))

(( وَنُمُودِجٍ عَنْ حِلْمِهِ وَوَفَائِهِ ))

هو مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ بْنِ قُصَيِّ بْنِ كِلَابِ بْنِ مَرَّةَ بْنِ  
كَعْبِ بْنِ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النُّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ خَزِيمَةَ بْنِ مَدْرِكَةَ بْنِ إِيَّاسِ  
بْنَ مِزْرَةَ بْنِ نِزَارِ بْنِ مَعَدِ بْنِ عَدْنَانَ هَذَا مُتَّفَقٌ عَلَيَّ صَحْتَهُ .

وَلَا خِلَافَ أَنَّ عَدْنَانَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلِ هُوَ الذَّبِيحُ عَلَيَّ الْقَوْلُ الصَّحِيحُ  
وَالْقَوْلُ بِأَنَّهُ إِسْحَقُ بَاطِلٌ وَلَا خِلَافَ أَنَّهُ ﷺ وَوُلْدُهُ بِمَكَّةَ عَامَ الْفِيلِ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ لِثَمَانَ خَلُونَ مِنْ  
رَبِيعِ الْأَوَّلِ وَقِيلَ لِعَشْرٍ مِنْهُ وَقِيلَ لِاِثْنَتَيْ عَشْرَةٍ خَلَتْ مِنْهُ سَنَةَ ٥٧١ م .

وَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ أَبُو رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَكَانَ أَحْسَنَ أَوْلَادِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ وَأَعْفَهُمْ وَكَانَ أَبُوهُ يُحِبُّهُ وَالْأَكْثَرُ  
يَقُولُونَ أَنَّهُ تُوْفِيَ وَالنَّبِيُّ ﷺ حَمَلٌ وَقِيلَ أَنَّهُ مَاتَ وَلِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَهْرَانِ وَجَمِيعُ مَا خَلْفَهُ عَبْدُ  
الْمَطْلَبِ خَمْسَةُ أَحْمَالٍ وَجَارِيَةٌ

حبشية اسمها بركة وكنيتها أم أيمن وهي حاضنته ρ .

وروي البيهقي أنه ρ ولد مختوناً وذكر البيهقي أيضاً لما كانت اللَّيْلَة التي ولد فيها رسول الله ρ ارتج إيوان كسري وسقط من أربع عشرة شرفة وخمدت نار فارس ولم تخمد قبل ذلك من ألف عام وغاضت بحيرة ساوة .

وإلي هَذَا أشار الشاعر في قوله :

لِلنَّاسِ فَازْدَهَرَ الزَّمَانُ وَأَيْنَعَا	نُورٌ مِنَ الرَّحْمَنِ أَرْسَلَهُ هُدَى
هَتَفُوا بِمَوْلِدِهِ هَوَى وَتَصَدَّعَا	دَعَّ عَنْكَ إِيوَانًا لِكِسْرَى عِنْدَمَا
أَهْوَاءُهُمَا كُلُّهُمَا يُصَحِّحُ مَا ادَّعَا	وَأَذْكَرُهُ كَيْفَ أَتَى شُعُوبًا فُرِّقَتْ
فِي اللَّهِ إِخْوَانًا تَرَاهُمْ رَكَّعَا	فَهَدَاهُمْ لِلْحَقِّ حَتَّى أَصْبَحُوا
أَبْنَاءَ أَخِيافٍ تَجَمَّعَ شَمْلُهُمْ	أَبْنَاءَ أَخِيافٍ تَجَمَّعَ شَمْلُهُمْ
وَبَنَوْا لَهُ حِصْنَأً أَشَمَّ مُمْنَعَا	فَتَحَوُّا لَهُ الدُّنْيَا فَسَارَ مُظْفَرًا
فَتَسَنَّوْهُمَا مِ السَّلَامِ الْأَرْفَعَا	بَدَلُوا النُّفُوسَ رَخِيصَةً فِي نَصْرِهِ

لَهْفِي عَلَى مَاضِي الْحَيْفَةِ أَنَّهُ      مَاضٍ تَعَلَّقَ زَاهِيًا وَتَضَوَّعَا  
 أَيَّامَ كَانَ الدِّينُ تُشْرِقُ شَمْسُهُ      أَيَّامَ كَانَ الدِّينُ تُشْرِقُ شَمْسُهُ  
 يَا أُمَّةَ التَّوْحِيدِ هَذَا مَجْدُكُمْ      إِنِّي لِأَخْشَى أَنْ يَضِلَّ مُضَيِّعَا  
 سِيرُوا عَلَى سُنَنِ النَّبِيِّ وَجَبُّوا      زَيْفَ الْحَضَارَةِ عَنْكُمْ أَنْ يَخْدَعَا  
 وَخُذُوا لَكُمْ مِنْ سُنَّةِ الْهَادِي هُدَى      فَهُوَ الْمَنَارُ إِذَا الضَّالُّمُ تَجَمَّعَا

وروي الإمام أحمد وغيره عن العرياض بن سارية عن النبي  $\rho$  قال إني عند الله في أم الكتاب لخاتم النبيين وأن آدم لمجدل في طينته وسوف أنبئكم بتأويل ذلك دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى قومه ورؤيا أمي التي رأت أنه خرج منها نور أضأت له قصور الشام .

قال في اللطائف وخروج هذا النور عن وضعه إشارة إلي ما يجيء به من النور الذي اهتدي به أهل الأرض وزالت به ظلمة الشرك كما قال تعالى : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾ \* يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ ﴿ .

اللَّهُمَّ يَا مَنْ لَا تَضُرُّهُ الْمَعْصِيَةُ وَلَا تَنْفَعُهُ الطَّاعَةُ أَنْقِذْنَا مِنْ نَوْمِ الْعَقْلَةِ وَنِبْهِنَا لِاغْتِنَامِ أَوْقَاتِ الْمَهَلَةِ وَوَفَّقْنَا لِمَصَالِحِنَا وَاعْصَمْنَا مِنْ قَبَائِحِنَا وَزَنُونَنَا وَلَا تَوَخَّذْنَا بِمَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ ضَمَائِرُنَا وَآكَنْتْ سَرَائِرُنَا مِنْ أَنْوَاعِ الْقَبَائِحِ وَالْمَعَائِبِ الَّتِي تَعْلَمُهَا مِنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

## ( فَصْلٌ )

وبعد مولده ρ أرضعته أمه آمنه بنت وهب بن مناف بن زهرة بن كلاب ثم أرضعته ρ ثوبية عتيقة أبي لهب أعتقها حين بشرته بولادة النبي ρ ثم أرضعته حليلة السعدية .

قَالَتْ حليلة السعدية التي أراد الله أن تقوم بإرضاعه قدمت مكة مَعَ تسع نسوة من بني سعد بن بكر نلتمس الرضاع في سنة شهباء علي أتان لي ومعي صبي لنا وَقَدْ عرض رسول الله ρ علي كُلِّ امرأة منا فأبين أن يرضعنه حينما علمن أنه يتيم الأب .

وَذَلِكَ أَنَا كنا نرجو المعروف من أبي الصبي فكنا نقول إنه يتيم ما عسي أن تصنع أمه وجده فكنا نكرهه لذلك قَالَتْ : فو الله ما بقي من صواحي امرأة إلا أخذت رضيعاً فَلَمَّا لم أجد غيره قُلْتُ لزوجي وَهُوَ الحارث بن عبد العزي والله إني لا أكره أن أرجع من بين صواحي وليسَ معي رضيع لانطلقن إلي ذَلِكَ اليتيم ولأخذه .

قال لا ضرر عَلَيْكَ أن تفعلي . عسي الله أن يجعل لنا فيه بركة فذهب ثم أخذته بما هُوَ عَلَيْهِ فأقبل عَلَيْهِ ثديي بما شاء من لبن فشرب حتى روي وشرب ابني حتى شبع فودعت النساء بعضهن بعضاً .

ثم ركبت أتاني وأخذت محمداً بين يدي ثم مشيت أتاني حتى سبقت دواب الناس الَّذِينَ كَانُوا معي وصاروا يتعجبون مني ثم وصلنا إلي منازل بني سعد ولا أعلم أرضاً من أرض الله أجذب منها فكانت غنمي تروح علي حين قدمنا به كثيرة اللبن فنحلب ونشرب .

وفي السنة الرابعة من عمره ذكر أن ملكين شقا بطنه واستخرجا قلبه وشقاه فاستخرجا منه علقة سوداء ثم غسلوا قلبه وبطنه بالثلج وقال أحدهما زنه بعشره من أمته فوزنه ثم ما زال يزيد حتى بلغ الألف فقال والله لو وزنته بأمته لوزنها .

وماتت أمه عليه السلام ولم يستكمل إذ ذاك سبع سنين حين انصرفت من زيارات أخواله بني النجار وكانت خرجت به معها ومعه دابته أم أيمن قدمت به إلى مكة بعد موتها .

فكفله جده عبد المطلب ورق عليه رقة لم يرقها علي أحد من أولاده فكان لا يفارقه وما يجلس علي فراشه إجلالاً له إلا رسول الله ﷺ .

وقدم مكة قوم من بني مدلج من القافة فلما نظروا إليه قالوا لجده احتفظ به فلم نجد قدماً أشبهه بالقدم الذي في المقام من قدمه فقال لأبي طالب اسمع ما يقول هؤلاء واحتفظ به .

وتوفي جده عبد المطلب في السنة الثامنة من مولده ﷺ وأوصي به إلى عمه أبي طالب شقيق أبيه عبد الله فكفله وأحسن كفالته قال الواقدي أقام أبو طالب من سنة ثمان من مولد رسول الله ﷺ إلى السنة العاشرة من النبوة ثلاثاً وأربعين سنة يحوطه ويقوم بأمره ويذب عنه ويلطف به .

ولما بلغ ﷺ اثني عشرة سنة خرج مع عمه أبي طالب حتى بلغ بصري فراه بحير الراهب واسمه جرجيس فعرفه فقال وهو أخذ بيده هذا سيد العالمين هذا بيعته الله رحمة للعالمين فقال وما علمك بذلك فقال إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق حجر ولا شجر إلا وخرّ ساجداً ولا

تسجد إلا لنبي وإني أعرفه بخاتم النبوة في أسفل غضروف كتفه مثل التفاحة وإنا نجد في كتبنا .  
وسأل أبا طالب أن يرده خوفاً عليه من اليهود الحديث رواه ابن أبي شيبة وفيه أنه أقبل عليه  
الصلاة والسلام وعليه غمامة تظله . ثُمَّ خَرَجَ ٥ مرة أخرى ومعه ميسرة غلام خديجة في تجارة  
لها حتى بلغ سوق بصري وله إذ ذاك خمس وعشرون سنة .

فنزل تحت ظل شجرة فقال نسطور الراهب ما نزل تحت هذه الشجرة إلا نبي وكان ميسرة يري  
في الهاجرة ملكين يظلانه من الشمس فلما رجعا إلى مكة ساعة الظهر وخديجة في عليّة لها  
رأت رسول الله ٥ وهو علي بعيره وملكان يظلانه ذكره أبو نعيم .  
اللَّهُمَّ عمق إيماننا بك وبملائكتك وبكتبك وبرسلك وبالأيوم الآخر وبالقدر خيره وشره وآتنا في  
الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار وصلي الله علي محمد وآله وسلم .

### ( فَضْلٌ )

وتزوج رسول الله ٥ خديجة بعد ذلك وكانت تحت أبي إهابة بن زرارة التميمي ثم تزوجها عتيق  
بن عائد المخزومي فولدت له هنداً وكان لها حين تزوجها رسول الله ٥ من العمر أربعون سنة  
فولدت له بنين وبنات وكل أولاده منها حاشا إبراهيم فإنه من مارية القبطية التي أهداها له  
المقوقس صاحب مصر .

فالذكور من ولده القاسم وبه كان يكنى وهو أكبر ولده عاش أياماً

يسيرة قبل النبوة وولد له غير إبراهيم والقاسم عَبْدُ اللَّهِ وَهُوَ الْمَسْمِيُّ بِالطَّيْبِ وَالطَّاهِرِ لِأَنَّهُ وَلِدٌ بَعْدَ النَّبُوءَةِ وَأَمَّا إِبْرَاهِيمُ فَوُلِدَ لَهُ بِالْمَدِينَةِ وَعَاشَ عَامِينَ غَيْرِ شَهْرَيْنِ وَمَاتَ قَبْلَ مَوْتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ يَوْمَ كَسُوفٍ .

وأما بناته ρ فأربع زينب تحت أبي العاص بن الربيع وكانت خديجة خالته وَالثَّانِيَةَ رُقِيَةَ تَزَوَّجَهَا عَثْمَانُ بْنُ عَفَّانٍ وَمَاتَتْ بَعْدَ بَدْرِ بِنَحْوِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ وَزَيْنَبُ مَاتَتْ فِي حَيَاةِ أَبِيهَا ρ وَالثَّلَاثَةَ أُمُّ كَلْثُومٍ وَهِيَ أَصْغَرُ بَنَاتِهِ كَانَتْ مَمْلُوكَةً بَعْتَهُ بِنُ أَبِي لَهَبٍ فَلَمْ يَدْخُلْ بِهَا وَطَلَّقَهَا فَتَزَوَّجَهَا عَثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَمَاتَتْ عِنْدَهُ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ρ .

الرابعة فاطمة تزوجها علي بن أبي طالب فولدت له الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم وابناً مَاتَ صَغِيرًا اسْمُهُ الْمُحْسِنُ وَمَاتَتْ فَاطِمَةُ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ بِسِتَّةِ شَهْرٍ ، وَخَدِيجَةُ أُولَى امْرَأَةٍ تَزَوَّجَ بِهَا وَأُولَى امْرَأَةٍ مَاتَتْ مِنْ نِسَائِهِ وَأَمْرُهُ جَبْرِيلُ أَنْ يَقْرَأَ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا .

وهي أول امرأة آمنت به وعاضدته وناصرته علي أمره وَكَانَ لَهَا مِنْهُ الْمَنْزِلَةُ الْعَالِيَةُ .

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ وَمَحَبَّةَ كِتَابِكَ وَمَلَائِكَتِكَ وَرِسْلِكَ وَأَوْلِيَاكَ فِي قُلُوبِنَا ثَبُوتَ الْجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ وَنُورَ قُلُوبِنَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَاعْفُزْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَي نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

شِعْرًا :

دَعَاكُمْ إِلَى خَيْرِ الْأُمُورِ مُحَمَّدٌ	وَلَيْسَ الْعَوَالِي فِي الْقَنَا كَالسَّوَابِلِ
دَعَاكُمْ إِلَى تَعْظِيمِ مَنْ خَلَقَ الضُّحَى	وَشُهِبَ الدُّجَى مِنْ طَالِعَاتِ وَأَفَلِ
وَحَثَّ عَلَى تَطْهِيرِ جِسْمٍ وَمَلْبَسِ	وَعَاقِبَ فِي قَذْفِ النِّسَاءِ الْغَوَافِلِ
فَصَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ مَا ذَرَّ شَارِقِ	وَمَا فَتَّ مِسْكَاً ذِكْرُهُ فِي الْمَحَافِلِ

( فَصْلٌ )

ولم يرث ρ من والده شيئاً بل ولد يتيماً عائلاً فاسترضع في بني سعد ولما بلغ مبلغاً يمكنه أن يعمل عملاً كَانَ ρ يرعي الغنم مَعَ إِخْوَانِهِ مِنَ الرِّضَاعِ فِي الْبَادِيَةِ وَكَذَلِكَ لَمَّا رَجَعَ إِلَى مَكَّةَ كَانَ يرعاها لأهلها علي قراريط كما ذكر البخاري في صحيحه .

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ρ قَالَ مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعِيَ الْغَنَمَ فَقَالَ أَصْحَابُهُ وَأَنْتَ فَقَالَ نَعَمْ كُنْتُ أُرْعَاهَا عَلِيَّ قَرَارِيطَ لِأَهْلِ مَكَّةَ .

ولما شب لخديجة ρ كَانَ يَتَجَرَّ وَكَانَ شَرِيكَهُ السَّائِبُ بْنُ أَبِي السَّائِبِ وَذَهَبَ بِالتَّجَارَةِ لِخَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إِلَى الشَّامِ عَلِيٌّ جَعَلَ يَأْخُذُهُ وَلَمَّا شَرَفَتْ خَدِيجَةُ بِزَوْاجِهِ وَكَانَتْ ذَاتَ يَسَارٍ عَمِلَ فِي مَالِهَا وَكَانَ يَأْكُلُ مِنْ نَتِيجَةِ عَمَلِهِ وَحَقَّقَ اللَّهُ مَا أَمْتَنَ عَلَيْهِ بِهِ سُورَةَ الضُّحَى بِقَوْلِهِ جَلَّ ذِكْرُهُ : ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى \* وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى \* وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ﴾ بِالْإِيوَاءِ وَالْإِغْنَاءِ قَبْلَ النَّبُوَّةِ وَالْهُدَايَةِ بِالنَّبُوَّةِ هَدَاهُ اللَّهُ لِلْكِتَابِ وَالْإِيمَانِ وَدِينِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَمْ يَكُنْ يَدْرِي قَبْلَ ذَلِكَ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾

وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَحْسَنَ قَوْمِهِ خَلْقًا وَأَصْدَقَهُمْ حَدِيثًا وَأَعْظَمَهُمْ أَمَانَةً وَأَبْعَدَهُمْ عَنِ الْفَحْشِ وَالْأَخْلَاقِ الَّتِي تَدْنِسُ الرِّجَالَ حَتَّى كَانَ أَفْضَلَ قَوْمِهِ مَرُوءَةً وَأَكْرَمَهُمْ مَخَالَطَةً وَأَخْيَرَهُمْ جَوَارًا وَأَعْظَمَهُمْ حِلْمًا



وأصدقهم حديثاً فسموه الأمين .

لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة الحميدة والفعال السديدة من الحلم والصبر والشكر والعدل والتواضع والعفة والجود والشجاعة والحياء حتى شهد له بذلك ألد أعدائه النضر بن الحارث من بني عبد الدار حيث يقولُ قَدْ كَانَ مُحَمَّدٌ فِيكُمْ غَلَامًا حَدَثًا أَرْضَاكُمْ فِيكُمْ وَأَصْدَقَكُمْ حَدِيثًا وَأَعْظَمَكُمْ أَمَانَةً حَتَّى إِذَا رَأَيْتُمْ فِي صَدْغِيَةِ الشَّيْبِ وَجَاءَكُمْ بِمَا جَاءَكُمْ قَلْتُمْ سَاحِرٌ لَا وَاللَّهِ مَا هُوَ بِسَاحِرٍ .

قال ذَلِكَ في معرض الاتفاق علي ما يقولونه للعرب الَّذِينَ يَحْضُرُونَ الْمَوْسِمَ حَتَّى يَكُونُوا مَتَفَقِينَ علي ما يقولونه للعرب الَّذِينَ يَحْضُرُونَ الْمَوْسِمَ حَتَّى يَكُونُوا مَتَفَقِينَ علي ما يقولونه ولما سأل هرقل ملك الروم أبا سفيان قائلاً هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال قال : لا . فَقَالَ هِرْقَلُ : مَا كَانَ لِيَدَعَ الْكُذْبَ عَلَي النَّاسِ وَيَكْذِبَ عَلَي اللَّهِ وَرَدَ ذَلِكَ فِي أَوَّلِ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ .

تَوَى فِي فُرَيْشٍ خَمْسَ عَشْرَةَ حَجَّةً      يُذَكِّرُ لَوْ يَلْقَى صَدِيقًا مُوَاتِيَا  
وَيَعْرِضُ فِي كُلِّ الْمَوَاسِمِ نَفْسَهُ      فَلَمْ يَرِ مَنْ يُؤْوِي وَلَمْ يَرِ دَاعِيَا  
فَلَمَّا أَتَانَا وَاطْمَأْنَنْتَ بِهِ التَّوَى      وَكُنَّا لَهُ عَوْنًا مِنَ اللَّهِ بَادِيَا  
يُقْصُّ لَنَا مَا قَالَ نُوحٌ لِقَوْمِهِ      وَمَا قَالَ مُوسَى إِذَا أَجَابَ الْمُنَادِيَا

فَأَصْبَحَ لَا يَخْشَى مِنَ النَّاسِ وَاحِدًا      قَرِيبًا وَلَا يَخْشَى مِنَ النَّاسِ نَائِيًا  
 بَدَلْنَا لَهُ الْأَمْوَالَ مِنْ جُلِّ مَالِنَا      وَأَنْفُسَنَا عِنْدَ الْوَعَى وَالتَّاسِيَا  
 نُعَادِي الَّذِي عَادَى مِنَ النَّاسِ كُلَّهُمْ      جَمِيعًا وَلَوْ كَانَ الْحَبِيبَ الْمُؤَاسِيَا  
 وَنَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ لَا رَبَّ غَيْرَهُ      وَأَنَّ كِتَابَ اللَّهِ أَصْبَحَ هَادِيَا

اللَّهُمَّ اغفر لنا جميع ما سلف منا من الذُّنُوب . واعصمنا فيما بقي من أعمارنا ، ووفقنا لعمل صالح ترضي به وعنا وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ وَصَلِي اللَّهِ عَلِي مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

### ( فَصْلٌ )

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ وَقَدْ نَقَلَ النَّاسُ صِفَاتِ النَّبِيِّ ﷺ الطاهرة الدالة على كماله ونقلوا أخلاقه من حلمه وشجاعته وكرمه وزهده وغيره ونَحْنُ نَذَكُرُ بَعْضَ ذَلِكَ :

ففي الصحيحين عن البراء بن عازب قال : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ وَجْهًا وَأَحْسَنَهُمْ خَلْقًا لَيْسَ بِالطَّوِيلِ الْذَاهِبِ وَلَا بِالْقَصِيرِ وَعَنْهُ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعِيدَ مَا بَيْنَ الْمُنْكَبِينَ عَظِيمِ الْجَمَةِ إِلَى شَحْمَةِ أُذُنِيهِ عَلَيْهِ حَلَةٌ حُمْرَاءُ مَا رَأَيْتُ شَيْئًا قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ .

وفي البخاري وسئل البراءُ أَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِثْلَ السِّيفِ ؟ قَالَ : لَا بَلْ مِثْلَ الْقَمَرِ . وفي الصحيحين من حديث كعب بن مالك قال كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهَهُ حَتَّى كَأَنَّهُ فَلَقَةُ قَمَرٍ .

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك قال كَانَ رسول الله ﷺ ضخم الرأس والقدمين ولم أر قبله ولا بعده مثله وَكَانَ بسيط الكفين ضخم اليدين وسئل عن شعره فَقَالَ كَانَ شعراً رجلاً لَيْسَ بالجعد ولا بالسبط بين أذنيه وعاتقه .

وفي الصحيحين عن سماك بن حرب عن جابر بن سمرة قال كَانَ رسول الله ﷺ ضليع الفم أشكل العينين منهوس وفسرهما ابن سماك بن حرب فَقَالَ واسع الفم طويل شق العين قليل لحم العقب .

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك قال كَانَ رسول الله ﷺ لَيْسَ بالطويل البائن ولا بالأبيض الأبهق ولا بالأدم ولا بالجعد ولا بالسبط .

وفي الصحيحين عَنْهُ قال كَانَ رسول الله ﷺ أزهر اللون كأن عرقه اللؤلؤ إذا مشى تكفأ وما مسست ديباجة ولا حريرة ألين من كف رسول الله ﷺ وروي عن ابن عباس قال كَانَ رسول الله ﷺ أبلج الشيتين إذا تكلم رُويَ النور يَخْرُجُ من ثناياه .

وعن أنس قال دخل عَلَيْنَا رسول الله ﷺ فَقَالَ عندنا - أي نام - فعرق وجاءت أُمي بقارورة فجعلت تسلت العرق فيها فاستيقظ رسول الله ﷺ فَقَالَ يا أم سليم ما هَذَا الَّذِي تصنعين قَالَتْ هَذَا عرقك نجعله في طيبنا وإنه أطيب من الطيب أخرجاه .

وروي الدرامي عن جابر قَالَ : رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لا يسلك طريقاً فيتبعه أحدٌ إلا عرف أنه سلكه من طيب عرقه ﷺ .

وفي حديث أم معبد المشهور لما مر بها النَّبِيُّ ﷺ في الهجرة هُوَ وأبو بكر ومولاه ودليلهم وجَاءَ زوجها فَقَالَ صفيه لي يا أم معبد فَقَالَتْ رجل ظاهر الوضأة حلو المنطق فضل لا نزر ولا هذر كأن منطقهم خرزات نظم يتحدرن .

وذكر بعضهم زيادة علي هذا قال فيه :

في وصف أم معبد الخزاعية لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ قال أبو معبد لزوجته صفي لي صَاحِبَ قريش الَّذِي يطلب يا أم معبد قَالَتْ رَأَيْتِ رجلاً ظاهراً الوضأة - أي الحسن والنظافة مبتلج الوجه - أي مشرق ذو نور - .

حسن الخلق لم تعبته ثجلة - أي لَيْسَ بطنه ضخم - ولم تزر به صعلة - أي لَيْسَ رأسه صغير - وسيم - أي جميل معتدل القامة - في عينه دعيج - أي شدة سواد العين مَعَ سعتها - . وفي أشفاره وطف - كثرة شعر الحاجبين - وفي صوته صحل - صوته رخيم - أحور - شدة بياض العين في شدة سوادها - أطحل أزج - كَانَ عينه مكحولة وإن لم تكحل - دقيق الحاجبين في طول - أقرن - مقرون الحاجبين - شديد سواد الشعر في عنقه سطح - أي ارتفاع وطول وفي لحيته كثافة .

إذا صمت فعَلَيْهِ الوقار وإذا تكلم سما - أي ارتفع - وعلاه البهاء - الحسن والجمال وكأن منطقهم خرزات يتحدرن حلو المنطق فصل لا نزر ولا هذر - أي لا عِيَّ فيه ولا ثرثرة أجهر النَّاسَ وأجملهم من بعيد وأحلامهم وأحسنهم من قريب .

ربعة لا تشنؤه من طول ولا تقتحمه عين من قصر غصن بين غصنين فهو أنظر الثلاثة منظرًا وأحسنهم قدرًا له رفقاء يخلصون به إذا قال استمعوا لقوله وإذا أمر تبادروا إلي أمره محفود - أي يطيعه أصحابه مسرعين - محشود - يجتمعون حوله .

اللَّهُمَّ أَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَوَفَّقْنَا لِمَا وَفَّقْتَ لَهُ الصَّالِحِينَ مِنْ خَلْقِكَ وَاعْفُفْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .  
" قصة أبي أيوب الأنصاري "

أبو أيوب الأنصاري خالد بن زيد الأنصاري ، شهد بدرًا والعقبة وروي مائة وخمسين حديثًا ، ماتَ بأرض الروم غازيًا سنة ٥٢ هـ ودفن إلي أصل حصن بالقسطنطينية ، وله قصة يحلو ذكرها .

بعد ما تأمرت قريش بدار الندوة علي قتل رسول الله ﷺ وجاء جبريل عليه السلام إلي رسول الله ﷺ فأخبره بذلك وأمره أن لا ينام في مضجعه تلك الليلة .

وجاء رسول الله ﷺ إلي أبي بكر نصف النهار في ساعة لم يكن يأتيه فيها متقنعا فقال اخرج من عندك فقال إنما هم أهلك يا رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ إن الله قد أذن لي في الخروج فقال أبو بكر الصحبة يا رسول الله ، قال نعم فقال أبو بكر فخذ بأبي وأمي إحدى الراحلتين ، فقال بالثمن ، وأمر علياً رضي الله عنه أن يبيت تلك الليلة علي فراشه ﷺ .

ومضي رسول الله ﷺ إلي بيت أبي بكر فخرجا من خوخة في بيت أبي بكر ليلاً ، ومضي رسول الله ﷺ وأبو بكر إلي غار ثور ، فنسجت العنكبوت

علي بابيه ، وحام الحمام فوق الغار وجدت قريش في طلبهما وأخذوا معهم القافة حتى انتهوا إلى باب الغار ، فوقفوا عليه فلما رأوا الحمام فوقه والعنكبوت قد نسجت علي به استبعدوا ذلك جداً وأعمي الله بصائرهم وأبصارهم وفي ذلك يقول الشاعر :

وَمَا حَوَى الْغَارُ مِنْ خَيْرٍ وَمِنْ كَرَمٍ      وَكُلُّ طَرْفٍ مِنَ الْكُفَّارِ عَنْهُ عَمِي  
ظَنُّوا الْحَمَامَ وَظَنُّوا الْعَنْكَبُوتَ عَلَى      خَيْرِ الْبَرِيَّةِ لَمْ تَنْسَجْ وَلَمْ تَحْمِ  
وَقَايَةُ اللَّهِ أَعْنَتْ عَنْ مُضَاعَفَةٍ      مِنْ الدُّرُوعِ وَعَنْ عَالٍ مِنَ الْأُطْمِ

فَقَالَ أبو بكر : يَا رَسُولَ اللَّهِ لو أن أحدهم نظر إلي ما تحت قدميه لأبصرنا ، فَقَالَ ما ظنك باثنين الله ثالثهما ، لا تحزن إن الله معنا وكانا يسمعان كلامهم إلا أن الله عمي عليهما أمرهما إن الله علي كل شيء قدير .

بلغ النَّبِيُّ ﷺ الْمَدِينَةَ ، فتلقته قلوب أهلها بأكرم ما يتلقي به وافد ، وتطلعت إليه عيونهم تبثه شوق الحبيب إلي حبيبه ، وفتحوا له قلوبهم ليحل منها في سويدائها ، وأشرعوا له أبواب بيوتهم لينزل فيها أعز منزل ، فكأنوا يخرجون كل يوم إلي الحرة ينتظرونه ، فإذا اشتد حر الشمس رجعوا إلي منازلهم .

فَلَمَّا كَانَ يوم الاثنين ثاني عشر الأول علي رأس ثلاث عشرة سنة من نبوته ﷺ خرجوا علي عاداتهم فلما حميت الشمس رجعوا ، فصعد رجل من

اليهود علي أطم من آطام المَدِينَة فرآي رسول الله ﷺ وأصحابه مبيضين يزول بهمُ السراب ،  
فصرخ بأعلى صوته يا بني قيلة ، هَذَا صاحبكم هَذَا جدكم الَّذِي تنتظرونه .  
فثار الأنصار إلي السَّلاح ، ليتلقوا رسول الله ﷺ ، وسمعت الوجية والتكبير في بني عمرو وبن  
عوف وكبر المسلمون فرحاً وسُوراً بقدومه .

فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ركب فأدركته الْجُمُعَة في بني سالم ابن عوف فصلاها في المسجد الَّذِي في  
بطن الوادي ، فكانت أولَ جمعة صلاها بالمَدِينَة ، ثُمَّ ركب ناقته فجاءت سادات يثرب في  
طريقها كُلُّ يريد أن يظفر بشرف نزوله ﷺ عنده .

فأتاه عتبان بن مالك ، وعباس بن عباد بن نضلة في رجال من بني سالم بن عوف ، فَقَالُوا يَا  
رَسُولَ اللَّهِ أَقِمْ عِنْدَنَا فِي الْعَدَدِ وَالْعِدَّةِ وَالْمَنْعَةِ قَالَ ( خلوا سبيلها فإنها مأمورة ) فخلوا سبيل ناقته  
. ﷺ

فانطلقت حتى إذا وازنت دار بني بياضة تلقاه زياد بن لبيد وفروة بن عمرو ، في رجال من بني  
بياضة ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلُمَّ إِلَيْنَا إِلَى الْعَدَدِ وَالْعِدَّةِ وَالْمَنْعَةِ ، قَالَ ( خلوا سبيلها فإنها  
مأمورة ) فخلوا سبيلها .

فانطلقت حتى إذا وازنت دار بني الحرث بن الخزرج اعترضه ابنُ الربيع وخارجة بن زيد وعبد الله  
بن رواحة في رجال من بني الحرث

ابن الخزرج فقألوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلُمَّ إِلَيْنَا إِلَى الْعَدَدِ وَالْعِدَّةِ وَالْمَنْعَةِ قَالَ : « خَلُّوا سَبِيلَهَا فَإِنَّمَا مَأْمُورَةٌ » . فخللوا سبيلها .

فانطلقت حتى إذا مرت بدار بني عدي بن النجار وهم أخواله دنيا أم عبد المطلب سلمى بنت عمرو إحدى نسائهم اعترضها سليط بن قيس وأبو سليط أسيره ابن أبي خارجة في رجال من بني عدي ابن النجار فقألوا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلَى أَخْوَالِكَ إِلَى الْعَدَدِ وَالْعِدَّةِ وَالْمَنْعَةِ قَالَ : " خَلُّوا سَبِيلَهَا فَإِنَّمَا مَأْمُورَةٌ » . فخللوا سبيلها .

فانطلقت حتى إذا أتت دار بني مالك ابن النجار بركت علي باب مسجده ﷺ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ مُرِيدٌ - الموضع الَّذِي يَجْفَفُ فِيهِ التَّمْرُ - لِعِلاَمِينَ يَتِيمِينَ مِنْ بَنِي النَّجَارِ ثُمَّ مِنْ بَنِي مَالِكِ ابْنِ النَّجَارِ فِي حِجْرِ مَعَاذِ بْنِ عَفْرَاءَ :

سهل وسهيل ابني عمرو فلكمًا بركت ورسول الله ﷺ عَلَيْهَا لَمْ يَنْزَلْ وَتَبَّتْ فِسَارَتُ غَيْرِ بَعِيدٍ وَرَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَاضِعٌ لَهَا زَمَامَهَا لَا يَثْنِيهَا بِهِ .

ثُمَّ التَّفْتُ إِلَى خَلْفِهَا فَرَجَعْتُ إِلَى مَبْرَكِهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ فَبَرَكْتُ فِيهِ ثُمَّ تَحَلَّحْتُ - أَي تَحَرَّكْتُ - وَرَزَمْتُ - أَي رَغْتُ وَرَجَعْتُ فِي رِغَائِهَا وَوَضَعْتُ جِرَانَهَا فَنَزَلَ عَنْهَا ﷺ .

فاحتمل أبو أيوب الأنصاري رحل النَّبِيِّ ﷺ وَكَأَنَّمَا يَحْمِلُ كَنْوَزَ الدُّنْيَا مِنْ شِدَّةِ الْفَرْحِ وَالسَّرُورِ وَبَادَرَ أَبُو أَيُوبٍ يَرْحُبُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ أَبُو أَيُوبٍ لَمَّا نَزَلَ عَلَيَّ رَسُولُ ﷺ فِي بَيْتِي نَزَلَ فِي السَّفَلِ وَأَنَا وَأُمُّ أَيُوبٍ فِي الْعُلُوِّ فَقُلْتُ لَهُ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي إِنِّي لَا أَكْرَهُ وَأَعْظَمُ أَنْ أَكُونَ



فوقك وتكون تحتي فإظهر أنت فكن في العلو ونزل نحن فكن في السفلى .  
 فَقَالَ يَا أبا أيوب ارفق بنا وبمن يغشائنا أن نكون في سفلى البيت قال فكان رسول الله ρ في  
 سفله وكنا فوقه في المسكن فلقد انكسر حب لنا فيه ماء فقامت أنا وأم أيوب بقطيفة لنا ما لنا  
 لحاف غيرها ننشف بها الماء خوفاً أن يقطر علي رسول الله ρ منه شيء فيؤذيه .  
 قال وكنا نصنع له العشاء ونبعث به إليه فإذا رد علينا فضلة تيممت أنا وأم أيوب موضع يده  
 فأكلنا منه نبتغي بذلك البركة حتى إذا بعثنا إليه ليلة بعشائه وقد جعلنا له فيه بصلاً أو ثوماً  
 فرده رسول الله ρ ولم أر ليده فيه أثراً قال فجئته فرعاً فقلت يا رسول الله بأبي وأمي رددت  
 عشاءك ولم أر فيه موضع يدك وكنت إذا رددته علينا تيممت أنا وأم أيوب موضع يدك نبتغي  
 بذلك البركة قال إني وجدت فيه ريح هذه الشجرة وأنا رجل أناجي فأما أنتم فكلوه قال  
 فأكلناه ولم نصنع له تلك الشجرة بعد .

شعراً:

إلى مولاك سلم كل أمر	تفرز في كل صبح أو عشي
وصن منك الفؤاد بحسن سير	بإخلاص على النهج السوي
ومن مولاك أطلب منح فضل	تنل منه صفا العيش الهني
وأكثر من صلاتك مع سلام	على اسمي نبي هاشمي
صلاة الله يتلوها سلام	عليه دام كالمسك الزكي

اللهم اجعلنا من المتقين الأبرار وأسكننا معهم في دار القرار ، اللهم وفقنا بحسن الإقبال عليك  
 والإصغاء إليك للتعاون في طاعتك والمبادرة إلي خدمتك وحسن الآداب في معاملتك والتسليم  
 لأمرك والرضا

بقضائك والصبر علي بلائِكَ وَالشُّكْرَ لنعمائك ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

### " موعظة "

عِبَادَ اللهِ إِنَّ الْإِنْسَانَ مَنَا كَمَا عَلَّمْتُمْ مَعْرُضٌ لِلْأَذَى وَالْإِسَاءَةِ وَالْإِهَانَةِ وَعَرُضٌ لِلْأَخْطَارِ ، وَالْمَهْلَكَاتِ ، فَمَنْحَهُ اللهُ قُوَّةً يَدْفَعُ بِهَا الْإِهَانَةَ ، وَيَدْفَعُ بِهَا الْخَطَرَ ، وَيَنْجُو بِهَا بِإِذْنِ اللهِ مِنَ الْهَلَاكِ ، هِيَ قُوَّةُ الْعُضْبِ وَالْحَمِيَّةِ .

وَحَلَقَ الْعُضْبُ مِنَ النَّارِ ، فَتَسَلَطَ الشَّيْطَانُ عَلَيْنَا مِنْ هَذَا الطَّرِيقِ وَرَكَبْنَا وَقْتُ الْعُضْبِ ، حَتَّى صَارَ النَّاسُ فِي غَضَبِهِمْ حَمَقِي مَتَهَوْرِينَ ، وَسَفَهَاءَ طَائِشِينَ .

فَكِرَةَ النَّاسِ الْعُضْبُ لِلذِّكِّ ، وَاصْطَلَحُوا عَلَي ذَمِّهِ مُطْلَقًا ، وَهَذَا خَطَأٌ فَظِيحٌ وَخَلَطَ لَا يَجُوزُ ، فَلَيْسَ كُلُّ غَضَبٍ مَذْمُومٌ وَلَا كُلُّ حَلْمٍ بِمَمْدُوحٍ ، وَاللهُ جَلَّ وَعَلَا لَا يَخْلُقُ لَنَا طَبْعًا إِلَّا الْحِكْمَةَ ، وَلَا يَرْكَبُ فِينَا قُوَّةَ الْحَمِيَّةِ وَالْعُضْبِ إِلَّا لِسَبَبٍ وَحِكْمَةٍ .

فَالْأَذَى إِذَا جَاءَنَا لَا يَدْفَعُ إِلَّا بِالْعُضْبِ ، وَالشَّرُّ إِذَا نَالَنا لَا يَدْفَعُ إِلَّا بِالْعُضْبِ ، وَحِمَايَةُ الدِّينِ وَالْأَعْرَاضِ وَالشَّرْفِ لَا تَدْفَعُ إِلَّا بِالْعُضْبِ ، فَمَنْ فَقَدَ قُوَّةَ الْعُضْبِ بِالْكُلِّيَّةِ ، أَوْ ضَعَفَتْ فِيهِ الْحَمِيَّةُ فَهُوَ نَاقِصٌ مَحْلُولُ الْعِزْمِ ، مَفْقُودُ الْحِزْمِ ، مَعْدُومُ الرَّجُولَةِ .

وَقَدْ أَمْتَدَحَ اللهُ غَضَبَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَي الْكُفَّارِ ، وَحَمِيَّتَهُمُ الدِّينِيَّةَ ، لِمَا لَهُ مِنْ أَثَرٍ فِي إِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللهِ ، فَقَالَ تَعَالَى ﴿ أَشِدَّاءُ عَلَي الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ .

وَقَالَ " أَذَلَّةٌ عَلَيَّ الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَيَّ الْكَافِرِينَ " وَقَالَ " وليجدوا فيكم غلظة " وأمرنا بالعُضْبُ إذا انتهكت حرمة الدين ، والغيرة علي حدود الله ، فَقَالَ فِي الزناة " وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهَمَّا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ » .

فمن فَقَدَ قُوَّةَ الْعُضْبِ ، يصبح جباناً ضعيفاً ، وذليلاً حقيراً لا يأنف من العار ولا يهمله ، ولا يتألم لأذى السفهاء ، يتناول السفهاء والفسقة علي حرمة ، فلا يغار لعرض ، ولا يغضب لشرف ، فيكون تيسراً في صورة إنسان ، وجماداً لا إحساس له ، ولا شعور .

وَلَيْسَ الْحِلْمُ فِي شَيْءٍ ، وإنما هُوَ جبن وخور وذلة وقد ورد عن النَّبِيِّ ﷺ أنه قال لن يدخل الجنة ديوث ، قَالُوا وما الديوث يا رَسُولَ اللَّهِ قال الَّذِي لا يغار علي أهله .

وَقَالَ سَعْدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لو وجدت مَعَ أهلي رجلاً أمهله حتى آتي بأربعة شهداء فَقَالَ نعم ، فَقَالَ كَلا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ ، إِنْ كُنْتَ لِأَعَاجِلَهُ بِالسَّيْفِ قَبْلَ ذَلِكَ ، فَقَالَ ﷺ اسمعوا إلى ما يَقُولُ سيدكم ، إنه لغيور وأنا أغير منه والله أغير مني .

وإذا لم يغضب الإنسان لعرضه ضاعت الأنساب واختلطت الأولاد ، وكل أمة تموت الغيرة فيهم لا بد وأن تضيع العفة ، والصيانة من نساءها ، وهذا هُوَ الضعف والخور والعجز ، والجبن ، الَّذِي استعاذ منه النَّبِيُّ ﷺ ، وكيف تدم رجلاً يغضب لدينه ، إذا رأى المنكرات ، وقد أمر بمحاربتها وكيف يصلح المرء عيوب نفسه إذا لم يغضب عَلَيْهَا ، ويشتد في ردها عن هواها .

أما العُضْب المذموم فهو الَّذِي يعمي صاحبه عن الحق ، ويفقده بصر البصيرة ، والفكر فتأخذه العزّة بالإثم ، ويعرض عن النصح إذا نصح ، وَرُبَّمَا زَادَ هيجاناً ، وإذا روجع فيقولُ ازداد سخطاً ولجاجاً .

وقد يحدث منه ضرر علي من حوله ، وتجدّه متغيراً لونه ، مرتعشة أعضاؤه ، زائغاً بصره ، وكالأعمى يسب الجماد والحَيَوَان ، وييطش بكل ما يصادفه ، حتى إنه يتلف الأثاث ، والرياش ، وَرُبَّمَا لا يشفي غله ، وقد يحدث منه طلاق ، ولعن وسب ، وشتم ، فهذا غضب مذموم قبيح مرذول ينتصر فيه إبليسُ علي هذا الَّذِي لا يملك نفسه عند العُضْب كما قيل :

وَمَا غَضِبُ الْإِنْسَانَ إِلَّا حَمَاقَةً إِذَا كَانَ فِيمَا لَيْسَ لِلَّهِ يَغْضَبُ

ومثل هذا العُضْب يهدم الجسم ، ويتلف الصحة ، ويحرم صاحبه الرّاحة والهناء ويجعل نظرتَه إلى الحياة مظلمة سوداء فالتفريط في العُضْب ضعف ، والإفراط تهور وجنون ، والمحمود منه الوسط والاعتدال والقصد المحمود منه أن يكون غضبك للدين فإذا اعتدي قوم علي الإسلام بالطعن والتشهير أو التشكيك في العقائد كما يحاول الملحدون وكما يفعل المبشرون فيجب أن تغضب عليهم انتصاراً لديننا ودفاعاً عن شرعنا.

ومن العُضْب المحمود العُضْب علي من تعدي علي بلاد إسلامية أو تعدي علي مسلم أو مدح غير الدين الإسلامي أو ذكر الله أو كتابه أو ملائكته أو رسله بسوء أو سب صحابياً أو إماماً مشهوراً بالتقي والورع

والاستقامة أو طعن في رجال الدين لأجل دينهم أو كذب علي الله أو علي رسله أو حل شيئاً من المحرمات أو حرم شيئاً مما حلله الله أو استهان بكتاب الله أو سنة رسوله  $\rho$  أو كُتِبَ أَهْلُ العلم المحققين مثل الإمام أحمد والشافعي ومالك وأبي حنيفة والموفق والمجد وابن أبي عمير وشيخ الإسلام وابن القيم وابن كثير وابن رجب وابن مفلح ونحوهم من العلماء المشهورين بالاستقامة والبعد عن البدع وكأئمة الدعوة .

ومن العَصَبِ المحمود العَصَبُ علي من مدح الكفرة والمنافقين وأئمة الضلال والحيارى كابن عريّ وابن رشد والفارابي وابن سينا وابن كلاب والعميق التلمساني وابن سبعين وابن الفارض وابن الرواندي والكوثري والبوصيري والمعري ونحو هؤلاء من الملاحدة والزنادقة والمبتدعة والفسقة والظلمة وأعوانهم .

ومن العَصَبِ المحمود العَصَبُ علي من ابتدع في الدين بدعاً أو نشرها أو دعا إليها أو مدح محلليها أو مدح الكفار أو مدح الملاحية والمنكرات التي حطمت الأخلاق وقضت عليها وأتلفت الأموال وقتلت الأوقات وأورثت الخلق أفانين العداوات وأحدثت التفرق في البيوت والقلوب .

شِعْراً :

( إِنَّ الْمَلَاهِي أَلْفَتْ بَيْنَنَا إِحْنًا      وَأُورَثْنَا أَفَانِينَ الْعَدَوَاتِ )  
( وَهَلْ أُصِيبَ شَبَابُ الْيَوْمِ وَانْحَرْفُوا      إِلَّا بِتَقْلِيدِ أَصْحَابِ الضَّلَالَاتِ )

( مِنْ كُلِّ أَهْوَجٍ لَا دِينَ وَلَا أَدَبٍ      وَلَا حَيَاءٍ وَمَعْدُومِ الْمُرُؤَاتِ )  
 ( يَرِي التَّمَدُّنَ فِي تَطْوِيلِ شَارِبِهِ      وَحَلَقِ لِحِيَّتِهِ مِثْلَ الْخَوَاجَاتِ )  
 ( يُقَلِّدُ الْكُفْرَ فِي تَطْوِيلِ أَظْفَرِهِ      أَفْبَحَ بِهِ مِنْ سَفِيهِ سَاقِطِ عَاتِ )

اللَّهُمَّ قَوِي إِيمَانَنَا بِكَ وَمَمْلَأْتِكُتْكَ وَبِكِتَابِكَ وَبِرِسْلِكَ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ اللَّهُمَّ  
 وَفَقْنَا لِلْهُدَايَةِ وَجَنَبْنَا أَسْبَابَ الْجَهَالَةِ وَالْغَوَايَةَ اللَّهُمَّ ثَبَتْنَا عَلَيِ الْإِسْلَامِ وَالسَّيِّئَةِ وَلَا تَزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ  
 إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ  
 الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَي مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ  
 أَجْمَعِينَ .

### ( فَصْلٌ )

ومن وفائه ρ ما أخرجه البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت ما غرت علي  
 أحد من نساء النبي ρ ما غرت علي خديجة وما رأيتها ولكن كان النبي ρ يكثر ذكرها .  
 وَرَبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ ثُمَّ يَقْطَعُهَا أَغْضَاءَ ثُمَّ يَبِيعُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ فَرَبَّمَا قُلْتُ لَهُ كَأَن لَمْ يَكُنْ فِي  
 الدُّنْيَا امْرَأَةٌ إِلَّا خَدِيجَةُ فَيَقُولُ إِنَّهَا كَانَتْ وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ ، كَانَتْ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِي  
 الْجَاهِلِيَّةِ سَيِّدَةً وَقَوْرَةً ذَاتَ عَقْلٍ رَزِينَةً وَصَاحِبَةَ مَالٍ وَيَسَارَ وَجَاهٍ وَشَرَفٍ تَسْتَأْجِرُ الرِّجَالَ فِي  
 مَالِهَا وَتَضَارِبُهُمْ إِيَّاهُ .

فَلَمَّا وَقَعَ فِي سَمْعِهَا مَا يَتَحَدَّثُ بِهِ النَّاسُ وَيَتَنَاقَلُهُ الْعَارِفُونَ عَنِ الْمُصْطَفِيِّ  $\rho$  مِنَ الْوَفَاءِ وَالصِّدْقِ وَالْأَمَانَةِ وَالنَّصْحِ وَحَسَنِ السَّيْرِ وَكِرِيمِ الشَّمَائِلِ وَالسَّخَاءِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَمَحَاسِنِ الشَّيْمِ مَا لَمْ تَسْمَعْهُ عَنْ غَيْرِهِ حَتَّى سَمَاهُ قَوْمَهُ الْأَمِينَ اسْتَأْجَرْتَهُ لِيُخْرِجَ فِي مَالِهَا تَاجِرًا وَتُعْطِيَهُ أَفْضَلَ مَا كَانَتْ تُعْطِيهِ غَيْرَهُ .

فَسَافَرَ عَلَيْهِ أَفْضَلَ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ بِقَصْدِ الْإِتِّجَارِ إِلَى الشَّامِ يَصْحَبُهُ غَلَامُهَا مَيْسِرَةَ فَبَاعَا وَابْتَاعَا وَرَبِحَا رِبْحًا عَظِيمًا وَظَهَرَ لَهُ  $\rho$  فِي هَذِهِ السَّفَرَةِ مِنَ الْبَرَكَاتِ وَإِفَاضَةِ الْخَيْرَاتِ الشَّيْءِ الْكَثِيرِ وَجَعَلَ اللَّهُ حُبَّهُ فِي قَلْبِ غَلَامِهَا مَيْسِرَةَ وَأَعْجَبَ بِمَا شَاهَدَهُ مِنْهُ .

وَكَانَتْ سَنُهُ  $\rho$  فِي هَذِهِ السَّفَرَةِ خَمْسًا وَعِشْرِينَ سَنَةً وَهِيَ السَّفَرَةُ الثَّانِيَّةُ مِنْ أَسْفَارِهِ إِلَى الشَّامِ وَمَا رَجَعَ قَافِلًا مِنَ الشَّامِ وَقَدِمَ مَكَّةَ وَرَأَتْ خَدِيجَةَ مَا وَفَّقَهُ اللَّهُ لَهُ مِنْ رِيحٍ كَانَتْ عَلِيٌّ يَدِيهِ وَبَرَكَاتٍ وَفِيْرَةٍ .

وَمَا أَتَحَفَّأَ بِهِنَّ غَلَامُهَا مَيْسِرَةَ مِمَّا شَاهَدَهُ مِنْ حَسَنِ سَيْرَتِهِ وَمَا جَعَلَ اللَّهُ عَلِيٌّ يَدِيهِ مِنَ الْبَرَكَاتِ كُلِّ ذَلِكَ حَفْزَهُ فِي نَفْسِ خَدِيجَةَ وَحُبِّهِ إِلَيْهَا فَلَمْ تَتَمَالَكْ نَفْسُهَا وَكَانَتْ سَنُهَا نَحْوَ الْأَرْبَعِينَ سَنَةً وَهِيَ كَمَا وَصَفْنَا وَأَضْعَافُ مَا وَصَفْنَا مِنْ كِرَامَةِ مُحْتَدِهَا وَشَرَفِ حَسْبِهَا وَحَسَنِ سَيْرَتِهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

فَأَرْسَلَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ  $\rho$  تَخَطَّبَتْ لِنَفْسِهَا فَقَامَ  $\rho$  يَنْجِزُ رَغْبَتَهَا وَيَجِيبُ طَلِبَتَهَا وَاسْتَدْعَى أَعْمَامَهُ حَتَّى دَخَلَهَا عَلِيٌّ عَمُّهُ بَنُ أَسَدٍ فَخَطَبَهَا مِنْهُ بِوَأَسْطَةِ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ فَزَوَّجَهَا عَمُّهَا .  
ثُمَّ قَامَ أَبُو طَالِبٍ عَمُّ رَسُولِ اللَّهِ  $\rho$  خَطِيبًا فَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَنَا

من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل وضئضي معد وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتاً محجوباً وحرماً آمناً وجعلنا حكام الناس .

ثُمَّ إِنَّ ابْنَ أَخِي هَذَا مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ لَا يُوزَنُ بِهِ رَجُلٌ شَرَفًا وَنُبْلًا وَفَضْلًا وَإِنْ كَانَ فِي الْمَالِ قَلٌّ فَإِنَّ الْمَالَ ظِلٌّ زَائِلٌ وَأَمْرٌ حَائِلٌ وَعَارِيَةٌ مُسْتَرْدَةٌ وَهُوَ وَاللَّهُ بَعْدَ هَذَا لَهُ نَبَأٌ عَظِيمٌ وَخَطَرٌ جَلِيلٌ وَقَدْ خُطِبَ إِلَيْكُمْ رَغْبَةً فِي كَرِيمَتِكُمْ خَدِيجَةٌ وَقَدْ بَدَلَ لَهَا مِنَ الصَّدَاقِ كَذَا وَعَلِيٌّ ذَلِكَ تَمَّ الْأَمْرُ .  
ولما أكرمه الله بالرسالة وشرفه بالنبوة كانت خديجة رضي الله عنها أسرع الناس به إيماناً ولدعوته تصديقاً وله إجابة ولم تنتظره آيةٌ أخرى زيادة علي ما علمته من مكارم أخلاقه ρ وما سمعت من خوارق العادات التي كانت تظهر علي يديه .

وأول شيءٍ بديء به الوحي الرؤيا الصادقة فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حُبب إليه الخلاء والعزلة عن البشر فكان يخلو بغار حراء فيتعبد فيه الليالي ذوات العدد فتارة يمكث عشرة وتارة أكثر إلي شهر .

وكانت عبادته إذ ذاك علي الشريعة الحنيفية دين أبيه إبراهيم عليه السلام ويأخذ زاده فإذا نفذ رجع إلي خديجة فيتزود لمثلها حتى جاء مبلغ الوحي وملك السماء جبريل عليه السلام فبينما هو قائم علي الجبل إذ فاجأه جبريل وقال أبشر يا محمد أنا جبريل وأنت رسول الله إلي هذه الأمة .

ثُمَّ قَالَ لَهُ اقْرَأْ قَالَ مَا أَنَا بِقَارِيءٍ يَرِيدُ بِذَلِكَ أَنَّهُ أُمِّي لَمْ يَتَعَلَّمِ الْقِرَاءَةَ مِنْ قَبْلِ فَعَطَهُ بِالنَّمَطِ الَّذِي كَانَ يَنَامُ عَلَيْهِ حَتَّى بَلَغَ مِنْهُ الْجُهْدُ ثُمَّ أَرْسَلَهُ فَقَالَ لَهُ اقْرَأْ قَالَ مَا أَنَا بِقَارِيءٍ فَأَخَذَهُ فَعَطَهُ ثَانِيَةً ثُمَّ أَرْسَلَهُ فَقَالَ اقْرَأْ قَالَ مَا أَنَا



بقارئ فأخذه فغظه الثالثة فَقَالَ " اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ، اقْرَأْ  
وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ "

فرجع عَلَيْهِ السَّلَامُ مذعوراً خائفاً يرجف فؤاده ولا يتمالك نفسه من هول المنظر وشدة ما ألم  
به فدخل علي خديجة زوجته فَقَالَ " زملوني زملوني " لفوني في ثوبي ، ليزول عنه ما يجد من  
الرعب والقشعريرة التي انتابته من رؤية الملك فزملوه حتى ذهب عنه الخوف .

فذكر لخديجة الأمر وأخبرها قائلاً لَقَدْ خشيت علي نفسي من شدة ما أصابني من غط الملك  
لي ولم يكن عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ يعرف شيئاً عن جبريل ووصفه وأشكاله ، فأجابته خديجة  
رَضِيَ اللهُ عَنْهَا علي الفور ووقفت ذَلِكَ الموقف المشرف في تثبيت فؤاده وتهدئة أعصابه وتقوية  
دواعي الأمل فيه قائلة كلا وَاللَّهِ لا يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب  
المعدوم وتقري الضيف وتعين علي نوائب الحق فلا يسلط الله عَلَيْكَ الشياطين والأوهام ولا مرء  
أن الله اختارك لهداية قومك .

ثُمَّ لم تكنف بهذا القدر من القول بل أرادت أن تتبَّتْ ممن هُمَّ علم بحال الرسل واطلاع علي  
أخبارهم بما قرؤوه في الكتب القديمة فانطلقت به إلي ورقة بن نوفل وَهُوَ ابن عمها وَكَانَ امرأً قَدْ  
تنصر في الجاهلية وَكَانَ يكتب الْكِتَابَ العبراني فيكتب من الإنجيل ما شاء الله أن يكتب وَكَانَ  
شيخاً كبيراً قَدْ عمي .

فَقَالَتْ له خديجة يا ابن عم اسمع من ابن أخيك فَقَالَ يا ابن أخي ماذا تري فأخبره عَلَيْهِ  
الصَّلَاةُ والسَّلَامُ خبر ما رأي فَقَالَ له ورقة هَذَا الناموس الَّذِي

أنزل الله علي موسى لأنه يعرف أن واسطة الوحي بين الله وبين أنبيائه هو جبريل عليه السلام .  
 ثم قال يا ليتني فيها جذعاً إذ يخرجك قومك من بلادك التي نشأت بها لمعادتهم إياك وكرهتهم  
 لك حينما تطالبهم بتغيير اعتقادهم التي وجدوا عليها آباءهم فكان قول ورقة موضع استغراب  
 النبي ﷺ لما يعرفه من حب قومه له لاتصافه بصدق الحديث والأمانة ومكارم الأخلاق حتى  
 سموه الأمين .

وقال أو مخرجي هم قال لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي علي حد ما جاء في  
 القرآن الكريم ﴿ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ ﴾ وقوله : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ  
 أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا ﴾ وقولهم : ﴿ أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ ﴾ .  
 ثم قال ورقة مستأنفاً : وإن يدركني يومك انصرك نصراً مؤزراً ثم توفي ورقة بعدها بقليل : قال  
 وهذا نموذج من مناقب أمنا وأم المؤمنين خديجة وموافقها إزاء ما كان يحدث للنبي ﷺ .  
 ولذا كان ﷺ يبادلها الوفاء والإخلاص وكان يحنو ويديم ذكرها بعد موتها اللهم صلي وسلم  
 عليه .

وكان ﷺ يكثر ذكرها وزمما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء ثم يبعثها في صدائق خديجة وهذا يشعر  
 ببقاء ودها واستمرار حبه لها وإخلاصه حتى كان يتعهد صديقاتها بالإهداء والعطاء بعد موتها .  
 ولذا قالت عائشة رضي الله عنها ما غرت علي أحد من نساء النبي ﷺ ما غرت علي خديجة  
 وما رأيتها وفي حديث رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها

قَالَتْ : استأذنت هالة بنت خويلد أخت خديجة علي رسول الله ﷺ فعرف استئذان خديجة فارتاع لذلك فَقَالَ اللَّهُمَّ هالة قَالَتْ : فغرت . . . الْحَدِيث .

وفي الاستيعاب لأبي عمر ج ص ١٨١٠ بسنده إلى عائشة قَالَتْ : جاءت عجوز إلي النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ لها من أَنْتَ قَالَتْ أَنَا جثامة المزنية : قال بل أَنْتَ حسانة المزنية : كيف حالكم كيف كنتم بعدنا قَالَتْ بِخَيْرٍ بِأبي أَنْتَ وأمي يَا رَسُولَ اللَّهِ .

فَلَمَّا خرجت قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ تقبل علي هذه العجوز هَذَا الإقبال قال إنها كانت تأتينا أيام خديجة وإن حسن العهد من الإيمان : مقابلة طيبة وملاطفة جميلة وتودد محمود ووفاء من النَّبِيِّ ﷺ لزوجته خديجة التي ماتت وطالما أيدته وخففت عنه وسلته وعاشرته وتبادل هو وإياها المودَّة ولم تكدر خاطره ولا مرة واحدة عكس ما عَلَيْهِ زوجات هَذَا الجيل المنحرف إلا النادرة .

وأَخْرَجَ أبو داود ج ٢ ص ٦٣ أن عمر بن السائب حدثه أنه بلغه أن رسول الله ﷺ كَانَ جالِساً يَوْمًا فأقبل أبوه من الرضاعة فوضع له بعض ثوبه فقعد عَلَيْهِ ثُمَّ أقبلت أمه فوضع لها نصف ثوبه من جانبه الآخر فجلست عَلَيْهِ ثُمَّ أقبل أخوه من الرضاعة فقام له رسول الله ﷺ فأجلسه بين يديها .

وَعِنْدَ أَحْمَدَ من حديث مسروق عن عائشة : آمنت بي إذ كفر بي النَّاسُ وصدقني إذ كذبني النَّاسُ وواستني إذ حرمني النَّاسُ ورزقني الله ولدها إذ حرمني أولاد النساء وَكَانَ جَمِيعَ أولاده عَلَيْهِ السَّلَامُ منها عدا إبراهيم فإنه من مارية القبطية وتوفيت خديجة قبل الهجرة بثلاث سنين وحزن عَلَيْهَا ﷺ حزنًا

شديداً لما كَانَ لها من الأعمال النبيلة والوفاء التام والتأييد له وتثبيته ولما لها من آراء سديدة .  
ومنها القاسم الَّذِي كَانَ يَكْنِي به وسائر ولده إبراهيم وبوفاتها انطفأ مصباح منير وعون كبير  
ليتمثل النساء بأعمالها في حسن الوفاء والإخلاص والصدق والبر فإنها امرأة ولكنها خَيْر من  
آلاف الرِّجَال وفي مثلها وأشباهها لو يُوَجَدَ حسن التمثيل يُقُولُ المتني :

( وَلَوْ كَانَ النِّسَاءُ كَمَنْ فَقَدْنَا لَفُضِّلَتِ النِّسَاءُ عَلَى الرِّجَالِ )

ولهذا استحققت أجر العاملين وثواب المخلصين وجاءتها البشارة من رب السماء علي لسان  
جبريل الأمين قائلاً " يَا رَسُولَ اللَّهِ هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب  
شك من الراوي " وَذَلِكَ عِنْدَمَا كَانَ فِي غَارِ حِرَاءٍ فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا  
ومني وبشرها بيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب "  
فَقَالَتْ هُوَ السَّلَامُ وَمِنْهُ السَّلَامُ وَعَلِي جَبْرِيلُ السَّلَامُ وَعَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ  
وبركاته .

رَأَتْ خَدِيجَةَ إِنْسَانًا تُصَاحِبُهُ	عِنَايَةَ اللَّهِ رَغَمَ الْفَقْرِ وَالْيَتِيمِ
فَاخْتَارَتْ الْمُصْطَفَى زَوْجًا لَهَا وَلَقَدْ	وَفِيَّ لَهَا الْمُصْطَفَى الْمُخْتَارُ بِالذَّمِّ
يُشْنِي عَلَيْهَا وَلَا يَنْسَى فَضَائِلَهَا	مِثْلُ اسْتِجَابَتِهَا فِي لَأٍ وَفِي نَعَمِ
أَوْلَادُهُ غَيْرُ إِبْرَاهِيمَ سَيِّئُهُمْ	أَتَوْهُ مِنْهَا وَنُورُ الشَّمْسِ فِي النَّجْمِ
آخِر: لَقَدْ سَمِعْنَا بِأَوْصَافٍ لَكُمْ حَسَنَاتٍ	فَسَرَرْنَا مَا سَمِعْنَا وَأَرْضَانَا
مِنْ قَبْلِ رُؤْيَيْكُمْ نَلْنَا مَحَبَّتَكُمْ	وَالْأَذُنُ تَعَشِقُ قَبْلَ الْعَيْنِ أَحْيَانَا

" موعظة "

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ شَأْنَ الصَّلَاةِ عَظِيمٌ جَدًّا فِي دِينِنَا مَعِشَرُ الْمُسْلِمِينَ وَفِي كُلِّ دِينٍ وَأَسْرَارُهَا الْعَظِيمَةُ  
وبركاتها العظيمة وفوائدها الكثيرة لا تحفي علي كثير من الْمُؤْمِنِينَ .

وَلَيْسَتْ الصَّلَاةُ مجرد أقوال يلوكها اللسان وحركات تؤديها الجوارح بلا تدبر من عقل ولا تفهم ولا خشوع من قلب لَيْسَتْ تلك التي ينقرها صاحبها نقر الديكة ويخطفها خطف الغراب ويمر بها مر السحاب كأن وراءه طالب حثيث ويلتفت فيها التفات الثعلب يميناً وشمالاً وفوقاً وتحتاً .  
كلا فالصَّلَاةُ المقامة تماماً هِيَ التي تأخذ حقها من التأمل والخشية والخضوع والسكون واستحضار عظمة المعبود جل جلاله .

وَذَلِكَ أن القصد من الصَّلَاةِ وسائر العبادات هُوَ تذكير الإنسان بربه الأعلى الَّذِي خلق فسوي والَّذِي قدر فهدى .

والصَّلَاةُ صلة بين العَبْدِ وربه تقوي بها محبة العَبْدِ لربه كُلَّمَا تكررت قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ فَإِن المحب يتلذذ بخدمة محبوبه وتصرفه في طاعته وكُلَّمَا كانت المحبة أقوى كانت لذة الطاعة والخدمة أكمل فليزن العَبْدُ إيمانه ومحبتة بهذا الميزان ولينظر هل هُوَ ملتذ بخدمة محبوبه أو

متكره لها يأتي بها علي السامة والملل والكرهه فهذا محك إيمان العبد ومحبه لله .  
 قال بعض السلف إني أدخل في الصلّاة فأحمل هم خروجي منها ويضيق صدري إذا فرغت  
 لأني خارج منها ولهذا قال النبي  $\rho$  وجعلت قرت عيني في الصلّاة ومن كانت قرّة عينه في شيء  
 فإنه لا يود أن يفارقه ولا يخرج منه فإن قرّة عين العبد نعيمه وطيب حياته به  
 وقال بعض السلف إني لأفرح بالليل حين يقبل لما تتلذذ به عيشتي وتقر به عيني من مناجاة من  
 أحب وخلوتي بخدمته والتدلل بين يديه واغتم للفجر إذا طلع لما اشتغل به النهار عن ذلك فلا  
 شيء ألد للمحب من خدمة محبوبه وطاعته أين هؤلاء ممن لذتهم وأنسهم عند المنكرات .  
 وقال بعضهم تعذبت بالصلّاة عشرين سنة ثم تنعمت بها عشرين سنة وهذه اللذة والتنعم  
 بالخدمة إنما تحصل بالمصابرة علي التكره والتعب أولاً فإذا صبر عليّه وصدق في صبره أفضي به  
 إلي هذه اللذة .

وقال أبو زيد سقت نفسي إلي الله وهي تبكي فما زلت أسوقها حتى انساقت إليه وهي  
 تضحك أ ه .

وقال الله تعالى " وأقم الصلّاة لذكري "

وقال  $\rho$  إنما فرضت الصلّاة وأمر بالحج وأشعرت المناسك لإقامة ذكر الله رواه أبو داود ولهذا  
 كانت عنوان علي الفلاح قال تعالى " إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام  
 الصلّاة "

والمراد بعمارتها بالصلاة والقربات وَقَالَ ρ : « إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان » . فإن الله يَقُولُ : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ آمَنِ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ ۚ ﴾ .

وجاء ذكر الصلاة في القرآن في مواضع كثيرة وأثني جَلَّ وَعَلَا علي المقيمين لها والمحافظين عَلَيْهَا وأخبر أنها تنهي عن الفحشاء والمنكر ومن دعاء الخليل عَلَيْهِ السَّلَام أنه يسأل ربه أن يجعله مقيماً لها قال تَعَالَى : ﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ۚ ﴾ .

ومدح بها إسماعيل قال تَعَالَى ﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴾ وأمر جَلَّ وَعَلَا موسى بإقامتها أول ما يأمره به في ساعات الوحي الأولي قال تَعَالَى : ﴿ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى \* إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ وَقَالَ له ولهارون ﴿ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ۚ ﴾ .

وفي وصية لقمان لابنه يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر... الآية وينطق الله عيسى وَهُوَ فِي مَهْدِهِ فَيَقُولُ " وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾

ويأمر الله بها صفوة خلقه وخاتم أنبيائه فَيَقُولُ جَلَّ وَعَلَا ﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ " وَيَقُولُ جَلَّ وَعَلَا وتقدس ﴾ وَأَمُرُ أَهْلِكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۚ ﴾ .

ويبتدئ بها أوصاف المؤمنين ويختتم بها فَيَقُولُ سُبْحَانَهُ وتعالى " قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ، الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ " الآيات إلي قوله ﴿ وَالَّذِينَ

هُم عَلَي صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿١٠﴾

ويؤكد المحافظة عَلَيْهَا حضراً وسفراً وفي الأمن والخوف والسلام والحرب ﴿١١﴾ حَافِظُوا عَلَي الصَّلَوَاتِ  
وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ، فَإِنْ خِفْتُمْ فِرْحَالاً أَوْ رُكْبَاناً ﴿١٢﴾

وأخبر جَلَّ وَعَلَا عن أضعاف الصَّلَاةِ واتباع الشهوات أن عاقبة أعمالهم وسوء ما لهم شر  
وخسران فَقَالَ ﴿١٣﴾ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ  
عَذَاباً ﴿١٤﴾

وجعلها النَّبِيُّ ﷺ الشعار الفاصل بين المسلم والكافر فَقَالَ بين الرجل وبين الكفر ترك الصَّلَاةِ  
وَقَالَ العهد الَّذِي بيننا وبينهم الصَّلَاةِ فمن تركها فَقَدْ كفر وفي الْحَدِيثِ الآخر من ترك الصَّلَاةِ  
متعمداً فَقَدْ برئت منه ذمة الله ورسوله وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامُ من فاتته صلاة فكأنما وتر  
أهله وماله .

ومما يدل علي عظم شأن الصَّلَاةِ مَعَ تقدم اهتمام المسلمين بتوجيه المحتضر وَهُوَ فِي سَكَرَاتِ  
الموت إِلَى القبلة وَكَذَلِكَ وضعه فِي قبره متجهاً إِلَى القبلة وما ذاك إِلَّا أَنهَا الجهة التي يتجه إِلَيْهَا  
كُلَّمَا أراد أن يتعرف إِلَى ربه ويدعوه ويجدد الصلة بينه وبين ربه فِي الصَّلَاةِ .

عَلَى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ حَافِظٌ فَإِنَّهَا	لَا كُفْرَ مَفْرُوضٍ عَلَي كُلِّ مُهْتَدٍ
فَلَا رُخْصَةَ فِي تَرْكِهَا لِمُكَلَّفٍ	وَأَوَّلُ مَا عَنْهُ يُحَاسَبُ فِي عَدِّ
بِأَهْمَالِهَا يَسْتَوْجِبُ الْمَرَّةَ قَرْنَهُ	بِفِرْعَوْنَ مَعَ هَامَانَ فِي شَرِّ مَوْرِدٍ
وَمَا زَالَ يُوصِي بِالصَّلَاةِ نَبِيْنَا	لَدَى الْمَوْتِ حَتَّى كَلَّ عَنْ نُطْقِ مِذْوَدٍ

اللَّهُمَّ انجح بنا مناهج المفلحين وألبسنا خلع الإيمان واليقين ، وخصنا منك بالتوفيق المبين ،  
ووقفنا لقول الحق وإتباعه وخلصنا مِنَ الْبَاطِلِ وابتدعه ، وكن لنا مؤيداً ولا تجعل لفاجر عَلَيْنَا  
يداً واجعل لنا عيشاً رغداً ولا



تشتت بنا عدواً ولا حاسداً ، وارزقنا علماً نافعاً وعملاً متقبلاً ، وفهماً ذكياً صفيماً وشفاءً من كلِّ داء ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وصلي الله علي مُحَمَّد وآله وصحبه أجمعين .

### ( فَصْلٌ )

إذا فهمت ذَلِكَ فَعَلَيْكَ أَنْ تَعْتَنِي بِهَا وَتَجْتَهِدَ فِي كُلِّ مَا يَصْلِحُهَا وَيَكْمِلُهَا تَجْتَهِدُ أَوَّلًا فِي الطَّهَارَةِ وَالنِّظَافَةِ فِي جَسْمِكَ وَثَوْبِكَ وَمَوْضِعِ فَعَلَيْكَ أَوَّلًا بِالِاسْتِبْرَاءِ مِنَ الْبَوْلِ وَالْغَائِطِ بِأَنْ تَتَأَنَّى قَلِيلًا حَتَّى يُخْرَجَ الْبَوْلُ كُلَّهُ بَدُونَ نَتْرٍ .

وهو دفع بقيت البول وبدون مصر للذكر فإن العَمَلَ يحدث السلس وتغسل محل الغائط حتى يعود المحل كما قبل التغوط خال من آثار النجاسة ولزوجتها لئلا تُكُون حَامِلًا لِلنَّجَاسَةِ فِي صَلَاتِكَ فَتَبْطَلُ .

ثُمَّ عِنْدَ الْوُضُوءِ تَزِيلُ مَا يَمْنَعُ وَصُولَ الْمَاءِ إِلَى الْبَشْرَةِ مِنْ مَرْهَمٍ أَوْ وَازِلِينَ أَوْ دَهْنٍ عَلِيٍّ غَيْرِ جَرْحٍ يَضُرُّهُ الْمَاءُ وَتَتَفَقَّدُ عِنْدَ الْوُضُوءِ أَحْمَصَ الْقَدَمِينَ وَالْعَقِبَ وَهُوَ مُؤَخَّرُ الْقَدَمِ وَأَعْلَى الْجَبَةِ وَمَا حَوْلَ الْمِرْفَاقِ .

وَفِي الْغَسْلِ صِمَاخَ الْأُذُنِينَ وَطِي الرَّكْبَتَيْنِ وَمَا تَحْتَ الشُّعُورِ وَالْإِبْطِ وَالسَّرَةَ وَمَا بَيْنَ الْأَصَابِعِ أَصَابِعَ الرَّجْلَيْنِ وَالْأَطَافِرِ إِنْ كَانَتْ طَوَالًا وَتَمْنَعُ الْمَاءُ وَيَضُرُّكَ قَصَبُهَا وَإِلَّا فَتَقْصِبْهَا ثُمَّ بَعْدَ تَنْتَبِهِ لِهَذِهِ الدَّقَائِقِ .

وَتَكُونُ مُحْسِنًا لِلْوُضُوءِ وَتَسْعِي فِي تَفْقُدِ مَا يَفْسِدُهَا أَوْ يَنْقُصُهَا كَمَا تَرَاهُ فِي فِعْلِ الصَّلَاةِ عِنْدَ بَعْضِ النَّاسِ تَرِي عِنْدَهُ مِنَ الْعَبْثِ وَالْحِرْكََةِ وَالتَّلْفِتِ مَا يَجْعَلُكَ فِي شَكٍّ مِنْهُ هَلْ هُوَ فِي صَلَاةٍ أَمْ لَا فَتَجِدُهُ أحيانًا يَنْظُرُ سَاعَتَهُ وَأحيانًا يَصْلِحُ غُتْرَتَهُ وَأحيانًا يُوَاسِي ثَوْبَهُ وَيَطَالِعُهُ وَأحيانًا يَعْبَثُ فِي مَحَلِّ لِحْيَتِهِ وَأحيانًا فِي أَنْفِهِ أَوْ عَيْنِهِ وَفِي خَفِهِ ، وَفِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ مَا يَدْهَشُكَ .

ولعلك تظن أن هذا مبالغة ولكن إذا أردت الوقوف علي ذلك فأنظر بعد ما تسلم إلي الذين يكلمون وإلي من يصلي وحده وعلي كل حال الأمر عظيم ومع ذلك الناس في عجلة وسهو عن ذلك .

وأما الطمأنينة في الصلاة فيفهم قدر تركها من حديث المسيء في صلاته الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رجلاً دخل المسجد ورسول الله ﷺ جالس في ناحية المسجد فصلي ثم جاء إلي النبي ﷺ فسلم عليه فقال له ﷺ وعليك السلام ارجع فصل فإنك لم تصل .

فصلي ثم جاء فسلم فقال وعليك السلام فارجع فصل فإنك لم تصل فصلي ثم جاء فسلم فقال وعليك السلام فقال في الثانية أو في التي تليها علمني يا رسول الله فقال " إذا قمت إلي الصلاة فأسيغ الوضوء "

ثم استقبل القبلة فكبر ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن ثم اركع حتى تطمئن راکعاً ثم ارفع حتى تستوي قائماً ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً ثم ارفع حتى تطمئن جالساً ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً ثم ارفع حتى تطمئن جالساً .

ثم افعل ذلك في صلاتك كلها رواه البخاري ومسلم فتأمل قوله ﷺ لمن ترك الطمأنينة ارجع فصل فإنك لم تصل فإن هذا نفي صريح في أن الرجل وإن كان يفعل صورة الصلاة في رأي العين لم يأت بحقيقة الصلاة .

والذي جعله كذلك تركه للطمأنينة فيها وهي ركن من أركانها إذاً فليطمئن الذي يريد أن يصدق عليه أنه صلي وليعلم أهل السرعة والنقر

ذَلِكَ تماماً وليمرنوا أنفسهم علي التأني والتريث والرفق حتى يعدوا في فريق المصلين .  
وإن لم يطمئنوا فليعلموا أنهم هم وتارك الصلّاة سواء حكمهم بمقتضي قوله ρ للمستعجل في  
صلّاته ارجع فصل فإنك لم تصل ، وَقَالَ أبو هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أوصاني خليلي ρ بثلاث  
ونهاني عن ثلاث نهاني عن نقرة كنقرة الديك ( العجلة في الصلّاة ) وإقعاء كإقعاء الكلب  
( وضع الإلية علي الأرض ونصب الساقين ووضع اليدين علي الأرض ) .  
والتفات كالتفات الثعلب ، وَقَالَ ρ لا يزال الله مقبلاً علي العبد في صلّاته ما لم يلتفت فإذا  
صرف وجهه انصرف عنه ونهي ρ عن رفع البصر إلي السماء في الصلّاة ، إذا علمت ذَلِكَ  
فابذل يا أخي كُلَّ ما في وسعك من الاجتهاد في تكميل صلّاتك وَاخْذِرْ من التفريط فيها  
فَعَلَيْهَا مدار عَظِيم .

والمعاني التي تتم بها الصلّاة كثيرة منها حضور القلب ومعناه أنك تفرغ قلبك عن الشواغل التي  
تتعلق بالدُّنيا وزينتها متفهماً لما تتلوه أو تقوله أو تسمعه إن كنت مأموماً فتصرف ذهنك  
وهتمك إلي إدراك المعني بدفع الخواطر الشاغلة وقطع موادها فإن المواد إذا لم تنقطع لم تنصرف  
الخواطر والهواجس عَنْهَا والمواد إما ظاهرة وهي ما يشغل السمع والبصر .  
وإما باطنة وهي أشد كمن تشبعت به الهموم في أودية الدُّنيا فإنه لا ينحصر فكره في فن واحد  
ولم يغنه غض البصر لأن ما وقع في القلب كافٍ في الاشتغال به .

وعلاج ذَلِكَ إن كَانَ من المواد الظاهرة بقطع ما يشغل البصر والسمع وَهُوَ القرب من القبلة والنظر إلى موضع السجود والابتعاد في الصَّلَاة عما فيه نقوش أو تطريز أو نحو ذَلِكَ مِمَّا يلهي ويشغل القَلْبَ فإن النَّبِيَّ ﷺ صلي في أنبجانية فيها أعلام ونزعها وَقَالَ (( إنما ألهتني آنفاً عن صلاتي )) .

وإن كَانَ من المواد الباطنة فطريق علاجه أن يرد النفس قهراً إلى ما يَقْرَأُ في الصَّلَاة ويشغلها به عن غيره ويستعد لذلك قبل الدخول في الصَّلَاة بأن يقضي أشغاله ويجتهد علي تفرغ قلبه عن الهواجس ويجدد علي نفسه ذكر الآخرة وخطر القيام بين يدي الله عَزَّ وَجَلَّ وهول المطلع . فإن لم تذهب وتسكن الأفكار بذلك فليعلم أنه إنما يتفكر فيما أهمه واشتهاه وناسب لهوه فليترك تلك الشهوات وليقطع تلك العلائق .

واعلم أن العلة والمرض متي تكمن لا ينفع فيه إلا الدواء القوي والعلة إذا قويت جاذبت المصلي وجاذبها إلى أن تقضي الصَّلَاة في المجاذبة ومثل ذَلِكَ كمثل رجل تحت شجرة أراد أن يصفو له فكره أو أراد أن ينام وكانت هذه الشجرة مأوي للعصافير تقع عَلَيْهَا وتشوش عَلَيْهِ بأصواتها وحركاتها وفي يده عصا يطردها به فما يستقر فكره حتى تعود العصافير فيشتغل بها .

فقليل له هَذَا شَيْءٌ يدوم لا ينقطع فإن أردت الخلاص مِمَّا شوش عَلَيْكَ فاقطع الشجرة فكذلك شجرة الشهوة وحب الدُّنْيَا إذا ارتفعت وتفرقت أغصانها انجذبت إليها الأفكار فذهب العمر النفيس في دفع ما لا يندفع والسبب الوحيد حب الدُّنْيَا فهو الَّذِي يجذب الأفكار ويولدها وينميها فعلي العاقل أن يجتهد في قلع حبها وَهُوَ صعب جداً علي أكثر الخلق .

ولهذا كَانَ السَّلَفُ يعتنون بالصَّلَاةِ اعتناءً عَظِيماً ويتلذذون بها ويحزنون لانقضائها وَقَالَ بَعْضُهُمْ تفقدوا قلوبكم في ثلاثة مواضع في الصَّلَاةِ وفي القرآن وفي ذكر الله فإن وجدتم حلاوة وإلا فالْبَابُ مغلق .

ومن المؤسف أنك تجد كثيراً من النَّاسِ يأتي الصَّلَاةَ كالمكره بدليل أنه إذا تأخر الإمام ولو قليلاً ضاقت صدورهم مَعَ أنه في صلاة ما انتظروا الصَّلَاةَ وتجدهم يسرعون الخُرُوجَ بعدها بخلاف المجيء إليها .

وتجدهم يحرصون علي الإمام الَّذِي ينقرها مَعَ أنه في أمور الدُّنْيَا علي العكس إذا أراد أحدهم أن يذهب إلي طيب ليكشف عَليهِ حرص علي من يتركه ويطمئن ويطيل الفحص ويتقنه ولو بزيادة كثيرة لما يؤمله من النصح وإتقان العَمَلِ .

وكذلك إذا أراد صنعه شيء حرص علي البصير الخبير المتقن لذلك .

أما في الصَّلَاةِ فكما ذكرنا ما يهتم لها ولا يبالي ويراها عَليهِ أثقل من أحد ورضوي وهي عشر دقائق أو أقل ولو وقف مَعَ صديق له أو قريب أو زميل ساعة أو أكثر وأراد التفرق لقال ساعة الحب قصيرة لأنسه به وتلذذه بمناجاته .

وأما رب العالمين الَّذِي نعمه عَليهِ لا تعد ولا تحصى فالوقوف أمامه طويل وإن كَانَ قصيراً وصدق الله العَظِيمُ حيث يَقُولُ : ﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾ فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العَظِيمُ ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ .

شِعْرًا :

وَمَنْ الْبَلِيَّةِ أَنْ تَرَى لَكَ صَاحِبًا      فِي صُورَةِ الرَّجُلِ السَّمِيعِ الْمُبْصِرِ  
فَطَنْ بِكُلِّ مُصِيبَةٍ فِي مَالِهِ      وَإِذَا يُصَابُ بِدِينِهِ لَمْ يَشْغُرِ

آخر: فِـي أَنَّ الـدُّنْيَا      بِقُلُوبِ النَّاسِ مُتَمَكِّنُ حُبِّهَا  
 هِيَ الْمُشْتَهَى وَالْمُنْتَهَى وَمَعَ السُّهَى      أَمَانِي مِنْهَا ذُوْنُهُنَّ الْعِظَائِمُ  
 وَلَمْ تَلْقَنَا إِلَّا وَفِينَا تَحَاسُدُ      عَلَيْهَا وَإِلَّا فِي الصُّدُورِ سَخَائِمُ

وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلِي اللهُ عَلِي مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

( فَصْلٌ )

وإليك نماذج من حلمه فقد أراد مرة أن يعلم أصحابه الحلم والأناة والتؤدة وضبط النفس فروي أن أعرابياً جاء يوماً يطلب من النبي ﷺ شيئاً فأعطاه ﷺ ثم قال له أحسنت إليك قال الأعرابي ولا أجملت فغضب المسلمون وقاموا إليه فأشار إليهم أن كفوا ثم قام ﷺ ودخل منزله فأرسل إليه وزاده شيئاً ثم قال له أحسنت إليك قال نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً .

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ إِنَّكَ قُلْتُ مَا قُلْتُ أَنْفَاءً وَفِي نَفْسِ أَصْحَابِي مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ فَإِنْ أَحْبَبْتَ فَقُلْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ حَتَّى يَذْهَبَ مَا فِي صُدُورِهِمْ عَلَيْكَ قَالَ نَعَمْ فَلَمَّا كَانَ الْغَدَ جَاءَ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ إِنْ هَذَا الْأَعْرَابِيُّ قَالَ مَا قَالَ فَرَدَّنَاهُ فَرَعَمَ أَنَّهُ رَضِيَ أَكْذَلِكَ قَالَ نَعَمْ فَجَزَاكَ اللهُ مِنْ أَهْلِ وَعَشِيرَةِ خَيْرًا .

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِثْلِي وَمِثْلُ هَذَا وَكَمِثْلِ رَجُلٍ لَهُ نَاقَةٌ شَرِدَتْ عَلَيْهِ فَاتَّبَعَهَا النَّاسُ فَلَمْ يَزِيدُوهَا إِلَّا نَفُورًا فَنَادَاهُمْ صَاحِبُهَا فَقَالَ لَهُمْ خَلُوهَا بَيْنِي وَبَيْنَ نَاقَتِي فَإِنِّي أَرْفُقُ بِهَا مِنْكُمْ وَأَعْلَمُ فَتَوَجَّهَ لَهَا بَيْنَ يَدَيْهَا فَأَخَذَ مِنْ قِمَامِ الْأَرْضِ فَرَدَّهَا حَتَّى جَاءَتْ وَاسْتَنَاحَتْ وَشَدَّ عَلَيْهَا رَحْلَهَا وَاسْتَوَى عَلَيْهَا وَإِنِّي لَوْ تَرَكْتُكُمْ حَيْثُ قَالَ الرَّجُلُ مَا قَالَ فَتَقَتَلْتُمُوهُ دَخَلَ النَّارَ .

وَمِنْ ذَلِكَ مَا وَرَدَ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ ﷺ كَانَ يَقْبِضُ لِلنَّاسِ يَوْمَ حَنْزِينَ مِنْ فِضَّةٍ فِي ثُوبِ بِلَالٍ فَقَالَ رَجُلٌ يَا نَبِيَّ اللهِ أَعْدَلَ فِقَامَ عَمْرٍو فَقَالَ أَلَا أُضْرِبُ عُنُقَهُ فَإِنَّهُ مَنَافِقٌ فَقَالَ مَعَاذَ اللهِ أَنْ يَتَحَدَّثَ النَّاسُ أُنِي

أقتل أصحابي " . رواه مسلم .

ومن ذلك ما ورد عن أنس بن مالك قال كنت أمشي مع النَّبِيِّ ﷺ وعليه برد نجراي غليظ الحاشية فأدركه أعرابي فجبذه بردائه جبذة شديدة فنظر إلي صفحة عاتق النَّبِيِّ ﷺ وقد أثرت بها حاشية البرد من شدة الجبذة ثُمَّ قال يا مُحَمَّدُ مر لي من مال الله الَّذِي عندك فالتفت إليه فضحك ثُمَّ أمر له بعتاء متفق عَلَيْهِ .

ومن ذلك ما ورد عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله قال كنا إذا صحبنا رسول الله ﷺ في سفر تركنا له أعظم شجرة وأظلمها فينزل تحتها فنزل ذات يوم تحت شجرة وعلق سيفه فيها فجاء أعرابي فَقَالَ يا مُحَمَّدُ من يمنعك مني فَقَالَ رسول الله ﷺ الله يمنعني منك ضع السيف فوضعه ، ولم يعاقبه .

ورود أنه ﷺ كَانَ يقسم تمرًا في عرجونه في يوم شديد الحر فهجم عَلَيْهِ أعرابي فضايقه فضربه رسول الله ﷺ بعرجونه فَقَالَ له الرجل أتضربني يا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ له خذ فاقتص فَقَالَ له بل عفوت يا رَسُولَ اللَّهِ ، فأنظرُ إلي عفوه ﷺ عن الرجل الَّذِي أراد قتله فإنه لفت بعفوه نظر الرجل إلي مكارم أخلاقه ﷺ ولذلك ذهب الرجل إلي قومه فَقَالَ هُمْ جئتمكم من عند خير النَّاس .

وفي ذلك من توجيههم إلى النظر في تعاليمه والبحث فيما جاءهم به من عند ربهم ما قد يكون سبباً في إسلامهم وهدايتهم وهذه هي النتيجة التي يسعى لها ﷺ .

ومن ذلك ما أخرجه الطبراني عن عَبْدِ اللَّهِ بن سلام بإسناد رجاله ثقات

قال لما أراد الله هدي زيد بن سعة قال زيد : ما من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفتھا في وجه مُحَمَّد حين نظرت إليه إلا اثنتين لم أخبرهما منه يسبق حلمه جهله ولا تزيده شدة الجهل عَلَيْهِ إلا حلماً .

قال زيد فخرَج رسول الله ﷺ يوماً من الحجرات ومعه علي بن أبي طالب فاتاه رجل علي راحلته كالبدوي فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِي نفر في قرية بني فلان قَدْ أسلموا ودخلوا في الإسلام وَكُنْتُ قَدْ حدثتهم إن أسلموا أتاهم الرزق رغداً وَقَدْ .

فأتانا أخشي يا رَسُولَ اللَّهِ أن يخرجوا من الإسلام طمعاً كما دخلوا فيه طمعاً فإن رأيت أن ترسل إليهم بشيء تغيبهم به فعلت فنظر إلي رجل بجانبه أراه علياً فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ما بقي منه شيء قال زيد بن سعة فدنوت إليه فقلتُ يا مُحَمَّد هل لك أن تبيعي تمرأ معلوماً في حائط بني فلان إلي أجل معلوم إلي أجل كذاً وَكَذَا قال لا تسمي حائط بني فلان قلتُ نعم فبايعني فأطلقت همياني فأعطيته ثمانين مثقالاً من ذهب في تمر معلوم إلي أجل كذاً وَكَذَا فأعطاها الرجل وَقَالَ اعدل عَلَيْهِمْ وَأغثهم .

قال زيد فَلَمَّا كَانَ قبل محل الرجل بيومين أو ثلاث خَرَج رسول الله ﷺ ومعه أبو بكر وعمر وعثمان في نفر من أصحابه .

فَلَمَّا صلي علي الجنابة ودنا إلي الجدار ليجلس إليه أتيتته فأخذت بمجامع قميصه وردائه ونظرت إليه بوجه غليظ قُلْتُ يا مُحَمَّد ألا تقصيني حقي فوالله ما علمت بني المطلب إلا مطالاً وَلَقَدْ كَانَ بمخالطكم علم ، ونظرت إلي عمر وعيناهُ تدوران في وجهه كالفلك المستدير .



ثُمَّ رَمَانِي بِبَصْرِهِ فَقَالَ : يَا عَدُوَّ اللَّهِ أَتَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا أَسْمَعُ وَتَصْنَعُ بِهِ مَا أَرَى فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْلَا مَا أَحَازِرُ فَوْتَهُ لَضْرِبْتَ بِسَيْفِي رَأْسَكَ وَرَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَنْظُرُ إِلَيَّ فِي سَكُونٍ وَتَوَدُّهُ .

فَقَالَ يَاعْمَرَ أَنَا وَهُوَ كُنَّا أَحْوَجُ إِلَيَّ غَيْرِ هَذَا أَنْ تَأْمُرَنِي بِحَسَنِ الْأَدَاءِ وَتَأْمُرَهُ بِحَسَنِ اتِّبَاعِهِ أَذْهَبَ بِهِ يَا عَمْرُ فَأَعْطَاهُ حَقَّهُ وَزَدَهُ عَشْرِينَ صَاعاً مِنْ تَمْرٍ مَكَانَ مَا رُزِعَتْهُ فَالْزَيْدُ فَذَهَبَ بِي عَمْرُ فَأَعْطَانِي حَقِّي وَزَادَنِي عَشْرِينَ صَاعاً مِنْ تَمْرٍ .

فَقُلْتُ مَا هَذِهِ الزِّيَادَةُ يَاعْمَرَ قَالَ أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ أَزِيدَكَ مَكَانَ مَا رَعَيْتَكَ قَالَ وَتَعْرِفَنِي يَا عَمْرُ قَالَ لَا قُلْتُ أَنَا زَيْدُ بْنُ سَعْنَةَ قَالَ الْحَبْرُ قُلْتُ الْحَبْرُ قَالَ فَمَا دَعَاكَ إِلَيَّ أَنْ فَعَلْتَ بِرَسُولِي مَا فَعَلْتَ وَقُلْتُ لَهُ مَا قُلْتُ .

قُلْتُ يَا عَمْرُ لِمَ يَكُنْ مِنْ عِلْمَاتِ النَّبِوَةِ شَيْئاً إِلَّا وَقَدْ عَرَفْتَهُ فِي وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ نَظَرْتُ إِلَيْهِ إِلَّا اثْنَتَيْنِ لَمْ أَخْبِرْهُمَا مِنْهُ . يَسْبِقُ حِلْمَهُ جَهْلُهُ وَلَا تَزِيدُهُ شِدَّةُ الْجَهْلِ عَلَيْهِ إِلَّا حِلْماً . وَقَدْ اخْتَبَرْتَهُمَا أَشْهَدُكَ يَا عَمْرُ أَنِّي قَدْ رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبّاً وَبِالْإِسْلَامِ دِيناً وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيّاً وَأَشْهَدُكَ أَنْ شَطْرَ مَالِي فَإِنِّي أَكْثَرُهَا مَالاً صَدَقَةَ عَلِيِّ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ قَالَ عَمْرُ أَوْ عَلِيٍّ بَعْضُهُمْ فَإِنَّكَ لَا تَسْعَهُمْ قُلْتُ أَوْ عَلِيٍّ بَعْضُهُمْ فَرَجَعَ عَمْرُ وَزَيْدٌ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ زَيْدٌ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَأَمِنَ بِهِ وَصَدَقَهُ وَبَايَعَهُ وَشَهِدَ مَعَهُ مَشَاهِدَ كَثِيرَةً .

ثُمَّ تَوَفَّى فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ مَقْبِلاً غَيْرَ مَدْبِرٍ - رَحِمَ اللَّهُ زَيْدًا ، مِنْ هَذِهِ الْآثَارِ وَمَا يَأْتِي بَعْدَهَا يَتَبَيَّنُ لَكَ كَيْفَ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْقِسْطِ وَأَقَامَهُ عَلِيٌّ نَفْسِهِ

وأتباعه وأصحابه بلا محاباة ولا مدهانة فكانَ في ذلكَ في القمة العالِية التي لا يصل إليها راق في تنفيذ أمر الله وتطبيقه علي الكبير والصغير والقوي والضعيف والشريف والوضيع والسيد والمسود .

اللَّهُمَّ ارزقنا حبك وحب من يحبك وحب العَمَل الَّذِي يقربنا إلى حبك ، اللَّهُمَّ ثَبَّتْ إيماننا ثبوت الجبال الراسيات ووقفنا للعمل بالباقيات الصالحات واعصمنا يا مولانا عن المحرمات والمشتبهات واغفر لنا جميع الخطايا والزلات وافتح لدعائنا باب القبول والإجابات يا أجود الأجودين وأكرم الأكرمين وَصَلَّى اللهُ عَلَي مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

### ( فَصْلٌ )

ومن ذلكَ حلمه مَعَ الأعرابي الَّذِي قال له أتضربني يا رَسُولَ اللهِ فإنه ρ لم يتماد في غضبه ولم يستنكر من الأعرابي استنهامه الَّذِي فيه المطالبة فَقَالَ للأعرابي خذ العرجون واقتصص مني .  
وَلَقَدْ بلغ من حلمه ρ أنه لم يضرب امرأة ولا خادماً ولما قيل له وَهُوَ في القتال لو لعنتهم يا رَسُولَ اللهِ فَقَالَ إنما بعثت رحمة ولم أبعث لعناً وَعِنْدَمَا لقي ρ من قومه أشد ما لقي ناداه ملك الجبال وسلم عَلَيْهِ .

ثُمَّ قال يا مُحَمَّد إن الله سمعَ قول قومك وأنا ملك الجبال وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك فما شئت أن أطبق عَلَيْهِم الأخشبين فَقَالَ رسول الله ρ : بل أرجو أن يخرجَ اللهُ من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شَيْئاً .

ولما أذاه المشركون يوم أحد وكسروا رباعيته وشجوا وجهه وشق ذلكَ

علي أصحابه فَعَالُوا لو دعوت عَلَيْهِمْ فَقَالَ إني لم أبعث لعاناً ولكن بعثت داعياً ورحمة اللّهُمَّ اغفر لقومي أو اهدِ قومي فَإِنَّهُمْ لا يعلمون .

وَقَالَ أَنَسُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ خَدِمْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ فَمَا قَالَ لَشَيْءٍ صَنَعْتَهُ : لَمْ صَنَعْتَهُ وَلَا لَشَيْءٍ لَمْ أَصْنَعُهُ لَمْ لَمْ تَصْنَعُهُ وَكَانَ إِذَا عَاتَبَنِي بَعْضُ أَهْلِهِ يَقُولُ دَعُوهُ فَلَوْ قُضِيَ لَكَانَ .

وَقَدْ رَوَى أَنَّهُ ﷺ كَانَ فِي سَفَرٍ وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ بِإِصْلَاحِ شَاةٍ فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللهِ عَلِيٌّ ذَبَحَهَا وَقَالَ آخِرُ عَلِيٍّ سَلْخُهَا وَقَالَ آخِرُ عَلِيٍّ طَبَخَهَا فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَعَلِيٌّ جَمَعَ الْحَطْبَ فَعَالُوا

يَا رَسُولَ اللهِ نَكْفِيكَ الْعَمَلَ فَقَالَ عَلِمْتُ أَنَّكُمْ تَكْفُونِي وَلَكِنْ أَكْرَهُ أَنْ أُمَيِّزَ عَلَيْكُمْ وَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَكْرَهُ مِنْ عَبْدِهِ أَنْ يَرَاهُ مُمْتِيزاً بَيْنَ أَصْحَابِهِ وَقَدْ جَاءَ وَفَدَّ النَّجَاشِيَّ فَمَامَ ﷺ

يُخْدِمُهُمْ فَقَالَ أَصْحَابُهُ نَكْفِيكَ قَالَ إِنَّهُمْ كَانُوا لِأَصْحَابِنَا مَكْرَمِينَ وَأَنَا أَحَبُّ أَنْ أَكْفَيْتَهُمْ .

وَجَاءَتْهُ امْرَأَةٌ فِي عَقْلِهَا شَيْءٌ فَقَالَتْ إِنْ لِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ فَقَالَ اجْلِسِي فِي أَيِّ سَكِّ الْمَدِينَةِ شِئْتَ اجْلِسِي إِلَيْكَ حَتَّى أَقْضِيَ حَاجَتَكَ فَنَحَلَا مَعَهَا فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ حَتَّى فَرَعَتْ مِنْ حَاجَتِهَا

وَجَاءَ فِي الْبُخَارِيِّ كَانَتْ الْأُمَةُ تَأْخُذُ بِيَدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَتَنْطَلِقُ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ .

وَدَخَلَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ وَالنَّبِيُّ ﷺ ﷺ يَصْلِي فَرَكِبَ عَلِيٌّ ظَهْرَهُ وَهُوَ سَاجِدٌ فَأَبْطَأَ فِي سَجُودِهِ حَتَّى نَزَلَ الْحَسَنُ فَلَمَّا فَرَّغَ قَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ لَقَدْ أَطَلْتَ سَجُودَكَ قَالَ إِنْ ابْنِي ارْتَحَلَنِي فَكْرَهْتُ أَنْ أَعْجَلَهُ .

وَكَانَ ﷺ يَبَاسِطُ أَصْحَابَهُ وَكَانَ رَجُلٌ يُسَمَّى زَهِيْرًا يَهَادِي النَّبِيَّ ﷺ بِمَا

يستطرف من موجود البادية وكان ρ يهاديه ويكافئه بموجود الحاضرة وبما يستطرف منها وكان ρ يقول زهير باديتنا ونحن حاضرته .

ولقد جاء إلى السوق يوماً فوجد زهيراً قائماً من قبل ظهره وضمه بيده إلى صدره فأحس زهير أنه الرسول ρ فجعل يمسح ظهره في صدر النبي ρ رجاء البركة من الله ثم من جسده ρ فجعل ρ يقول من يشتري العبد قال زهير إذا تجدي كاسداً فقال المصطفي ρ أنت عند الله غال .

وكان ρ يمزح ولا يقول إلا حقاً فمن ذلك أن رجلاً جاءه فقال يا رسول الله احملني فقال أحملك علي ابن الناقة فقال ما عسي يغني عني ابن الناقة فقال النبي ρ ويحك وهل يلد الجمل إلا الناقة .

وجاءته مرة عجوز فقالت يا رسول الله ادع الله لي أن يدخلني الجنة فقال يا أم فلان لا يدخل الجنة عجوز فقلت تبكي فقال أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز إن الله تعالى يقول : ﴿ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً \* فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً ﴾ .

ومن ذلك أن أنساً كان له أخ يقال له أبو عمير وكان له نغر (( طائر صغير )) يلعب به فمات فدخل علي النبي ρ ذات يوم وهو حزين فقال ما شأنه قيل له مات نغره فقال يا أبا عمير ما فعل النغير .

وكان النبي ρ يكرم كريم كل قوم ويوليهم أمرهم ويقبل معذرة المعتذر إليه وإليك قصة كعب بن زهير غضب كعب علي أخيه بجير حين أسلم وآمن بالنبي ρ فقال عليه الصلاة والسلام من لقي منكم كعب بن زهير فليقتله .

فكتب بجير إلى أخيه كعب يخبره بذلك وأن النبي ρ أهدر دمه فإن كان لك في نفسك حاجة فصر إليه فإنه يقبل من جاء تائباً ولا يطالبه بما عمل

قبل الإسلام .

فَلَمَّا بَلَغَ الْكِتَابَ كَعْبًا فَرَّ إِلَى قَبِيلَتِهِ لِتَجِيرِهِ فَأَبَتْ عَلَيْهِ ذَلِكَ فَأَشْفَقَ وَخَافَ عَلَيَّ نَفْسِهِ وَأَرْجَفَ بِهِ أَعْدَاؤُهُ فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ وَنَزَلَ عَلَيَّ بَنِي أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَأَتَى بِهِ إِلَيَّ الْمَسْجِدَ وَقَالَ هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَجَمَّ إِلَيْهِ وَاسْتَأْمَنَهُ .

فَسَمِعَ كَلَامَهُ وَقَامَ إِلَيْهِ حَتَّى جَلَسَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَوَضَعَ يَدَهُ فِي يَدِهِ قَائِلًا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ كَعْبُ بْنُ زَهِيرٍ قَدْ جَاءَ يَسْتَأْمِنُكَ تَائِبًا مُسْلِمًا فَهَلْ أَنْتَ قَابِلٌ مِنْهُ ذَلِكَ إِنْ أَنَا جِئْتُكَ بِهِ قَالَ نَعَمْ قَالَ أَنَا كَعْبُ بْنُ زَهِيرٍ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ الَّذِي يَقُولُ مَا يَقُولُ .

ووثب إليه رجلٌ من الأنصار فقال يا رسول الله دعني وعدو الله أضرب عنقه فقال له رسول الله ﷺ دعه عنك فإنه قد جاء تائباً نازعاً ثم أخذ كعب في إنشاء قصيدته المشهورة يمدح فيها رسول الله ﷺ ويذكر خوفه وإرجاف الوشاة به ومطلعها :

بَانَتْ سَعَادُ قَلْبِي الْيَوْمَ مَتَبُولُ      مُتَمِّمٌ إِثْرَهَا لَمْ يُفَدَ مَكْبُولُ

إلى أن بلغ :

إِنَّ الرَّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ      مُهَنَّدٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ مَسْلُورُ

فرمى رسول الله ﷺ برده الشريف إلى عفا عنه كما هي عادته الكريمة

وَكَانَ ۞ لَا يُوَاجِهُ أَحَدًا فِي وَجْهِهِ بِشَيْءٍ يَكْرَهُهُ لِسَعَةِ صَدْرِهِ وَغِزَارَةِ عَقْلِهِ وَشِدَّةِ حَيَاتِهِ وَكَانَ ۞ يَأْمُرُ بِالرَّفْقِ وَيَحْتِ عَليِّهِ وَيَنْهَى عَنِ الْعَنْفِ وَيَبْغِضُهُ وَلَمْ يَكُنْ فَاحِشًا وَلَا مَتَفَحِشًا وَلَا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ بَلْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَيِّهِ .

وَكَانَ ۞ يَزُورُ ضَعْفَاءَ الْمُسْلِمِينَ تَلَطُّفًا بِهِمْ وَإِنْسَاءً لَهُمْ وَيَعُودُ مَرْضَاهُمْ وَيَشْهَدُ جَنَائِزَهُمْ سَوَاءً كَانَتْ لِشَرِيفٍ أَوْ وَضِيعٍ وَبِذَلِكَ كَانَ خَيْرَ أَسْوَةٍ وَكَانَ ۞ أَصْبَرَ النَّاسِ عَلَيَّ مَا يَكُونُ مِنْ قَبِيحِ الْأَفْعَالِ مِنْهُمْ وَسُوءِ سِيرَتِهِمْ وَقَبِيحِ سِرِّيَّتِهِمْ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى شَرَحَ صَدْرَهُ فَاتَسَعَ مَا تَضَيَّقَ مِنْهُ صَدُورُهُمْ . وَكَانَ ۞ كَامِلًا فِي قُوَّةِ عَقْلِهِ وَإِدْرَاكِهِ وَصِحَّةِ قِيَاسِهِ الْفِكْرِيِّ وَصِدْقِ ظَنُونِهِ وَصِحَّةِ فَهْمِهِ وَقُوَّةِ حَوَاسِهِ مَفْطُورًا عَلَيَّ الصَّبْرِ وَالسَّكُونِ وَالْحَيَاءِ وَالْمَرْوَةِ وَالْمَوْدَّةَ وَالرَّحْمَةَ وَالْهُدَايَةَ لِلخَلْقِ وَحُبَّ الْخَيْرِ لَهُمْ وَإِعْطَاءَ الْحِكْمَةَ حَقَّهَا فِي سَائِرِ أُمُورِهِ .

وَكَانَ ۞ ذَا سِيَاسَةٍ شَرِيفَةٍ وَمَعَارِفٍ مَنِيفَةٍ وَنَظَرٍ ثَابِتٍ وَرَأْيٍ صَائِبٍ وَحَدْسٍ مُوَافِقٍ وَفَضَائِلٍ مَقْصُودَةٍ وَأَخْلَاقٍ مَحْمُودَةٍ دِينِهِ الْإِسْلَامَ وَخَلَقَهُ الْقُرْآنَ يَرْضِي لِرِضَاهُ وَيَسْخَطُ لِسَخَطِهِ مُحَرَّرًا لِلشَّرَائِعِ حَافِظًا لِلْوَدَائِعِ .

وَكَانَ ۞ كَثِيرَ الْأَفْضَالِ يَصِلُ مِنْ قَطْعِهِ وَيُعْطِي مِنْ حَرَمِهِ وَيَبْذُلُ لِمَنْ مَنَعَهُ وَيَعْفُو عَمَنْ ظَلَمَهُ وَيَبْغِضِي طَرْفَهُ عَنِ الْقَذَى وَيَجْبِسُ نَفْسَهُ عَنِ الْأَذَى لَا يَنْتَقِمُ مَعَ الْقُدْرَةِ وَيَصْبِرُ عَلَيَّ مَا يَشْقُ وَيَكْرَهُ وَلَا يَزِيدُ مَعَ أَذَى الْجَاهِلِ إِلَّا صَبْرًا وَحِلْمًا .

وَمَا خَيْرَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا وَكَمْ أَعْرَضَ عَنِ

جاهل ومعانَد وَكَانَ ۝ يَأْكُلُ مَعَ الْخَادِمِ وَيَبَادِرُ إِلَى خِدْمَةِ الْقَادِمِ وَيَرْقِعُ ثَوْبَهُ وَيَخْصِفُ نَعْلَهُ وَيَقُمُّ بَيْتَهُ وَيَخْدُمُ أَهْلَهُ وَيَحْمِلُ بَضَاعَتَهُ مِنَ السُّوقِ مَعَ أَنَّهُ سَيِّدٌ وَلَدَ آدَمَ وَأَكْرَمَ الْخَلْقِ عَلَيَّ اللَّهُ .  
 وَكَانَ ۝ رَحِيمًا حَتَّىٰ بِأَعْدَائِهِ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُ لَمَّا دَخَلَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ عَلَيَّ قَرِيشًا : وَقَدْ جَلَسُوا بِالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَصَحْبُهُ يَنْتَظِرَانِ أَمْرَهُ فِيهِمْ مِنْ قَتْلِ أَوْ غَيْرِهِ .  
 قَالَ لِقُرَيْشٍ مَا تَنْظُرُونَ أَيُّ فَاعِلٍ بِكُمْ قَالُوا خَيْرًا أَخٍ كَرِيمٍ وَابْنِ أَخٍ كَرِيمٍ فَقَالَ ۝ أَقُولُ كَمَا قَالَ أَحْيَىٰ يُوسُفُ : لَا تَتْرِبْ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ . اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطُّلُقَاءُ وَلَا عَرَابَةَ فَقَدْ انْفَرَدَ بِالْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ وَالْمَحَاسِنِ وَالْمَعَارِفِ وَالتَّوَدُّدِ وَالرَّفِيقِ وَمِنْ النِّظْمِ الَّذِي لَا يُصْلِحُ أَنْ يُوصَفَ بِهِ إِلَّا النَّبِيُّ ۝ مَا يَلِي :

تَلْقَاهُ وَهُوَ مَعَ الْإِحْسَانِ مُعْتَدِرًا	وَقَدْ يُسِيءُ مُسِيءٌ وَهُوَ غَضَبَانُ
إِذَا بَدَأَ وَجْهَهُ ذَنْبٌ فَهُوَ ذُو سِنَةٍ	وَإِنْ بَدَأَ وَجْهَهُ حَطْبٌ فَهُوَ يَقْطَانُ
إِذَا تَيَمَّمَهُ الْعَافِي فَكَوْكَبُهُ	سَعْدٌ وَمَرْعَاهُ فِي وَادِيهِ سَعْدَانُ
أَحْيَا بِهِ اللَّهُ هَذَا الْخَلْقَ كُلَّهُمْ	كَأَنَّهُ الرُّوحُ وَالْمَخْلُوقُ جُثْمَانُ

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ أَمَامَكُمْ يَوْمَ لَا كَالْأَيَّامِ يَوْمَ فِيهِ مِنَ الْأَهْوَالِ وَالشَّدَائِدِ وَالْكَرُوبِ مَا يَشِيبُ الْوَالِدَانَ وَتَذْهَلُ فِيهِ الْمَرْضَعَةُ عَمَّا أَرْضَعَتْ يَوْمَ يَتَغَيَّرُ فِيهِ الْعَالَمُ وَيَنْتَهِي نِظَامُهُ الَّذِي نَرَاهُ .  
 فَتَنْشُرُ الْكَوَاكِبُ وَتَتَسَاقَطُ وَتَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السَّجْلِ لِلْكَتَبِ يَزِيلُهَا اللَّهُ وَتَبْدُلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَتَمْدُ كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَىٰ وَيَنْفَخُ فِي الصُّورِ فَيَقُومُ النَّاسُ مِنْ قُبُورِهِمْ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ .  
 وَحِينَئِذٍ يَحْشُرُ الْكَافِرَ أَعْمَى لَا يَبْصُرُ أَصْمٌ لَا يَسْمَعُ أَبْكَمٌ لَا يَنْطِقُ يَمْشِي

عَلَى وَجْهِهِ لِيَعْلَمَ مِنْ أَوَّلِ الْأَمْرِ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْإِهَانَةِ وَيَكُونُ أَسْوَدَ الْوَجْهِ أَرْزَقَ الْعَيْنَيْنِ فِي مُنْتَهَى الْعَطَشِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّمْسِ إِلَّا مِقْدَارُ مِيلٍ .  
 إِذْ ذَاكَ يَقِفُ مَبْهُوتًا ذَاهِلَ الْعَقْلِ شَاخِصَ الْبَصَرِ يَتَمَتَّى أَنْ يَكُونَ تُرَابًا ثُمَّ يُؤْمَرُ بِهِ إِلَى النَّارِ وَيُسَلَّكَ فِي سِلْسِلَةٍ دَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا وَبَعْدَ دُخُولِهِ فِيهَا لَا يُخْرَجُ مِنْهَا أَبَدًا وَلَا يَزْدَادُ إِلَّا عَذَابًا وَلَا يُفْتَرُ عَنْهُ .

إِنْ اسْتَعَاثَ يُعَاثُ بِمَاءٍ كَالْمَهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ وَيُذِيبُ الْأَمْعَاءَ وَيُحْرِقُ الْجُلُودَ تُحِيطُ بِهِ النَّارُ مِنْ كُلِّ جِهَاتِهِ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مَهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ كُلَّمَا نَضِجَ جِلْدُهُ بُدِّلَ جِلْدًا غَيْرَهُ .  
 وَكُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يُخْرَجَ مِنْهَا قُمِعَ بِمَقَامٍ عَمَّ مِنْ حَدِيدٍ كُلُّ هَذَا الْعَذَابِ يُعَانِيهِ وَلَا يَمُوتُ ❀  
 وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ❀ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا وَسِوَاءِ صَبْرٍ أَمْ لَمْ يَصْبِرْ هُوَ خَالِدٌ فِي جَهَنَّمَ خُلُودًا لَا انْتِهَاءَ لَهُ أَبَدًا .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أتى بفرس يجعل كل خطو منه أقصي بصره فسار وسار معه جبريل عليه السلام .

فأتي علي قوم يزرعون في يوم ويحصدون في يوم كُلُّمَا حصدوا عاد كما كان فقال يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء المجاهدون في سبيل الله تضاعف لهم الحسنات بسبعمائة ضعف وما أنفقوا من شيء فهو يخلفه .

ثم أتى علي قوم ترسخ رؤوسهم بالصخر كُلُّمَا رضخت عادت كما كانت ولا يفترون عنهم من ذلك شيء قال يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين



تثاقلْتُ رؤوسهم عن الصَّلَاة .

ثُمَّ أَتَى عَلِيٌّ قَوْمَ عَلِيِّ أَدْبَارِهِمْ رِقَاعَ وَعَلِيٌّ أَقْبَالَهُمْ رِقَاعَ يَسْرَحُونَ كَمَا تَسْرَحُ الْأَنْعَامُ إِلَى الضَّرِيحِ وَالزَّقُومِ وَرَضَفَ جَهَنَّمَ قَالَ : مَا هَؤُلَاءِ يَا جَبْرِيلُ ، قَالَ : هَؤُلَاءِ الَّذِينَ لَا يُؤَدُّونَ صَدَقَاتِ أَمْوَالِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَمَا اللَّهُ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ .

ثُمَّ أَتَى عَلِيٌّ رَجُلًا قَدْ جَمَعَ حَزْمَةَ عَظِيمَةً لَا يَسْتَطِيعُ حَمْلَهَا وَهُوَ يَرِيدُ أَنْ يَزِيدَ عَلَيْهَا قَالَ : يَا جَبْرِيلُ مَا هَذَا ، قَالَ : هَذَا رَجُلٌ مِنْ أُمَّتِكَ عَلَيْهِ أَمَانَةُ النَّاسِ لَا يَسْتَطِيعُ أَدَاءَهَا وَهُوَ يَرِيدُ أَنْ يَزِيدَ عَلَيْهَا .

ثُمَّ أَتَى عَلِيٌّ قَوْمًا تَقْرَضُ شَفَاهَهُمْ وَأَلَسْتَهُمْ بِمَقَارِيضٍ مِنْ حَدِيدٍ كُلَّمَا قَرَضَتْ عَادَتْ كَمَا كَانَتْ لَا يَفْتَرِعْنَهُمْ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ قَالَ : يَا جَبْرِيلُ مَا هَؤُلَاءِ ، قَالَ : خُطْبَاءُ الْفِتْنَةِ .

ثُمَّ أَتَى عَلِيٌّ حَجْرًا صَغِيرًا يُخْرَجُ مِنْهُ ثَوْرٌ عَظِيمٌ فَيَرِيدُ الثَّوْرُ أَنْ يَدْخُلَ مِنْ حَيْثُ خَرَجَ فَلَا يَسْتَطِيعُ قَالَ : مَا هَذَا يَا جَبْرِيلُ ، قَالَ : هَذَا الرَّجُلُ يَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ الْعَظِيمَةِ فَيَنْدَمُ عَلَيْهَا فَيَرِيدُ أَنْ يَرُدَّهَا فَلَا يَسْتَطِيعُ .

ثُمَّ أَتَى عَلِيٌّ وَاِدًّا فَوَجَدَ رِيحًا طَيِّبَةً وَوَجَدَ رِيحَ مَسْكِ مَعَ صَوْتٍ فَقَالَ : مَا هَذَا ، قَالَ : صَوْتُ الْجَنَّةِ ، تَقُولُ : يَا رَبِّ ائْتِنِي بِأَهْلِي وَبِمَا وَعَدْتَنِي فَقَدْ كَثُرَ غَرَسِي وَحَرِيرِي وَسُنْدُسِي وَإِسْتَبْرَقِي وَعَبْقَرِي وَمَرْجَانِي وَفَضْتِي وَذَهَبِي وَأَكْوَابِي وَصَحَافِي وَأَبَارِيقِي وَفَوَاكِهِي وَعَسَلِي وَمَائِي وَلَبْنِي وَخَمْرِي ائْتِنِي بِمَا وَعَدْتَنِي .

قَالَ : لَكَ كُلُّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ وَمُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ وَمَنْ آمَنَ بِي وَبِرَسُولِي وَعَمِلَ

صالحاً ولم يشرك شيئاً ولم يتخذ من دوبي أنداداً فهو آمن ومن سألني أعطيته ومن أرضني جزيته ومن توكل علي كفيته إني أنا الله لا إله إلا أنا لا خلف لميعادي قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ تبارك الله أحسن الخالقين ، فقالت : رضيت . ثُمَّ أَتَى عَلِي وَإِذْ فَسِمَعَ صَوْتاً مَنْكِراً ، فَقَالَ : يَا جَبْرِيْلُ مَا هَذَا الصَّوْتُ ، قَالَ : هَذَا صَوْتُ جَهَنَّمَ تَقُولُ يَا رَبِّ ائْتِنِي بِأَهْلِي وَبِمَا وَعَدْتَنِي فَقَدْ كَثُرَتْ سِلَاسِلِي وَأَغْلَالِي وَسَعِيرِي وَحَمِيمِي وَغَسَاقِي وَغَسَلِينِي وَقَدْ بَعْدَ فَعْرِي وَاشْتَدَّ حَرِي ائْتِنِي بِمَا وَعَدْتَنِي قَالَ لَكَ كُلُّ مُشْرِكٍ وَ مُشْرِكَةٌ وَخَبِيثٌ وَخَبِيثَةٌ وَكُلُّ جَبَّارٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ، قَالَتْ : قَدْ رَضِيْتُ ، رَوَاهُ الْبُزَارِيُّ عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ - أَوْ غَيْرِهِ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ التَّرْغِيبُ وَالتَّرْهِيْبُ ج ٤ ص ٤٥٤ فِي كِتَابِ صِفَةِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ .

عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « ويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره » .

وعنه رضي الله عنه النبي ﷺ قال في قوله : " سأرهقه صعوداً " قال : « جبل من نار يكلف الكافر أن يصعده فإذا وضع يده عليه ذابت فإذا رفعها عادت وإذا وضع رجله عليه ذابت فإذا رفعها عادت يصعد سبعين خريفاً ثم يهوي كذلك " رواه أحمد والحاكم وقال : صحيح الإسناد .

عَظِيمٌ هَوْلُهُ وَالنَّاسُ فِيهِ	حَيَارَى مِثْلَ مَبْثُوثِ الْفَرَاشِ
بِهِ تَتَغَيَّرُ الْأَلْوَانُ خَوْفًا	وَتَصْطَلُ الْفَرَائِضُ بَارْتِعَاشِ
هُنَالِكَ كُلُّ مَا قَدِمْتَ يَبْدُو	فَعْيُوكَ ظَاهِرٌ وَالسَّرُّ فَاشِ
تَفَقَّذَ نَفْسَ نَفْسِكَ كُلَّ يَوْمٍ	فَقَدْ أُوْدَى بِهَا طَلَبُ الْمَعَاشِ
إِلَّا لِمَ تَبْتَغِي الشَّهَوَاتِ طَوْرًا	وَطَوْرًا تَكْتَسِي لَيْنَ الرِّيشِ

اللَّهُمَّ أَلْحِقْنَا بِعِبَادِكَ الْإِبْرَارِ وَأَتَنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَاعْفُرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

### نَمَازِجُ مِنْ عَدْلِهِ ﷺ

من ذَلِكَ ما ورد عن عروة عن عائشة أن امرأة سرقت في عهد رسول الله ﷺ في غزوة الفتح ففزع قوها إلى أسامه بن زيد يستشفعون به قال : عروه فَلَمَّا كَلِمَهُ أَسَامَهُ فِيهَا تَلَوَّنَ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

وَقَالَ : أَتَكَلِّمُنِي فِي حَدِّ مَنْ حُدِّدَ اللَّهُ تَعَالَى ، فَقَالَ أَسَامَةُ : اسْتَغْفِرُ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَلَمَّا كَانَ الْعِشِيِّ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَطِيبًا فَأَثْنَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ، ثُمَّ قَالَ : أَمَا بَعْدَ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكَوهُ وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتَ يَدَهَا .  
ثُمَّ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِتِلْكَ الْمَرْأَةِ فَقَطَعْتَ يَدَهَا ، الْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ .

وَلَمَّا كَانَ الْعَبَّاسُ عَمَ النَّبِيِّ ﷺ فِي وَثَاقِهِ مَعَ الْأَسْرِيِّ يَتَرُفُّ فَارِقُ النَّبِيِّ ﷺ فَسُئِلَ عَنْ سَبَبِ أَرْقِهِ - أَيِ عَدَمِ نَوْمِهِ - وَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ نَصْرًا مُؤَزَّرًا قَالَ : سَمِعْتُ أَنِينَ الْعَبَّاسِ فِي وَثَاقِهِ فَأَسْرَعُ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ لَمَّا سَمِعَهُ وَحَلَّ وَثَاقَهُ وَعَادَ فَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُ حَلَّ وَثَاقَ الْعَبَّاسِ قَالَ ﷺ أَذْهَبَ فَاذْهَبْ فَفَعَلَ ذَلِكَ بِالْأَسْرِيِّ كُلِّهِمْ فَتَأَمَّلْ هَذَا النِّصْفَ وَالْعَدْلَ مِنْهُ ﷺ .

( موعظة )

عِبَادَ اللَّهِ مِنْ أَحْكَامِ دِينِنَا وَوَحْيِ قُرْآنِنَا وَتَعَالَى مِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ الْمَقْرَرَةَ

الثابتة أنه لا فضل لعربيّ علي عجمي ولا لأبيض علي أسود ولا لسيد علي مسود ولا لملك علي مملوك ولا صعلوك إلا بالتقوي .

فالمعيار الصحيح والميزان العدل الحق للتفاضل بين الأفراد والجماعات والترجيح بين مختلف الطوائف والطبقات والهيئات ما جاء عن رب الأرض والسموات : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ ولم يقل سبحانه وتعالى : إن الكريم من عظم جاهه أو أكثر ماله أو أكثر رجاله واستسلم له الناس طائعين ومكرهين ، بل الكريم عنده من اتصف بالتقوي .

فالعقل من راقب الله في السرّ والنجوي وعامل الناس بالمساواة ولم يراعِ الرتب والدرجات والشرف والسيادات وسوي بينهم وفق تسوية الله لهم في الواجبات والحدود والعبادات .

فتأمل تجد في الموقف بالصلاة والحج وكيف يتساوي فيه الامير والمأمور والعظيم والحقير والغني والفقير والصعلوك والوزير كلهم بلسان واحد ولهجة صادقة يؤدون العبادة لمولاهم العلي الكبير وهم معترفون بشده الافتقار إليه والعجز والتقصير فتلك هي المساواة كُلت المساواة التي جاء بها الإسلام ودعي إليها النبيّ ﷺ ومكنها في نفوس أصحابه أي تمكين .

كما ستري ما سنذكره إن شاء الله من عدلهم وإنصافهم وحبهم للمساواة وإيثارهم العدل في الاحكام وتأمل ما في هذا الحديث الشريف وما قاله المصطفى ﷺ وتأمل ما بعده ممّا سيأتيك من سيرته أ . ه .

أخرج ابن عساكر عن عبد الله بن حدرد الأسلمي رضي الله عنه أنه كان ليهودي عليه أربعة دراهم فاستعدي عليه فقال : يا مُحَمَّد إن لي علي هذا

أربعة دراهم وقد غلبني عليهما ، قال : أعطه حقه ، قال : والذي بعثك بالحق ما أقدر عليهما ، قال : أعطه حقه ، قال : والذي نفسي بيده ما أقدر عليهما قد أخبرته أنك تبعثنا إلى خيبر فأرجو أن تغنمنا شيئاً فأرجع فأفضيه .

قال : أعطه حقه ، وكان رسول الله ﷺ إذا قال ثلاثاً لم يراجع فخرج ابن أبي حدرد إلى السوق وعلي رأسه عصابة وهو متزر ببرد فمزع العمامة فاتزر بها ونزع البرده فقال : اشتر مني هذه البردة ، فباعها منه بأربعة دراهم فمرت عجوز فقالت : ما لك يا صاحب رسول الله ﷺ فأخبرها فقالت : ها دونك هذا البرد لبرد عليهما طرحته عليه .

وعن أبي سعيد الخدري قال : جاء أعرابي إلى النبي ﷺ يتقاضاه ديناً كان عليه فاشتد عليه حتى قال : أخرج عليك إلا قضيتني فانتهره أصحابه فقالوا : ويحك تدري من تكلم ، فقال : إني أطلب حقي ، فقال النبي ﷺ :

هلا مع صاحب الحق كنتم ثم أرسل إلي خولة بنت قيس فقال لها : إن كان عندك تمر فأقضينا حتى يأتينا تمر فنقضيك فقالت : نعم بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، فأقضته فقضى الأعرابي وأطعمه .

فقال : أوفيت أوفي الله لك ، فقال : أولئك خيار الناس إنه لا قدست أمة لا يأخذ الضعيف فيها حقه غير متعتع أخرجه ابن ماجه ورواه البزار من حديث عائشة رضي الله عنها مختصراً . وأخرج الطبراني عن خولة بنت قيس امرأة حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنهما قالت : كان علي رسول الله وسق من تمر لرجل من بني ساعدة فأتاه يقتضيه فأمر رسول الله ﷺ رجلاً من الأنصار أن يقتضيه فقضاه تمرًا دون تمره

فأبي أن يقبل فقال : أترد علي رسول الله ρ .

قال : نعم ومن أحق بالعدل من رسول الله ρ فاكتحلت عينا رسول الله ρ بدموعه ، ثم قال : صدق ومن أحق بالعدل مني لا قدس الله أمة لا يأخذ ضعيفها حقه من شديدها ولا يتعته .  
ثم قال : « يا خولة عديه واقضيه فإنه ليس من غريم يخرج من عند غريمه راضياً إلا صلت عليه دواب الأرض ونون البحار وليس من عبد يلوي غريمه وهو يجد إلا كتب الله عليه في كل يوم وليلة إثماً .

ولما بلغ بنيان قريش موضع الركن اختصم القبائل كل قبيلة تريد أن ترفع الركن إلى موضعه وكادوا يقتتلون علي ذلك فقال لهم أبو أمية ابن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم وكان شريفاً مطاعاً : اجعلوا الحكم بينكم لأول من يدخل من باب الصفا فقبلوا ذلك منه وكان أول داخل رسول الله ρ فلما رأوه قالوا : الأيمن أقبل وكان يسمى في الجاهلية (( الأيمن )) لأمانته وصدقه فقالوا جميعاً رضينا بحكمه .

ثم قصوا عليه قصتهم فقال عليه الصلاة والسلام : هلتم إلي ثوباً ، فأتي به فوضع الركن فيه يعني الحجر الأسود ثم قال : لتأخذ كل قبيلة بطرف من هذا الثوب فحمله من أربعة أطراف أربعة من وجوه القبائل وأشرافها وزعمائها ورفعوه إلى محاذاة موضع الحجر .

فتناوله رسول الله ρ من الثوب ووضع بيده الشريفة في محله فكان الأشراف والزعماء خدماً له ρ وفي ذلك يقول هبيرة بن وهب المخزومي :

تَشَاجَرَتِ الْأَخْيَاءُ فِي فَضْلِ خُطَّةٍ  
جَرَّتْ طَيْرُهُمْ بِالنَّحْسِ مِنْ بَعْدِ أَسْعَدِ  
تَرَامَوْا بِهَا بِالْعِضِّ بَعْدَ مَوَدَّةٍ  
وَأَوْقَدَ نَاراً بَيْنَهُمْ شَرُّ مَوْقِدِ  
فَلَمَّا رَأَيْنَا الْأَمْرَ قَدْ حَانَ جَدُّهُ  
وَلَمْ يَبْقَ شَيْءٌ غَيْرَ سَلِّ الْمُهْتَدِ  
رَضِينَا وَقُلْنَا الْعَدْلُ أَوْلُ طَالِعِ  
يَجِيءُ مِنَ الْبَطْحَاءِ مِنْ غَيْرِ مَوْعِدِ  
فَفَاجَأَنَا هَذَا الْأَمِينُ مُحَمَّدٌ  
فَقُلْنَا رَضِينَا بِالْأَمِينِ مُحَمَّدِ  
بِخَيْرِ فَرِيضٍ كُلِّهَا أَسْوَى شَيْمَةِ  
وَفِي الْيَوْمِ مَعَ مَا يُحَدِّثُ اللَّهُ فِي غَدِ  
فَجَاءَ بِأَمْرٍ لَمْ يَرَ النَّاسُ مِثْلَهُ  
أَعْمَمَ وَأَرْضَى فِي الْعَوَاقِبِ وَالْبَدِي  
أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الرِّدَائِ وَكُلْنَا  
لَهُ حِصَّةً مِنْ رَفْعِهِ قَبْضَةَ الْيَدِ  
فَقَالَ ارْفَعُوا حَتَّى إِذَا مَا عَلَتْ بِهِ  
أَكْفُهُمْ وَالْأَى بِهِ خَيْرٌ مُسْنَدِ  
وَكُلُّ رَضِينَا فَعَلَهُ وَصَنِيعُهُ  
فَأَعْظَمَ بِهِ مِنْ رَأْيٍ هَادٍ وَمُهْتَدِ  
وَتِلْكَ يَدٌ مِنْهُ عَلَيْنَا عَظِيمَةٌ

## يَرُوحُ بِهَا هَذَا الزَّمَانُ وَيَغْتَدِي

والأربعة الآخذون بطرف الرداء هم : عتبة بن ربيعة بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف والأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزي بن قصي ، وأبو حذيفة ابن المغيرة بن عمرو بن مخزوم بن يقظة ، وقيس بن عدي السهمي ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلِيَ اللَّهُ عَلَي مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ . وَمَا يَنْطَبِقُ عَلَي الرَّسُولِ ρ مَا يَلِي :

فَمَا غَابَ عَن حِلْمٍ وَلَا شَهَدَ الْخِنَا      وَلَا اسْتَعَذَبَ الْعُورَاءَ يَوْمًا فَقَالَهَا  
يَدُومُ عَلَى خَيْرِ الْخِلَالِ وَيَتَّقِي      تَصَرُّمَهَا مِنْ شِيمَةٍ وَأَنْتَقَالَهَا  
وَتَفْضُلُ أَيْمَانَ الرِّجَالِ شِمَالَهُ      كَمَا فَضَلَتْ يُمْنَى يَدِيهِ شِمَالَهَا  
وَيَبْتَدِلُ النَّفْسَ الْمَصُونَةَ نَفْسَهُ      إِذَا مَا رَأَى حَقًّا عَلَيْهِ ابْتَدَالَهَا

### ( فَصْلٌ )

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ : وَسِيرَةُ النَّبِيِّ ρ مِنْ آيَاتِهِ وَأَخْلَاقِهِ وَأَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَشَرِيعَتِهِ مِنْ آيَاتِهِ وَأَمْتِهِ مِنْ آيَاتِهِ وَكَرَامَاتِ صَالِحِي أَمْتِهِ مِنْ آيَاتِهِ .  
وَذَلِكَ يَظْهَرُ بِتَدْبِيرِ سِيرَتِهِ مِنْ وَلَدٍ إِلَى أَنْ بَعَثَ وَمِنْ حِينَ بَعَثَ إِلَى أَنْ مَاتَ وَبِتَدْبِيرِ نَسَبِهِ وَبِلَدِهِ وَأَصْلِهِ وَفَصْلِهِ فَإِنَّهُ كَانَ مِنْ أَشْرَفِ أَهْلِ الْأَرْضِ نَسَبًا مِنْ صَمِيمِ سَلَالَةِ إِبْرَاهِيمَ الَّذِي جَعَلَ اللَّهُ فِي ذُرِّيَّتِهِ النَّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ .

فَلَمْ يَأْتِ نَبِيٌّ مِنْ بَعْدِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مِنْ ذُرِّيَّتِهِ وَجَعَلَ لَهُ ابْنَيْنِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَذَكَرَ فِي التَّوْرَةِ هَذَا وَهَذَا وَبَشَرَ فِي التَّوْرَةِ بِمَا يَكُونُ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ .

وَلَمْ يَكُنْ فِي وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ مِنْ ظَهَرَ فِيمَا بَشَرَتْ بِهِ النَّبَوَاتُ غَيْرَهُ وَدَعَا إِبْرَاهِيمَ لَذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ بِأَنْ يَبْعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ ثُمَّ هُوَ مِنْ قَرِيشِ صَفْوَةَ بَنِي إِبْرَاهِيمَ مِنْ بَنِي هَاشِمِ صَفْوَةَ قَرِيشِ .  
وَمِنْ مَكَّةَ أُمَّ الْقُرَيْيِ وَبِلَدِهِ الْبَيْتُ الَّذِي بَنَاهُ إِبْرَاهِيمَ وَدَعَا النَّاسَ إِلَى



حجه ، ولم يزل محجوجاً من عهد إبراهيم مذكوراً في كتب الأنبياء بأحسن وصف ، وكان من أكمل الناس تربية ونشأة لم يزل معروفاً بالصدق والبر والعدل ومكارم الأخلاق وترك الفواحش والظلم وكل وصف مذموم .

مشهوداً له بذلك عند جميع من يعرفه قبل النبوة ومن آمن به وكفر بعد النبوة ، لا يعرف له شيء يعاب به لا في أقواله ولا في أفعاله ولا في أخلاقه ولا جريت عليه كذبة قط ولا ظلم ولا فاحشة .

وكان خلقه وصورته من أكمل الصور وأتمها وأجمعها للمحاسن الدالة على كماله ، وكان أمياً من قوم أميين لا يعرف لا هو ولا هم ما يعرفه أهل الكتاب (( التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ )) .

ولم يقرأ من علوم الناس ولا جالس أهلها ولم يدع نبوة إلى أن أكمل الله له أربعين سنة فأتي بأمر هو أعجب الأمور وأعظمها وبكلام لم يسمع الأولون والآخرون بنظيره .

وأخبر بأمر لم يكن في بلده ولا في قومه من يعرف مثله ولم يعرف قبله ولا بعده ، لا في مصر من الأمصار ولا في عصر من الأعصار من أتى بمثل ما أتى به ولا من ظهر كظهوره .

ولا من أتى من العجائب والآيات بمثل ما أتى به ولا من دعا إلى شريعة أكمل من شريعته ، ولا من ظهر دينه على الأديان كلها بالعلم والحجة وباليد والقوة كظهوره .

ثم إنه اتبعه اتباع الأنبياء وهم الضعفاء من الناس وكذبه أهل الرئاسة

وعادوه وسعوا في هلاكه وهلاك من تبعه بكل الطرق ، كما كَانَ الكفار يفعلون مَعَ الأنبياء وأتباعهم .

وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُ لَمْ يَتَّبِعُوهُ لِرَغْبَةٍ وَلَا لِرَهْبَةٍ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ مَالٌ يُعْطِيهِمْ وَلَا جِهَاتٌ يُؤَلِّيهِمْ إِيَّاهَا وَلَا كَانَ لَهُ سَيْفٌ بَلْ كَانَ السَّيْفُ وَالْجَاهُ وَالْمَالُ مَعَ أَعْدَائِهِ ، وَقَدْ آذَوْا أَتْبَاعَهُ بِأَنْوَاعِ الْأَذَى وَهُمْ صَابِرُونَ مُحْتَسِبُونَ لَا يَرْتَدُونَ عَنْ دِينِهِمْ لَمَّا خَالَطَتْ قُلُوبَهُمْ حَلَاوَةُ الْإِيمَانِ وَالْمَعْرِفَةِ .

وكانت مَكَّةُ يحجها الْعَرَبُ من عهد إبراهيم فاجتمع في الموسم قبائل الْعَرَبِ فيخرج إليهم يبلغهم الرسالة ويدعوهم إلى الله صابراً علي ما يلقاه من تكذيب المكذب وحقاء الجافي وإعراض المعرض إلى أن اجتمع بأهل يثرب وكانوا جيران اليهود قد سمعوا أخباره مِنْهُمْ وعرفوه .

فَلَمَّا دَعَاهُمْ عَلِمُوا أَنَّهُ النَّبِيُّ الْمُنْتَقِظُ الَّذِي تَخَبَّرَهُمْ بِهِ الْيَهُودُ وَكَانُوا قَدْ سَمِعُوا مِنْ أَخْبَارِهِ مَا عَرَفُوا بِهِ مَكَانَتَهُ ، فَإِنْ أَمْرُهُ كَانَ قَدْ انْتَشَرَ وَظَهَرَ فِي بَعْضِ عَشْرَةِ سَنَةٍ فَأَمَنُوا بِهِ وَتَابَعُوهُ عَلِي هَجْرَتِهِ وَهَجْرَةَ أَصْحَابِهِ إِلَى بِلَدِهِمْ وَعَلِي الْجِهَادِ مَعَهُ فَهَاجِرٌ هُوَ وَمَنْ اتَّبَعَهُ إِلَى الْمَدِينَةِ وَبِهَا الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ لَيْسَ فِيهِمْ مِنْ آمَنَ بِرَغْبَةٍ دُنْيَوِيَّةٍ وَلَا بِرَهْبَةٍ إِلَّا قَلِيلاً مِنَ الْأَنْصَارِ أَسْلَمُوا فِي الظَّاهِرِ ثُمَّ حَسَنَ إِسْلَامَ بَعْضِهِمْ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ فِي الْجِهَادِ ثُمَّ أَمَرَ بِهِ .

ولم يزل قائماً بأمر الله علي أكمل طريقة وأتمها من الصدق والعدل والوفاء لا يحفظ عليهِ كذبة واحدة ولا ظلم لأحد ولا غدر بأحد ، بل كَانَ أَصْدَقَ النَّاسِ وَأَعْدَلَهُمْ وَأَبْرَهُمْ وَأَوْفَاهُمْ بِالْعَهْدِ مَعَ اخْتِلَافِ الْأَحْوَالِ عَلَيهِ مِنْ حَرْبٍ وَسَلْمٍ وَأَمْنٍ وَخَوْفٍ وَغَنِيٍّ وَفَقْرٍ وَقَلَّةٍ وَكَثْرَةٍ وَظُهُورِهِ وَعَلِي الْعَدُوِّ

تارة وظهور العُدُوِّ عَلَيْهِ تارة .

وهو علي ذلك كله ملازم لأكمل الطرق وأتمها حتي ظهرت الدعوة في جميع أرض العرب التي كانت مملوءة من عبادة الأوثان ومن أخبار الكهان وطاعة المخلوق في الكفر بالخالق وسفك الدماء المحرمة وقطيعة الأرحام لا يعرفون آخرة ولا معاداً .

فصاروا أعلم أهل الأرض وأدينهم وأعدلهم وأفضلهم وهذه آثار علمهم وعملهم في الأرض وآثار غيرهم يعرف العقلاء فرق ما بين الأمرين وَهُوَ  $\rho$  مَعَ ظهور أمره و طاعة الخلق له وتقديمهم له علي الأنفس والأموال مَاتَ ولم يخلف درهماً ولا ديناراً ولا متاعاً ولا دابةً إلا بغلته وسلاحه ودرعه مرهونة عِنْدَ يهودي علي ثلاثين وسقاً من شعير ابتاعها لأهله .

وَكَانَ بيده عقار ينفق منه علي أهله والباقي يصرفه في مصالح المسلمين فَحَكَمَ بأنه لا يورث ولا يأخذ ورثته منه شيئاً وَهُوَ فِي كُلِّ وَقْتٍ يظهر علي يديه من الآيات وفنون الكرامات ما يطول وصفه .

ويخبرهم بما كَانَ وما يكون ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المُنْكَرَ ويحلُّ لَهُمُ الطيبات ويحرم عَالِيَهُمُ الخبائث ويشرع الشريعة شيئاً بعد شيء .

أكمل الله دينه الَّذِي بعث به وجاءت شريعته أكمل شريعة لم يبق معروف تعرف العقول أنه معروف إلا أمر به ولا منكر تعرف العقول أنه منكر إلا نهي عنه .

لم يأمر بشيءٍ فقيلاً : ليته لم يأمر به ولا نهي عن شيءٍ فقيلاً : ليته لم ينه عنه وأحل الطيبات لم يحرم شيئاً منها كما حرم في شرع غيره وحرم الخبائث لم يحل منها شيئاً كما استحله غيره .  
وجمع محاسن ما عليه الأمم فلا يذكر في التوراة والإنجيل والزيور نوع من الخبر عن الله وعن ملائكته وعن اليوم الآخر إلا وقد جاء به علي أكمل وجه وأخبر بأشياء ليست في هذه الكتب .

وأتمه أكمل الأمم في كل فضيلة فإذا قيس علمهم بعلم سائر الأمم ظهر فضل علمهم وإن قيس دينهم وعبادتهم وطاعتهم لله بغيرهم ظهر أنهم أدين من غيرهم وإذا قيس شجاعتهم وجهادهم وصبرهم علي المكاره في ذات الله ظهر أنهم أعظم جهاداً وأشجع قلباً وهذه الفضائل به نالوها ومنه تعلموها وهو الذي أمرهم بها . ه .  
وقال آخر :

اعلم أن من شاهد أحواله ρ وأصغي إلي سماع أخباره المشتملة علي أخلاقه وأفعاله وأحواله وعاداته وسجايه وسياسته لأصناف الخلق وهدايته إلي ضبطهم وتألفه أصناف الخلق وقوده إياهم إلي طاعته .

مع ما يحكي من عجائب أجوبته في مضائق الأسئلة وبدائع تدبيراته في مصالح الخلق ومحاسن إشاراته في تفصيل ظاهر الشرع التي يعجز الفقهاء والعقلاء عن إدراك أوائل دقائقها في طول أعمارهم لم يبق له ريب ولا شك في أن ذلك لم يكن مكتسباً بحيلة تقوم بها القوة البشرية .  
بل لا يتصور ذلك إلا بالاستمداد من تأييد سماوي وقوة إلهية وأن

ذَلِكَ كَلَهُ لَا يَتَّصِرُ لِكُذِّبٍ وَلَا مَلْبَسٍ بَلْ كَانَتْ شَمَائِلُهُ وَأَحْوَالُهُ شَوَاهِدَ قَاطِعِهِ بِصِدْقِهِ حَتَّى أَنْ  
العَرَبِيُّ الفُحَّحَ كَانَ يَرَاهُ فَيَقُولُ : وَاللَّهِ مَا هَذَا وَجْهَ كَذَابٍ .  
فَكَانَ يَشْهَدُ لَهُ بِالصِّدْقِ بِمَجْرَدِ رُؤْيَيْهِ لِشَمَائِلِهِ فَكَيْفَ مِنْ شَاهِدِ أَخْلَاقِهِ وَمَارَسِ أَحْوَالِهِ فِي جَمِيعِ  
مَصَادِرِهِ وَمَوَارِدِهِ أ . ه .

وَقَالَ حَسَانُ يَرِثِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ :

بَطِيئَةَ رَسْمٍ لِلرَّسُولِ وَمَعَهْدُ  
مُنِيرٌ وَقَدْ تَعَفُّو الرُّسُومَ وَتَهْمُودُ  
وَلَا تَنْمَحِي الآيَاتِ مِنْ دَارِ حُرْمَةٍ  
بِهَا مَنَبَرُ الهَادِي الَّذِي كَانَ يَصْعَدُ  
وَوَاضِحُ آيَاتٍ وَبَاقِي مَعَالِمِ  
وَرُبْعٌ لَهُ فِيهَا مُصَلَّى وَمَسْجِدُ  
بِهَا حُجُرَاتٌ كَانَ يَنْزِلُ وَسَطَهَا  
مِنْ اللَّهِ نُورٌ يُسْتَضَاءُ وَيُوقَدُ  
مَعَالِمٌ لَمْ تُطْمَسْ عَلَى العَهْدِ آيَهَا  
أَتَاهَا البَلَى فَالآيُ مِنْهَا تَجَدَّدُ  
عَرَفْتُ بِهَا رَسْمَ الرَّسُولِ وَعَهْدَهُ  
وَقَبْرًا بِهِ وَارَاهُ فِي الثُّرْبِ مَلْحَدُ  
وَهَلْ عَدَلْتُ يَوْمًا رَزِيَّةً هَالِكِ  
رَزِيَّةً يَوْمِ مَاتَ فِيهِ مُحَمَّدُ

تَقَطَّعَ فِيهِ مَنْزِلُ الْوَحْيِ عَنْهُمْ  
 وَقَدْ كَانَ ذَا نُورٍ يَغُورُ وَيُجِدُّ  
 يَدُلُّ عَلَى الرَّحْمَنِ مَنْ يَفْتَدِي بِهِ  
 وَيُنْقِذُ مِنْ هَوْلِ الْخَزَايَا وَيُرْشِدُ  
 إِمَامًا لَهُمْ يَهْدِيهِمُ الْحَقَّ جَاهِدًا  
 مُعَلِّمًا صِدْقٍ إِنْ يُطِيعُوهُ يَسْعَدُوا  
 عَفْوًا عَنِ الزَّلَّاتِ يَقْبَلُ عُذْرَهُمْ  
 وَأَنْ يُحْسِنُوا فَاللَّهُ بِالْخَيْرِ أَجْوَدُ  
 فَبَيْنَاهُمْ فِي نِعْمَةِ اللَّهِ بَيْنَهُمْ  
 دَلِيلٌ بِهِ نَهَجُ الطَّرِيقَةِ يُقْصَدُ  
 عَزِيزٌ عَلَيْهِ أَنْ يَحِيدُوا عَنِ الْهُدَى  
 حَارِيسٌ عَلَى أَنْ يَسْتَتِقِيمُوا وَيَهْتَدُوا  
 عَطُوفٌ عَلَيْهِمْ لَا يُشْتِي جَنَاحَهُ  
 إِلَى كَنْفٍ يَخْتُو عَالِيَهُمْ وَيَمَهَّدُ  
 فَبَيْنَاهُمْ فِي ذَلِكَ النُّورِ إِذْ غَدَى  
 إِلَى نُورِهِمْ سَاهِمٌ مِنَ الْمَوْتِ مُقْصَدُ  
 فَأَصْبَحَ مَحْمُودًا إِلَى اللَّهِ رَاجِعًا  
 يُبَكِّئُهُ جَفْنَ الْمُرْسَلَاتِ وَيَحْمَدُ  
 وَأَمْسَتْ بِلَادُ الْحُرْمِ وَحَشَاءَ بِقَاعُهَا  
 لِعِيَّةٍ مَا كَانَتْ مِنَ الْوَحْيِ تَعَهَّدُ  
 قِفَارًا سِوَى مَعْمُورَةِ اللَّحْدِ ضَافَهَا

فَقَيْنِدُ يُبَكِّيهِ بِالْأَطِّ وَعَرْقَدُ  
وَمَسْجِدُهُ فَالْمُوحِشَاتُ لِفَقْدِهِ  
خَالَاءٌ لَهُ فِيهِ مَقَامٌ وَمَقَعَدُ  
فَبَكِّي رَسُولَ اللَّهِ يَا عَيْنُ عَبْرَةَ  
وَلَا أَعْرِفَنَّكَ الدَّهْرَ دَمْعُكَ يَجْمُدُ  
وَمَا لَكَ لَا تَبْكِينَ ذَا النِّعْمَةِ الَّتِي  
عَلَى النَّاسِ مِنْهَا سَابِغٌ يَتَغَمَّدُ  
فَجُودِي عَلَيْهِ بِالْدُمُوعِ وَأَعُولِي  
لِفَقْدِ الَّذِي لَا مِثْلَهُ الدَّهْرُ يُوجَدُ  
وَمَا فَقَدَ الْمَاضُونَ مِثْلَ مُحَمَّدٍ  
وَلَا مِثْلَهُ حَتَّى الْقِيَامَةِ يُفْقَدُ  
أَعْفَ وَأَوْفَى ذِمَّةً بَعْدَ ذِمَّةٍ  
وَأَقْرَبَ مِنْهُ نَائِلًا لَا يُنْكَدُ  
وَأَبْدَلَ مِنْهُ لِلطَّرِيفِ وَتَالِدٍ  
إِذَا ظَنَّ مِعْطَاءً بِمَا كَانَ يُتَلَدُ  
وَأَكْرَمَ حَيًّا فِي الْبُيُوتِ إِذَا انْتَمَى  
وَأَكْرَمَ جَدًّا أَبْطَحِيًّا يُسْوَدُ  
وَأَمْنَعَ ذُرُورَاتٍ وَأَثَبَتَ فِي الْعُلَى  
دَعَائِمَ عِرْزِ شَاهِقَاتٍ تُشَيِّدُ  
وَأَثَبَتَ فِرْعَانَ فِي الْفُرُوعِ وَمَثَبَاتٍ  
وَعُودًا غَذَاهُ الْمُزْنَ فَالْعُودُ أَغْيَدُ

رَبَّاهُ وَلِيْدًا فَاسْتَتَمَّ تَمَامُهُ  
 عَلَيَّ أَكْرَمَ الْخَيْرَاتِ رَبُّ مُمَجَّدُ  
 تَنَاهَتْ وَصَاتُ الْمُسْلِمِينَ بِكَفِّهِ  
 فَلَا الْعِلْمُ مَحْبُوسٌ وَلَا الرَّأْيُ يُفْنَدُ  
 أَقْوُلٌ وَلَا يُلْفَى لِقَوْلِي عَائِبُ  
 مِنْ النَّاسِ إِلَّا عَازِبُ الْعَقْلِ مُبَعَّدُ  
 وَلَيْسَ هَوَائِي نَازِعًا عَنْ ثَنَائِهِ  
 لَعَلِّي بِهِ فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ أُخْلَدُ  
 مَعَ الْمُصْطَفَى أَرْجُو بِذَلِكَ جِوَارُهُ  
 وَفِي نَيْلِ ذَلِكَ الْيَوْمِ أَسْعَى وَأَجْهَدُ

آخر: سَأَنْظِمُ مِنْ فَخْرِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ  
 تَضَوُّعَ طَيْبًا عَرَفْتُهَا فَكَانَتْهُ  
 سَجَايَا أَبَتْ إِلَّا السَّمَاكِينَ مَنْزِلًا  
 خِلَالُ إِذَا لَاحَتْ قَبَابُ لَدِي عِلَا  
 إِذَا يَمَّمُوا يَوْمًا إِمَامَ مَكَارِمِ  
 فَكَمْ ذُو عِلَا أَوْمًا لِدَرْكِ مَقَامِهَا  
 وَكَمْ ظَامِيءٍ قَدْ رَامَ يُرَوِي بَرِيَّتِهَا  
 لِذَلِكَ الْعِلَا قَلْبِي مَشُوقٌ بِحُبِّهِمْ  
 فَلِلَّهِ عَيْنٌ لَا تَمَلُّ بُكَاءَهَا  
 وَنَفْسٌ عَلَى بُعْدِ الدِّيَارِ قَرِيحَةٌ  
 وَعُمُرٌ مَضَتْ أَيَّامُ شَرْخِ شَبَابِهِ  
 لِأَلِيٍّ لَا يَبْلَى جَدِيدُ نِظَامِهَا  
 تَضَوُّعُ أَزْهَارٍ بَدَتْ مِنْ كِمَامِهَا  
 فَفَاقَ عَلَى الْعَلِيَاءِ عِلْقُ مَقَامِهَا  
 تُبْفُ فَتَعْلُوهَا قِبَابُ خِيَامِهَا  
 فَأَحْمَدُ قَدْ أَضْحَى إِمَامَ إِمَامِهَا  
 فَمَرَّ وَلَمْ يُدْرِكْ مَرَامِي مَرَامِهَا  
 فَآبَ وَقَدْ أَضْحَى عَلِيلُ أُوَامِهَا  
 وَقَدْ شَوَّقَتْ نَفْسِي بِطُولِ مُقَامِهَا  
 وَقَدْ حُرِمْتُ فِيهِ لَدِيدَ مَنَامِهَا  
 تُطَارِحُ فِي الْبَلْوَى حَمَامَ حِمَامِهَا  
 وَقَدْ قَدَّ صَرْفُ الدَّهْرِ غُصْنَ قَوَامِهَا



فِيَا نَسْمَةَ الْأَسْحَارِ مِنْ نَحْوِ يَثْرِبٍ أَلْمِي بِنَفْسٍ قَدْ ذَوَتْ بِضَرَامِهَا

وَيَا حَادِي الْأَطْعَانِ نَحْوَ قِبَابِهِمْ إِلَّا فَاخْصُصِ الْعَلِيَّا بِطِيبِ سَلَامِهَا

اللَّهُمَّ توفنا مسلمين وألحقنا بعبادك الصالحين الَّذِينَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

### ( موعظة )

عِبَادَ اللَّهِ نَحْنُ فِي زَمَنٍ بَلَغَ فِيهِ الْفَسَادُ مَبْلَغًا مَا كَانَ يَدُورُ فِي خَلْدِ إِنْسَانٍ وَهَانَ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ الْيَوْمَ أَنْ يَتَقَدَّمُوا إِلَى الْمَعَاصِي مُطْمَئِنِينَ وَخَفَ عَلَيْهِمْ جَدًّا أَنْ يَرْتَكِبُوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ غَيْرَ هِيَابِينَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَلَا مَبَالِينَ بِنَوَاهِيهِ .

ولعل زمننا هذا ينطبق عليه ما في حديث أنس رضي الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ الْقَابِضُ عَلَى دِينِهِ كَالْقَابِضِ عَلَى الْجَمْرِ " ، وما في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ ، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ » أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ .

وأخرجه الإمام أحمدُ وابنُ ماجه من حديث ابن مسعود بزيادة في آخره وهي - : قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ : وَمِنَ الْغُرَبَاءِ ، قَالَ : « النَّزَاعُ مِنَ الْقَبَائِلِ » ، وَأَخْرَجَهُ أَبُو بَكْرٍ الْأَجْرِيُّ وَعِنْدَهُ - : قِيلَ وَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : « الَّذِينَ يَصْلِحُونَ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ » .

وأخرجه غيره ، وعنده قال : « الَّذِينَ يَفْرُونَ بِدِينِهِمْ مِنَ الْفِتَنِ » ، وَأَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ كَثِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمَرْزِيِّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ : (( إِنْ الدِّينَ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَرْجِعُ غَرِيبًا فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ الَّذِينَ يَصْلِحُونَ مَا أَفْسَدَ

النَّاسِ مِنْ سُنَّتِي)) ، وفي حديثه : " قِيلَ وَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ : « الَّذِينَ يَصْلِحُونَ حِينَ فساد النَّاسِ )) .

أما الحديث الأول فهو واضح ومنطبق كُـلِّ الانطباق عَلَى هَذَا الزمان فيما أرى وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَذَلِكَ أَنَّكَ تَرَى الشر والفساد فِي كُلِّ مَكَانٍ مَنْتَشِرًا وَالْحَيَّرَ نادر الوجود فالفتن فِي البيوت والأسواق والدكاكين والسيارات والقطارات والطائرات فتن شهوات نساء سافرات وفتن شكوك وإلحاد وشبهات من أناس منحرفين وكتب ضلال ومجلات تحمل فِي طيها البلايا والشرور وفيديوهات تعلم الفساد أبلغ تعليم وتهيج عَلَيْهِ ، حدث فتن يرقق بعضها بعضاً وحوادث الأخرى أعظم من الأولى ومن أعظم ما حدث كثرة الخدامين والخداماتِ والسواقين والطباخين والمربين فإن ضررهم عَظِيم عَلَى الدين والأخلاق والدُّنْيَا . فانته يا من زين له سوء عمله وأتى بكفار أعداء الله ورسوله والمُؤْمِنِينَ وأمنهم عَلَى محارمه خدامين أو سواقين أو مربين أو نحو ذَلِكَ عياداً بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ .

شعراً: إِذَا أَكْثَرَ الْأَجَانِبُ فِي بِلَادِ

تَلَأَشَى الْأَمْنُ وَانْتَشَرَ الْفَسَادُ

وَقَدْ كُنْتُ أَشْكُو مِنْ حَوَادِثِ بُرْهَةِ

وَأَسْتَمِرُّ الْأَيَّامَ وَهِيَ صَحَائِحُ

إِلَى أَنْ تَعَشَّيْتَنِي وَقِيَّتَ حَوَادِثُ

تُحَقِّقُ أَنَّ السَّالِفَاتِ مَنَاحُ

آخِر: ظَلِمَ تَهَافَّتْ آخِذَاتُ بَعْضُهَا

بِالْبَعْضِ تَسْتَلِبُ الْفُؤَادَ الْأَمْعَا

لَا يَسْتَيِّنُ الْمَرْءُ فِيهَا كَفَّهُ

تَنْدَرُ الْحِجَابِ بِالْبَاطِلَاتِ مُوَلَّعَا

## وَجَهَالَةٌ جَهْلًا يَرْتَعُ أَهْلَهَا

فِي حِنْدِسٍ مِنْهَا وَسَاءَتْ مَرْتَعَا

وفتن أموال انفتحت على النَّاس بكثرة وفتن أولاد وبنات وزوجات وزملاء وشركاء وعمال منافقين كذابين لا يصلون ولا يصومون وكثرة مغتابين ونمامين وخداعين ومكارين ومجاهرة بالمعاصي وقلة أنصار وأعوان وكثرة مثبطين عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونحو ذَلِكَ بِمَّا يطول ذكره . وقل أن تجد من هؤلاء من يحافظ على أركان الإسلام .

ولكن المتمسك بدينه القائم بدفع هذه المعارضات والعوائق التي لا يصمد لها إلا أهل البصائر واليقين وأهل الإيمان المتين الثابتين ثبوت الجبال الراسيات من أفضل خلق الله وأعلاهم درجة عند الله وأعظمهم عنده قدرًا جعلنا الله وإياكم منهم إنه القادر على ذَلِكَ .

وَهَذَا زَمَانُ الصَّبْرِ مَنْ لَكَ بِالتِّي لِقَبْضٍ عَلَى جَمْرٍ فَتَنْجُو مِنَ الْبَلَاءِ

وأما الحديث الثاني فالإسلام في أول أمره غريب قليل لأن النَّاس كانوا قبل مبعث رسول الله ﷺ على ضلاله عامة فلَمَّا بُعث مُحَمَّدٌ ﷺ لم يستجب له في أول الأمر إلا الواحد بعد الواحد من كُلِّ قبيلة وكانَ المستجيب له خائفًا من عشيرته يؤذي غاية الأذى وينال منه وَهُوَ صابر على ذَلِكَ في الله عزَّ وجلَّ .

وكانَ المسلمون إذ ذاك مستضعفين يشردون كُلَّ مشرَّد ويهربون بدينهم إلى البلاد النائية كما هاجروا إلى الحبشة مرتين ثُمَّ هاجروا إلى المَدِينَة وكانَ مِنْهُمْ من يعذب في الله ويقتل كعمار وأمه وأبيه وبلال وغيرهم من الصحابة .

ولعله مر بك أثناء الكِتَاب ما جري عَلَيْهِمْ فِي أول إسلامهم من الأذي فقد ذكرنا نماذج مِنْهُمْ ، قال بَعْضُهُمْ آيَات لا تنطبق إلا عَلَى الصحابة رضوان الله عَلَيْهِمْ أجمعين :

قَوْمٌ لَقَدْ آمَنُوا بِاللَّهِ خَالِقِهِمْ  
وَهَاجَرُوا وَاتَّقُوا إِيْمَانًا وَعُدْوَانًا  
وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بَلْ صَبَرُوا  
وَصَابَرُوا لِذَوِي الْإِشْرَاقِ أَرْمَانًا  
تَعْلُمُ الْعِلْمَ بِالْإِصْبَاحِ هُمُّهُمْ  
وَيَنْقُضِي لِيْلَهُمْ ذِكْرًا وَقُرْآنًا  
وَجَامِعُ الْأَمْرِ إِنْ تَطَلَّبَ لَوْصِفِهِمْ  
نَهَارُهُمْ أَسَدٌ وَاللَّيْلُ زُهْبَانًا

فَكَانَ الدَّاخِلُونَ فِي الْإِسْلَامِ إِذْ ذَاكَ غُرَبَاءَ .

تَمَّ ظَهْرُ الْإِسْلَامِ بَعْدَ الْهَجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ وَعَزَّ وَصَارَ أَهْلُهُ ظَاهِرِينَ كُلَّ الظُّهُورِ وَدَخَلَ النَّاسُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا وَأَكْمَلَ اللَّهُ لَهُمُ الدِّينَ وَأَتَمَّ عَلَيْهِمُ النِّعْمَةَ .

وتوفي رسول الله ﷺ والأمر عَلَى ذَلِكَ وَأَهْلُ الْإِسْلَامِ عَلَى غَايَةِ مِنَ الْإِسْتِقَامَةِ فِي دِينِهِمْ وَهُمْ مُتَعَاضِدُونَ مُتَنَاصِرُونَ .

وَكَانُوا عَلَى ذَلِكَ فِي زَمَنِ أَبِي بَكْرٍ وَعَمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا تَمَّ عَمَلُ الشَّيْطَانِ مَكَائِدَهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَأَلْقَى بِأَسْهَمِ بَيْنَهُمْ وَأَفْشَى فِيهِمْ فِتْنَ الشَّبَهَاتِ وَالشَّهَوَاتِ .

ولم تنزل هاتان الفتنتان تنزيदान شيئاً فشيئاً حتى استحكمت مكيدة

الشیطان وأطاعه أكثر الخلق فمنهم من أطاعه ودخل في فتنة الشبهات ومنهم من دخل في فتنة الشهوات ومنهم من دخل في الفتنتين .  
وكل ذلك مما أخبر النبي ﷺ بوقوعه فأما فتنة الشبهات .  
فقد روي عن النبي ﷺ من غير وجه : أن أمته ستفترق على أزيد من سبعين فرقة وأن تلك الفرق في النار إلا واحدة وهي من كانت على ما هو عليه هو وأصحابه .  
وعن أبي برزة عن النبي ﷺ قال : إنما أخشي عليكم الشهوات التي في بطونكم و فروجكم ومضلات الفتن وفي رواية ومضلات الهوي .  
فلما دخل أكثر الناس في هاتين الفتنتين أو إحديهما أصبحوا متقاطعين متباغضين بعد أن كانوا إخواناً متحابين متواصلين فإن فتنة الشهوات عمت غالب الخلق ففتنوا بالدنيا وزهرتها فصارت غاية قصدهم لها يطلبون وبها يرضون ولها يغضبون ولها يوالون وعليها يعادون فقطعوا لذلك أرحامهم وسفكوا دماءهم وارتكبوا معاصي الله بسبب ذلك .  
وأما فتنة الشبهات والأهواء المضلة فبسببها تفرق أهل القبلة وصاروا شيعاً وكفر بعضهم بعض وأصبحوا أعداءً وفاقاً وأحزاباً بعد أن كانوا إخواناً قلوبهم على قلب رجل واحد فلم ينج من هذه الفرق كلها إلا الفرقة الواحدة الناجية .  
وهم المذكورون في قوله ﷺ : لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك .

وهم في آخر الزمان الغرباء المذكورون في هذه الأحاديث الَّذِينَ يصلحون إِذَا فسد النَّاس ويصلحون ما أفسد النَّاس من السنَّة وهم الَّذِينَ يفرون بدينهم من الفتن وهم النزاع من القبائل .

لأنهم قلوباً فلا يوجَد في كُلِّ قبيلة مِنْهُمْ إلا الواحد وَقَدْ لا يوجَد في بعض القبائل مِنْهُمْ أحد كما كَانَ الداخلون في الإسلام في أول الأمر كَذَلِكَ .

وفي مسند الإمام أحمد عن عبادة بن الصامت أنه قال لرجل من أصحابه : يوشك إن طالت بك الحياة أن تري الرجل قَدْ قرأ القرآن على لسان مُحَمَّد ﷺ فأعاده وأبداه وأحل حلاله وحرم حرامه ونزل عند منزله لا يجوز فيكم إلا كما يجوز الحمار الميت .

ومثله قول ابن مسعود : يأتي على النَّاس زمان يكون المؤمن فيه أذل من الأمة ، وإنما ذل المؤمن آخر الزمان لغريته بين أهل الفساد من أهل الشبهات والشهوات فكلهم يكرهه ويؤذيه لمخالفة طريقته لطريقتهم ومقصوده لمقصودهم ومباينته لما هم على من الشر والفساد والخبث وسائر الصفات القبيحة التي أهونها توريد الكفار والملاهي والمنكرات لبلاد المسلمين .

وتجد أكثر من يؤذيه سقطهم وسفلهم ولئامهم لقلة أعوانه وأنصاره وكثرة المخذلين والمرجفين وأعوان إبليس وجنوده خذلهم الله ودمرهم .

فكم فتروا عزم أمر بمعروف أو ناه عن منكر بقولهم ما أنت بمكلف بهم أتركهم عليك بنفسك ونحو هذا الكلام والعياذ بالله .

شِعْرًا: قَرَبْتُ وَحَانْتُ أُرْبَةً لَارْتِحَالِي	عن هذه الدنيا بلا إشكال
الأرض قد منعت كلالها والسما	ظننت وذلك رائد الأهوال
ظهر الفساد ببرها وببحرهما	وتنكرت أحوالها في الحال
لم يبق في الدنيا جميل ظاهر	إلا أقاصيص القرون الخال

هَلْ فِي الْوَرَى مُتَيْقِضٌ مُتَحَفِّظٌ    يَدَعُ الثَّوَانِي عَنْهُ فِي الْأَعْمَالِ  
 وَقَدْ تَسْلِبُ الْإِيَّامُ حَالَاتِ أَهْلِهَا  
 وَتَعْدُوا عَلَى أَسَدِ الرَّجَالِ الثَّعَالِبُ  
 آخِر: إِذَا هَلَكْتَ أَسَدُ الْعَرِينِ وَلَمْ يَكُنْ  
 لَهَا خَلْفٌ فِي الْغِيْلِ سَادَ الثَّعَالِبُ  
 آخِر: لَمَّا تَبَدَّلَتِ الْمَجَالِسُ أَوْجُهًا  
 غَيْرَ الَّذِينَ عَهَدْتُ مِنْ عُلَمَائِهَا  
 وَرَأَيْتَهَا مَخْفُوفَةً بِسِوَى الْأَوْلَى  
 كَانُوا وُلَاةَ صُدْرُوهَا وَفِنَائِهَا  
 أَنْشَدْتُ بَيْتًا سَائِرًا مُتَقَدِّمًا  
 وَالْعَيْنُ قَدْ شَرِقَتْ بِجَارِي مَائِهَا  
 أَمَا الْحِيَامُ فَإِنَّهَا كَحِيَامِهِمْ  
 وَأَرَى رِجَالَ الْحَيِّ غَيْرَ رِجَالِهَا

فيا له من زمان يواجه فيه المؤمن الصابر عواصف الفتن ورُبَّمَا تمنى الموت لما يري من المنكرات التي لا يستطيع لها تغييراً وسمع إلي ما ورد .

فعن محمر عن يحيى بن أبي كثير قال : دخلت على أبي مسلمة ابن عبد الرحمن وهو مريض فقَالَ : إن استطعت أن تموت فمت فوالله ليأتي على الناس زمان يكون الموت أحب إلي أحدهم من الذهب الأحمر .

قُلْتُ : وفي زمننا هذا موجود في كثير من أقطار الأرض مسلمون ينوع عليهم العذاب عشية وضحاها وبودهم لو ماتوا واستراحوا فالموت أحب إليهم من الذهب الأحمر ، وَقَالَ طاووس : لا تحرز دين المرء إلا حفرته .

وروي أن ابن عباس قال لعمر رضي الله عنهما : أكثرت الدعاء بالموت حتي خشيت أن يكون ذلك أسهل لك عند أوان نزوله فلماذا مللت أما تعين صالحاً أو تقوم فاسداً قال يا ابن عباس : إني قائل لك قولاً وهو إليك ، قال : قلتُ لن يعدوني ، قال : كيف لا أحب فراقهم وفيهم ناس كل فاتهم فيه للهوة من الدنيا إما بحق لا ينوء به أو بباطل لا يناله ولولا أن أسأل عنهم لهرت منكم فأصبح الأرض مني بلاقع ، والله أعلم وصلي الله على محمد .

### ( فصل )

ومن كلام أحمد بن عاصم الأنطاكي وكان من كبار التابعين قال : إني أدركت من الأزمنة زماناً عاد فيه الإسلام غريباً كما بدأ إن ترغب فيه إلي عالم وجدته مفتوناً بحب الدنيا يحب التعظيم والرياسة ، قلتُ : وما أكثره في زمننا فأمعن نظرك ، قال : وإن ترغب فيه إلي عابده وجدته جاهلاً في عبادته مخدوعاً صريعاً غدره إبليس قد صعد به إلي أعلا درجة العبادة وهو جاهل بأدناها فكيف له بأعلاها .

وسائر ذلك من الرعاع همج عوج ذئاب مختلصة وسباع ضارية وثلالب ضوار هذا وصف عيون أهل زمانك من حملة العلم والقرآن ودعاة الحكمة ، أخرجهم أبو نعيم في الحلية ، فهذا وصف أهل زمانه ، فكيف بما حدث بعده من العظام والدواهي التي لم تخطر بباله ولم تدر في خياله من المنكرات .

وعن الحسن البصري أنه قال : لو أن رجلاً من الصدر الأول بعث اليوم ما عرف من الإسلام شيئاً إلا تلك الصلاة . قلتُ : وفي زمننا الصلاة



جسم بلا روح عِنْدَ كثير من البقايا المتمسكين بها فلا حول ولا قوة إلا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ وَهُوَ  
حسبنا ونعم الوكيل .

ثُمَّ قَالَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لئن عاش عَلَيَّ هذه المنكرات فرأى صَاحِبَ بدعة يدعو إلي بدعته  
وصَاحِبَ دنيا يدعو إلي دنياه فعصمه الله تعالى وجعل قَلْبُهُ يحن إلي ذكر السَّلَفِ فيتبع آثارهم  
ويستن بسنتهم ويتبع سبيلهم كَانَ له أجر عَظِيمٍ .

وَقَالَ عَلِيُّ بن أَبِي طالب : تعلموا العلم تعرفوا به واعملوا به تكونوا من أهله فإنه سيأتي بعد  
زمان ينكر الحق فيه سبعة أعشارهم .

وَقَالَ ابن مسعود : يوشك من عاش منكم أن يري منكراً لا يستطيع له غير أن يعلم الله من  
قَلْبِهِ أنه له كاره . قُلْتُ : وَقَدْ وقع شيء كثير في زمننا وقبله مثل الصور والتلفزيون والفيديو  
والمذياع والكورة والسفور وحلق اللحية والدخان .

لَقَدْ بَانَ لِلنَّاسِ الْهُدَى غَيْرَ أَنَّهُمْ      غَدَوْا ابْجَلًا يَنْبِ الْهَوَى قَدْ تَجَلَّبَبُوا  
آخِر : اعْتَزَلَ أَهْلَ الْمَلَاهِي وَالْكُورَةِ      وَاخْذَرِ الْفِدْيُو وَتَلْفَازَ الضَّرِرِ  
كَمْ بِهَا قَدْ ضَاعَ عُمْرٌ يَا فَتَى      لَوْ صُرِفَ فِي طَاعَةٍ نَلْتِ الْأَجْرِ

وَقَالَ أبو الدرداء : لَوْ خرج إليكم رسول الله ﷺ ما عرف شيئاً مما كَانَ عَلَيَّ هُوَ وَأصحابه  
إلا الصَّلَاةَ ، وعن ابن عباس قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " من تمسك بسنتي عِنْدَ فساد أمتي فله  
أجرٌ مائة شهيد " رواه البيهقي ورواه الطبراني من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ إلا أنه قال : فله أجر  
شهيد .

وروي الترمذي عن أمية الشعباني قال : أتيت أبا ثعلبة الخشني فقلتُ لم ما تصنع بهذه الآية  
قال : قُلْتُ : قول الله تعالى " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا  
اهْتَدَيْتُمْ " .

قال : أما والله لقد سألت عنها خبيراً سألت عنها رسول الله ﷺ فقال : بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً وهوي متبعاً ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بنفسك ودع عنك العوام .

فإن من ورائكم أياماً الصابر فيهن على دينه كالقابض على الجمر للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون كعملكم ، قال الترمذي : عن ابن مبارك وزاد غير عتبة أي الراوي وهو ابن حكيم خمسين رجلاً منكم ، وروي الطبراني من حديث عتبة بن غزوان قال : قال رسول الله ﷺ من ورائكم أيام الصبر المتمسك فيها يومئذ بمثل ما أنتم عليه كأجر خمسين منكم .

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى :

هَذَا وَلِلْمُتَمَسِّكِينَ بِسُنَّةِ الْ—

مُخْتَارِ عِنْدَ فَسَادِ ذِي الْأَزْمَانِ

أَجْرٌ عَظِيمٌ لَيْسَ يَقْدَرُ قَدْرُهُ

إِلَّا الَّذِي أَعْطَاهُ لِلْإِنْسَانِ

فَرَوَى أَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِ لَهُ

وَرَوَاهُ أَيْضاً أَحْمَدُ الشَّيْبَانِيُّ

أَثَرًا تَضَمَّنَ أَجْرَ خَمْسِينَ امْرَأً

مِنْ صَحْبِ أَحْمَدَ خَيْرَةَ الرَّحْمَنِ

إِسْنَادُهُ حَسَنٌ وَمِصْدَاقٌ لَهُ

فِي مُسْلِمٍ فَأَفْهَمَهُ بِالْإِحْسَانِ

أَنَّ الْعِبَادَةَ وَقَّتْ هَرْجِ هِجْرَةَ

حَقًّا إِلَيَّ وَذَلِكَ ذُو بُرْهَانَ

هَذَا فِكْمِ مِنْ هِجْرَةِ لَكَ أَيُّهَا السَّ

سُنِّي بِالتَّحْقِيقِ لَا بِأَمَانِ

هَذَا وَكَمْ مِنْ هَجْرَةٍ لَهُمْ بِمَا  
قَالَ الرَّسُولُ وَجَاءَ فِي الْقُرْآنِ  
وَلَقَدْ أَتَى مِصْدَاقَهُ فِي التِّرْمِذِيِّ  
لَمَنْ لَمْ يَأْذَنْ لِي وَأَعْيَتَانِ  
فِي أَجْرِ مُحْيِي سُنَّةِ مَا تَتَّ فَذَا  
لَكَ مَعَ الرَّسُولِ لَمَنْ لَمْ يَأْذَنْ لِي  
تَشْبِيهِهُ أُمَّتِهِ بِغَيْرِ ثَبَاتٍ أَوَّلٍ  
مِنْهُ وَآخِرُهُ فَمُشْتَبِهَاتِهَا  
فَلِذَاكَ لَا يُدْرِي الَّذِي هُوَ مِنْهُمَا  
فَقَدْ خُصَّ بِالتَّفْضِيلِ وَالرُّجْحَانِ  
وَلَقَدْ أَتَى أَثَرُ بَيِّنَاتِ الْفَضْلِ فِي الْـ  
طَرَفَيْنِ أَعْرَبِيٍّ أَوَّلًا وَالثَّانِي  
وَالْوَسْطِ ذُو ثَبَاجٍ فَاعْوَجَّ هَكَذَا  
جَاءَ الْحَدِيثُ وَلَيْسَ ذَا نُكْرَانِ  
وَلَقَدْ أَتَى فِي الْوَحْيِ مِصْدَاقَ لَهُ  
فِي الثَّلَاثِينَ وَذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ  
أَهْلُ الْيَمِينِ فَثَلَاثَةٌ مَعَ مِثْلِهَا  
وَالسَّابِقُونَ أَقْلُ فِي الْحُسْبَانِ  
مَا ذَاكَ إِلَّا أَنْ تَابِعَهُمْ هُمُ الْـ  
عُرَبَاءُ لَيْسَتْ عُرْبَةً الْأَوْطَانِ  
لِكِنَّهَا وَاللَّهِ عُرْبَةً قَائِمِ

بِاللَّيْلِ عَسَاكِرِ الشَّيْطَانِ  
 فَلِذَاكَ شَبَّهَهُمْ بِهِ مَتَّبِعُوهُمْ  
 فِي الْعُرْتَيْنِ وَذَلِكَ ذُو تَبَيَّانِ  
 لَمْ يُشَبَّهُوهُمْ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِمْ  
 مِنْ كُلِّ وَجْهِ لَيْسَ يَسْتَوِيَانِ  
 فَانظُرْ إِلَى تَفْسِيرِهِ الْعُرْبَاءَ بِالْـ  
 مُحْبِزِينَ سُنَّتَهُ بِكُلِّ زَمَانِ  
 طُوبَى لَهُمْ وَالشُّوقُ يَحْدُوهُمْ إِلَى  
 أَخْذِ الْحَدِيثِ وَمُحَاكَمَةِ الْقُرْآنِ  
 طُوبَى لَهُمْ لَمْ يَعْبُوا بِنُحَاتَةِ الْـ  
 أَفْكَارِ أَوْ بِزُبَالَةِ الْأَذْهَانِ  
 طُوبَى لَهُمْ رَكِبُوا عَلَى مَتْنِ الْعَرَا  
 ثُمَّ قَاصِدِينَ لِمَطْلَعِ الْإِيمَانِ  
 طُوبَى لَهُمْ لَمْ يَعْبُوا شَيْئًا بَدَالَ  
 آرَاءِ إِذْ اغْتَنَاهُمُ الْوَحْيَانِ  
 طُوبَى لَهُمْ وَإِمَامُهُمْ دُونَ الْوَرَى  
 مَنْ جَاءَ بِالْإِيمَانِ وَالْفُرْقَانِ  
 وَاللَّهِ مَا اتَّخَمُوا بِشَخْصٍ دُونَهُ  
 إِلَّا إِذَا مَا دَلَّهُمْ بِبَيِّنَانِ  
 فِي الْبَابِ آثَارَ عَظِيمٍ شَأْنُهَا  
 أَعْيَتْ عَلَى الْعُلَمَاءِ فِي الْأَزْمَانِ

إِذْ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ أَنْ صَحَابَةَ الْـ  
مُخْتَارِ خَيْرُ طَوَائِفِ الْإِنْسَانِ  
ذَا بِالضَّرُورَةِ لَيْسَ فِيهِ الْخُلْفُ بَيْنَ  
نِ اثْنَيْنِ مَا حُكِيَتْ بِهِ قَوْلَانِ  
فَلِذَاكَ ذِي الْأَثَارِ أَعْضَلَ أَمْرَهَا  
وَبَعَثُوا لَهَا التَّفْسِيرَ بِالْإِحْسَانِ  
فَأَسْمَعَ إِذَا تَأْوِيلَهَا وَأَفْهَمَهُ لَا  
تَعْجَلْ بِرَدِّ مَنْكَ أَوْ نُكْرَانِ  
إِنَّ الْبِدَارَ بِرَدِّ شَيْءٍ لَمْ تُحِطْ  
عِلْمًا بِهِ سَبَبٌ إِلَى الْحِرْمَانِ  
وَالْفَضْلُ مِنْهُ مُطْلَقٌ وَمُقَيَّدٌ  
وَهُمَا لِأَهْلِ الْفَضْلِ مَرْتَبَتَانِ  
وَالْفَضْلُ ذُو التَّقْيِيدِ لَيْسَ بِمُوجِبِ  
فَضْلًا عَلَى الْإِطْلَاقِ مِنْ إِنْسَانِ  
لَا يُوجِبُ التَّقْيِيدُ أَنْ يَقْضِيَ لَهُ  
بِالْإِسْتِثْنَاءِ فَكَيْفَ بِالرُّجْحَانِ  
إِذَا كَانَ ذُو الْإِطْلَاقِ حَازَ مِنَ الْفَضْلِ  
بِلِ فَوَقَ ذِي التَّقْيِيدِ بِالْإِحْسَانِ  
فَإِذَا فَرَضْنَا وَاحِدًا قَدْ حَازَ نَوْ  
عًا لَمْ يَحْزُهُ فَاضِلُ الْإِنْسَانِ  
لَمْ يُوجِبِ التَّخْصِصُ مِنْ فَضْلِ عَلَيْهِ

————— وَلَا مُسَاوَاةٍ وَلَا نُقْصَانٍ  
 مَا خَلَقَ آدَمَ بِالْيَدَيْنِ بِمُوجِبِ  
 فَضْلاً عَلَى الْمَبْعُوثِ بِالْقُرْآنِ  
 وَكَذَا خَصَائِصُ مَنْ أَتَى مِنْ بَعْدِهِ  
 مِنْ كُلِّ رُسُلِ اللَّهِ بِالْبُرْهَانِ  
 فَمَحَمَّدٌ أَعْلَاهُمْ فَوْقاً وَمَا  
 حَكَمْتَ لَهُمْ بِمَرْيَّةِ الرَّجْحَانِ  
 فَالْحَائِزُ الْخَمْسِينَ أَجْراً لَمْ يَحْزَنْ  
 هَذَا فِي جَمِيعِ شَرَائِعِ الْإِيمَانِ  
 هَلْ حَازَهَا إِذْ كَانَ قَدْ عَدِمَ الْمُعِينِ  
 نَ وَهُمْ فَقَدْ كَانُوا أَوْلِي الْأَعْوَانِ  
 وَالرَّبُّ لَيْسَ يُضِيعُ مَا يَتَحَمَّلُ الْ  
 مُتَحَمِّلُونَ لِأَجْلِهِ مِنْ شَانِ  
 فَتَحَمَّلِ الْعَبْدَ الْوَحِيدِ رِضَاهُ مَعِ  
 فَيُضِ الْعَدُوَّ وَقَلَّةِ الْأَعْوَانِ  
 مِمَّا يَدُلُّ عَلَى يَقِينِ صَادِقِ  
 وَمَحَبَّةٍ وَحَقِيقَةِ الْعِرْفَانِ  
 يَكْفِيهِ ذُلًّا وَاغْتِرَاباً قَلَّةُ الْ  
 أَنْصَارِ بَيْنَ عَسَاكِرِ الشَّيْطَانِ  
 فِي كُلِّ يَوْمٍ فِرْقَةٌ تَغْزُوهُ إِنَّ  
 تَرْجِعُ يُوَافِيهِ الْفَرِيقُ الثَّانِي

فَسَلِ الْغَرِيبَ الْمُسْتَضَامَ عَنِ الَّذِي  
يَلْقَاهُ بَيْنَ عِدَى بِلا حُسْبَانِ  
هَذَا وَقَدْ بَعْدَ الْمَدَى وَتَطَاوُلِ الْ  
عَهْدِ الَّذِي هُوَ مُوجِبُ الْإِحْسَانِ  
وَلِذَلِكَ كَانَ كَقَابِضٍ جَمْرًا فَسَلِ  
أَحْشَاءَهُ عَنْ حَرِّ ذِي النَّيِّرَانِ  
وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالَّذِي فِي قَلْبِهِ  
يَكْفِيهِ عِلْمُ الْوَاحِدِ الْمَنَّانِ  
فِي الْقَلْبِ أَمْرٌ لَيْسَ يَقْدُرُ قَدْرُهُ  
إِلَّا الَّذِي آتَاهُ لِلْإِنْسَانِ  
بِرٌّ وَتَوْحِيدٌ وَصَبْرٌ مَعَ رِضَا  
وَالشُّكْرُ وَالتَّحْكِيمُ لِلْقُرْآنِ  
سُبْحَانَ قَاسِمِ فَضْلِهِ بَيْنَ الْعِبَا  
دِ فَذَلِكَ مُؤَلِّ الْقُضْلِ وَالْإِحْسَانِ  
فَالْفُضْلُ عِنْدَ اللَّهِ لَيْسَ بِصُورَةٍ أَلِ  
أَعْمَالٍ بَلْ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ  
وَتَفَاضُلِ الْأَعْمَالِ يَتَّبِعُ مَا يَقُومُ  
مُ بِقَلْبِ صَاحِبِهَا مِنَ الْبُرْهَانِ  
حَتَّى يَكُونَ الْعَامِلَانِ كِلَاهُمَا  
فِي رُتْبَةٍ تَبْدُو لَنَا بِعِيَانِ  
هَذَا وَبَيْنَهُمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ

وَالْأَرْضِ فِي فِضْلِ فِي رُجْحَانِ  
 وَيَكُونُ بَيْنَ ثَوَابِ ذَا وَثَوَابِ ذَا  
 رُتَبٌ مُضَاعَفَةٌ بِإِلا حُسْبَانِ  
 هَذَا عَطَاءُ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ  
 وَبِذَلِكَ تُعْرَفُ حِكْمَةُ الرَّحْمَنِ

وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

### " موعظة "

عِبَادَ اللهِ إِنَّ لَكُمْ بِأَبْدَانِكُمْ عناية عظيمة لا تساميهما العنايةات بل كُلَّ حياتكم ذاهبة فيما تبذلونه لخدمة هَذَا البدن من جهودات أليسَ ليلكم ونهاركم في كد مدمم لجمع الأموال وهل كُلَّ تلك الأموال إلا وسيلة تصلون بِهَا ما لهذا البدن من ملذوذات .

لا بأس بالاعتناء بالبدن لكن بدون هَذَا الإفراط الَّذِي لا يرتضيه العاقل اللبيب لأن البدن مهما أكرم ماله إلى الثَّرَاب تتمتع بلذيذ لحمه الديدان وَالَّذِي ينبغي أن تهتم به وتصرف عنايتك به نفسك قبل جسمك التي أَنْتِ بِهَا من صفة هَذَا الْعَالَمِ وَعَلَى العناية بِهَا تتوقف سعادتك في هذه الحياة وبعد الْمَمَاتِ .

ولهذه النفس غذاء ولعلك تود أن تعرفه وَهُوَ جدير بالاعتناء منك والتقدير والجد لهُ والتشمير لأن منفعة دنيا وأخرى ولا نسبةً بينها وبين منفعة هذه الأبدان .  
 ذَلِكَ الْغِذَاءُ أَوْ الْقُوَّةُ هُوَ أَنْوَاعُ الطَّاعَاتِ كِإِخْلَاصِ الْأَعْمَالِ لِلَّهِ



والذكر لَهُ وَالشُّكْرُ لَهُ ومحَبته وتعظيمه والقيام التام بأركان الإسلام الشهادتين والصَّلَاة والزَّكَاة والصيام والحج وسائر الباقيات الصالحات وأنواع العلوم والمعارف أوحاها الله وأودعها هذه المصنوعات .

والاعتناء بمكارم الأخلاق ومحاسن الشيم وما إلى ذلك من أنواع القربات واللَّذِي يظهر لنا من حالك وسيرتك أنك في شغل شاغل عن الإقبال عَلَى النفس وتغذيتها بما قلنا من أنواع الطاعات ذَلِكَ أن قلبك متعلق بتحصيل غذاء الجسم والاعتناء به فهو اللَّذِي نصب عينيك .  
ولذَلِكَ تشب وتشبب وتموت وأنت جاهل بضروريات الدين الإسلامي ورُبَّمَا مر عَلَيْكَ مدة طويلة بدون أن تتفكَّرَ بنعم الله وتذكره بلسانك وتشكره عَلَى ما أولاك وكذلك الآخرة ربما أنها تمضي المدة ولا تذكرها ولا تستعد لها .

وكما أن للأبدان أمراض كثيرة فللنفس أمراض أكثر وأعظم وأخطر وتلك الأمراض هي السيئات التي من وقبها رحم قال الله تعالى : " وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ " .

وكذلك من أمراض النفس رذائل الأخلاق والجهل بالشرع الحكيم ولهذه الأمراض دواء نافع بإذن الله أن تتوب توبة نصوحاً إلى الله وتتخلق بضعد الفعل أو الخلق الذميم فهل لك شوق إلى هَذَا الدواء الشافي بإذن الله كما أنك تشتاق بل تهول وتسرع إلى طبيب الأبدان ومعك ما معك من المَالِ إِذَا أَحْسَسْتَ بمرض في بدنك وإن لم تجد في بلادك ذهبت تطلب الشفاء ولو في بلاد الحرية والكفر محكمة القوانين أعداء الله ورسوله والمؤمنين .

أما بديع السموات والأرض فلا أراك تلتجى له إلا عند الشدائد وهذا والله قبيح ممن يدين بدين الإسلام يؤمن بالبعث والنشور ، فالتفت يا أخي لنفسك وذكرها بنعم الله عليك لتتمكن محبته وأقبل عليها وعودها على الآداب الشرعية .

شِعْرًا: يَا خَادِمَ الْجِسْمِ كَمْ تَسْعَى لِخِدْمَتِهِ

أَتَطْلُبُ الرِّيحَ مِمَّا فِيهِ حُسْرَانُ

أَقْبِلْ عَلَى النَّفْسِ وَاسْتَكْمِلْ فَضَائِلَهَا

فَأَنْتَ بِالنَّفْسِ لَا بِالْجِسْمِ إِنْسَانُ

آخر: أَرَى وَجُودَكَ هَذَا لَمْ يَكُنْ عَبْثًا

إِلَّا لِتَكْمُلَ مِنْكَ النَّفْسُ فَانْتَبِهْ

فَاعْدِلْ عَنِ الْجِسْمِ لَا تُقْبِلْ عَلَيْهِ وَمَلْ

إِلَى رِعَايَةِ مَا الْإِنْسَانُ أَنْتَ بِهِ

فَمُؤَيِّسُ النَّفْسِ عَنْ أَهْوَائِهَا يَقْظُ

وَمُطْوِعُ النَّفْسِ فِيهِ غَيْرَ مُنْتَبِهْ

وَاسْأَلْكَ سَبِيلَ الْهُدَى تَحْمِدُ مَغْبَتَهُ

فَمَنْهَجُ الْحَقِّ بَادٍ غَيْرَ مُشْتَبِهْ

إِذَا فَهَمْتَ ذَلِكَ فاعلم أن غذاء نفسك ودوائها عند أهل العلم العاملين به الذين يصدقون أقوالهم بأفعالهم المعظمون للشريعة الذين إذا رأيتهم ذكرت الله الذين لا يتشبهون بأعداء الله ولا يجاهرون بالمعاصي الصادعون بالحق الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم الذين لا تمهم الدنيا وزخارفها البراقة .

وكذلك موجود الدواء الذي ذكرنا في كتب العلماء السلفيين أتباع الصحابة والتابعين كالأئمة الأربعة والموفق وابن أبي عمير وشيخ الإسلام وابن القيم وابن رجب وابن مفلح وابن كثير ومن تتلمذ على كتبهم ممن جاء بعدهم واقتفى أثرهم وسار على نهجهم فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خيراً .

شِعْراً :

عِلْمُ الْحَدِيثِ أَجَلَ السُّؤَالِ وَالْوَطْرِ  
وَانْقُلْ رِحَالَكَ عَنْ مَعْنَاكَ مُرْتَحِلاً  
وَلَا تَقُلْ : عَاقِبِي شُغْلًا فَلَيْسَ يَرَى  
وَأَيُّ شُغْلٍ كَمِثْلِ الْعِلْمِ تَطْلُبُهُ  
أَلْهَى عَنِ الْعِلْمِ أَقْوَاماً تَطْلُبُهُمْ  
وَحَلَفُوا مَالَهُ حَظٌّ وَمَكْرَمَةٌ  
وَأَيُّ فَخْرٍ بِدُنْيَاهُ لَا بَقَاءَ لَهَا  
يَبْقَى الرَّجَالُ وَيَبْقَى عِلْمُهُمْ لَهُمْ  
وَيَذْهَبُ الْمَوْتُ بِالدُّنْيَا وَصَاحِبِهَا  
تَظُنُّ أَنَّكَ بِالدُّنْيَا أَحْوُ كَبِيرٍ  
لَيْسَ الْكَبِيرُ عَظِيمُ الْقَدْرِ غَيْرَ فَتَى  
قَدْ زَا حَمَتُ رُكْبَتَاهُ كُلُّ ذِي شَرَفٍ  
فَجَالِسِ الْعُلَمَاءِ الْمُقْتَدَى بِهِمْ  
هُمْ سَادَةُ النَّاسِ حَقًّا وَالْجُلُوسُ لَهُمْ  
وَالْمَرْءُ يَحْسَبُ مِنْ قَوْمٍ يُصَاحِبُهُمْ  
فَمَنْ يُجَالِسُ كَرِيماً نَالَ مَكْرَمَةً

فَاقْطَعْ بِه الْعَيْشَ تَعْرِفْ لَذَّةَ الْعُمُرِ  
لِكِي تَفُوزَ بِثَقْلِ الْعِلْمِ وَالْأَثْرِ  
فِي التَّرْكِ لِلْعِلْمِ مِنْ عُذْرٍ لِمُعْتَدِرِ  
وَنَقْلِ مَا قَدْ رَوَوْا عَنْ سَيِّدِ الْبَشَرِ؟  
لَذَاتِ دُنْيَا غَدَوْا مِنْهَا عَلَى غَرَرِ  
إِلَى الَّتِي هِيَ دَابُّ الْهُونِ وَالْخَطَرِ  
وَبِالْعَفَافِ وَكَسْبِ الْعِلْمِ فَافْتَحِرِ  
ذِكْرًا يُجَدِّدُ فِي الْإِصَالِ وَالْبُكْرِ  
وَلَيْسَ يَبْقَى لَهُ فِي النَّاسِ مِنْ أَثَرِ  
وَأَنْتَ بِالْجَهْلِ قَدْ أَصْبَحْتَ ذَا صِغَرِ  
مَا زَالَ بِالْعِلْمِ مَشْغُولًا مَدَى الْعُمُرِ  
فِي الْعِلْمِ وَالْحِلْمِ لَا فِي الْفَخْرِ وَالْبَطْرِ  
تَسْتَجَلِبُ النَّفْعَ أَوْ تَأْمَنُ مِنَ الضَّرْرِ  
زِيَادَةٌ هَكَذَا قَدْ جَاءَ فِي الْخَبْرِ  
فَارْكَنْ إِلَى كُلِّ صَافِي الْعِرْضِ عَنْ كَدْرِ  
وَلَمْ يَشْنِ عِرْضَهُ شَيْءٌ مِنَ الْغَيْرِ

كصاحبِ العطرِ إن لم تستفدِ هبةً  
 ومن يجالسِ رديءَ الطبعِ يُرد به  
 كصاحبِ الكبرِ إن يسلم مجالسَهُ  
 وكل من ليسَ ينهأه الحياءُ ولا  
 والناسُ أخلاقُهُم شتى وأنفسُهُم  
 وأصوبُ الناسِ رأياً من تصرفُهُ  
 وازكنِ إلى كل من في ودّه شرف  
 فالمرءُ يشرفُ بالأخيارِ يصحبُهُم  
 إن العقيقَ ليسمُو عند ناظرِهِ  
 والمرءُ يخبثُ بالأشْرارِ يالفُهُم  
 فالماءُ صفوُّ طهورٍ في أصالتهِ  
 فكن بصحبِ رسولِ الله مُقتدياً  
 وإن عجزتَ عن الحدِّ الذي سلكوا  
 والحقُّ بقومٍ إذا لاحت وجوهُهُم  
 أضحووا من السنّةِ العلياءِ في سننِ  
 أجلِّ شيءٍ لديهم: قال أخبرنا  
 هذي المكارمُ لا فعبانٍ من لبنِ  
 لا شيءٍ أحسنَ من: قال لرسولٍ وما  
 ومجلسِ بينَ أهلِ العلمِ جادٍ بما  
 يومٌ يمرُّ ولم أرو الحديثَ به  
 فإن في درسِ أخبارِ الرسولِ لنا

من عطرِهِ لم تحب من ربحهِ العطرِ  
 ونالهُ دنسٌ من عرضهِ الكدرِ  
 من نتهٍ لم يوق الحرقَ بالشرِ  
 تقوى فحف كل قبحٍ منه وانتظرِ  
 منهم بصيرٌ ومنهم مخطئُ النظرِ  
 في ما به شرفُ الألبابِ والفكرِ  
 من نابه القدرِ بين الناسِ مشتهرِ  
 وإن يكن قبلَ شيئاً غيرَ معتبرِ  
 إذا بدا وهو منظومٌ مع الدرِ  
 ولو غدا حسنَ الأخلاقِ والسيرِ  
 حتى يجاورهُ شيءٌ من الكدرِ  
 فإنهم للهدي كالأنجُم الزهرِ  
 فكن عن الحبِ فيهم غيرَ مقتصرِ  
 رأيتها من سنا التوفيقِ كالقمرِ  
 سهلٍ وقاموا بحفظِ الدينِ والأثرِ  
 عن الرسولِ بما قد صحَّ من خبرِ  
 ولا التمتعَ باللذاتِ والأشرِ  
 أجلُّ من سندٍ عن كل مشتهرِ  
 حلاً من الدرِ أو حليٍّ من الدرِ  
 فلست أحسبُ ذاك اليومَ من عمري  
 تمتعاً في رياضِ الجنةِ الحضرِ

تَعْلًا إِذْ عَدِمْنَا طِيبَ رُؤْيَيْهِ      مَنْ فَاتَهُ الْعَيْنُ هَذَا الشَّوْقَ بِالْأَثْرِ  
كَأَنَّهُ بَيْنَ ظَهْرَيْنَا نُشَاهِدُهُ      فِي مَجْلِسِ الدَّرْسِ بِالْأَصَالِ وَالْبُكْرِ  
زَيْنُ النُّبُوَّةِ عَيْنُ الرُّسُلِ خَاتِمُهُمْ      بَعثًا وَأَوْلَهُمْ فِي سَابِقِ الْقَدْرِ  
صَلَّى عَلَيْهِ إِلَهُ الْعَرْشِ ثُمَّ عَلَى      أَشْيَاعِهِ مَا جَرَى طَلٌّ عَلَى زَهْرِ  
مَعَ السَّلَامِ دَوْمًا وَالرِّضَا أَبَدًا      عَنِ صَاحِبِهِ الْأَكْرَمِينَ الْأَنْجُمِ الزُّهْرِ  
وَعَنْ عَيْدِكَ نَحْنُ الْمُذْنِبِينَ فَجُدْ      بِالْأَمْنِ مِنْ كُلِّ مَا نَخْشَاهُ مِنْ ضَرَرِ  
وَتُبَّ عَلَى الْكُلِّ مِنَّا وَاعْظِنَا كَرَمًا      دُنْيَا وَأُخْرَى جَمِيعَ السُّؤْلِ وَالْوَطْرِ

اللَّهُمَّ ثَبَّتْ محبتك في قلوبنا وقوها ووقفنا لشركك وذكرك وارزقنا التأهب والاستعداد للقائك واجعل ختام صحائفنا كلمة التوحيد وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ صَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ : عَلَى حديث ابن عباس المتضمن لوصية النَّبِيِّ ﷺ فإنه تضمن وصايا عظيمة وقواعد كلية من أهم أمور الدين وأجلها حتى قال الإمام أبو الفرج ابن الجوزي في كتابه صيد الخاطر : تدبرت هَذَا الْحَدِيثَ فَأَدَهَشَنِي وَكَدَّتْ أَطْيِشَ ثُمَّ قَالَ فَوَا أَسْفًا مِنَ الْجَهْلِ بِهَذَا الْحَدِيثِ وَقِلَّةِ الْفَهْمِ لِمَعْنَاهُ .

فقوله ρ : " احفظ الله : يحفظك يعني احفظ حدود الله وحقوقه وأوامره ونواهيه ، وحفظ ذَلِكَ هُوَ الْوَقُوفُ عِنْدَ أَمْرِهِ بِالْإِمْتِثَالِ وَعِنْدَ نَوَاهِيهِ بِالْاجْتِنَابِ وَعِنْدَ حُدُودِهِ فَلَا يَتَجَاوَزُ وَلَا يَتَعَدَّى مَا أَمَرَ بِهِ إِلَى مَا نَهَى عَنْهُ " .

ودخل في ذَلِكَ فعل الواجبات جميعاً وترك المحرمات كُلِّهَا كما في حديث ثعلبة المرفوع : " إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها وحرم حرّمات فلا تنتهكوها وحد حدوداً فلا تعتدوها " . وَذَلِكَ يَدْخُلُ فِي حِفْظِ حُدُودِ اللَّهِ كَمَا ذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي قَوْلِهِ : " وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ " وَقَالَ تَعَالَى : " هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ، مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْعَلِيمَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ " .

وفسر الحفيظ هاهنا بالحافظ لأوامر الله وفسر بالحافظ لذنوبه حتي يرجع منها ، وكلاهما يدخل في الآية . ومن حفظ وصية الله لعباده وامتلها فهو داخل أيضاً ، والكل يرجع إلي معني واحد .

وقد ورد في بعض ألفاظ حديث يوم المزيد في الجنة ، إن الله تعالى يقول لأهل الجنة إذا استدعاهم لزيارته وكشف لهم الحجاب : " مرحباً بعبادي الذين حفظوا وصيتي ورعوا عهدي وخافوني بالغيب وكانوا مني على كل حال مشفقين " .

فأمره ρ لابن عباس أن يحفظ الله يدخل فيه هذا كله . ومن أعظم ما يجب حفظه من المأمورات الصلوات الخمس ، قال الله تعالى : " وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ " . وَقَالَ ρ : " من حافظ عليهما كان له عند الله عهداً أن يدخله الجنة " .

وفي حديث آخر : " من حافظ عليهن كن نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة " وكذلك الطهارة فإنها مفتاح الصلاة .

وقال النبي ρ : " لا يحافظ على الوضوء إلا مؤمنٌ فإن العبد تنتفض طهارته ولا يعلم بذلك إلا الله ، فالمحافظة على الوضوء للصلاة دليل على ثبوت الإيمان في القلب .

ومما أمر الله بحفظه الإيمان لما ذكره كفارة اليمين قال : " ذَلِكَ كَفَّارَةٌ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ " . فإن الإيمان كثيراً ما تقع من الناس وموجباتها مختلفة .

فتارة يجب بها كفارة يمين وتارة يجب فيها كفارة مغلظة وتارة يلزم بها

المحلف عَلَيْهِ من طلاق ونحوه . فمن حفظ أيمانه دل عَلَى دخول الإيمان فِي قَلْبِهِ .  
وَكَانَ السَّلْفُ كَثِيرًا مَا يَحْفَظُونَ عَلَى الْإِيمَانِ فَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ لَا يَحْلِفُ بِاللَّهِ الْبَتَّةَ . وَمِنْهُمْ مَنْ  
كَانَ يَتَوَرَّعُ حَتَّى يَكْفُرَ فِيمَا شَكَّ فِيهِ الْحَنْثُ .  
ووصي الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ عِنْدَ موته أن يَخْرُجَ عَنْهُ كَفَارَةٌ يَمِينٍ .  
وَقَالَ أَظُنُّ أَنِّي حَنَثْتُ فِي يَمِينٍ حَلَفْتُهَا . وَقَدْ رَوَى عَنْ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَنَّهُ كَانَ إِذَا مَرَّ  
بِاثْنَيْنِ يَحْلِفَانِ بِاللَّهِ ذَهَبَ فَكَفَرَ عَنْهُمَا يَمِينَهُمَا لِئَلَّا يَأْتِمَانَا وَهُمَا لَا يَشْعُرَانِ .  
وَلِهَذَا لَمَّا حَلَفَ عَلَى ضَرْبِ امْرَأَتِهِ مِائَةَ جِلْدَةٍ أَفْتَاهُ اللهُ بِالرَّخِصَةِ لِحِفْظِهِ لِأَيْمَانِهِ وَأَيْمَانِ غَيْرِهِ . وَقَدْ  
اختلف العلماء هل تتعدى الرخصة إلى غيره أم لا ؟  
وَقَالَ يزيد بن حبيب : بلغني أن من حملة العرش من يسيل من عينيه أمثال الأتجار من البُكَاءِ  
فَإِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ قَالَ : سُبْحَانَكَ مَا تَخْشِي حَقَّ خَشْيَتِكَ فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى : " لَكِنَّ الَّذِينَ يَحْلِفُونَ  
بِاسْمِي كَاذِبِينَ لَا يَعْلَمُونَ ذَلِكَ " وَقَدْ وَرَدَ التَّشْدِيدُ الْعَظِيمُ فِي الْحَلْفِ الْكَاذِبِ بِاللَّهِ .  
ولا يصدر كثرة الحلف بِاللَّهِ إِلَّا مِنَ الْجَهْلِ بِاللَّهِ تَعَالَى وَقِلَّةِ هَيْبَةٍ فِي الصَّدُورِ . وَمِمَّا يَلْزَمُ الْمُؤْمِنَ  
حِفْظَهُ رَأْسَهُ وَبَطْنَهُ كَمَا فِي حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الْمَرْفُوعُ : " الْإِسْتِحْيَاءُ مِنَ اللهِ حَقُّ  
الْحَيَاءِ أَنْ يَحْفَظَ الرَّأْسَ مَا وَعَى وَيَحْفَظَ الْبَطْنَ وَمَا حَوَى " أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ .  
وحفظ البطن وما حوى يتضمن حفظ القلب عن الإصرار عَلَى محرم .

وَقَدْ جَمَعَ اللَّهُ ذَلِكَ كُلَّهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : " إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا " . ويدخل في حفظ البطن وما حوي حفظه من إدخال الحرام إليه من المأكولات والمشروبات .

اللَّهُمَّ طهر قلوبنا من النفاق وعملنا من الرياء وألسنتنا من الكذب وأعينا من الخيانة وآذاننا عن الاستماع إلى ما لا يرضيك وتوفنا مسلمين وألقنا بالصالحين واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

### ( فَصْلٌ )

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ : وَمَا يَجِبُ حِفْظُهُ مِنَ الْمَنَهِيَّاتِ حِفْظُ اللِّسَانِ وَالْفَرْجِ .  
وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه : " من حفظ ما بين لحييه وما بين رجليه دخل الجنة " أخرج الحاكم ، وأخرجه البخاري من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبي ﷺ ولفظه : " من يضمن لي ما بين لحييه ورجليه أضمن له الجنة " .

وفي مسند الإمام أحمد عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال : " من حفظ ما بين فقميه وفرجه دخل الجنة " . وقد أمر الله بحفظ الفرج خاصة ومدح الحافظين قال الله تعالى : " قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ " ، وَقَالَ : " والحافظين فروجهم والحافظات " وَقَالَ تَعَالَى : " وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ، إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ "

وقد روى عن أبي إدريس الخولاني : أن أول ما وصى الله به آدم عند إهباطه إلى الأرض بحفظ فرجه وأن لا يضعه إلا في حلال .



قوله : " بحفظك " يعني : أن من حفظ حدود الله وراعي حقوقه حفظه الله فإن الجزء من جنس العمل كما قال تعالى : " وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ " وَقَالَ : " فاذكروني أذكركم " .  
وَقَالَ : " إن تنصروا الله ينصركم " . وحفظ الله تعالى لعبده يتضمن نوعين : أحدهما حفظه له في مصالح دنياه كحفظه في بدنه وولده وأهله وماله .

وفي حديث ابن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال : لم يكن رسول الله ﷺ يدع هؤلاء الدعوات حين يمسى وحين يصبح : " اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَخْرَجِي وَأَهْلِي وَمَالِي ، اللَّهُمَّ اسْتِرْ عَوْرَاتِي وَأَمِنْ رُوعَاتِي وَاحْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيْ وَمِنْ خَلْفِي وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي وَمِنْ فَوْقِي ، وَأَعُوذُ بِعِظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي " . أخرجه الإمام أحمدُ وأبو داود والنسائي وابن ماجه .

وهذا الدعاء منتزع من قول الله تعالى : " لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ " الآية . قال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا : هم الملائكة يحفظونه بأمر الله فإذا جاء القدر خلوا عنه . وَقَالَ عَلِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : إن مع كل رجل ملكين يحفظانه مِمَّا لم يقدر فإذا جاء القدر خليا بينه وبينه وإن الأجل جنة حصينة .

وَقَالَ مجاهد : ما من عبد إلا له ملك يحفظه في نومه ويقظته من الجن والإنس والهوام فما من شيء يأتيه إلا قال وراءك إلا شيئاً قد أذن الله فيه فيصيبه . ومن حفظ الله للعبد أن يحفظه في صحة بدنه وقوته وعقله وماله .

قال بعض السلف : العالم لا يحزن ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : مَنْ حَفِظَ الْقُرْآنَ

متع بعقله ، وتأول ذلك بعضهم على قوله : ( ثُمَّ رددناه أسفل سافلين إلا الَّذِينَ آمنوا وعملوا الصالحات ) .

وكان الطيب أبو الطبري قد جاوز المائة سنة وهو ممتع بعقله وقوته فوثب يوماً من سفينة كان فيها إلى الأرض وثبة شديدة فعوتب على ذلك فقال : هذه جوارح حفظناها في الصغر فحفظها الله علينا في الكبر .

وعكس هذا أن الجنيد رأي شيخاً يسأل الناس فقال : إن هذا ضيع الله في صغره فضيعه الله في كبره . وقد يحفظ الله العبد بصلاحه في ولده وولد ولده كما قيل في قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ﴾ إنهما حفظا بصلاح أبيهما .

وقال محمد بن المنكدر إن الله ليحفظ بالرجل الصالح ولده وولد ولده وقريته التي هو فيها والدويرات التي حولها فما يزالون في حفظ الله وستره . والله أعلم وصلي الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

### ( فَصْلٌ )

وَقَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ :

ومتي كان العبد منشغلاً بطاعة الله تعالى يحفظه في تلك الحال كما في مسند الإمام أحمد عن حميد بن هلال عن رجل قال : أتيت النبي ﷺ فإذا هو برِّي بيتنا فقال : " إن امرأة كانت فيه فخرجت في سرية من المسلمين وتركت ثنتي عشرة عنزاً وصيصيتها قال : ففقدت عنزاً وصيصيتها كانت تنسج بها .

فَقَالَتْ : يا رب إنك قد ضمننت لمن خرج في سبيلك أن تحفظ عليه ولأني قد فقدت عنزاً من غنمي وصيصيتي وإني أنشدك عنزي وصيصيتي وإني أنشدك عنزي وصيصيتي .

قال : فجعل رسول الله ﷺ يذكر شدة مناشدتها ربها تبارك وتعالى . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " فأصبحت عنزها ومثلها وصيصيتها ومثلها وهاتيك فأثما إن شئت " قال : فقلت بل أصدقك .

وكانَ بعض السَّلَف بيده الميزان يزن به دراهم فسمعَ الآذانَ فنهض ونفضها على الأرض وذهب إلى الصَّلَاة فَلَمَّا عاد جمعها فلم يذهب منها شيء .

ومن أنواع حفظ الله لمن حفظه في دنياه أن يحفظه من كُلِّ شرٍ كُلِّ من يريد به بأذي من الجن والإنس كما قال تعالى : (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً) قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : يكفيه غم الدُّنْيَا وهمها .

وَقَالَ الربيع بن خيثم : يجعل له مخرجاً من كُلِّ ما ضاق على الناس . وكتبت عائشة رضي الله عنها إلى معاوية : إن اتقيت الله كفأك الناس . وإن اتقيت النَّاسَ لم يغنوا عنكَ من الله شيئاً . وكتب بعض الخلفاء إلى عمرو الغفاري كتاباً يأمره فيه بأمرٍ يخالف كتاب الله ، فكتب إليه : إني نظرت في كتاب الله فوجدته قبل كتاب أمير المؤمنين وإن السماوات والأرض لو كانتا رتقاً على امرئ فاتقي الله عَزَّ وَجَلَّ جعل له مخرجاً والسلام . وأنشد بعضهم : بتقوي الإله نجا من نجا .

كتب بعض السَّلَف إلى أخيه : أما بعد فإنه من اتقى الله فَقَدْ حفظ نفسه ومن ضيع تقواه فَقَدْ ضيع نفسه والله الغني عنه .

شِعْرًا: عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ فِي كُلِّ حَالَةٍ  
تَجِدُ نَفْعَهَا يَوْمَ الْحِسَابِ الْمُطَوَّلِ  
أَلَا إِنَّ تَقْوَى اللَّهِ خَيْرٌ بِضَاعَةٍ  
وَأَفْضَلُ زَادِ الضَّاعِنِ الْمُتَحَمِّلِ  
آخِر: وَلَا خَيْرَ فِي طُولِ الْحَيَاةِ وَعَيْشِهَا  
إِذَا أَنْتَ مِنْهَا بِالتُّقَى لَمْ تُزَوِّدِ

ومن عجيب حفظ الله لمن حفظه : أن يجعل الحيوانات المؤذية بالطَّبْعِ حافظة له من الأذي وساعية في مصالحه كما جري لسفينة مولي النَّيِّ ρ حيث كسر به المركب وخرج إلي جزيرة فرأى السبع فَقَالَ : يا أبا الحارث أنا سفينة مولي النَّيِّ ρ فجعل يمشي حوله ويدله على الطريق حتي أوقفه عَلَيْهَا ثُمَّ جعل يهتمهم كأنه يودعه وانصرف عنه .

وَكَانَ أَبُو إِبْرَاهِيمَ السَّايِحُ قَدْ مَرَضَ فِي بَرِيَّةٍ بِقَرْبِ دَيْرٍ فَقَالَ لَوْ كُنْتُ عِنْدَ بَابِ الدَّيْرِ لَنَزَلَ الرَّهْبَانُ فَعَالَجُونِي . فَجَاءَ السَّبْعُ فَاحْتَمَلَهُ عَلَى ظَهْرِهِ حَتَّى وَضَعَهُ عَلَى بَابِ الدَّيْرِ فَرَأَاهُ الرَّهْبَانُ فَأَسْلَمُوا وَكَانُوا أَرْبَعًا مِائَةً .

وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدَهْمٍ نَائِمًا فِي بَسْتَانٍ وَعِنْدَهُ حِيَّةٌ فِي فَمِهَا طَاقَةٌ نَرَجِسُ فَمَا زَالَتْ تَذُبُّ عَنْهُ الذَّبَابُ حَتَّى اسْتَيْقِظَ . فَمَنْ حَفِظَ اللَّهُ حَفِظَهُ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ الْمُؤْذِيَةِ بِالطَّبْعِ وَجَعَلَ تِلْكَ الْحَيَوَانَاتِ حَافِظَةً لَهُ .

ومن ضيع الله ضيعه بين خلقه حتي يدخل عَلَيْهِ الضَّرَرُ مِمَّنْ كَانَ يَرْجُو أَنْ يَنْفَعَهُ وَيَصِيرُ أَحْصَى أَهْلَهُ بِهِ وَأَرْفَقَهُمْ بِهِ يُوْذِيهِ .

كما قال بَعْضُهُمْ : إِنْ لَأَعْصَى اللَّهُ فَأَعْرِفْ ذَلِكَ فِي خَلْقِ خَادِمِي وَحَمَارِي . يعني أن خادمه يسوء خلقه عَلَيْهِ ولا يطيعه وحماره يستعصي عَلَيْهِ فلا يواتيه لركوبه . فَالْخَيْرُ كُلُّهُ مَجْمُوعٌ فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَالْإِقْبَالِ عَلَيْهِ ، وَالشَّرُّ كُلُّهُ مَجْمُوعٌ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ .

شِعْرًا : إِذَا انْتَسَبَ النَّاسُ كَانِ التَّقِيُّ  
بِتَقْوَاهُ أَفْضَلَ مِمَّنْ يَنْتَسِبُ  
وَمِمَّنْ يَتَّقِي اللَّهَ يَكْسِبُ بِهِ  
مِنَ الْحِطِّ أَفْضَلَ مَا يُكْتَسَبُ  
وَمِمَّنْ يَتَّخِذُ سَبِيًّا لِلنَّجَاةِ  
فَإِنَّ تَقَى اللَّهَ خَيْرُ السَّبَبِ

اللَّهُمَّ نوركلوبنا بنور الإيمان وثبتها على قولك في الحياة الدنيا وفي الآخرة واجعلنا هداة مهتدين وتوفنا مسلمين وألحقنا بعبادك الصالحين يا أكرم

الأكرمين ويا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وصلي الله على مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وصحبه أجمعين .

( فَصْلٌ )

النوع الثاني من الحفظ وَهُوَ أَشْرَفُهَا وَأَفْضَلُهَا : حفظ الله تعالى لعبده في دينه فيحفظ عَلَيْهِ دينه وإيمانه فِي حَيَاتِهِ عن الشبهات المردية والبدع المضلة والشهوات المحرمة ويحفظ عَلَيْهِ دينه عِنْدَ موته فيتوفاه عَلَى الإسلام .

قال الحكم بن أبان عِنْدَ أَبِي مَكِّي : إِذَا حضر الرجل الموت يُقَالُ للملك : شم رأسه ، قال : أجد في رأسه القرآن ، قال : شم قلبه ، قال : أجد في قلبه الصيام ، قال : شم قدميه ، قال : أجد في قدميه القيام ، قال : حفظ نَفْسَهُ فحفظه الله عز وجل . أخرجه ابن أبي الدنيا . وَقَدْ تَبَّتْ فِي الصحيحين من حديث البراء بن عازب أن النَّبِيَّ ﷺ علمه أن يَقُولُ عِنْدَ منامه : "اللَّهُمَّ إِنْ قبضت نفسي فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين" .

وفي حديث عمر عن النَّبِيِّ ﷺ أنه علمه أن يَقُولُ : " اللَّهُمَّ احفظني بالإسلام قائماً واحفظني بالإسلام قاعداً واحفظني بالإسلام راقداً ولا تطع في عدواً ولا حاسداً " أخرجه ابن حبان في صحيحه .

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا ودع من يريد السفر يَقُولُ لَهُ : " استودع الله دينك وأمانتك وخواتيم أعمالك " . وفي رواية وَكَانَ يَقُولُ : " إن الله إِذَا استودع شيئاً حفظه " أخرجه النسائي وغيره .

وأخرج الطبراني حديثاً مرفوعاً : " إن العبد إِذَا صلي الصَّلَاةَ عَلَى وجهها سعدت إلي الله ولها برهان كبرهان الشمس وَتَقُولُ لصاحبها : حفظك الله كما حفظتني ، وَإِذَا ضيعها لفت كما يلف الثوب الخلق ثم

يضرب بِهَا وجه صاحبِهَا وَتَقُولُ : ضيَعَكَ اللهُ كما ضيَعْتَنِي " .  
 وَكَانَ عَمْرٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَقُولُ فِي خُطْبَتِهِ : اللَّهُمَّ اعصمنا بحفظك وثبتنا على أمرك . ودعا رجل لبعض السلف أن يحفظه الله . فَقَالَ : يا أخي لا تسألن عن الحفظ الديني قد يشترك فيه البر والفاجر ، فالله تعالى يحفظ على المؤمن دينه وبين ما يفسده عليه بأسباب قد لا يشعر بِهَا العبد .

وَقَدْ يَكُونُ ما يكرهه وهذا كما حفظ يوسف عليه السلام قال تعالى : ( كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ) وعصمه الله منها من حيث لا يشعر وحال بينه وبين أسباب المعاصي المهلكة . كما رأي معروف الكرخي شاباً يتهاونون في الخروج إلى القتال في فتنة فَقَالَ : اللَّهُمَّ احفظهم فليل لهم : تدعو لهؤلاء ؟ فَقَالَ : إن حفظهم لم يخرجوا إلى القتال .

وسَمِعَ عَمْرٌ رجلاً يَقُولُ : اللَّهُمَّ إنك تحول بين المرء وقلبه فحل بيني وبين معاصيك فأعجب عمر ودعا له بِخَيْرٍ : وروي ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : ( يحول بين المرء وقلبه ) قال : يحول بين المؤمن وبين المعصية التي تجره إلى النار .

حج بعض المتقدمين فبات بمكة مَعَ قوم فهم بمعصية فسمع هاتفاً يهتف يَقُولُ : ويلك ألم تحج فعصمه الله مِمَّا هَمَّ بِهِ . وخرج بعضهم مَعَ رفقة إلى معصية فلما هم بمواقعتها هتف به هاتف : كُلَّ نفس بما كسبت رهينة " فتركها .

ودخل رجل غيضة ذات شجر فَقَالَ : لو خلوت ها هنا بمعصية من كان يراني؟ فسمع صوتاً ملاً بين حافتي الغيضة : ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير .

وهم رجل بمعصية فخرج إليها فمر في طريقه بقاص على الناس فوقف على حلقتة فسمعه يقول : أيها الهائم بالمعصية أما علمت أن خالق الهمة مطلع على همتك فوقع مغشياً عليه فما أفاق إلا من توبة .

وَمِنْهُمْ من عصم نفسه بموعظة جرت على لسان من أراد منه الموافقة على المعصية كما جري لأحد الثلاثة الذين دخلوا الغار وانطبقت عليهم الصخرة ، فإنه لما جلس من تلك المرأة مجلس الرجل من امرأته قالت له يا عبد الله اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه فقام عنها .

وكذلك الكفل من بني إسرائيل كان لا يتورع عن معصية فأعجبه امرأة فأعطاه ستين ديناراً فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته ارتعدت و قالت : أكرهتك؟ قالت : لا ، ولكن عمل ما عملته قط وإنما حملني عليه الحاجة .

فقال : تخافين الله ولا أخافه ثم قام عنها ووهب لها الدنانير ، وقال : والله لا يعصي الله الكفل أبداً ومات من ليلته فأصبح مكتوباً على بابه قد غفر الله للكفل .

أخرج الإمام أحمد والترمذي حديثه هذا من حديث ابن عمر مرفوعاً .

وراود رجل امرأة عن نفسها وأمرها بغلق الأبواب فقلعت وقالت : بقي باب واحد . قال : أي باب؟ قالت : الباب الذي بيننا وبين الله تعالى فلم يتعرض لها .

وراود رجل أعرابية قال : لها ما يرانا إلا الكواكب . قالت : فأين مكوكبها وهذا كله من ألطاف الله تعالى وحيلولته بين العبد ومعصيته .

قال الحسن وذكر أهل المعاصي : هانوا عليه فعصوه ولؤ عزوا عليه

فَعَصَمَهُمْ ، وَقَالَ بَشَرٌ : مَا أَصْرَ عَلَيَّ مَعْصِيَةَ اللَّهِ كَرِيمٍ وَلَا آثَرَ الدُّنْيَا عَلَيَّ الْآخِرَةَ حَلِيمٍ . وَاللَّهُ  
أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .  
(فصل)

وَمِنْ أَنْوَاعِ حِفْظِ اللَّهِ لِعِبْدِهِ فِي دِينِهِ : أَنْ الْعَبْدَ قَدْ يَسْعَى فِي سَبَبِ مِنَ الدُّنْيَا؛ الْوَلَايَاتِ أَوْ  
التَّجَارَاتِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ فَيَحُولُ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا أَرَادَهُ لِمَا يَعْلَمُ لَهُ مِنَ الْخَيْرَةِ فِي ذَلِكَ وَهُوَ لَا  
يَشْعُرُ مَعَ كِرَاهَتِهِ لِذَلِكَ .

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إِنْ الْعَبْدَ لِيَهُمُ بِالْأَمْرِ مِنَ التَّجَارَةِ أَوْ الْإِمَارَةِ فَيَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِ  
فَيَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ : أَصْرَفُوهُ عَنْهُ فَإِنِّي إِنْ يَسْرَتَهُ لَهُ أَدْخَلْتُهُ النَّارَ فَيَصْرِفُهُ اللَّهُ عَنْهُ فَيُظِلُّ بِتَطْيِيرِ  
يَقُولُ : سَبَقَنِي فَلَانٌ . دَهَانِي فَلَانٌ وَمَا هُوَ إِلَّا فَضْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .  
وَأَعْجَبُ مِنْ هَذَا الْعَبْدِ قَدْ يَطْلُبُ بَاباً مِنْ أَبْوَابِ الطَّاعَاتِ وَلَا يَكُونُ فِيهِ خَيْرٌ لَهُ فَيَحُولُ اللَّهُ  
بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ صِيَانَةً لَهُ ، وَهُوَ لَا يَشْعُرُ .

وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ وَغَيْرُهُ حَدِيثَ أَنَسٍ مَرْفُوعاً ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : "إِنْ مِنْ عِبَادِي مَنْ لَا يَصْلِحُ  
إِيمَانَهُ إِلَّا الْغِنَى وَلَوْ أَفْقَرْتَهُ لَأَفْسَدَهُ ذَلِكَ ، وَإِنْ مِنْ عِبَادِي مَنْ لَا يَصْلِحُ إِيمَانَهُ إِلَّا الْفَقْرُ وَلَوْ  
أَغْنَيْتَهُ لَأَفْسَدَهُ ذَلِكَ" .

وَإِنْ مِنْ عِبَادِي مَنْ لَا يَصْلِحُ إِيمَانَهُ إِلَّا الصِّحَّةُ وَلَوْ أَسْقَمْتَهُ لَأَفْسَدَهُ ذَلِكَ وَإِنْ مِنْ عِبَادِي مَنْ  
لَا يَصْلِحُ إِيمَانَهُ إِلَّا السَّقَمُ وَلَوْ صَحَّحْتَهُ لَأَفْسَدَهُ ذَلِكَ .

وَإِنْ مِنْ عِبَادِي مَنْ يَطْلُبُ بَاباً مِنَ الْعِبَادَةِ فَكَفَّهُ عَنْهُ كَيْلًا يَدْخُلُهُ الْعَجَبُ . إِنْ أَدْبَرَ . إِنْ أَدْبَرَ  
عِبَادِي بَعَلْمِي بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ إِنْ عَلِمَ خَيْرٌ" .



كَانَ بَعْضُ الْمُتَقَدِّمِينَ يَكْثُرُ سُؤَالُ الشَّهَادَةِ فَهَتَفَ بِهِ هَاتِفٌ إِنَّكَ إِنْ غَزَوْتَ أُسْرْتَ وَإِنْ أُسْرْتَ تَنْصَرْتَ فَكَفَّ عَنْ سُؤَالِهِ وَفِي الْجُمْلَةِ فَمَنْ حَفِظَ حُدُودَ اللَّهِ وَرَاعَى حَقُوقَهُ تَوَلَّى اللَّهُ حِفْظَهُ فِي أُمُورِ دِينِهِ وَدُنْيَاهُ وَفِي دُنْيَاهُ وَآخِرَتِهِ .

وَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى : أَنَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ وَأَنَّهُ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ وَذَلِكَ يَتَضَمَّنُ أَنَّهُ يَتَوَلَّى مَصَالِحَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَا يَكْلَهُمْ إِلَّا غَيْرُهُ . قَالَ تَعَالَى : (اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ) وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ ذَلِكُمْ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾ . فَمَنْ قَامَ بِحَقُوقِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ يَتَكْفَلُ لَهُ بِالْقِيَامِ بِجَمِيعِ مَصَالِحِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَتَوَلَّى اللَّهُ حِفْظَهُ وَرِعَايَتَهُ فِي أُمُورِهِ كُلِّهَا فَلْيِرَاعِ حَقُوقَ اللَّهِ عَلَيْهِ .

وَمَنْ أَرَادَ أَنْ لَا يَصِيبَهُ شَيْءٌ مِّمَّا يَكْرَهُ فَلَا يَأْتُ شَيْئاً مِّمَّا يَكْرَهُهُ اللَّهُ . كَانَ بَعْضُ السَّلَفِ يَدُورُ عَلَى الْمَجَالِسِ وَيَقُولُ : مَنْ أَحَبَّ أَنْ تَدُومَ لَهُ الْغَايَةُ فَلْيَتَّقِ اللَّهَ .

وَقَالَ الْعَمْرِيُّ الزَّاهِدُ لَمَنْ طَلَبَ مِنْهُ الْوَصِيَّةَ : كَمَا تَحِبُّ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ لَكَ فَهَكَذَا كُنْ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ . وَفِي بَعْضِ الْآثَارِ يَقُولُ اللَّهُ : ( وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا أُطَلِّعُ عَلَى قَلْبِ عَبْدٍ فَأَعْلَمُ أَنَّ الْغَالِبَ عَلَيْهِ حُبُّ التَّمَسُّكِ بِطَاعَتِي إِلَّا تَوَلَّيْتُ سِيَاسَتَهُ وَتَقَوَّمَهُ ) .

وَفِي بَعْضِ الْكُتُبِ الْمَتَقَدِّمَةِ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : (ابن آدم لا تعلمني ما يصلحك ابن آدم اتقني . . . . . ونم حيث شئت ) .

والمعني : أنك إذا قمت بما عَلَيْكَ لله من حقوق التقوي فلا تهتم بعد ذَلِكَ بصالحك فإن الله هُوَ أعلم بِهَا منك وَهُوَ يوصلها إليك عَلَى أتم الوجوه من غَيْرِ اهتمام منك بها .  
 وفي حديث جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : " مَنْ كَانَ يَحِبُّ أَنْ يَعْلَمَ مَنْزِلَتَهُ عِنْدَ اللَّهِ فَلْيَنْظُرْ كَيْفَ مَنْزِلَةُ اللَّهِ عِنْدَهُ فَإِنَّ اللَّهَ يَنْزِلُ الْعَبْدَ مِنْهُ حَيْثُ أَنْزَلَهُ مِنْ نَفْسِهِ " .  
 فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ عَلَى قَدْرِ اهْتِمَامِ الْعَبْدِ بِحَقُوقِ اللَّهِ وَبِأَدَاءِ حَقُوقِهِ مِرَاعَاةَ حَقُوقِهِ وَمِرَاعَاةَ حُدُودِهِ وَاعْتِنَاءَهُ بِذَلِكَ وَحِفْظَهُ لَهُ يَكُونُ اعْتِنَاؤُهُ بِهِ وَحِفْظَهُ لَهُ .  
 فَمَنْ كَانَ غَايَةَ هَمِّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَطَلَبَ قَرْبَهُ وَمَعْرِفَتَهُ وَمَحَبَّتَهُ وَخِدْمَتَهُ فَإِنَّ اللَّهَ يَكُونُ لَهُ عَلَى حَسَبِ ذَلِكَ كَمَا قَالَ تَعَالَى : ( فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ " ، " وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفَ بِعَهْدِكُمْ ) بَلْ هُوَ سُبْحَانَهُ أَكْرَمُ الْكَرْمِينَ فَهُوَ يَجَازِي بِالْحَسَنَةِ عَشْرًا وَيَزِيدُ .  
 وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنْهُ شَبْرًا تَقَرَّبَ مِنْهُ ذِرَاعًا ، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنْ ذِرَاعًا تَقَرَّبَ مِنْهُ بَاعًا وَمَنْ أَتَاهُ يَمْشِي أَتَاهُ هَرْوَلَةٌ . مَا يُؤْتِي الْإِنْسَانَ إِلَّا مِنْ قَبْلِ نَفْسِهِ وَلَا يَصِيبُهُ الْمَكْرُوهُ إِلَّا مِنْ تَفْرِيطِهِ فِي حَقِّ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ .  
 قَالَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : لَا يَرْجُونَ عَبْدًا إِلَّا رَبَّهُ وَلَا يَخَافُنَ إِلَّا ذَنْبَهُ . قَالَ بَعْضُهُمْ : مَنْ صَفِيَّ صَفِيٍّ لَهُ ، وَمَنْ خَلَطَ خَلَطَ عَلَيْهِ . وَقَالَ مَسْرُوقٌ : مَنْ رَاقَبَ اللَّهَ فِي خَطَرَتِ قَلْبِهِ عَصَمَهُ اللَّهُ فِي حَرَكَاتِ جَوَارِحِهِ وَبَسَطَ لَهُ . هَذَا الْمَعْنَى يَطُولُ جَدًّا . وَفِيمَا أَشْرْنَا إِلَيْهِ كِفَايَةٌ وَاللَّهُ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ .

شِعْرًا : إِذَا صَدَرَتْ مِنْكَ الدُّنُوبُ فِدَاوِهَا  
 وَلَا تَقْنَطَنَّ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّمَّا  
 بَرَفِعِ يَدٍ فِي اللَّيْلِ وَاللَّيْلِ مُظْلِمٌ  
 فَنُوطُكَ مِنْهَا مِنْ خَطَايَاكَ أَعْظَمُ  
 فَرَحْمَتُهُ لِلْمُحْسِنِينَ كَرَامَةٌ  
 وَرَحْمَتُهُ لِلْمُذْنِبِينَ تَكْرُمٌ

اللَّهُمَّ ثَبِّتْنَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ وَبَعْدَهَا ، وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الْمَفْلِحِينَ الَّذِينَ نُورَتْ قُلُوبُهُمْ بِمَعْرِفَتِكَ ، وَأَهْلَتْهُمْ لخدمَتِكَ ، وَحَرَسَتْهُمْ مِنْ عَدُوِّكَ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

### ( فَصْلٌ )

وقوله ρ تجده أمامك وفي رواية أخرى تجاهك معناه : أن من حفظ حدود الله راعي حقوقه وَجَدَ اللهُ مَعَهُ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ يَحُوطُهُ وَيَنْصُرُهُ وَيَحْفَظُهُ وَيُوقِفُهُ وَيُؤَيِّدُهُ وَيَسُدُّهُ فَأَنَّهُ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ .

وهو تعالى ﴿ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ قال قتادة : ومن يتق الله ومن يتق الله لا يمكن معه . ومن يكن الله معه فمعه الفئة التي لا تغلب والحارس الذي لا ينام والهادي الذي لا يضل .

كتب بعض السلف إلى أخ له أما بعد : إن كان الله معك فمن تخاف وإن كان عليك فمن تراجو والسلام . وهذه المعية الخاصة بالمتقين غير المعية العامة المذكورة في قوله تعالى : (وهو معكم أينما كنتم) وقوله : ﴿ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنْ الْقَوْلِ ﴾ .

فإن المعية الخاصة تقتضي النصر والتأييد والحفظ والاعانة ، كما قال تعالى لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهَارُونَ : ﴿ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ وقوله تعالى : ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَخْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ .

وَكَانَ النَّبِيُّ ρ قَدْ قَالَ لِأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي تِلْكَ الْحَالِ : " مَا ظَنُّكَ بِأَنْتَ وَاللَّهُ ثَالِثُهُمَا " .

فَهَذَا غَيْرُ المعني المذكور في قوله تعالى : ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ﴾ فَإِنَّ ذَلِكَ عام لكل جماعة .

ومن هَذَا المعني الخاص الحديث الالهي وقوله فيه : " ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتي أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الَّذي يسمع به وبصره الَّذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها " إلى غَيْرِ ذَلِكَ من نصوص الْكِتَابِ والسنة الدالة على قرب الرب سُبحَانَهُ ممن أطاعه واتقاه وحفظ حدوده وراعاها .

دخل بنان الحمال البرية على طريق تبوك فاستوحش فهتف به هاتف : لم تستوحش؟ أليس حبيبك معك؟ فمن حفظ الله وراعي حقوقه وجده أمامه وتجاهه على كل حال فليستأنس به وليستغن به عن خلقه .

وفي الحديث : " أفضل الإيمان أن يعلم العبد أن الله معه حيث كان " أخرج الطبراني وغيره وبسط هَذَا القول يطول جداً .

كَانَ بعض العلماء الريانيين كثير السفر وحده فخرج النَّاسُ مرة معه يودعونهم فردهم .  
اللَّهُمَّ يا من خلق الإنسان في أحسن تقويم وبقدرته التي لا يعجزها شيء يحيي العظام وهي رميم . نسألك أن تهدينا إلى صراطك المستقيم صراط الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وأن تغفر لنا ولوالدينا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الأحياء مِنْهُمْ والميتين بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وصلي الله على مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وصحبه أجمعين .

( فَصْلٌ )

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى قَوْلِهِ ρ : "تعرف إلي الله في الرخاء يعرفك في الشدة" : المعنى : أن العبد إذا اتقى الله وكان بينه وبينه معرفة فعرفه ربه في الشدة وعرفه عمله في الرخاء فنجاه من الشدائد بتلك المعرفة .

وهذه أيضاً معرفة خاصة تقتضي القرب من الله عَزَّ وَجَلَّ ومحبه لعبده وإجابته لدعائه وليس المراد بها المعرفة العامة، فإن الله لا يخفي عليه حال أحد من خلقه كما قال تعالى : ﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْنَاهُ مَا تُوسُّوسُ بِهِ ﴾ .

وهذا التعرف الخاص هو المشار إليه في الحديث الإلهي : " لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه " إلي أن قال : " ولئن سألتني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه " .  
اجتمع الفضيل بشعوانة العابدة فسألها الدعاء ، فقالت : يا فضيل وما بينك وبينه ، إن دعوته أجابك . فشهب الفضيل شهقة خر مغشياً عليه .

وَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ السَّائِحُ : أْتَى الْحَسَنَ إِلَى حَبِيبِ أَبِي مُحَمَّدٍ هَارِباً مِنَ الْحِجَابِ فَقَالَ : يَا أَبَا مُحَمَّدٍ احفظني من الشرط هم على أثري .

فَقَالَ : يَا أَبَا سَعِيدٍ أَلَيْسَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ مِنَ الثَّقَةِ مَا تَدْعُوهُ فَيَسْتَرِكُ مِنْ هَؤُلَاءِ ، ادخل البيت ، فدخل الشرط على أثره فلم يروه فذكروا ذلك للحجاج فقال : بل كان في بيته إلا أن طمس على أعينهم فلم يروه .

ومتى حصل هذا التعرف الخاص للعبد لمعرفة خاصة بربه توجب له الإنس به والحياء منه .  
وهذه معرفة خاصة غَيْرَ معرفة الْمُؤْمِنِينَ العامة . ومدار العارفين كلهم عَلَى هذه المعرفة وهذا  
التعرف وإشاراتهم تومئ إلى هذا .

سَمِعَ أَبُو سَلِيمَانَ رَجُلًا يَقُولُ : سَهَرَتِ الْبَارِحَةَ فِي ذِكْرِ النَّسَاءِ . فَقَالَ : وَيْحَكَ أَمَا تَسْتَحْيِي مِنْهُ  
يِرَاك سَاهِرًا فِي ذِكْرِ غَيْرِهِ ؟ وَلَكِنْ كَيْفَ تَسْتَحْيِي مِمَّنْ لَا تَعْرِفُ ؟

وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ عَاصِمِ الْأَنْطَاكِيِّ : أَحَبُّ أَنْ لَا أَمُوتَ حَتَّى أَعْرِفَ مَوْلَايَ . وَلَيْسَ مَعْرِفَتُهُ الْإِقْرَارُ  
بِهِ ، وَلَكِنَّ الْمَعْرِفَةَ الَّذِي إِذَا عَرَفْتَهُ اسْتَحْيَيْتَ مِنْهُ . وَهَذِهِ الْمَعْرِفَةُ الْخَاصَّةُ وَالتَّعْرِفُ الْخَاصُّ تَوْجِبُ  
طَمَئِينَةَ الْعَبْدِ بِرَبِّهِ وَثِقَتَهُ بِهِ فِي إِنْجَائِهِ مِنْ كُلِّ شِدَّةٍ وَكُرْبٍ وَتَوْجِبُ اسْتِجَابَةَ الرَّبِّ دَعَاءَ عَبْدِهِ .

لَمَّا اخْتَفَى الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ مِنَ الْحِجَابِ قِيلَ لَهُ : لَوْ خَرَجْتَ فَإِنَّا نَخَافُ أَنْ يَدُلَّ عَلَيْكَ . فَبَكَى  
ثُمَّ قَالَ : أَخْرَجَ مِنْ مِصْرِي وَأَهْلِي وَإِخْوَانِي ، إِنْ مَعْرِفَتِي بِرَبِّي وَنِعْمَهُ عَلَيَّ أَنْ سَيَنْجِينِي مِنْهُ إِنْ  
شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . فَمَا ضَرَّهُ الْحِجَابُ بِشَيْءٍ ، وَلَقَدْ كَانَ يَكْرَهُهُ بَعْدَ ذَلِكَ إِكْرَامًا شَدِيدًا .

وَقَالَ رَجُلٌ لِمَعْرُوفٍ : هَيْجَكَ عَلَى الْإِنْقِطَاعِ وَالعِبَادَةِ ذِكْرِ الْمَوْتِ وَالبِرْزَخِ وَالجَنَّةِ وَالنَّارِ ؟ فَقَالَ  
مَعْرُوفٌ : أَيُّ شَيْءٍ هَذَا إِنْ مَلَكَ هَذَا كُلَّهُ بِيَدِهِ إِنْ كَانَتْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ مَعْرِفَةٌ كَفَاكَ جَمِيعَ هَذَا .  
وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

( فَصْلٌ )

وَمَا يَبِين هَذَا وَيُوضِحهُ الْحَدِيثَ الَّذِي أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ : " مَنْ سَرَهُ أَنْ يَسْتَجِيبَ لَهُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ فليكثر الدُّعَاءَ فِي الرِّخَاءِ " .

وخرج ابن أبي الدنيا وابن أبي حاتم وابن جرير وغيرهم من حديث يزيد الرقاشي عن أنس يرفعه : " إن يونس عليه السلام لما دعى في بطن الحوت قالت الملائكة : يا رب هذا صوت معروف في بلاد غريبة ؟ فقال الله : أما تعرفون ذلك ؟ قالوا : ومن هو ؟

قال : عبدي يونس . قالوا : عبدك يونس الذي لم يزل يرفع عملاً متقبلاً ودعوة مستجابة ؟ قال : نعم . قالوا : يا رب أفلا ترحم ما كان يصنع في الرخاء فتنجيه به في البلاء ؟ قال : بلي فأمر الله الحوت فطره بالعراء .

وقال الضحاك بن قيس : اذكروا الله في الرخاء يذكركم في الشدة . إن يونس عليه السلام كان يذكر الله فلما وقع في بطن الحوت قال الله تعالى : ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ \* لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ .

وإن فرعون كان طاغياً ناسياً لذكر الله فلما أدركه الغرق قال : آمنت . فقال الله تعالى : ﴿ وَالْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ .

وقال رشدين بن سعد : قال رجل لأبي الدرداء رضي الله عنه : أوصني ، فقال : اذكر الله في السراء يذكرك في الضراء فإن العبد إذا ذكر في السراء فنزلت به ضراء فدعا الله عز وجل قالت الملائكة : صوت معروف فشفعوا له .

وَإِذَا كَانَ لَيْسَ بِدَعَاءٍ فِي السَّرَاءِ فَنَزَلَتْ بِهِ ضِرَاءٌ فَدَعَا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَتْ الْمَلَائِكَةُ صَوْتُ لَيْسَ بِمَعْرُوفٍ فَلَا يَشْفَعُونَ لَهُ .

وحديث الثلاثة الَّذِينَ دَخَلُوا الْغَارَ وَانطَبَقَتْ عَلَيْهِمُ الصَّخْرَةُ يَشْهَدُ لِهَذَا أَيْضاً . فَإِنَّ اللَّهَ فَرِحَ عَنْهُمْ بِدَعَائِهِمْ بِمَا كَانَ سَبَقَ مِنْهُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الْخَالِصَةِ فِي حَالِ الرِّخَاءِ مِنْ بَرِّ الْوَالِدِينَ وَتَرْكِ الْفُجُورِ وَأَدَاءِ الْإِمَانَةِ الْخَفِيَّةِ .

فَإِذَا عَلِمَ : أَنْ التَّعْرِفَ إِلَى اللَّهِ فِي الرِّخَاءِ يُوجِبُ نَعْرِفَةَ اللَّهِ لِعَبْدِهِ فِي الشَّدَةِ فَلَا شِدَّةَ يَلْقَاهَا الْعَبْدُ فِي الدُّنْيَا أَعْظَمُ مِنْ شِدَّةِ الْمَوْتِ وَهِيَ أَهْوَنُ مِمَّا بَعْدَهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ مُصِيرَ الْعَبْدِ إِلَى خَيْرٍ . وَإِنْ كَانَ مُصِيرَهُ إِلَى خَيْرٍ فَهِيَ آخِرُ شِدَّةٍ يَلْقَاهَا .

فَالْوَاجِبُ عَلَى الْعَبْدِ : الْإِسْتِعْدَادَ لِلْمَوْتِ قَبْلَ نَزْوِهِ ، بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَالْمُبَادَرَةَ إِلَى ذَلِكَ فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي الْمَرْءَ مَتَى تَنْزِلُ بِهِ هَذِهِ الشَّدَةُ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ . وَذَكَرَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَالْمُبَادَرَةَ إِلَى ذَلِكَ فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي الْمَرْءَ مَتَى تَنْزِلُ بِهِ هَذِهِ الشَّدَةُ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ . وَذَكَرَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ عِنْدَ الْمَوْتِ مِمَّا يَحْسُنُ ظَنَ الْمُؤْمِنِ بَرِّهِ وَيَهْوَنُ عَلَيْهِ شِدَّةَ الْمَوْتِ وَيَقْوِي رَجَاءَهُ .

قَالَ بَعْضُهُمْ : يَسْتَحِبُّونَ أَنْ يَكُونَ لِلْمَرْءِ خِيَّةٌ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ لِيَكُونَ أَهْوَنَ عَلَيْهِ عِنْدَ نَزْوِ الْمَوْتِ أَوْ كَمَا قَالَ . وَكَانُوا يَسْتَحِبُّونَ أَنْ يَمُوتَ الرَّجُلُ عَقِبَ طَاعَةِ عَمَلِهَا مِنْ حَجٍّ أَوْ جِهَادٍ أَوْ صِيَامٍ . وَقَالَ النَّخَعِيُّ : كَانُوا يَسْتَحِبُّونَ أَنْ يَكُونَ لِلْمَرْءِ خِيَّةٌ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ لِيَكُونَ أَهْوَنَ عَلَيْهِ عِنْدَ نَزْوِ الْمَوْتِ أَوْ كَمَا قَالَ . وَكَانُوا يَسْتَحِبُّونَ أَنْ يَمُوتَ الرَّجُلُ عَقِبَ طَاعَةِ عَمَلِهَا مِنْ حَجٍّ أَوْ جِهَادٍ أَوْ صِيَامٍ .

وَقَالَ النَّخَعِيُّ : كَانُوا يَسْتَحِبُّونَ أَنْ يَلْقَنُوا الْعَبْدَ مُحَاسِنَ عَمَلِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ لِكَيْ يَحْسُنَ ظَنُّهُ بَرِّهِ . قَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّلْمِيُّ فِي مَرَضِهِ : كَيْفَ لَا أَرْجُو رَبِّي وَقَدْ صَمْتُ لَهُ ثَمَانِينَ رَمَضَانَ . وَمَا احْتَضَرَ أَبُو بَكْرٍ ابْنَ عِيَاشٍ وَبَكَوْا عَلَيْهِ قَالَ : لَا تَبْكُوا



فإني ختمت القرآن في هذه الزاوية ثلاثة عشر ألف ختمة . وروي أنه قال لابنه : أتري إن الله يضيع لأبيك أربعين سنة يختم كل ليلة .  
 وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ لابنه عِنْدَ موته وراه يبكي قال : لا تبكي فما أوتي أبوك قط . وختم آدم بن أبي إياس القرآن وَهُوَ مسجى للموت ثُمَّ قال : بحبي لك إلا رفقت بي فيه ذَا المصرع؟ كنت أؤملك لهذا كنت أرجوك لهذا لا إله إلا الله ، ثُمَّ قضى رحمه الله .  
 وَكَانَ عبد الصمد الزاهد يَقُولُ عِنْدَ موته : سيدي لهذا الساعة خبأتك حقق حسن ظني بك .  
 وَقَالَ ابن عقيل عِنْدَ موته وَقَدْ بكى النسوة : قَدْ وقفت منه خمسين سنة فدعوني أهنأ بلقائه .  
 ولما هجم القرامطة على الحجاج وقتلوهم في الطواف وَكَانَ على بن باكوية الصوفي يطوف فلم يقطع الطواف والسيوف تأخذه حتى وقع .

#### تضرعُ إلي فاطر السموات والأرض وثناء عليه

يَا مَنْ عَلَيْهِ مَدَى الْأَيَّامِ مُعْتَمِدِي	إِلَيْكَ وَجَّهْتُ وَجْهِي لِأِلَى أَحَدٍ
يَا مَالِكَ الْمُلْكِ يَا مُعْطِيَ الْجَزَائِلِ لِمَنْ	يَرْجُو نَدَاهُ بِأَلَمَنْ وَلَا نَكْدٍ
مَا لِي سِوَاكَ وَمَا لِي غَيْرَ بَابِكَ يَا	مَوْلَايَ فَاْمُحْ بَعْفُو مَا جَنَّتْهُ يَدِي
وَانْعِمْ وَأَمْطِرْ عَلَيْنَا رَحْمَةً فَلَنَا	عَوَائِدُ مِنْكَ بِالْإِحْسَانِ وَالْمَدَدِ
وَانظُرْ إِلَيْنَا فَكَمْ أَوْلَيْتَنَا نِعْمًا	مَا أَنْ تَمُرُّ عَلَيَّ بِأَلٍ وَلَا خَلِيدٍ
يَا مَنْ يُجِيبُ دُعَائِي عِنْدَ مَسْأَلَتِي	وَمَنْ عَلَيْهِ وَإِنْ أَخْطَأْتُ مُعْتَمِدِي

وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وصلي الله على مُحَمَّد وآله وصحبه وسلم .

( فَصْلٌ )

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ : فَمَنْ أَطَاعَ اللَّهَ وَاتَّقَاهُ فِي حَيَاتِهِ تَوَلَّاهُ اللَّهُ عِنْدَ وَفَاتِهِ عَلَى الْإِيمَانِ وَثَبْتِهِ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْقَبْرِ عِنْدَ سُؤْلِ الْمَلَكَيْنِ وَدَفَعَهُ عَنْهُ عَذَابَ الْقَبْرِ وَأَنَسَ وَحِشْتَهُ فِي تِلْكَ الْوَحْدَةِ وَالظُّلْمَةِ .

قال بعض السلف : إِذَا كَانَ اللَّهُ مَعَكَ عِنْدَ دُخُولِ الْقَبْرِ فَلَا بَأْسَ عَلَيْكَ وَلَا وَحْشَةٌ . وَرَوَى بَعْضُ الصَّالِحِينَ فِي النَّوْمِ بَعْدَ مَوْتِهِ فَسُئِلَ عَنْ حَالِهِ فَقَالَ : يُؤْنِسُنِي رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ فَمَنْ كَانَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنَيْسَهُ فِي ظِلْمَاتِ اللَّحُودِ إِذَا فَارَقَ الدُّنْيَا وَتَخَلَّى عَنْهَا . وَفِيهِ ذَا يَقُولُ بَعْضُهُمْ :

فِيَا رَبُّ كُنْ لِي مُؤْنِسًا يَوْمَ وَحْشَتِي      فَإِنِّي بِمَا أَنْزَلْتَهُ لِمُصَدِّقٍ  
وَمَا ضَرَّنِي أَنِّي إِلَى اللَّهِ صَائِرٌ      وَمَنْ هُوَ مِنْ أَهْلِي أَبْرُ وَأَشْفَقُ

وَكَذَلِكَ أَهْوَالُ الْقِيَامَةِ وَأَفْزَاعُهَا وَشِدَائِدُهَا إِذَا تَوَلَّى اللَّهُ عَبْدَهُ الْمَطِيعَ لَهُ فِي الدُّنْيَا أُنْجَاهُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ . قَالَ قَتَادَةُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾ . قَالَ : ( مِنَ الْكَرْبِ عِنْدَ الْمَوْتِ وَمِنْ أَفْزَاعِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ) .

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ : يَنْجِيهِ مِنْ كُلِّ كَرْبٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

وَقَالَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾ . قَالَ : يَبْشُرُ فِي ذَلِكَ عِنْدَ مَوْتِهِ وَفِي قَبْرِهِ وَيَوْمَ الْبَعْثِ فَإِنَّهُ لَفِي الْجَنَّةِ ، وَمَا ذَهَبَتْ فَرِحَةُ الْبَشَارَةِ مِنْ قَلْبِهِ .

وَقَالَ ثَابِتُ الْبَنَانِيِّ فِي هَذِهِ الْآيَةِ : بَلَّغْنَا أَنَّ الْمُؤْمِنَ يَبْعَثُهُ اللَّهُ مِنْ قَبْرِهِ يَتَلَقَاهُ الْمَلَكَانِ اللَّذَانِ كَانَا مَعَهُ فِي الدُّنْيَا فَيَقُولَانِ لَهُ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ فَيُؤْمِنُ اللَّهُ خَوْفَهُ وَيَقْرَأُ عَيْنَهُ .

فما من عزيمة تغشي النَّاس يوم القيامة إلا وهي للمؤمن قرة عين لما هداه الله ولما كَانَ يعمل في الدنيا . خرج ذَلِكَ كله ابن أبي حاتم وغيره .

وأما من لم يتعرف إلي الله في الرخاء فَلَيْسَ لَهُ أن يعرفه في الشدة لا في الدُّنْيَا ولا في الآخرة ، وشواهد هَذَا مشاهدة حالهم في الدُّنْيَا وحالهم في الآخرة أشد وما لَهُمْ من ولي ولا نصير .

قوله ρ : "إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ" أمر بإفراد الله تعالى بالسؤال ونهي عن غيره من الخلق .

وَقَدْ أمر سُبْحَانَهُ وتعالى بسؤاله فَقَالَ : ﴿ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ . وفي الترمذي عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعاً : " من لا يسأل الله يغضب عليه " .

وفيه أيضاً عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : " اسألوا الله من فضله فإن الله يحب أن يسأل " .

وفيه أيضاً : " إن الله يحب الملحين في الدعاء " .

وفي حديث آخر : " ليسأل أحدكم حاجته كلها حتى يسأل شسع نعله إِذَا انقطع " . وفي هَذَا المعني أحاديث كثيرة .

وفي النهي عن سؤال الخلق أحاديث كثيرة صحيحة . وفي حديث ابن مسعود وابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مرفوعاً : " لا يزال العبد يسأل وَهُوَ غني حتى يخلق وجهه فلا يكون لَهُ عِنْدَ اللَّهِ وجه " .

وَقَدْ بايع النَّبِيُّ ρ جماعة من الصحابة عَلَى أن لا يسألوا النَّاس شيئاً مِنْهُمْ الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأبو ذر وثوبان .

وَكَانَ أَحَدُهُمْ يَسْقُطُ سَوْطُهُ وَخَطَامُ نَاقَتِهِ فَلَا يَسْأَلُ أَحَدًا أَنْ يَنَاولَهُ إِيَّاهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ . وَاعْلَمْ أَنَّ سَوْأَلَ اللَّهِ تَعَالَى دُونَ خَلْقِهِ هُوَ الْمُتَعِينُ عَقْلًا وَشَرْعًا .

وَذَلِكَ مِنْ وَجْهِ مُتَعَدِّدَةٍ مِنْهَا أَنَّ السَّوْأَلَ فِيهِ بَدَلٌ لِمَاءِ الْوَجْهِ وَذَلِكَ لِلْسَّائِلِ وَذَلِكَ لَا يَصْلِحُ إِلَّا لِلَّهِ وَحْدَهُ . فَلَا يَصْلِحُ الذَّلْ إِلَّا لِلَّهِ بِالْعِبَادَةِ وَالْمَسْأَلَةِ وَذَلِكَ مِنْ غَايَةِ الْمَحَبَّةِ الصَّادِقَةِ .

سئل يوسف بن الحسين : ما بال المحبين يتلذذون بذلهم في المحبة فأنشد :

ذُلُّ الْفَتَى فِي الْحُبِّ مَكْرَمَةٌ وَخُضُوعُهُ لِحَبِيبِهِ شَرَفٌ

وَهَذَا الذَّلْ وَهَذِهِ الْمَحَبَّةُ لَا تَصْلِحُ إِلَّا لِلَّهِ وَحْدَهُ وَهَذِهِ حَقِيقَةُ الْعِبَادَةِ الَّتِي يَخْتَصُّ بِهَا الْإِلَهَ الْحَقُّ . كَانَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ فِي دَعَائِهِ : اللَّهُمَّ كَمَا صَنَعْتَ وَجْهِي عَنِ السُّجُودِ لِغَيْرِكَ فَصْنَعُهُ عَنِ الْمَسْأَلَةِ لِغَيْرِكَ .

وَقَالَ أَبُو الْحُسَيْنِ الْأَقْطَعُ : كُنْتُ بِمَكَّةَ سَنَةً فَأَصَابَتْنِي فَاقَةٌ وَضُرَّرْتُ فَكُنْتُ كَلَّمًا أُرِدْتُ أَنْ أُخْرَجَ إِلَيَّ الْمَسْأَلَةُ هَتَفَ بِي هَاتِفٌ يَقُولُ : الْوَجْهَ الَّذِي تَسْجُدُ لِي بِهِ تَبْذُلُهُ لِغَيْرِي . انْتَهَى كَلَامُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

( فَصْلٌ )

وَقَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ :

لِلْعَبْدِ سِتْرٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ وَسِتْرٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ فَمَنْ هَتَكَ السِتْرَ

الَّذِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ هَتَكَ اللَّهُ السِّرَّ الَّذِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ .  
للعبد رب هُوَ ملاقيه ، وبيت هُوَ ساكنه ، فينبغي له أن يسترضي ربه قبل لقائه ، ويعمر بيته  
قبل انتقاله إليه .

إضاعة الوقت أشد من الموت ، لأن إضاعة الوقت تقطعك عن الله والدار الآخرة ، والموت  
يقطعك عن الدنيا وأهلها .

الدُّنْيَا مِنْ أَوْلَاهَا إِلَى آخِرِهَا لَا تَسَاوِي غَمَّ سَاعَةٍ فَكَيْفَ بَغَمِّ الْعَمْرِ كُلِّهِ . محبوب اليوم يعقب  
المكروه غداً ، ومكروه اليوم يعقب المحبوب غداً .

أَعْظَمُ الرَّيْحِ فِي الدُّنْيَا : أَنْ تَشْغَلَ نَفْسُكَ كُلَّ وَقْتٍ بِمَا هُوَ أَوْلَى بِهَا وَأَنْفَعُ لَهَا فِي مَعَادِهَا .  
كيف يكون عاقلاً من باع الجنة بما فيها بشهوة ساعة .

المخلوق إذا خفته استوحشت منه وهربت منه والرب تعالى إذا خفته أنست به وقربت إليه . لو  
نفع العلم بلا عمل لما ذم الله سُبْحَانَهُ أَعْبَارُ أَهْلِ الْكِتَابِ ، ولو نفع العمل بلا إخلاص لما ذم  
المنافقين .

إِذَا جَرَى عَلَى الْعَبْدِ مَقْدُورٌ يَكْرَهُهُ فَلَهُ فِيهِ سِتُّ مَشَاهِدٍ :

أحدها : مشهد التَّوْحِيدِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي قَدَرَهُ وَشَاءَهُ وَخَلَقَهُ وَمَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ  
يَكُنْ .

الثاني : مشهد العدل وأنه ماضٍ فِيهِ حَكْمُهُ عَدْلٌ فِيهِ قَضَاؤُهُ .

الثالث : مشهد الرحمة وإن رحمته فِيهِ ذَا الْمَقْدُورِ غَالِبَةٌ لِعُزْبَةِ وَانْتِقَامِهِ وَرَحْمَتِهِ وَعَفْوِهِ .

- الرابع : مشهد الحكمة وإن حكمته سُبْحَانَهُ اقتضت ذَلِكَ لم يقدره سدي ولا قضاة عبثاً .
- الخامس : مشهد الحمد وأن لَهُ سُبْحَانَهُ الحمد التام عَلَى ذَلِكَ مِنْ جَمِيعِ وجوهه .
- السادس : مشهد العبودية وأنه محض من كُلِّ وجه تجري عَلَيْهِ أحكام سيده وأقضيته بحكم كونه ملكه وعبده فيصرفه تحت أحكامه القدرية كما يصرفه تحت أحكامه الدينية فهو محل لجريان هذه الأحكام عليه .
- الاجتماع بالإخوان قسمان :
- أحدهما : اجتماع عَلَى مؤانسة الطبع وشغل الوقت ، فهِذَا مضرته أرجح من منفعتة ، وأقل ما فِيهِ أنه يفسد القَلْب ويضيع الوقت .
- الثاني : الاجتماع بِهُمْ عَلَى التعاون عَلَى أسباب النجاة والتواصي بالحق والصبر ، فهِذَا من أعظم الغنيمة وأنفعها .
- ولكن فِيهِ ثلاث آفات :
- إحداها : تزين بَعْضُهُمْ لبعض .
- الثَّانِيَّة : الكلام والخلطة أكثر من الحاجة .
- الثالثة : أن يصير ذَلِكَ شهوة وعادة ينقطع بِهَا عن المقصود .
- وبالجملة : فالاجتماع والخلطة لقاح ، إما للنفس الأمانة ، وإما للقلب والنفس المطمئنة والنتيجة مستفادة من اللقاح فمن طاب لقاحه طابت ثمرته .
- وهذه الأرواح الطيبة لقاحها من الملك والخبيثة لقاحها من الشيطان

وقَدْ جعل الله سُبْحَانَهُ بحكمته الطيبات للطيبين والطيبين للطيبات وعكس ذلك .  
بين العَبْد وبين الله والجَنَّة قنطرة تقطع بخطوتين خطوة عن نَفْسِه ، وخطوة عن الخلق فيسقط  
نَفْسِه ويلغيها فيما بينه وبين النَّاس ويسقط النَّاس ويلغيهم فيما بينه وبين الله ؛ فلا يلتفت إلا  
إلى الله من دله على الله وعلى الطَّرِيق الموصلة إليه .  
من عرف نَفْسِه اشتغل بإصلاحها عن عيوب الناس .  
من عرف ربه اشتغل به عن هوي نفسه .  
أنفع العَمَل أن تغيب فيه عن النَّاس بالإخلاص وعن نفسك بشهود المنة فلا تري فيه نفسك  
ولا تري الخلق .  
دخل النَّاس النار من ثلاثة أبواب : باب شبهة أورثت شكاً في دين الله ، وباب شهوة أورثت  
تقديم الهوى على طاعته ومرضاته ، وباب غضب أورث العدوان على خلقه .  
أصول الخطايا كُلِّهَا ثلاثة : الكبر ، وَهُوَ الَّذِي أصرَّ إبليس إلى ما أصره والحرص ، وَهُوَ الَّذِي  
أخرج آدم من الجنة .  
والحسد ، وَهُوَ الَّذِي جرَّأ أحد ابني آدم على أخيه . فمن وقى شر هذه الثلاثة فقد وقى الشر  
، فالكفر من الكبر ، والمعاصي من الحرص ، والبغي والظلم من الحسد .  
جمع النَّبِيِّ ﷺ في قوله : " فاتقوا الله وأجملوا في الطلب " بين مصالح الدُّنْيَا والآخرة .  
فالآخرة ونعيمها ولذاتها ، إنما تنال بتقوي الله وراحة القلب

والبدن وترك الاهتمام والحرص الشديد والتعب والعناء والكد والشقاء في طلب الدنيا ، إنما ينال بالإجمال في الطلب .

فمن اتقى الله فاز بلذة الآخرة ونعيمها ، ومن أجمل في الطلب استراح من نكد الدنيا وهمومها ، فالله المستعان :

قَدْ نَادَتِ الدُّنْيَا عَلَى نَفْسِهَا      لَوْ كَانَ فِي ذِي الخُلُقِ مَنْ يَسْمَعُ  
كَمْ وَائِثِقِ بِالعَيْشِ أَهْلَكَتْهُ      وَجَامِعِ فَرَقْتَ مَا يَجْمَعُ

سر التوكل على الله وحقيقته : هو اعتماد القلب على الله وحده ، فلا يضر مباشرة الأسباب مع خلو القلب من الاعتماد على غيرها والركون إليها ، كما لا ينفعه قوله : توكلت على الله ، مع اعتماده على غيره وركونه إليه وثقته به .

فتوكل اللسان شيء ، وتوكل القلب شيء . كما أن توبة اللسان مع إصرار القلب مع اعتماده على غيره وركونه إليه وثقته به .

فتوكل اللسان شيء ، وتوكل القلب شيء . كما أن توبة اللسان مع إصرار القلب مع اعتماد قلبه على غيره ، مثل قوله : تبت إلى الله وهو مصر على معصيته مرتكب لها .

اتباع الهوى وطول الأمل ، مادة كل فساد ، فإن اتباع الهوى يعمي عن الحق معرفة وقصداً ، وطول الأمل ينسي الآخرة ويصد عن الاستعداد لها .

إذا أراد الله بعبد خيراً جعله معترفاً بذنبه ، ممسكاً عن ذنب غيره ، جواداً بما عنده ، محتملاً لأذي غيره ، وإن أراد به شراً عكس ذلك عليه .

العقول المقيدة بالتوفيق ، تري أن ما جاء به الرسول  $\rho$  هو الحق الموافق للعقل والحكمة .



والعقول المضروبة بالخذلان ، تري المعارضة بين العقل والنقل وبين الحكمة والشرع .  
أقرب الوسائل إلى الله ، ملازمة السنة والوقوف معها في الظاهر والباطن ودوام الافتقار إلى الله ، وإرادة وجهه وحده بالأقوال والأفعال .  
وما وصل أحد إلى الله إلا من هذه الثلاثة ، وما انقطع عنه أحد إلا بانقطاعه عنها أو عن أحدها .

الأصول التي انبني عَلَيْهَا سعادة العَبْد ثلاثة ، ولكل واحد منها ضد ، فمن فَقَدَ ذَلِكَ الأَصْل حصل عَلَى ضده ، التَّوْحِيد وضده الشرك ، والسنة وضدها البدعة ، والطاعة وضدها المعصية .

ولهذه الثلاثة ضد واحد وَهُوَ : خَلْوُ القَلْب من الرغبة في الله وفيما عنده ، ومن الرهبة منه وما عنده .

إِذَا استغني النَّاس بالدُّنْيَا ، فاستغنِ أَنْتَ بِاللَّهِ ، وَإِذَا فرحوا بالدُّنْيَا فافرحِ أَنْتَ بِاللَّهِ ، وَإِذَا أنسوا بأحبابهم فاجعل أنسك بالله .

وَإِذَا تعرفوا إلي ملوكهم وكبرائهم وتقربوا إليهم لينالوا بِهِم العزة والرفعة ، فتعرفِ أَنْتَ إِلَى الله وتودد إليه ، تنل بِذَلِكَ غاية العز والرفعة .

قال بعض الزهاد : ما علمت أن أحدا سَمِعَ بِالْجَنَّةِ والنار تأتي عَلَيْهِ ساعة لا يطيع الله فيها بذكر أو صلاة أو قراءة أو إحسان . فَقَالَ لَهُ رجل إني أكثر البُكَاءَ فَقَالَ : إنك إن تضحك وَأَنْتَ مقر بخطيئتك خَيْرٌ من أن تبكي وَأَنْتَ مدل بعملك ، وأن المدل لا يصعد عمله فوق رأسه .

فَقَالَ : أوصني فَقَالَ : دع الدُّنْيَا لأهلها كما تركوا هم الآخرة لأهلها ، وكن في الدُّنْيَا كالنحلة ، إن أكلت أكلت طيباً ، وإن أطعمت أطعمت طيباً ، وإن سقطت عَلَى شَيْءٍ لم تكسره ولم تخدشه .

النعم ثلاثة : نعمة حاصلة يعلم بِهَا الْعَبْدُ ، ونعمة منتظرة يرجوها ، ونعمة هُوَ فِيهَا لا يشعر بها . فَإِذَا أَرَادَ إِتْمَامَ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ ، عرفه نعمته الحاضرة ، وأعطاه من شكره قيداً يقيدها به حتي لا تشرذ فإِنهَا تشرذ بالمعصية وتبقي بالشكر ، ووقفه لعمل يستجلب به النعمة المنتظرة ، وبصره بالطرق التي تسدد وتقطع طريقها ، ووقفه لاجتنابها ، وَإِذَا بِهَا قَدْ وافقته إليه عَلَى أتم الوجوه ، وعرفه النعم التي هُوَ فِيهَا ولا يشعر بها .

ويحكي أن أعرابياً دخل عَلَى الرشيد فَقَالَ : أمير الْمُؤْمِنِينَ نَبَّتَ اللهُ عَلَيْكَ النعم التي أَنْتَ فِيهَا بِإدَامَةِ شُكْرِهَا ، وحقق لك النعم التي ترجوها بحسن الظن به ودوام طاعته ، وعرفك النعم التي أَنْتَ فِيهَا ولا تعرفها لشُكْرِهَا ، فأعجبه ذَلِكَ منه وَقَالَ : ما أحسن تقسيمه .

قال شقيق بن إبراهيم : أغلق باب التَّوْفِيقِ عن الخلق من ستة أشياء : اشتغالهم بالنعمة عن شكرها ، ورغبتهم فِي العلم وتركهم العمل والمسارة إلى الذنب وتأخير التوبة ، والاعتزاز بصحبة الصالحين وترك الاقتداء بأفعالهم ، وإدبار الدُّنْيَا عنهم وهم يتبعونها ، وإقبال الآخرة عَلَيْهِمْ وهم معرضون عنها .

قُلْتُ : وأصل ذَلِكَ : عدم الرغبة والرغبة ، وأصله ضعف اليقين ، وأصله ضعف البصيرة ، وأصله مهانة النفس ودناءتها ، واستبدال الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ .

النَّاسُ مُنْذُ خَلَقُوا لم يزلوا مسافرين ، وَلَيْسَ لَهُمْ حَطٌّ من رحالهم إِلَّا فِي الْجَنَّةِ أو النار ، والعاقل يعلم أن السفر مبني عَلَى المشقة وركوب الأخطار ، ومن المحال عادة أن يطلب فيه نعيم ولذة وراحة ، إِنَّمَا ذَلِكَ بعد انتهاء السفر .

ومن المعلوم أن كُلَّ وطأة قدم ، أو كُلَّ من آتات السفر غَيْرَ واقفة ، ولا المكلف واقف ، وَقَدْ ثَبَّتْ أنه سافر عَلَى الحال التي يجب أن يكون المسافر عَلَيْهَا من نهيئة الزاد الموصل ، وَإِذَا نزل أو نام أو استراح ، فعَلَى قدم الاستعداد للسير .

لله عَلَى الْعَبْدِ فِي كُلِّ عَضْوٍ من أعضائه أمر ، وله عَلَيْهِ فِيهِ نهي ، وله فِيهِ نعمة ، وله فِيهِ منفعة ولذة ، فَإِنْ قام فِي ذَلِكَ العَضْوِ بأمره واجتنب فِيهِ نهيهِ . فَقَدْ أدي شكر الله عَلَيْهِ فِيهِ ، وسعي فِي تكميل انتفاعه ولذته به ، وَإِنْ عطل أمر الله ونهيهِ فِيهِ ، عطله الله من انتفاعه بِذَلِكَ العَضْوِ ، وجعله من أكبر أسباب ألمه ومغرته .

وله عَلَيْهِ فِي كُلِّ وَقْتٍ من أوقاته عبودية تقدمه إليه وتقربه منه ، فَإِنْ شغل وقته بعبودية الوقت ، تقدم به إلي ربه ، وَإِنْ شغله بهوي أو راحة وبطالة تأخر ، فإلْعَبْدُ لا يزال فِي تقدم أو تأخر ، ولا وقوف فِي الطريق البتة .

قال تعالى : ﴿ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴾ .  
والله أعلم وصلي الله على مُحَمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلم .  
وَقَالَ القحطاني رَحِمَهُ اللهُ :

يَا أَيُّهَا السُّنِيُّ خُذْ بِوَصِيَّتِي	وَأَخْضُصْ بِذَلِكَ جُمْلَةَ الْإِخْوَانِ
وَأَقْبِلْ وَصِيَّةَ مُشْفِقٍ مَتَّوَدِّدٍ	وَأَسْمَعْ بِفَهْمٍ حَاضِرٍ يَقْظَانِ
كُنْ فِي أُمُورِكَ كُلِّهَا مُتَوَسِّطاً	عَدِلاً بِلا نَقْصٍ وَلَا رُجْحَانِ
واعلم بِأَنَّ اللهَ رَبُّ وَاحِدٌ	مُتَنَزَّهٌ عَنِ ثَالِثٍ أَوْ ثَانِ

الأوَّلُ المُبَدِي بِغَيْرِ بَدَايَةِ  
 زُكْنِ الدِّيَانَةِ أَنْ تُصَدَّقَ بِالْقَضَا  
 فَاقْصِدْ هُدَيْتَ وَلَا تَكُنْ مُتَعَالِيًا  
 دِنَ بِالشَّرِيعَةِ وَالكِتَابِ كَلِيهِمَا  
 وَإِذَا دُعِيتَ إِلَى أَدَاءِ فَرِيضَةٍ  
 قُمْ بِالصَّلَاةِ الخَمْسِ وَاغْرِفْ قَدْرَهَا  
 لَا تَمْنَعَنَّ زَكَاةَ مَالِكَ ظَالِمًا  
 لَا تَعْتَقِدْ دِينَ الرِّوَاغِضِ أَنَّهُمْ  
 إِنَّ الرِّوَاغِضَ شَرٌّ مَنْ وَطِئَ الحَصَا  
 مَدَحُوا النَّبِيَّ وَخَوَّنُوا أَصْحَابَهُ  
 قُلْ إِنَّ خَيْرَ الْأَنْبِيَاءِ مُحَمَّدٌ  
 قُلْ خَيْرَ قَوْلٍ فِي صَحَابَةِ أَحْمَدٍ  
 دَعُ مَا جَرَى بَيْنَ الصَّحَابَةِ فِي الْوَعْيِ  
 لَا تَقْبَلَنَّ مِنَ التَّوَارِيخِ كُلِّ مَا  
 ارزُو الْحَدِيثَ الْمُتَّقَى عَنْ أَهْلِهِ  
 وَاخْفِظْ لِأَهْلِ الْبَيْتِ وَاجِبَ حَقِّهِمْ  
 لَا تَنْتَقِضْهُ وَلَا تَزِدْ فِي قَدْرِهِ  
 إِحْدَاهُمَا لَا تَرْتَضِيهِ خَلِيفَةً  
 أَحْذَرْ عِقَابَ اللَّهِ وَارْحُ ثَوَابَهُ  
 وَإِذَا خَلَوْتَ بِرَبِيَّةٍ فِي ظُلْمَةٍ  
 فَاسْتَحْيِ مَنْ نَظَرَ إِلَيْهِ وَقُلْ لَهَا  
 وَالْآخِرُ الْمُفْنِي وَلَيْسَ بِفَانٍ  
 لَا خَيْرَ فِي بَيْتِ بِلَا أَرْكَانٍ  
 إِنَّ الْفُدُورَ تَفُورُ بِالْعَلْيَانِ  
 فَكَلَاهُمَا لِلدِّينِ وَاسِطَتَانِ  
 فَأَنْشَطْ وَلَا تَكُ فِي الْإِجَابَةِ وَإِنْ  
 فَلَهُنَّ عِنْدَ اللَّهِ أَعْظَمُ شَانٍ  
 فَصَلَاتِنَا وَزَكَاتِنَا أُخْتَانِ  
 أَهْلُ الْمُحَالِ وَشِيعَةُ الشَّيْطَانِ  
 مِنْ كُلِّ إِنْسٍ نَاطِقٍ أَوْ جَانٍ  
 وَرَمَوْهُمْ بِالظُّلْمِ وَالْعُدُوانِ  
 وَأَجَلٌ مَنْ يَمْشِي عَلَى الْكُفْبَانِ  
 وَامْدَحْ جَمِيعَ الْآلِ وَالنَّسْوَانِ  
 لِسُيُوفِهِمْ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ  
 جَمَعَ الرُّوَاهُ وَخَطَّ كُلُّ بَنَانٍ  
 سَيْمًا ذَوِي الْأَحْلَامِ وَالْأَسْنَانِ  
 وَاعْرِفْ عَلِيًّا أَيَّمَا عَرَفَانِ  
 فَعَلَيْهِ تَصَلَّى النَّارَ طَائِفَتَانِ  
 وَتَنْصُبُهُ الْأُخْرَى إِلَيْهَا ثَانِ  
 حَتَّى تَكُونَ كَمَنْ لَهُ قَلْبَانِ  
 وَالنَّفْسُ دَاعِيَةٌ إِلَى الطُّغْيَانِ  
 إِنَّ الَّذِي خَلَقَ الظَّلَامَ يَرَانِي

كُنْ طَالِباً لِلْعِلْمِ وَاعْمَلْ صَالِحاً  
لَا تَعْصِ رَبَّكَ قَائِلاً أَوْ فَاعِلاً  
جَمَلْ زَمَانَكَ بِالسُّكُوتِ فَإِنَّهُ  
كُنْ حَلِسَ بَيْنَكَ إِنْ سَمِعْتَ بِفِتْنَةٍ  
أَدَّ الْفَرَائِضَ لَا تَكُنْ مُتَوَانِياً  
أَدَمِ السُّوَاكَ مَعَ الْوُضُوءِ فَإِنَّهُ  
سَمَّ الْإِلَهَ لَدَى الْوُضُوءِ بِنِيَّةٍ  
فَأَسَّسَ أَعْمَالَ الْوَرَى نِيَّتُهُمْ  
لَا تَلْقَ رَبَّكَ سَارِقاً أَوْ خَائِئاً  
أَيَّقِنِ بِأَشْرَاطِ الْقِيَامَةِ كُلِّهَا  
أَحْسِنِ صَلَاتَكَ رَاكِعاً أَوْ سَاجِداً  
حَصِّنْ صِيَامَكَ بِالسُّكُوتِ عَنِ الْخَنَا  
لَا تَمْشِ ذَا وَجْهَيْنِ مِنْ بَيْنِ الْوَرَى  
لَا تَحْسُدَنَّ أَحَدًا عَلَى نِعْمَائِهِ  
لَا تَسْعَ بَيْنَ الصَّاحِبِينَ نَمِيمَةً  
وَتَحَرَّ بِرَّ الْوَالِدَيْنِ فَإِنَّهُ  
" فِي غَيْرِ مَعْصِيَةِ الْإِلَهِ فَإِنَّهُ  
لَا تَخْرُجَنَّ عَلَى الْإِمَامِ مُحَارِباً  
وَمَتَى أَمَرْتَ بِبِدْعَةٍ أَوْ زَلَّةٍ  
الِدِّينِ رَأْسُ الْمَالِ فَاسْتَمْسِكْ بِهِ  
لَا تَخُلْ بِأَمْرَةٍ لَدَيْكَ بِرَيْبَةٍ

فَهُمَا إِلَى سُبُلِ الْهُدَى سَبِيانِ  
فَكَلَاهُمَا فِي الصُّحُفِ مَكْتُوبَانِ  
زَيْنُ الْحَلِيمِ وَسِتْرَةُ الْحَيْرَانِ  
وَتَوْقُ كُلُّ مُتَافِقٍ فَتَّانِ  
فَتَكُونَنَّ عِنْدَ اللَّهِ شَرًّا مَهَانِ  
مُرْضِي الْإِلَهَ مُطَهَّرِ الْأَسْنَانِ  
ثُمَّ اسْتَعِذْ مِنْ فِتْنَةِ الْوَلَهَانِ  
وَعَلَى الْأَسَاسِ قَوَاعِدُ الْبُنْيَانِ  
أَوْ شَارِباً أَوْ ظَالِماً أَوْ زَانِي  
وَاسْمَعْ هُدَيْتَ نَصِيحَتِي وَبَيَانَ  
بِتَطْمَئُونِ وَتَرْفُقِ وَتَدَانَ  
أَطْبِقْ عَلَى عَيْنَيْكَ بِالْأَجْفَانِ  
شَرُّ الْبَرِيَّةِ مَنْ لَهْ وَجْهَانِ  
إِنَّ الْحَسُودَ لِحَكْمِ رَبِّكَ شَانِ  
فَلَأَجْلِهَآ يَتَبَاغَضُ الْخِلَآنِ  
فَرِضْ عَلَيْكَ وَطَاعَةَ السُّلْطَانِ  
لَا طَاعَةَ لِلْخَلْقِ فِي الْعِضْيَانِ  
وَلَوْ أَنَّه رَجُلٌ مِنَ الْحُبْشَانِ  
فَأَهْرَبْ بِدِينِكَ آخِرَ الْبُلْدَانِ  
فَضْيَاعُهُ مِنْ أَعْظَمِ الْخُسْرَانِ  
لَوْ كُنْتَ فِي النَّسَاكِ مِثْلَ بَنَانِ

وَاغْضُضْ جُفُونَكَ عَنْ مُلَاحَظَةِ النَّسَاءِ  
 وَاحْفِرْ لِسِرِّكَ فِي فُؤَادِكَ مَلْحَدًا  
 لَا يَبْدُ مِنْكَ إِلَى صَدِيقِكَ زَلَّةً  
 لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الدُّنُوبِ صِغَارَهَا  
 وَإِذَا نَذَرْتَ فَكُنْ بِنَذْرِكَ مُؤْفِيًا  
 لَا تَشْغَلَنَّ بَعِيبِ غَيْرِكَ غَافِلًا  
 لَا تُفْنِ عُمْرَكَ فِي الْجِدَالِ مُخَاصِمًا  
 وَاحْذَرْ مُجَادَلَةَ الرَّجَالِ فَإِنَّهَا  
 وَإِذَا اضْطُرِرْتَ إِلَى الْجِدَالِ وَلَمْ تَجِدْ  
 فَاجْعَلْ كِتَابَ اللَّهِ دِرْعًا سَابِغًا  
 وَالسُّنَّةَ الْبَيْضَاءَ دُونَكَ جُنَّةً  
 وَاثْبُتْ بِصَبْرِكَ تَحْتَ أَلْوِيَةِ الْهُدَى  
 وَاطْعَنْ بِرُمْحِ الْحَقِّ كُلَّ مُعَانِدٍ  
 وَاحْمِلْ بِسَيْفِ الصِّدْقِ حَمْلَةَ مُخْلِصٍ  
 وَإِذَا غَلَبَتِ الْخَصْمَ لَا تَهْزَأْ بِهِ  
 لَا تَغْضَبَنَّ إِذَا سُئِلْتَ وَلَا تَصِحَّ  
 كُنْ طَوَّلَ دَهْرِكَ سَاكِنًا مُتَوَاضِعًا  
 وَاخْلَعْ رِدَاءَ الْكِبَرِ عَنْكَ فَإِنَّهُ  
 كُنْ فَاعِلًا لِلْخَيْرِ قَوْلًا لَهُ  
 مِنْ عَوْتِ مَلْهُوفٍ وَشَبْعَةٍ جَائِعٍ  
 فَإِذَا فَعَلْتَ الْخَيْرَ لَا تَمْنُنْ بِهِ

وَمَحَاسِنِ الْأَحْدَاثِ وَالصَّبِيَّانِ  
 وَادْفِنْهُ فِي الْأَحْشَاءِ أَيَّ دِفَانٍ  
 وَاجْعَلْ فُؤَادَكَ أَوْثَقَ الْخُلَاقِ  
 فَالْقَطْرُ مِنْهُ تَدْفُقُ الْخِلْجَانَ  
 فَالْنَذْرُ مِثْلُ الْعَهْدِ مَسْئُولًا  
 عَنْ عَيْبِ نَفْسِكَ إِنَّهُ عَيْبَانِ  
 إِنَّ الْجِدَالَ يُخِلُّ بِالْأَدْيَانِ  
 تَدْعُو إِلَى الشَّخْنَاءِ وَالشَّنَانِ  
 لَكَ مَهْرَبًا وَتَلَاقَتْ الصَّفَانِ  
 وَالشَّرْعَ سَيْفِكَ وَابْدُ فِي الْمِيدَانِ  
 وَارْكَبْ جَوَادَ الْعِزْمِ فِي الْجَوْلَانِ  
 فَالصَّبْرُ أَوْثَقُ عُودَةِ الْإِنْسَانِ  
 لِلَّهِ دَرُّ الْفَارِسِ الطَّعَّانِ  
 مُتَجَرِّدٍ لِلَّهِ غَيْرَ جَبَانِ  
 فَالْعُجْبُ يُخِمِدُ جَمْرَةَ الْإِنْسَانِ  
 فَكِلَاهُمَا خُلُقَانِ مَذْمُومَانِ  
 فَهُمَا لِكُلِّ فَضِيلَةٍ بَابَانِ  
 لَا يَسْتَقِلُّ بِحَمَلِهِ الْكَيْفَانِ  
 فَالْقَوْلُ مِثْلُ الْفِعْلِ مُقْتَرِنَانِ  
 وَدِنَارِ عُرْيَانٍ وَفَدْيَةِ عَانِ  
 لَا خَيْرَ فِي مُتَمَدِّحِ مَنَانِ

اشْكُرْ عَلَى التَّعْمَاءِ وَاصْبِرْ لِلْبَلَاءِ  
 لَا تَشْكُونَ بِعَلَّةٍ أَوْ قَلَّةٍ  
 صُنْ حُرًّا وَجْهَكَ بِالْقَنَاعَةِ إِنَّمَا  
 بِاللَّهِ ثِقٌ وَلَهُ أَنْبٌ وَبِهِ اسْتَعْنُ  
 وَإِذَا عَصَيْتَ فَتُبْ لِرَبِّكَ مُسْرِعًا  
 وَإِذَا ابْتُلَيْتَ بِعُسْرَةٍ فَاصْبِرْ لَهَا  
 لَا تَتَّبِعْ شَهَوَاتِ نَفْسِكَ مُسْرِفًا  
 اعْرِضْ عَنِ الدُّنْيَا الدُّنْيَا زَاهِدًا  
 زُهَدٌ عَنِ الدُّنْيَا وَزُهْدٌ فِي الثَّنَاءِ  
 وَاحْفَظْ لِحَبَابِكَ حَقَّهُ وَذِمَامَهُ  
 وَاضْحَكْ لِضَيْفِكَ حِينَ يُنْزِلُ رَحْلَهُ  
 وَصِلْ ذَوِي الأَرْحَامِ مِنْكَ وَإِنْ جَفَوْا  
 وَاصْدُقْ وَلَا تَخْلِفْ بِرَبِّكَ كَاذِبًا  
 وَتَوَقَّ أَيَّمَانَ العَمُوسِ فَإِنَّهَا  
 أَعْرِضْ عَنِ النَّسْوَانِ جُهْدَكَ وَانْتَدِبْ  
 فِي جَنَّةٍ طَابَتْ وَطَابَ نَعِيمُهَا  
 إِنْ كُنْتَ مُشْتَاقًا لَهَا كَلِفًا بِهَا  
 كُنْ مُحْسِنًا فِي مَا اسْتَطَعْتَ فَرَبَّمَا  
 وَاعْمَلْ لِجَنَاتِ النَّعِيمِ وَطَيِّبِهَا  
 قُمْ فِي الدُّجَى وَاتْلُ الْكِتَابَ وَلَا تَنَمْ  
 فَلَرَبَّمَا تَأْتِي المَيِّتَةُ بِغَتَّةٍ  
 فَكِلَاهُمَا خُلُقَانِ مَمْدُوحَانِ  
 فَهُمَا لِعَرَضِ المَرَّةِ فَاضِحَتَانِ  
 صَوْنِ الوُجُوهِ مُرْوَعَةُ الفِتْيَانِ  
 فَإِذَا فَعَلْتَ فَأَنْتَ خَيْرٌ مُعَانِ  
 حَذَرَ المَمَاتِ وَلَا تَقُلْ لِمِ يَانَ  
 فَالعُسْرُ فَرْدٌ بَعْدَهُ يُسْرَانِ  
 فَاللَّهُ يُبْغِضُ عَابِدًا شَهْوَانِي  
 فَالزُّهْدُ عِنْدَ أُولِي التُّهَى زُهْدَانِ  
 طُوبَى لِمَنْ أَمْسَى لَهُ الزُّهْدَانِ  
 وَلِكُلِّ جَارٍ مُسْلِمٍ حَقَّانِ  
 إِنَّ الكَرِيمَ يُسْرُ بِالصَّيْفَانِ  
 فَوِصَالُهُمْ خَيْرٌ مِنَ الهِجْرَانِ  
 وَتَحَرَّرْ فِي كَفَّارَةِ الإِيمَانِ  
 تَدَعُ الدِّيَارَ بِالأَقْعِ الحِيطَانِ  
 لِعِنَاقِ خَيْرَاتٍ هُنَاكَ حِسَانِ  
 مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ بِهَا زَوْجَانِ  
 شَوْقِ العَرِيبِ لِرُؤْيَةِ الأَوْطَانِ  
 تُجْزَى عَنِ الإِحْسَانِ بِالإِحْسَانِ  
 فَنَعِيمُهَا يُبْقَى وَلَيْسَ بِفَانِ  
 إِلا كَنُومَةَ حَائِرٍ وَلَهَّانِ  
 فَتَسَاقُ مِنْ فُرْشٍ إِلَى الأَكْفَانِ

يَا حَبْدًا عَيْنَانِ فِي غَسَقِ الدُّجَى      مِنْ خَشْيَةِ الرَّحْمَنِ بَاكِتَانِ  
لَا تَجْزَعَنَّ إِذَا دَهَتْكَ مُصِيبَةٌ      إِنَّ الصَّبْرَ تَوَائِبُهُ ضِعْفَانِ  
فَإِذَا ابْتُلَيْتَ بِنَكْبَةٍ فَاصْبِرْ لَهَا      اللَّهُ حَسْبِي وَحُدَّهُ وَكَفَانِي  
وَعَلَيْكَ بِالْفِقْهِ الْمُبِينِ شَرَعْنَا      وَفَرَايِضِ الْمِيرَاثِ وَالْقُرْآنِ  
أَمْرٌ أَحَادِيثَ الصِّفَاتِ كَمَا أَتَتْ      مَنْ غَيْرَ تَحْرِيفٍ وَلَا هَذْيَانِ  
هُوَ مَذْهَبُ الزُّهْرِيِّ وَوَأْفَقَ مَالِكٌ      وَكَلَاهُمَا فِي شَرَعِنَا عِلْمَانِ  
وَاللَّهُ يَنْزِلُ كُلَّ آخِرٍ لَيْلَةٍ      بِسَمَائِهِ الدُّنْيَا بِأَلَا كَيْمَانِ  
فَيَقُولُ هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُجِيبُهُ      فَأَنَا الْقَرِيبُ أُجِيبُ مَنْ نَادَانِي  
وَالأَصْلُ أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ      شَيْءٌ تَعَالَى الرَّبُّ ذُو الإِحْسَانِ  
صَلَّى إِلَهُهُ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ      مَا نَاحَ قَمْرِيَّ عَلَى الأَغْصَانِ  
وَعَلَى جَمِيعِ بَنَاتِهِ وَنَسَائِهِ      وَعَلَى جَمِيعِ الصَّحْبِ وَالإِخْوَانِ

(موعظة)

عِبَادَ اللَّهِ : أَيْنَ الَّذِينَ سَادُوا وَشَادُوا أوطاننا ، وحكموا وأحكموا بنياناً ، وجمعوا فحشدوا أموالاً  
وأعواناً عوضوا بأرباح الهوى خسراً ، وبدلوا بإعزاز الكبر والتعجب هواناً وأخرجوا من ديارهم  
بعد الجموع وحداناً ، وما استصبحوا بممّا جمعوا إلا أكفاناً .

نصيبك ممّا تجمع الدهر كله      رداً أن تطوى فيه ما وحنوط  
آخر:      فما تزود ممّا كان يجمعه  
وغير نفحة أعوادٍ تشبُّ له      وقال ذلك من زادٍ لمنطلق

يحملون على الأعناق ولا يسمون ركباناً ، وينزلون بطون الأحاد ولا يسمون ضيفاناً ، متقاربين  
في القبور ولا يسمون جيراناً .



أوليسَ قَدْ رأينا كيف ينقلون ولا كفاناً ، فيا من قَدْ بقي من عمره القليل ولا يدري متى يقع الرحيل ، كأنك بطرفك حين الموت يسيل والروح تنزع والكرب ثقيل ، والنقلة قَدْ قربت وأين المقييل ، أفي الجنة ونعيمها والسلسيل أم في الجحيم وأنكالها وأغلالها وبئس المقييل .  
يا من تعد أنفاسه استدركها ، يا من ستفوته أيامه أدركها ، إن أعز الخلق عَلَيْكَ نفسك فلا تهلكها كم أغلقت باباً عَلَى قبيح ، وكم أعرضت عن قول المخلص النصيح ، أعظم الله أجرك في عمر قَدْ مضى ما رزقت فيه العفو ولا الرضي .

انقضت فيه اللذات كمن قضي ، وصارت الحسرات من الشهوات عوضاً ، قال الله جَلَّ وَعَلَا وتقدس ﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِن كُنْتُ لَمِنَ السَّآخِرِينَ ﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلِيَ اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ .

### " موعظة "

عِبَادَ اللَّهِ : ما هذه العَفَلَة وأنتم مستبصرون وما هذه الرقدة وأنتم مستيقظون كيف نسيتم الزاد وأنتم راحلون ، أين من كَانَ قبلكم إلا تتفكرون أما رأيتك كيف نازلهم المنون ﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴾ .

عِبَادَ اللَّهِ : لَوْ حضرت القلوب لجرت من العيون عيون فكأنكم بالآلام قَدْ اعترضت ، وبالأجسام قَدْ انقضت ، وبالأوصال قَدْ فصلت ، فرحم الله عبداً أعتق نفسه من رق شهواتها ونظر لها قبل مما تھا وأخذ من جدته عتاداً لفقره وادخر من صحته زاداً لقبره قبل أن يفوت زمن الاستدراك بوقوع الهلاك .

فكأنكم بالموت قَدْ حل العراض ، وأنشب محاليه في الأرواح للاقتناص ، وأين لكم الفلات فلات حين مناص ثم يقومون للحساب والجزاء والقصاص .

وإذا الخلائق قَدْ حشرت ، وإذا الصحف نشرت ، وإذا جهنم

قَدْ سِيقَتْ وَمَرَارَةَ النَّدَمِ قَدْ ذِيقَتْ ، فَسْتَنْطِقُ عَلَيْكُمْ الْجَوَارِحُ وَتَنْشُرُ حِينَ الْقَضَاءِ الْفَضَائِحُ .  
فِيَا خَجَلِ الْمُقْصِرِينَ وَيَا أَسْفَ الْمَذْنِبِينَ وَيَا حَسْرَةَ الْمُفْرَطِينَ وَيَا سُوءَ مَنَقَلِبِ الظَّالِمِينَ ، قَالَ اللَّهُ  
جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ  
الْأَبْصَارُ \* مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُؤُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْنَدْتُهُمْ هَوَاءً \* .

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ .

**خَفِيَ اللَّهُ فِي ظَلَمِ الْوَرَى وَاحْدَرْتُهُ وَخَفَ يَوْمَ عَصَ الظَّالِمُونَ عَلَى الْيَدِ**

وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلِيَ اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

فصل : قال بعض السلف : ما سبقهم أبو بكر بكثرة صوم ولا صلاة ولكن بشيء وقر في صدره .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : الَّذِي كَانَ فِي صَدْرِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْحُبَّةُ لِلَّهِ وَالنَّصِيحَةُ لِعِبَادِهِ

وَقَالَ طَائِفَةٌ مِنَ الْعَارِفِينَ : مَا بَلَغَ مِنْ بَلْغٍ بِكَثْرَةِ صِيَامٍ وَلَا صَلَاةٍ وَلَكِنْ بِسَخَاوَةِ الْأَنْفُسِ  
وَسَلَامَةِ الصَّدْرِ وَالنَّصِيحَةِ لِلْأُمَّةِ ، زَادَ بَعْضُهُمْ : وَبَذَمِ نَفُوسِهِمْ .

وَقَالَ آخَرُ : إِنَّمَا تَفَاوَتُوا بِالْإِرَادَاتِ وَلَمْ يَتَفَاوَتُوا بِكَثْرَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَوَاتِ .

وَذَكَرَ لِأَبِي سَلِيمَانَ : طُولَ أَعْمَارِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَشِدَّةَ اجْتِهَادِهِمْ فِي الْأَعْمَالِ ، وَأَنَّ مِنَ النَّاسِ  
مَنْ غَبَطَهُمْ بِذَلِكَ ، فَقَالَ : إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ مِنْكُمْ صِدْقَ النِّيَّةِ فِيمَا عِنْدَهُ . أَوْ كَمَا قَالَ .

وَقَالَ ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لأصحابه : أنتم أكثر صوماً وصلاةً من أصحاب مُحَمَّدٍ ρ ، وهم كانوا خيراً منكم ، قَالُوا : وبما ذاك؟ قال : كانوا أزهّد منكم في الدُّنْيَا وأرغب في الآخرة . يشير إلى الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ فاقوا عَلِيَّ من بعدهم بشدة تعلق قُلُوبِهِمْ بِالْآخِرَةِ ورغبتهم فيها وإعراضهم عن الدُّنْيَا وتحقيرها وتصغيرها .

وهذه الحال ورثوها من نبيهم ρ ، فإنه كَانَ أَشَدَّ الخلق فراغاً بقلبه من الدُّنْيَا وتعلقه بالله والدار الآخرة مَعَ ملابسته للخلق بظاهره ، وقيامه بأعباء النبوة وسياسة الدين والدنيا .

وكَذَلِكَ خلفاؤه الراشدون بعده ، وَكَذَلِكَ أعيان التابعين لهم بإحسان كالحسن وعمر بن عبد العزيز وَقَدْ كَانَ فِي زَمَانِهِمْ من هُوَ أَكْثَرُ مِنْهُمْ صوماً ، اللَّهُمَّ ارزقنا حبك وحب من يحبك وحب العمل الذي يقربنا إلى حبك ، اللَّهُمَّ ثَبِّتْ إيماننا ثبوت الجبال الراسيات ووقفنا للعمل بالباقيات الصالحات واعصمنا يا مولانا عن المحرمات والمشتبهات واغفر لنا جميع الخطايا والزلات وافتح لدعائنا باب القبول والإجابات يا أجود الأجودين وأكرم الأكرمين وصلي الله على مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وصحبه أجمعين .

(فصل)

وَقَالَ ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ عَلَيَّ " قوله ρ في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ وَعَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فسددوا وقاربوا : المراد بالتسديد العمل بالسداد ، وَهُوَ القصد والتوسط في العبادة فلا يقصر فيما أمر به ، ولا يتحمل منها ما لا يطيقه " .

قال النضر بن سُئَيْلٍ : السداد القصد في الدين والسييل ، وكذا

المقاربة ، المراد التوسط بين التفريط والإفراط فهما كلمتان بمعنى واحد أو متقارب ، وهُو المراد بقوله في الرواية الأخرى : " عليكم هدياً قاصداً " .

قوله : وأبشروا يعني أن من مشي في طاعة الله على التسديد والمقاربة فليبشر ، فإنه يصل ويسبق الدائب المجتهد في الأعمال فإن طريقة الاقتصاد والمقاربة أفضل من غيرها .

فمن سلكها فليبشر بالوصول فإن الاقتصاد في سنة خير من الاجتهاد في غيرها . وخير الهدى هدي محمد  $\rho$  ، فمن سلك طريقه كان أقرب إلى الله من غيره .

وليسَت الفضائل بكثرة الأعمال البدنية ، لكن بكونها خالصة لله صواباً على متابعة السنة وبكثرة معارف القلوب وأعمالها .

فمن كان بالله أعلم وبدينه وأحكامه وشرائعه أعلم ، وله أخوف وأحب وأرجي فهو أفضل ممن ليس كذلك ، وإن كان أكثر منه عملاً بالجوارح .

وإلى هذا المعنى الإشارة في حديث عائشة رضي الله عنها بقول النبي  $\rho$  : " سدّدوا وقاربوا واعلموا أنه لن يدخل أحداً منكم عمله الجنة ، وإن أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل " .

فأمر بالاقتصاد في العمل وأن يضم إلى ذلك العمل بأحب الأعمال إلى الله ، وبأن العمل وحده لا يدخل الجنة .

وصلاةً ، ولكن لم يصل إلى ما وصلت إليه قلوب هؤلاء من ارتحاله عن الدنيا وتوطنها في الآخرة .

فأفضل النَّاس من سلك طَرِيق النَّبِيِّ ﷺ وخواص أصحابه في الاقتصاد في العبادة البدنية والاجتهاد في الأحوال القبلية فإن سفر الآخرة يقطع بسير القلوب لا بسير الأبدان .

جاء رجل إلي بعض العارفين فَقَالَ لَهُ : قطعت إليك مسافة ، فَقَالَ لَهُ : لَيْسَ هَذَا الأمر بقطع المسافات ، فارق نفسك بخطوة وَقَدْ حصل لك مقصودك . قال أبو يزيد : رَأَيْتَ رب العزة في المنام فَقُلْتُ لَهُ : يا رب كيف الطَّرِيق إليك؟ قال : اترك نفسك وتعال .

ما أعطيت أمة ما أعطيت هذه الأمة ببركة متابعة نبيها ﷺ ، حيث كَانَ أفضل الخلق ، وهديه أكمل الهدى مَعَ ما يسر الله عَلَى يديه من دينه ، ووضع به الآصار والأغلال عن أمته ، فمن أطاعه فَقَدْ أطاع الله وأحبه الله ، واهتدي بهدي الله .

فمن جملة ما حصل لأمته ببركته وتيسير شريعته أن من صلي مِنْهُمْ العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل ، ومن صلي الفجر في جماعة فكأنما قام الليل كله ، فيكتب لَهُ قيام ليلة وَهُوَ نائم عَلَى فراشه ، ولا سيما إن نام عَلَى طهر وذكر حتي تغلبه عيناه .

ومن صام مِنْهُمْ ثلاثة أيام من كُلِّ شهر فَقَدْ صام الشهر كله وَهُوَ صائم لبقية الشهر في ضيافة الله ، ومفطر لَهُ في رخصه والطاعم الشاكر لَهُ أجر الصائم الصابر . ومن نوي أن يقوم من الليل فغلبته عَيْنَاهُ فنام كتب لَهُ ما نوي ، وَكَانَ نومه عَلَيْهِ صدقة .

وَقَالَ أبو الدرداء : يا حبذا نوم الأكياس وإفطارهم كيف يسبقون سهر الحمقي وصيامهم .

ولهذا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الصحيح : " رب قائم حظه من قيامه السهر ، وصائم حظه من صيامه الجوع والعطش " رواه الطبراني وأحمدُ بْنُ حنبل .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : كم من مستغفر ممقوت وساکت مرحوم ، وهذا استغفر وَقَلْبُهُ فَاجِر ، وَهَذَا ساکت وَقَلْبُهُ ذاکر ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : لَيْسَ الشَّانُ فِيمَنْ يَقُومُ اللَّيْلَ ، إِنَّمَا الشَّانُ فِيمَنْ يَنَامُ عَلَيَّ فِرَاشَهُ ثُمَّ يَصْبِحُ وَقَدْ سَبَقَ الرِّكْبَ .

اللَّهُمَّ وَفَقْنَا مَا وَفَقْتَ إِلَيْهِ الْقَوْمَ وَأَيَقظْنَا مِنْ سَنَةِ الْعَقَلَةِ وَالنَّوْمِ وَارزُقْنَا الْاِسْتِعْدَادَ لِذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي يَرِيحُ فِيهِ الْمُتَقُونَ ، اللَّهُمَّ وَعَامِلْنَا بِإِحْسَانِكَ وَجَدَّ عَلَيْنَا بِفَضْلِكَ وَامْتَنَانِكَ وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الَّذِينَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ اللَّهُمَّ ارحم ذلنا بين يديك واجعل رغبتنا فيما لديك ، ولا تحرمنا بذنوبنا، ولا تطردنا بعيوبنا ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلِيَّ اللَّهِ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

### ( فَصْلٌ )

وَقَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ :

قوله ρ : " اغدوا وروحوا وشيء من الدلجة " . كقوله في الرواية الأخرى : " استعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة " . يعني أن هذه الأوقات الثلاثة تكون أوقات السير إلى الله بالطاعات ، وهي آخر الليل وأول النهار وآخره .

وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ هَذِهِ الْأَوْقَاتَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً \* وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴾ . وَقَالَ : ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى ﴾ ، وَقَالَ : ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴾ ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ﴾ .

وذكر الله تعالى الذكر في طريقي النَّهَارِ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ مِنْ كِتَابِهِ كَقَوْلِهِ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا \* وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ وَقَالَ : ﴿ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴾ . وَقَالَ : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ وَقَالَ : ﴿ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ .

فهذه الأوقات الثلاثة منها وقتان وهما أول النَّهَارِ وآخره يجتمع في كُلِّ مِنْ هَذَيْنِ الْوَقْتَيْنِ عَمَلٌ وَاجِبٌ هُوَ تَطَوُّعٌ فَأَمَّا الْعَمَلُ الْوَاجِبُ فَهُوَ صَلَاةُ الصُّبْحِ وَصَلَاةُ الْعَصْرِ وَهُمَا مِنْ أَفْضَلِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ ، وَهُمَا الْبِرْدَانُ اللَّذَانِ مِنْ حَافِظِ عَلَيَّهِمَا دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَقَدْ قِيلَ فِي كُلِّ مِنْهُمَا أَنَّهَا الصَّلَاةُ الْوَسْطَى .

وَأَمَّا الْعَمَلُ التَّطَوُّعُ فَهُوَ ذِكْرُ اللَّهِ بَعْدَ صَلَاةِ الصُّبْحِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ ، وَبَعْدَ الْعَصْرِ حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ . وَقَدْ وَرَدَتْ النُّصُوصُ الْكَثِيرَةُ فِي أَذْكَارِ الصُّبْحِ وَالْمَسَاءِ وَفِي فَضْلِ مَنْ ذَكَرَ اللَّهَ حَيْثُ يَصْبِحُ وَحَيْثُ يَمْسِي .

وَقَدْ رَوَى مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَمْرِو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مَرْفُوعًا : " ابْنُ آدَمَ اذْكُرْنِي سَاعَةَ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ وَسَاعَةَ مِنْ آخِرِهِ أَغْفِرَ لَكَ مَا بَيْنَ ذَلِكَ إِلَّا الْكِبَائِرَ أَوْ تَتُوبَ مِنْهَا " . وَكَانَ السَّلْفُ لِآخِرِ النَّهَارِ أَشَدَّ تَعْظِيمًا مِنْ أَوَّلِهِ .

قَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ : بَلَّغْنَا أَنَّهُ مِنْ خَتَمِ نَهَارِهِ بِذِكْرِ اللَّهِ كَتَبَ نَهَارَهُ كُلَّهُ ذِكْرًا . وَقَالَ أَبُو الْجَلَدِ : بَلَّغْنَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَنْزِلُ مَسَاءً كُلَّ يَوْمٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا يَنْظُرُ إِلَى أَعْمَالِ بَنِي آدَمَ .

عَلَيْكَ يَا ذَا الْجَلَالِ مُعْتَمِدِي      طُوبَى لِمَنْ كُنْتَ أَنْتَ مَوْلَاهُ  
طُوبَى لِمَنْ بَاتَ خَائِفًا وَجَلًّا      يَشْكُوا إِلَى ذِي الْجَلَالِ بَلَوَاهُ  
وَمَا بِهِ عِلَّةٌ وَلَا سَقَمٌ      أَكْثَرَ مِنْ حُبِّهِ لِمَوْلَاهُ

ورأي بعض السلف أبا جعفر القاري في المنام فقال له : قل لأبي حازم - يعني الأعرج الزاهد الكيس : إن الله وملائكته يتراءون مجلسك بالعشيات . والظاهر أن أبا حازم كان يقص على الناس آخر النهار .

وقد جاء في الحديث أن الذكر بعد الصبح أفضل من أربع رقاب وبعد العصر أحب من ثمان . وأيضاً فيوم الجمعة آخره أفضل من أوله لما يرجي في آخره من ساعة الإجابة . ويوم عرفة آخره أفضل من أوله لأنه وقت الوقوف . وكذلك آخر الليل أفضل من أوله ، وكذا قال السلف ، واستدلوا بحديث النزول الإلهي . وهذا كله مما يرجح به قول من قال أن صلاة العصر هي الوسطي .

وأما الوقت الثالث فهو الدجة . والإدلاج سير آخر الليل ، والمراد هنا العمل في آخر الليل وهو وقت الاستغفار كما قال تعالى : ﴿ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴾ وَقَالَ : ﴿ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ .

وهو آخر أوقات النزول الإلهي المتضمن لاستعراض حوائج السائلين ، واستغفار المذنبين ، وتوبة التائبين ، وسط الليل للمحبين للخلوة بحبيبهم ، وآخر الليل للمذنبين يستغفرون من ذنوبهم ، من عجز عن مشاركة المحبين في الجري معهم في ذلك المضمار فلا أقل من مشاركة المذنبين في الاعتذار .

ورد في بعض الآثار : أن العرش يهتز من السحر . قال طاووس ما كنت أظن أن أحداً ينام في السحر .



وفي الحديث الذي خرجه الترمذي : " من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل . سير الدلجة آخر الليل يقطع به سفر الدنيا والآخرة " .

ولهذا الحديث الذي أخرجه مسلم : " إذا سافرتم فعليكم بالدلجة فإن الأرض تطوي بالليل وقد دخل الأشر على علي رضي الله عنه وهو يصلي فأنشد :

اصْبِرْ عَلَى مَضَضِ الإِدْلَاجِ بِالسَّحْرِ      فِي الرِّوَاكِ عَلَى الطَّاعَاتِ وَالبُكْرِ  
لَا تَصْجِرَنَّ وَلَا يُعْجِرَنَّكَ مَطْلِبُهَا      فَالْهَمُّ يَتَلَفُ بَيْنَ اليَأْسِ وَالصَّجْرِ  
إِنِّي رَأَيْتُ فِي الأَيَّامِ تَجْرِبَةً      لِلصَّبْرِ عَاقِبَةً مَحْمُودَةً الأَثَرِ  
وَقَالَ مَنْ جَدَّ فِي أَمْرِ تَطَلُّبِهِ      وَاسْتَصْحَبَ الصَّبْرَ إِلا فَازَ بِالظَّفْرِ

اللَّهُمَّ أَلْحَقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ الأَبْرَارِ ، وَأَتَنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً ، وَقَنَا عَذَابَ النَّارِ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا ، وَلِجَمِيعِ المُسْلِمِينَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِينَ ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلِي اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

( فَصْلٌ )

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ :

وقوله ρ : " والقصد القصد تبلغوا " . حث على الاقتصاد في العبادة ، والتوسط فيها بين الغلو والتقصير " ، ولذلك كرره مرة بعد مرة . وفي مسند البزار من حديث حذيفة رضي الله عنه : ما أحسن القصد في الفقر ، وما أحسن القصد في الغني ، وما أحسن القصد في العبادة .

وَكَانَ مَطْرَفُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ الشَّخِيرِ قَدْ اجْتَهَدَ فِي العِبَادَةِ فَقَالَ لَهُ

أبوه : خَيْرَ الأمور أوسطها ، الحسنه بين السيئتين ، وشر السير القحقحة أن يلح في شدة السير حتى تُقوم عَلَيْهِ راحلته وتعطب فيبقي منقطع به سفره ، انتهى .  
ويشهد لهذا الحديث المروي عن عَبْدِ اللَّهِ بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مرفوعاً : "إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ فَأَوْغِلْ فِيهِ بِرَفْقٍ وَلَا تَبْغُضْ إِلَى نَفْسِكَ عِبَادَةَ اللَّهِ ، فَإِنَّ الْمُنْبِتَ لَا سَفْرًا قَطَعَ وَلَا ظَهْرًا أَبْقَى فاعْمَلْ عَمَلِ امْرِئٍ يَظُنُّ أَنَّهُ لَنْ يَمُوتَ إِلَّا هَرْمًا وَاحْدَرٌ حَذَرَ امْرِئٍ يَخْشَى أَنْ يَمُوتَ غَدًا" أخرجهم حميد بن زنجويه وغيره .

وفي تكرير أمره بالقصد إشارة إلى المداومة عَلَيْهِ فإن شدة السير والاجتهاد مظنة السامة والانقطاع ، والقصد أقرب إلى الدوام ، ولهذا جعل عاقبة القصد البلوغ . قال أدلج : بلغ المنزل .

فالمؤمن في الدنيا يسير إلى ربه حتى يبلغ إليه كما قال تعالى : (يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه) وَقَالَ تَعَالَى : (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) ، قال الحسن : يا قوم : المداومة فإن الله لم يجعل لعمل المؤمن أجلاً دون الموت ثُمَّ تلي هذه الآية .  
وَقَالَ أَيْضاً : نفوسكم مطاياكم فأصلحوا مطاياكم تبلغكم إلى ربكم عز وجل . وإصلاح المطايا ، الرفق بِهَا وتعاهدها بما يصلحها من قوتها والرفق بِهَا فِي سيرها ، فإذا أحس بِهَا بتوقف في السير تعاهدها تارة بالتشويق وتارة بالتخويف حتى تسير .  
قال بعض السلف : الرجاء قائد والخوف سائق ، والنفوس بينهما ، كالدابة الحرون ، فمتي فتر قائدها وقصر سائقها وقفت فتحتاج إلى الرفق بِهَا والحدو لها حتى يطيب لها السير .

قال خليلد العصري : إن كُلب حبيب يجب أن يلقي حبيبه فأحبوا ربكم وسيروا إليه مسيراً جميلاً لا مصعداً ولا ممياً ، فغاية السير يوصل المؤمن إلى ربه ، ومن لا يعرف الطريق إلى ربه لم يسلك إليه فيه ، فهو والبهيمة سواء .

قال ذو النون : السفلة من لا يعرف الطريق إلى الله ولا يتعرفه . والطريق إلى الله هو سلوك صراطه المستقيم الذي بعث الله به رسوله وأنزل به كتابه وأمر الخلق كلهم بسلوكه والسير فيه . قال ابن مسعود رضي الله عنه : الصراط المستقيم ، تركنا محمد  $\rho$  في أدناه وطرفه في الجنة ، وعن يمينه جواد وثم رجال يدعون من مر بهم ، فمن أخذ في تلك الجواد انتهت به إلى النار ، ومن أخذ على الصراط انتهى به إلى الجنة . ثم قرأ : (وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) أخرجه ابن جرير وغيره .

فالتريق الموصل إلى الله واحد ، وهو صراطه المستقيم ، وبقية السبل كلها سبل الشيطان ، من سلكها قطعت به عن الله ، وأوصلته دار سخطه وغضبه وعقابه ، فربما سلك الإنسان في أول أمره على الصراط المستقيم ثم ينحرف عنه آخر عمره فيسلك بعض سبل الشيطان فيقطع عن الله فيهلك .

"إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع أو باع فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار" ورتباً سلك بالرجل أولاً بعض سبل الشيطان ثم تدركه السعادة فيسلك الصراط المستقيم في آخر عمره فيصل به إلى الله .

والشأن كُلَّ الشأنِ فِي الاستقامة عَلَى الصراطِ المستقيمِ من أولِ السيرِ إِلَى اللهِ (ذَلِكَ فضلُ اللهِ يُؤْتِيهِ من يشاء) (واللهِ يدعو إِلَى دارِ السَّلامِ ويهدي من يشاء إِلَى صراطِ مستقيمٍ) . ما أَكثَرَ من يرجعُ أَثناءَ الطَّرِيقِ وينقطعُ ، فَإِنَّ القُلُوبَ بينَ أَصبعينِ من أَصابعِ الرحمنِ (يَثَبَّتْ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بالقولِ الثابتِ) .

### خَلِيلِي فَطَاعِ الطَّرِيقِ إِلَى الحِمَا كَثِيرٌ وَأَمَّا الوَاصِلُونَ فَلَيْلٌ

وَفِي الحَدِيثِ الصحيحِ الإلهي (القدسي) يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : (من تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً ، ومن تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً ومن أتاني يمشي أتيته هرولة" .  
وَفِي المسندِ زيادةً : "واللهِ أعلا وأجلُ واللهِ أعلا وأجلُ" ، وفيهِ أيضاً : يَقُولُ اللهُ : (ابن آدم قم إِلَى وامش إِلَى أهولِ إِلَيْكَ) .

اللَّهُمَّ أَعِزَّنَا بِمَعافاتِكَ من عَقوبَتِكَ وبرضاكِ من سَخَطِكَ واحفظِ جوارحنا من مخالفةِ أَمْرِكَ وَأَعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ المُسْلِمِينَ الأحياءِ مِنْهُمْ جوارحنا من مخالفةِ أَمْرِكَ وَأَعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ المُسْلِمِينَ الأحياءِ مِنْهُمْ والميتينِ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وصلي اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلهِ وصحبه .

### ( فَصْلٌ )

الوصولُ إِلَى اللهُ نوعانُ : أحدهما فِي الدُّنْيَا ، والثاني فِي الآخرةِ . فأما الوصولُ الدنيوي فالمرادُ به : أن القُلُوبَ تصلُ إِلَى معرفته ، فَإِذَا عَرَفْتَهُ أَحْبَبْتَهُ ، وَأُنْسَتْ بِهِ فوجدته منها قريباً ، ولدعائها مجيباً ، كما فِي بعضِ الآثارِ : " ابن آدم اطلبني تجدني فَإِنْ وجدتهني وجدتُ كُلَّ شَيْءٍ ، وَإِنْ فتك فاتك كُلَّ شَيْءٍ " .

الصراط المستقيم في الدنيا يشتمل على ثلاث درجات : درجة الإسلام ، ودرجة الإيمان ، ودرجة الإحسان . فمن سلك درجة الإسلام إلى أن يموت عليها منعته من الخلود في النار ، ولم يكن له بد من دخول الجنة ، وإن أصابه قبل ذلك ما أصابه .

ومن سلك على درجة الإيمان إلى أن يموت عليها منعته من دخول النار بالكلية فإن الإيمان يطفئ لهب نار جهنم حتى تقول : يا مؤمن جز فقد أطفأ نورك لهبي .

وفي المسند عن جابر رضي الله عنه مرفوعاً : " لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها فتكون على المؤمن برداً وسلاماً كما كانت على إبراهيم ، حتى إن للنار ضحيجاً من بردهم ، هذا ميراث ورثه المحبونه من حال أبيهم إبراهيم عليه السلام " .

ومن سلك على درجة الإحسان إلى أن يموت عليها وصل بعد الموت إلى الله : ﴿ الَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ . وفي الحديث الصحيح : " إذا دخل أهل الجنة الجنة نادي مناد يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه .

فيقولون : ما هو؟ ألم يبيض وجوهنا؟ ألم يثقل موازيننا؟ فوالله ما أعطاهم الله شيئاً أحب إليهم ، ولا أقر لأعينهم من النظر إليه ، وهو الزيادة ، ثم تلا : ﴿ الَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ .

كل أهل الجنة يشتركون في الرواية ولكن يتفاوتون في القرب في حال الرؤية . عموم أهل الجنة يرون ربهم يوم المزيد وهو يوم الجمعة ، وخواصهم ينظرون إلى وجه الله في كل يوم مرتين بكرة وعشياً . العارفون لا يسليهم عن محبوبهم قصر ولا يرويههم دونه نهر .

وَيُرُونَهُ سُبْحَانَهُ مِنْ فَوْقِهِمْ      نَظَرَ الْعِيَانِ كَمَا يُرَى الْقَمَرَانِ  
هَذَا تَوَاتَرَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ لَمْ      يُنْكِرُهُ إِلَّا فَاْسِدُ الْإِيمَانِ  
وَأَتَى بِهِ الْقُرْآنُ تَصْرِيحًا وَتَعَفًى      رِيضًا هَمَّا بِسِيَاقِهِ نَوْعَانِ  
وَهِيَ الرِّبَادَةُ قَدْ أَتَتْ فِي يُونُسَ      تَفْسِيرٍ مَنْ قَدْ جَاءَ بِالْقُرْآنِ  
وَهِيَ الْمَزِيدُ كَذَاكَ فَسَرَهُ أَبُو      بَكَرٍ هُوَ الصِّدِّيقُ ذُو الْإِيمَانِ  
وَعَلَيْهِ أَصْحَابُ الرَّسُولِ تَتَابَعُوا      هُمْ بَعْدَهُمْ تَبَعِيَّةُ الْإِحْسَانِ

اللَّهُمَّ امْنُنْ عَلَيْنَا بِاصْلَاحِ عِيُونِنَا وَاجْعَلِ التَّقْوِيَّ زَادِنَا وَفِي دِينِكَ اجْتِهَادِنَا وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا  
وَاعْتِمَادِنَا وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ  
وصلي الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

#### ( فَصْلٌ )

وفي المسند عن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا مرفوعاً : " إن أدني أهل الجنة منزلة لينظر في ملكه  
ألفي سنة يري أقصاه كما يري أدناه ، ينظر إلى أزواجه وخدمه ، وإن أفضلهم منزلة لمن ينظر  
إلى وجه الله تبارك وتعالى كل يوم مرتين " وأخرجه الترمذي ، ولفظه " إن أدني أهل الجنة منزلة  
لمن ينظر إلى أزواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة ألف سنة " .

وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشيا ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ  
\* إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ ولهذا المعني قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ حَدِيثِ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ  
اللَّهِ الْبَجَلِيِّ : " إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته  
" . قال : " فإن استطعتم إلا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل

غروبها فافعلوا " . ثُمَّ قَرَأَ ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴾ .  
ولما كَانَ هذان الوقتان فِي الْجَنَّةِ وقتان للرؤية فِي خواص أهل الْجَنَّةِ ، خص ρ عَلَى المحافظة عَلَى الصَّلَاةِ فِي هذين الوقتين فِي الدُّنْيَا فمن حافظ عَلَى هاتين الصلاتين فِي الدُّنْيَا فِي هذين الوقتين وصلاهما عَلَى أكمل وجوههما وحشوعهما وحضورهما وأدبهما فإنه يرحي لَهُ أن يكون ممن يري الله فِي هذين الوقتين فِي الْجَنَّةِ ، لا سيما إن حافظ بعدهما عَلَى الذكر وأنواع العبادات حتي تطلع الشمس أو تغرب .

فإن وصل الْعَبْدُ ذَلِكَ بدلجة آخر الليل فَقَدْ اجتمعَ لَهُ السير فِي الأوقات الثلاثة وهي : الدلجة ، والغدوة ، والروحة ، فيوشك أن يعقبه الصدق فِي هَذَا السير الوصول الأعظم إلي ما يطلبه فِي مقعد صدق عِنْدَ ملكٍ مقتدر .

من لزم الصدق فِي طلبه أداه الصدق إلي مقعد الصدق . ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ .

المحب لا يقطع السؤال عمن يحب ويتحسس الأخبار وينسم الرياح ويستدل بآثار السلوك عَلَى الطريقِ إلي محبوبه .

لَقَدْ كبرت همة الله مطلوبها وشرفت نفس الله محبوبها ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ .

مَا لِلْمُحِبِّ سِوَى إِرَادَةِ حُبِّهِ إِنَّ الْمُحِبَّ بِكُلِّ بَرٍّ يُضْرَعُ

قيمة كُلِّ امرئٍ ما يطلب ، فمن كَانَ يطلب الله فلا قيمة لَهُ من طلب الله فهو أجل من أن يقوم . ومن طلب غيره فهو أخس من أن يكون لَهُ قيمة .

قال الشبلي : من ركن إلى الدنيا أحرقتة بنارها فصار رماداً تذرؤه الرياح ، ومن ركن إلى الآخرة أحرقتة بنورها فصار سبيكة ذهب ينتفع به ، ومن ركن إلى الله أحرقتة نور التوحيد فصار جوهراً لا قيمة له .

اللَّهُمَّ هب لنا ما وهبته لأوليائك وتوفنا وأنت راض عنا وقد قبلت اليسير منا واجعلنا يا مولانا من عبادك الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين .  
وصللي الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

### ( فصل )

في قوله تعالى : ﴿ وَبَدَأَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴾ هذه الآية كانت تشتد على الخائفين من العارفين ، فإنها تقتضي أن من العباد من يبدو له عند لقاء الله ما لم يكن يحتسب له ، ولهذا قال عمر رضي الله عنه : لو أن لي ملك الأرض لافتديت به من هول المطلع .  
وفي الحديث : " لا تمنوا الموت فإن هول المطلع شديد ، وإن من سعادة المرء أن يطول عمره ويرزقه الله الإنابة " .

وقال بعض حكماء السلف : كم موقف حزني يوم القيامة لم يخطر على بالك قط . ونظير هذا قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ واشتمل على ما هو أعم من ذلك وهو أن يكون له أعمال يرجو بها الخير فتصير هباءً منثوراً وتبدل سيئات . وقد قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَاهُمْ



كَسْرَابٍ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٦٠﴾ .

وَقَالَ : ﴿٦١﴾ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُوراً ﴿٦٢﴾ .

وَقَالَ الْفَضِيلُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ : ﴿٦٣﴾ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٦٤﴾ قَالَ : عَمِلُوا أَعْمَالاً وَحَسَبُوا أَنَّهَا حَسَنَاتٌ فِإِذَا هِيَ سَيِّئَاتٌ . وَقَرِيبٌ مِنْ هَذَا أَنْ يَعْمَلَ الْإِنْسَانُ ذَنْباً يَحْتَقِرُهُ وَيَسْتَهْوَنُ بِهِ فَيَكُونُ هُوَ سَبَبَ هَلَاكِهِ . كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿٦٥﴾ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿٦٦﴾ .

وَقَالَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ : إِنَّكُمْ تَعْمَلُونَ أَعْمَالاً هِيَ فِي أَعْيُنِكُمْ أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرِ ، كُنَّا نَعْهَدُهَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْمَوْبِقَاتِ ، وَأَصْعَبُ مِنْ هَذَا زَيْنٌ لَهُ سَوْءُ عَمَلِهِ فَرَأَاهُ حَسَنًا . قَالَ تَعَالَى : ﴿٦٧﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا \* الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿٦٨﴾ .

قَالَ ابْنُ عِيْنَةَ : لَمَّا حَضَرَتْ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُنْكَدِرِ الْوَفَاةَ جَزَعُ فِدْعَاؤُهُ أَبَا حَازِمٍ فَجَاءَهُ فَقَالَ لَهُ ابْنُ الْمُنْكَدِرِ : إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ : ﴿٦٩﴾ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٧٠﴾ فَأَخَافُ أَنْ يَبْدُو لِي مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ أَكُنْ أَحْتَسِبُ . فَجَعَلَا يَبْكِيَانِ جَمِيعًا . أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ . وَزَادَ ابْنُ الدُّنْيَا . فَقَالَ لَهُ أَهْلُهُ : دَعُونَاكَ لِتُخَفَّفَ عَلَيْهِ فِرْدَتُهُ فَأَخْبَرَهُمْ بِمَا قَالَ .

وَقَالَ الْفَضِيلُ بْنُ عِيَاضٍ : أَخْبَرْتُ عَنْ سَلِيمَانَ التَّمِيمِيِّ أَنَّهُ قِيلَ لَهُ : أَنْتَ أَنْتَ وَمَنْ مِثْلَكَ؟ فَقَالَ مَهْ لَا تَقُولُوا هَذَا لَا أُدْرِي مَا يَبْدُو لِي مِنَ اللَّهِ . سَمِعْتُ اللَّهَ يَقُولُ : ﴿٧١﴾ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٧٢﴾ .

وَكَانَ سَفِيَانَ الثَّوْرِيِّ يَقُولُ عِنْدَ هَذِهِ الْآيَةِ : وَيَلِ لِأَهْلِ الرِّيَاءِ مِنْ

هذه الآية ، وهذا كما في حديث الثلاثة الَّذِينَ هم أول من تسعر بهم النار ، العالم والمتصدق والمجاهد . وكذلك من عمل أعمالاً صالحة وكانت عليه مظالم فهو يظن أن أعماله تنجيه فيبدو له ما لم يكن يحتسب ، فيقتسم الغرماء أعماله كلها ثم يفضل لهم فضل فيطرح من سيئاتهم عليه ثم يطرح في النار .

وقد يناقش الحساب فيطلب منه شكر النعم فتقوم أصغر النعم فتستوعب أعماله كلها وتبقي بقية فيطالب بشكرها فيعذب .

ولهذا قال عليه الصلاة والسلام : " من نوقش الحساب عذب أو هلك " . وقد يكون له سيئات تحبط بعض أعماله أو أعمال جوارحه سوي التوحيد فيدخل النار .

وفي سنن ابن ماجه من رواية ثوبان مرفوعاً : " إن من أمتي من يجيء بأعمال أمثال الجبال فيجعلها الله هباءً منثوراً " . وفيه : " وهم قوم من جلدتكم ويتكلمون بألسنتكم ويأخذون من الليل كما تأخذون من الليل ولكنهم قوم إذا خلوا بحرام الله انتهكوها " .

وأخرج يعقوب بن أبي شيبة وابن أبي الدنيا في حديث سالم مولي أبي حذيفة مرفوعاً : " ليحجاء يوم القيامة بأقوام معهم من الحسنات مثل جبال تامة ، حتى إذا جرى بهم جعل الله أعمالهم هباءً ثم أكبهم في النار " .

قال سالم : خشيت أن أكون منهم . فقال أما أنهم كانوا يصومون ويصلون ويأخذون هنيهة من الليل ، لعلهم كانوا إذا عرض لهم شيء سراً حراماً أخذوه فأدحض الله أعمالهم . وقد يحبط العمل بأفة من رياء خفي أو عجب به ونحو ذلك ولا يشعر به صاحبه .

قال ضيغم العابد : إن لم تأت الآخرة بالسرور لقد اجتمع عليه

الأمران هم الدُّنيا وشقاء الآخرة . فقيل له : كيف لا تأتيه الآخرة بالسرور وهو يتعب في دار الدُّنيا ويدأب؟ قال : كيف القبول ، كيف بالسلامة .

ثم قال : كم من رجل يري أنه قد أصلح عمله يجمع ذلك كله يوم القيامة ثم يضرب به وجهه ، ومن هنا كان عامر بن عبد قيس وغيره يقلقون من هذه الآية : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ .

وقال ابن عون : لا تثق بكثرة العمل ، فإنك لا تدري يقبل منك أم لا ، ولا تأمن ذنوبك فإنك لا تدري هل كفرت عنك أم لا؟ لأن عملك عنك مغيب كله لا تدري ما الذي صانع به . وبكي النخعي عند الموت وقال : أنتظر رسول ربي ما أدري أيشربني بالجنة أو النار؟ وجزع غيره عند الموت ، قيل له تجزع؟ قال : إنما هي ساعة ولا أدري أين يسلك بي؟ وجزع بعض الصحابة عند موته ، فسئل عن حاله فقال : إن الله قبض خلقه قبضتين ، قبضة للجنة وقبضة للنار ولست أدري في أي القبضتين أنا؟

ومن تأمل هذا حق التأمل أوجب له القلق فإن ابن آدم متعرض لأهوال عظيمة من ذلك ، الوقوف بين يدي الله عز وجل ودخول النار ويخشي على نفسه الخلود فيها بأن يسلب إيمانه عند الموت ، ولم يأمن المؤمن شيئاً من هذه الأمور ﴿ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ . فتحقق هذا ، يمنع ابن آدم القرار .

إِذَا افْتَكَّرَ اللَّيْبُ رَأَى أُمُورًا تَرُدُّ الضَّاحِكَاتِ إِلَى الْوُجُومِ

رأي بعضهم قائلاً يقول له :

وَكَيْفَ تَنَامُ الْعَيْنُ وَهِيَ قَرِيرَةٌ      وَلَمْ تَدْرِ فِي أَيِّ الْمَحَلِّينِ تَنْزَلُ؟

وسئل بعض الموتى وكان مجتهداً عن حاله؟ فأُشِدَّ يَقُولُ :

وَلَيْسَ يَعْلَمُ مَا فِي الْقَبْرِ دَاخِلَهُ      إِلَّا إِلَهُ وَسَاكِنِ الْأَجْدَاثِ

وَقَالَ غَيْرُهُ :

أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ عَلِمَ الْأَنَامُ      لِمَا خُلِقُوا لِمَا غَفَلُوا وَنَامُوا

لَقَدْ خُلِقُوا لِمَا لَوْ أَبْصَرْتَهُ      عَيُونُ قُلُوبِهِمْ تَأْهَوُا وَهَامُوا

مَمَاتُ ثُمَّ قَبْرٌ ثُمَّ حَشْرٌ      وَتَوْبِيخٌ وَأَهْوَالٌ عِظَامُ

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ إِيمَانَنَا بِكَ وَمَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا ثَبُوتَ الْجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ وَاعْصِمْنَا يَا مَوْلَانَا مِنْ جَمِيعِ الْمَوْبِقَاتِ وَوَفِّقْنَا لِلْعَمَلِ بِالْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ وَارْفَعْ مَنَازِلَنَا فِي فِسِيحِ الْجَنَاتِ وَارْزُقْنَا النَّظَرَ إِلَى وَجْهِكَ الْكَرِيمِ يَا حَكِيمَ يَا عَلِيمَ يَا حَيَّ يَا قَيُّومَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ . . .

### ( فَصْلٌ فِي الرِّيَاءِ )

اعلم عصمنا الله وإياك وجميع المسلمين أن القلوب تمرض كما تمرض الأبدان بل مرضها أشد ومن أمراضها الرياء وهو من أخطر أمراض القلوب ومن الأوباء الأخلاقية الضارة التي تحتاج إلى علاج دائم ويقظة مستمرة وهو مأخوذ من الرؤيا لأن المرئي يرى الناس فعله للخير ليشنوا عليه ويمجدوه ويأمونوه فيستولي بذلك على قلوبهم فيكون له سلطان عليهم يصل به

إِلَى لَدَّتِهِ وَيَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى تَحْصِيلِ شَهَوَاتِهِ وَهَذَا الرِّبَاءُ إِنَّمَا يَكُونُ مِنْ رَجُلٍ قَصَرَ نَظْرَهُ وَرَقَّ دِينُهُ فَإِنْ هَذَا هُوَ الَّذِي يَتَصَوَّرُ أَنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْهُ يُصَلِّي كَثِيرًا أَوْ رَأَوْهُ يُطِيلُ الصَّلَاةَ أَوْ يَصُومُ النَّوَافِلَ أَوْ يَحُجُّ أَوْ يَتَصَدَّقُ أَوْ يَفْعَلُ أَيَّ فَعْلٍ مِنْ أَفْعَالِ الْحَيْرِ يَحْسِنُونَ بِهِ الظَّنَّ وَيُعَامِلُونَهُ مُعَامَلَةً خَاصَّةً تَتَرَكُّهُ فِي دُنْيَاهُ فِي سُرُورٍ .

شِعْرًا: كُنْ بِخُمُولِ النُّفُوسِ قَانِعٍ لَا تَطْلُبِ الذِّكْرَ فِي الْمَجَامِعِ

فَلَنْ يَزَالَ الْفَتَى بِخَيْرٍ مَا لَمْ تُشِرْ نَحْوَهُ الْأَصَابِعِ

وَأَمَّا الْعَاقِلُ بَعِيدُ النَّظَرِ صَادِقُ الْإِيمَانِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ عِلْمًا يَقِينًا لَا يَشُوبُهُ الظَّنُّ أَنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ دُنْيَا وَأُخْرَى لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ الْعَالَمَ كُلَّهُ أَعْجَزُ مِنْ أَنْ يَدْفَعَ أَجْلًا أَوْ يُكَثِّرَ رِزْقًا أَوْ يُجِيرَ مِنْ نَائِبَةٍ تَنْزِلُ عَلَى الْإِنْسَانِ كَمَا فِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلُهُ ρ : « وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ » . فَإِذَا كَانَ الْخَلْقُ بِهَذَا الضَّعْفِ فَلَا يَلْتَفِتُ لِمُرَاتِهِمْ إِلَّا مَنْ كَانَ سَخِيفَ الْعَقْلِ وَضَعِيفَ الدِّينِ عَلَى أَنْ رِبَاءَ الْمُرَائِي لَا يَخْفِي حَتَّى عَلَى الْخَلْقِ غَالِبًا فَإِنَّ حَرَكَاتِهِ لَا تَشْتَبِهُ بِأَعْمَالِ الْمُخْلِصِينَ الَّذِينَ قَدْ اسْتَوَتْ ظَوَاهِرُهُمْ وَبَوَاطِنُهُمْ عَلَى السَّوَاءِ .

قَالَ عَلَى كَرَمِ اللَّهِ وَجْهَهُ : لِلْمُرَائِي ثَلَاثُ عِلَامَاتٍ أَوْلَى أَنَّهُ يَكْسَلُ إِذَا كَانَ وَحْدَهُ وَيَنْشَطُ إِذَا كَانَ فِي النَّاسِ وَيَزِيدُ فِي الْعَمَلِ إِذَا أَتَى عَلَيْهِ النَّاسُ وَيَنْقُصُ إِذَا دُمَّ وَقَدْ وَرَدَتْ آيَاتُ وَأَحَادِيثُ وَأَثَارٌ تَدُلُّ عَلَى تَحْرِيمِ الرِّبَاءِ وَأَنَّهُ مَمْقُوتٌ مِنْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ \* الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ \* الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ \* وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السِّيَّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبْوَرُ ﴾ .

قَالَ مُجَاهِدٌ : هُمْ أَهْلُ الرِّبَاءِ ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ

عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿ ﴿ نَزَلَ ذَلِكَ فِي مَنْ يَطْلُبُ الْأَجْرَ وَالْحَمْدَ بِعِبَادَاتِهِ وَأَعْمَالِهِ .

وَأَمَّا الْأَحَادِيثُ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتَشْهَدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَفَهُ نِعْمَتُهُ فَعَرَفَهَا قَالَ : فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قَالَ : قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتَشْهَدْتُ قَالَ : كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ هُوَ جَرِيءٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ .

وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَفَهُ نِعْمَتُهُ فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهِ قَالَ تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ لِيقَالَ عَالِمٌ وَقَرَأْتُ الْقُرْآنَ ليقَالَ هُوَ قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَفَهُ نِعْمَتُهُ فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهِ قَالَ مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ أُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهِ إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهِ لَكَ قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ ليقَالَ هُوَ جَوَادٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ )) . رواه مسلم والنسائي والترمذي وابن حبان .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي عَنِ الْجِهَادِ وَالْعَزْوِ فَقَالَ : « يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو إِنَّ قَاتَلْتَ صَابِرًا مُحْتَسِبًا بَعَثَكَ اللَّهُ صَابِرًا مُحْتَسِبًا وَإِنْ قَاتَلْتَ مُرَائِيًا مُكَاثِرًا بَعَثَكَ اللَّهُ مُرَائِيًا مُكَاثِرًا يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو عَلَىٰ أَيِّ حَالٍ قَاتَلْتَ أَوْ قُتِلْتَ بَعَثَكَ اللَّهُ عَلَىٰ تِلْكَ الْحَالِ )) . رواه أبو داود .

وَعَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « بَشِّرْ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِالسَّنَا وَالرُّفْعَةِ وَالِدِّينِ وَالتَّمَكِينِ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ عَمَلِ الْآخِرَةِ لِلدُّنْيَا لَمْ

يَكُنْ لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ )) . رَوَاهُ أَحْمَدُ وَابْنُ حَبَّانَ فِي صَحِيحِهِ وَالْحَاكِمُ وَالْبَيْهَقِيُّ ، إِذَا فَهَمْتَ ذَلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّ هُنَاكَ أُمُورًا خَمْسَةً ١- مُرَاءٍ وَهُوَ الْعَابِدُ الَّذِي يُظْهِرُ حِصَالَ الْخَيْرِ ٢- وَمُرَائِي وَهُمْ الْخَلْقُ الَّذِينَ يُظْهِرُ الْمُرَائِي لَهُمْ أَعْمَالَهُ ٣- وَمُرَاءٍ لِأَجَلِهِ وَهُوَ الْجَاهُ وَالْمَالُ وَالسُّلْطَانُ وَحُبُّ الْحَمْدِ وَكَرَاهَةُ الدَّمِّ وَرِيَاءٌ وَهُوَ فَصْدُ إِظْهَارِ الْعِبَادَةِ لِذَلِكَ الْعَرَضِ ، وَالْمُرَاؤُنَ بِالْعِبَادَاتِ أَقْسَامٌ ، الْقِسْمُ الْأَوَّلُ الْمُرَاؤُونَ فِي الْعَقَائِدِ الدِّينِيَّةِ وَهُمْ الَّذِينَ يُظْهِرُونَ لِلنَّاسِ أَنَّهُمْ مُوَحِّدُونَ يَشْهَدُونَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَهُمْ يَعْتَقِدُونَ خِلَافَ ذَلِكَ أَوْ يُظْهِرُونَ أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ جَنَّةٍ أَوْ نَارٍ وَيُظْهِرُونَ لِلنَّاسِ أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بِالْمَلَائِكَةِ وَيُصَدِّقُونَ بِوُجُودِهِمْ وَنَحْوَ ذَلِكَ بِمَا هُوَ مَعْلُومٌ مِنَ الدِّينِ بِالضَّرُورَةِ وَهُمْ يَعْتَقِدُونَ فِي قُلُوبِهِمْ غَيْرَ ذَلِكَ وَلَا رَبِّبَ فِي ذَلِكَ أَنَّهُ كُفْرٌ نَاقِلٌ عَنِ الْمِلَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِالْكُلِّيَّةِ لِأَنَّهُ تَكْذِيبٌ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَصَاحِبِهِ إِنْ لَمْ يَتَّبِعْ فَهُوَ مُخَلَّدٌ فِي النَّارِ .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴾ فَهَذَا لِلْمُرَائِي الشَّرِيرِ الذَّلِقِ اللِّسَانِ الَّذِي إِذَا تَكَلَّمَ رَاقَ كَلَامُهُ لِلسَّمْعِ وَظَنَّهُ يَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ نَافِعٍ وَيُؤَكِّدُ هَذَا الْمُرَائِي مَا يَقُولُ بِأَنَّهُ يُخْبِرُ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ أَنَّ مَا نَطَقَ بِهِ مُوَافِقٌ وَمُطَابِقٌ لِمَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ كَاذِبٌ فِي ذَلِكَ لِأَنَّهُ يُخَالِفُ قَوْلَهُ فِعْلَهُ .

وَقَالَ تَعَالَى فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى : ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾ .

وَمَا أَكْثَرَ أَشْبَاهِ هَؤُلَاءِ فِي زَمَانِنَا مِنْ مُنْكَرِي الْجِنَّ وَالْمَلَائِكَةِ وَالبَعَثِ مِمَّنْ بَجَدُهُمْ يَجْبُنُونَ عِنْدَ الْمَوَاجَهَةِ وَيَتَظَاهَرُونَ بِالْإِيمَانِ عِنْدَ لِقَاءِ الْمُؤْمِنِينَ

وَيَعْتَرِفُونَ بِوُجُودِهِمْ لِيَتَّبِعُوا الْأَذَى وَيَتَّخِذُوا هَذَا السَّتَارَ وَسِيلَةً لِلْأَذَى وَإِذَا انْفَرَدُوا مَعَ أَوْلِيَائِهِمْ مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ صَرَخُوا بِمُعْتَقَدَاتِ قُلُوبِهِمْ وَتَفَكَّهُوا بِأَكْلِ لُحُومِ الْمُؤْمِنِينَ وَطَعَنُوا فِي الدِّينِ وَحَمَلْتَهُ وَصَرَخُوا بِإِنْكَارِ الْجَنِّ وَالْمَلَائِكَةِ وَهَؤُلَاءِ كَفَرَةٌ مُنَافِقُونَ وَالرِّبَاءُ فِي الْعَقِيدَةِ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ مِنْ أَكْبَرِ دَرَجَاتِ الرِّبَاءِ وَأَشَدَّهَا أَثَرًا وَضَرَرًا .

القِسْمُ الثَّانِي : الْمُرَاؤُونَ فِي الْفَرَائِضِ وَالْأَرْكَانِ الشَّرْعِيَّةِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ أَرْكَانَ الدِّينِ مِنْ صَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَحَجٍّ أَمَامَ النَّاسِ مِنْ أَجْلِ غَرَضٍ مِنَ الْأَعْرَاضِ الَّتِي ذَكَرْتُ آنفًا فَإِذَا خَلَا الْوَاحِدُ مِنْهُمْ بِنَفْسِهِ لَمْ يَعْمَلْ شَيْئًا فَلَوْلَا الْغَرَضُ الَّذِي يُرِيدُ تَحْقِيقَهُ مَا صَامَ وَلَا صَلَّى وَلَا حَجَّ وَلَا زَكَّى فَهَذَا الْعَمَلُ بَاطِلٌ لِأَنَّهُ لَمْ يُرِدْ بِهِ وَجْهَ اللَّهِ فَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « تُعْرَضُ أَعْمَالُ بَنِي آدَمَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي صُحُفٍ مُحْتَمَةٍ فَيَقُولُ اللَّهُ أَلْقُوا هَذَا وَاقْبَلُوا هَذَا فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ يَا رَبُّ وَاللَّهِ مَا رَأَيْنَا مِنْهُ إِلَّا خَيْرًا فَيَقُولُ إِنْ عَمَلَهُ كَانَ لِيَعِيرَ وَجْهِي وَلَا أَقْبَلُ الْيَوْمَ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا أُرِيدُ بِهِ وَجْهِي .

صَاحَ اسْتَمِعْ نَصْحًا أَتَاكَ مُفَصَّلًا

كَتَفَضُّ الْعِيقَانِ فَوْقَ لَتَائِي

بَادِرُ بَقَايَا عُمْرِكَ الْفَانِي فَلَا

تَصْرُفُهُ إِلَّا فِي الرِّضَا الْمَتَوَالِي

وَأَشْغَلُ فُؤَادَكَ دَائِبًا مُتَفَكِّرًا

فِي مَا يَلِيْقُ بِمَنْصِبِ الْإِجْلَالِ

وَإِخْلَصْ عِبَادَتَكَ الَّتِي بَاشَرْتَهَا

فِي الْقَوْلِ وَالْأَحْوَالِ وَالْأَفْعَالِ



وَأَشْغَلْ بِذِكْرِ اللَّهِ قَلْبَكَ لَاهِجاً  
بِصِفَاتِهِ الْعُلْيَا بِإِمْلَالِ  
وَاجْعَلْ مَمَاتَكَ نَصَبَ عَيْنَيْكَ إِنَّهُ  
أَوْلَى الْأُمُورِ وَأَنْصَحُ الْأَحْوَالِ  
وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ بَعْدَ ذَلِكَ مُحَاسِبٌ  
فَاضْبُطْهُ لَا تَتَّكُ فِيهِ ذَا إِهْمَالِ  
وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ بَعْدَ ذَلِكَ صَائِرٌ  
إِمَّا إِلَى بُؤْسٍ أَوْ الْإِفْصَالِ  
وَأَذَابٍ عَلَى حِفْظِ الشَّرِيعَةِ سَالِكاً  
سُبُلِ الْهُدَى لَا قَالِيَاً أَوْ غَالِي  
وَأَبْدَأْ بِحِفْظِ الْقَلْبِ عَنْ شُبُهَاتِهِ  
وَاعْرِفْ مَسَاوِيهَا عَلَى الْإِجْمَالِ  
ثُمَّ اسْقِهِ مَاءَ الْحَيَاةِ بِوَاعِظِ  
مِنْ مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ فِي إِجْلَالِ  
وَاحْرَسْ فَرَاغَكَ بِالتَّذْكَرِ إِنَّهُ  
عُمُرٌ إِذَا مَا ضَاعَ مِنْكَ لَغَالِي  
وَاحْفَظْ جَوَارِحَكَ الَّتِي أُوتِيَتْهَا  
عَنْ كُلِّ مَا يَفْضِي بِكُلِّ نَكَالِ  
وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ مَا خُلِقْتَ سَبَهلاً  
فَاعْبُدْ آلِهَةَ الْعَرُشِ بِالْإِقْبَالِ  
وَاجْعَلْ سَلاحَكَ دَعْوَةً بِإِنَابَةٍ

وَالجَاءَ إِلَيْكَ غَيْرَ مُبَالِي  
 وَسَأَلَهُ لَا تَسْأَلْ فَإِنَّكَ عَبْدُهُ  
 فَهُوَ الْكَرِيمُ وَرَبُّ كُلِّ نَوَالٍ  
 يَا رَبُّ فَاقْطَعْ عَن فُؤَادِي كُلَّ مَا  
 أَرْجُوهُ إِلَّا مِنْكَ مِنْ أَمَالٍ  
 وَأَغْسِلْهُ مِنْ دَرَنِ الذُّنُوبِ فَإِنَّهُ  
 مَرَضُ الْقُلُوبِ وَمُوجِبُ الْإِغْلَالِ  
 وَأَرْخُهُ مِنْ مَرَضِ الرِّيَاءِ فَإِنَّهُ  
 أَصْلُ الْفَسَادِ وَأَفْسَدُ الْأَشْغَالِ  
 وَاخْتُمْ بِنَا بِالْخَيْرِ عَاجِلِهِ الَّذِي  
 تَبْدُو حَالَهُ ذَوْقَهُ بِمَالٍ  
 وَاجْعَلْ صَلَاتَكَ دَائِمًا تَتَرَى عَلَيَّ  
 كِنِزِ الْمَعَالِي السَّيِّدِ الْمِفْضَالِ  
 وَكَذَا عَلَيَّ آلٍ لَهُ وَصَحَابَةٍ  
 أَهْلِ الْعُلَا وَالْعِزِّ وَالْإِجْلَالِ  
 ( فَصْلٌ )

وَأَقْبِحْ أَنْوَاعَ الرِّيَاءِ : مَا فُعِلَ لِلْحُصُولِ عَلَى لَدَّةٍ مُحَرَّمَةٍ كَأَنْ يَحْتَالَ عَلَى الْفِسْقِ بامرأةٍ أَوْ  
 يَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى سَلْبِ مَالٍ ظُلْمًا وَعُدْوَانًا أَوْ يَتَوَسَّلُ بِهِ إِلَى إِيدَاءِ بَرِيءٍ فِي عِرْضِهِ أَوْ مَالِهِ أَوْ  
 دِينِهِ وَصَاحِبُ هَذَا الْعَمَلِ مُعَرَّضٌ نَفْسَهُ لِلْمُجَازَاتِ عَلَى عَمَلِهِ أَشَدَّ الْجَزَاءِ وَالْعِقَابِ عَلَيْهِ أَسْوَأُ  
 الْعِقَابِ فِي يَوْمٍ يُؤْخَذُ فِيهِ الْمُجْرِمُونَ بِالتَّوَاصِي إِنْ لَمْ يَتُبْ مِنْ عَمَلِهِ ذَلِكَ تَوْبَةٌ نَصُوحًا .  
 وَمِنْ أَنْوَاعِ الرِّيَاءِ فِي الْفَرَائِضِ الدِّيْنِيَّةِ لِلْحُصُولِ عَلَى لَدَّةٍ مُبَاحَةٍ .  
 شِعْرًا : لَا يُعْرَنُّكَ تَغْوِيحُ الْعِنَقِ وَلِبَاسُ الصُّوفِ وَالثُّوبِ الْخَلْقِ

وَحُشُوعِ الْمَرْءِ فِي ظَاهِرِهِ      وَهُوَ فِي الْخَلْوَةِ تَنِينٌ حَنِقٌ

يَبْلَعُ الْفِيلَ مُسِرًّا فَإِذَا      بَلَغَ الدَّرَّةَ فِي الْجَهْرِ اخْتَنَقُ

وَمِنْ أَنْوَاعِ الرِّيَاءِ ، الرِّيَاءُ فِي الْفَرَائِضِ الدِّينِيَّةِ لِلْحُصُولِ عَلَى لَذَّةٍ مُبَاحَةٍ . كَأَنْ يَحْتَالَ بِأَدَاءِ الْفَرَائِضِ عَلَى الْحُصُولِ عَلَى مَالٍ بِطَرِيقِ الْهَبَةِ وَنَحْوِهَا وَلَوْ لَا هَذَا الْغَرَضَ مَا قَامَ بِأَدَائِهَا وَهَذَا شَرِكٌ بِاللَّهِ بَلْ فِي الْحَقِيقَةِ عِبَادَةٌ لِلشَّهْوَةِ لَا لِلَّهِ وَلَوْ كَانَ عِنْدَ صَاحِبِ هَذَا الْعَمَلِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنَ الْأَدَبِ وَالْحَيَاءِ لَحَجَلَ مِنْ خَالِقِهِ الَّذِي يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُخْلِصَ الْعِبَادَةَ لَهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَكِنَّهُ بَدَلًا مِنْ ذَلِكَ قَدْ جَعَلَ عِبَادَتَهُ وَسِيلَةً لِاِقْتِنَاصِ الْمَلَاذِ وَالْحُصُولِ عَلَى الشَّهَوَاتِ .

الْقِسْمُ الثَّلَاثُ : الْمُرَاوُونَ بِالنَّوَافِلِ الَّتِي يُؤَدُّونَهَا فِي حَضْرَةِ النَّاسِ وَيَتْرُكُونَهَا إِذَا خَلَوْا أَوْ يَجِيدُونَ الْفَرَائِضَ وَيُطِيلُونَهَا فِي حَضْرَةِ النَّاسِ وَإِذَا انْفَرَدُوا خَفَّفُوا وَهَذَا أَيْضًا قَبِيحٌ وَلَكِنَّهُ دُونَ الْأَوَّلِ وَوَجْهٌ قُبْحِهِ أَنَّ عِبَادَةَ اللَّهِ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ خَالِصَةً لَهُ لَا يَشُوهُهَا رِيَاءً أَبَدًا فَمَنْ يُؤَدِّيهَا لَغَرَضٍ مِنَ الْأَعْرَاضِ فَقَدْ أَشْرَكَ فِيهِ مَعَ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَهُوَ غَيِّ مُمَقِّوتٌ يَسْتَحِقُّ الدَّمَ وَالْعِقَابَ إِنْ لَمْ يَتُبْ لِأَنَّهُ قَدْ اسْتَهَانَ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَجَعَلَهَا وَسِيلَةً لِلْحُصُولِ عَلَى الْأَعْرَاضِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالشَّهَوَاتِ الْجِسْمَانِيَّةِ مَعَ أَنَّ النَّوَافِلَ مَثَلًا لَمْ تُشْرَعْ إِلَّا لِلْحُصُولِ عَلَى الثَّوَابِ الْكَثِيرِ وَالذَّرَجَاتِ الرَّفِيعَةِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى فَانْقَلَبَتْ عَلَى الْمُرَائِي بِهَا شَرًّا وَوَبَالًا بِفِعْلِهَا رِيَاءً وَأَصْبَحَ يَسْتَحِقُّ عَلَيْهَا عِقَابًا وَذَلِكَ فَسَادٌ وَخَلَلٌ عَظِيمٌ فَكَمْ مِنْ إِنْسَانٍ يُرَائِي يَتَّظَاهَرُ بِالصَّلَاحِ وَيَتَّبَاعِدُ عَنْ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ وَنَفْسِهِ فَاجِرَةٌ لَا يَتَوَرَّعُ مِنْ أَكْلِ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَاسْتِحْلَالِهَا بِأَذْنَى الْوَسَائِلِ وَعِنْدَ مُعَامَلَتِهِ فِي بَيْعٍ أَوْ شِرَاءٍ أَوْ اسْتِئْجَارٍ يَظْهَرُ مَخْبَرُهُ عَكْسَ مَنْظَرِهِ عَلَى حَدِّ قَوْلِ الشَّاعِرِ :

مَا فِي الْكَثِيرِينَ إِلَّا الْمَكْرَ وَالْمَلَقُ      شَوْكٌ إِذَا اخْتَبَرُوا زَهْرًا إِذَا رَمَقُوا

فَإِنْ دَعَاكَ إِلَى قُرْبٍ بِإِيْمِهِمْ قَدْرٌ      فَدَارِهِمْ وَأَقْتَرَبَ مِمَّنْ بِهِمْ تَشَقُّ

هُمْ أَمْ غَيْلَانٌ لَا أَصْلَ وَلَا ثَمَرَ      وَلَا نَسِيمٌ وَلَا ظِلٌّ وَلَا وَرَقٌ

جَفُّوا مِنَ اللُّؤْمِ حَتَّى لَوْ أَصَابَهُمْ      ضَوْءُ السُّهَى فِي ظِلَامِ اللَّيْلِ لَا

لَوْ صَافَحُوا الْمُرْنَ مَا ابْتَلَتْ أَنَامِلُهُمْ      وَلَوْ يَخُوضُونَ بَحْرَ الصَّيْنِ مَا غَرِقُوا

آخر: قَوْمٌ هُمُوا شَرُّ خَلْقِ اللَّهِ كُلِّهِمْ  
 هُمْ فِي الظَّوَاهِرِ زُهَادٌ أَوْلُو وَرَعٍ  
 يُحَرِّمُونَ الَّذِي حَلَ الإِلهَ لَهُمْ  
 يَا بئسَ مَا فَعَلُوا يَا بئسَ مَا تَرَكُوا  
 آخر: مِنْ أَيِّ نَوَاحِي الأَرْضِ أَلْقَى رِضَاكُمْ  
 فَلا حَسَنَ نَأْتِي بِهِ تَقْلِبُونَهُ  
 وَأَخْبَثُ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا وَفِي الدِّينِ  
 وَفِي البُؤَاطِنِ إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ  
 وَيَسْتَتِيحُونَ أَمْوَالَ المَسَاكِينِ  
 وَهُمْ يُعَادُونَ فِينَا بِالمَلَايِينِ  
 وَأَنْتُمْ أَنْاسٌ مَا لِمَرَضَاتِهِمْ نَحْوُ  
 وَلَا إِنْ أَسَانَا كَانَ عِنْدَكُمْ عَفْوُ

وَيَقُولُ الآخِرِ فِي المُرَائِينَ بِأَعْمَالِهِمْ :

أَظْهَرُوا لِلنَّاسِ زُهَاداً  
 وَلَهُ صَالُوا وَصَامُوا  
 لَوْ يُرَى فَوْقَ الثُّرَيَّا  
 وَعَلَى الدِّيَارِ دَارُوا  
 وَلَهُ حَجُّوا وَزَارُوا  
 وَلَهُمْ رِيَشٌ لَطَارُوا

آخر :

إِنَّ الجَلِيسَ يَقُولُ الخَيْرَ تَحْسِبُهُ خَيْراً وَهَيَّهَاتَ فَانظُرْ مَا بِهِ التَّمَسَا

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ : واعلم أن العَمَلَ لَعَيَّرَ اللهُ أقسام فتارة يكون رياءً محضاً كحال المنافقين كما قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالاً يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ .

وهذا الرياء المحض لا يكاد يصدر عن مؤمن في فرض الصلّاة والصيام وقد يصدر في الصدقة أو الحج الواجب أو غيرها من الأعمال الظاهرة أو التي يتعدي نفعها فإن الإخلاص فيها عزيز وهذا العَمَلَ لا يشك مسلم أنه حابط وأن صاحبه يستحق المقت من الله والعقوبة وتارة يكون العَمَلَ لله ويشاركة الرياء فإن شاركة من أصله فالنصوص الصحيحة تدل على بطلانه أيضاً وجبوطه .

شِعْرًا: دَعِ الرَّيَاءَ لِمَنْ لَدَّ الرَّيَاءَ لَهُ  
فَإِنَّهُ الشَّرْكَ فَاحْذَرْ زَلَّةَ الْقَدَمِ  
وَمُتْ عَلَى الْمِلَّةِ السَّمْحَاءِ مَوْتٌ فَتَى  
رَأَى الْمَمَاتَ عَلَيْهَا أَكْرَمَ الْكَرَمِ  
آخِر: يُلْبَسُ اللَّهُ فِي الْعَلَانِيَةِ الْعَبْدَ الَّذِي  
كَانَ يَخْتَفِي فِي السَّرِيرَةِ  
حَسَنًا كَانَ أَوْ قَبِيحًا سَيِّدِي  
كُلُّ مَا كَانَ ثُمَّ مِنْ كُلِّ سِيرَةٍ  
فَاسْتَحِ مِنَ اللَّهِ أَنْ تُرَائِيَ لِلنَّاسِ  
فَإِنَّ الرَّيَاءَ بِئْسَ الذَّخِيرَةُ

وفي صحيح مسلم عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : أَنَا أَغْنِي الشَّرْكَاءَ عَنِ الشَّرْكِ مِنْ عَمَلٍ عَمَلًا أَشْرَكَ مَعِي فِيهِ غَيْرِي تَرَكْتَهُ وَشَرَكَهُ ، وَأَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهٍ وَلَفِظَهُ فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ وَهُوَ لِلَّذِي أَشْرَكَ .

وأخرج الإمام أحمد عن شداد بن أوس عن النبي ﷺ قال : من صلي يراني فقد أشرك ومن تصدق يراني فقد أشرك فإن الله عز وجل يقول : أَنَا خَيْرٌ قَسِيمٍ لِمَنْ أَشْرَكَ بِي شَيْئًا فَإِنْ جَدَّ عَمَلُهُ قَلِيلُهُ وَكَثِيرُهُ لِشَرِيكِهِ الَّذِي أَشْرَكَ بِهِ أَنَا عَنْهُ غَنِي ، وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدِ ابْنِ أَبِي فِضَالَةَ وَكَانَ مِنَ الصَّحَابَةِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِذَا جَمَعَ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ نَادَا مُنَادٌ مَنْ كَانَ أَشْرَكَ فِي عَمَلٍ عَمَلَهُ اللَّهُ فليطلب ثوابه مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَإِنَّ اللَّهَ أَغْنَى الشَّرْكَاءَ عَنِ الشَّرْكِ أَنْتَهِيَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

### ( فَصْلٌ )

القسم الرابع : من المرائين المتحدثين بأعمالهم بعد تمامها كأن يقول الواحد : صليت كذا وصمت كذا وحججت كذا من أفعال الخَيْرِ وَهَذَا وَإِنْ كَانَ لَا يَحْبِطُ الْعَمَلُ الَّذِي تَمَّ عَلَى وَجْهِ صَحِيحٍ إِلَّا أَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيَّ مَقْصِدُهُ مِنَ التَّحَدُّثِ بِذَلِكَ فَإِنْ كَانَ فَسَادًا كَانَ مُحْرَمًا وَإِنْ كَانَ فِرَارًا مِنْ ذَمِّ النَّاسِ وَرَغْبَةً فِي مَدْحِهِمْ بَدُونَ أَنْ يَقْصِدَ مِنْهَا الْوَصُولَ إِلَيَّ غَيْرَ ذَلِكَ كَانَ مَلُومًا مِنْ جِهَةٍ وَاحِدَةٍ وَأَنَّهُ قَصِدَ رِيَاءَ النَّاسِ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ ذَلِكَ لَا يَجُوزُ .

القسم الخامس : المراءون بالهيئة والزي فترى الواحد من هؤلاء يتكلف العمل على نحول بدنه واصفرار وجهه كي يظهر بمظهر العابد الذي أضناه وأنهكه السهر وانحل جسمه الصوم ومنهم من يتكلف خفض صوته أو يلبس ثوباً يختلف عن أثواب أهله وبني جنسه ليلفت أنظار الناس إليه هذا النوع من الرياء سخييف جداً لا يتأثر به إلا ضعاف العقول صغار النفوس وكل هؤلاء من شرار الناس الذين يجب على الناس أن يحدروا منهم ويمقتوهم ولا يبالوا بهم ولا بحليهم وأزيائهم .

شِعْرًا: تَقُومُ إِذَا مَا قِمْتَ تَشْفَعُ خُطْبَةً      تُخَوِّفُ فِيهِ وَالِدِمُوعُ تَزْبَعُ  
كَأَنَّكَ صَيَّادٌ تَسِيلُ دُمُوعُهُ      مِنْ الْبَرْدِ وَالصَّيَّادُ يَفْرِي وَيَقْطَعُ  
يَجِدُّ رِقَابَ الطَّيْرِ مِنْ غَيْرِ رَحْمَةٍ      وَعَيْنَاهُ مِنْ بَرْدِ الْعَشِيَّةِ تَدْمَعُ  
تُزْهِدُ فِي الدُّنْيَا وَأَنْتَ بِنَهْبِهَا      مُلِحٌ عَلَى الدُّنْيَا تَكْدُّ وَتَجْمَعُ

آخر: أَرَى النَّاسَ فِي الدُّنْيَا كِرَاعٍ تَنْكَرَتْ      مَرَاعِيهِ حَتَّى لَيْسَ فِيهِنَّ مَرْتَعُ  
فَمَاءٌ بِلَا مَرَعَى وَمَرَعَى بِغَيْرِ مَاءٍ      وَحَيْثُ تَرَى مَاءً فَمَرَعَى وَمَسْبَعُ

ثم اعلم : أن النية عليها مدار عظيم مدار الثواب والعقاب فإن المرء يتحدث بعمله الصالح أو يظهره ليكون قدوة صالحة لهم ومثلاً حسناً يقتدون به لا يريد بذلك إلا وجه الله وابتغاء مرضاته بنشر الفضيلة وإحيائها بين الناس من غير أن ينظر إلي مدحهم له وذمهم له فلا يثنيه شيء عن عمل الصالحات ولا يعزبه عليها رضاء أحد من الناس على أن يكون يقظاً نبيهاً لا يجعل للغرور والعجب إليه سبيلاً فإن عمله على ذلك الوجه الحسن لا يكون رياءً بل ربما يكون مستحباً إن تأكد من اقتداء الناس به في عمله الصالح وكذلك تنظر الشريعة الإسلامية الكريمة إلى جميع الأعمال فإن ترتب على العمل فساداً كان مذموماً وإن ترتب عليه صلاح كان ممدوحاً فجميع أحكامها مبنية على جلب المصالح ودرء المفاسد وكلها ترمي إلى تهذيب النفوس وتطهير

القلوب وتربية النوع الإنساني أحسن تربية وتأديبه أفضل الأدب ويكفي في ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ .

وختاماً فعلى العاقل أن يتفكر ويعلم مضرة الرياء وما يفوته من صلاح قلبه وما يحرم عنه من التوفيق وما يتعرض له من العقاب والمقت الشديد والخزي الظاهر فمهما تفكر الإنسان وقابل ما يحصل له من العباد والتزين لهم في الدنيا بما يفوته في الآخرة وبما يحبط عليه من ثواب الأعمال فإنه يسهل عليه قطع الرغبة عنه كمن يعلم أن العسل لذيذ ولكن إذا بان له أن فيه سمّاً أعرض عنه ثم أي غرض له في مدحهم وإيثار ذم الله لأجل حمدهم ولا يزيده حمد الناس رزقاً ولا أجلاً ولا ينفعه يوم فقره وفاقته .

وأما الطمع فيما في أيدي الناس فبأن يعلم أن الله تعالى هو الرزاق وهو المسخر للقلوب بالمنع والإعطاء وأن الخلق مضطرون فيه .

ولا رازق إلا الله ومن طمع في الخلق لم يخل من النذل والخيبة وإن وصل إلي المراد لم يخل عن المنة والمهانة فكيف يليق بعاقل أن يترك ما عند الله برجاء كاذب ووهم فاسد وقد يصيب وقد يخطيء وإذا أصاب فلا تفي لذته بألم منته ومذلتة .

شعراً: أَمِنْ بَعْدِ غَوْصِي فِي غُلُومِ الْحَقَائِقِ

وَطُولِ انْبِسَاطِي فِي مَوَاهِبِ خَالِقِي

وَفِي حِينِ إِشْرَافِي عَلَى مَلَكُوتِهِ

أَرَى طَالِباً رِزْقاً إِلَى غَيْرِ رَازِقِ

وَأَيَّامِ عُمُرِ الْمَرَّةِ مُتَعَةً سَاعَةً

تَجِيءُ حَيْثُ شَاءَ مِثْلَ لَمَحَّةِ بَارِقِ

وَقَدْ آذَنْتُ نَفْسِي بِتَقْوِيضِ رَحِيلِهَا  
 وَأَسْرَعَ فِي سَوْقِي إِلَى الْمَوْتِ سَائِقِي  
 وَإِنِّي وَإِنْ أَوْغَلْتُ أَوْ سَرْتُ هَارِباً  
 مِنَ الْمَوْتِ فِي الْآفَاقِ فَالْمَوْتُ لِأَحِقِّي  
 آخر: شَادَ الْأَنَامُ قُصُورَهُمْ وَتَحَصَّنُوا  
 مِنْ كُلِّ طَالِبٍ حَاجَةٍ أَوْ رَاغِبٍ  
 فَارْتَعَبَ إِلَى مَلِكِ الْمُلُوكِ وَلَا تَكُنْ  
 يَا ذَا الضَّرَاعَةِ طَالِباً مِنْ طَالِبٍ

وأما ذم الخلق له فلا يحذر منه فإنه لا يزيد ذمهم شيئاً ما لم يكتبه الله عليه ولا يعجل أجله ولا يؤخر رزقه ولا يجعله من أهل النار إن كان من أهل الجنة ولا يبغضه إلى الله ولا يؤخر رزقه ولا يجعله من أهل النار إن كان من الذين يحبهم الله فالعباد كلهم عجزة لا يملكون لأنفسهم ضرراً ولا نفعاً فإذا قرر في قلبه آفة هذه الأسباب وضررها فترت رغبته عن الرياء وأقبل على الله قلبه والعاقل لا يرغب فيما يكثر ضرره ويقل نفعه فهَذَا دواء نافع قالع للرياء من أصله بإذن الله فهَذَا من الأدوية العلمية القالعة مغارس الرياء من أصله بإذن الله وأما الدواء العملي فهو أن يعود نفسه إخفاء العبادات وإغلاق الأبواب دونها كما تغلق الأبواب دون الفواحش فلا تنازعه نفسه إلى طلب غير الله به . وبالتالي :

فمن كَانَ ذا عقل وعلم وبصيرة عرف شدة حاجته يوم القيامة وشدة فقره إلى صافي الحسنات فحشي أن يأتي ذَلِكَ الْيَوْمَ بصلاة أو صيام أو حج أو جهاد أو نحو ذَلِكَ من الأعمال لم يخلصه الله فيحبط عمله فتصير حسناته أنقص من سيئاته ولو كَانَ أخلص الْعَمَلُ لله فِي الدُّنْيَا لرجحت حسناته على سيئاته فيدخل الجنة فلكم فاته ذَلِكَ الإخلاص فلا تسأل عن ذهاب

نفسه



حسرات فيخاف اللبيب ذَلِكَ فيغلب عَلَى عقله حذر الرياء والتصنع للعباد ويقبل عَلَى تصحيح عمله وتنقيته من شوائب الرياء حتي يوافي به يوم القيامة خالصاً صواباً .  
 "موعظة" عِبَادَ اللَّهِ : أوصيكم ونفسي بتقوي الله فالزموها ، وأحثكم عَلَى الأعمال الصَّالِحَةِ فاغتنموها ، إن الزمان يطوي بكم مسافة الأعمار لا شك وأنتم راحلون عن هذه الدار فيا معشر الشيوخ ماذا تنتظرون بعد المشيب وهل بعده إلا الموت فإن الموت قريب إنه لَيْسَ إلي البقاء من سبيل فماذا تزودتم للرحيل ويا معشر الشباب أنفقتم غرر الأعمار عِنْدَ المذيع والكثرة ونحو ذَلِكَ مِمَّا يصدكم عن ذكر الله وعن الصَّلَاةِ ويا معشر التجار لَقَدْ ضاعت أعماركم في ألوؤكم ربح فلان وكم بيع البيت الفلاني والأرض الفلانية وخذ هذه الجريدة وأعطني الأخرى إلا صرفتم بعض الوَقْتِ إلي المسابقة إلي غرف الجَنَّةِ وأراضيها وأنفقتم بعض ما وهبكم الله من المكاسب إلي ما يرضي الله من تفقُّد الفقراء الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ موارد لا قليلة ولا كثيرة ممن يستعينون بِهَا عَلَى طاعة الله ومن مساجد تحتاج إلي ترميم أو فرش وإلي إنشاء مساجد عِنْدَ من لَيْسَ عندهم شَيْءٌ منها أو إلي طباعة مصاحف طباعة جيدة فتوزعوها عَلَى التالين للقرآن آناء الليل والنَّهَارِ أو طبع كتب دينية فيها تقوية للشريعة ونشر لمحاسن الإسلام ككتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وابن رجب وابن مفلح وابن كثير والموفق والمجد والشَّيْخِ المجدد الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بن عبد الوهاب ونحوهم من العلماء العاملين بعلمهم المصلحين المخلصين الَّذِينَ لا تأخذهم فِي الله لومة لائم نسأل الله أن ييسر لنا فِي هَذَا الزمان أمثالهم لنصر دينه إنه القادر عَلَى ذلك .

شعراً :

نَصَحْتُكَ لَا تَصْحَبْ سِوَى كُلِّ فَاضِلٍ      كَرِيمِ السَّجَايَا بِالتَّعَفُّفِ وَالظَّرْفِ  
 وَلَا تَعْتَمِدْ غَيْرَ الْكِرَامِ فَوَاحِدٌ      مِنْ النَّاسِ إِنْ حَصَلَتْ خَيْرٌ مِنَ الْأَلْفِ

شِعْرًا :

الْمَالُ يَنْدَهَبُ حِلَّهُ وَحَرَامَهُ  
 طُورًا وَتَبَقَى فِي غَدِ آثَامَهُ  
 لَيْسَ التَّقِيُّ بِمُتَّقٍ لِإِلَاهِهِ  
 حَتَّى يَطِيبُ شَرَابُهُ وَطَعَامَهُ  
 وَيَطِيبُ مَا يَحْوِي وَيَكْسِبُ كُفَّهُ  
 وَيَكُونُ فِي حُسْنِ الْحَدِيثِ كَلَامَهُ  
 نَطَقَ النَّبِيُّ لَنَا بِهِ عَنِ رَبِّهِ  
 فَعَلَى النَّبِيِّ صَلَاتُهُ وَسَلَامُهُ

اللَّهُمَّ طهر قلوبنا من النفاق و عملنا من الرياء و طهر مكسبنا من الربا و ألسنتنا من الكذب و ووفقنا لمصالحنا و اعصمنا عن ذنوبنا و قبائحنا و لا تؤاخذنا بما انطوت عليه ضمائرنا و أكنته سرائرنا من أنواع القبائح و المعائب و اغفر لنا و لوالدينا و لجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين و صلي الله على محمد و على آله و صحبه أجمعين .

### فصل في الكبر والعجب

اعلم و ففنا و إياك و جميع المسلمين : أن مما يتأكد تحريمه و اجتنابه في رمضان و غيره الكبر و الإعجاب لأنهما يسلبان الفضائل و يكسبان الرذائل و ليس لمن استولينا عليه قبول النصح و لا قبول التأديب لأن المتكبر يعتقد في نفسه أنه جليل عظيم متعال عن رتبة المتعلمين و الكبر في اللغة العزة و العظمة و مثله الكبرياء و قد فسر  $\rho$  الكبر بأنه بطر الحق و غمط الناس و الكبر و العجب من الصفات النفسية المرذولة التي كثيراً ما تثير الغضب و الحقد و تورث العداوة و البغضاء و تورث الاحتقار و الازدراء بالناس و اغتياهم

ويجافي بين الصدق وكظم الغيظ وقبول النصح ويعمي المرء عن عيوبه ويجول بينه وبين العلم والانتقياد للحق .

والكبر نوعان : أحدهما التكبر عَلَى الحق وَهُوَ رده ودفعه وعدم قبوله وَهُوَ عَالَم به سواء كَانَ من حقوق الله أو من حقوق عباده فمعني بطر الحق رده وجحده وَهُوَ عَالَم به فكل من رد الحق فإنه مستكبر عنه بحسب ما رد من الحق ومعني غمط النَّاس احتقارهم وتنقيصهم وَذَلِكَ ناشيء عن عجب الإنسان بنفسه وتعاضمه عَلَيْهِم فالعجب بالنفس يحمل عَلَى التكبر عَلَى الخلق واحتقارهم والاستهزاء بِهِمْ وتنقيصهم بقوله أنه ممتاز عنه بما سما به في نظر نفسه وإذن يري ذَلِكَ الْعَيْر في درجة منحطة عن درجته فيعتقد حينئذ أن مستواه فوق مستوي غيره وَذَلِكَ هُوَ الكبر بعينه فالعجب عنه نشأ الكبر وَعَلَى أصله تفرع .

وللكبر أسباب كثيرة فَقَدْ تَكُون عن صفة كمال كالعلم والنسب والجاه والسُّلْطَان وَرَبَّمَا نشأ عن غرور ووهم بحيث يعتقد أنه أكمل من غيره خطأ وجهلاً وَهَذَا برهان عَلَى نقص عقله ولذا يَقُولُ مُحَمَّد بن عَلَى الباقر ما دخل قلب امرئ شَيْء من الكبر إلا نقص من عقله مثل ما دخل من ذَلِكَ قل أو كثر .

فإن كَانَ الكبر ناشئاً عن العلم كَانَ صاحبه مثلاً سيئاً وقدوة رديئة ، خصوصاً إِذَا دفعه الكبر إلى صفة ذميمة كالحسد والحقد ، أو أفضي به إلى ارتكاب مظلمة من المظالم بيده أو لِسَانه ، فإن ضرر هَذَا لا يقدر ، لأن النَّاس يقتدون بالعلماء في أقوالهم وأفعالهم ، فيستسهلون عِنْد ذَلِكَ ارتكاب الجرائم ، ويستبيحون الاتصاف بالصفات الذميمة ، وفي هَذَا شرٌّ عَظِيم ، وأيضاً فإن العالم المتكبر ينصرف النَّاس عنه وينفضون من حوله ، فلا ينتفع

بعلمه إلا من يوافقه على هواه فلا يرده عن خطأ ، ولا يشير عليه بحق ولا يزاحمه في غرض ومثل هذا لا فائدة من تعليمه لأنه ناقص النفس ضعيف الإرادة ومن كان هذا شأنه فإن علمه وبال عليه .

أما العلم النافع فهو الذي يربي النفس ، ويظهرها من الصفات الرديئة ، ويعرف العبد ربه ونفسه وخطر أمره ، وهذا يورث الخشية والتواضع ، فيكون صاحبه مثيلاً حسناً في الناس ، وقدوة صالحة في الأقوال والأفعال .

وإن كان الكبر ناشئاً عن النسب فإنه ربما يكون سبباً للطعن في ذلك النسب ، وحمل الناس على اعتقاد أنه نسب رديء العنصر ، خسيس الأصل ، فإن النسب الشريف هو الذي يترتب عليه آثار صالحة تدل على رفعة وكرمه ، أما من يتكبر ويظلم ويؤذي عباد الله ويحتقرهم فإنه لا يكون من عنصر طيب ، ولا من أصل كريم غالباً ، وقد يتهم الناس من يفعل ذلك بأنه ولد زنا ، وذلك أن الله وصف النمام والفاجر والمناع للخير بالوصف الذميمة كما تقدم وذلك لأن الأعمال الفاجرة تتبع خبث المني غالباً ، ما لم ييسر الله لولد الزنا بيئة صالحة يترتب فيها وينزع من نفسه تلك الصفات الرديئة التي ورثها من أصله واكتسبها من والديه .

وإن كان الكبر ناشئاً عن الجاه والسلطان فإنه غالباً يفضي إلى شر أنواع الظلم وانتهاك المحارم من حقوق الله وحقوق خلقه ، فما ترتب عليه مظلمة أو ضياع حق فهو الكبر الضار .

وأما العزة التي ينشأ عنها ما ينفع الناس ، وما يحفظ كرامة المرء وعدالته ومكانته ، مثل ترفع الحاكم عن مخالطة العوام ومجالستهم ومجاملتهم بما يسقط هيئته أو يطعمهم في قضائه أو يسهل لهم الإحلال بما

يقتضيه الشرع ، فإن مثل هذا لا يعد تكبراً لأنه إذا أهمله الإنسان لم يكن جديراً بالحكم إنما  
الكبر الممنوع هو أن لا يبالي بهم فلا يسمع شكوي ضعيفهم ولا يسمح له بالدنو منه ليعبر  
عن مظلمه ، أو يحقد على من توسع في الدفاع عن نفسه بما لا يرضيه ، أو أعرض عن سماع  
النصيحة واستكبر عن العمل بالحق ، فإنه في هذه الحال يكون متكبراً مذموماً ممقوتاً .

لِكُلِّ بَنِي الدُّنْيَا مُرَادٌ وَمَقْصَدٌ

وَإِنَّ مُرَادِي صِحَّةٌ وَفَرَاغٌ

لَأَبْلَغَ فِي عِلْمِ الشَّرِيعَةِ مَبْلَغاً

يَكُونُ بِهِ لِي فِي الْجِنَانِ بَلَاغٌ

فَفِي مِثْلِ هَذَا فَلْيُنَافِسْ أُولِي النَّهْيِ

وَحَسْبِي مِنَ الدُّنْيَا الْغُرُورُ بَلَاغٌ

فَمَا الْفَوْزُ إِلَّا فِي نَعِيمٍ مُؤَبَّدٍ

بِهِ الْعَيْشُ رَغَدٌ وَالشَّرَابُ يُسَاعُ

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِنَا وَدُنْيَانَا وَأَهْلِنَا وَأَمْوَالِنَا وَنَسْأَلُكَ أَنْ تَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدِينَا  
وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

" موعظة "

عِبَادَ اللهِ : لَقَدْ تَوَعَّدَ اللهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ يَخَالِفُونَ أَمْرَهُ وَيَعْرَضُونَ عَنْ مَرَاتِبِهِ وَيَنْصَرِفُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ  
وَذَكَرَهُ وَيَجْتَرِئُونَ عَلَى مَعَاصِيهِ بِشَدِيدِ غَضَبِهِ وَعَظِيمِ سَخَطِهِ وَحَذَرَهُمْ بِأَسْهٍ وَانْتِقَامَهُ فَمَا بَالُ  
الْمُسْلِمِينَ بَعْدَ الْقُرُونِ الْأُولَى وَدُخُولِهِمْ فِي هَذِهِ الْأَزْمَانِ عَمَدُوا إِلَى مَحَارِمِ اللهِ فَارْتَكَبُوهَا وَمَنْهِيَاتِهِ  
فَاسْتَبَاحُوهَا وَمَأْمُورَاتِهِ فَاجْتَنَبُوهَا وَنَبَذُوهَا وَقَطَعُوا الْأَسْبَابَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ خَالِقِهِمْ وَرَازِقِهِمْ

وعادوا بمر الشكوي من تعيّر الأحوال وانتزاع البركة من الأرزاق والآجال وليس الغريب أن تذهب البركة من أرزاق العصاة وأموالهم فإن الله جلّ وعلا يغار على أوامره أن تحتنب ومحارمه أن ترتكب عبادة الله إن المحافظة على أوامره التي أمركم بها في كتابه وعلى لسان نبيه محمد ﷺ بمنزلة العهد والميثاق بينكم وبينه تعالى أن يحوطكم برحمته ويسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة وأن يكون معكم بالعون والتوفيق فإذا حاربتموه بارتكاب معاصيه وإهمال أوامره فقد حاربتم بديع السماوات والأرض ذا القوة المتين ولستم بمعجزيه أن يرسل عليكم عذاباً في الدنيا ولعذاب الآخرة أشد وأبقى عبادة الله اتقوا الله وراقبوه في سرهم وجهركم وإياكم أن تظنوا أن الله يهمل المسيء فلا يجازيه ولا يحاسبه على جرمه وذنبه الذي اقترفه ومن ظن ذلك كان من الذين يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون يا عبادة الله : قد كان قبلكم من الأمم من اصطفاهم الله على علم على العالمين وآتاهم من الآيات ما فيه بلاغ للعابدين وأسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة فما رعوها حق رعايتها وقالوا نحن أبناء الله وأحباؤه فلما أفسدوا في الأرض لم تغن عنهم النذر شيئاً وأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر قال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ وفي الحديث إن الله ليملي للظالم فإذا أخذه لم يفلته .

شعراً: نَامَتْ جُفُونُكَ وَالْمَظْلُومُ مُنْتَبِهٌ  
 آخر: وَمَا مِنْ يَدٍ إِلَّا يَدُ اللَّهِ فَوْقَهَا  
 آخر: خَفِيَ اللَّهُ فِي ظُلْمِ الْوَرَىٰ وَاحْدَرَّتُهُ  
 وَلَا تَحَسَبَنَّ اللَّهُ عَن ذَاكَ غَافِلًا  
 يدعو عليك وعين الله لم تنم  
 ولا ظالم إلا سيئلي بظالم  
 وخف يوم غض الظالمون على اليد  
 ولكنة يملئ لمن شاء إلى الغد

وَلَا تَغْتَرَّرْ بِالْحِلْمِ عَنْ ظُلْمِ ظَالِمٍ      سَيَأْخُذُهُ أَخْذًا وَبِيلاً وَعَنْ يَدِ

آخِر: إِذَا الْمَرْءُ أَحْمَى نَفْسَهُ كُلَّ شَهْوَةٍ      لِصِحَّةِ أَيَّامٍ تَيِّدُ وَتَنْفَدُ  
فَمَا بَالُهُ لَا يَحْتَمِي عَنْ حَرَامِهَا      لِصِحَّةِ مَا يَبْقَى لَهُ وَيُخَلَدُ

اللَّهُمَّ ثَبِّتْنَا عَلَى نَهْجِ الاستقامة وأعدنا من موجبات الحسرة والندامة يوم القيامة وخفف عنا ثقل الأوزار ، وارزقنا عيشة الأبرار واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وصلي الله على مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وصحبه أجمعين .

( وفي كتاب الأخلاق )

قال : والكبر أنواع وأعظم أنواع الكبر على الله وعلى رسله ، وهذا شر أنواع الكبر ، لأن الإنسان ضعيف المخلوق من ماء مهين ، الذي يصرعه أضعف الحيوانات إذا سلطه الله عَلَيْهِ لا يليق به ولا يحل له أن يتكبر على من خلقه وأوجده ومنه يستمد بقاءه ويحتاج إليه في كل لحظة وفي كل حركة وسكون .

ومن جهل قدر ربه فهو من بهيمة الأنعام أو أضل ، كما أخبر الله عمن استكبروا عَلَيْهِ وَعَلَى رسله ، وكيف يجهل الإنسان قدر إلهه القادر القاهر الذي أبدع العالم على أحسن إحكام وأدق تكوين وله سبحانه في كل جزء من خلقه شاهد واضح الدلالة ، وحجة ظاهرة البيان ، تدل على أنه هو ذلك الصانع الذي ﴿ يَسْ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ فمن تكبر على الله فلم يؤمن بذاته وصفاته أو استكبر عن عبادته فإنه سيبري نتيجة كبريائه ذلاً وصغاراً وعذاباً أليماً يوم البعث والنشور ، فضلاً عما يصيب كثيراً من

المتكبرين عن عبادة الله من الانتقام الدنيوي ، كما وقع للنمرود وفرعون وغيرهم من المتكبرين .  
وأما المتكبر على رسل الله فهو كالمتكبر على الله في نتيجه فإن جزاءه الخلود في نار جهنم ،  
لأنَّهم إنما جاءوا بتوحيد الله وتنزيهه عن كل ما لا يليق به ، وهداية الناس إلى سبيل السعادة ،  
فمن استكبر عليهم ولم يؤمن بهم فقد كفر بربه وخسر خسراً مبيهاً .

ولقد قال المستكبرون من قريش : ﴿ لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقُرَيْتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾  
يريدون الوليد بن المغيرة من مكة وأبا مسعود الثقفي من أهل الطائف ، دفعهم الكبر إلى أن  
يطلبوا من هو عندهم وفي زعمهم أعظم رئاسة من المصطفى ρ لأنه غلام يتيم وإن كان من  
أظهر أصلاهم وأشرف أنسابهم فرد الله عليهم بقوله ﴿ أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ ﴾ ، ذلك  
أنَّهم جهلة متهورون غلاظ القلوب حسدة لم يقدروا الله الذي خلقهم والذين من قبلهم ،  
الحكيم الذي يضع الأشياء مواضعها وينزل الأمور منازلها .

وروي مسلم عن سعد بن أبي وقاص قال : كنا مع رسول الله ρ ونحن ستة نفر فقال  
المشركون : اطرده هؤلاء عنك فإنَّهم وإنَّهم ، قال فكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل  
وبلال ورجلان نسيت اسميهما ، قال فوقع في نفس النبي ρ من ذلك ما شاء الله فحدث به  
نفسه ، فأنزل الله عز وجل ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾  
وروي عن خباب بن الأرت - في سبب نزول هذه الآية - قال : جاء الأقرع بن حابس  
التميمي وعيينة بن حصن الفزاري فوجدوا النبي ρ قاعداً مع بلال وعمار وصهيب وخباب ،  
في ناس من الضعفاء من المؤمنين ، فلما رأوهم حقروهم ، فخلوا به فقالوا : إنا نحب أن تجعل  
لنا منك مجلساً تعرف لنا به



العرب فضلنا ، فإن وفود العرب تأتيك ، فنستحي أن يرانا العرب قعوداً مع هذه الأعباد فإذا نحن جئناك فأقمهم عنا ، فإذا نحن فرغنا فاقعدهم إن شئت ، قال "نعم" ، قالوا : فاكتب لنا عليك كتاباً ، فدعا بالصحيفة ، ليكتب لهم ، ودعا علياً ليكتب ، فلما أراد ذلك ونحن قعود في ناحية ، إذ نزل جبريل عليه السلام ، فقال : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ ثم ذكر الأقرع وصاحبه فقال : ﴿ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴾ .

ثم ذكرنا فقال : ﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ فرمي رسول الله ﷺ بالصحيفة ودعانا فأتيناه وهو يقول ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ﴾ فدنونا منه حتى وضعنا ركبنا عند ركبته فكان رسول الله ﷺ يجلس معنا فإذا أراد أن يقوم قام وتركنا فنزل الله ﴿ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ يقول لا تعد عينك عنهم تجالس الأشراف ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا ﴾ أما الذي أغفل قلبه عن الذكر فهو عيينة بن حصن والأقرع ، وأما فرطاً فهلاكاً ، فإذا بلغنا الساعة التي كان يقوم فيها قمنا وتركناه حتى يقوم ، وإلا صبر أبداً حتى نقوم ، رواه ابن أبي شيبة ورواه أبو نعيم .

ومعني هذا أن هذين الرجلين حملهما الكبر والأنفة على احتقار بعض هؤلاء المؤمنين لضعفهم من جهة المال والنسب فطلبا من النبي ﷺ أن يختصمهم بمجلس لا يشمل هؤلاء الضعفاء وفي رواية أنهم يؤمنون به إن فعل ذلك وكان ﷺ حريصاً على إيمان الناس ، كما ذكر الله عنه بقوله ﴿ لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ .

﴿ قَالَ ﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ ﴾ ﴾ وَقَالَ ﴿ فَلَعلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ ﴾ وَقَالَ : ﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ﴾ ﴾ ورأى أن هذا لا يضر أصحابه خصوصاً بعد أن يدخل هذان معهما ، فإن الدين كفيل بإذن الله في تهذيبهما فأجابهما إلى طلبهما .

شعراً :

الدِّينُ رُوحٌ بِهِ تَحْيَا الأَنَامُ كَمَا      دَمَارُهَا أَبْدَاءُ بِالكُفْرِ يَنْحَتِمُ  
وَالكُفْرُ شَيْنٌ بِهِ الإِصْلَاحُ مُنْعَدِمٌ      وَالدِّينُ زَيْنٌ بِهِ الأَحْوَالُ تَنْتَضِمُ

ولكن الله تعالى الذي شرع الدين وهو الذي فوق عباده جميعاً أبي على نبيه ذلك وأعلمه أنه لا يبالي بالمتكبرين ، ولا يحفل بدخولهم في دينه ، ما دامت أنفسهم متأثرة بالعزة الكاذبة واحتقار المؤمنين لأن دينه تعالى قد جاء بالقضاء على هذه الرذيلة ولم يجعل الاحترام وعلو الهمة والمنزلة ورفعة القدر مرتبطاً برفعة النسب أو كثرة المال أو الجاه والسلطان ، وإنما جعل ذلك مرتبطاً بالعلم النافع وتقوي الله ، ولذا قال لنبيه ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن دِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ ﴾ وَقَالَ : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ﴾ الآية فصدع p بأمر الله تعالى وبلغ ما أوحى إليه .

شعراً: رَغِبْتُ عَنِ الدُّنْيَا لِعِلْمِي أَنَّهَا

مَحَلُّ حَيَاةِ المَرءِ فِيهِ إِبْلَاجُ

وَقَدْ لَاحَ فِي فَوْدِي شَيْبٌ عَلَى الرَّدَى

دَلِيلٌ وَفِيهِ مَا أَرَدْتُ بِإِبْلَاجِ

وَأَمَلْتُ مِنْ مَوْلَايَ نَظْرَةَ رَحْمَةٍ

يَكُونُ بِهَا مِنِّي إِلَيْهِ بِإِبْلَاجِ

فَأَخْطَى إِذَا الْأَبْرَارُ قِيلَ لَهُمْ غَدًا  
هَلُمَّوا إِلَى دَارِ النَّعِيمِ فَرَاغُوا  
رَأَيْتُ بَنِيهَا مَا رَمَتْهُمْ سِهَامُهَا  
فَطَاشَتْ وَلَا حُمَّ الْحِمَامُ فَرَاغُوا  
فَعَجِبْتُ إِلَى دَارِ الْبَقَاءِ بِهِمَّتِي  
فَعِنْدِي عَنْهَا رَاحَةٌ وَفَرَاغُ

اللَّهُمَّ مكن محبة القرآن في قلوبنا ووقفنا لتلاوته آناء الليل والنهار اللهم وارزقنا العمل به والدعوة إليه واجعله حجة لنا وقائداً لنا إلى جنتك واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلي الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

#### " موعظة "

عِبَادَ اللَّهِ : إنما يسعد المسلمون أن يتبعوا الحق ويدعوا إليه ولا تأخذهم في الله لومة لائم ويقبلوا النصيحة ممن ينصحهم ويعملوا بها راضية نفوسهم شاكرة ألسنتهم غير مستكبرين ولا متعنتين ولم يعمهم الهوى عن اتباع الحق إذ ذاك تكمل لهم السعادة ويتم لهم النعيم وقد فشا في الناس داء الكبر واستحكمت ولا أقصد بذلك من الكبر الخيلاء والتبختر فقط وإنما أقصد كبر المتكبر عن قبول نصح الناصح وإرشاد المترشد فإن الأول وإن كان شراً لكن الثاني شر منه فإن المرء إذا لم يقبل نصيحة الناصح كان راضياً عن نفسه ومتي رضي عن نفسه عميت عن عيوبها فلا يؤثر فيها نصح ولا ينفع معها إرشاد لأن الغرور متحكم فيها والشهوات محيطة بها فإذا أراد الله بعبده خيراً بصره بعيوب نفسه فأصلحها واتهمها دائماً بالنقص وطالبها بالكمال حتى تلتحق بالنفوس الزكية والأرواح الطاهرة وهكذا كان سلفنا الصالح

فَكَانَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ : رَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا أَهْدَى إِلَيَّ عِيُوبَ نَفْسِي وَكَانُوا إِذَا أُرْشِدَهُمْ أَحْخُ مِنْ إِخْوَانِهِمْ إِلَى عَيْبٍ فِي نَفْسِهِمْ فَرَحُوا بِهَذَا التَّنْبِيهِ وَطَهَرُوا نَفْسَهُمْ مِنْهُ وَشَكَرُوا مِنْ نَصَحِهِمْ وَجَعَلُوا نَصِيحَتَهُ مَنَةً لَهُ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يَأْنِفُوا أَوْ لَمْ يَسْتَكْبِرُوا لِأَنَّهُمْ يَتَهَمُونَ نَفْسَهُمْ وَيُرَوِّعُهَا نَاقِصَةً وَيَسْعُونَ إِلَيَّ رَفَعْتُهَا إِلَى أَوْجِ الْكَمَالِ وَبِهَذَا بَلَّغُوا مَا بَلَّغُوا وَنَالُوا مَا نَالُوا ، يَا عِبَادَ اللَّهِ : كَيْفَ نَرْضِي عَنْ نَفْسِنَا وَاللَّهُ جَلَّ وَعَلَا يَقُولُ : (إِنَّ النَّفْسَ لِأَمَارَةٍ بِالسُّوءِ) عِبَادَ اللَّهِ : مَنْ مَنَّا بَلَّغَ مَعِشَارَ مَا بَلَغَهُ عَمْرٍ فِي كَمَالِ نَفْسِهِ وَقُوَّةِ إِيْمَانِهِ وَشِدَّةِ يَقِينِهِ وَقَدْ كَانَ يَقُولُ لِأَصْحَابِهِ : مَنْ رَأَى مِنْكُمْ فِيَّ اعْوَجَاجًا فَلْيَقُومِهِ هَكَذَا كَانَ ظَنُّهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِنَفْسِهِ عَلَى جَلَالَةِ قَدْرِهِ وَعُلُوِّ مَنَزَلَتِهِ فِي دِينِهِ وَكُلِّ مَا كَانَ أَكْبَرَ كَانَ أَقْلَ إِعْجَابًا بِنَفْسِهِ وَأَكْثَرَ مَطَالِبَةً لَهَا بِسُلُوكِ طَرِيقِ الْحَقِّ .

شِعْرًا: نَالُوا بِذَلِكَ فَرَحَةً وَسُرُورًا	وَسَعَوْا فَأَصْبَحَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا
قَوْمٌ أَقَامُوا لِلْإِلَهِ نَفُوسَهُمْ	فَكَسَا وَجُوهَهُمُ الْوَسِيمَةَ نُورًا
تَرَكُوا النَّعِيمَ وَطَلَّقُوا لَذَائِهِمْ	زُهْدًا فَعَوَّضَهُمْ بِذَلِكَ سُرُورًا
قَامُوا يُنَاجُونَ الْإِلَهَ بِأَذْمَعٍ	تَجَرِي فَتَحْكِي لَوْلَا مَنْثُورًا
سَتَرُوا وَجُوهَهُمْ بِأَسْتَارِ الدُّجَى	لَيْلًا فَأَضْحَتْ فِي النَّهَارِ بُدُورًا
عَمِلُوا بِمَا عَلِمُوا فَجَادُوا بِاللَّذِي	وَجَدُوا فَأَضْحَتْ حَظُّهُمْ مَوْفُورًا
وَإِذَا بَدَا لَيْلٌ سَمِعَتْ أَيْنُهُمْ	وَشَهِدَتْ وَجَدًا مِنْهُمْ مَوْفُورًا
تَعَبُوا قَلِيلًا فِي رِضَا مَحْبُوبِهِمْ	فَأَرَاخَهُمْ يَوْمَ الْمَعَادِ كَثِيرًا
صَبَرُوا عَلَى بَلْوَاهُمُومًا فَجَزَاهُمُومًا	يَوْمَ الْقِيَامَةِ جَنَّةً وَحَرِيرًا

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ أَهْلِ الصَّلَاحِ وَالنَّجَاحِ وَالْفَلَاحِ ، وَمِنَ الْمُؤَيَّدِينَ بِنَصْرِكَ وَتَأْيِيدِكَ وَرِضَاكَ وَصَلِيَّ اللَّهِ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

( فَصْلٌ )

وأما التكبر عَلَى خلق الله فهو من شر الرذائل وأسوأ الصفات ، لأنه يستلزم مظالم شائنة وجرائم ممقوتة وقد يفضي به ذَلِكَ إلى التكبر عَلَى الله وَعَلَى رسله لأن الله تعالى نهي عن ارتكاب تلك المظالم ، وحذر عاقبة شرها ، فلم يبال به ولم يخشَ وعيده ، ولم يخف بطشه ، وفي ذَلِكَ كبر وعتو وتمرد .

وأيضاً فإن المستعظم عَلَى عبد من عباد الله لا يصغي لقوله مهما كَانَ حقاً مفروضاً ولا يدخر مجهوداً في رده بالباطل وهذا من أخلاق الكافرين الَّذِينَ يستكبرون عَلَى الله فمن أجل ذَلِكَ حرم الله الكبر ونهي عنه نهياً شديداً ١ هـ بتصريف .

وقد وردت آيات وأحاديث في ذم الكبر والنهي عنه من ذَلِكَ آية سورة الأعراف المشيرة إلى حرمان الحق وعمي القلوب عن معرفة آيات الله تعالى وفهم أحكامه ، قال تعالى : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْعِغْيِ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾ .

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ وَقَالَ : ﴿ إِنَّهُ لَا يَجِبُ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ﴾ وَقَالَ : ﴿ وَلَا تَمْسِرْ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴾ وَقَالَ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ وَقَالَ : ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْسِرْ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ﴾ . وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : لا

ينظر الله يوم القيامة إلي من جر إزاره بطراً " . متفق عَلَيْهِ ، وعنه أن رسول الله ﷺ قال : " بينما رجل يمشي في حلة ، تعجبه نفسه مرجل رأسه ، يختال في مشيته خسف الله به فهو يتجلجل في الأرض إلي يوم القيامة " . متفق عليه .

وعن ثوبان رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : " من مات وهو بريء من الكبر والغلول والدين دخل الجنة " . رواه الترمذي واللفظ له والنسائي ، وابن ماجه وابن حبان في صحيحه .

وعن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : " يقول الله عز وجل : العز إزاري والكبرياء ردائي ، فمن نازعني شيئاً منهما عذبتة " . رواه مسلم بلفظ " يقول الله عز وجل : العز إزاره ، والكبرياء رداؤه ، فمن ينازعني عذبتة " .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : " يقول الله جل وعلا : الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحداً منهما ألقيته في النار " . رواه ابن ماجه واللفظ له وابن حبان في صحيحه .

وعن حارثة بن وهب رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : " إلا أخبركم بأهل النار ؟ . كل عتل جواظ مستكبر " . رواه البخاري ومسلم .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : " من تواضع لله درجة يرفعه الله درجة حتى يجعله الله في أعلى عليين ومن تكبر على الله درجة يضعه الله درجة ، حتى يجعله في أسفل سافلين ، ولو أن أحدكم يعمل في صخرة صماء ليس عليها باب ولا كوة لخرج ما غيبه للناس كائناً ما كان " رواه ابن ماجه وابن حبان في صحيحه .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : " احتجت الجنة والنار فقالت النار : في الجبارون والمتكبرون ، وقالت الجنة : في

ضعفاء المسلمِين ومساكينهم ، ففضي الله بينهما : إنك الجَنَّة رحمتي أرحم بك من أشاء ، وإنك النار عذابي أعذب به من أشاء ، ولكليكما عليّ ملؤها " . رواه مسلم .  
 وعن أبي سلمة ابن عبد الرحمن بن عوف قال : التقى عَبْدُ اللَّهِ بنُ عمر وعبدُ اللَّهِ بنُ عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَ عَلَى المروة فتحدثا ثُمَّ مَضَى عَبْدُ اللَّهِ بنُ عمرو وبقي عَبْدُ اللَّهِ بنُ عمر يكي فَقَالَ لَهُ رجل : ما يكيك يا أبا عبد الرحمن ؟ قال : هذا . يعني عَبْدُ اللَّهِ بن عمرو زعم أنه سَمِعَ رسولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : " من كَانَ فِي قَلْبِهِ مثقال حبة من خردل من كبر كَبَّهُ اللَّهُ لوجهه فِي النار " . رواه أَحْمَدُ ورواته رواية الصحيح . بلغ يا أخي هَذَا الْحَدِيثِ حَامِلِي الماجستير والدكتوراه والبكالوريوس والعالمية ونحوهم من يرون النَّاسَ بعين الاحتقار والتنقص لما عندهم من الكبر والعجب والعظمة .

شِعْرًا: لَوْ عَرَفَ الْإِنْسَانُ مِقْدَارَهُ      لَمْ يَفْخَرْ الْمَوْلَى عَلَى عَبْدِهِ  
 أَمْسَ الَّذِي مَرَّ عَلَى قُرْبِهِ      يَعْجَزُ كُلُّ الْخَلْقِ عَنْ رَدِّهِ

آخر :

لَا تَفْخَرَنَّ بِمَا أُوتِيتَ مِنْ نِعَمٍ      عَلَى سِوَاكَ وَخَفْ مِنْ مَكْرِ جَبَّارٍ  
 فَأَنْتَ فِي الْأَصْلِ بِالْفَخْرِ مُشْتَبِهٌ      مَا أَسْرَعَ الْكَسْرَ فِي الدُّنْيَا لِفَخَّارٍ

آخر :

اعْجَبْ لِمُحْتَكِرِ الدُّنْيَا وَبَانِيهَا  
 وَعَنْ قَرِيبٍ عَلَيَّ كُرْهُ يُخَلِّيهَا  
 دَارٌ عَوَاقِبُ مَفْرُوحَاتِهَا حَزْنٌ  
 إِذَا أَعَارَتْ أَسَاءَتْ فِي تَقَاضِيهَا  
 يَا مَنْ يُسَرُّ بِأَيَّامِ تَسِيرٍ بِهِ  
 إِلَى الْفَنَاءِ وَأَيَّامٍ يُقْضَى فِيهَا

قِفْ فِي مَنَازِلِ أَهْلِ الْعِزِّ مُعْتَبِرًا  
وَانظُرْ إِلَى أَيِّ شَيْءٍ صَارَ أَهْلُوهَا  
صَارُوا إِلَى حَدِّ فِيهِ مَحَاسِنُهُمْ  
عَلَى الثَّرَى وَدَوِي الدُّودِ يَعْلُوهَا

اللَّهُمَّ يسرنا لليسري وجنبا العسري واجعلنا هداة مهتدين واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين  
برحمتك يا أرحم الراحمين وصلي الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

" موعظة "

عِبَادَ اللَّهِ : لَقَدْ كَانَتِ الْقُلُوبُ مَوْضِعَ الْعَنَاءِ التَّامَةِ عِنْدَ السَّلَفِ الصَّالِحِ لِأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ كَمَا قَالَ  
النَّبِيُّ ﷺ : " إِذَا صَلَحَتِ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ " وَذَلِكَ لِأَنَّهَا مَبْدَأُ الْحَرَكَاتِ الْبَدَنِيَّةِ ، وَالْإِرَادَاتِ  
النَّفْسَانِيَّةِ ، فَإِنْ صَدَرَتْ مِنَ الْقُلُوبِ إِرَادَةٌ صَالِحَةٌ تَحْرِكُ الْبَدْنَ حَرَكَةً طَاعَةٍ ، وَإِنْ صَدَرَتْ عَنْهَا  
إِرَادَةٌ فَاسِدَةٌ تَحْرِكُ الْبَدْنَ حَرَكَةً فَاسِدَةً ، فَهُوَ كَمَلِكٍ وَالْأَعْضَاءِ كَالرَّعِيَّةِ ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الرَّعِيَّةَ  
تَصْلُحُ بِصَلَاحِ الْمَلِكِ وَتَفْسُدُ بِفَسَادِهِ ، وَكَانَ وَاجِبًا عَلَيْنَا أَنْ نَكُونَ كَمَا كَانَ سَلْفُنَا فِي الْعَنَاءِ  
بِهَاتِيكَ الْقُلُوبِ لِأَنَّ بِهَا سَعَادَتَنَا بِإِذْنِ اللَّهِ وَبِهَا شَقَاؤُنَا ، وَلَكِنْ يَا لِلْأَسْفِ مَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ  
شَيْءٍ وَالَّذِي كَانَ مِنْهُ أَنْ أَمَلْنَا قُلُوبَنَا إِهْمَالًا تَجْرَحُ لَهُ الْقُلُوبُ ، وَتَذُوبُ لَهُ الْأَكْبَادُ وَلِذَلِكَ نَشَأُ  
فِيْنَا نَتِيْجَةُ الْإِهْمَالِ كَثْرَةُ الْأَمْرَاضِ فِي الْقُلُوبِ وَتَشَعَّبَتْ وَأَعْضَلَتْ وَصَعِبَ شِفَاؤُهَا ، وَانْعَدَمَ  
أَطْبَاؤُهَا وَمَنْ وَصَلَ إِلَى هَذَا الْحَدِّ فَهُوَ فِي خَطَرٍ عَظِيمٍ .

فمن الأمراض التي أزمنت في قلوبنا مرض الرياء الذي لا يكاد يسلم منه إلا النوادر ، ومن  
الأمراض التي أصبنا بها مرض العجب ، ولهذا يعتقد



الصغِيرُ منا والكبير الكمال في نفسه ومن اعتقد ذلك في نفسه هوي لأنه لا يلتفت إلى ما به كمال الرجال ، ومرض ينتج مرضاً آخر هو مرض الكبر وصف الأندال والأردال والجهال ، والمتكبر لا ينظر إليه بعين الرضا والكبر ينشأ عنه مرض الحسد والحسود يتمني زوال نعمة الله عن خلقه ، والحسد يولد الحقد الذي ربما حمل صاحبه على قتل من لا ذنب له إلا ما أولاه الله من النعم ، وليس هذا كل ما في قلوبنا من الأمراض بل فيها مرض البخل والشح الذي وصل بنا إلى منع الزكاة أو بعضها ، وغير ذلك كثير وكلها أمراض مهلكات ، ونحن لا نهتم بقلوبنا ولا بأمراضها وإنما نهتم بأمراض أجسامنا ، ونبادر في علاجها إلى المستشفيات ، وأمراضها يسيرة بسيطة بالنسبة إلى أمراض القلوب ، ونهتم أيضاً بجمال ظواهرنا فنبالغ في تحسين ملابسنا ومراكبنا ومساكننا ومجالسنا وأبداننا ، انظر إلينا عند الذهاب إلى مقر العمل لتعجب من تغفيلنا وانخداعنا ، ولو كانت عنايتنا بالقلوب كعنايتنا بالملابس فقط ما كنا بهذه الحالات الخزونات .

شِعراً :

تَفَكَّرْتُ فِي الدُّنْيَا فَأَبْصَرْتُ رُشْدَهَا      وَذَلَّلْتُ بِالتَّقْوَى مِنْ اللَّهِ حَدَهَا  
أَسَأْتُ بِهَا ظَنًّا فَأَخْلَفْتُ وَعْدَهَا      وَأَصْبَحْتُ مَوْلَاهَا وَقَدْ كُنْتُ عَبْدَهَا

آخر: خَلِيلِي قَوْمًا فَاخْمِلًا لِي رِسَالَةً

وَقُولًا لِدُنْيَانَا الَّتِي تَتَصَنَعُ

عَرَفْنَاكَ يَا خِدَاعَةَ الْخَلْقِ فَادْهَبِي

أَلْسِنَا نَرَى مَا تَصْنَعِينَ وَنَسْمَعُ

فَلَا تَتَجَلَّى لِلْعُيُونِ بِزِينَةٍ

فَإِنَّا مَتَى مَا تَسْفُرِي نَتَقَبَّحُ

نُعْطِي بِثَوْبِ الْيَأْسِ عَنْكَ عُيُونَنَا

إِذَا لَاحَ يَوْمًا مِنْ مَخَازِنِكَ مَطْمَعُ

آخر :

رَبَعْنَا وَجُلْنَا فِي مَرَاغِيكَ كُلَّهَا  
فَلَمْ يَهَنْتَا فِي مَا رَعَيْنَاهُ مَرْتَعُ

آخر :

يَا آمِرِي بِاِقْتِنَاءِ الْمَالِ مُجْتَهِدًا      كَيْمَا أَعِيشُ لِمَالِي فِي غَدٍ رَغَدًا  
هَبْنِي بِجَهْدِي قَدْ أَصْلَحْتُ أَمْرَ غَدٍ      فَمَنْ ضَمِينِي بِتَخْصِيلِ الْحَيَاةِ غَدًا

اللَّهُمَّ أَرْنَا الْحَقَّ حَقًّا وَارزُقْنَا اتِّبَاعَهُ ، وَأَرْنَا الْبَاطِلَ بَاطِلًا وَجَنِّبْنَا اتِّبَاعَهُ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلَوْلَدِينَا  
وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلِي اللَّهِ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

( فَضْلٌ )

عن حذيفة رضي الله عنه قال : كنا مع النبي ﷺ في جنازة قال : "ألا أخبركم بشر عباد الله ؟ :  
الفظ المستكبر ، إلا أخبركم بخير عباد الله ؟ الضعيف المستضعف لله ، ذو الطمرين لا يؤبة له لو أقسم على الله لأبره" رواه أحمد ورواه رواة الصحيح إلا محمد بن جابر .  
وعن عبد الله بن سلام رضي الله عنه : أنه مر في السوق وعليه حزمة من حطب ، فقيل له ما يحملك على هذا ، وقد أغناك الله عن هذا ؟ قال أردت أن أدفع الكبر ، سمعت رسول الله ﷺ يقول " لا يدخل الجنة من في قلبه خردلة من كبر" رواه الطبراني بإسناد حسن والأصبهاني إلا أنه قال ذرة من كبر .

وعن عمرو بن شعيب رضي الله عنه عن أبيه عن جده قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان يساقون إلى سجن في جهنم يُقالُ لَهُ بولس ، تعلوهم نار الأنيار يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال . رواه النسائي والترمذي واللفظ له

وَقَالَ : حديث حسن وعن عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : " لا يدخل الجنة من كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ " فَقَالَ رَجُلٌ : إن الرجل يجب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة قال : إن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس " رواه مسلم والترمذي .

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : " من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إن إزارِي يسترخي إلا أن أتعاهده . فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : "إنك لست ممن يفعل خيلاء" رواه مالك والبخاري واللفظ له .

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : سمعت رسول الله ﷺ يَقُولُ : "من تعظم في نفسه واختال في مشيته لقي الله تبارك وتعالى وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانٌ" رواه الطبراني في الكبير واللفظ له ورواه محتج بهم في الصحيح والحاكم بنحوه وَقَالَ صحيح على شرط مسلم .

وعن خولة بنت قيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : "إِذَا مَشَتْ أُمَّتِي الْمُطِيطُ ، وخدمتهم فارس الروم ، سلط بعضهم على بعض" رواه ابن حبان في صحيحه ورواه الترمذي وابن حبان أيضاً من حديث ابن عمر ، وروري عن أسماء بنت عميس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، قَالَتْ : سمعت رسول الله ﷺ يَقُولُ : "بئس العبد عبد تخيل واختال ونسي الكبير المتعال ، بئس العبد عبد تجبر واعتدي ، ونسي الجبار الأعلى ، بئس العبد عبد سها ولها ، ونسي المقابر والبلي ، بئس العبد عبد عتي وطغي ، ونسي المبتدأ والمنتهي بئس العبد عبد يختل الدنيا بالدين ، بئس العبد عبد يختل الدين بالشبهات ، بئس العبد عبد طمع يقوده ، بئس العبد عبد هوي يضلّه ، بئس العبد عبد رغب يذله رواه الترمذي .

شِعْرًا: لَا تَبْخَلَنَّ بِدُنْيَا وَهِيَ مُقْبِلَةٌ فَلَا يَضُرُّ سِوَى التَّبْذِيرِ وَالسَّرْفِ  
وَإِنْ تَوَلَّتْ فَأَحْرَى أَنْ تَجُودَ بِهَا فَالشُّكْرُ مِنْهَا إِذَا مَا أَدْبَرَ خَلْفُ

آخر: إِنَّ الْمُؤْنَةَ وَالْحِسَابَ كِلَيْهِمَا قُرْنَا بِهِذَا الدَّرْهَمِ الْمَذْمُومِ  
كَلِفَ الْأَنَامِ بِدَمِّهِ وَبِضَمِّهِ فَتَعَجَّبُوا لِمَذْمَمِ مُضْمُومِ

وعن أبي هُرَيْرَةَ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزيهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم ، شيخ زان ، ومملك كذاب ، وعائل مستكبر " رواه مسلم والنسائي ، وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " أربعة يبغضهم الله البياع الخلاف والفقير المختال ، والشَّيْخُ الزَّانِي ، والإمام الجائر " . رواه النسائي وابن حبان في صحيحه .  
وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " عرض على أول ثلاثة يدخلون النار : أمير مسلط ، وذو ثروة من مال لا يؤدي حق الله فيه ، وفقير فخور " رواه ابن خزيمة وابن حبان في صحيحه .

وأخرج ابن ماجه والحاكم وصحح إسناده أن رسول الله ﷺ بصق يوماً على كفه ووضع أصبعه عليه وَقَالَ : " يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : ابن آدم أتعجزني وقد خلقتك من مثل هذه؟ حتى إذا سويتك وعدلتك ، مشيت بين بردين ، وللأرض منك وئيد ، جمعت ومنعت ، حتى إذا بلغت التراقي ، قُلْتُ أَتصدق ، وأني أوان الصدقة " وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلِيَ اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

شِعْرًا: دَعِ الْكِبَرَ وَاجْنَحِ لِلتَّوَاضُعِ تَشْتَمِلْ وَدَادَ مَنِيْعِ الْوِدِّ صَعْبُ مَرَأْفَةُ

وَدَاوِ بِلَيْنِ مَا جَرَحْتَ بَغْلَظَةً فَطَبُّ كَلَامِ الْمَرْءِ طِيبُ كَلَامِهِ

آخر: حَقِيقٌ بِالتَّوَاضُعِ مَنْ يَمُوتُ وَيَكْفِي الْمَرْءَ مِنْ دُنْيَاهُ قُوْتُ

فَمَا لِلْمَرْءِ يُصْبِحُ ذَا هَمُومٍ وَحِرْصٍ لَيْسَ يُدْرِكُهُ النُّعُوتُ

فِيَا هَذَا سَتَرَحَلُّ عَنْ قَرِيبٍ إِلَى قَوْمٍ كَلَامُهُمُ السُّكُوتُ

آخر: تَذَلُّلٌ لِمَنْ إِنْ تَذَلَّتْ لَهُ يَرَى ذَاكَ لِلْفَضْلِ لَا لِلْبَلَاءِ

وَجَانِبُ صِدَاقَةٍ مَنْ لَمْ يَزَلْ عَلَى الْأَصْدِقَاءِ يَرَى الْفَضْلَ لَهُ

آخر: إِذَا تَاهَ الصَّادِقُ عَلَيْكَ كِبْرًا فَتَهُ كِبْرًا عَلَى ذَاكَ الصَّادِقِ

فَإِجَابُ الْحُقُوقِ بِعَيْرِ رَاعٍ      حُقُوقَكَ رَأْسُ تَضْيِيعِ الْحُقُوقِ  
آخِر: تَوَاضَعُ إِذَا مَا نَلْتَ فِي النَّاسِ رِفْعَةً      فَإِنَّ رَفِيعَ الْقَوْمِ مَنْ يَتَوَاضَعُ  
وَدَاوِمٌ عَلَى حَمْدِ الْإِلَهِ وَشُكْرِهِ      وَذَكَرَ لَهُ فَهُوَ الَّذِي لَكَ رَافِعُ  
آخِر: يَا غَافِلًا عَنِ سَاعَةِ مَقْرُونَةٍ      بِنَوَادِبِ وَصَوَارِحِ وَثَوَاكِلِ

قَدَّمْ لِنَفْسِكَ قَبْلَ مَوْتِكَ صَالِحًا  
فَالْمَوْتُ أَسْرَعُ مِنْ نُزُولِ الْهَاطِلِ  
حَتَّى سَمِعَكَ لَا يَعْصِي لِمُذَكِّرٍ  
وَصَاصِمِيْمٌ قَلْبِكَ لَا يَلِينُ لِعَاذِلِ  
تَبْغِي مِنَ الدُّنْيَا الْكَثِيرَ وَإِنَّمَا  
يَكْفِيكَ مِنْ دُنْيَاكَ زَادُ الرَّاحِلِ  
آيُ الْكِتَابِ يَهْزُ سَمْعَكَ دَائِمًا  
وَتَضُمَّ عَنْهَا مُعْرِضًا كَالْغَافِلِ  
كَمْ لِلْإِلَهِ عَلَيْكَ مِنْ نِعَمٍ تُرَى  
وَمَوَاهِبٍ وَفَوَائِدٍ وَفَوَاضِلِ  
كَمْ قَدْ أَنَالَكَ مِنْ مَوَانِحِ طَوْلِهِ  
فَأَسْأَلُهُ عَفْوًا فَهُوَ غَوْثُ السَّائِلِ

اللَّهُمَّ مكن حبك في قلوبنا وأهمننا ذكرك وشكرك ووفقنا لامتثال طاعتك وأمرك واغفر لنا  
ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلي الله على محمد وآله وصحبه  
أجمعين .

## " موعظة "

عِبَادَ اللَّهِ : من تكبر أذله ومن تواضع لله رفعه الله والمتكبرون يحشرون يوم القيامة في صور الذر تطوهم الناس لهوانهم على الله تعالى المتكبرون شرار الخلق وأهل النار كُلُّ جعظري جواظ مستكبر ، المتكبر يشمخ بأنفه إِذَا تَكَلَّمَ ، ويجأفي مرفقيه عن جنبيه لاوياً عنقه ، يقارب خطاه إِذَا مشي ، متطاولاً على إخوانه ، مترفعاً على أقرانه ، ينظر الناس شظراً بمؤخر العين ، متقدماً علىهم إِذَا مشي ، محتقراً للعامة ، ولا فرق عنده بينهم وبين الحمير استهجالاً منه لهم ، فالمتكبر لا يجب للمؤمنين ما يجب لنفسه ، لأنه لا يقدر على ذلك ، ولا يقدر على التواضع وهو رأس أخلاق المتقين ، ولا يقدر على ترك الحقد ، ولا يقدر أن يدوم على الصدق ، ولا يقدر على ترك الغضب ، ولا على كظم الغيظ ، ولا يسلم من الازدراء بالناس واحتقارهم ولا يسلم من اغتياهم وتنقيصهم ، لأن فيه من العظمة والعزة والكبرياء ، ما يمنعه من ذلك ، فما من خلق ذميم إلا وصاحب الكبر والعظمة مضطر إليه ، ليحفظ به عزه وعظمته ، وما من خلق محمود إلا وهو عاجز عنه خوفاً من أن يفوته عزه وعظمته ، ولذلك ورد في الحديث أنه لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر ، ومما جاء في وصية لقمان لابنه ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ ومن تعاليم ربنا لهذه الأمة ونبيها عليه الصلاة والسلام ، بقول الله تعالى : ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا إِنَّكَ لَنْ تُخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴾ فيا أيها المتكبر الناظر في عطفيه ، المتعاضم في نفسه ، إن شأنك حقير ، وقدرك صغير ولست بمحسوب في العير ، ولا في النفير ، وما لك عند عاقل من حساب ، ولا تقدير ، لا قليل ولا كثير ، فهون عليك ، وارفق بنفسك ، فإنك مغرور ، يا مسكين وتدبر كلام رب العالمين ﴿ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ ، ﴿ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبئسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ ودم الكبر في القرآن كثير ، والمتكبر

عدو لله ولنفسه وللناس ، ويقصر في الواجب ويدعي ما ليس له ويتشدد في الكلام ، ويتألق في اللباس ، وإنه لثقيل في حركاته وسكناته ، بغيض في أمره ونهيه ، ومجالسته ، ومؤاكلته ومشاريته ، والويل لكل الويل لمن صاهره أو شاركه أو ربطته به صلة ، لأن داء الكبر يعدي ويسري فتبعد السلامة من المقرب منه رأي بعض أهل العلم من يختال في مشيته فغمز جنبه ، ثم قال لَيْسَتْ هذه مشية من في بطنه خراء ، وكيف يتكبر من أوله نطفة مذرة ، وآخره جيفة قذرة وهو مع ذلك يحمل البول والعدرة ، هذا أكبر برهان على أنه دنس جاهل مجهول نكرة ممتلئاً كبراً وإعجاباً بنفسه وسمعة ، ورياءً ، ولؤماً وشؤماً وشرهاً فهو أشبه شيء بالدخان يملأ الفضاء ويتك صدر الناس وأصله من القمامات والأوساخ المبعثرة ، نسأل الله أن يقلل هذا النوع المنحط وأن يكثر ضده من أهل التواضع واللين والعطف والحنان : قال الله تعالى ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ اللَّهُمَّ أنظمننا في سلك عبادك الأخيار ونجنا برحمتك من عذاب النار وأسكننا الجنة مع أوليائك الأبرار واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين يا أرحم الراحمين وصلي الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

### (فصل)

وللكبر آثار تظهر على الجوارح كلها تدور حول ذلك النظر ، فتري المتكبر إن سمح بممشاه مع الناس يكون متقدماً عليهم ، حريصاً جداً أن يكونوا كلهم خلفه ، وتراه إن جلس معهم ورضي أن يكونوا جلساءه ، محتفظاً بصدر المجلس مستقلاً به ويسره أن يصغوا إلى كلامه ، ويؤمله كلام غيره وتجده ينتظر من الناس أن يتلقوا كلامه بالقبول والتصديق .

شِعْرًا: وَمُسْتَعْبِدِ إِخْوَانَهُ بِشَرَائِهِ لَيْسَتْ لَهُ كِبْرًا أَبْرَ عَلَى الْكِبْرِ  
وَقَدْ زَادَنِي تَيْهًا عَلَى مُتَكَبِّرِ أَرَانِي أَغْنَى وَإِنْ كُنْتُ ذَا فَقْرِ

آخر: حَجَابٌ وَإِعْجَابٌ وَفَرَطٌ تَصَلَّفِ وَمَدُّ يَدٍ نَحْوَ الْعُلَى بِتَكْلُفِ  
 وَلَوْ كَانَ هَذَا مِنْ وَرَاءِ كِفَايَةِ عَدْرْنَا وَلَكِنْ مِنْ وَرَاءِ تَخْلُفِ  
 آخر: يَا قَلِيلَ الْقَدْرِ مَوْفُورَ الصَّلْفِ وَالَّذِي فِي تَيْهِ قَدْ حَازَ السَّرْفِ  
 كُنْ لَيْيَمًا وَتَوَاضَعْ تُحْتَمَلْ أَوْ سَخِيًا يُحْتَمَلْ مِنْكَ الصَّلْفِ  
 آخر: فَخَرَّ بِلَا حَسَبٍ عُجْبٌ بِلَا أَدَبِ كِبَرٌ بِلَا نَشَبٍ هَذَا مِنَ الْعَجَبِ  
 آخر: الْمَرْءُ يُعْجِبُنِي وَمَا كَلِمَتُهُ وَيُقَالُ لِي هَذَا اللَّيْبُ اللَّهْدُمُ  
 فَإِذَا قَدَحْتُ زِنَادَهُ وَوَرَيْتَهُ فِي الْكَفِّ زَافَ كَمَا يَزِيْفُ الدِّرْهَمُ

ومن آثار الكبر : تصعير الخد ، والنظر شزراً ، وإطراق رأسه ، وجلوسه متربعاً أو متكئاً .  
 وتظهر آثار الكبر أيضاً في أقوال المتكبر حتى في صوته ونغمته وصيغة كلامه في الإيراد وقيل  
 لأحمق تكبر وقام ساخطاً على أستاذه لماذا قمت فقال دخلت ولم يحترمني وجلست فلم يكرمني  
 ولم يدر من أنا واستشهد بقول الشاعر :

( وَلَوْ كَانَ إِدْرَاكُ الْهُدَى بِتَذَلِّ

رَأَيْتُ الْهُدَى أَنْ لَا أَمِيلَ إِلَى الْهُدَى )

آخر: كَالثَّوْرِ عَقْلاً وَمِثْلُ التَّيْسِ مَعْرِفَةً فَلَا يُفَرِّقُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْفَنَدِ  
 الْجَهْلُ شَخْصٌ يُنَادِي فَوْقَ هَامَتِهِ لَا تَسْأَلِ الرَّبْعَ مَا فِي الرَّبْعِ مِنْ أَحَدِ  
 آخر: وَمَنْ أَمِنَ الْآفَاتِ عُجْباً بِرَأْيِهِ أَحَاطَتْ بِهِ الْآفَاتُ مِنْ حَيْثُ يَجْهَلُ  
 آخر: وَمَا رَفَعَ النَّفْسَ الْوَضِيعَةَ كَالثُّقَى وَلَا وَضَعَ النَّفْسَ الرَّفِيعَةَ كَالْكُفْرِ

ويظهر أيضاً أثر الكبر في مشيه وتبختره وقيامه وجلوسه وحركاته وسكناته وفي تعاطيه لأفعاله ،  
 وفي سائر تقلباته في أحواله وأقواله وأعماله .

وفي كتاب الخمول والتواضع لابن أبي الدنيا عن أبي بكر الهذلي قال : بينما نحن مع الحسن ،  
 إذ مر عليه ابن الأهمم يريد المنصور وعليه جباب خز ، قد نضد بعضها فوق بعض على ساقه  
 ، وانفرج عنها قباؤه وهو



يمشي ويتبختر ، إذ نظر إليه الحسن نظرة فَقَالَ : أف أف ، شامخ بأنفه ثاني عطفه ، مصعر حده ، ينظر في عطفه أي حميق ينظر في عطفه في نعم غير مشكورة ولا مذكورة ، غير المأخوذ بأمر الله فيها ، ولا المؤدي حق الله منها والله أن يمشي أحدهم طبيعته يتلجلج تلجلج الجنون في كل عضو منه نعمة وللشيطان بها لعنة ، فسمعه ابن الأهم ، فرجع يعتذر إليه ، فَقَالَ : لا تعتذر إليّ وتب إلي ربك ، أما سمعت قول الله تعالى : ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴾ .

ورأي ابن عمر رجلاً يخطر في مشيته فَقَالَ : إن للشياطين إخواناً .

وروي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال : من أراد أن ينظر إلي رجل من أهل النار فلينظر إلي رجل قاعد وبين يديه قوم قيام ، وَقَالَ أنس : لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله ﷺ ، وكأثوا إذا رأوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهته لذلك .

ومن آثار الكبر أن المتكبر يحرص جداً على أن يمشي معه غيره ويكون الماشي معه خلفه ، وكان عبد الرحمن بن عوف لا يعرف من بين عبيده إذ كان لا يظهر في صورة ظاهرة ، ومشى قوم خلف الحسن البصري فمنعهم ، وكان ﷺ في بعض الأوقات يمشي مع بعض أصحابه فيأمرهم بالتقدم ويمشي في غمارهم ، إما لتعليم غيره أو لينفي عن نفسه وساوس الشيطان بالكبر والإعجاب .

ومن آثار الكبر أن يستنكف من جلوس غيره معه بالقرب منه إلا أن يجلس بين يديه ، والتواضع خلافه ، ومنها أن لا يتعاطي شغلاً في بيته ، وَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ كما روت عائشة - في مهنة أهله يعني خدمتهم ، من آثار الكبر أن لا يحمل متاعه إلي بيته ولو كان لا يثقله ، وَهُوَ خلاف التواضع ، فَقَدْ كَانَ ﷺ يفعل ذَلِكَ ، وَقَالَ عَلِيُّ كرم الله وجهه : لا ينقص الرجل الكامل من

كماله من شيء إلا عياله ، وكان أبو عبيدة يحمل سطلاً له من خشب إلى الحمام وهو أمير .

وقال ثابت بن مالك : رأيت أبا هريرة أقبل من السوق يحمل حزمة حطب وهو يومئذ خليفة لمروان ، فقال أوسع الطريق للأمير يا ابن مالك ، وعن الأصبغ بن نباتة قال : كأني أنظر إلى عمر رضي الله عنه معلقاً لحماً في يده اليسري وفي يده اليمنى الدرّة يدور في الأسواق حتى دخل رحله ، وقال بعضهم رأيت علياً رضي الله عنه قد اشترى لحماً بدرهم فحملة في ملحفته ، فقلت له أحمل عنك يا أمير المؤمنين ، فقال لا ، أبو العيال أحق أن يحمل .

وروي أن عمر بن عبد العزيز أتاه ليلة ضيف وكان يكتب فكاد السراج يطفأ ، فقال الضيف : أقوم إلي المصباح فأصلحه فقال : ليس من كرم الرجل أن يستخدم ضيفه ، قال : أفأنبه الغلام؟ فقال : هي أول نومة نامها . فقام فأخذ البطة فملاً المصباح زيتاً ، فقال الضيف : قمت أنت بنفسك يا أمير المؤمنين! فقال : ذهبت وأنا عمر ورجعت وأنا عمر ما نقص مني شيء وخير الناس من كان عند الله متواضعاً ومن آثار الكبر تطويل الشارب الضي يسمي شنبات كأنها ريش الجعل إذا ابتداء بالطيران أو نزل قبل أن يدخله ، قال الله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا ﴾ .

وكذلك إمالة العقال إلى الجبهة أو إلى جانب الرأس .

ومن آثاره إسبال الثياب والتفاخر بها .

وحكي أن مطرف بن عبد الله بن الشخير نظر إلى المهلب بن أبي صفرة وعليه حلة يسحبها ويمشي الخيلاء ، فقال مطرف : يا عبد الله ما هذه المشية التي يبغضها الله ورسوله فقال المهلب : أما تعرفني وتنهاني مما رأيت فقال : بل أعرفك أولك نطفة مذرة وأحرك جيفة قدرة وحشوك فيما بين ذلك بول وعذرة ، قال بعضهم .

شِعْرًا: يَا مَنْ تَلَبَّسَ أَثْوَابًا يَتِيَهُ بِهَا تَيْهَ الْمُلُوكِ عَلَى بَعْضِ الْمَسَاكِينِ  
 مَا غَيْرَ الْجُلِّ أَخْلَاقَ الْحَمِيرِ وَلَا نَفْسُ الْبِرَازِعِ أَخْلَاقَ الْبِرَازِينِ  
 آخِر: مَلِيءٌ بِبَهْرٍ وَالتَّفَاتِ وَسَعْلَةٍ وَمَسْحَةٍ عُنُونٍ وَقَتْلِ الْأَصَابِعِ  
 آخِر: أَيُّهَا الْمُدْعَى الْفَخَارَ دَعِ الْفَخْرَ رِ لِيذِي الْكِبْرِيَاءِ وَالْجَبْرُوتِ  
 نَسْجُ دَاوُودَ لَمْ يُفِدْ لَيْلَةَ الْغَا رِ وَكَانَ الْفَخَارِ لِلْعَنْكَبُوتِ  
 وَبَقَاءِ السَّمَنْدَلِ فِي لَهَبِ النَّا رِ مُزْبِلٍ فَضِيلَةَ الْيَاقُوتِ

يَا مُظْهِرَ الْكِبَرِ إِعْجَابًا بِصُورَتِهِ

انْظُرْ خَالَكَ فَإِنَّ التَّتِنَ تَثْرِيْبُ

لَوْ فَكَّرَ النَّاسُ فِي مَا فِي بُطُونِهِمْ

مَا اسْتَشْعَرَ الْكِبْرَ شُبَّانٌ وَلَا شَيْبُ

هَلْ فِي ابْنِ آدَمَ مِثْلَ الرَّأْسِ مَكْرَمَةٌ

بِأَرْبَعِ هُوَ فِي الْأَقْدَارِ مَضْرُوبُ

أَنْفٍ يَسِيلُ وَأُذُنٌ رِيحُهَا سَهْكُ

وَالْعَيْنُ مُرْفُضَةٌ وَالتَّغْرُ مُلْعُوبُ

يَا ابْنَ الثَّرَابِ وَمَا كُؤَلُ الثَّرَابِ غَدًا

أَقْصُرْ فَإِنَّكَ مَا كُؤَلُ وَمَشْرُوبُ

ومن آثاره : جعل خاتم ذهب أو ساعة فيها ذهب . ومن آثار الكبر جعل الكبكات في أكمام الثياب ، وَقَالَ زَيْدُ بْنُ وَهْبٍ : رَأَيْتُ عَمْرَ بْنَ الْحُطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خَرَجَ إِلَى السُّوقِ ، وَبِيَدِهِ الدَّرَّةُ ، وَعَلَيْهِ إِزَارُهُ فِيهِ أَرْبَعُ عَشْرَةَ رَقْعَةً بَعْضُهَا مِنْ جِلْدِ وَعُوتِبَ عَلَيَّ كَرَمَ اللَّهِ وَجْهَهُ فِي إِزَارِ مَرْقُوعٍ ، فَقَالَ : يَقْتَدِي بِهِ الْمُؤْمِنُ وَيَخْشَعُ لَهُ الْقَلْبُ . أَيْنَ هَؤُلَاءِ مِنْ أَهْلِ زَمَانِنَا الْمَظْلَمِ .  
 ومن آثار الكبر : الأكل أو الشرب باليسار وهو خلاف السنة والعقل

والأدب . فإن اليسار لما يستكره كالاستجمار والاستنجاء والتمنحط وإخراج ما في الأنف . أو في الجروح من صديد وغسل الأوساخ والنجاسات ، أو لما يحرم ويستقذر كالدخان والخمر ، وإيمني على العكس للأكل والشراب والتسوك والتطيب ، وتقديمها للسلام وللمناولة ونحو ذلك مما هو لائق بها .

شِعْرًا: وَتَاهَ سَعِيدٌ أَنْ أَفِي دَوْلَايَةَ      وَقُلِّدَ أَمْرًا لَمْ يَكُنْ مِنْ رِجَالِهِ  
وَأَذْبَرَ عَنِّي عِنْدَ إِقْبَالِ حَظِّهِ      وَغَيْرَ حَالِي عِنْدَهُ حُسْنُ حَالِهِ  
وَضَاقَ عَلَيَّ حَقِّي بِعُقْبِ اتِّسَاعِهِ      فَأَوْسَعْتُهُ عُذْرًا لِضَيْقِ اخْتِمَالِهِ

وقد يصل الكبر ومثله العجب - بصاحبه إلى أن يورده موارد الكفر برب العالمين ، كما حصل للمتكبرين على الله ورسله ، فمن ذلك ما روي أن رجلاً كان جالساً في طريق فمرت به امرأة فقالت : يا عبد الله كيف الطريق؟ فقال يا هناة أمثلي يكون من عبيد الله؟ وخطب رجل آخر في الناس ، فلما انتهى من خطبته قال له بعض الناس . أكثر الله من أمثالك فقال لهم : لقد كلفتم الله شططا . أي أمراً بعيداً ومشقاً نعوذ بالله تعالى من حاله . وحالة أمثاله قللهم الله في المسلميين . وآخر أضل راحلته فالتمسها فلم يجدها فقال : إن لم يرد الله إلي راحلتي لا صليت له صلاة أبداً ، فالتمسها الناس فوجدوها ، فقالوا له : قد رد الله عليك راحلتي فصل ، فقال : إن يميني مصر ، كأنه يهدد الله ، نعوذ بالله من ذلك وآخر دخل مسجد البصرة فبسط ناس له أرديتهم تعظيماً له ، فمشي عليها وقال لرجل يماشيه : (لمثل هذا فليعمل العاملون) اقتباساً من آية الصفات ، إلى هذا الحد يصل الكبر بأهله قال ابن القيم رحمه الله :

وَسَلِ الْعِيَادَ مِنَ التَّكْبَرِ وَالْهَوَى  
فَهُمَا لِكُلِّ الشَّرِّ جَامِعَانِ  
وَهُمَا يَصُدَانِ الْفَتَى عَنْ كُلِّ طُرْ  
قِ الْخَيْرِ إِذْ فِي قَلْبِهِ يَلْجَأَانِ  
فَتَرَاهُ يَمْنَعُهُ هَوَاهُ تَارَةً  
وَالكِبْرُ أَخْرَى تُمَّ يَجْتَمَعَانِ

وَاللَّهِ مَا فِي النَّارِ إِلَّا تَابِعٌ

هَٰذِينَ فَاسْأَلْ سَاكِنِي النَّيِّرَانِ

آخر: قَدْ يَطْفَحُ اللَّوْمُ حَتَّىٰ إِنَّ صَاحِبِهِ  
يَنْسِي الْحَيَاةَ فَيَعْدُ يَدْعِي الْكَرَمَا  
إِنَّ الْجَهَالََةَ إِنْ كَانَتْ قَدَىٰ بَصَرٍ  
رَأَى الضَّلَالَ هُدَىٰ وَاسْتَسَمَنَ الْوَرَمَا  
كَمْ مِنْ أَرَادَلٍ أَطْعَمَهَا سَفَهَاتُهَا  
حَتَّىٰ إِدْعَتْ وَهِيَ أَذْنَابًا لَهَا الشَّمَمَا  
إِنَّ عُدَّتِ الْوَحْشُ مَا عُدَّتْ وَلَا بَقَرٌ  
أَوْ عُدَّتِ الطَّيْرُ مَا عُدَّتْ وَلَا رَحَمَا  
وَالنَّاسُ كَالنَّاسِ فِي خَلْقٍ وَبَيْنَهُمُوا  
فِي الْخُلُقِ بُؤُنٌ فَذَا أَرْضٌ وَذَا سَمَا

ونصيب المتكبر من الناس أن يزدروه ويحتقروه ويمتحنوه ويمقتوه ، ويعملوا خلاف ما يفهمون أنه  
يجبه منهم حتى يدعوهم يغلي من معاملتهم غيظاً وحقداً ، ولو أمكن الناس أن يجعلوا المتكبر  
دائماً في غموم وهموم لما تأخروا عن ذلك ، فالتاس هُتم كرامة يفعلون بمن يكرهونه من أجل أنه  
يحتقرهم ويمتحن كرامتهم ويرى نفسه فوقهم فهم يدركون أنه لئيم لا يتوضع إلا إذا أهنته ولا  
يعرف نفسه إلا إذا احتقرته وعاملته مثل معاملته وأنه ينطبق عليه قول الشاعر :

فِي النَّاسِ مَنْ لَا يُرْتَجَى نَفْعُهُ  
إِلَّا إِذَا مُسَّ بِأَضْرَارِ  
كَالْعُودِ لَا تَطْمَعُ فِي رِيحِهِ  
إِلَّا إِذَا أُخْرِقَ بِالنَّارِ  
آخر: يَا مَنْ تَبَرَّمْتَ الدُّنْيَا بَطْلَعْتَهُ  
كَمَا تَبَرَّمْتَ الْأَجْفَانَ بِالسُّهُدِ  
يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ مُخْتِئًا فَأَحْسِبُهُ  
لِثَقْلِ طَلْعَتِهِ يَمْشِي عَلَى كَيْدِي  
آخر: لَا تَلْطَقَنَّ بِي لُؤْمٌ فَتُطْغِيَهُ  
أَغْلَظُهُ يَأْتِيكَ مَطْوَعًا وَمَذْعَانَا  
إِنَّ الْحَدِيدَ ثَلَيْنُ النَّارِ فَسَوْتُهُ  
وَلَوْ صَبَّتَ عَلَيْهِ الْبَحْرَ مَا لَانَا  
آخر: الْكَلْبُ إِنْ جَاعَ لَمْ يُعِدْمَكَ بَصْبَصَةً  
وَإِنْ يَنْلِ شِبَعَةً يَنْبَحُ عَلَى الْآثَرِ  
آخر: أَهْنُ عَامِرًا تَكْرُمٌ عَلَيْهِ وَإِنَّمَا  
أَخُو عَامِرٍ مَنْ مَسَّهُ بِهِوَانِ

آخر: إِنَّ ذَا اللُّؤْمِ إِذَا أَكْرَمْتَهُ حَسِبَ الْاِكْرَامَ حَقًّا لِرَمَكُ  
فَاهِنُهُ إِنَّهُ مِنْ لُؤْمِهِ إِنَّ تَسْمُهُ بِهِوَانِ اَكْرَمَكُ  
آخر: ائِنَانِ بُغْضُهُمْ غَالِبًا عِنْدَ الْكَثِيرِ مُتَكَبِّرُ فِي نَفْسِهِ وَيَخِيلُ

وأما نصيب المتكبر من الله فكما سمعت من الآيات الكريمة ، والأحاديث الشريفة التي إذا سمعها المتواضع الموفق فتش على نفسه خشية أن يكون قد دخل عليه الكبر وهو غافل عنه .

عَجِبْتُ لِمَا تَتَوَقَّ النَّفْسُ جَهْلًا إِلَيْهِ وَقَدْ تَصَرَّمَ لِإِنِّيَاتِ  
وَعَصِيَانِي الْعَذُولِ وَقَدْ دَعَانِي

إِلَى رُشْدِي وَمَا فِيهِ نَجَاتِي  
أَوْمَلُ أَنْ أَعِيشَ وَكُلُّ يَوْمٍ

بِسَمْعِي رَتْنَةً مِنْ مَعْوَلَاتِي  
وَأَيْدِي الْحَافِرِينَ تَكِلُ مَمَّا

تُسَوِّي مِنْ مَسَاكِينِ مُوَحِّشَاتِ  
نُرَاعُ إِذَا الْجَنَائِزُ قَابَلَتْنَا

وَنَسْكُنُ حِينِ تَخْفَى ذَاهِبَاتِ  
كَرْوَعَةٍ ثَلَاثَةٍ لَطُفُورِ ذُنُوبِ

فَلَمَّا غَابَ عَادَتْ رَاتِعَاتِ  
فَإِنْ أَمَلْتَ أَنْ تَبْقَى فَسَائِلِ

بِمَا أَفْنَى الْقُرُونِ الْخَالِيَاتِ  
فَكَمْ مِنْ ذِي مَصَانِعٍ قَدْ بَنَاهَا

وَشَيَّدَهَا قَلِيلُ الْخَوْفِ عَاتِي  
قَلِيلُ الْهَمِّ ذِي بَالٍ رَخِي

أَصَّامَ عَنِ النَّصَائِحِ وَالْعِظَمَاتِ

فَبَاتَ وَمَا يُرَوِّعُ مِنْ زَوَالٍ  
صَاحِبًا ثُمَّ أَصْبَحَ ذَا شِكَاةٍ  
فَبَاكَرَهُ الطَّيِّبُ فَرِيْعَ لَمَّا  
رَأَهُ لَا يُجِيبُ إِلَّا السُّدْعَاةَ  
فَلَوْ أَنَّ الْمُفْرَطَ وَهُوَ حَيٌّ  
تَوُحَّى الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ  
لَفَارَ بِغِبْطَةٍ وَأَصَابَ حَظًّا  
وَلَمْ يَغْشَ الْأُمُورَ الْمُؤَيَّقَاتِ  
فِيَالِكَ عِنْدَهَا عِظْمَةٌ لِحَيٍّ  
وَيَا لِكَ مِنْ قُلُوبٍ قَاسِيَاتِ  
وَكُلُّ أَحْيٍ ثَرَاءٍ سَوْفَ يُمْسِي  
عَٰدِيمًا وَالْجَمِيْعُ إِلَى شَتَاتِ  
كَأَنَّ لَمْ يُلَفَّ شَيْءٌ مَا تَقْضَى  
وَلَيْسَ بِفَائِتٍ مَا سَوْفَ يَأْتِي

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ سُوءِ الْقَضَاءِ وَشِمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ ، وَعُضَالِ الدَّاءِ ، وَخِيبةِ الرَّجَاءِ وَزَوَالِ  
النِّعْمَةِ وَفجَاءَةِ النِّقْمَةِ ، وَنَسْأَلُكَ أَنْ تَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدِينَا ، وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ  
الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فَصُلِّ لِلْكَبْرِعِلَاجِ قَدْ ذَكَرَهُ الْعُلَمَاءُ : أَوَّلًا أَنْ يَعْرِفَ الْإِنْسَانُ رَبَّهُ وَيَعْرِفَ نَفْسَهُ ، فَإِنَّهُ إِذَا عَرَفَ  
رَبَّهُ حَقَّ الْمَعْرِفَةِ عَلِمَ أَنَّهُ لَا تَلِيْقَ الْعِظْمَةَ وَالْكِبْرِيَاءَ إِلَّا بِاللَّهِ ، وَإِذَا عَرَفَ نَفْسَهُ عَلِمَ أَنَّهُ ضَعِيفٌ  
ذَلِيلٌ لَا يَلِيْقُ بِهِ إِلَّا الْخُضُوعُ لِلَّهِ وَالتَّوَاضُّعُ وَالدُّلَّةُ ، قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ \*  
مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ \* مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ \* ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ \* ثُمَّ أَمَانَهُ فَأَقْبَرَهُ \* ثُمَّ إِذَا شَاءَ  
أَنْشَرَهُ ﴾ .

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئاً مَّذْكُوراً ﴾ ﴿ ففِي الآيات الإِشارة إلى خلق الإنسان وإلى آخر أمره وإلى وسطه ، أما أوله فهو أنه لم يكن شيئاً مذكوراً وَقَدْ كَانَ فِي حَيْزِ العدم دهوراً ، ثُمَّ خلقه العزيز الحكيم من ترابٍ ثُمَّ من نطفةٍ ثُمَّ من علقةٍ ثُمَّ من مضغةٍ ثُمَّ جعله عظماً ثُمَّ كسا العظام لحماً ، فَقَدْ كَانَ هَذَا بداية وجوده أولاً جماداً لا يسمع ولا يبصر ولا يحس ولا يتحرك ولا ينطق ولا يبيض ولا يدرك ولا يعلم ، كَذَا خلقه الله .

ثُمَّ امتن عَلَيْهِ فَقَالَ : ﴿ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسِّرُهُ ﴾ ﴿ أي بينه وأوضحه وسهله ، كما فِي قوله تعالى : ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ ﴾ ﴿ فالله جَلَّ وَعَلَا هُوَ الَّذِي أَحيا الإنسان بعد أن كَانَ جماداً ميتاً ، تراباً أولاً ونطفة ثانياً ، وأسمعه بعد أن كَانَ أصم وبصره بعد ما كَانَ فاقداً البصر ، وقواه بعد الضعف ، وعلمه بعد الجهل ، كما قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ .

فمن كَانَ هَذَا أوله ، وهذه أحواله ، فمن أين لَهُ البطر والأشر والكبرياء والخيلاء ؟ وَهُوَ الضعيف الحقير بالنسبة إلى قدرة البارئ جَلَّ وَعَلَا كما قال تعالى : ﴿ أَلَمْ نُخْلُقْكُمْ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾ ﴿ وَقَالَ : ﴿ خَلَقْنَاهُمْ مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿ وَقَالَ : ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ، خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ﴾ ﴿ فليأمل العاقل هل يليق الكبر بمن هَذَا أوله ، وآخره أنه يسلب روحه وسمعه وبصره وعلمه وقدرته وحسه وإدراكه وحركته وجماله وَجَمِيعِ أحواله ، فيعود كما كَانَ أولاً جماداً ، لا يبقى إلا شكل أعضائه وصورته فِيه ولا حركة ، ثُمَّ يوضع فِيه ذَا التُّراب فيصير جيفة منتناً ، كما كَانَ فِي الأول نطفة مدرة ، تبلي أعضاؤه وتتفتت أجزاءه ، وتنخر عظامه ويصير رميمًا وفاتاً ويأكل الدود أجزاءه ،



ويكون جيفةً يهرب منه كُلُّ حيوان ويستقذره الإنسان ، وأحسن أحواله أن يعود تراباً كما كَانَ ، ثُمَّ يَحْيِيهِ الَّذِي خَلَقَهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَيُقَاسِي البلاء والشدائد وأهوال المعجزات ، فيخرج من قبره كما أخبر تعالى بقوله : ﴿ يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعاً كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴾ ﴿ فينظر إلى قيامة قائمة ، وسماء منفرجة مشققة ، وأرض مبدلة ، وجبال مسيرة ، ونجوم منكدرة ، وشمس منكسفة ، وأحوال مظلمة وملائكة غلاظ شداد ، وجهنم تزفر قال تعالى : ﴿ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذُّكْرَى ﴾ ينظر إليها المجرم فيتحسر ، ويرى صحائف منشورة ، فيقول : ﴿ اقْرَأْ كِتَابَكَ ﴾ فيه جميع عمله من أوله إلى آخره ﴿ يُنْبَأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴾ قال تعالى : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ \* وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ ، وَقَالَ : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ \* كِرَاماً كَاتِبِينَ \* يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ .

فما لمن هَذَا حاله ومآله والتكبر والتعاضم والتجبر ، بل مآله وللفرح في لحظة واحدة ، فضلاً عن الأشر والبطر ، قال ρ : " لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ ، لَضَحَكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيراً وَمَا تَلْدُذْتُمْ بالنساء عَلَى الْفَرْشِ " . فَهَذَا مِنْ أَحْسَنِ الطَّرِيقِ لِتَذْيِيلِ النَّفْسِ وَحَمْلِهَا عَلَى الْخُضُوعِ التَّوَاضِعِ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ .

وأما العلاج الثاني فهو : التواضع لله بِالْفِعْلِ ولسائر الخلق بالمواظبة عَلَى أَخْلَاقِ الْمُتَوَاضِعِينَ الْمُتَبَعِينَ لَطَرِيقَةِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ وَمَنْ جَمَلَتْهَا مَا فِيهَا مِنَ التَّوَاضِعِ بِالْمَثُولِ قَائِماً وَبِالرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ " إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ آكُلُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ " وَقَدْ ذَكَرْنَا نَمُودَجاً مِنْ تَوَاضِعِهِ ρ فِي فَضْلِ التَّوَاضِعِ مِنْ أَحَبِّ الزِّيَادَةِ فَيَرْجِعُ إِلَيْهِ قَالَ بَعْضُ مَنْ رَضِيَ بِالْكَفَافِ وَقَنِعَهُ

الله بما آتاه ومن عليه بالتواضع .

أَيَا لِأَيْمِي مَالِي سِوَى الْبَيْتِ مَوْضِعُ  
 أَرَى فِيهِ عِزًّا إِنَّهُ لِي أَنْفَعُ  
 فِرَاشِي وَنَطْعِي فَرَوْتِي فَرَجِيَّتِي  
 لِحَافِي وَأَكْلِي مَا يَسُدُّ وَيُسَبِّغُ  
 وَمَرْكُوبِي الْآنَ الْأَتَانُ وَنَجَلُهَا  
 لِأَخْلَاقِ أَهْلِ الدِّينِ وَالْعِلْمِ أَتْبَعُ  
 وَقَدْ يَسِرَ اللَّهُ الْكَرِيمُ بِفَضْلِهِ  
 غَنَى النَّفْسِ مَعَ شَيْءٍ بِهِ أَتَقَنَّعُ  
 أَوْفَرُهُ لِلْأَهْلِ خَوْفًا يَرَاهُمْ  
 عَادُوا بِعَيْشِ ضَيْقٍ فَيُشَبِّعُ  
 وَأَصْبِرُ فِي نَفْسِي عَلَى مَا يُنُونِي  
 وَأَطْلُبُ عَفْوَ اللَّهِ فَالْعَفْوُ أَوْسَعُ  
 وَمَا دُمْتُ أَرْضَى بِالْيَسِيرِ فَإِنِّي  
 غَنِيٌّ لِعَيْرِ اللَّهِ مَا كُنْتُ أَخْضَعُ  
 وَرَبِّي قَدْ آتَانِي الصَّبْرَ وَالْغِنَى  
 عَنِ النَّاسِ فِي هَذَا لِي الْعِزُّ أَجْمَعُ  
 وَقَدْ مَرَّ مِنْ عُمْرِي ثَلَاثُ أَعْدُهَا  
 وَسِتُونَ فِي رَوْضٍ مِنَ اللَّطْفِ أَرْتَعُ  
 وَوَجْهِي مِنْ ذُلِّ التَّبَذْلِ مُقْفَرُ  
 مُقَالٌ وَمِنْ عِزِّ الْقِنَاعَةِ مُوسَعُ

وَمِنْ حُسْنِ ظَنِّي أَنَّ ذَا يَسْتَمِرُّ لِي      إِلَى الْمَوْتِ إِنَّ اللَّهَ يُعْطِي وَيَمْنَعُ  
وَأَنِّي لَا أَلْجَأُ إِلَى غَيْرِ بَابِهِ      فَأَبْقَى كَمَا قَدْ قِيلَ وَالْقَوْلُ يُسْمَعُ  
نُوقِعُ دُنْيَانَا بِتَمَزِينِ دِينِنَا      فَلَا دِينُنَا يَبْقَى وَلَا مَا نُرْقِعُ  
فَطُوبَى لِعَبْدٍ آتَرَ اللَّهَ رَبَّهُ      وَجَادَ بِدُنْيَاهُ لِمَا يُتَوَقَّعُ

اللَّهُمَّ انفعنا بما علمتنا ، وعلمنا ما ينفعنا ، ووقفنا للعمل بما فهمتنا ، اللَّهُمَّ إن كنا مقصرين في حفظ حقك ، والوفاء بعهدك ، فأنت تعلم صدقنا في رجاء رفقك ، وخالص ودك ، اللَّهُمَّ أنت أعلم بنا منا ، فبكمال جودك تجاوز عنا ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ، الأحياء مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وصلي الله على مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .  
فصل : ولا يتم التواضع بعد المعرفة إلا بِالْعَمَلِ ، ولذلك أمر العَرَبُ الَّذِينَ تَكْبَرُوا عَلَى اللَّهِ ورسوله بالإيمان وبالصَّلَاةِ جَمِيعاً ، وقيل الصَّلَاةُ عماد الدين ، وفي الصَّلَاةِ أسرار لأجلها كانت عماد الدين ، ومن جملتها ما فيها من التواضع بالمثل قائماً وبالركوع والسجود ، قال حكيم بن حزام : بايعت النَّبِيَّ ﷺ عَلَى أَنْ لَا آخِرَ قَائِماً ، فبايعه ﷺ ثُمَّ فَقَهُ وَكَمَلَ إِيمَانَهُ بَعْدَ ذَلِكَ ، فَلَمَّا كَانَ السَّجُودَ عِنْدَهُمْ هُوَ مُنْتَهَى الذَّلَّةِ وَالضُّعْفِ أَمَرُوا بِهِ لِتَنَكُّسِ بِذَلِكَ خِيَلَاؤُهُمْ ، وَيَزُولُ كِبَرُهُمْ ، وَيَسْتَقِرُّ التَّوَاضُعُ فِي قُلُوبِهِمْ ، وَبِهِ أَمْرٌ سَائِرُ الْخَلْقِ ، فَإِنَّ الرُّكُوعَ وَالسَّجُودَ وَالْمَثُولَ قَائِماً هُوَ الَّذِي يُقْتَضِيهِ التَّوَاضُعُ فَكَذَلِكَ مِنْ عَرَفَ نَفْسَهُ ، فَيَنْظُرُ كُلُّ مَا يَتَقَاضَاهُ الْكِبَرُ مِنَ الْأَفْعَالِ فَلِيَوَاطِبَ عَلَى نَقِيضِهِ ، حَتَّى يَصِيرَ التَّوَاضُعُ لَهُ خَلْقاً ، فَإِنَّ الْقُلُوبَ لَا تَتَخَلَّقُ بِالْأَخْلَاقِ الْحَمُودَةَ إِلَّا بِالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ .

شِعْرًا: إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَحْفَظْ ثَلَاثًا فَخَلَّهِ      وَرَى الظُّهْرَ وَاصْحَبَ طَالِبًا لِّلسَّلَامَةِ  
فَأَوْلُهَا الْإِخْلَاصُ لِلَّهِ وَحُدَّهُ      وَثَانِيهَا تَابِعَ مَنْ أَتَى بِالرَّسَالَةِ

وَنَالَتْهَا جَنبٌ هُدَيْتَ تَكْبَرًا      لِتَسْلَمَ مِنْ نَارِ الْجَحِيمِ الْعَظِيمَةِ  
ومن كان يعتربه الكبر من جهة النسب ، فليداو قلبه بأمرين أولاً : أن هذا جهل من حيث أنه  
تقوي وتعزز بكمال غيره وإنما يحصل له بكماله .  
قال الشاعر :

لَعَمْرُكَ مَا الْإِنْسَانُ إِلَّا ابْنُ يَوْمِهِ      عَلَى مَا تَجَلَّى يَوْمَهُ لَا ابْنَ أُمَّسِهِ  
وَمَا الْفَخْرُ بِالْعَظْمِ الرَّمِيمِ وَإِنَّمَا      فِخَارُ الَّذِي يَبْغِي الْفِخَارَ بِنَفْسِهِ  
وَقَالَ آخِرَ فِيمَنْ افْتَخَرَ بِآبَائِهِ ذَوِي الشَّرَفِ مَعَ رِءَايَتِهِ فِي نَفْسِهِ :

لَكِنَّ فَخْرَتَ بِآبَاءِ ذَوِي شَرَفٍ      لَقَدْ صَدَقْتَ وَلَكِنْ بِئْسَ مَا وَلَدُوا  
آخِر: وَإِذَا افْتَخَرْتَ بِأَعْظَمِ مَقْبُورَةٍ      فَالْنَّاسُ بَيْنَ مُكَذِّبٍ وَمُصَدِّقٍ  
فَاقِمِ لِنَفْسِكَ بِانْتِسَابِكَ شَاهِدًا      بِحَدِيثِ مَجْدِ اللَّقْدِيمِ مُحَقَّقٍ  
آخِر: إِذَا الْمَرْءُ لَمْ تَسْتَأْنِفِ الْمَجْدَ نَفْسُهُ      فَلَا خَيْرَ فِي مَا أَوْرَثْتَهُ جُدُودُهُ  
آخِر: وَمَا يُجْدِي افْتِخَارَكَ بِالْأَوَالِي      إِذَا لَمْ تَفْتَخِرْ فَخْرًا جَدِيدًا

الثاني أن يعرف نسبه الحقيقي ، فيعرف أباه وجده فإن أباه القريب نطفة قدرة ، وجده البعيد  
تراب ذليل ، وقد عرفه الله تعالى نسبه فقال جل علا : (الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ وَبَدَأَ خَلْقَ  
الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ، ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ) فمن أصله التراب المهين الذي  
يداس بالأقدام ثم خمر طينه حتى صار حمًا مسنوناً كيف يتكبر؟

شِعْرًا: عَجِبْتُ مِنْ مُعْجَبٍ بِصُورَتِهِ      وَكَانَ بِالْأُمْسِ نُطْفَةً مَذِرَةً  
وَفِي غَدٍ بَعْدَ حُسْنِ طَلْعَتِهِ      يَصِيرُ فِي اللَّحْدِ جِنْفَةً قَذِرَةً  
وَهُوَ عَلَى تَيْهِهِ وَنَخْوَتِهِ      مَا بَيْنَ جَنْبِهِ يَحْمِلُ الْعَذِرَةَ  
آخِر: إِذَا كَبُرَتْ نَفْسُ الْفَتَى قَلَّ عَقْلُهُ      وَأَمْسَى وَأُضْحَى سَاخِطًا مُتَعَبِّيًا

وَأَنَّ جَاءَ يَسْتَقْضِي مِنَ النَّاسِ حَاجَةً      يَرَى أَنَّهَا حَقٌّ عَلَيْهِمْ مُرْتَبًا  
وَأَنَّ طَالِبُوهُ أَوْ أَبْوَهُ بِحَقِّهِمْ      لَوَى وَجْهَهُ غَيْظًا عَلَيْهِمْ وَقَطْبًا  
يَرَى أَنَّ كُلَّ النَّاسِ قَدْ خُلِقُوا لَهُ      عَيْدًا وَفِي كُلِّ الْقُلُوبِ مُحِبًّا  
فَلَا يَرْتَضِي إِنْ لَمْ يَكُنْ تَحْتَ أَمْرِهِ      مِنَ الْكُونِ يَجْرِي مَا أَرَادَ وَمَا أَبَى

وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

( فَصْلٌ )

وإن كان التكبر بالجمال فدواؤه أن ينظر إلى باطنه نظر العقلاء ، ولا ينظر إلى الظاهر نظر البهائم ، ومهما نظر إلى باطنه رأى من القبائح ما يكدر عليه تعززه بالجمال ، فإن الأقدار في جميع أجزائه ، فالرجيع في أمعائه ، والبول في مثانته والمخاط في أنفه ، والبزاق في فمه ، والوسخ في أذنيه ، والدم في عروقه ، والصديد تحت بشرته والصنان تحت إبطه ، يغسل الغائط بيده كل يوم مرتين أو ثلاثاً ليخرج من باطنه ما لو عاينه لاستقذره ، فضلاً عن أن يمسه أو يشمه ، فهل يليق بمن هذه حاله الكبر والتعاضم . كلا ما يليق به إلا التواضع للذي أوجده .

وفي أول أمره خلق من النطفة وفي بطن أمه يتغذي بدم الحيض ، وأخرج من مجري البول مرتين ، قال طاووس لعمر بن عبد العزيز - قبل توليه الخلافة وزهده في الدنيا - : ما هذه مشية من في بطنه خراء ، إذ رآه يتبخر ، فإذا نظر إلى أنه خلق من ماء مهين ، وأسكن في أقدار ، وسيموت فيصير جيفة لم يفتخر بجماله الذي هو كخضراء الدمن ، كيف ولو كان جماله باقياً ، وجسمه عن هذه الأشياء خالياً ، لكان يجب عليه أن لا يتكبر ، ويعلم أن هذا عرضة للزوال بمرض أو حرق أو قرحة أو برص أو تشويه ، فمعرفة هذا تماماً تنزع بإذن الله من القلب داء الكبر والعجب لمن أكثر تأملها .

شِعْرًا:      لَيْسَ الْكَرِيمُ الَّذِي إِنْ نَالَ مَكْرُمَةً      أَوْ نَالَ مَالًا عَلَى إِخْوَانِهِ تَاهَا

الْحُرَيْرُ دَادٌ لِلْإِخْوَانِ مَرْحَمَةٌ      إِنَّ نَالَ فَضْلاً مِنَ الرَّحْمَنِ أَوْجَاهَهَا

وإن كان التكبر بالقوة فالعلاج أن يعلم أن القوة لله جميعاً ويعلم ما سلط عليه من العلل والأمراض ، وأنه لو أصابه عود يسير ودخل في لحمه لأقلق راحته ، وأقض مضجعه ولو وجع أصبع أو عرق من عروق بدنه لتألم وصار أعجز من كل عاجز ، وأذل من كل ذليل ، وأن البعوضة والجرثومة الدقيقة إذا سلطت عليه أهلكته وإن حمي ساعة تحلل من بدنه ما لا ينجبر بالمدّة الكثيرة ، قال الشاعر :

وَلَا تَمْشِي فَوْقَ الْأَرْضِ إِلَّا تَوَاضِعاً

فَكَمْ تَحْتَهَا قَوْمٌ هُمْ مِنْكَ أَرْفَعُ

وَأِنْ كُنْتَ فِي عِزٍّ رَفِيعٍ وَمَنْعَةٍ

فَكَمْ مَاتَ مِنْ قَوْمٍ هُمْ مِنْكَ أَمْنَعُ

فمن كان هذه حاله فلا يليق به الكبر ، ثم من البهائم ما هو أقوى بكثير منه ، وأي افتخار وتعظيم في صفة يسبقه فيها الحمار . والبغل والثور والفيل .

وإن كان التكبر بالمال فبأن يعرف ويعلم أنه عرض زائل ، وفي معناه التكبر بكثرة الأتباع والأنصار ، ويُقال لها كثرة الشعبية ، وكذلك التكبر بولاية السلاطين والأمراء ، وكل ذلك تكبر بأمر خارجي أي خارج عن ذات الإنسان وهذا أقبح أنواع الكبر ، فإن المتكبر بماله أو عقاره لو ذهب ماله أو انهدم عقاره أو تلف لعاد في لحظة ذليلاً من أذل الخلق وكل متكبر بأمر خارج عن ذاته من أجهل الخلق ، كيف والمتكبر بالمال لو تأمل لرأي في إيهود والنصارى وغيرهم من الكفرة من يزيد عليه في المال والتجمل والثروة ، فأف لشرف يسبقك به يهودي ونحوه ، ويأخذه سارق أو نحوه في لحظة ،

فيعود صاحبه ذليلاً حقيراً مفلساً .

وإن كَانَ الكبر بالعلم - وَهُوَ أعظم الآفات ، وأغلب الأدواء وأبعدها عن قبول العلاج إلا بشدة شديدة ، وَلِذَلِكَ قال عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : العَالِمُ إِذَا زَلَّ بِزَلَّتِهِ عَالِمٌ فَيَعجز العَالِمُ أَنْ لَا يستعظم نَفْسُهُ بالإضافة إلى الجاهل ، لكثرة ما نطق به الشرع من فضائل العلم وأهله - فَلَا بُدَّ للعَالِمِ من معرفة أمرين : أحدهما أن يعلم أن حجة الله عَلَى أَهْلِ العلم آكد ، وأنه يحتمل من الجاهل ما لا يحتمل من العَالِمِ ، قال الله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ فَإِنَّ من عصي الله عَلَى علم ومعرفة أعظم جنابة ممن عصي الله عَلَى جهل ، لأن العَالِمِ لم يقض حق نعمة الله عَلَيْهِ وَلِذَلِكَ قال النَّبِيُّ ﷺ : " يَجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحَمَارُ فِي الرَّحِي فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ ، فيقولون : يا فلان ما لك ؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهي عن المُنْكَرِ فَيَقُولُ بلي كنت أمر بالمعروف ولا آتية ، وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتَيْتِهِ " رواه البخاري ومسلم . فَإِذَا تَفَكَّرَ فِيمَا أَمَامَهُ مِنَ الْخَطَرِ الْعَظِيمِ وَعَلِمَ مَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلْفُ الصَّالِحُ الصَّحَابَةُ فَمِنْ بَعْدِهِمْ مِنَ التَّوَضُّعِ وَالْخَوْفِ مِمَّا أَمَامَهُمْ مِنَ الْأَهْوَالِ وَالْكَرْبَاتِ وَالشَّدَائِدِ ، امتنع بإذن الله من الكبر ، فَقَدْ كَانَ بعض الصحابة يَقُولُ : ليتني لم تلدني أُمِّي ، وَيَقُولُ الْآخَرُ ليتني شجرة تعضد ويأخذ الآخر تبنه وَيَقُولُ : يا ليتني كنت هذه التبنة ، وَيَقُولُ الْآخَرُ : ليتني كنت طيراً أوكل ، وَيَقُولُ الْآخَرُ : ليتني لم أكن شيئاً مذكوراً .

شِعْرًا:

لَا يُدْرِكُ الْعَلِيَا عَلَى التَّحْقِيقِ      إِلَّا مَنْ اسْتَقَامَ فِي الطَّرِيقِ  
وَجَنَّبَ التَّلْفَازَ وَالْمِذْيَاعَ      وَكُورَةَ وَسَائِرَ الْمَالَهِي

شِعْرًا:

وَأَحْسَنُ أَخْلَاقِ الْفَتَى وَأَجْلُهَا  
تَوَاضَعُهُ لِلنَّاسِ وَهُوَ رَفِيعُ  
وَأُقْبَحُ شَيْءٍ أَنْ يَرَى الْمَرْءُ نَفْسَهُ  
رَفِي عَاً وَعِنْدَ الْعَالَمِينَ وَضِيعُ

الثاني : أن العالم يعرف أن الكبر لا يليق إلا بالله عزَّ وجلَّ الَّذِي (إِلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) وأنه إذا تكبر صار ممقوتاً عِنْدَ اللَّهِ بغيضاً ، وقد أحب الله منه أن يتواضع ، وأن يفكر في خطر الخاتمة ، فكم من إنسان مزدري محقر لكفره أو فسقه فتح الله عَلَيْهِ باب التوبة والإنبابة ، فأقبل عَلَى اللَّهِ فسعد بِذَلِكَ وشهد لَهُ بِالْجَنَّةِ كعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وبالعكس فكم من إنسان عمل بعمل أهل الْجَنَّةِ زمناً طويلاً وفي آخر الأمر عمل بعمل أهل النار فيدخلها كثعلبة وبلعام ونحوهما ممن ارتد عن الإسلام وفي حديث ابن مسعود قوله ρ : "إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الْجَنَّةِ حتي ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عَلَيْهِ الْكِتَابُ فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتي ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عَلَيْهِ الْكِتَابُ فيعمل بعمل أهل الْجَنَّةِ فيدخلها" متفق عليه .

فمهما بلغ المرء من العلم والتقوى والورع والزهد فهو في خطر من سوء الخاتمة التي عَلَيْهَا الْمُدَارُ ، فبملاحظتها يتلاشي الكبر بإذن الله .

ومن أضر ما عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِلْمَاءِ هَذَا الزمان الشهادات الحالية التي يسمونها دكتوراه وماجستير وعالمية وبكالوريوس ونحو ذَلِكَ لأن من حصل عَلَيْهَا رآي من لم يحصل عَلَيْهَا بعين الاحتقار والامتهان والازدراء وَمَعَ ذَلِكَ فهي عِنْدَ بَعْضِهِمْ مضعفة للتوكل عَلَى اللَّهِ من قبل الرزق يؤيد ذَلِكَ ما يجري عَلَى ألسنة كثير مِنْهُمْ بقولهم لمن لم يحصل عَلَيْهَا أمن حياتك أحصل عَلَى شهادة . ونسوا قول الله تعالى : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ وقوله ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ وقوله ﴿ وَعَلَى اللَّهِ



فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٥٥٣﴾ . وكثير من أولئك أهملوا التوكل على الله وتوكلوا على الشهادة المذكورة .

شِعْرًا: سَعَى رِجَالٌ لِنَيْلِ الرِّزْقِ وَاجْتَهَدُوا      لَا بُدَّ مِنْ سَبَبٍ لِلرِّزْقِ فِي الطَّلَبِ  
حُسْنُ الدُّعَاءِ مَفَاتِيحُ الْغِنَى وَعَلَى      رَبِّ الْعِبَادِ إِجَابَاتُ الْمَطَالِبِ  
أَتَطْلُبُ رِزْقَ اللَّهِ مِنْ عِنْدِ غَيْرِهِ

وَتُضَيِّحُ مَنْ خَوْفِ الْعَوَاقِبِ آمِنَا  
وَتَرْضَى بِصَرَافٍ وَإِنْ كَانَ مُشْرِكًا  
ضَامِنًا وَلَا تَرْضَى بِرَبِّكَ ضَامِنًا  
كَأَنَّكَ لَمْ تَقْرَأْ بِمَا فِي كِتَابِهِ  
فَأَصْبَحْتَ مَنْحُولَ الْيَقِينِ مُبَايِنَا

يشير إلى قول الله تعالى : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ وقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ﴾ .

ومن أمعن نظره في الناس وسيرهم وجد ذلك بكثرة ، ووجد عندهم من الطغيان والأبهة والكبر الشيء الكثير ، يظهر ذلك على ألسنتهم وهيئاتهم نسأل الله العصمة لنا وإخواننا المسلمين .

بَاتُوا عَلَى قَلِيلِ الْأَجْبَالِ تَحْرِسُهُمْ  
غُلِبَ الرَّجَالِ فَلَمْ تَنْفَعَهُمُ الْقُلُوبُ  
وَاسْتَنْزَلُوا بَعْدَ عِزٍّ عَنْ مَعَاذِهِمْ  
إِلَى مَقَابِرِهِمْ يَا بئْسَ مَا نَزَلُوا  
نَادَاهُمْ صَارِخٌ مِنْ بَعْدَمَا دُفِنُوا  
أَيُّنَ الْأَسْرَةِ وَالتَّيْجَانُ وَالْحَلَالُ  
أَيُّنَ الْوُجُوهُ التِّي كَانَتْ مُحَجَّبَةً  
مِنْ دُونِهَا تُضْرَبُ الْأَسْتَارُ وَالْكَالُ

فَأَفْصَحَ الْقَبْرُ عَنْهُمْ حِينَ سَاءَ لَهُمْ  
تِلْكَ الْوَجُوهُ عَلَيْهِمُ الدُّوْدُ يَقْتَسِلُ  
قَدْ طَالَ مَا أَكَلُوا فِيهَا وَمَا شَرِبُوا  
فَأَصْبَحُوا بَعْدَ طَوْلِ الْأَكْلِ قَدْ أَكَلُوا  
وَطَالَ مَا كَنَزُوا الْأَمْوَالَ وَادَّخَرُوا  
فَخَلَّفُوهُمَا عَلَى الْأَعْدَاءِ وَارْتَحَلُوا  
وَطَالَ مَا شَيَّدُوا دُورًا لِتُحْصِنَهُمْ  
فَفَارَقُوا الدُّورَ وَالْأَهْلِيْنَ وَانْتَقَلُوا  
أَضْحَتْ مَسَاكِينُهُمْ وَخَشَاءٌ مُعْطَلَةٌ  
وَسَاكِنُوهَا إِلَى الْأَجْدَاثِ قَدْ رَحَلُوا  
سَلَّ الْخَلِيفَةَ إِذْ وَافَتْ مَنِيئُهُ  
أَيِّنَ الْجُنُودُ وَأَيِّنَ الْخَيْلُ وَالْخَوَلُ  
أَيِّنَ الْكُنُوزِ الَّتِي كَانَتْ مَفَاتِحُهَا  
تَنْوُءُ بِالْعُضْبَةِ الْمُقْوِينَ لَوْ حَمَلُوا  
أَيِّنَ الْعَيْدِ الَّتِي أَرْصَدَتْهُمْ عُدَدًا  
أَيِّنَ الْحَدِيدِ وَأَيِّنَ الْبَيْضِ وَالْأَسَلِ  
أَيِّنَ الْفَوَارِسِ وَالْغِلْمَانِ مَا صَنَعُوا  
أَيِّنَ الصَّوَارِمِ وَالْخَطِيئَةِ الذُّبُلِ  
أَيِّنَ الْكَمَاةِ أَلَمْ يَكْفُوا خَلِيفَتَهُمْ  
لَمَّا رَأَوْهُ صَرِيحًا وَهُوَ وَبَتَهُ لُ

أَيْنَ الْكَمَاءُ الَّتِي مَاجُوا لِمَا غَضِبُوا  
أَيْنَ الْحَمَاءُ الَّتِي تُحْمَى بِهَا الدُّوْلُ  
أَيْنَ الرَّمَاءُ أَلَمْ تَمْنَعِ بِأَسْهُمِهِمْ  
لَمَّا أَتَتْكَ سِهَامُ الْمَوْتِ تَنْتَصِلُ  
هَيْهَاتَ مَا كَشَفُوا ضَيْمًا وَلَا دَفَعُوا  
عَنْكَ الْمَنِيَّةَ إِذْ وَافَى بِكَ الْأَجَلُ  
وَلَا الرُّشَى دَفَعْتَهَا عَنْكَ لَوْ بَدَلُوا  
وَلَا الرُّقَى نَفَعَتْ فِيهَا وَلَا الْحِيَلُ  
مَا سَاعَدُوكَ وَلَا وَاسَاكَ أَقْرَبُهُمْ  
بَلْ سَأَلَمُوكَ لَهَا يَا قُبْحَ مَا فَعَلُوا  
مَا بَالُ قَبْرِكَ لَا يَأْتِي بِهِ أَحَدٌ  
وَلَا يَدُورُ بِهِ مِنْ بَيْنِهِمْ رَجُلٌ  
مَا بَالُ ذِكْرِكَ مَنْسِيًّا وَمُطْرَحًا  
وَكُلُّهُمْ بِافْتِسَامِ الْمَالِ قَدْ شُغِلُوا  
مَا بَالُ قَصْرِكَ وَحَشًا لَا أَنْيَسَ بِهِ  
يَغْشَاكَ مِنْ كَنْفِيهِ الرُّوْعُ وَالْوَهْلُ  
لَا تُنْكِرَنَّ فَمَا دَامَتْ عَلَى مَلِكٍ  
إِلَّا أَنْخَ عَلَيْهِ الْمَوْتِ وَالْوَجَلُ  
وَكَيْفَ يَرَجُّو دَوَامَ الْعَيْشِ مُتَّصِلًا  
وَرُؤُوحَهُ بِجِبَالِ الْمَوْتِ مُتَّصِلُ  
وَجِسْمُهُ لِبُنْيَاتِ الرَّدَى غَرَضُ

## وَمَا لَهُ زَائِلٌ عَنْهُ وَمُنْتَقِلٌ

اللَّهُمَّ امنن عَلَيْنَا بِاصْلَاحِ عِيُونِنَا وَاجْعَلِ التَّقْوِيَّ زَادِنَا وَفِي دِينِكَ اجْتِهَادِنَا وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَاعْتِمَادِنَا اللَّهُمَّ ثَبِّتْنَا عَلَى نَهْجِ الْاِسْتِقَامَةِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا اَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلِي اللهُ عَلٰى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ اَجْمَعِينَ .

## فَصْلٌ فِي الْعُضْبِ وَالتَّحْذِيرِ مِنْهُ

اعلم وفقنا الله وإيَّاكَ وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ وَجَنَّبْنَا وَإِيَّاكَ وَإِيَاهُمْ كُلَّ خَلْقٍ رَذِيلٍ : أن ممَّا يتأكد اجتنابه في رمضان وفي غيره الْعُضْبِ إِلَّا أن تنتهك محارم الله فيغضب لما يغضب الله ويملك نفسه فيما عدا ذلك إِلَّا أن يبغى عَلَيْهِ وتعريف الْعُضْبِ أنه قوة أودعها الله في الإنسان تثور من باطنه فتحمله على الدفاع عما يحبه من الأغراض وتدفعه إلى البطش بكل ما يؤذيه فإذا اعتدى عَلَيْهِ معتد أو حيل بينه وبين أغراضه تثور تلك القوة فيغلي دمه وينتشر في العروق ويرتفع إلى أعالي البدن فيظهر أثره على الوجه والعينين .

وَالْعُضْبُ من مداخل الشيطان إلى قلب الإنسان فإن الْعُضْبُ غول العقل وإذا ضعف جند العقل هجم جند الشيطان ومهما غضب الإنسان لعب الشيطان به كما يلعب الصبية بالكرة .

وللغضب ثلاث درجات : أولاً درجة الاعتدال وَذَلِكَ بأن يغضب ليدفع عن دينه أو نفسه أو ماله أو يغضب ليدافع عن الحقوق العامة ونصرة المظلومين وتلك الحالة هي التي من أجلها خلق الله الْعُضْبُ فهو مخلوق لحكمة ولولا أن الله جعل ذلك في الإنسان لفسدت الأرض بانتشار الفوضى وتقويض دعائم النظم الاجتماعية والدينية لأن من لا يغضب لعرضه لا يغار لنسائه فتختلط الإنساب وتعم الفوضى في ذلك الباب ويصبح الإنسان

كالحيوانات التي يسطو بعضها على بعض بدون غيرة ولا حمية ولا معرفة لما يترتب على ذلك من التناسل الذي به حياة النوع الإنساني وبقاء العمران إلى الاجل الذي قدره الله له في ذلك الوجود .

ومن لا يغضب لنفسه فإنه يكون معرضاً للزوال من هذا الوجود أو معرضاً لأن يسخره غيره كما تسخر الدواب التي لا تغضب لنفسها .

ومن لا يغضب لماله فإنه لا يلبث أن يسلبه الناس منه ويصبح فقيراً معدماً وإذا فشى سلب المال فإن نظام العمل يتعطل وتبطل الأعمال التجارية والصناعية والزراعية ويعتمد الناس على سلب بعضهم بعضاً .

ومن لا يغضب لدينه فإنه في الغالب لا يستقر على دين لأن اختلاف طبائع الناس واختلاف أنظارتهم من أكبر البواعث على اختلاف معتقداتهم فمن لا يغار على دينه يكون عرضة لتقليد القوي في كل ما يراه فينتقل من دين إلى دين .

وهكذا فخلق الله العصب ليحمي الناس بعضهم بعضاً فيستقر النظام ويقف كل واحد عند الحد الذي قدر الله له فيه هذه الحياة قال الله تعالى : ﴿ وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ . وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ . وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ .

وللغضب أسباب كثيرة تختلف باختلاف أحوال الناس وطبائعهم واستعدادهم للتأثر بالأشياء فنذكر طرفاً منها ليجتنبها الإنسان ، فمنها الجدال والمرح والسخرية بالناس نعوذ بالله والاستهزاء بهم وإطلاق اللسان في

السب واللعن والغيبة ومن ذلك الكبر والعجب لأن المتكبر المعجب بنفسه يتأثر كلما فاته ما يعتقد أنه يناه عظمته وخيلاءه فإذا طالبه أحد بحق اهتاج غضبه وهكذا إذا نهي عن رذيلة لأنه من سخافة عقله يعتقد أنه كامل من كل وجه فلا يصح لأحد عنده أن يأمره أو ينهاه أو يقف في سبيله أو يتقدم عليه وهو في الواقع ناقص من كل وجه ويحاول أن يجبر نفسه بكبريائه وعظمته وهو مغرور .

وَمَنْ جَهَلَتْ نَفْسُهُ قَدْرَهُ

رَأَى غَيْرَهُ مِنْهُ مَا لَا يَرَى

ومن أسباب الغضب مصاحبة الاشرار الذين لا يفرقون بين الممدوح والمذموم من الغضب فيحسبون التهور والطيش شجاعة ويعدون طغيان الغضب الموجب للظلم رجولة ويتبجحون بذلك فيقول الواحد منهم : أنا الذي لا أصبر على مكروه ، ولا على مكر ولا أحتمل من أحد أمراً ، ومعناه حقيقة : لا عقل في ولا حلم يذكر في معرض الفخر بالجهل فإذا سمعه الجاهل رسخ في ذهنه حسن الغضب وحب التشبه بالقوم فيقوي به الغضب ، ومهما اشتدت نار الغضب وقوي اضطرامها أعمت صاحبها وأصمته عن كل موعظة فإذا وعظ لم يسمع بل زاده ذلك غضباً وإذا استنار بنور عقله وراجع نفسه لم يقدر إذا ينطفئ نور العقل وينمحي في الحال بدخان الغضب والعياذ بالله .

فإن معدن الفكر الدماغ ويتصاعد عند شدة الغضب من غليان دم القلب دخان مظلم إلى الدماغ يستولي على معادن الفكر وربما يتعدى إلى معادن الحس فتظلم عينه وتسود عليه الدنيا ويكون دماغه على مثال كهف اضطرمت فيه النار فاسود جوه وحمي مستقره وامتلاّت بالدخان جوانبه وكان

فيه سراج فانمحي أو انطفأ فلا تثبت فيه قدم ولا يسمع فيه كلام ولا يري فيه صورة ولا يقدر على إطفائه لا من داخل ولا من خارج بل ينبغي أن يصبر إلي أن يحترق جميع ما يقبل الاحتراق فكذلك يفعل العصب في القلب والدماغ ، وزمما تقوي نار العصب فتفني الرطوبة التي فيها حياة القلب فيموت صاحبه غيظاً كما تقوي النار في الغار فيتفكك وتهدم أعاليه على أسفله وذلك لأبطال النار ما في جوانبه من القوة المسكة الجامعة لأجزائه فهكذا حال القلب عند العصب نسأل الله العافية والسلامة .

وبالحقيقة فالسفي نة في متلاطم الأمواج عند اضطراب الرياح في لجة البحر أحسن حالاً وأرجي سلامة من النفس المضطربة غيظاً إذ في السفي نة من يحتال ويتسبب لتسكينها وتديبرها وينظر لها ويسوسها بإذن الله وأما القلب فهو صاحب السفي نة وقد سقطت حيلته إذ أعماه العصب وأصمه انتهى .

ومن أسباب العصب : فوات اللذات والشهوات من مطعم ومشرب ومسكن ونحو ذلك لكن إن كانت هذه الأشياء مملوكة له وحيل بينه وبينها ، فإن كان بدون مبرر شرعي فله أن يغضب حتى يسترده ويكون فيه ذه الحالة ليس مذموماً ثم إن كان الذي فاته ضرورياً له كان العصب واجباً من أجله وإن كان كمالياً كان العصب من أجله جائزاً وإن كان حراماً عليه أو غير مملوك له كان العصب مذموماً .

شِعْراً : لَا تَغْضَبَنَّ عَلَيَّ أَمْرِي لَكَ مَانِعٌ مَا فِي يَدِيهِ  
وَغَضَبٌ عَلَيَّ الطَّمَعُ الَّذِي اسْتَدْعَاكَ تَطْلُبُ مَا لَدَيْهِ

ومن أسباب العصب : الوشايات والنمائم فمن الناس من يغضب لمجرد وشاية نقلت إليه عن بعض الناس أو لمجرد نيمة بلغت من تمام بدون أن يتثبت في الأمر فيعتدي على الأبرياء بإزالتهم عن أعمالهم ، أو نقلهم عنها إلى محلات لا يرغبونها ، أو يتسبب لقطع ما هو ماش لهم من

أرزاق أو يؤذيهم في أبدانهم أو يقدح في أعراضهم أو ينشر الزوجة أو بالعكس بأن ينشر الزوج إلى غير ذلك من الجرائم التي تترتب على العصب ورتما كانت الكلمة التي نقلت إليه على فرض صدورها لا تساوي شيئاً من غضبه ، وذلك شر ما يترتب على العصب من الظلم فعلى من كانت نفسه تتأثر بمثل ذلك أن يعالجها بالتثبت حتى إذا تأكد من صدق ما نقل إليه كان له الحق في أن يدفع عن نفسه بقدر ما أصابه بدونبغي ولا عدوان والعفو في مثل هذه الحال أفضل خصوصاً إذا أنكر المنقول عنه ما نسب إليه فإن الإنكار اعتذار يستوجب الرأفة والرحمة وبالتالي فمن نظر الدنيا بعين البصيرة والاعتبار هان عليه كل شيء وسامح أخاه المسلم وقيل ميسور عذره واحتسب الاجر عند الله والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً .

شِعْرًا: سَكُنْتُكَ يَا دَارَ الْفَنَاءِ مُصَدِّقًا

بِأَنِّي إِلَى دَارِ الْبَقَاءِ أَصِيرُ

وَأَعْظَمُ مَا فِي الْأَمْرِ أَنِّي صَائِرٌ

إِلَى عَادِلٍ فِي الْحُكْمِ لَيْسَ يَجُورُ

فَيَا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ أَلْقَاهُ عِنْدَهَا

وَرَادِي قَلِيلٌ وَالذُّنُوبُ كَثِيرٌ

فَإِنْ أَكْ مُجْزِيًا بِذَنْبِي فَإِنِّي

بِشَرِّ عِقَابِ الْمُذْنِبِينَ جَدِيرٌ

وَإِنْ يَكُ عَفْوٌ ثُمَّ عَنِي وَرَحْمَةٌ

فَثُمَّ نَعِيمٌ دَائِمٌ وَسُرُورٌ



اللَّهُمَّ جَدِّ عَلَيْنَا بِكَرَمِكَ ، وَأَفْضَ عَلَيْنَا مِنْ نِعْمِكَ ، وَتَعَمَّدْنَا بِرَحْمَتِكَ وَعَامَلْنَا بِرَأْفَتِكَ وَوَقَفْنَا لخدمتك وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللهُ عَلَي مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

### ( فَصْلٌ )

ومن أسباب الْعُضْبِ المشاحة في البيع والشراء : فيغضب الواحد إذا لم تكن السومة تناسب القيمة أو ساومه ولم يشتر أو لم يقرضه أو لم يعنه أو نحو ذَلِكَ وَالْعُضْبُ فِي مثل هذه الأحوال حماقة لا مبرر لها لأنه ما دام لم يعتد على حقه فليس له أن يغضب وعليه أن يعتدل في بيعه وشرائه ، وأن يمرن نفسه على احتمال ما يقع عادة عند البيع والشراء من النزاع وأن يمرن نفسه دائماً على التواضع ويذكرها بعظمة الله ويفهمها بأنه ضعيف مخلوق من ماء مهين ، وأنه صائر إلى الفناء ، وأنه سيكون عظماً بالية يوطأ بالأقدام كما قيل :

يُذْفِنُ بَعْضُنَا بَعْضاً وَتَمْشِي

أَوْاخِرُنَا عَلَي هَامِ الْأَوَالِي

ومن كَانَ هَذَا شأنه فلا يليق به التكبر فيحقر خلق الله ويطغي عليهم الَّذِينَ ربما رفعهم الله عَلَيْهِ قال بعضهم .

لَا تَحْقِرَنَّ أَبْيَتَ اللَّعْنِ ذَا أَدَبٍ

فَكَمِ وَضِيعٍ مِنَ الْأَقْوَامِ قَدْ رَسَا

فَرُبَّ قَوْمٍ حَقَرْنَاهُمْ فَلَمْ نَرَهُمْ

أَهْلًا لِخِدْمَتِنَا كَانُوا لَنَا رُؤَسَا

فإِذَا نَزَعَتْ نَفْسُهُ إِلَى التَّوَاضُعِ فَإِنَّهُ لَا يَتَأَلَّمُ لِتِلْكَ الِاعْتِبَارَاتِ الَّتِي يَتَأَلَّمُ مِنْهَا الْمُتَكَبِّرُونَ وَبِهَذَا يَأْذَنُ اللَّهُ يَدْفَعُ عَنِ نَفْسِهِ سُرْعَةَ الْعُضْبِ إِلَى أَنْ تَقُلَّ حَدَّتْهَا وَتَذْهَبُ ثَوْرَتُهَا وَهَذَا أَهْمُ مَا تَعَالَجُ بِهِ أَنْفُسُ الْمُسْتَعْدِينَ بِفَطْرَتِهِمْ لِلْغَضَبِ وَأَمَّا مَنْ كَانَتْ سُرْعَةُ غَضَبِهِ لَيْسَتْ طَبِيعَةً لَهُ وَلَكِنِهَا اِكْتَسَبَتْ بِالْعَادَةِ وَالْمَخَالِطَةِ فَإِنَّهُ يَعْالَجُ بِأُمُورٍ أَوَّلًا اجْتِنَابَ مُصَاحِبَةِ الْأَشْرَارِ وَالْبَعْدَ عَنْهُمْ ، ثَانِيًا : اجْتِنَابَ الْأَسْبَابِ الْمُثِيرَةِ لِلْغَضَبِ آتِنَاءً ثَالِثًا تَعْلِيمَهُ أَنَّهُ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَغْضَبُ إِلَّا مِنْ أَجْلِ دِينِهِ أَوْ نَفْسِهِ أَوْ عَرْضِهِ أَوْ مَالِهِ وَمَا زَادَ عَلَى هَذَا فَهُوَ رَذِيلَةٌ مَذْمُومَةٌ يَجِبُ عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَتَّبِعَهَا وَلَا يَذْرُهَا تَتَسَلَطُ عَلَيْهِ فَتَضِيعُ سُلْطَةُ الْعَقْلِ وَيَصْبِحُ الْإِنْسَانُ عَرْضَةً لِلْهَلَاكِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَحَسْبُكَ فِي ذَمِّ الْعُضْبِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَطَبَ فِي النَّاسِ عَصْرَ يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ فَكَانَ مِمَّا قَالَهُ لَهُمْ : " إِنْ بَنَى آدَمُ خَلَقُوا عَلَى طَبَقَاتٍ شَتَّى أَلَا وَإِنْ مِنْهُمْ الْبَطِيءُ الْعُضْبُ السَّرِيعُ الْفِيءُ وَالسَّرِيعُ الْعُضْبُ السَّرِيعُ الْفِيءُ وَالْبَطِيءُ الْعُضْبُ بَطِيءُ الْفِيءِ فَتِلْكَ بَتِلْكَ أَلَا وَإِنْ مِنْهُمْ بَطِيءُ الْفِيءِ السَّرِيعُ الْعُضْبُ أَلَا وَخَيْرُهُمْ بَطِيءُ الْعُضْبِ السَّرِيعُ الْفِيءِ وَشَرُّهُمْ سَرِيعُ الْعُضْبِ بَطِيءُ الْفِيءِ أَلَا وَإِنْ مِنْهُمْ حَسَنُ الْقَضَاءِ حَسَنُ الْطَلْبِ وَمِنْهُمْ سَيِّئُ الْقَضَاءِ حَسَنُ الْطَلْبِ وَمِنْهُمْ سَيِّئُ الْطَلْبِ حَسَنُ الْقَضَاءِ فَتِلْكَ بَتِلْكَ أَلَا وَإِنْ مِنْهُمْ سَيِّئُ الْقَضَاءِ سَيِّئُ الْطَلْبِ أَلَا وَخَيْرُهُمُ الْحَسَنُ الْقَضَاءِ الْحَسَنُ الْطَلْبُ وَشَرُّهُمْ سَيِّئُ الْطَلْبِ أَلَا وَإِنْ الْعُضْبُ جَمْرَةٌ فِي قَلْبِ ابْنِ آدَمَ أَمَّا رَأَيْتُمْ إِلَى حَمْرَةٍ عَيْنِيهِ وَانْتِفَاحِ أَوْدَاجِهِ وَسَيِّئَاتِ الْعُضْبِ كَثِيرَةٌ وَنَتَائِجُهُ الْوُخِيمَةُ أَكْثَرُ . فَمَنْ أَحْسَ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ فَلْيَلْصِقْ بِالْأَرْضِ " . رواه الترمذي .

ومن سيئاته : أن الطلاق غالباً يحدث عن غضب ، ومن سيئاته أن الفراق بين الأقارب والأولاد يقع غالباً عن غضب .

ومن سيئاته : إتلاف بعض المال أو كله .

شِعْرًا: إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَغْلِبْ مِنَ الْغَيْضِ سُورَةً فَلَيْسَ وَإِنْ فَضَّ الصَّفَا بِشَدِيدٍ

ومن سيئاته : أنه ربما قضى على نفسه أو على أولاده بسبب غضبه ومن سيئات الغضب أن الإنسان إذا غضب أطلق لسانه بالقذف والغيبة والنميمة والبهت والاستهزاء والسخرية والشتيم والسب وسائر أنواع المعاصي التي تقضي على حسناته إن كان له حسنات وإلا فتوقره من سيئات عدوه ولو ملك نفسه لسلم من ذلك كله .

ومن سيئاته : أنه يفضي إلى المهاترات الشفهية وتبادل السباب بين المتخاصمين وهذا لا يجوز وكم من معارك تبتذل فيها الأعراس وتعدو الشتائم المحرمة على الحرمات البعيدة وليس لهذه الآثام الغليظة من علة إلا تسلط الغضب ، وضياع الأدب ، ولذلك كان ضبط النفس عند سورانه دليل قدرة محمودة ورزانة عقل وحسبك دليلاً على ذلك ما ورد عن ابن مسعود قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " ما تعدون الصرعة فيكم؟ " قَالُوا : الَّذِي لَا تَصْرَعُهُ الرِّجَالُ . قَالَ " لا . ولكن الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ " وراه مسلم .

وَقَالَ رَجُلٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ : أَوْصِنِي وَلَا تَكْثِرْ عَلَيَّ لَعَلِّي لَا أُنْسِي . قَالَ : " لا تغضب " . وروي أبو هُرَيْرَةَ أَنَّ رَجُلًا قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَرِنِي بِعَمَلٍ وَأَقْلَلْ . قَالَ : " لا تغضب " . ثُمَّ أَعَادَ عَلَيْهِ فَقَالَ : " لا تغضب " . ثُمَّ أَعَادَ عَلَيْهِ فَقَالَ : " لا تغضب " . رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ ، وَقَالَ ابْنُ عَمْرٍو : قُلْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ : قَلَّ لِي قَوْلًا وَأَقْلَلَهُ ، لَعَلِّي أَعْقِلُهُ . فَقَالَ : " لا تغضب " . فَأَعَدَّتْ عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ ، كُلَّ ذَلِكَ

يرجع إلي " لا تغضب " . أخرجه أبو يعلى بسند حسن وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : " لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ ، وَإِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ " متفق عَلَيْهِ ، وَقَالَ ابْنُ عَمْرٍو : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : " مِنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ " . أخرجه ابن أبي الدنيا .  
 وإليك بعض الآثار : قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ : انظروا إلي الرجل عِنْدَ غَضَبِهِ وَأَمَانَتِهِ عِنْدَ طَمَعِهِ وَمَا عَلِمَكَ بِحِلْمِهِ إِذَا لَمْ يَغْضَبْ وَمَا عَلِمَكَ بِأَمَانَتِهِ إِذَا لَمْ يَطْمَعْ ، وَكُتِبَ عَمْرٍو بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى عَامِلِهِ : أَنْ لَا تَعَاقِبَ عِنْدَ غَضَبِكَ وَإِذَا غَضِبْتَ عَلَى رَجُلٍ فَاحْبِسْهُ فَإِذَا سَكَنَ غَضَبُكَ فَأَخْرِجْهُ فَعَاقِبْهُ عَلَى قَدَرِ ذَنْبِهِ ، وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ زَيْدٍ : أَغْلَظَ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ لِعَمْرٍو بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْقَوْلَ فَأَطْرَقَ عَمْرٍو زَمَانًا طَوِيلًا ثُمَّ قَالَ أَرَدْتُ أَنْ يَسْتَفْزِنِي الشَّيْطَانُ بَعْزَ السُّلْطَانِ فَأَنَالَ مِنْكَ الْيَوْمَ مَا تَنَالَهُ مِنْي غَدًا .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِابْنِهِ : يَا بَنِي لَا يَتَّبِعُ الْعَقْلَ عِنْدَ الْغَضَبِ كَمَا لَا تَتَّبِعُ الرُّوحُ فِي الْحَيِّ فِي التَّنَائِيرِ الْمَسْجُورَةِ وَمِمَّا يَرُوي عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ أَنَّهُ لَقِيَ مَلَكًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ : عَلِمَنِي عِلْمًا أَزْدَادَ بِهِ إِيمَانًا وَيَقِينًا قَالَ : لَا تَغْضَبْ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ أَقْدَرُ مَا يَكُونُ عَلَى ابْنِ آدَمَ حِينَ يَغْضَبُ فَرَدَّ الْغَضَبَ بِالْكُظْمِ وَسَكَنَهُ بِالتَّوَدَةِ وَإِيَّاكَ وَالْعَجَلَةَ ، وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : لَمَّا قَدِمَ عَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ نَزَلَ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الْحَرِّ بْنِ قَيْسٍ : وَكَانَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ يَدْنِيهِمْ عَمْرٍو ، إِذْ كَانَ الْقُرَاءُ أَصْحَابَ مَجْلِسِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَمْرٍو وَمَشَاوِرَتَهُ كَهَوْلًا كَانُوا أَوْ شَبَانًا فَقَالَ عَيْنَةُ يَا ابْنَ أَخِي اسْتَأْذِنْ لِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَاسْتَأْذَنَ لَهُ فَلَمَّا دَخَلَ قَالَ : هَيْه يَا ابْنَ الْخَطَابِ فَوَاللَّهِ مَا تَعْطِينَا الْجِزْلَ وَلَا تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالْعَدْلِ فَغَضِبَ عَمْرٍو حَتَّى هَمَّ أَنْ يُوَقَعَ بِهِ فَقَالَ الْحَرُّ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ اللَّهَ

يَقُولُ لِنَبِيِّهِ ﷺ : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ وَإِنْ هَذَا مِنَ الْجَاهِلِينَ ، فَوَاللَّهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلَاهَا عَلَيْهِ وَكَانَ وَقَافًا عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ وَإِنَّمَا غَضِبَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهَمَّ بَرْدَعُ الْأَعْرَابِيِّ لِنُتْطَاوُلِ الْأَعْرَابِيِّ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ لَمْ يَدْخُلْ نَاصِحًا أَوْ مُشِيرًا بِخَيْرٍ وَإِنَّمَا دَخَلَ عَلَيْهِ فِي سُلْطَانِهِ لِيَشْتَمَهُ دُونَ مَبْرَرٍ وَلَيْسَأَلَهُ عَطَاءٌ جَزِيلًا عَلَى غَيْرِ عَمَلٍ فَلَمَّا ذَكَرَ عُمَرُ بِأَنَّ هَذَا مِنَ الْجَاهِلِينَ أَعْرَضَ عَنْهُ وَتَرَكَهُ يَنْصَرِفُ سَالِمًا وَفِي الْحَدِيثِ " مَنْ كَظَمَ غِيظًا وَهُوَ يَقْدِرُ أَنْ يَنْفِذَهُ ، دَعَاهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ حَتَّى يَخِيرَهُ فِي أَيِّ الْحُورِ الْعِينِ .

شِعْرًا: مَنْ لِي يَنْسَانِ إِذَا أَغْضَبْتُهُ وَجَهَلْتُ كَانِ الْحِلْمُ رَدَّ جَوَابِهِ  
وَتَرَاهُ يُصْغِي لِلْحَدِيثِ بِسَمْعِهِ وَبِعَقْلِهِ وَلَعَلَّهُ أَدْرَى بِهِ  
إِذَا مَا سَفِيهِ نَأَلِي مِنْهُ نَائِلٌ مِنْ الدَّمِ لَمْ يَخْرُجْ بِمَوْقِفِهِ صَدْرِي  
أَعُوذُ إِلَى نَفْسِي فَإِنْ كَانَ صَادِقًا عَتَيْتُ عَلَى نَفْسِي وَأَصْلَحْتُ مِنْ  
وَالَا فَمَا ذَنْبِي إِلَى النَّاسِ إِنْ طَعَى هَوَاهَا فَمَا تَرْضَى بِخَيْرٍ وَلَا شَرًّا

تَبَّهَ قُبَيْلَ الْمَوْتِ إِنْ كُنْتَ تَعْقِلُ  
فَعَمَّا قَلِيلٍ لِلْمَقَابِرِ تُنْقَلُ  
وَتُتَمَسِّي رَهِينًا لِلْقُبُورِ وَتَنْشِي  
لَدِي جَدَثٍ تَحْتَ الثَّرَى تَتَجَنَّدُ  
فَرِيدًا وَحِيدًا فِي الثَّرَابِ وَإِنَّمَا  
قَرِينُ الْفَتَى فِي الْقَبْرِ مَا كَانَ يَعْمَلُ  
فَوَا أَسْفَا مَا يَفْعَلُ الدُّودُ وَالثَّرَى  
بِوَجْهِهِ جَمِيلٍ كَمَا أَنَّ لِلَّهِ يَخْجَلُ  
وَمَا يَفْعَلُ الْجِسْمُ الْوَسِيمُ إِذَا تَوَى  
وَصَارَ ضَجِيعَ الْقَبْرِ يَعْلُوهُ جَنَدَلُ

وَبَطْنِي بَدَا فِيهِ الرَّدَى ثُمَّ لَوْ تَرَى  
 دَقِيقَ الثَّرَى فِي مِقْلَتِي يَتَهَرُّوْلُ  
 أَعْيُنَايَ جُودًا بِالذُّمُوعِ عَلَيْكُمَا  
 فَحُزْنِي عَلَى نَفْسِي أَحَقُّ وَأَجْمَلُ  
 وَيَا مُدَّعِي حُبِّي هَلُمَّ بِنَا إِذَا  
 بَكَى النَّاسُ نَبْكَى لِلْفِرَاقِ وَنُهِمْلُ  
 دَعِيَ اللَّهُوَ نَفْسِي وَادْكُرِي حُفْرَةَ الْبَلَى  
 وَكَيْفَ بِنَا دُودُ الْمَقَابِرِ يَفْعَلُ  
 إِلَى اللَّهِ أَشْكُو لَأِ إِلَى النَّاسِ حَالِي  
 إِذَا صِرْتُ فِي قَبْرِي وَحِيدًا أُمْلَمْلُ

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ يَا عَلِيُّ يَا عَظِيْمُ أَبْرَمْ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ أَمْرَ رَشْدٍ يَعْزُ فِيهِ أَهْلُ طَاعَتِكَ وَيَذَلُ فِيهِ  
 أَهْلُ مَعْصِيَتِكَ وَيُؤْمَرُ فِيهِ بِالْمَعْرُوفِ وَيُنْهَى فِيهِ عَنِ الْمُنْكَرِ اللَّهُمَّ بَارِكْ فِي أَعْمَارِنَا وَأَصْلِحْ أَعْمَالِنَا  
 وَنِيَاتِنَا وَذُرِّيَاتِنَا وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيَّ  
 مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

### " موعظة "

عِبَادَ اللَّهِ : من عِبَادِ اللَّهِ من ترونه سيء الخلق ، عنيفاً شرساً في كُلِّ حالٍ إن قال فعنف قوله  
 ينطق بالكلمة فلعنفها تحدث من الشر ما لا يحكيه المقال إن مثل هَذَا لا تطول معه عشرة  
 نساء ولا صداقة رجال ولا يجد قلباً يعطف عليه ولو كَانَ في أشد الأحوال ولو قيل لك إن  
 البهائم تنفر منه لعنفه وشراسته فصدِّق هَذَا المقال وللناس عذر واضح في نفورهم من هَذَا  
 العنيف السيء الأخلاق ولا لوم عليهم إِذَا فارقوه الفراق الَّذِي لَيْسَ بعده من تلاقٍ فَإِن

الطباع البشرية متفقة على بغض العنف وكيف يجب الناس من يؤذيهم بأقواله وأفعاله بسبب وبغير سبب فالعنيف شؤم على نفسه قبل أن يكون شؤماً على سواه ورؤماً عم شؤمه دنياه وأخراه قال ρ : "من يجرم الرفق يجرم الخير كله" رواه مسلم وأحمد وأبو داود وابن ماجه ، وفي الحديث الآخر : "إن الله تعالى رقيق يحب الرفق ، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف رواه مسلم أما الرقيق : فهو العبد الحسن الخلق الوقور الحليم الذي أينما كان ومتى كان تصبو إليه القلوب لأنه إن قال فقله حلواً لأنه أديب حكيم وإن فعل فأفعاله ترشد إلى تعلم الأدب وليس بنو آدم الذين يحبون الرفق ، بل يشاركونهم في ذلك سائر الحيوانات ، وإن شئت فأنظر مبلغ حنين تلك الحيوانات إليهم فكن رقيقاً أيها المؤمن تجمع بين حب الله وحب عباده وليس بعد ذلك لذوي النهي أرب ، اللهم اختم لنا بخاتمة السعادة واجعلنا ممن كتبت لهم الحسني وزيادة واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلي الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

### فصل في بيان تحريم الحسد

اعلم وفقنا الله وإياك وجميع المسلمين وحبنا وإياك وإياهم كل خلق ذميم : أن مما يتأكد اجتنابه في كل زمان ومكان الحسد إذ هو من الذنوب المهلكات ، ومعني الحسد : أن يجد الإنسان في صدره وقلبه ضيقاً وحرماً وكراهية لنعمة أنعم الله بها على عبد من عباده في دينه أو دنياه حتى أنه ليحب زوالها عنه ورؤماً تمنى ذلك أو سعي في إزالتها وحسبك بدمه وقبحه أن الله تعالى أمر رسوله ρ أن يتعوذ من شر الحاسد كما أمر بالاستعاذة من شر

الشيطان قال الله تعالى : ﴿ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ .  
 والحرص والحسد من مداخل الشيطان إلى القلب فمهما كَانَ الْعَبْدُ حَرِيصًا عَلَى كُلِّ شَيْءٍ  
 أَعْمَاهُ وَأَصَمَهُ قَالَ ρ : " حَبْكُ لِلشَّيْءِ يَعْمي وَيَصم " . ونور البصيرة هُوَ الَّذِي يَعرف مداخل  
 الشيطان فَإِذَا غَطَاه الحسد والحرص لم يبصر فحينئذ يجد الشيطان فرصة فيحسن عِنْدَ الحريص  
 كُلِّ مَا يوصله إلى شهواته وَإِنْ كَانَ منكرًا وفاحشًا ، فبالحسد لعن إبليس وجعل شيطانًا رجيماً  
 وأما الحرص فإنه أبيض لآدم الْجَنَّةَ كُلَّهَا إِلَّا الشجرة ، فأصاب حاجته إبليس من آدم بالحرص  
 فأكل من الشجرة التي نهاه الله عنها .

ومن أجل أن الحسد بهذه الدرجة ورد فيه تشديد عَظِيمٍ حتى قال فِيهِ الرَّسُولُ ρ : " الحسد  
 يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب " رواه أبو داود وابن ماجه ، وَقَالَ ρ : " لا يَجْتَمَعُ فِي  
 خوف عبد غبار في سبيل الله ، وفيح جهنم ولا يَجْتَمَعُ فِي خوف عبد الإيمان والحسد " رواه ابن  
 حبان في صحيحه ورواه البيهقي .

وَالَّذِي يجب أن يفهم من هَذَا الْحَدِيثِ : أن الإيمان الصادق الكامل الَّذِي يستحضر صاحبه  
 أن كُلِّ أفعال الله لحكمة لا يَجْتَمَعُ مَعَ الحسد الَّذِي يغضب من فعل الله وقسمته وَيَقُولُ ρ فِي  
 الحسد : " لا يزال النَّاسُ بِحَيْرٍ ما لم يتحاسدوا " رواه الطبراني ، والمعني وَاللَّهُ أَعْلَمُ : أَنَّهُمْ إِذَا  
 تحاسدوا ارتفع الحَيْرُ مِنْهُمْ وكيف لا يرتفع مِنْهُمْ الحَيْرُ وكل مِنْهُمْ يتمني أن يزول الحَيْرُ الَّذِي عِنْدَ  
 أخيه ، ونهي ρ عن الحسد فَقَالَ : " ولا تحاسدوا " والحسد نتيجة من نتائج الحقد وثمره من  
 ثمراته المترتبة عَلَيْهِ فإن من يحقد عَلَى إنسان يتمني زوال نعمته ويغتابه وينم عَلَيْهِ ويعتدي عَلَى  
 عرضه ، ويشمت فِيهِ لما يصيبه



من البلاء ، وَغَيْرَ ذَلِكَ من الصفات المذمومة التي لا تليق بالإنسان وكثيراً ما تري الحاسد ينقب عن مساوئ المحسود فيبرزها على صفة الذم والتشريب فينتبه المحسود لها ويتجنبها فيكون السبب في إزالتها عدوه الحاسد كما قيل :

عُدَاتِي لَهُمْ فَضْلٌ عَلَيَّ وَمِنَّةٌ  
فَلَا أَذْهَبَ الرَّحْمَنُ عَنِّي الْأَعَادِيَا  
هُمُؤَا بَحَثُوا عَن زَلَّتِي فَاجْتَنَبْتُهَا  
وَهُمْ نَافْسُونِي فَكُنْتُ الْمَعَالِيَا

وَيَقُولُ الْآخَرُ :

وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ  
طُوبِيَتْ أَتَّحَ لَهَا لِسَانَ حُسُودٍ  
لَوْلَا اشْتِعَالُ النَّارِ فِي جِزْلِ الْغُضَا

مَا كَانَ يُعْرِفُ طِيبُ رِيحِ الْعُودِ

آخِرُ : مُحَسَّدُونَ وَشَرُّ النَّاسِ مَنْزِلَةٌ

مَنْ عَاشَ فِي النَّاسِ يَوْمًا غَيْرَ مُحَسُّودٍ

آخِرُ : إِنِّي حَسِدْتُ فَزَادَ اللَّهُ فِي حَسَدِي

لَا عَاشَ مَنْ عَاشَ يَوْمًا غَيْرَ مُحَسُّودٍ

مَا يُحَسِّدُ الْمَرْءُ إِلَّا مِنْ فَضَائِلِهِ

بِالْعِلْمِ وَالطَّرْفِ أَوْ بِالْبَأْسِ وَالْجُودِ

آخِرُ : سُبْحَانَ مَنْ سَخَّرَ لِي حَاسِدِي يُحَدِّثُ لِي فِي غَيْبِي ذِكْرًا

لَا أَكْرَهُ الْغَيْبَةَ مِنْ حَاسِدِي يُفِيدُنِي الشُّهُرَةَ وَالْأَجْرًا

وكفي بالحقد ذماً أن يكون الحسد ثمرة من ثمراته وأثراً من آثاره .

شِعْرًا : فَلَا تَحْسِدَنَّ يَوْمًا عَلَيَّ فَضْلٍ نِعْمَةٍ فَحَسْبُكَ عَارًا أَنْ يُقَالَ حَسُودٌ

آخر: أَلَا قُلْ لِمَنْ كَانَ لِي حَاسِدًا أَتَدْرِي عَلَيَّ مَنْ أَسَاءَتْ الْأَدَبُ

أَسَاءَتْ عَلَيَّ اللَّهُ فِي فِعْلِهِ لِأَنَّكَ لَمْ تَرْضَ لِي مَا وَهَبَ

وفي الغالب أن الحسد يكون بين النظراء والزملاء وأرباب الصناعات والمراتب والمناصب الحكومية فالتاجر يحسد التاجر والصانع يحسد الصانع والنجار يحسد النجار والفلاح يحسد الفلاح وأرباب الجاه يحسدون أرباب الجاه وذوو المناصب الحكومية يحسد بعضهم بعضاً ومن الأمثال المتداولة قولهم عدو المرء من يعمل عمله وللحسد أعاذنا الله وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ مِنْهُ مراتب .

أحدها أن يتمني زوال النعمة عن الغير ، ويعمل ويسعي في الوسائل المحرمة الظالمة ويسعي في إساءته بكل ما يستطيع وهذا الغاية في الخبث والحساسة والندالة وهذه الحالة هي الغالبة في الحساد خصوصاً المتزاحمين في صفة واحدة فإن من يربح منهم ربحاً كبيراً أو يظفر بلذة يرقبها غيره فإن ذلك الغير يحسده على ما حصل له من ذلك ويسعي إلي حرمانه في ذلك الرئح ليظفر هو به ويكثر ذلك في طلاب المناصب والجاه .

المرتبة الثانية : أن يتمني زوال النعمة ويجب ذلك ، وإن كانت لا تنتقل إليه ، وهذا أيضاً في غاية الخبث ، ولكنها دون الأولى .

الثالثة أن يجد من نفسه الرغبة في زوال النعمة عن المحسود سواء انتقلت إليه أو إلى غيره ولكنه في جهاد مع نفسه وكفها عن ما يؤدي خوفاً من الله تعالى وكراهية في ظلم عباده الله ومن يفعل هذا يكون قد كفي شر غائلة الحسد ، ودفع عن نفسه العقوبة الأخروية ولكن ينبغي له أن يعالج نفسه من هذا الوباء حتى يبرأ منه .

الحالة الرابعة : أن يتمني زوال النعمة عن الغير ، بغضاً لذلك

الشخص ، لسبب شرعي ، كأن يكون ظالماً يستعين على مظالمه بهذه النعمة فيتمني زوالها ليريح الناس من شره ومثل أن يكون فاسقاً يستعين بهذه النعمة على فسقه وفجوره ، فيتمني زوال المغل هَذَا عنه ليريح العباد والبِلاد من شره القاصر والمتعدي ، فَهَذَا لا يسمى حسداً مذموماً وإن كَانَ تعريف الحسد يشملهُ ، ولكنه في هذه الحال يكون ممدوحاً لاسيما إِذَا كَانَ يترتب عَلَيْهِ عمل يدفع هَذَا الظلم والعدوان ويردع هَذَا الظالم .

الحالة الخامسة : أن يجب ويتمني لنفسه مثلها فإن لم يحصل لَهُ مثلها فلا يجب زوالها عن صاحبها فَهَذَا لا بأس به إن كَانَ كالنعم الدنيوية كالأمال المباح والجاه المباح وإن كَانَ من النعم الدينية كالعلم الشرعي والعبادة الشرعية كَانَ محموداً كَانَ يغبط من عنده مال حلال ثُمَّ سلط على هلكته في الحق من واجب ومستحب فإن هَذَا من أعظم الأدلة على الإيمان ومن أعظم أنواع الإحسان وَكَذَا من آتاه الله الحكمة والعلم فوفق لنشره ، كما في الحديث : " لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالا ، فسلطه على هلكته في الحق ، ورجل آتاه الله الحكمة ، فهو يقضي بها ويعلمها " .

فهذان النوعان من الإحسان لا يعادلها شيء إلا إن ترتب عَلَيْهِ وساوس شيطانية ، وخواطر نفسانية تجر الإنسان إلى مواضع الخطر التي تفسد عمله كأن يَقُول في نَفْسِهِ أَنَا أحق منه بهَذَا فَهَذَا اعتراض على حكمة الله وقسمته ولا يجوز ذَلِكَ :

شِعْرًا: عَيْنُ الْحَسُودِ عَلَيْكَ الدَّهْرَ حَارِسَةٌ	تُبْدِي الْمَسَاوِي وَالْإِحْسَانَ تُخْفِيهِ
يَلْقَاكَ بِالْبِشْرِ يَبْدِيهِ مُكَاشِرَةٌ	وَالْقَلْبُ مَضْطَعْنٌ فِيهِ الَّذِي فِيهِ
إِنَّ الْحَسُودَ بِأَلَا جُرْمٍ عَدَاوَتُهُ	فَلَيْسَ يَقْبَلُ عُذْرًا فِي تَجَنِّيهِ
آخِر: عَلَيْكَ أَخِي بِالتَّقَى وَلُزُومِهِ	وَلَا تُكْثِرَنَّ مَا فِيهِ زَيْدٌ وَلَا عَمْرُو

فزهرة ذي الدنيا سريع ذبولها  
 وكن منشدا ما قال بعض أولي النهي  
 (إذا المرء جاز الأربعين ولم يكن  
 فدعه ولا تنفس عليه الذي أتى  
 وفي نهى طه للنبي لنا ذكر  
 فكم حكمة غراء قيدها الشعر  
 له دون ما يأتي حياء ولا ستر  
 وإن مد أسباب الحياة له العمر)

آخر :

أأقصد بالملامة قصد غيري  
 إذا عاش امرؤ خمسين عاما  
 فلا يرجى له أبدا رشادا  
 ولم لا أبذل الإنصاف مني  
 لي الويلات إن نفعت عظامي  
 وأمري كُله بادي الخلاف  
 ولم ير فيه آثار العفاف  
 فقد أزدى بنيتيه التجافي  
 وأبلغ طافتي في الإنصاف  
 سواي وليس لي إلا القوافي

( فصل )

ثم اعلم أن للحسد أسبابا .

الأول : العداوة والبغضاء وهذا أشد أسباب الحسد .

الثاني : التعزز والترفع وهو أن يثقل عليه أن يرتفع عليه غيره فإذا أصاب أحد زملائه ولاية أو مالا خاف أن يتكبر عليه وهو لا يطيق تكبره وافتخاره عليه .

السبب الثالث الكبر وهو أن يكون في طبعه أن يتكبر عليه ويستحقه ويستصغره ويستخدمه فإذا نال ولاية خاف أن لا يحتمل تكبره ومن التكبر والتعزز كان حسد أكثر الكفار لرَسُولِ اللَّهِ

ρ إذ قالوا : كيف يتقدم علينا

غلام يتيم فنطأطى رؤوسنا له . فَقَالُوا ﴿ لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقُرَيْتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ .

السبب الرابع التعجب كما أخبر الله عن الأمم الماضية إذ ﴿ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴾ فتعجبوا من أن يفوز برتبة الرسل والوحي والقرب من الله بشر مثلهم فحسدوهم وأحبوا زوال النعمة عنهم .

الخامس الخوف من فوت مقصد من المقاصد وَذَلِكَ يَخْتَصُّ بِمُتَرَاكِمِينَ عَلَى مَقْصُودٍ وَاحِدٍ وَذَلِكَ مثل الضرات عِنْدَ زَوْجِهِنَّ وَالتَّلَامِيذِ عِنْدَ الْأَسْتَاذِ وَالْإِخْوَةِ فِي التَّرَاكُمِ عَلَى نَيْلِ الْمَنْزِلَةِ فِي قَلْبِ الْأَبْوِينِ لِيَتَوَصَّلَ بِهِ إِلَى مَقَاصِدِ الْكِرَامَةِ وَالْمَالِ وَخِدَامِ الْمَلِكِ فِي نَيْلِ الْمَنْزِلَةِ مِنْ قَلْبِهِ .

السادس حب الرياسة وطلب الجاه لنفسه من غَيْرِ تَوَصُّلٍ بِهِ إِلَى مَقْصُودٍ وَذَلِكَ كَالرَّجُلِ الَّذِي يريد أن يكون عديم النظير في فن من الفنون إِذَا غَلِبَ عَلَيْهِ حُبُّ الثَّنَاءِ وَالْمَدْحِ وَاسْتَفْرَزَهُ الْفَرْحُ بِمَا يَمْدَحُ بِهِ ، فَإِنَّهُ لَوْ سَمِعَ بِنَظِيرٍ لَهُ فِي أَقْصَى أَقْطَارِ الْأَرْضِ لَسَاءَهُ ذَلِكَ ، وَأَحَبُّ مَوْتِهِ أَوْ زَوَالِ تِلْكَ النِّعْمَةِ الَّتِي عِنْدَ الَّذِي يَشَارِكُهُ بِهَا فِي الْمَنْزِلَةِ مِنْ شَجَاعَةِ أَوْ عِلْمِ أَوْ صِنَاعَةِ أَوْ جَمَالِ أَوْ ثَرْوَةٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ .

السابع : خبث النفس وحبها للشر وشحها بالخير لعباد الله ، فتجد المتصف بذلك إِذَا ذَكَرَ لَهُ اضطراب ونكبات تصيب الناس وإدبارهم وفوت مقاصدهم وتنغيص عيشهم استنار وجهه وفرح به وصار يئسه وَرُبَّمَا أَتَى بِإِشَاعَتِهِ فِي صُورَةِ التَّرْحَمِ وَالتَّوَجُّعِ فَهُوَ أَبَدًا يَجِبُ الْإِدْبَارَ لِغَيْرِهِ وَيَخْلُ بِنِعْمَةِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ كَأَنَّهُ يَأْخُذُ مَا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ مِنْ مَالِهِ وَخِزَانَتِهِ ، عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ

وبينهم عداوة وهذا ليس له سبب إلا التعمق في الخبث والردالة والندالة والخساسة في الطبع اللئيم ولذلك يعسر معالجة هذا السبب لأنه جهول ظلوم وليس يشفي علة صدره ويزيل حزازة الحسد الكامن في قلبه إلا زوال النعمة فحينئذ يتعذر الدواء أو يعز ومن هذا قول بعضهم .

وَكُلُّ أَدَاوِيهِ عَلَى قَدْرِ دَائِهِ

سَوَى حَاسِدِي فَهِيَ الَّتِي لَا أَنَالُهَا

وَكَيْفَ يُدَاوِي الْمَرُؤُ حَاسِدَ نِعْمَةٍ

إِذَا كَانَ لَا يُرْضِيهِ إِلَّا زَوَالُهَا

قال بعضهم : رأيت أكثر الناس إلا من عصم الله وقليل ما هم يتعجلون الشقاء والهمل والتعب لأنفسهم في الدنيا ويحتقبون عظيم الإثم الموجب للنار في الآخرة بما لا يحظون معه بنفع أصلاً من نيات خبيثة يحرصون عليها من تمنى الغلاء المهلك للناس وللصغار ومن لا ذنب له وتمنى أشد البلاء لمن يكرهونه وقد علموا يقيناً أن تلك النيات الفاسدة لا تعجل شيئاً مما يتمنونه أو توجب كونه وأنهم لو وصفوا نياتهم وحسنوها لتعجلوا الراحة لأنفسهم وتفرغوا بذلك لمصالح أمورهم ، ولا اقتنوا عظيم الأجر في المعاد ، من غير أن يؤخر ذلك شيئاً مما يريدونه أو يمنع كونه ، فأبي غبن أعظم من هذه الحال التي نبهنا عليها ١ هـ .

وأما الأسباب الأخرى فيتصور إزالتها في المعالجة، وقد تجتمع أسباب الحسد المذكور كلها في شخص واحد أو أكثرها .

أَعْطَيْتُ كُلَّ النَّاسِ مِنْ نَفْسِي الرِّضَا      إِلَّا الْحَسُودَ فَإِنَّهُ أَعْيَانِي

لَا أَنَّ لِي ذَنْباً لَدَيْهِ عَلِمْتُهُ      إِلَّا تَطَاهَرُ نِعْمَةِ الرَّحْمَنِ

يَطْوِي عَلَى حُنْقٍ حَشَاهُ لِأَنْ رَأَى      عِنْدِي كَمَالُ غِنَى وَفَضْلُ بَيَانِ  
مَا إِنْ أَرَى يُرْضِيهِ إِلَّا ذَلَّتِي      وَذَهَابُ أَمْوَالِي وَقَطْعُ لِسَانِي

وقد ذكر العلماء للحسد دواءً فأولاً أن تعرف أنه ضرر عليك في الدين والدنيا ولا ضرر به على المحسود لا في الدنيا ولا في الدين بل ينتفع به فيهما جميعاً أما ضرره في الدين فلأنه سخط لِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدْرِهِ ، وكرهه لنعمته على عبده المؤمن وانضم إليه غش المسلم وترك نصحه وترك العَمَلِ بقوله ρ : " لا يؤمن أحدكم حتى يجب لأخيه ما يجب لنفسه " . وانضم أيضاً إلي ذلك أنه شارك إبليس وهذه خبائث تأكل الحسنات وأما ضرره في الدنيا فإنه الألم النقد الحاضر والعذاب الدائم .

وأما كونه لا ضرر على المحسود فواضح لأن النعمة لا تنزل بالحسد وأما منفعته في الدنيا للمحسود فهو أن أهم مقاصد أكثر أبناء الدنيا إيصال الضرر والهم إلي أعدائهم وهو متوفر في الحسد وقد فعل الحاسد بنفسه مرادهم فأنت بالحقيقة عدو لنفسك وصديق لعدوك ومع هذا كله فقد أدخلت السرور على إبليس وهو أعدي عدو لك ولغيرك ولو عثقت تماماً لعكست وكلفت نفسك نقيض الحسد إذ أن كل مرض يعالج بضده فمثلاً يكلف لسانه الشاء عليه من غير كذب ويلزم نفسه بره إن قدر فهذه الأفعال تعمل مقارنة تطيب قلب المحسود ويجب الحاسد ويصير ما يتكلفه أولاً طبعاً آخرلاً ولا يعمل بوساوس الشيطان إن هذا عجز ونفاق وخوف لأن ذلك من خدعه ومكائده فهذا الدواء إلا أنه مر قل من يقدر عليه قال تعالى : ﴿ اذْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ الآية وبالتالي فإن خير ما للمرء أن يكون مستريحاً في دنياه لعل الله أن يجعله من أهل الجنة في أخراه .  
وفي الدنيا في أمن وفي رغد هذا شيء متحقق وقديماً قيل :

يَا طَالِبَ الْعَيْشِ فِي أَمْنٍ وَفِي دَعَاةٍ  
 رَغْبَةً بَلَا قَتْرٍ صَفْوًا بَلَا كَدْرٍ  
 خَلَّصْ فُؤَادَكَ مِنْ غِلٍّ وَمِنْ حَسَدٍ  
 فَالْغِلُّ فِي الْقَلْبِ مِثْلُ الْغِلِّ فِي الْعُنُقِ  
 آخر: مَتَى تَجْمَعِ الْحَسَدَ الْعَمِيقَ وَغِيْبَةً      وَنَمًا وَكَذِبًا تَخْتِطِبُكَ الْمَنَاصِبُ  
 وَإِنْ تَجْمَعِ الْإِخْلَاصَ وَالزُّهْدَ وَالتَّقَى      وَعِلْمًا وَحِلْمًا تَجْتَنِبُكَ الْمَرَاتِبُ  
 آخر: (لَمَّا عَفَوْتَ وَلَمْ أَحْقِدْ عَلَى أَحَدٍ      أَرْحَتُ نَفْسِي مِنْ هَمِّ الْعَدَاوَاتِ)  
 (إِنِّي أَحْيِي عَدُوِّي عِنْدَ رُؤْيَتِهِ      لِأَدْفَعِ الشَّرَّ عَنِّي بِالتَّحِيَّاتِ)  
 وَقَالَ آخِرُ :

إِلْقِ الْعَدُوَّ بِوَجْهِهِ لَا قُطُوبَ بِهِ  
 يَكَادُ يَقْطُرُ مِنْ مَاءِ الْبِشَاشَاتِ  
 فَأَحْزَمُ النَّاسِ مَنْ يَلْقَى أَعَادِيَهُ  
 فِي جِسْمِ حَقْدٍ وَثُوبٍ مِنْ مَوَدَّاتِ  
 آخر: أَجَامِلُ أَقْوَامًا حَيَاءً وَقَدْ أَرَى  
 صُدُورَهُمْ بَادٍ عَلَى مِرَاضُهَا

والطريق الوحيد أن تعلم تماماً أن الخير كله في أن لا يكون في نفسك لأحد من المسلمين غش ولا تحسد أحداً على خير أعطاه الله إياه ثم أي ضرر



يحصل لك لو كان غيرك فوقك في المال أو في المنصب ، إنه مسكين ، ما نقص من دينك ولا من آخرتك مثقال ذرة .

وإذا رأيت قلبك صافياً محباً لإخوانك من المسلمين الخَيْرَ كارهاً لهم ما تكره لنفسك ، فهذه بشارة للمستقيم ، وليسمع إلي ما ورد عن أنس بن مالك قال كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ فقال " يطلع الآن عليكم رجل من أهل الجنة فطلع رجل من الأنصار تنطف لحيته من وضوئه ، قد علق نعليه بيده الشمال .

فلما كان الغد قال النبي ﷺ مثل مقالته أيضاً فطلع الرجل على مثل حاله الأول فلما قام النبي ﷺ تبعه عبد الله بن عمرو أي تبع ذلك الرجل فقال إني لآحيث أبي ، فأقسمت أبي لا أدخل عليه ثلاثاً ، فإن رأيت أن تؤرني إليك حتي تمضي فعلت قال نعم قال أنس فكان عبد الله يحدث أنه بات معه تلك الثلاث الليالي فلم يره يقوم من الليل شيئاً غير أنه إذا تعار من الليل ذكر الله عز وجل وكبر ، حتي قام لصلاة الفجر .

قال عبد الله غير أبي لم أسمعهُ يقول إلا خيراً فلما مضت الثلاث الليالي وكدت أن أحترق عمله قلت يا عبد الله لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجر ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول لك ثلاث مرات يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة فطلعت أنت الآن فأردت أن آوي إليك فأنظر عملك فأقتدي بك فلم أرك عملت كبير عمل فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ قال ما هو إلا ما رأيت فلما وليت دعائي فقال ما هو إلا ما رأيت غير أبي لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشاً ولا حسداً على خير أعطاه الله إياه فقال عبد الله هذه التي بلغت بك رواه أحمد بإسناد صحيح .

شعراً: كُلُّ الْعَدَاوَاتِ قَدْ تُرْجَى مَوَدَّتُهَا  
إِلَّا عَدَاوَةَ مَنْ عَادَاكَ مِنْ حَسَدِ  
فَإِنَّهَا نُكْتَةٌ فِي الْقَلْبِ ثَابِتَةٌ  
وَلَيْسَ يَدْفَعُهَا شَيْءٌ سِوَى الصَّمَدِ  
آخر: إِنَّ الْعَرَانِينَ تَلْقَاهَا مُحْسَدَةٌ  
وَلَا تَرَى لِلنَّاسِ حُسَادًا

آخر: مَا ضَرَّنِي حَسَدُ اللَّئَامِ وَلَمْ يَزَلْ ذُو الْفَضْلِ يَحْسُدُهُ ذُوؤُ النَّقْصَانِ  
يَا بُؤْسَ قَوْمٍ لَيْسَ جُرْمُ عَدُوِّهِمْ إِلَّا تَتَابُعُ نِعْمَةِ الرَّحْمَنِ

موعظة : عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ دَاءَ الْحَسَدِ مِنْ أَعْظَمِ الْأَدْوَاءِ ، وَالْإِبْتِلَاءَ بِهِ مِنْ أَشَدِّ الْبَلَوِيِّ ، يَحْمِلُ صَاحِبَهُ عَلَى مَرْكَبِ صَعْبٍ ، وَيُبْعِدُهُ عَنِ التَّقْوِيِّ ، وَيُرْكِبُهُ الْأَهْوَاءَ فَيُضِلُّ وَيَغْوِي ، يَضِيقُ صَدْرَ الْحَسُودِ وَيَنْفَطِرُ قَلْبُهُ إِذَا رَأَى نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَى أَخِيهِ الْمُسْلِمِ فَيَعَانِي مِنَ الْبُؤْسِ وَاللَّأْوِيِّ ، مَا لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَبِثَ مَعَهُ مَا يَجِدُهُ مِنَ الْحُزْنِ وَالْقَلْقِ ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَى الشُّكْوِيِّ ، إِلَّا إِلَى الشَّيْطَانِ وَنَفْسِهِ الْأَمَارَةَ بِالسُّوءِ أَوْ مِنْ هُوَ مِثْلُهُ فِي الْحَسَدِ ، فَقَاتِلِ اللَّهَ الْحَسُودَ لَا يَفْعَلُ الْحَيَّرُ وَلَا يَجِبُهُ لِإِخْوَانِهِ الْمُسْلِمِينَ ، غَايَةَ أَمْنِيَّتِهِ زَوَالَ نِعْمَةِ اللَّهِ عَنْ عِبَادِهِ إِنَّهُ بِعَمَلِهِ سَالِكٌ طَرِيقَ إِبْلِيسَ لَعَنَهُ اللَّهُ ، فَمَا أَوْقَعَ الشَّيْطَانُ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ إِلَّا حَسَدَهُ لِأَبِينَا آدَمَ وَامْتِنَاعَهُ مِنَ السُّجُودِ بَعْدَ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ ، وَمَا حَمَلَ قَابِيلَ عَلَى قَتْلِ هَابِيلَ إِلَّا حَسَدَهُ لِأَخِيهِ حَيْثُ تَقَبَّلَ اللَّهُ مِنْهُ قَرِيبَانَهُ الَّذِي أَرَادَ بِهِ وَجْهَ اللَّهِ وَالِدَارِ الْآخِرَةَ وَمَا مَنَعَ الْمُشْرِكِينَ وَالْمُتَرَفِينَ مِنْ اتِّبَاعِ الرَّسْلِ إِلَّا الْحَسَدَ وَالْكِبْرَ ، وَمَا حَمَلَ أَهْلَ الْكِتَابِ عَلَى كِرَاهَةِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ وَصَرَفِ الْمُسْلِمِينَ عَنِ كِتَابِ اللَّهِ وَالْإِيمَانِ بِسَيِّدِ الرَّسْلِ وَخَاتَمِهِمْ إِلَّا مَا ذَكَرَهُ اللَّهُ عَنْهُمْ ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ﴾ الْآيَةُ ، وَقَالَ ρ : " الْحَسَدُ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطْبَ " . الْحَاسِدُ لَا يَضْمُرُ إِلَّا غَدْرًا وَلَا يَعْمَلُ إِلَّا شَرًّا وَلَا يَدْبُرُ إِلَّا مَكْرًا . وَجَمَلَةُ الْقَوْلِ أَنَّ الْحَاسِدَ مَيَسَّرَ لِلْعَسْرِيِّ لَا تَجْدِي مَعَهُ الْمَوَاعِظُ وَالنِّصَائِحُ وَقَدْ قِيلَ إِنَّ بِضَاعَةَ إِبْلِيسَ خَمْسَةٌ أَصْنَافٌ يَبِيعُهَا مِنْ قَوْمٍ مَعْرُوفِينَ ، وَهِيَ الْحَسَدُ وَأَهْلُهُ الْعُلَمَاءُ ، وَأَهْلُ الْحِرْفَةِ الْوَاحِدَةُ ، أَيْ كُلٌّ مِنْ يَتَّفِقُ عَمَلُهُمْ مُسْلِمِينَ أَوْ غَيْرَ مُسْلِمِينَ ، وَالْكِبْرُ وَأَهْلُهُ الْأَنْدَالُ وَالسُّفْلَةُ وَالسُّفَهَاءُ وَالْحَمَقَاءُ وَمَنْ لَا خَيْرَ فِيهِ مِنَ الْمُحْتَرِفِينَ الْمُنْحَرِفِينَ .

شِعْرًا: لِكُلِّ امْرِئٍ شَكْلٌ مِنَ النَّاسِ وَحَدَهُ فَأَرْجَحُهُمْ عَقْلًا أَقْلَهُمْ شَكْلًا

وَكُلُّ أَنْاسٍ يُعْرِفُونَ بِشَكْلِهِمْ      فَأَكْثَرُهُمْ شَكْلًا أَقْلُهُمْ عَقْلًا  
وَأَنَّ كَيْبَرَ الْعَقْلِ لَيْسَ بِوَاحِدٍ      لَهُ بَيْنَ أَلْفٍ حِينَ يَفْقِدُهُ مِثْلًا  
وَكُلُّ سَفِيهِ طَائِشٍ إِنْ فَقَدْتَهُ      وَجَدْتَ لَهُ فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ عِدْلًا  
آخر: فَشَرَطُ الْفِلاَحَةِ غَرْسُ النَّبَاتِ      وَشَرَطُ الرِّيَاسَةِ غَرْسُ الرِّجَالِ  
فَإِنْ لَمْ تُعَاشِرْ سِوَى كَامِلٍ      بَقِيَتْ وَحِيدًا لِعِزِّ الْكَمَالِ

والجور والطغيان ، وأهله الملوك والأمراء والوزراء والعظماء ، وأعوأئهم من الفسقة والمجرمين ، والكيد وأهله النساء ، والنمامين والدلالين ، والمنسبيين وبئست البضاعة بضاعة الشيطان ، ويا حسرة المشتريين ، ويا ندامتهم ﴿ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ قيل إنه كَانَ رجل يغشي أحد الملوك فيقوم بجذاء الملك فيقول أحسن إلي المحسن بإحسانه ، فإن المسيء سيكفيكه إساءته ، فحسده رجل على ذلك المقام ، والكلام فسعي به إلي الملك ، فقَالَ إن هَذَا الَّذِي يَقوم بجذائك وَيَقُولُ وَيَقُولُ مَا يَقُولُ يزعم أنك أبخر ، فقَالَ لَهُ الملك وكيف يصح ذَلِكَ عندي ، قال تدعوه إليك فإنه إِذَا دنا منك وضع يده على أنفه لئلا يشم رائحة البخر ، فقَالَ لَهُ انصرف حتي أنظر وأتحقق ذَلِكَ ، فخرج من عِنْدَ الملك ، فدعا الحاسد ذَلِكَ الرجل إلي منزله فأطعمه طعاماً فِيهِ ثوم فخرج الرجل من عنده وذهب إلي الملك على عادته وقام بجذاء الملك فقَالَ أحسن إلي المحسن بإحسانه فإن المسيء سيكفيكه إساءته فقَالَ لَهُ الملك ادن مني ، فدنا منه ووضع يده على فِيهِ ، مخافة أن يشم الملك منه رائحة الثوم فقَالَ الملك فِي نَفْسِهِ ما أري فلاناً إلا صدق ، قال وَكَانَ الملك لا يكتب بخطه إلا بجائزةٍ أو صلةٍ فكتب له كتاباً بخطه إلي عامله قال فِيهِ إِذَا أتاك حاملُ كتابي هَذَا فاذبحه واسلخه ، واحش جلده تبناً وابعث به إلي ، وأخذ الْكِتَابَ وخرج فلقية الرجل الَّذِي سعي به إلي الملك وكذب عَلَيْهِ فقَالَ لَهُ : ما هَذَا الْكِتَابَ قال خط الملك لي به صلة فقَالَ هبه لي فقَالَ هُوَ لك

فأخذه ، الساعي ومضي به إلي عامل الملك ، فَقَالَ لَهُ العامل : فِي كتابك أَنِي أَذْبَحُكَ وَأَسْلُخُكَ فَقَالَ إِنَّ الْكِتَابَ لَيْسَ لِي ، فَاللَّهُ اللَّهُ ، فِي أَمْرِي حَتَّى تَرَجِعَ الْمَلِكُ مَرَاجِعَةَ فَذَبْحِهِ وَسَلْخِهِ وَحَشِي جِلْدِهِ تَبْنًا ، وَأَرْسَلَهُ لِلْمَلِكِ كَعَادَتِهِ وَقَالَ مِثْلَ قَوْلِهِ ، فَتَعَجَّبَ الْمَلِكُ ، ثُمَّ عَادَ الرَّجُلُ إِلَى الْمَلِكِ كَعَادَتِهِ وَقَالَ مِثْلَ قَوْلِهِ ، فَتَعَجَّبَ الْمَلِكُ ، وَقَالَ لَهُ مَا فَعَلَ الْكِتَابُ ، فَقَالَ لَقِينِي رَجُلٌ هُوَ فُلَانٌ فَاسْتَوْهَبَهُ مِنِّي فَوَهَبْتَهُ لَهُ ، قَالَ لَهُ الْمَلِكُ إِنَّهُ ذَكَرَ لِي أَنَّكَ تَزْعُمُ أَنِّي أَبْجُرُ قَالَ مَا قُلْتُ ذَلِكَ ، قَالَ فَلَمْ وَضَعْتَ يَدَكَ عَلَيَّ فَيُكِّ قَالِ لِأَنَّهُ أَطْعَمَنِي طَعَامًا فِيهِ ثُومٌ فَكَرِهْتُ أَنْ تَشْمَهُ ، قَالَ صَدَقْتَ ، ارْجِعْ إِلَى مَكَانِكَ ، فَقَدْ كَفَيْتُ الْمُسِيءَ إِسَاءَتَهُ فَانظُرْ يَا أَخِي كَيْفَ دَارَتْ عَلَيَّ الْبَاغِي الدَّوَائِرُ وَاسْأَلْ رَبَّكَ أَنْ يَعْفِيكَ مِنْ هَذِهِ الْأَمْرَاضِ الْفَتَاكَةِ الَّتِي رُبَّمَا قَضَتْ عَلَيَّ حَيَاتِي وَأَوْصَلْتَنِي فِي الْآخِرَةِ نَارَ جَهَنَّمَ .

وختاماً فعلى اللبيب أن يتجنب الحسد فإنه من خلق الأدياء وصفة الجهلاء فإن أبصرت بقائم فاعضده ويسر له السبيل حسب استطاعتك وإن رأيت نعمة أسبغها الله على عبد من عباده فاسع إلي مثلها بقلب طاهر ووجدان نقي لعلك أن تبلغها بإذن الله .  
 فعزيرة النفس إن أبصر غيره في أمر يثني عليه به ، أو رآه في منزلة يغبط عليها فلا يجول في وهمه أن يحسده على نعمته أو يحط من منزلته بل يسعى ككل السعي لينال مثل مناله ويرقي مثل رقيه فإن زادت فيه عزة النفس والإباء فلا يرضي لنفسه إلا بما فوق ذلك المقام :

شِعْرًا: أَسَأْتُ فَمَا عُذْرِي إِذَا انْكَشَفَ الْغَطَا

وَأَظْهَرَ رَبُّ الْعَرْشِ مَا أَنَا أُسْتُرُ

إِذَا اللَّهُ نَادَانِي بِيَوْمِ قِيَامَةٍ  
تَعَدَّيْتَ حَدَّ الْعِلْمِ هَلْ أَنْتَ تُوجِزُ  
أَسَأْتَ إِلَى خَلْقِي وَحَقِّي تَرَكْتَهُ  
فَأَيْنَ الْحَيَا مِنِّي فَأَيُّيَ أَكْبَرُ  
دَعَوْتَ إِلَى عِلْمٍ وَأَظْهَرْتَ حِكْمَةً  
وَأَنْتَ عَلَى الدُّنْيَا عَكُوفٌ مُشَمَّرُ  
وَخَالَفْتَ مَا قَدْ قُلْتَ وَازْدَدْتَ غَفْلَةً  
وَقَلْبُكَ لِلذَّاتِ وَالغِيْشِ يُضْمَرُ  
ظَنَنْتَ بِأَنِّي مُهْمَلٌ لَامِرٍ عَصَى  
كَأَنَّكَ لِمَ تَعْلَمُ بِأَنَّكَ تُحْشَرُ  
هُنَالِكَ يَمْتَارُ الْمَسِيئُونَ كُلَّهُمْ  
فَوَا حَسْرَتًا إِنْ كُنْتُ مِمَّنْ يُحَسَّرُ  
فِيَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ يَا خَيْرَ رَاحِمٍ  
وَمَنْ هُوَ لِلزَّلَّاتِ وَالذَّنْبِ يَغْفِرُ  
عَصَيْتُكَ مِنْ لُؤْمِي وَنَفْسِي ظَلَمْتُهَا  
وَذَنْبِي فِي عَمْرِي يَزِيدُ وَيَكْثُرُ  
وَلَكِنِّي إِنْ جِئْتُ ذَنْبًا وَرَأَلَةً  
أَرْجِيكَ يَا رَحْمَنُ لِلوَهْنِ تَجْبُرُ  
وَتَغْفِرُ لِي ذَنْبِي وَتُصْلِحُ عَيْشَتِي  
وَتَرْحَمُ آبَائِي فَإِنَّكَ تَقْدِرُ

وَأَرْجُوكَ يَا رَحْمَنُ إِذْ مَا سَتَرْتَنِي

بِدُنْيَايَ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ تَسْتُرُ

اللَّهُمَّ حُبِّ إِلَيْنَا الْإِيمَانَ وَزِينَهُ فِي قُلُوبِنَا وَكَرِهَ إِلَيْنَا الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ وَاجْعَلْنَا مِنْ الرَّاشِدِينَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

### " موعظة "

إخواني إن في مواعظ الأيام والليالي لعبرة لذوي البصائر ركائب أموات تزعج عن مقصورات القصور ثم تحمل إلي مضائق القبور ، فكم قد شاهدتم من شخصيات في الأرض ، قد وضعت ، وكم قد عاينتم من أبدان ناعمة في الأكفان قد لفت وإلي مضيق الإلحاد قد زفت فيا لها من غاية يستبق إليها العباد ويا له من مضمار يتناوبه جواد بعد جواد ويا له من هول شديد يعقبه أهوال شداد فتنة قبور وحشر في موقف مهيل موقف فيه تنقطع الإنساب وتخضع فيه الرقاب وتنسكب فيه العبرات وتتصاعد فيه الزفرات ذلك موقف تنشر فيه الدواوين ، وتنصب فيه الموازين ، ويمد فيه الصراط ، وحينئذ يقع الامتياز فجاج مسلم ومكردس في النار .  
دخل عمر بن عبد العزيز رحمه الله على سابق البربري وهو يتمثل بالأبيات المشهورة من قصيدة الأعشي .

أَجِدُّكَ لَمْ تَذُكَّرِ وَصَاةَ مُحَمَّدٍ

نَبِيِّ الْإِلَهِ حِينَ أَوْصَى وَأَشْهَدَا

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَرْحَلْ بِزَادٍ مِنَ الثَّقَى

وَأَبْصَرْتَ بَعْدَ الْمَوْتِ مَنْ قَدْ تَزَوَّدَا

نَدِمْتُ عَلَى أَنْ لَا تَكُونُ كَمِثْلِهِ  
وَأَنَّكَ لَمْ تُرْصِدْ كَمَا كَانَ أَرْصِدَا  
فغشي على عمر رَحْمَةُ اللَّهِ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ زِدْنَا فَقَالَ الْقَصِيدَةُ الَّتِي تَلِي :  
بِسْمِ الَّذِي أَنْزَلَتْ مِنْ عِنْدِهِ السُّورُ  
الْحَمْدُ لِلَّهِ أَمَّا بَعْدُ يَا عُمَرُ  
إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ مَا تُبْقِي وَمَا تَدْرُ  
فَكُنْ عَلَى حَذَرٍ قَدْ يَنْفَعُ الْحَذَرَ  
وَاصْبِرْ عَلَى الْقَدْرِ الْمَقْدُورِ وَارْضَ بِهِ  
وَإِنْ أَتَاكَ بِمَا لَا تَشْتَهِي الْقَدْرُ  
فَمَا صَفَى لَأَمْرِي عَيْشٌ يُسْرُّ بِهِ  
إِلَّا وَأَعْقَبَ يَوْمًا صَفْوُهُ كَدْرُ  
قَدْ يَرْعَوِي الْمَرْءُ يَوْمًا بَعْدَ هَفْوَتِهِ  
وَتُحْكِمُ الْجَاهِلِ الْأَيَّامُ وَالْعِبْرُ  
إِنَّ التَّقَى خَيْرٌ زَادِ أَنْتَ حَامِلُهُ  
وَالْبِرُّ أَفْضَلُ مَا تَأْتِي وَمَا تَدْرُ  
مَنْ يَطْلُبُ الْجَوْرَ لَا يَطْفُرُ بِحَاجَتِهِ  
وَطَالِبُ الْعَدْلِ قَدْ يُهْدَى لَهُ الظَّفَرُ  
وَفِي الْهُدَى عِبْرٌ تُشْفِي الْقُلُوبَ بِهَا  
كَالغَيْثِ يَحْيِي بِهِ مِنْ مَوْتِهِ الشَّجَرُ  
وَلَيْسَ دُو الْعِلْمِ بِالتَّقْوَى كَجَاهِلِهَا  
وَلَا الْبَصِيرُ كَأَعْمَى مَالُهُ بَصْرُ

والذِّكْرُ فِيهِ حَيَاةٌ لِلْقُلُوبِ كَمَا  
 تَحْيَا الْبِلَادُ إِذَا مَا جَاءَهَا الْمَطَرُ  
 وَالْعِلْمُ يَجْلُو الْعَمَى عَنْ قَلْبِ صَاحِبِهِ  
 كَمَا يُجَلِّي سَوَادَ الظُّلْمَةِ الْقَمَرُ  
 لَا يَنْفَعُ الذِّكْرُ قَلْبًا قَاسِيًا أَبَدًا  
 وَهَلْ يَلِينُ لِقَوْلِ الوَاعِظِ الْحَجَرُ  
 مَا يَلْبَثُ الْمَرْءُ أَنْ يَبْلَى إِذَا اخْتَلَفَتْ  
 يَوْمًا عَلَى نَفْسِهِ الرُّوحَاتُ وَالْبِكَرُ  
 وَالْمَرْءُ يَصْعَدُ رِيعَانَ الشَّبَابِ بِهِ  
 وَكُلُّ مُصْعَدٍ يَوْمًا سَـتَنْحَدِرُ  
 وَكُلُّ بَيْتٍ سَيَبْلَى بَعْدَ جِدَّتِهِ  
 وَمِنْ وِرَاءِ الشَّبَابِ الْمَوْتُ وَالْكَبَرُ  
 وَالْمَوْتُ جَسْرٌ لِمَنْ يَمْشِي عَلَى قَدَمِ  
 إِلَى الْأُمُورِ الَّتِي تُخْشَى وَتُنْتَظَرُ  
 فَهُمْ يَمْرُونُ أَفْوَاجًا وَتَجْمَعُهُمْ  
 دَارٌ يَصِيرُ إِلَيْهَا الْبَدُو وَالْحِطْرُ  
 كَمِ جَمْعِ قَوْمٍ أَشَتَّ الدَّهْرُ شَمْلَهُمْ  
 وَكُلُّ شَمْلٍ جَمِيعٍ سَوْفَ يَنْشُرُ  
 وَرُبَّ أَصِيدٍ سَامَ الطَّرْفِ مُقْتَضِبًا  
 بِالتَّجَاجِ نِيرَانُهُ لِلْحَرْبِ تُسْتَعْرُ



يَظَلُّ مُفْتَرِشَ الدِّيَابِاجِ مُحْتَجِباً  
عَلَيْهِ تُبْنِي قِبَابُ الْمُلْكِ وَالْحَجَرُ  
إِلَى الْفَنَاءِ وَإِنْ طَالَتْ سَلَامَتُهُمْ  
مَصِيرُ كُلِّ بَنِي أَنْثَى وَإِنْ كُبُرُوا  
إِذَا قَصَتْ زُمُرٌ آجَالَهَا نَزَلَتْ  
عَلَى مَنَازِلِهِمْ مِنْ بَعْدِهَا زُمُرُ  
أَصْبَحْتُمْ جُزْراً لِلْمَوْتِ يَاخُذْكُمْ  
كَمَا الْبَهَائِمُ فِي الدُّنْيَا لَكُمْ جُزُرُ  
أَبْعَدَ آدَمَ تَرْجُونَ الْخُلُودَ وَهَلْ  
تَبْقَى الْفُرُوعُ إِذَا مَا الْأَصْلُ يَنْعَقِرُ  
وَلَيْسَ يَزْجُرْكُمْ مَا تُوعِظُونَ بِهِ  
وَالْبَهْمُ يَزْجُرُهَا الرَّاعِي فَتَنْزَجِرُ  
لَا تَبْطُرُوا وَاهْجُرُوا الدُّنْيَا فَإِنَّ لَهَا  
غِيّاً وَخَيْمًا وَكُفْرُ النِّعْمَةِ الْبَطْرُ  
ثُمَّ اقْتَدُوا بِالْأَوْلَى كَانُوا لَكُمْ غُرّاً  
وَلَيْسَ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا لَهَا غُرْرُ  
مَتَى تَكُونُوا عَلَى مِنْهَاجِ أَوْلَافِكُمْ  
وَتَصْبِرُوا عَنْ هَوَى الدُّنْيَا كَمَا صَبَرُوا  
مَا لِي أَرَى النَّاسَ وَالدُّنْيَا مُؤَلِّيَةً  
وَكُلُّ حَبْلٍ عَلَيْهَا سَوْفَ يَنْتَبِرُ  
لَا يَشْعُرُونَ إِذَا مَا دِينَهُمْ نَقِصُوا

يَوْمًا وَإِنْ نُقِصَتْ دُنْيَاهُمْ شَاعِرُوا  
 حَتَّى مَتَى أَكُ فِي الدُّنْيَا أَخَا كَلْفٍ  
 فِي الخَدِّ مَنِّي إِلَى لَذَاتِهَا صَعُرُ  
 وَلَا أَرَى أَثْرًا لِلذِّكْرِ فِي جَسَدِي  
 وَالْحَبْلُ فِي الْحَجَرِ الْقَاسِي لَهُ أَثْرُ  
 لَوْ كَانَ يُسْهَرُ لِيَلِي ذِكْرُ آخِرَتِي  
 كَمَا يُورِّقُنِي لِلْعَاجِلِ السَّفْرُ  
 إِذَا لَدَاوَيْتُ قَلْبًا قَدْ أَضَرَّ بِهِ  
 طُولُ السَّقَامِ وَكَسْرُ العَظْمِ يَنْجِرُ  
 ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى المَعْصُومِ سَيِّدِنَا  
 مَا هَبَّتْ الرِّيحُ وَاهْتَزَّتْ بِهَا الشَّجَرُ

اللَّهُمَّ ثَبَّتْ إيماننا ثبوت الجبال الراسيات وشرح صدورنا للإسلام وثبتنا عَلَيْهِ وَاجْعَلْنَا مِنْ حَزْبِكَ  
 المفلحين وعبادك الصالحين الَّذِينَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَصَلِي اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى  
 آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

### ( فَضْلٌ )

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ :

أركان الكفر أربعة : الكبر والحسد والغضب والشهوة فالكبر يمنع الانقياد والحسد يمنع قبول  
 النصيحة وبذلها والغضب يمنع العدل والشهوة تمنع التفرغ للعبادة فإن انهدم ركن الكبر سهل  
 عَلَيْهِ الانقياد وَإِذَا انهدم ركن الحسد سهل عَلَيْهِ قبول النصح وبذله وَإِذَا انهدم ركن الغضب  
 سهل عَلَيْهِ العدل والتواضع وَإِذَا انهدم ركن الشهوة سهل عَلَيْهِ الصبر والعفاف والعبادة .  
 وزوال الجبال عن أماكنها أيسر من زوال هذه الأربعة عمن بُليَ بِهَا وَلَا

سيما إذا صارت هيئات راسخة وملكات وصفات ثابتة فإنه لا يستقيم له معها عمل البتة . ولا تزكو نفسه مع قيامها بها ، وكلما اجتهد في العمل أفسدته عليه هذه الأربعة وكل الآفات متولدة منها وإذا استحكمت في القلب آرتة الباطل في صورة الحق والحق في صورة الباطل والمعروف في صورة المُنكر والمُنكر في صورة المعروف وقربت منه الدنيا وبعدت منه الآخرة . وإذا تأملت كفر الأمم رأيته ناشئاً منها وعليها يقع العذاب وتكون خفته وشدته بحسب خفتها وشدتها فمن فتحها على نفسه فتح عليه أبواب الشرور كلها عاجلاً وآجلاً ، ومن أغلقها عن نفسه أغلق عنه أبواب الشرور ، فإنها تمنع الانقياد والإخلاص والتوبة والإنابة وقبول الحق ونصيحة المسلميين والتواضع لله وخالقه .

( ومنشأ هذه الأربعة ) : من جهله بربه وجهله بنفسه فإنه لو عرف ربه بصفات الكمال ونعوت الجلال . وعرف نفسه بالنقائص والآفات ، لم يتكبر ولم يغضب لها ، ولم يحسد أحداً على ما آتاه الله ، فإن الحسد في الحقيقة نوع من معاداة الله ، فإنه يكره نعمة الله على عبده ، وقد أحبها الله ويجب زوالها عنه ، والله يكره ذلك ، فهو مضاد لله في قضائه وقدره ومحبته وكرهته ، ولذلك كان إبليس عدوه حقيقة ، لأن ذنبه كان عن كبر وحسد . فقلع هاتين الصفتين بمعرفة الله وتوحيده ، والرضا به وعنه ، والإنابة إليه وقلع الغضب بمعرفة النفس ، وأنها لا تستحق أن يغضب لها ، وينتقم لها فإن ذلك إيثار لها بالرضا والغضب على خالقها وفاطرها وأعظم ما تدفع به هذه الآفة أن يعودها أن تغضب له سبحانه وترضي له فكلمها دخلها شيء من الغضب والرضا له خرج منها مقابله من الغضب والرضا لها وكذا بالعكس .

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ : أساس كُلِّ خَيْرٍ أَنْ تَعْلَمَ أَنْ مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ ، فتيقن حينئذ أن الحسنات من نعمه فتشكره عَلَيْهَا ، وتتضرع إليه أن لا يقطعها عنك ، وأن السيئات من خذلانه وعقوبته ، فتبتهل إليه أن يحول بينك وبينها ، ولا يكلك في فعل الحسنات وترك السيئات إلي نفسك وَقَدْ أَجْمَعَ العارِفونَ عَلَيَّ أَنْ كُلَّ خَيْرٍ أَصْلُهُ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ لِلْعَبْدِ وَكُلِّ شَرٍّ أَصْلُهُ خِذْلَانُهُ لِعَبْدِهِ وَأَجْمَعُوا عَلَيَّ أَنْ لَا يَكِلُكَ اللَّهُ إِلَيَّ نَفْسَكَ وَأَنْ الْخِذْلَانَ هُوَ أَنْ يَخْلِي بَيْنَكَ وَبَيْنَ نَفْسِكَ فَإِذَا كَانَ كُلُّ خَيْرٍ فَأَصْلُهُ التَّوْفِيقُ وَهُوَ بِيَدِ اللَّهِ لَا بِيَدِ الْعَبْدِ فمفتاحه الدُّعَاءُ والرغبة والرغبة إليه فمعي أعطيت العبد هَذَا المفتاح فَقَدْ أَرَادَ أَنْ يَفْتَحَ لَهُ وَمَتَى أَضْلَهُ عَنِ الْمِفْتَاحِ بَقِيَ بَابُ الْخَيْرِ مَرْتَجًا دُونَهُ ، وَقَالَ أميرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِنِّي لَا أَحْمِلُ هِمَّ الْإِجَابَةِ وَلَكِنْ أَحْمِلُ هِمَّ الدُّعَاءِ فَإِذَا أُلْهِمْتُ الدُّعَاءَ فَإِنَّ الْإِجَابَةَ مَعَهُ وَعَلَيَّ قَدْرُ نِيَةِ الْعَبْدِ وَهَمَّتِهِ وَمِرَادِهِ وَرَغْبَتِهِ فِي ذَلِكَ يَكُونُ تَوْفِيقُهُ سُبْحَانَهُ وَإِعَانَتُهُ فَالمَعُونَةُ مِنَ اللَّهِ تَنْزِلُ عَلَيَّ الْعِبَادِ عَلَيَّ قَدْرُ هِمَّتِهِمْ وَنِيَاتِهِمْ وَرَغْبَتِهِمْ وَرَهْبَتِهِمْ وَالْخِذْلَانَ يَنْزِلُ عَلَيْهِمْ عَلَيَّ حَسَبَ ذَلِكَ فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ، وَأَعْلَمُ الْعَالَمِينَ يَضَعُ التَّوْفِيقَ فِي مَوَاضِعِهِ اللَّائِقَةَ بِهِ وَالْخِذْلَانَ فِي مَوَاضِعِهِ اللَّائِقَةَ بِهِ ، وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ وَمَا أَتَى مِنْ أَتَى إِلَّا مِنْ قَبْلِ إِضَاعَةِ الشُّكْرِ وَإِهْمَالِ الْاِفْتِقَارِ وَالدُّعَاءِ وَلَا ظَفَرَ بِمَشْئَةِ اللَّهِ وَعَوْنَهُ إِلَّا بِقِيَامِهِ بِالشُّكْرِ وَصِدْقِ الْاِفْتِقَارِ وَالدُّعَاءِ وَمَلَكَ ذَلِكَ الصَّبْرَ فَإِنَّهُ مِنَ الْإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ فَإِذَا قُطِعَ الرَّأْسُ فَلَا بَقَاءَ لِلْجَسَدِ .

عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ يَا نَفْسُ سَرْمَدًا

وَلَا تُلْحِقِي بِالْخَلْقِ ضُرًّا تَعْمُدًا

وَلَا تَحْسِدِي حَيًّا وَلَوْ جَارَ وَاعْتَدَى  
عَلَيْكَ فَمَا يَخِي البَغَاءُ مُخَلَّدَا  
تَدُورُ عَلَى البَاغِي الدَّوَائِرُ عَنوَةً  
وَيَخِي سَعِيدَ ذُو الفَضِيلَةِ أَمَجَّدَا  
وَكُلُّ حَسُودٍ يَنْخَرُ الحَقْدُ قَلْبَهُ  
يَدُوبُ كَشَمْعٍ فِي سَعِيرٍ تَوَقَّدَا  
يَعِيشُ وَنَارُ الغَيْضِ تُحْرِقُ كَبِدَهُ  
وَإِنْ مَاتَ أَضْحَى الجَمْرُ فِيهِ مُجَدَّدَا  
فَجَازِ أَخَا فَضْلٍ وَرَاعِ ذِمَامَهُ  
وَسَامِعِ عَادُوا إِنْ قَالَاكَ وَنَدَّدَا  
فَإِنِّي رَأَيْتُ الفَضْلَ خَيْرَ ذَخِيرَةٍ  
لَمَنْ رَامَ قَبْلَ المَوْتِ أَنْ يَتَزَوَّدَا

#### موعظة

إخواني إن العُقْلَةَ عن الله مصيبة عظيمة قال تعالى : (ولا تكونوا كالَّذِينَ نَسُوا الله فأنساهم أنفسهم) فمن غفل عن ذكر الله وأهله الدُّنْيَا عن العَمَلِ للدار الآخرة أنساه العَمَلِ لمصالح نفسه فلا يسعي لها بما فيه نفعها ولا يأخذ في أسباب سعادتها وإصلاحها وما يكملها وينسي كذلك أمراض نفسه وقَلْبِهِ وآلامه فلا يخطر بباله معالجتها ولا السعي في إزالة عللها وأمراضها التي تؤل إلى الهلاك والدمار وهذا من أعظم العقوبات فأبي عقوبة أعظم من عقوبة من أهمل نفسه وضيعها ونسي مصالحها وداءها ودواءها وأسباب سعادتها وفلاحها وحياتها الأبدية في النَّعِيمِ المُقِيمِ ومن تأمل هذا الموضوع تبين له أن كثيراً من الخلق قد نسوا أنفسهم وضيعوها وأضاعوا

حظها وباعوها بثمن بخس بيع المغبون ويظهر ذَلِكَ عِنْدَ الموت ويتجلي ذَلِكَ كله يوم التغابن ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴾ الآية .

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ إِيمَانَنَا بِكَ ثَبُوتَ الْجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ وَنور قلوبنا بنور الإيمان وَاجْعَلْنَا هِدَاةَ مَهْتَدِينَ وَأصْلِحْ أَوْلَادَنَا وَاغْفِرْ لآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا وَاجْمَعْنَا وَإِيَاهُمْ مَعَ عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ وَصَلِّيْ اللَّهَ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ .

### ( قال في منهاج القاصدين )

**[فصل]** اعلم أن القلب بأصل فطرته قابل للهدى ، وبما وضع فيه من الشهوة والهوى ، مائل عن ذَلِكَ ، والتطارد فيه بين جند الملائكة والشياطين دائم ، إلي أن يفتح القلب لأحدهما فيتمكن ويستوطن ، ويكون اختيار الثاني اختلاسا ، كما قال تعالى ﴿ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴾ وَهُوَ الَّذِي إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ خَنَسَ وَإِذَا وَقَعَتِ الْعَفْةُ انبَسَطَ ، ولا يطرد جند الشياطين من القلب إلا ذكر الله تعالى ، فإنه لا قرار له مَعَ الذكر . واعلم أن مثل القلب كمثل حصن ، والشيطان عدو يريد أن يدخل الحصن ويملكه ويستولي عَلَيْهِ ، ولا يمكن حفظ الحصن إلا بحراسة أبوابه ، ولا يقدر على حراسة أبوابه من لا يعرفها ولا يتوصل إلي دفع الشيطان إلا بمعرفة مداخله ، ومداخل الشيطان وأبوابه . . صفات العبد ، وهي كثيرة إلا أَنَا نشير إلي الأبواب العظيمة الجارية مجري الدروب التي لا تضيق عن كثرة جنود الشيطان .  
فمن أبوابه العظيمة : الحسد ، والحرص . فمتي كَانَ الْعَبْدُ حَرِيصاً عَلَيَّ شَيْءٍ ، أعماه حرصه ، وأصمه ، وغطى نور بصيرته التي يعرف بِهَا مداخل الشيطان . وكذلك إِذَا كَانَ حَسُوداً فيجد الشيطان حينئذٍ الفرصة ،

فيحسن عند الحريص كُلَّ ما يوصله إلى شهوته ، وإذا كَانَ منكرًا أو فاحشًا ، ومن أبوابه العظيمة .

الغضب ، والشهوة ، والحدة فإن الغضب غول العقل ، وإذا ضعف جند العقل هجم حينئذ الشيطان فلعب بالإنسان . وقد روي أن إبليس يقول : إذا كَانَ العبد حديدًا ، قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة .

ومن أبوابه : حب التزين في المنزل ، والأثاث فلا يزال يدعو إلى عمارة الدار ، وتزين سقوفها وحيطانها ، والتزين بالثياب ، والأثاث ، فيخسر الإنسان طول عمره في ذلك . ومن أبوابه : الشبع فإنه يقوي الشهوة ، ويشغل عن الطاعة . ومنها الطمع في الناس ، فإن من طمع في شخص ، بالغ بالثناء عليه بما ليس فيه ، وداهنه ولم يأمره بالمعروف ، ولم ينهه عن المنكر . ومن أبوابه : العجلة ، وترك التثبت وقد قال النبي ﷺ : " العجلة من الشيطان ، والتأني من الله تعالى " . ومن أبوابه : حب المال ، ومتى تمكن من القلب أفسده وحمله على طلب المال من غير وجهه ، وأخرجه إلى البخل وخوفه الفقر فمنع الحقوق اللازمة . ومن أبوابه : حمل العوام على التعصب في المذاهب ، دون العمل بمقتضاها ومن أبوابه أيضاً حمل العوام على التفكير في ذات الله تعالى وصفاته ، وفي أمور لا تبلغها عقولهم حتي يشككهم في أصل الدين . ومن أبوابه : سوء الظن بالمسلمين فإن من حكم على مسلم بسوء ظنه ، احتقره وأطلق فيه لسانه ، ورأى نفسه خيراً منه . وإنما يترشح سوء الظن بجث الظان ، لأن المؤمن يطلب المعاذير للمؤمنين والمنافق يبحث عن عيوبهم .

وينبغي للإنسان أن يحترز عن مواقفهم التهم ، لئلا يساء به الظن،

فهذا طرف من مداخل الشيطان وعلاج هذه الأفات سد المداخل بتطهير القلب من الصفات المذمومة ، وسيأتي الكلام على هذه الصفات إن شاء الله تعالى مفصلاً .

وإذا قلعت عن القلب أصول هذه الصفات ، بقي للشيطان بالقلب خطرات واجتيازات من غير استقرار فيمنعه من ذلك ذكر الله تعالى ، وعمارة القلب بالتقوي . ومثل الشيطان كمثل كلب جائع يقرب منك ، فإن لم يكن بين يديك لحم وخبز ، فإنه ينزجر بأن تقول له : احسأ ، وإن كان بين يديك شيء من ذلك وهو جائع ، لم يندفع عنك بمجرد الكلام ، فكذلك القلب الخالي عن قوت الشيطان ينزجر عنه بمجرد الذكر . فأما القلب الذي غلب عليه الهوى فإنه يرفع الذكر إلى حواشيه فلا يتمكن الذكر من سويدائه ، فيستقر الشيطان في السويداء .

وإذا أردت مصداق ذلك ، فتأمل في صلاتك ، وانظر إلى الشيطان كيف يحدث قلبك في مثل ذلك الموطن ، بذكر السوق ، وحساب العالمين ، وتدبير أمر الدنيا واعلم أنه قد عفي عن حديث النفس ويدخل في ذلك ما هممت به ، ومن ترك ذلك خوفاً من الله تعالى كتبت له حسنة ، وإن تركه لعائق رجونا له المسامحة ، إلا أن يكون عزمًا ، فإن العزم على الخطيئة خطيئة بدليل قوله ρ : " إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار ، قيل : ما بال المقتول ؟ قال : إنه كان حريصاً على قتل صاحبه " .

وكيف لا تقع المؤاخذة بالعزم ، والأعمال بالنية ، وهل الكبر والرياء إلا أمور باطنة ؟ ولو أن إنساناً رأي على فراشه أجنبية ظنها زوجته لم يأثم بوطئها ، ولو رأي زوجته وظنها أجنبية أثم بوطئها ، وكل هذ معلق بعقد القلب .



وقد ورد في الحديث أن النبي ﷺ كَانَ يَقُولُ "يا مَثَبَتِ القُلُوبِ ثَبَّتْ قلوبنا عَلَى دينك ، يا مصرف القلوب اصرف قلوبنا إلى طاعتك" . وفي حديث آخر : "مثل القلب كمثل ريشة بأرض فلاة تقلبها الرياح" واعلم أن القلوب في الثبات على الخير والشر والتردد بينهما ثلاثة : الأول قلب عمر بالتقوي ، وزكي بالرياضة ، وطهر عن خبائث الأخلاق ، فتفرج فيه خواطر الخير من خزائن الغيب ، فيمده الملك بالهدى .

القلب الثاني : قلب مخدول ، مشحون بالهوى ، ودينس بالخبائث ملوث بالأخلاق الذميمة فيقوي فيه سلطان الشيطان لاتساع مكانه ، فيضعف سلطان الإيمان ، ويمتلئ القلب بدخان الهوى ، فيعدم النور ، ويصير كالعين الممتلئة بالدخان لا يمكنها النظر؛ ولا يؤثر عنده زجر ولا وعظ .

والقلب الثالث : قلب يبتدئ فيه خاطر الهوى ، فيدعوه إلى الشر ، فيلحقه خاطر الإيمان ، فيدعوه إلى الخير . مثاله ، أن يحمل الشيطان حملة على العقل ، ويقوي داعي الهوى ، ويقول : أما تري فلاناً وفلاناً كيف يطلقون أنفسهم في هواها حتي يعد جماعة من العلماء ، فتميل النفس إلى الشيطان ، فيحمل الملك حملة على الشيطان ، ويقول : هل هلك إلا من نسي العاقبة ، فلا تغتر بعقله الناس عن أنفسهم ، أرأيت لو وقفوا في الصيف في الشمس ولك بيت بارد ، أكنت توافقهم أم تطلب المصلحة ؟ أفتخالقهم في حر الشمس ، ولا تخالفهم فيما يؤول إلى النار فتميل النفس إلى قول الملك ، ويقع التردد بين الجندين ، إلى أن يغلب على القلب ما هو أولي به ، فمن خلق للخير يسر له ومن خلق للشر يسر له قال تعالى ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ﴾ اللهم وفقنا لما تحبه وترضاه .

شِعْرًا: إِلَى كَم إِذَا مَا غَبْتُ تُرَجَى سَلَامَتِي      وَقَدْ قَعَدْتُ بِي الْحَادِثَاتُ وَقَامَتِ  
 وَعَمَّمْتُ مِنْ نَسَجِ الْقَتِيرِ عِمَامَةً      رُقُومُ الْبَلَى مَرْقُومَةٌ بِعِمَامَتِي  
 وَكُنْتُ أَرَى لِي فِي الشَّبَابِ عَلَامَةً      فَصِرْتُ وَإِنِّي مُنَكِرٌ لِعِلَامَتِي  
 وَمَا هِيَ إِلَّا أَوْبَةٌ بَعْدَ غِيْبَةٍ      إِلَى الْغَيْبَةِ الْقُصُوى فَتَمَّ قِيَامَتِي  
 كَأَنِّي بِنَفْسِي حَسْرَةً وَنَدَامَةً      تُقَطِّعُ إِذْ لَمْ تُغْنِ عَنِّي نَدَامَتِي  
 مَنَى النَّفْسِ مِمَّا يُوْطِيءُ الْمَرْءَ عَشْوَةً

إِذَا النَّفْسُ جَالَتْ حَوْلَهُنَّ وَحَامَتِ  
 وَمَنْ أَوْطَأَتْهُ نَفْسُهُ حَاجَةً فَقَدْ  
 أَسَاءَتْ إِلَيْهِ نَفْسُهُ وَأَلَامَتِ  
 أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي لَهُ لَوْ صَدَقْتُهَا  
 لَرَدَدْتُ تَوْبِيخِي لَهَا وَمَلَامَتِي  
 فَلِلَّهِ نَفْسٌ أَوْطَأَتْني مِنَ الْعَشَا  
 حُزُونًا وَلَوْ قَوْمَتِهَا لَأَسْتَقَامَتِ  
 وَلِلَّهِ يَوْمٌ أَيَّ يَوْمٍ فَطَاعَةً  
 وَأَفْطَعُ مِنْهُ بَعْدَ يَوْمٍ قِيَامَتِي  
 وَلِلَّهِ أَهْلِي إِذْ حَبَوْنِي بِحُفْرَةٍ  
 وَهُمْ بِهِمْ وَانِي يَطْلُبُونَ كَرَامَتِي  
 وَلِلَّهِ دُنْيَا لَا تَزَالُ تَرْدُنِي  
 إِبَاطِيْلَهَا فِي الْجَهْلِ بَعْدَ اسْتِقَامَتِي

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ إِيمَانَنَا بِكَ وَمَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا ثَبُوتَ الْجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ وَاعْصِمْنَا يَا مَوْلَانَا مِنْ جَمِيعِ  
 الْمَوْبِقَاتِ وَوَقِّنَا لِلْعَمَلِ بِالْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ

وارفع منازلنا في فسيح الجنات وارزقنا النظر إلي وجهك الكريم يا حكيم يا عليم يا حي يا قيوم  
وَاعْزِزْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ  
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ . .

### ( فَصْلٌ )

تكلم أحد العلماء في بيان مداخل الشيطان إلى القلوب  
فَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ اعْلَمْ أَنَّ الْقَلْبَ مِثَالَهُ مِثَالُ حِصْنٍ رَفِيعٍ وَالشَّيْطَانُ عَدُوٌّ يَرِيدُ أَنْ يَدْخُلَ الْحِصْنَ  
وَيَمْلِكُهُ وَيَسْتَوْلِي عَلَيْهِ .

ولا يقدر على حفظ الحصن إلا بحراسة أبواب الحصن ومداخله ومواقع ثلمه ، ولا يقدر على  
حراسة أبوابه من لا يعرف أبوابه .

وحماية القلب عن فساد الشيطان فرض عين واجب على كل عبد مكلف ، وما لا يتوصل إلى  
الواجب إلا به فهو واجب .

ولا يتوصل إلى دفع الشيطان إلا بمعرفة مداخله ، فصارت معرفة مداخل الشيطان واجبة .  
ومداخل الشيطان وأبوابه صفات العبد نحو الشهوة والغضب والحدة والطمع وغيرها وهي كثيرة  
، ولكننا نشير إلى معظم وسائله في إغواء الخلق وتسلبه عليهم بها إن شاء الله .

وجملتها وسائل عشرة نذكرها ونذكر كيفية علاجها والتخلص منها ، فهذان تقريران .

التقرير الأول : في ذكرنا الوسيلة الأولى الحسد والحرص ، فمن حصل على هاتين الخصلتين  
عمي وصم ، وهما من أعظم مداخل الشيطان وأكبر وسائله .

وقد روي أن نوحاً عليه السلام لما ركب البحر وحل في السفينة من كل زوجين اثنين كما أمر  
فرأي في السفينة شيخاً لم يعرفه .

فَقَالَ لَهُ نُوحٌ : مَنْ أَدْخَلَكَ ؟ قَالَ : دَخَلْتُ لِأَصِيبَ قُلُوبَ أَصْحَابِكَ فَتَكُونُ قُلُوبُهُمْ مَعِيَ وَأَبْدَانُهُمْ مَعَكَ .

فَقَالَ نُوحٌ : أَخْرَجَ يَا عَدُوَّ اللَّهِ فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ، فَقَالَ إِبْلِيسُ : خَمْسَ أَهْلِكَ بَعْنَ النَّاسَ وَسَأُحَدِّثُكَ مِنْهُمْ بِثَلَاثٍ ، وَلَا أُحَدِّثُكَ بِاِثْنَيْنِ .

فَأَوْحَى إِلَى نُوحٍ إِنَّهُ لَا حَاجَةَ لَكَ إِلَى الثَّلَاثِ ، مَرَّةً يَحْدِثُكَ بِاِثْنَيْنِ .

فَقَالَ : مَا الْاِثْنَتَانِ ؟ فَقَالَ : هُمَا اللَّتَانِ لَا تَكْذِبَانِي ، هُمَا اللَّتَانِ لَا تَخْلِفَانِي بِهَمَا أَهْلِكَ النَّاسَ الْحَرَصَ وَالْحَسَدَ .

فَبِالْحَسَدِ لَعَنْتُ وَجَعَلْتُ شَيْطَانًا رَجِيمًا ، وَالْحَرَصَ أَصَبْتُ حَاجَتِي مِنْ آدَمَ ، أُبِيحَ لِآدَمَ الْجَنَّةَ كُلَّهَا إِلَّا الشَّجَرَةَ الَّتِي عَرَفَ بِهَا فَوْسُوسٌ لَهُ حَتَّى أَكَلَهَا .

الْوَسِيلَةُ الثَّانِيَّةُ : الشَّهْوَةُ وَالْعُضْبُ فَإِنَّهُمَا مِنْ أَعْظَمِ الْمَكَايِدِ لِلشَّيْطَانِ ، فَهَمَا غَضَبُ الْإِنْسَانِ لَعِبَ لَهُ الشَّيْطَانُ ، وَعَنْ بَعْضِ الْأَنْبِيَاءِ أَنَّهُ قَالَ لِإِبْلِيسَ : بِأَيِّ شَيْءٍ تَغْلِبُ ابْنَ آدَمَ ؟ قَالَ : آخِذْهُ عِنْدَ الْعُضْبِ وَعِنْدَ الْهَوِيِّ .

وظَهَرَ إِبْلِيسُ لِرَاهِبٍ ، فَقَالَ : أَيُّ أَخْلَاقِ بَنِي آدَمَ أَعُونَ لَكَ عَلَيْهِمْ ؟ فَقَالَ : الْحُدَّةُ ، إِنْ الْعَبْدُ إِذَا كَانَ حَدِيدًا قَلْبُهُ كَمَا تَقَلُّبُ الصَّبِيَّانِ الْكِرَّةَ .

وَقِيلَ لِإِبْلِيسَ : كَيْفَ تَقَلُّبُ ابْنَ آدَمَ ؟ فَقَالَ : إِذَا رَضِيَ جِئْتُ حَتَّى أَكُونَ فِي قَلْبِهِ ، وَإِذَا غَضِبَ جِئْتُ حَتَّى أَكُونَ عَلَى رَأْسِهِ .

الْوَسِيلَةُ الثَّلَاثَةُ : حُبُّ الشَّهَوَاتِ وَالزَّيْنَةِ فِي الدُّنْيَا فِي الثِّيَابِ وَالْأَثَاثِ وَالذُّورِ وَالْمَرَآكِبِ ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ إِذَا رَأَى ذَلِكَ غَالِبًا عَلَى قَلْبِ إِنْسَانٍ بَاضَ فِيهِ وَفَرَّخَ .

فَلَا يَزَالُ يَدْعُوهُ إِلَى عِمَارَةِ الدُّنْيَا وَتَزْيِينِ سَقُوفِهَا وَحَيْطَانِهَا وَتَوْسِيعِ الْأَبْنِيَةِ ، وَيَدْعُوهُ إِلَى التَّزْيِينِ بِالْأَثْوَابِ النَّفِيسَةِ وَيَسْتَسْخِرُهُ طَوْلَ عَمْرِهِ .

فإذا أوقعه فيها فقد استغني عن معاودته فإن بعض ذلك يجر إلي بعض ، فلا يزال يؤديه من شيء إلى شيء إلى أن يستاق إليه أجله فيموت وهو في بحر الأمان يعوم ، وفي سبيل الضلال يخوض ، ومن ذلك يخشي سوء الخاتمة نعوذ بالله منها .

الوسيلة الرابعة : الطمع ، فإذا كان الطمع غالباً على القلب لم يزل الشيطان يحسن له التصنع لمن طمع فيه حتى يصير المطموع فيه كأنه معبوده .

وقد قال الرسول ρ "إياكم واستشعار الطمع فإنه يشرب القلب شدة الحرص ويختم على القلوب بطابع حب الدنيا ، وهو مفتاح كل سيئة ، وسبب إحباط كل حسنة" .  
هَذَا هُوَ الْغَايَةُ فِي الْخُسْرَانِ وَالْهَلَاكِ .

الوسيلة الخامسة : العجلة في الأمور وكثرة الطيش والفشل ، وروي عن رسول الله ρ أنه قال "الأناة من الله والعجلة من الشيطان" .

وروي أنه لما ولد عيسى عليه السلام أتت الشياطين إبليس فقالوا : أصبحت الأصنام قد نكست رؤوسها فقال : هذا حادث قد حدث مكانكم فطار حتى جاء خافقي الأرض .  
فلم يجد شيئاً فوجد عيسى عليه السلام قد ولد وإذا الملائكة قد حفت حوله .

فقال لهم إن نبياً قد ولد البارحة ، ما حملت أنثى قط ولا وضعت إلا وأنا بحضرتها إلا هذا فاستياسوا من عبادة الأصنام بعد هذه الليلة ولكن اتوا بني آدم من قبل الخفة والعجلة .  
عصمنا الله وإياكم من الزلل ووفقنا لصالح العمل وهدانا بفضله

سبيل الرشاد وطريق السداد إنه جل شأنه نعم المولي ونعم النصير وصلي الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

### ( فَصْلٌ )

الوسيلة السادسة : الفتنة بالدرهم والدنانير وسائر أصناف الأموال والعروض والدواب والعقارات وكل ما يكون فضله على قدر الحاجة والقوت فهو مستقر الشيطان .

وروي أن الرسول P لما بعث ، قال إبليس لشياطينه : لقد حدث أمر فانظروا ما هو ، فانطلقوا ثم جاءوا وقالوا : ما ندري قال إبليس : أنا آتيكم بالخير .

فذهب وجاء ، قال : قد بعث محمد P ، قال : فجعل يرسل شياطينه إلي أصحاب الرسول P فيصرفون خائبين ، فيقولون : ما صحبنا قوماً قط مثل هؤلاء ، نصيب منهم ثم يقومون للصلاة فيمحون ذلك .

فقال إبليس : رويداً لهم عسي الله أن يفتح لهم الدنيا فهناك تصيرون حاجتكم منهم .

الوسيلة السابعة : البخل وخوف الفقر فإن البخل هو أصل لكل خطيئة ، وروي عن إبليس لعنه الله أنه قال : ما غلبي ابن آدم فلن يغلبي في ثلاث ، أمره أن يأخذ المال من غير حقه وينفقه في غير حقه ويمنعه من مستحقه .

وقال سفيان الثوري : ليس للشيطان سلاح على الإنسان مثل خوف الفقر ، فإذا قبل ذلك منه أخذ في الباطل ومنع من الحق وتكلم بالهوى وظن بربه السوء ، وهو من أعظم الآفات على الدين .

الوسيلة الثامنة : سوء الظن بالمسلمين وقد قال تعالى ﴿ اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ .

ومن حكم بشيء على غيره بالظن فإن الشيطان يبعثه على أن يطول فيه اللسان بالغيبة فيهلك ، أو يقصر في القيام بحقوقه أو يتواني في إكرامه أو ينظره بعين الاحتقار أو يري نفسه خيراً منه .

وكل ذلك من المهلكات ، فمهما رأيت إنساناً يسيء الظن بالناس طالباً لعيوبهم فاعلم أنه خبيث في الباطن ، فإن المؤمن يطلب المعاذير ، والمنافق يطلب العيوب للخلق .  
الوسيلة التاسعة : الشبع من الطعام والتأنق في المآكل الفاخرة ، فإن الشبع يقوي الشهوات وهي أسلحة الشيطان التي بها يصول .

وروي أن إبليس ظهر يوماً ليحيي بن زكريا عليه السلام فرأى عليه معاليق من كل شيء ، فقال له يحيي عليه السلام : ما هذه المعاليق .

فقال : هذه هي الشهوات التي أصيب بها بني آدم ، فقال : هل لي منها شيء ؟ فقال : ربما شبعت فتناقلت عن الصلاة وعن الذكر .

فقال : هل غير ذلك؟ قال : لا ، فقال يحيي : لله على أن لا أملاً بطني ، فقال إبليس : على الله لا أنصح مسلماً .

الوسيلة العاشرة : تعاطي العوام الذين لم يمارسوا العلوم ولم يتبحروا فيها بالتفكير في ذات الله عز وجل وصفاته وفي الأمور التي لا تبلغها عقولهم حتي يؤدي ذلك إلي الاعتقادات الكفرية وهم لا يشعرون .

وهم في غاية ما يكونون من الفرح والسرور والاطمئنان إلي ما وقع في صدورهم .  
وهم في غاية الخطأ ويظنون أن ما اعتقدوه هو العلم والبصيرة ، فما هذا حاله يكون من أعظم الأبواب للشيطان في اللعب بعقولهم وإيقاعهم في الأمور المكروهة .

فهذه وسائل الشيطان ومدخله إلى القلب وهي كثيرة ، وفيما ذكرناه تنبيه على ما ورائها .  
 وبالجملة فليس في الآدمي صفة مذمومة إلا وهي سلاح للشيطان ومدخل من مدخله .  
 التقرير الثاني : في بيان العلاج في دفعها وإزالتها ، اعلم أن علاج هذه الأمور وإزالتها إنما  
 يكون بالدعاء إلى الله والالتجاء إليه في دفعها وإزالتها ، وبالاجتهاد في قلع هذه الصفات  
 المذمومة عن القلب ، والعناية في ذكر الله عزَّ وجلَّ ، فهذه دوافع ثلاثة نذكرها .  
 الدافع الأول : يكون باللجوء إلى الله بالدعاء راجياً منه تحصيل الألفاظ الخفية في إبعاد  
 الشياطين وإزالتهم ، وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، قال : كَانَ الشيطان يأتي الرسول ﷺ ويديه  
 شعلة نار فيقوم بين يديه وهو يصلي فيقرأ ويتعوذ فلا يذهب .  
 فأتي جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ فَقَالَ لَهُ ﷺ : قل أعوذ بكلمات الله التامات التي لا  
 يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج  
 فيها .  
 ومن شر فتن الليل والنهار وطوارق الليل والنهار إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمن ، فطفيت شعلته  
 وخر وجهه .  
 وعن الحسن البصري أنه قال : نبئت أن جبريل أتى إلي رسول الله ﷺ ، فَقَالَ : إن عفريتاً من  
 الجن يكيذك فإذا أويت إلي فراشك فأقرأ آية الكرسي .  
 وعن الرسول ﷺ أنه قال : أتاني شيطان فنازعني ثم نازعني فأخذت بحلقه والذي بعثني بالحق ما  
 أرسلته حتى وجدت برد لسانه على يدي ، ولولا دعوة أخي سليمان لأصبح طريحاً حتى تنظروا  
 إليه .



الدافع الثاني : العناية في إزالة هذه الصفات المذمومة من القلوب وقلعها منها فإن الشيطان مثل الكلب في تسلط على الإنسان .

فإذا كان الإنسان متصفا بهذه الصفات الذميمة من الغضب والحسد والحرص والطمع وغيرها كان بمنزلة من يكون بين يديه خبز ولحم فإن الكلب لا محالة يتهور عليه ويتوثب ولا يندفع غالباً إلا بمشقة شديدة ، وإن لم يكن متصفاً بها لم يطمع فيه لأنه لا داعي له هنالك ويكون دفعه بأسهل ما يكون وأيسره فإنه يندفع بالنهر والحسا والزجر ، فتزال بنقائضها .

فيزال الغضب بالرضاء والسكينة ، ويزال الكبر بالتواضع ، ويزال الحسد بمعرفة حق المحسود وأن الذي اختص به فضل من الله فلا يمكن دفعه .

ويزال الطمع بالورع والاكتفاء بما أعطاه الله عز وجل ، ويزال الحرص بتحقيق حال الدنيا وانقطاعها بالموت .

وهكذا تفعل في كل خصلة مذمومة بالاجتهاد في إزالتها .

الدافع الثالث : ذكر الله تعالى ، وإليه الإشارة بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾ .

والمعني أنهم إذا ألمَّ بقلوبهم شيء من هذه الصفات الذميمة فزعوا إلى ذكر الله تعالى وتذكروه ، فعند ذلك يحصل التبصر لهم في عواقب أمورهم .

نعم الذكر لا يكون طارداً للشيطان إلا إذا كانت القلوب معمورة بالخوف والتقوي .

فأما إذا كانت خالية عن ذلك فرمما يكون الذكر غير مجدي ، ومثال هذا من يطمع في شرب الدواء قبل الاحتمى والمعدة مشحونة بغليظ الطعام ويطمع في أنه ينفعه كما ينفع الذي يشربه بعد الاحتمى وتخلية المعدة عن الأطعمة .

فالذكر هُوَ الدواء والتقوي هُوَ الاحتمى ، فإذا حصل الذكر في قلب فارغ عن غَيْرِ الذكر اندفع الشيطان كما تندفع العلة بنزول الدواء في معدة خالية عن الأطعمة كما أشار إليه تعالى بقوله : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ ﴾ .

اللَّهُمَّ إنا نسألك حياة طيبة ، ونفساً تقيّةً ، وعيشةً نقيّةً ، وميتةً سويةً ، ومرداً غَيْرَ مخزٍ ولا فاضحٍ .

اللَّهُمَّ اجعلنا من أهل الصلاح والنجاح والفلاح ، ومن المؤيدين بنصرك وتأيدك ورضاك يا رب العالمين .

" اللَّهُمَّ مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير " .

يا ودود يا ذا العرش المجيد يا مبدئ يا معيد يا فعال لما تريد نسألك بنور وجهك الذي ملأ أركان عرشك وبقدرتك التي قدرت بها على جميع خلقك وبرحمتك التي وسعت كل شيء لا إله إلا أنت أن تغفر ذنوبنا وسيئاتنا وأن تبدلها لنا بحسنات إنك جواد كريم رؤوف رحيم .

اللَّهُمَّ افتح لدعائنا باب القبول والإجابة وأغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين .

وصلني الله على مُحَمَّد وآله وصحبه أجمعين .

### ( فَصْلٌ )

قال رجل للحسن يا أبا سعيد أينا الشيطان فتبسم وقال لو نام لاسترحنا .

فإذاً لا خلاص للمؤمن منه نعم سبيل إلى دفعه وتضعيف قوته قال

النَّبِيِّ ρ : " إن المؤمن ينضي شيطانه كما ينضي أحدكم بعيره في سفره " .  
وَقَالَ ابن مسعود : شيطان المؤمن مهزول  
وَقَالَ قيس بن الحجاج قال لي شيطاني دخلت فيك وأنا مثل الجزور وأنا الآن مثل العصفور  
فُلْتُ ولم ذاك قال تذييني بذكر الله تعالى .  
وعن أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ρ عليكم بلا إله إلا الله والاستغفار فأكثرُوا  
مِنْهُمَا فَإِنَّ إبْلِيسَ قَالَ أَهْلَكَتْ بَنِي آدَمَ بِالذُّنُوبِ وَأَهْلَكَوْنِي بِبَلَا إِلَهٍ إِلَّا اللهُ وَالِاسْتِغْفَارِ .  
فَلَمَّا رَأَيْتَ ذَلِكَ أَهْلَكَتَهُمُ بِالْأَهْوَاءِ وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ مَهْتَدُونَ رواه الحافظ أبو يعلى الموصلي  
وَقَالَ مجاهد ما من شيء أكسر لظهر إبْلِيسَ مِنْ " لا إله إلا الله " .  
وَقَالَ عباس الدوري سمعت يحيى بن معين يَقُولُ كُنْتُ إِذَا دَخَلْتُ مَنْزِلِي قَرَأْتُ آيَةَ الْكُرْسِيِّ  
مَرَّةً .  
فَإِنَّمَا أَنَا ذَاتُ لَيْلَةٍ أَقْرؤها فَإِذَا هَاتَفَ يَقُولُ كَمْ تَقْرَأُ هَذِهِ لَيْسَ أَحَدٌ يَحْسُنُ يَقْرؤها غَيْرَكَ .  
فَقُلْتُ حَبِيبًا لَهُ وَأَرِي هَذَا يَسْؤُكَ وَاللَّهِ لِأَزِيدَنَّكَ فَصَرْتُ أَقْرؤها فِي اللَّيْلَةِ خَمْسِينَ مَرَّةً أَوْ سِتِينَ مَرَّةً  
قَالَ عَبَّاسٌ فَحَدَّثْتُ مُحَمَّدَ بْنَ سَهْلٍ فَقَالَ كَانَ جَرِيًّا عَلَى الْإِنْسِ وَالْجِنِّ أَوْ كَمَا قَالَ .  
وَقَالَ بشر بن منصور عن وهيب بن الورد خرج رجل إلى الجبانة بعد ساعة من الليل فسمع  
حسًا وأصواتًا شديدةً وجرى بسرير وجاء شيء جلس عليه واجتمع إليه جنود .  
ثُمَّ صَرَخَ مِنْ لِي بَعْرُوةَ بْنِ الزَّبِيرِ فَلَمْ يَجِبْهُ أَحَدٌ حَتَّى تَابَعَ مَا شَاءَ اللهُ مِنَ الْأَصْوَاتِ فَقَالَ وَاحِدٌ  
مِنْهُمْ أَنَا أَكْفِيكَه .

قال : فتوجه نحو المدينة وأنا أنظر ثم أوشك الرجعة فقال لا سبيل إلي عروة قال ويحك لم  
يَقُولُ كَلِمَاتٍ إِذَا أَصْبَحَ وَإِذَا أَمْسَى فَلَا يَخْلُصُ إِلَيْهِ .  
قال الرجل فلما أصبحت قلت لأهلي جهزوني فأتيت المدينة فسألت عنه حتى دلت عليه  
فإذا شيخ فقلت شيئاً تقوله إذا أصبحت وإذا أمسيت .  
فأبي أن يخبرني فأخبرته بما رأيت وبما سمعت فقال ما هو غير أني أقول إذا أصبحت .  
أمنت بالله العظيم وكفرت بالجبث والطاغوت واستمسكت بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله  
سميع عليم .  
إذا أصبحت قلت ثلاث مرات وإذا أمسيت قلت ثلاث مرات .  
وعن ابن عباس أنه قال إن الشياطين قالوا لإبليس يا سيدنا إنا لنفرح بموت العالم ما لا نفرح  
بموت العابد والعالم لا نصيب منه .  
قال انطلقوا فانطلقوا إلي عابد وأتوه في عبادته فقالوا نريد أن نسألك فقال سل .  
فقال إبليس هل يقدر ربك أن يجعل الدنيا في جوف بيضة قال لا أدري قال أترونه كفر في  
سماعه .  
ثم جاء إلي رجل عالم في حلقة يضحك أصحابه فقالوا إنا نريد أن نسألك فقال سل .  
فقال هل يقدر ربك أن يجعل الدنيا في جوف بيضة قال نعم قال كيف .  
قال يقول كن فيكون ، قال أترون ذلك لا يعدو نفسه هذا يفسد عليّ عالماً كثيراً .

حَيَاتِكَ فِي الدُّنْيَا قَلِيلٌ بَقَاؤُهَا  
 وَلَا خَيْرَ فِيهِ غَيْرَ زَادٍ مِنَ التَّقِي  
 بَلَى إِنَّهَا لِلْمُؤْمِنِينَ مَطِيَّةٌ  
 وَمَنْ يَزِرِ التَّقْوَى بِهَا سَوْفَ يَجْتَبِي  
 نُومَلُ أَنْ نَبْقَى بِهَا غَيْرَ أَنَّنَا  
 فَكُنْ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ فِي الْخَيْرِ رَاغِبًا  
 وَجَانِبِ سَبِيلِ الْعِيِّ وَاتْرُكْ مَعَاصِيًا  
 فَلَا بُدَّ يَوْمًا أَنْ تَمُوتَ بِمَشْهَدٍ  
 وَتُنْزَلَ قَبْرًا - لَا أَبَالَكَ - مُوحِشًا  
 وَتَبْقَى بِهِ ثَاوٍ إِلَى الْحَشْرِ وَالْجَزَا  
 فِيمَا تَكُونُ النَّفْسُ تَمَّ سَعِيدَةً  
 يُسَاقُ جَمِيعُ النَّاسِ فِي مَوْقِفِ الْقَضَا  
 هُنَالِكَ تَبْدُو لِلْعِبَادِ صَحَائِفُ  
 وَكَمْ مِنْ ذَلِيلٍ آخِذٍ بِشِمَالِهِ  
 وَآخِرُ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ آخِذٌ  
 فَيَأْتِي نَبِيُّ اللَّهِ لِلرَّبِّ سَاجِدًا  
 فَيَدْعُوهُ رَبُّ الْعَرْشِ : سَلْنِي فَإِنِّي  
 فَقَالَ : إِلَهِي أُمَّتِي مِنْكَ تَرْتَجِي  
 فَيُعْطِيهِ مَوْلَاهُ الْكَرِيمُ شَفَاعَةً  
 وَدُنْيَاكَ يَا هَذَا شَدِيدٌ عَنَاؤُهَا  
 يُنَالُ بِهِ جَنَاتٌ عَدَنٌ وَمَاؤُهَا  
 عَلَيْهَا بُلُوعُ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ دَاؤُهَا  
 ثَمَارًا مِنَ الْفِرْدَوْسِ طَابَ جَنَاؤُهَا  
 عَلَى ثِقَةٍ أَنَّ الْمَمَاتَ انْتَهَاؤُهَا  
 يَلُوحُ مِنَ الطَّاعَاتِ فِيكَ بِهَاؤُهَا  
 يُذِيكَ مِنْ نَارِ الْجَحِيمِ لَطَاؤُهَا  
 يُسَاعِدُ مَنْ نَاحَتْ عَلَيْكَ بُكََاؤُهَا  
 تَكُونُ تَرَى أُمَّ عَلَيْكَ تَرَاؤُهَا  
 وَنَفْسُكَ يَبْدُو فِي الْحِسَابِ جَزَاؤُهَا  
 فَطُوبَى وَإِلَّا فَالضَّرِيعُ غِذَاؤُهَا  
 وَتُنْشَرُ أَعْمَالُ يَمِينٍ وَبَاؤُهَا  
 فَتُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ وَالذَّنْبُ دَاؤُهَا  
 صَحِيفَتُهُ السَّوْدَا الشَّدِيدُ بَلَاؤُهَا  
 صَحِيفَتُهُ الْبَيْضَاءُ طَابَ لِقَاؤُهَا  
 فَيُثْبِتِي بِنَعْمَاءٍ يَجْلُ تَنَاؤُهَا  
 لِنَفْسِكَ بِالْمَحْبُوبِ عِنْدِي رِضَاؤُهَا  
 لِأَشْفَعُ بَعْدَ الْإِذْنِ فَهُوَ مَنَاؤُهَا  
 لِأُمَّتِهِ الْعَرَاءِ طَابَ هَنَاؤُهَا

فَيْرِجِعْ طَهَ مُسْتَيِّمٍ سُورُهُ  
 فَيَحْمَدُ مَوْلَاهُ الْجَلِيلَ ثَنَاؤُهُ  
 هُنَالِكَ أُمَّ الْمُصْطَفَى جَنَّةَ الْعَالَا  
 وَيَسْقِي رَسُولَ اللَّهِ مَنْ شَاءَ كَوْنَرَا  
 فَيَارِبُ أُوْرِدْنَا جَمِيعَا لِحَوْضِهِ  
 وَأَتَمِّمْ لَنَا حُسْنَ الْخِتَامِ إِذَا دَنْتَ  
 وَهَوْنٌ عَلَى الرُّوحِ الْمَمَاتِ فَإِنَّهَا  
 وَفِي الْقَبْرِ ثَبَّتْهَا عَلَى قَوْلِكَ الْهُدَى  
 وَإِنْ نُفِخَتْ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ بَعْثَنَا  
 فَتَحْنُ اعْتَمَدْنَا الْفَضْلَ مِنْكَ مَعَ الرَّجَا  
 وَصَلَّ عَلَى الْمُخْتَارِ طَهَ مُحَمَّدٍ  
 وَآلِ وَأَصْحَابِ مَدَى الدَّهْرِ مَا بَدَا  
 تَخَالَ بِهِ الْبُشْرَى جَلِيَا ضِيَاؤُهَا  
 عَلَى نَعْمٍ لَا يُسْتَطَاعُ انْحِصَاؤُهَا  
 وَأُمَّتُهُ تَقْفُوا كَذَا شَهَادَاتُهَا  
 بِأَيَّةِ عَدِّ النَّجُومِ اقْتِفَاؤُهَا  
 لِتُرَوَى نُفُوسٌ مِنْهُ طَالَ ظَمَاؤُهَا  
 وَفَاةٌ وَحَانَتْ لِلْحَيَاةِ انْمِحَاؤُهَا  
 تُحِبُّ الْبَقَا لَكِنْ لِقَاكَ هَوَاؤُهَا  
 إِذَا سُئِلَتْ كَيْ يَسْتَيِّمُ بِقَاؤُهَا  
 فَقُلْ أَنْتُمْ أَهْلُ الْيَمِينِ أَوْلَاؤُهَا  
 فَحَقَّقْ رَجَا نَفْسٍ لَدَيْكَ رَجَاؤُهَا  
 شَفِيعِ الْبَرَايَا يَوْمَ يَأْتِي نِدَاؤُهَا  
 نَهَارٌ وَمَا جَنَّ اللَّيَالِي دُجَاؤُهَا

انتهى

اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ سِرْنَا وَعَلَانِيَتْنَا وَتَسْمَعُ كَلَامَنَا وَتَرَى مَكَانَنَا لَا يَخْفِي عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِنَا نَحْنُ  
 الْبُؤْسَاءُ الْفُقَرَاءُ إِلَيْكَ الْمُسْتَغِيثُونَ الْمُسْتَجِيرُونَ بِكَ نَسْأَلُكَ أَنْ تَقِيضَ لَدِينِكَ مَنْ يَنْصُرُهُ وَيَزِيلَ مَا  
 حَدَثَ مِنْ الْبَدْعِ وَالْمُنْكَرَاتِ وَيَقِيمَ عِلْمَ الْجِهَادِ وَيَقْمَعَ أَهْلَ الزِّيغِ وَالْكَفْرِ وَالْعِنَادِ وَنَسْأَلُكَ أَنْ  
 تَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ  
 أَجْمَعِينَ .

### موعظة

إخواني أين أحببكم الذين سلفوا أين أترابكم الذين رحلوا وانصرفوا ، أين أصحاب الأموال وما  
 خلفوا .

ندموا والله عَلَى التفريط يا ليتهم عرفوا هول مقام يشيب منه الوليد ، إِذَا ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ .

فواعجباً لك كُلِّمَا دعيت إلى الله توانيت ، وَكُلِّمَا حركتك المواعظ إلى الخيرات أبيت ، وَعَلَى غيك وجهلك تماديت ، وَكَمْ حذرت من المنون فما التفت إلى قول الناصح وتركته وما باليت .  
يا من جسده حي ولكن قلبه ميت ، ستعين عِنْدَ قدوم هادم اللذات ما لا تشتهي وتريد ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ .

كم أزعج الموت نفوساً من ديارها ، وَكَمْ أتلف البلي من أجساد منعمة لم يدارها ، وَكَمْ أذل في التُّرَابِ وجوها ناعمة بعد رفعتها واستقرارها .

انتبه يا أخي فالدُّنْيَا أضغاث أحلام ، ودار فناء لَيْسَتْ بدار مقام ، ستعرف وتفهم نصحي لك بعد أيام .

وما غاب عنك ستره عَلَى التمام إِذَا أكشف الغطاء عنك وصار بصرك حديد ، وهناك تندم ولات ساعة ندم .

شِعْرًا :

قُلْ لِلَّذِي أَلْفَ الدُّنُوبَ وَأَجْرَمَا	وَعَدَ عَلَى زَلَّاتِهِ مُتَنَدِمًا
لَا تَيَأْسُنْ واطْلُبْ كَرِيمًا دَائِمًا	يُؤَلِّي الجَمِيلَ تَفْضُلًا وَتَكْرَمًا
يَا مَعْشَرَ العَاصِينَ جُودٌ وَاسِعٌ	عِنْدَ الإلهِ لِمَنْ يَتُوبُ وَيَنْدَمًا
يَا أَيُّهَا العَبْدُ المُسِيءِ إِلَى مَتَى	تُفْنِي زَمَانَكَ فِي عَسَى وَلرُبَّمَا
بَادِرْ إِلَى مَوْلَاكَ يَا مَنْ عُمُرُهُ	قَدْ ضَاعَ فِي عَصِيَانِهِ وَتَصَرَّمَا
وَاسْأَلْهُ تَوْفِيقًا وَعَفْوًا ثُمَّ قُلْ	يَا رَبُّ بِصِرْطِي وَزَلْ عَنِي العَمَا
ثُمَّ الصَّلَاةَ عَلَى النَّبِيِّ أَجَلٌ مَنْ	قَدْ خُصَّ بِالتَّقْرِيبِ مِنْ رَبِّ السَّمَا

وَعَلَىٰ صَحَابَتِهِ الْأَفْضَلِ كُلِّهِمْ مَآ سَبَّحَ الدَّاعِي الْإِلَهَ وَعَظَّمَا

اللَّهُمَّ أَنْظِمْنَا فِي سَلِكِ حَزْبِكَ الْمَفْلُحِينَ ، وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الْمَخْلُصِينَ ، وَأَمْنَا يَوْمَ الْفِرْعَ الْأَكْبَرِ يَوْمَ الدِّينِ ، وَاحْشِرْنَا مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشَّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

( فَصْلٌ )

قال أحد العلماء :

اعلم أن القلب كالحصن وعلى ذلك الحصن سور وللسور أبواب وفيه ثلثم وساكته العقل والملائكة تتردد إلى ذلك الحصن وإلى جانب الحصن ريض ( وهو المكان يؤوي إليه ) وفيه الهوى والشياطين تختلف إلى ذلك الريض من غير مانع والحرب قائم بين أهل الحصن وأهل الريض والشياطين لا تزال تدور حول الحصن تطلب غفلة الحارس والعبور من بعض الثلم وأن لا يفتت الحراسة لحظة فإن العدو لا يفتت .

وينحصر الشيطان في ستة أجناس لا يزال بابن آدم حتى ينال منه واحداً منها أو أكثر .  
أحدها شر الكفر والشرك .

ثانياً البدعة .

ثالثاً كبائر الذنوب .

رابعاً الصغائر .

ثم الاشتغال بالمباحات عن الاستكثار من الطاعات



- ثُمَّ الاشتغال بالمفضول عن الفاضل .  
والأسباب التي يعتصم بها العبد من الشيطان عشرة .  
أولها الاستعاذة بالله .  
ثانياً قراءة المعوذتين .  
ثالثاً قراءة آية الكرسي .  
رابعاً قراءة البقرة .  
خامساً قراءة أول سورة حم المؤمن إلى ﴿إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ .  
سابعاً لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك والحمد وهو على كل شيء قدير مائة مرة .  
ثامناً كثرة ذكر الله .  
تاسعاً الوضوء مع الصلاة .  
عاشراً إمساك فضول النظر والكلام والطعام ومخالطة الناس . انتهى وختاماً فأهل التقوي لا يتعذر عليهم سد أبواب الشيطان وحفظها بالحراسة أي الأبواب الظاهرة والطرق الجلية التي تفضي إلى المعاصي الظاهرة .  
وإنما يتعشرون في طرقه الغامضة فَأَنَّهُمْ لَا يَهْتَدُونَ إليها فيحرسونها لأن الأبواب المفتوحة إلى القلوب للشيطان كثيرة .  
وباب الملائكة باب واحد وقد التبس ذلك الباب الواحد بهذه الأبواب الكثيرة ، فالعبد فيها كالمسافر الذي يبقي في بادية كثيرة الطرق غامضة .  
المسالك في ليلة مظلمة فلا يكاد يعلم الطريق إلا بعين بصيرة وطلوع شمس مشرقة .  
والعين البصيرة هاهنا هي القلب المصفي بالتقوي والشمس المشرقة هي

العلم العزيز المستفاد من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فيما يهتدي به إلى غوامض طرقه وإلا فطرفة كثيرة وغامضة .

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه خط لنا رسول الله ﷺ يوماً خطأً وقال " هذا سبيل الله " ثم خط خطوطاً عن يمين الخط وعن شماله ثم قال " هذه سبل على كل سبيل شيطان يدعو إليه . "

ثم تلا : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ .

وقال أحد العلماء يجب على المؤمن أن يحب العلماء العاملين بعلمهم حقيقة البعيدين عن الانهماك في الدنيا البعيدين عن الرياء وحب الشهرة والظهور والوقوع في أعراض الناس الغافلين .

السالمين من الحسد والكبر والعجب ويلازم مجالسهم ويسألهم عما أشكل عليه ويتعظ بنصيحهم .

ويجتنب الأعمال القبيحة ويتخذ الشيطان عدواً كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ .

أي فعادوه بطاعة الله تعالى ولا تطيعوه في معاصي الله تعالى وكونوا على حذر منه في جميع أحوالكم وأفعالكم وعقائدكم .

وإذا فعلتم فعلاً فتفطنوا له فإنه ربما يدخل عليكم الرياء ، ويزين لكم القبائح والفواحش واستعينوا عليه بربكم ، وتعودوا بالله منه .

المهم أنك إذا علمت أن الشيطان لعنه الله لا يغفل عنك أبداً فلا تغفل عن ناصيتك بيده وهو الله جل جلاله وتقدسست أسماؤه وصفاته الزم ذكره وحمده وشكره .

فالشيطان عدو مسلط على الإنسان ومقتضي ذلك أن لا يوجد منه غفلة ولا فترة عن التزيين والإغواء والإضلال .

قال تعالى إخباراً عما قاله إبليس : ﴿ فِيمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ \* ثُمَّ لَأَنْتَبَهُنَّ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ وَقَالَ : ﴿ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ \* إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ .

اللَّهُمَّ اجعلنا من المتقين الأبرار وأسكننا معهم في دار القرار ، اللَّهُمَّ وفقنا بحسن الإقبال عَلَيْكَ والإصغاء إليك ووفقنا للتعاون في طَاعَتِكَ والمبادرة إلى خدمتك وحسن الأدب في معاملتك والتسليم لأَمْرِكَ والرِّضَا بقضائك والصبر عَلَى بَلَائِكَ وَالشُّكْرَ لنعمائك ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيْتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وصلي الله عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ أَجْمَعِينَ .

### ( فَصْلٌ )

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ الآية إِذَا فَهَمْتَ ذَلِكَ فَعَلَيْكَ بِتَحْقِيقِ الْعِبُودِيَّةِ لِلَّهِ ، وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ ، وَالافتقار فِي أحوالك إِلَيْهِ ، وَاستعاذتك بِهِ مِنْ شَرِّ عَدُوِّكَ وَعَدُوهِ ، فَبِذَلِكَ تَنْجُو مِنْ سُلْطَتِهِ ، وَتَنْجُو مِنْ غَائِلَتِهِ . قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا : ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾ وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا : ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ . فَمَنْ تَحَقَّقَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ الْعُلْيَا مِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ تَعَالَى ، وَالْعِبُودِيَّةِ بِهِ وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ ، وَاللَّجَاءِ وَالافتقار إِلَيْهِ ، وَالاستعاذة ، وَالاستجارة بِهِ ، كَيْفَ يَكُونُ لَعْدُو اللَّهِ عَلَيْهِ سُلْطَانًا ، وَاللَّهُ حَبِيبُهُ وَوَلِي حَفْظُهُ وَنَصْرُهُ .

وفي وصية رسول الله ﷺ لابن عباس : " احفظ الله يحفظك احفظ الله

تجده أمامك تعرف إلي الله في الرخاء يعرفك في الشدة " .  
 فالشأن في العبد يكون بينه وبين ربه معرفة خاصة بقلبه بحيث تجده قريباً منه يستأنس به في خلوته ويجد حلاوة ذكره ودعائه ومناجاته وخدمته .  
 ولا يجد ذلك إلا من أطاعه في سره وعلايته ومتي وجد العبد هذا فقد عرف ربه وصار بينه وبينه معرفة خاصة .  
 فإذا سأله أعطاه وإذا دعاه أجابه والعبد لا يزال في كرب وشدائد في الدنيا ، وفي البرزخ ، وفي الموقف ، فإذا كان بينه وبين ربه معرفة خاصة كفاه الله ذلك كله .  
 وهذا هو المشار إليه في وصية رسول الله ﷺ لابن عباس تعرف إلي الله في الرخاء يعرفك في الشدة .  
 فالعلم ما عرف العبد ربه ، ودله عليه حتى عرفه ، ووحدته وأكثر من ذكره ، وحمده وشكره وأنس به ، واستحيا من قربه ، وعبده كأنه يراه .  
 فالشأن كله في أن العبد يستدل بالعلم على ربه ، فيعرفه فإذا عرف ربه فقد وجدته منه قريباً ، ومتي وجدته منه قريباً قربه إليه وأجاب دعاءه .  
 كما في الأثر الإسرائيلي ابن آدم اطلبني تجدني ، فإن وجدتني وجدت كل شيء .  
 فأصل العلم العلم بالله الذي يوجب خشيته ومحبته والقرب منه والإنس به ، ثم يتلوه العلم بأحكام الله ، وما يجب ويرضاه من العبد من قول أو عمل أو حال أو اعتقاد .  
 فمن تحقق بهذين العلمين كان علمه علماً نافعاً ، وحصل له العلم النافع والقلب الخاشع والنفس القانعة والدعاء المسموع .

ومن فاته هذا العلم النافع وقع في الأربع التي استعاذ منه النبي ﷺ ، وصار علمه وبإلا وحجةً عليه فلم يتنفع به .

لأنه لم يخشع قلبه لربه ولم تشبع نفسه من الدنيا ، بل ازداد حرصاً عليها وطلباً لها ، ولم يسمع دعاؤه ، لعدم امتثاله لأوامر ربه ، وعدم اجتنابه لما يسخطه ويكرهه .

هذا إن كان علمه علماً يمكن الانتفاع به وهو المتلقي عن الكتاب والسنة .

فإن كان متلقي من غير ذلك فهو غير نافع في نفسه ولا يمكن الانتفاع به بل ضرره أكثر من نفعه .

وعلاوة هذا العلم الذي لا ينفع أن يكسب صاحبه الزهو والفخر والخيلاء وطلب العلو والرفعة في الدنيا والمنافسة فيها وطلب مباهاة العلماء وممارسة السفهاء ويصرف به وجوه الناس وقد ورد عن النبي ﷺ أن من طلب العلم ليحاري به العلماء أو ليماري به السفهاء ويصرف به وجوه الناس أدخله الله النار .

ولبعض العلماء :

يَقُولُونَ لِي هَلَا نَهَضْتَ إِلَى الْعُلَا	فَمَا لَدَّ عَيْشِ الصَّابِرِ الْمُتَّقِعِ
وَهَلَا شَدَدْتَ الْعَيْسَ حَتَّى تَحُلَّهَا	بِمِصْرٍ إِلَى ظِلِّ الْجَنَابِ الْمُرْفِعِ
فَفِيهَا فُضَاةٌ لَيْسَ يَخْفَى عَلَيْهِمُومَا	تَعَيَّنَ كَوْنِ الْعِمِّ غَيْرِ مُضَعِّعِ
وَفِيهَا شُيُوخُ الدِّينِ وَالْفَضْلِ وَالْأَوْلَى	يُشِيرُ إِلَيْهِمْ بِالْعُلَا كُلِّ أَصْبُعِ
وَفِيهَا وَفِيهَا وَالْمَهَانَةُ ذَلَّةٌ	فَقُمْ وَاسْعَ وَأَقْصِدْ بَابَ رِزْقِكَ وَأَفْرِعِ
فَقُلْتُ نَعَمْ أَسْعَى إِذَا شِئْتُ أَنْ أَرَى	ذَلِيلًا مُهَانًا مُسْتَخْفًا بِمَوْضِعِي
وَأَسْعَى إِذَا مَا لَدَّ لِي طُولُ مَوْقِفِي	عَلَى بَابِ مَحْجُوبِ اللِّقَاءِ مُمَنِّعِ
وَأَسْعَى إِذَا كَانَ النِّفَاقُ طَرِيقَتِي	أَرْوَحُ وَأَغْدُو فِي ثِيَابِ التَّصْنَعِ
وَأَسْعَى إِذَا لَمْ يَبْقَ فِي بَقِيَّةِ	أُرَاعِي بِهَا حَقَّ التَّقَى وَالتَّوَرَعِ
فَكَمْ بَيْنَ أَرْبَابِ الصُّدُورِ مَجَالِسًا	تُشَبُّ بِهَا نَارُ الْعَضَى بَيْنَ أَضْلَعِي

وَكَمْ بَيْنَ أَرْبَابِ الْعُلُومِ وَأَهْلِهَا  
 مُنَاطِرَةٌ تُحْمِي الثُّفُوسَ فَتَنْتَهِي  
 إِلَى السَّفَهِ الْمُزْرِي بِمَنْصِبِ أَهْلِهِ  
 فِيمَا تَوَقَّى مَسَلَّكَ الدِّينِ وَالثَّقَى  
 آخِر: أُنِسْتُ بِأَلْوَاءِ الزَّمَانِ وَذَلِيلِهِ  
 إِلَى كَمِ أَعَانِي تَيْهَهَا وَذَلَالَتِهَا  
 وَقَدْ أَخْلَقَ الْأَيَّامَ جَلْبَابَ حُسْنِهَا  
 عَلَى حِينِ شَيْبٍ قَدْ أَلَمَّ بِمَفْرِقِي  
 طَلَائِعِ ضَعْفٍ قَدْ أَغَارَتْ عَلَى الْقَوَى  
 فَلَا هِيَ فِي بُرْجِ الْجَمَالِ مُقِيمَةٌ  
 تَقَطَّعَتْ الْأَسْبَابُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا  
 وَعَادَتْ قُلُوصُ الْعَزْمِ عَنِّي كَلِيلَةٌ  
 كَأَنِّي بِهَا وَالْقَلْبُ زُمَّتْ رِكَابُهُ  
 وَسَيِّقَتْ إِلَى دَارِ الْخُمُولِ حُمُولُهُ  
 حَيْنَ عَجُولٍ غَرَّهَا الْبُؤُ فَانْتَشَتْ  
 تَوَلَّتْ لِيَالٍ لِلْمَسَرَّاتِ وَانْقَضَتْ  
 فَسْرَعَانَ مَا مَرَّتْ وَوَلَّتْ وَلَيْتَهَا  
 دُهُورٌ تَقَضَّتْ بِالْمَسَرَّاتِ سَاعَةٌ  
 فَلِلَّهِ دُرُّ الْعَمِّ حَيْثُ أَمَدَنِي  
 إِذَا بَحَثُوا فِي الْمَشْكَالَاتِ بِمَجْمَعِ  
 وَقَدْ شَرَعُوا فِيهَا إِلَى شَرِّ مَشْرِعِ  
 أَوْ الصَّمْتِ عَنْ حَقِّ هُنَاكَ مُضَيِّعِ  
 وَإِمَّا تَلَقَّى عُصَّةَ الْمُتَجَرِّعِ  
 فَيَا عِزَّةَ الدُّنْيَا عَلَيْكَ سَلَامٌ  
 أَلَمْ يَأْنِ عَنْهَا سَلُوءٌ وَسَامٌ  
 وَأَضْحَتْ وَدِيَّاجُ الْبَهَاءِ مَسَامٌ  
 وَعَادَ رَهَامُ الشَّعْرِ وَهُوَ نَعَامٌ  
 وَثَارَ بِمَيْدَانِ الْمِرْزَاجِ قَتَامٌ  
 وَلَا أَنَا فِي عَهْدِ الْمُجُونِ مُدَامٌ  
 وَلَمْ يَبْقَ فِينَا نِسْبَةٌ وَلِنَامٌ  
 وَقَدْ جُبَّ مِنْهَا غَارِبٌ وَسَنَامٌ  
 وَقَوُوصُ أَبِيَاتٍ لَهُ وَخِيَامٌ  
 يَحْنُ إِلَيْهَا وَالِدُمُوعُ رَهَامٌ  
 إِلَيْهِ وَفِيهَا أَنَّةٌ وَضَغَامٌ  
 لِكُلِّ زَمَانٍ غَايَةٌ وَتَمَامٌ  
 تَدُومُ وَلَكِنْ مَا لَهُنَّ دَوَامٌ  
 وَيَوْمٌ تَوَلَّى بِالْمَسَاءَةِ عَامٌ  
 بِطُولِ حَيَاةٍ وَالْهُمُومُ سِهَامٌ

أَسِيرُ بَتَيْمَاءِ التَّحِيرِ مُفْرَدًا  
 وَكَمْ عَشْرَةٌ مَا أُوْرَثْتُ غَيْرَ عُسْرَةٍ  
 فَمَا عِشْتُ لَأَنْسَى حُقُوقَ صَنِيعِهِ  
 كَمَا اعْتَادَ أَبْنَاءُ الزَّمَانِ وَأَجْمَعَتْ  
 خَبَتْ نَارُ أَعْلَامِ الْمَعَارِفِ وَالْهُدَى  
 وَكَانَ سَرِيرُ الْعِلْمِ صَرْحًا مُمَرَّدًا  
 مَتِينًا رَفِيعًا لَا يُطَارُ غُرَابُهُ  
 يُلُوحُ سَنَا بَرَقِ الْهُدَى مِنْ بُرُوجِهِ  
 فَجَرَّتْ عَلَيْهِ الرَّاسِيَاتُ ذُبُولَهَا  
 وَسِيقَ إِلَى دَارِ الْمَهَانَةِ أَهْلُهُ  
 كَذَا تَجْرِي الْأَيَّامُ بَيْنَ الْوَرَى عَلَى  
 فَمَا كُلُّ مَا قَدْ قِيلَ عِلْمٌ وَحِكْمَةٌ  
 وَلِلدَّهْرِ ثَارَاتٌ تَمُرُّ عَلَى الْفَتَى  
 وَمَنْ يَكُ فِي الدُّنْيَا فَلَا يَعْتَبِنَهَا  
 أَجْدَكَ مَا الدُّنْيَا وَمَاذَا مَتَاعُهَا  
 تَشَكَّلَ فِيهَا كُلُّ شَيْءٍ بِشَكْلِ مَا  
 تَرَى النِّقْصَ فِي زِي الْكَمَالِ كَأَنَّمَا  
 فَدَعَهَا وَنَعَمَاهَا هَنِئًا لِأَهْلِهَا  
 تَعَاثُ الْعَرَانِينُ السِّمَاطَ عَلَى الْخَوَى  
 عَلَى أَنَّهَا لَا يُسْتَطَاعُ مَنَالُهَا  
 وَلَوْ أَنْتَ تَسْعَى إِثْرَهَا أَلْفُ حَجَّةٍ  
 وَلِي مَعَ صَحْبِي عَشْرَةٌ وَنَدَامُ  
 وَرُبَّ كَلَامٍ فِي الْقُلُوبِ كَلَامُ  
 وَهَيْهَاتَ أَنْ يُنْسَى لَدَيَّ ذِمَامُ  
 عَلَيْهِ فَنَامَ إِثْرَ ذَلِكَ قِيَامُ  
 وَشَبَّ لِنِيرَانِ الضَّلَالِ ضُرَامُ  
 يُنَاغِي الْقَبَابَ السَّبْعَ وَهِيَ عِظَامُ  
 عَزِيْزًا مَنِيْعًا لَا يَكَادُ يُرَامُ  
 كَبْرَقِ بَدَا بَيْنَ السَّحَابِ يُشَامُ  
 فَخَرَّتْ عُرُوشٌ مِنْهُ ثُمَّ دَعَامُ  
 مَسَاقِ أَسِيرٍ لَا يَزَالُ يُضَامُ  
 طَرَائِقَ مِنْهَا جَائِرٌ وَقَوَامُ  
 وَمَا كُلُّ أَفْرَادِ الْحَدِيدِ حُسَامُ  
 نَعِيمٌ وَبُؤْسٌ ، صِحَّةٌ وَسَقَامُ  
 فَلَيْسَ عَلَيْهَا مَعْتَبٌ وَمَلَامُ  
 وَمَاذَا الَّذِي تَبْغِيهِ فَهُوَ حُطَامُ  
 يُعَانِدُهُ وَالنَّاسُ عَنْهُ نِيَامُ  
 عَلَى رَأْسِ رَبَّاتِ الْحِجَالِ عِمَامُ  
 وَلَا تَكُ فِيهَا رَاعِيًا وَسَوَامُ  
 إِذَا مَا تَصَدَّى لِلطَّعَامِ طَعَامُ  
 لِمَا لَيْسَ فِيهِ عُرْوَةٌ وَعِصَامُ  
 وَقَدْ جَاوَزَ الطَّبِيْبِينَ مِنْكَ جِرَامُ

رَجَعْتَ وَقَدْ ضَلَّتْ مَسَاعِيكَ كُلُّهَا  
 هَبْ إِنَّ مَقَالِيدَ الْأُمُورِ مَلَكَتْهَا  
 وَمَتَّعْتَ بِاللَّذَاتِ دَهْرًا بَغِطَةً  
 فَبَيْنَ الْبَرَايَا وَالخُلُودِ تَبَايُنٌ  
 قَضِيَّةٌ أَنْقَادِ الْأَنَامِ لِحُكْمِهَا  
 ضَرُورِيَّةٌ تَقْضِي الْعُقُولُ بِصِدْقِهَا  
 سَلِ الْأَرْضَ عَنْ حَالِ الْمُلُوكِ الَّتِي  
 إِبْوَابُهُمْ لِلْوَافِدِينَ تَرَكَمُ  
 تُجْبِكَ عَنْ أَسْرَارِ السُّيُوفِ الَّتِي جَرَتْ  
 بِأَنَّ الْمَنَايَا أَفْضَدَتْهُمْ نِبَالَهَا  
 وَسَيُفَوُّوا مَسَاقَ الْغَابِرِينَ إِلَى الرَّدِيِّ  
 وَخَلُّوا مَحَلًّا غَيْرَ مَا يَعْهَدُونَهُ  
 أَلَمَ بِهِمْ رَبُّ الْمُنُونِ فَعَالَهُمْ  
 بِخُفْيِ حُنَيْنٍ لَا تَزَالُ تُلَامُ  
 وَدَانَتْ لَكَ الدُّنْيَا وَأَنْتَ هُمَامُ  
 أَلَيْسَ بِحَتْمٍ بَعْدَ ذَلِكَ حِمَامُ  
 وَبَيْنَ الْمَنَايَا وَالتُّفُوسِ لِرَامُ  
 وَمَا حَادَ عَنْهَا سَيِّدٌ وَغُلَامُ  
 سَلِ إِنْ كَانَ فِيهَا مَرِيَّةٌ وَخِصَامُ  
 لَهُمْ فَوْقَ ، فَوْقَ الْفَرْقَدِينَ مَقَامُ  
 بِأَعْتَابِهِمْ لِلْعَاكِفِينَ زِحَامُ  
 عَلَيْهِمْ جَوَابًا لَيْسَ فِيهِ كَلَامُ  
 وَمَا طَاشَ عَنْ مَرْمَى لَهُنَّ سَهَامُ  
 وَأُفْقِرَ مِنْهُمْ مَزَلٌ وَمَقَامُ  
 فَلَيْسَ لَهُمْ حَتَّى الْقِيَامِ قِيَامُ  
 فَهُمْ بَيْنَ أَطْبَاقِ الرُّغَامِ رُغَامُ

اللَّهُمَّ خفف عنا الأوزار وارزقنا عيشة الأبرار واصرف عنا شر الأشرار واعتق رقابنا ورقاب آبائنا  
 وأمهاتنا من النار يا عزيز يا غفار يا كريم يا ستار ويا حلیم يا جبار وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ  
 الْمُسْلِمِينَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

### ( فَصْلٌ )

في فضائل الاستغفار

يستحب الإكثار من الاستغفار في كُلِّ وَقْتٍ ، ويتأكد في الزمان الفاضل ، والمكان الفاضل ،  
 قال تعالى : ﴿ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴾ وَقَالَ : ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ  
 غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ وَقَالَ تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ وَقَالَ تعالى ، مخبراً



عن نوح : ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا \* يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا \* وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴾ الآية ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ فَمَا لَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ .

وعن شداد بن أوس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عن النَّبِيِّ ﷺ قال : " سيد الاستغفار أن يَقُولُ الْعَبْدُ : اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي ، لا إله إلا أَنْتَ ، خلقتني وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك على ، وأبوء بذنبي ، فاغفر لي ، إنه لا يغفر الذُّنُوبَ إلا أَنْتَ " .

وعن ابن عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قال : إنا كنا لنعد لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَجْلِسِ يَقُولُ : " رب اغفر لي ، وتب علي ، إنك أَنْتَ التَّوَابُ الْغَفُورُ " مائة مرة .

وعن عَبْدِ اللَّهِ بن بسر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " طوبى لمن وَجَدَ فِي صَحيفته : استغفاراً كثيراً " .

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " إنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لِيَرْفَعُ الدَّرَجَةَ لِلْعَبْدِ الصَّالِحِ فِي الْجَنَّةِ فَيَقُولُ : يَا رَبِّ ، أُنِي لِي هَذِهِ ؟ فَيَقُولُ : بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِكَ لَكَ " .

وعن ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " من لزم الاستغفار جعل اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ فَرْجًا وَمَنْ كُلَّ ضَيْقٌ مَخْرَجًا ، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ " .

وعن الأغر المزني - رضي الله عنه - قال رسول الله ﷺ : " إنه ليغان على قلبي ، وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة " .

وقال حذيفة : كنت ذرب اللسان على أهلي ، فقلتُ : يا رسول الله ، لقد خشيت أن يدخلني لساني النار ، فقال النبي ﷺ : " فأين أنت من الاستغفار ، فإني أستغفر الله في اليوم مائة مرة " أخرجه النسائي .

وعن زيد مولي رسول الله ﷺ ، أنه سمع النبي ﷺ يقولُ : " من قال : أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم ، وأتوب عليه غفر له ، وإن كان قد فرّ من الزحف " رواه أبو داود .

وعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال : " من قال حين يأوي إلي فراشه : أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم ، وأتوب إليه - ثلاث مرات - غفرت له ذنوبه ، وإن كانت عدد رمل عاج ، وأن كانت عدد أيام الدنيا " رواه الترمذي .

وعن أنس - رضي الله عنه - سمعت رسول الله ﷺ يقولُ : " قال الله تعالى : يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي ، يا ابن آدم ، لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي ، يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً أتيتك بقرابها مغفرة " رواه الترمذي . والله أعلم وصلي الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

فصل : وعن أبي سعيد الخدري - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - عن النَّبِيِّ ﷺ قال : " قال إبليسُ : وعزتك لا أبرح أغوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم ، فَقَالَ : وعزتي وجلالي لا أزال أغفر لهم ما استغفروني " .

وعن الزبير - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أن رسول الله ﷺ قال : " من أحب أن تسره صحيفته فليكثر فيها من الاستغفار " .

وعن أبي هريرة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - عن الرَّسُولِ ﷺ قال : " إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة ، فإن هو نزع واستغفر صقلت ، فإن عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه ، فذلك الران الذي ذكره الله تعالى : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ .

وروي عن أنس - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أن رسول الله ﷺ قال : " إن للقلوب صدأ كصدأ النحاس ، وجلأؤها الاستغفار " .

وروي عن أنس بن مالك - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال : كان رسول الله ﷺ في مسيرة ، فَقَالَ : " استغفروا الله ، فاستغفرنا ، فَقَالَ أتموها سبعين مرة فأتمناها ، فَقَالَ رسول الله ﷺ : ما من عبد ولا أمة يستغفر الله في يوم سبعين مرة إلا غفر الله له سبعمائة ذنب ، وقد خاب عبد أو أمة عمل في يوم وليلة أكثر من سبعمائة ذنب " .

وعن أبي هريرة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تَذنبُوا لذهب الله تعالى بكم

ولجاءَ بقوم يذنبون فيستغفرون الله تعالى فيغفر لهم" رواه مسلم .  
 وفي حديث سلمان : "فاستكثروا فيه من خصلتين ترضون بهما ربكم وخصلتين لا غني لكم  
 عنهما ، فأما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم فشهادة أن لا إله إلا الله ، والاستغفار وأما  
 التي لا غني لكم عنهما فتسألونه الجنة وتعودون به من النار" .  
 فهذه الخصال الأربع المذكورة في الحديث كُلٌّ منها سبب للمغفرة والعتق من النار ، فأما كلمة  
 الإخلاص فإنها تهدم الذُّنُوب وتمحوها محوًّا ، ولا تبقى ذنباً ، ولا يسبقها عمل ، وهي تعدل  
 عتق الرقاب الذي يوجب العتق من النار ، ومن قالها خالصاً من قلبه حرمه الله على النار .  
 وأما كلمة الاستغفار فمن أعظم أسباب المغفرة فإن الاستغفار دعاء بالمغفرة ، ودعاء الصائم  
 إذا اجتمعت له الشروط وانتفت الموانع مستجاب حال صيامه وعند فطره .  
 وفي حديث أبي هريرة : "ويغفر الله إلا لمن أبي ، قالوا يا أبا هريرة ومن أبي؟ قال : يأبي أن  
 يستغفر الله" .  
 وَقَالَ لقمان لابنه : يا بني عود لسانك الاستغفار ، فإن الله ساعات لا يرد فيه سائلاً ، وقد  
 جمع الله بين التَّوْحِيد والاستغفار ، في قوله : ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك ﴾ .  
 وفي بعض الآثار : أن إبليس قال : أهلك الناس بالذُّنُوب وأهلكوني بالاستغفار ولا إله إلا  
 الله .

والاستغفار ختام الأعمال الصالحة كُلِّهَا فيختم به الصَّلَاة والحج والقيام في الليل ويختم به المجالس ، فإن كانت ذكراً كَانَ كالطابع عَلَيْهَا وإن كانت لغواً كَانَ كفارة لها ، فكذلك ينبغي أن يختم صيام رمضان بالاستغفار يرقع ما تحرق من الصيام باللغو والرفث "ويجتهد في الإكثار من الأعمال والتقليل من شواغل الدنيا والإقبال على الآخرة ما دام في قيد الحياة" .  
تضرع إلي رب العزة والجلال :

اسْتَغْفِرُ اللَّهَ عَمَّا كَانَ مِنْ زَلَلٍ  
وَلَيْسَ إِلَّا إِلَى الرَّحْمَنِ مُنْتَجِعِي  
وَهُوَ الرَّحِيمُ وَمَلْجَأٌ مَنْ يَلُودُ بِهِ  
وَقَدْ مَدَدْتُ جِبَالِي رَاجِئاً فَرَجاً  
فَقُلْتُ مُشْتَكِيّاً مَا قَالَ مُبْتَهَلاً  
فَصِلْ جِبَالِي وَأوصَالِي بِحَبْلِكَ يَا  
أَنَا الذَّلِيلُ أَنَا الْمِسْكِينُ ذُو شَجْنٍ  
أَنَا الْكَسِيرُ أَنَا الْمُحْتَاجُ يَا أَمَلِي  
أَنَا الْعَرِيبُ فَلَا أَهْلٌ وَلَا وَطَنٌ  
أَنَا الْعَبِيدُ الَّذِي مَا زِلْتُ مُفْتَقِراً  
لَا أَسْتَطِيعُ لِنَفْسِي جَلْبَ مَنْفَعَةٍ  
مَا لِي سِوَاكَ وَلَا لِي عَنْكَ مُنْصَرَفٌ  
أَنْتَ الْقَدِيرُ عَلَيَّ جَبْرِي بِوَصْلِكَ لِي  
أَدْعُوكَ يَا سَيِّدِي يَا مُشْتَكِيَّ حَزْنِي  
فَانظُرْ إِلَى غُرْبَتِي وَارْحَمْ ضَنَا جَسَدِي  
وَقَدْ دُهَيْتُ فَلَمْ يُسْمَعْ وَقُلْتُ فَمَا

وَمِنْ خَطَايَا تَخَطَّأَ بِالمُصِيبَاتِ  
فَهُوَ الْعَلِيمُ بِأَحْوَالِي وَنِيَّاتِ  
الْكَاشِفُ الْعَمِ الْقَاضِي لِحَاجَاتِ  
وَمُنْشِدٌ قِيلَ دَاعٍ ذِي امْتِحَانَاتِ  
بِاللَّهِ مُرْتَجِئاً تَفْرِيجَ أَرْزَمَاتِ  
ذَا الْكِبْرِيَاءِ وَحَقَّقْ فِيكَ رَغْبَاتِي  
أَنَا الْفَقِيرُ إِلَى رَبِّ السَّمَوَاتِ  
جُدْ لِي بِفَضْلِكَ وَاعْفُ عَن خَطِيئَاتِ  
أَنَا الْوَحِيدُ فَكُنْ لِي فِي مُلِمَّاتِ  
إِلَيْكَ يَا سَيِّدِي فِي كُلِّ حَالَاتِ  
وَلَا عَن النَّفْسِ لِي دَفْعَ الْمَضْرَاتِ  
ذَكَرَكَ فِي الْقَلْبِ قُرْآنِي وَآيَاتِ  
أَنْتَ الْعَلِيمُ بِأَسْرَارِ الْخَفِيَّاتِ  
يَا جَابِرِي يَا مُغِيثِي فِي مُهِمَّاتِ  
يَا رَاحِمَ الْخَلْقِ يَا بَارِي الْبَرِيَّاتِ  
أَجْدَى لَدَى نَاصِرِي فَاسْمَعْ شِكَايَاتِ

أَنْتَ الْمُعِيْثُ وَأَنْتَ الْمُسْتَعَانُ وَلَا  
وَنَاصِرِيْ غَاضِيِيْ بَلْ هَاضِيِيْ وَشَفَا  
يَا قَادِرًا قَاهِرًا مَنْ كَانَ ذَا عَنَتِ  
يَا رَبِّ فَاغْفِرْ لِمَنْ لَمْ يَدْرِ مَا قَصَدُوا  
وَأَنْتَ يَا سَيِّدِي يَا مُنْتَهَى أَمَلِي  
وَالرَّاحِمُ الكَافِي الكَافِي لِأَمَلِهِ  
وَمَا اقْتَرَحْتُ وَمَا قَد كُنْتُ مُجْتَرِحًا  
وَأَبْسَطُ بِفَضْلِكَ لِي مَا كُنْتُ آمَلُهُ  
وَمَنْ لَهُ الْجُودُ وَالْمَوْجُودُ أَجْمَعُهُ  
وَعَبْدُكَ الْمُشْتَكِي وَالْمُرْتَجِي فَرَجًا  
وَصِلْ يَا رَبِّ مَا هَبَّ النَّسِيمُ وَمَا  
عَلَى النَّبِيِّ الْأَمِينِ الْمُصْطَفَى شَرَفًا  
تَخْفَى عَلَيْكَ إِرَادَتِي وَغَايَاتِ  
أَوْغَارُ قَوْمٍ بَغُؤًا وَاعْظُمَ لُوعَاتِ  
أَنْتَ الْقَدِيرُ لِقَهْرِ الظَّالِمِ الْعَاتِ  
وَمَا أَرَادَ الْأَعَادِي مِنْ مَصْرَاتِ  
تَدْرِي وَتَعْلَمُ مَقْصُودِي وَنِيَاتِ  
الْمَاجِدُ الْعَافِرُ الْمَاجِي لِزَلَّاتِ  
مِنَ الذُّنُوبِ فَإِنِّي ذُو الْخَلِيَّاتِ  
يَا مَنْ لَهُ الْفَضْلُ مَحْضًا فِي الْبَرِيَّاتِ  
وَالخَلْقُ وَالْأَمْرُ ثُمَّ الْكَائِنُ الْآتِي  
لِأَطْفِهِ وَارْحَمَهُ وَاحْفَظْ بِالْعِنَايَاتِ  
عَنِّي الْحَمَامُ عَلَى أَفْنَانِ أَيَّكَاتِ  
وَالْآلِ وَالصَّحْبِ أَصْحَابِ الْكِرَامَاتِ

اللَّهُمَّ يَا عَالِمَ الْخَفِيَّاتِ وَيَا سَامِعَ الْأَصْوَاتِ وَيَا بَاعِثَ الْأَمْوَاتِ وَيَا مَجِيبَ الدَّعَوَاتِ وَيَا قَاضِي  
الْحَاجَاتِ يَا خَالِقَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ أَنْتَ اللَّهُ الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا  
أَحَدٌ الْوَهَابُ الَّذِي لَا يَبْخُلُ وَالْحَلِيمُ الَّذِي لَا يَعْجَلُ لَا رَادَّ لِأَمْرِكَ وَلَا مَعْقِبَ لِحُكْمِكَ نَسْأَلُكَ أَنْ  
تَغْفِرَ ذُنُوبَنَا وَتَنْوِرَ قُلُوبَنَا وَتَثَبِّتَ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَتَسْكِنَنَا دَارَ كِرَامَتِكَ إِنَّكَ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ  
وَصَلِي اللهُ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

شِعْرًا: تَزَوَّجَتِ الْبَطَالَةُ بِالتَّوَانِي  
فَأَمَّا الْإِبْنُ فَسَمَّوَهُ بِفَقْرٍ

حَثَّ عَلَيَّ الْمَبَادِرَةَ إِلَى الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ

إِذَا هَبَّتْ رِيَّاحُكَ فَاعْتَمَمَهَا  
وَإِنْ دَرَّتْ نِيَّافُكَ فَاحْتَلَبَهَا  
فَإِنَّ لِكُلِّ خَافِقَةٍ سُكُونُ  
فَمَا تَدْرِي الْفَصِيلُ لِمَنْ يَكُونُ

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

( خاتمة ، وصية ، نصيحة )

اعلم وفقنا الله وإيّاك وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ لما يحبه الله ويرضاه أن ممّا يجب الاعتناء به حفظاً وعملاً  
كلام الله جلّ وعلا وكلام رسوله ﷺ .

وأنه ينبغي لمن وفقه الله تعالى أن يحث أولاده على حفظ القرآن وما تيسر من أحاديث النَّبِيِّ  
ﷺ المتفق على صحتها عنه كالبخاري ومسلم .

ومن الفقه مختصر المقنع ليتيسر له استخراج المسائل ويجعل لأولاده ما يحثهم على ذلك .  
فمثلاً يجعل لمن يحفظ القرآن على صدره حفظاً صحيحاً عشرة آلاف أو أزيد أو أقل حسب  
حاله في الغني .

ومن الأحاديث عقود اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الإمامان البخاري ومسلم ، يجعل لمن  
يحفظ ذلك ستة آلاف (٦٠٠٠) .

فإن عجزوا عن حفظها فالعمدة في الحديث يجعل لمن حفظها ثلاثة آلاف (٣٠٠٠) أو  
الأربعين النووية ويجعل لمن حفظها ألفاً (١٠٠٠) .

ويجعل لمن يحفظ مختصر المقنع في الفقه ألفين (٢٠٠٠) من الريالات فالغيب سبب لحفظ  
المسائل وسبب لسرعة استخراج ما أريد من ذلك وما أشكل معناه أو يدخلهم في مدارس  
تحفيظ القرآن والسنة هي مدارس التعليم العالي الممتاز الباقي النافع في الدنيا والآخرة أو  
يدخلهم في حلقات تحفيظ القرآن الكريم الموجودة في المساجد .

فمن وفقه الله لذلك وعمل أولاده بذلك كان سبباً لحصول الأجر من الله وسبباً لبرهم به  
ودعائهم له إذا ذكروا ذلك منه ولعله أن يكون سبباً مباركاً يعمل به أولاده مع أولادهم فيزيد  
الأجر له ولهم نسأل الله أن يوفق الجميع لحسن النية أنه القادر على ذلك .

وَلَمْ أَرَى لِلْخَلَائِقِ مِنْ مُرَبِّ كَعْلِمِ الشَّرِّ يُؤَخِّدُ عَنْ ثِقَاتِ  
بَيْتِ اللَّهِ مَدْرَسَةَ الْأَوْلِيَاءِ لِمَنْ يَهْوَى الْعُلُومَ الرَّاقِيَاتِ  
( فَصْلٌ )

النَّصِيحَةُ مرتان : فالأولي فرض وديانة ، وَالثَّانِيَةِ تنبيه وتذكير ، وأما الثالثة فتتويخ وتقرع إن أمكن ولم يحصل عَلَيْكَ ضرر ، والنصح سرّاً لا جهراً وبتعريض لا تصريح إلا أن لا يفهم المنصوح تعريضك فلا بد من التصريح ، ولا تنصح عَلَى شرط القبول منك فإن تعديت فَأَنْتَ مَخْطِئٌ .

من أردت قضاء حاجته بعد أن سألك إياها أو أردت ابتداءه بقضائها فلا تعمل إلا ما يريد هُوَ لا ما تريده أَنْتَ وإلا فأمسك فإن تعديت هَذَا كنت مسيئاً لا محسناً .

لا تنقل إلي صَدِيقَكَ ما يُوَلِّمُ نَفْسَهُ ولا ينتفع بمعرفته ولا تكتمه ما يستضر بجهله ولا يسرك أن تمدح بما لَيْسَ فيكَ لأنَّ نقصك ينبه النَّاسَ عَلَيْهِ بل الَّذِي ينبغي لك غمك بِذَلِكَ وقديماً قيل :  
وَمَدْحُكَ الشَّخْصَ بِالْأَخْلَاقِ يَعْدُمُهَا لِلْحُرِّ ذِي اللَّبِّ تَبْكِيْتُ وَتَخَجَّلُ

ما شَيْءٌ أضعف وأضعف من عَالَمٍ ترك النَّاسَ علمه لفساد طريقتة ، وما شَيْءٌ أضعف وأضعف من جاهل أخذ النَّاسَ بجهله لنظرهم إلي عبادته .

وروي أن عمر أتى بشاهد عنده فَقَالَ لَهُ ائْتِنِي بمن يعرفك فَأَتَاهُ برجل فَأَتْنِي عَلَيْهِ خيراً ، فَقَالَ لَهُ عمر أَنْتَ جاره الأَدْبِي الَّذِي يعرف مدخله ومخرجه .

قال لا قال فكنت رفيقه في السفر الَّذِي يستدل به عَلَى مكارم الأخلاق ، قال لا قال فعاملته بالدرهم والدينار ، قال لا .

قال أظنك رأيته قائماًً في المسجد يههمم بالقرآن يخفض رأسه طوراً ويرفعه أخرى .

قال نعم قال اذهب فلست تعرفه ثُمَّ قال للرجل اذهب فَأَتْنِي بمن يعرفك .



من علامات الاستدراج العمي عن العيوب وصرف نعم الله في معاصيه وخير الرزق ما سلم من الإثم في الاكتساب والغش في الصناعة والسلامة من أثمان المحركات كالمسكرات والدخان والتلفزيون والفيديو والكورة الورق التي يستعملها سخفاء العقول والبعيدون عن الدين ، أراح الله المسلمين منها وَمِنْهُمْ وَجَمِيعَ آلَاتِ الْمَعَاصِي وَالْمَلَاهِي وَالسَّلَامَةَ مِنَ الرِّبَا بِجَمِيعِ أَنْوَاعِهِ .

من شغله طلب الدُّنْيَا عَنِ الْآخِرَةِ ذَلْ ، إِمَّا فِي الدُّنْيَا وَإِمَّا فِي الْآخِرَةِ ، ومن نظر في سير السَّلَفِ عرف تفصيله وتخلفه عن درجات الرجال .

للإنسان المفرط موقفان يندم الإنسان فيهما على ضياع الوقت ندامة عظيمة حيث لا ينفذ الندم ، ولا يفيد التأسف والحزن .

الأول : ساعة الاحتضار حين يستدبر الإنسان الدُّنْيَا ويستقبل الآخرة ويتمني لو أمهل برهة من الزمن ليتلاني ويصلح ما أفسد وهيئات .

قال تعالى ﴿ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَّ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ .

والجواب على السؤال الذي قد فات أوانه ﴿ وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ .

الموقف الثاني : في الآخرة قال تعالى ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾ . الآيات .

وقال تعالى ﴿ وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَاطُشُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ \* وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْدِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ \* وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴾ .

وقال تعالى ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ الآيات .

وقال تعالى ﴿ أُولَٰئِكَ نَعَمَّرَكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ ﴾ .

قال بعض العلماء : أفضل البُكَاء بُكَاءُ الْعَبْدِ عَلَى مَا سَلَفَ مِنْ ذُنُوبِهِ

ومعاصيه وعلَى ما فات من أوقاته فِي غَيْر طاعة الله جَلَّ وَعَلَا وَقَالَ إِنَّمَا يَخَافُ الْمُؤْمِنُ الْمَوْتَ لِخَوْفِهِ مِنْ الذُّنُوبِ وَالانْقِطَاعِ عَنِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَا وَالَاهِ مِنْ جَمِيعِ أَفْعَالِ الطَّاعَاتِ وَالْقُرْبَاتِ وَإِلَّا فَأَحَبُّ شَيْءٍ إِلَيْهِ لِقَاءُ رَبِّهِ جَلَّ وَعَلَا الْوَاجِبُ عَلَيَّ الْإِنْسَانُ الْعَاقِلُ أَنْ يَحْفَظَ عَلَيَّ وَقْتَهُ أَكْثَرَ مِنْ مَحَافِظَتِهِ عَلَيَّ مَالِهِ وَأَنْ يَحْرُسَ عَلَيَّ الْإِسْتِفَادَةَ مِنْهُ فِيمَا يَنْفَعُهُ وَيَقْرِبُهُ إِلَى اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ .

وَلَقَدْ كَانَ السَّلْفُ أَحْرَصَ مَا يَكُونُونَ عَلَيَّ أَوْقَاتِهِمْ لِأَنَّهُمْ يَعْرِفُونَ قِيَمَتَهَا وَلِذَلِكَ يَقُولُ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ : أَدْرَكَتْ أَقْوَامًا كَانُوا عَلَيَّ أَوْقَاتِهِمْ أَشَدَّ مِنْكُمْ حِرْصًا عَلَيَّ دِرَاهِمِكُمْ وَدَنَانِيرِكُمْ .

وَقَالَ يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّمَا أَنْتَ أَيَّامٌ مَجْمُوعَةٌ كُلَّمَا ذَهَبَ يَوْمٌ ذَهَبَ بَعْضُكَ .

وَقَالَ آخَرُ : الْوَقْتُ إِذَا فَاتَ لَا يَسْتَدْرِكُ وَلَا شَيْءٌ أَعَزَّ مِنْهُ .

وَكَانُوا يَحْرُسُونَ كُلَّ الْحِرْصِ إِلَّا يَمُرُّ زَمَنٌ وَلَوْ يَسِيرًا دُونَ أَنْ يَتَزَوَّدَ فِيهِ بِعَمَلٍ صَالِحٍ أَوْ عِلْمٍ نَافِعٍ أَوْ مَجَاهِدَةٍ لِلنَّفْسِ أَوْ إِصْصَالِ نَفْعٍ إِلَى قَرِيبٍ أَوْ بَعِيدٍ .

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مَا نَدِمْتُ عَلَيَّ شَيْءٌ نَدِمِي عَلَيَّ يَوْمَ غَرَبَتْ شَمْسُهُ نَقَصَ فِيهِ أَجَلِي وَلَمْ يَزِدْ فِيهِ عَمَلِي .

وَقَالَ آخَرُ : كُلُّ يَوْمٍ يَمُرُّ بِي لَا أَزْدَادُ فِيهِ عِلْمًا يَقْرِبُنِي مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَلَا بُورِكَ فِي طُلُوعِ شَمْسِ ذَلِكَ الْيَوْمِ .

**إِذَا مَرَّ بِي يَوْمٌ وَلَمْ أَقْتَبِسْ هَدْيًا وَلَمْ أَسْتَفِدْ عِلْمًا فَمَا ذَاكَ مِنْ عَمْرِي**

مِنْ جَهْلِ قِيَمَةِ الْوَقْتِ الْآنَ فَسَيَأْتِي عَلَيَّ يَوْمٌ يَعْرِفُ فِيهِ قِيَمَةَ الْوَقْتِ وَلَكِنْ بَعْدَ فَوَاتِ الْأَوَانِ وَيَتَمَنَّى أَنَّهُ شَغَلَ وَقْتَهُ الْمَاضِي بِالْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ مِنْ تَسْبِيحٍ وَتَحْمِيدٍ وَتَهْلِيلٍ وَتَكْبِيرٍ وَقِرَاءَةِ لِكِتَابِ اللَّهِ وَصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَحَجٍّ وَبِرِّ وَصَلَةِ رَحِمٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا يَجِدُهُ مَوْفِرًا أَحْوَجَ مَا يَكُونُ إِلَيْهِ .

**إِذَا أَنْتَ لَمْ تَنْزِعْ وَأَبْصَرْتَ زَارِعًا نَدِمْتُ عَلَيَّ التَّفْرِيطِ فِي زَمَنِ الْبَذْرِ**

قِيلَ لِأَحَدِ الْعُلَمَاءِ : مَا بَالُ كِتَابِ السَّلْفِ وَكَلَامِهِمْ وَمَوَاعِظِهِمْ أَنْفَعُ مِنْ كَلَامِنَا وَكُتُبِنَا وَمَوَاعِظِنَا ، قَالَ : لِأَنَّهُمْ يَتَكَلَّمُونَ لِعِزِّ الْإِسْلَامِ وَنَفْعِ الْمُسْلِمِينَ وَرِضَا الرَّحْمَنِ وَإِزَالَةَ مَا يَبْضُرُ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ .

وَنَحْنُ نتكلم لعز النفس وطلب الدُّنيا وقبول الخلق والشهرة والظهور والتصنع والرياء وطلب المدح والثناء .

قال أبو بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : اتق الله بطاعته وأطلع الله بتقواه ولتخف يدك من دماء المسلمينَ وبطنك من أموالهم ولسانك من أعراضهم وحاسب نفسك في كُلِّ خطوة وراقب الله في كُلِّ نفس . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

### ( فَصْلٌ )

وَقَالَ ابن القيم :

دافع الخطرة فإن لم تفعل صارت شهوة فإن لم تفعل صارت عزيمة وهمة فإن لم تدافعها صارت فعلاً فإن لم تداركه بصدده صار عادة فيصعب عَلَيْكَ الانتقال عنها .

واعلم أن كُلَّ علم اختياري هُوَ الخواطر والأفكار فإنها توجب التصورات والتصورات تدعو إلى الإرادات والإرادات تقتضي وقوع الفعل وكثرة تكراره تعطي العادة .

فصلاح هذه المراتب بصلاح الخواطر والأفكار وفسادها بفسادها وصلاح الخواطر بأن تكون مُرَاقَبَةً لوليها وإلهها صاعدة إليه دائرة عَلَى مرضاته ومحابه فإنه سُبْحَانَهُ به كُلِّ صلاح ومن عنده كُلُّ هدي ومن توفيقه كُلُّ رشد ومن توليه لعبده كُلُّ حفظ ومن تولي العبد عنه وإعراضه عنه كُلُّ ضلال وشقاء .

واعلم أن الخطرات والوساوس تؤدي متعلقاتها إلى الفكر فيأخذها الفكر فيؤديها إلى التذكر فيأخذها التذكر فيؤديها إلى الإرادة فتأخذها الإرادة فتؤديها إلى الجوارح والعَمَل فتستحکم فتصير عادة فردها من مبادئها أسهل من قطعها بعد قوتها وتمامها .

ومعلوم أن الإنسان لم يعط إماتة الخواطر ولا القوة عَلَى قطعها فإنها تهجم عَلَيْهِ هجوم النفس إلا أن قوة الإيمان والعقل تعينه عَلَى قبول أحسنها ورضاه به وساكنته لَهُ وَعَلَى دفع أقبحها وكرهته لَهُ ونفرتة منه .

وقد خلق الله النفس شبيهة بالرحي الدائرة التي لا تسكن ولا بد لها من شيء تطحنه فإن وضع فيها حب طحنته وإن وضع فيها تراب أو حصي طحنته فالخواطر والأفكار التي تجول في النفس هي بمنزلة الحب الذي يوضع في الرحي ولا تبقي تلك الرحي معطلة قط بل لابد لها من شيء يوضع فيها .

فمن الناس من تطحن رحاه حباً يخرج دقيقاً ينفع به نفسه وغيره وأكثرهم يطحن رملاً وحصي وتبناً ونحو ذلك فإذا جاء وقت العجن والخبز تبين له حقيقة طحنه أه قلت وبعضهم من يطحن برحاه نجاسات كالزناة واللوطية واللصوص وأهل الملاهي وجميع الفسقة .

وقال ابن مسعود رضي الله عنه ارض بما قسم الله لك تكن من أغني الناس واجتنب ما حرم الله عليك تكن من أروع الناس وأد ما افترض الله عليك تكن من أعبد الناس .

وقال ابن القيم رحمه الله : لله سبحانه على كل أحد عبودية بحسب مرتبته سوي العبودية العامة التي سوي بين عباده فيها .

فعلى العالم من عبودية نشر السنة والعلم الذي بعث الله به رسوله ﷺ ما ليس على الجاهل وعليه عبودية الصبر على ذلك ما ليس على غيره .

وعلى الحاكم من عبودية إقامة الحق وتنفيذه وإلزامه من هو عليه به والصبر على ذلك والجهاد عليه ما ليس على المفتي وعلى الغني من عبودية أداء الحقوق التي في ماله ما ليس على الفقير . وعلى القادر على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بيده ولسانه ما ليس على العاجز عنهما .

وقد غر إبليس كثيراً من الخلق بأن زين لهم الاقتصار على القيام بنوع من الذكر والقراءة والصلاة والصيام والزهد في الدنيا والانقطاع عن الاختلاط بالناس وعطلوا القيام بالعبوديات المتعدية نفعها المتقدم ذكرها .

وإذا قلت لأحدهم كيف حالك قال بخير وسرور وأي خير وسرور فيمن

يرى محارم الله تنتهك وحدوده تضاع والمنكرات والملاهي في البيوت والأسواق وهو بارد القلب مداهن ساكت لا يشعر بهذا النقص العظيم وعند نقوص الدنيا يشتغل قلبه ولسانه وجسده والله در القائل :

مَا لِي أَرَى النَّاسَ وَالدُّنْيَا مُؤَلِّيَةً      وَكُلَّ جَمْعٍ عَلَيْهَا سَوْفَ يَنْشِرُ  
لَا يَشْعُرُونَ إِذَا مَا دِينَهُمْ نَقَصُوا      يَوْمًا وَإِنْ نَقِصَتْ دُنْيَاهُمْ شَعْرُوا  
آخِر:      وَعِنْدَ مُرَادِ اللَّهِ تَفَنَّى كَمَيِّتٍ  
آخِر:      تَرَاهُ يَشْفَقُ مِنْ تَضْيِيعِ دِرْهَمِهِ  
آخِر:      تُفَكِّرُ فِي نَقْصَانِ مَالِكَ دَائِمًا  
وَيُلْهِيكَ خَوْفُ الْفَقْرِ عَنْ كُلِّ طَاعَةٍ      وَعِنْدَ مُرَادِ النَّفْسِ تُسَدِّدِي وَتُلْحِمُ  
وَلَيْسَ يَشْفَقُ مِنْ دِينٍ يُضْيِعُهُ      وَتَغْفُلُ عَنِ نَقْصَانِ دِينِكَ وَالْعُمُرِ  
وَيُخَفِّئُهُ حَالِ الْفَقْرِ شَرًّا مِنَ الْفَقْرِ

قال بعض العلماء : الزم الأدب وفارق الهوى والعصب واعمل في أسباب التيقظ واتخذ الرفق حزباً والتأني صاحبات والسلامة كهفاً والفرغ غنيمَةً والدنيا مطيئةً والآخرة منزلاً .  
شِعْرًا :

وَأَصْبَحْتُ فِي مَا كُنْتُ أَبْغِي مِنَ الْغِنَى      إِلَيَّ الزَّهْدُ فِي الدُّنْيَا الدُّنْيَا أَحْوَجَا  
وَحَسَبْتُ نَفْسِي بَيْنَ بَيْتِي وَمَسْجِدِي      وَقَدْ صِرْتُ مِثْلَ النَّسْرِ أَهْوَى التَّعَرُّجَا  
وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ : إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَجْعَلْ لِلْمُؤْمِنِ رَاحَةَ دُونَ الْجَنَّةِ . وَقَالَ فَضِيلُ لَيْسَ الْغَرِيبُ مِنْ  
يَمْشِي مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ وَلَكِنَّ الْغَرِيبَ صَالِحٌ بَيْنَ فِسَاقٍ قُلْتُ :

لَيْسَ الْغَرِيبُ غَرِيبُ الشَّامِ وَالْيَمَنِ      إِنَّ الْغَرِيبَ تَقِيُّ بَيْنَ فُسَّاقٍ  
وَقَالَ آخِر : احذر العفلة ومخاتل العدو وطربات الهوى وأماني النفس وضراوة الشهوة قال ابن  
القيم واعلم أن الصبر على الشهوة أسهل من الصبر على ما توجهه الشهوة .  
فإن الشهوة إما أن تكون توجب ألماً وعقوبة .  
وإما أن تقطع لذة أكمل منها .  
وإما أن تضيع وقتاً وإضاعته حسرة وندامة .

وإما أن تتلم عرضاً توفيره أنفع للعبد من ثلمه .  
 وإما أن تذهب مالاً بقاؤه خيرٌ من ذهابه .  
 وإما تضع قدراً وجاهاً قيامه خيرٌ من وضعه .  
 وإما أن تسلب نعمة بقاؤها ألد وأطيب من قضاء الشهوة .  
 وإما أن تطرق لوضيع إليك طريقاً لم يكن يجدها من قبل .  
 وإما أن تجلب همماً وغماً وحزناً وخوفاً لا يقارب لذة الشهوة .  
 وإما أن تنسي علماً ذكره ألد من نيل الشهوة .  
 وإما أن تشمت عدواً وتخزن ولياً .  
 وإما أن تقطع الطريق على نعمة مقبلة .  
 وإما أن تحدث عيباً يبقى صفة لا تزول ، فإن الأعمال تورث الصفات والأخلاق أ ه .  
 وَقَالَ المحاسبي رَحِمَهُ اللهُ : اطلب آثار من زاده العلم خشية والعمل بصيرة والعقل معرفة .  
 واعلم أن في كُلِّ فكرة أدباً وفي كُلِّ إشارة علماً وإنما يميز ذَلِكَ من فهم عن الله مراده وجني  
 فَوَائِدِ اليقين من خطابه وعلامة ذَلِكَ في الصادق إِذَا نظر اعتبر وَإِذَا صمت تفكر .  
 وَإِذَا تكلم ذكر وَإِذَا منع صبر وَإِذَا أعطي شكر وَإِذَا ابتلي استرجع وَإِذَا جُهِلَ عَلَيْهِ حَلْمٌ وَإِذَا  
 علم تواضع وَإِذَا علم رفق وَإِذَا سئل بذل .  
 شفاء للقاصد وعون للمسترشد حليف صدق وكهف بر قريب الرضا في حق نفسه بعيد المهمة  
 في حق الله تعالى نيته أفضل من عمله وعمله أبلغ من قوله . موطنه الحق ومعقله الحياء  
 ومعلومه الورع وشاهده الثقة له بصائر من النور يبصر بها وحقائق من العلم ينطق بها ودلائل  
 من اليقين يعبر عنها .  
 يحسبه الجاهل صميئاً عيباً وحكمته أصمته ويحسبه الأحمق مهذاراً والنصيحة لله أنطقته ويحسبه  
 الجاهل غنياً والتعفف أغناه ويحسبه فقيراً والتواضع أدناه .

لا يتعرض لما لا يعنيه ولا يتكلف فوق ما يكفيه ولا يأخذ ما ليس بمحتاج إليه ولا إليه ولا يدع ما وكل بحفظه الناس منه في راحة وهو من نفسه في تعب قد أمات بالورع حرصه وحسم بالتقي طعمه وأمات بنور العلم شهواته .

فهكذا فكن ومثل هؤلاء فاصحب ولا تارهم فاتبع وبأخلاقهم فتأدب واعلم وسع الله بالفهم قلبك وأنار بالعلم صدرك وجمع باليقين همك أي وجدت كل بلاء داخل على القلب من نتاج الفضول وأصل ذلك الدخول في الدنيا بالجهل ونسيان المعاد بعد العلم .

والنجاة من ذلك ترك كل مجهول في الورع وأخذ كل معلوم في اليقين أ هـ .

وإذا اشتبه عليك أمر من الأمور أو خفيت عليك قضية فارجع إلى الكتاب والسنة ولا تحتكم فيها إلى العقل لأنه يقوي ويضعف أ هـ ويتأثر بالمؤثرات .

قال ابن المبارك : القلب مثل المرأة إذا طالت صدئت وكالدابة إذا غفل عنها عدلت عن الطريق .

وقال أحد الحكماء : القلب مثل بيت له ستة أبواب ثم قيل احذر ألا يدخل عليك من أحد الأبواب شيء فيفسد عليك البيت .

والأبواب هي العينان واللسان والسمع والبصر واليدان والرجلان فمتي انفتح باب من هذه الأبواب بغير علم ضاع البيت .

وفرض اللسان الصدق في الرضا والغضب وكف الأذى .

وفرض البصر الغض عن المحارم وترك التطلع فيما حجب وستر .

وفرض السمع تبع للكلام والنظر فكل ما لا يحل لك الكلام فيه والنظر إليه فلا يحل لك استماعه ولا التلذذ به والبحث عما كتم عنك تجسس .

وسماع اللهو والغناء وأذى المسلممين حرام كالميتة ، سئل القاسم عن سماع الغناء فقال : إذا ميز الله بين الحق والباطل يوم القيامة أين يقع الغناء قيل في حوز الباطل قال فأفت نفسك .

وفرض اليدين والرجلين أن يكفهما ولا يبسطهما إلي محرم ولا يقبضهما عن حق وفرض الأنف أن لا يشم ما لا يجوز له شمه . قُلْتُ وَقَدْ تَرَكَ بَاباً وَهُوَ أَهْمُهَا وَأَخْطَرُهَا وَهُوَ الْفَرْجُ وَفَرْضُهُ حِفْظُهُ عَمَّا عَدَا الزَّوْجَةَ وَالْمَمْلُوكَةَ قَالَ تَعَالَى ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَرْوَاحِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ .  
واعلم أن أنجي الطریق العمل بالعلم والتحرز بالخوف والغني بالله عزَّ وجلَّ فاشتغل بإصلاح حالك وافتقر إلي ربك وتنزه عن الشبهات وأقلل حوائجك إلي النَّاسِ فَإِنْ كَثُرَ الْحَاجَاتُ مَمْلُوعٌ عِنْدَ الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ .

لَا تَسْأَلَنَّ إِلَىٰ صَدِيقٍ حَاجَةً      فَيَحُولُ عَنْكَ كَمَا الزَّمَانُ يَحُولُ  
وَأَسْتَعْنِ بِالشَّيْءِ القَلِيلِ فَإِنَّهُ      مَا صَانَ عِرْضَكَ لَا يُقَالُ قَلِيلٌ  
مَنْ عَفَّ خَفَّ عَلَى الصَّدِيقِ لِقَاؤُهُ      وَأَخُو الحَوَائِجِ وَجَهَّهُ مَمْلُوعٌ  
وَأَخُوكَ مَنْ وَفَّرْتَ مَا فِي كَفِّهِ      وَمَتَى عَلِقْتَ بِهِ فَأَنْتَ ثَقِيلٌ

قيل لأحد الفقراء : ما أفقرك ؟ فَقَالَ : لَوْ عَرَفْتُ رَاحَةَ الْفَقْرِ لَشَغَلْتُكَ التَّوَجُّعَ لِنَفْسِكَ عَنْ التَّوَجُّعِ لِي فَالْفَقْرُ مَلِكٌ مَا عَلَيْهِ مَحَاسِبَةٌ وَقِيلَ لَهُ لِمَا لَا يَرِي أَثْرَ الْحُزَنِ عَلَيْكَ فَقَالَ لِأَنِّي لَمْ أَتَّخِذْ شَيْئاً يَحْزِنُنِي فَقَدَهُ .

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : مَنْ أَحَبَّ أَنْ تَقُلَّ هُمُومُهُ وَمَصَائِبُهُ فَلْيَقُلِّلْ قَنِيَّتَهُ لِلخَارِجَاتِ مِنْ يَدِهِ لِأَنَّ سَبَابَ الْهَمِّ فُوتُ الْمَطْلُوبِ أَوْ فَقْدُ الْمَحْبُوبِ وَلَا يَسْلَمُ مِنْهُمَا إِنْسَانٌ قَالَ الشَّاعِرُ :

وَمَنْ سَرَهُ أَنْ لَا يَرِي مَا يَسُوؤُهُ      فَلَا يَتَّخِذُ شَيْئاً يَخَافُ لَهُ فَقْداً

وذكر أنه لما غرقت البصرة أخذ النَّاسُ يَسْتَعِيثُونَ لِإِخْرَاجِ أَمْوَالِهِمْ فَخَرَجَ الْحَسَنُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَمَعَهُ قِصْعَتُهُ وَعَصَاهُ فَقَالَ نَجَا الْمُخْفُونَ وَقِيلَ لِأَحَدِ الزَّهَادِ أَتَرْضِي مِنَ الدُّنْيَا بِهَذِهِ الْحَالِ فَقَالَ إِلَّا أَدْلِكَ عَلَى مَنْ رَضِيَ بِدُونِ هَذَا قَالَ نَعَمْ قَالَ مَنْ رَضِيَ بِالدُّنْيَا بَدَلاً مِنَ الْآخِرَةِ .

وقيل لمحمد بن واسع رَحِمَهُ اللَّهُ أَتَرْضِي بِالدُّنْيَا فَقَالَ : إِنَّمَا رَضِيَ بِالدُّنْيَا مِنْ رَضِيَ بِالدُّنْيَا بَدَلاً مِنَ الْآخِرَةِ . وَقَالَ زَاهِدٌ لِمَلِكٍ أَنْتَ عَبْدٌ عَبْدِي لِأَنَّكَ



تعبد الدنيا لرغبتك فيها وأنا مولاها لرغبتى عنها وزهدي فيها . شعراً :

أنت الأمير على الدنيا لزهديك في      حطامها وطريق الحق مسألوك  
وأنت عبد لها ما دمت تعشقها      إن المحب لمن يهواه مملوك  
آخر: أرى الدنيا لمن هي في يديه      عذاباً كلما كثرت لديه  
تُهين المكرمين لها بصغر      وتكبر كل من هانت عليه  
إذا استغيت عن شيء فدعه      وخذ ما أنت محتاج إليه  
آخر: أرى أشقياء الناس لا يسمونها      على أنهم فيها عراة وجوع  
أزاهاً وإن كانت تحب كأنها      سحابة صيف عن قليل تقشع

وقال مالك بن أنس : كنا عند جعفر بن محمد فدخل سفيان الثوري فقال له حدثني رحمك الله فقال يا أبا عبد الله أكثر من الحديث أعلمك ثلاثاً خير لك من مال كثير يا سفيان إذا نعم الله عليك نعمة فأكثر من الحمد لله فإن الله تعالى يقول ﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ﴾ . وإذا قلت نفقتك فعليك بالاستغفار فإنه يزيدك من المال والولد والنعمة قال الله تعالى ﴿ فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً \* يرسل السماء عليكم مدراراً \* ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً ﴾ وإذا اشتد بك الكرب فعليك بلا حول ولا قوة إلا بالله فإنها كنز من كنوز الجنة فجعل سفيان يقولها ويعدها في يده ثلاثاً .

وقال رجل لعمر بن عبد العزيز عليك بما يبقى لك عند الله فإنه لا يبقى لك ما عند الناس فبلغ ذلك الزهري فقال لقد وعظه بالتوراة والإنجيل والفرقان . من أصعب الأشياء على الإنسان معرفته بعيوبه والإمساك عن الدخول فيما لا يعنيه . قلت والغيبة والكذب والرياء .

مما يجب الابتعاد عنه والتحذير منه مجالسة أهل الفساد لأنه يعلق

بالإنسان من مجالستهم والاتصال بهم أضعاف ما يعلق به من مجالسة العقلاء لأن الفساد أشد التحاماً بالطباع والنفس والشيطان يساعدان على ذلك .

وَمَا يَنْفَعُ الْجُرْبَاءَ قُرْبُ صَاحِبِهِ وَإِيَّهَا وَلَكِنَّ الصَّحِيحَةَ تُجْرِبُ

العاقل حقيقة هو من آثر الطاعة على المعصية وآثر العلم على الجهل وآثر الدين على الدنيا وكف أذاه عن الناس والعالم حقيقة هو من خشي الله تعالى وعمل بما علم . قال تعالى ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ .

( فائدة )

إحالة الأعمال الصالحة إلى وجود الفراغ من أمور الدنيا من الحمق لوجوه منها إثارة الدنيا على الآخرة والله يقول ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا \* وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ .

والثاني : أن تسويف العمل إلى أوان فراغه دليل على جهل الإنسان وغبوته لأنه قد لا يجد مهلة فرما اختطفه الموت قبل ذلك وربما يزداد شغله لأن أشغال الدنيا يجذب بعضها بعضاً ولا تنتهي غالباً إلا بالموت .

قال الشاعر :

وَمَا قَصَى أَحَدٌ مِنْهَا لُبَانَتَهُ وَلَا انْتَهَى أَرْبٌ إِلَّا إِلَى أَرْبٍ

فالواجب على الإنسان المبادرة إلى الأعمال الصالحة على أي حال كان وأن ينتهز فرصة الإمكان قبل مفاجأة هادم اللذات وأن يتوكل على الله ويطلب منه العون في تسييرها إليه .  
وصرف الموانع الحائلة .

قال الشاعر على اغتنام الوقت :

وَحُذِّ مِنْ قَرِيبٍ وَاسْتَجِبْ وَاجْتَنِبْ  
وَكُنْ صَارِمًا كَالْوَقْتِ فَالْمَقْتُ فِي  
وَسِرْ زَمَانًا وَأَنْهَضْ كَسِيرًا فَحَظُّكَ أَلْ  
تَجِدْ نَفْسًا فَالْنَفْسُ إِنْ جُدَّتْ جَدَّتْ  
وَشَمِرْ عَنِ السَّاقِ اجْتِهَادًا بِنَهْضَةٍ  
وَإِيَّاكَ مَهْلًا فَهِيَ أَخْطَرُ عِلَّةٍ  
بَطَالَةُ مَا أَخْرَتْ عَزْمًا لِصِحَّةٍ

قال الفضيل بن عياض : لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ أَكْرَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَشَحُّوا عَلَيَّ دِينَهُمْ وَأَعَزُّوا الْعِلْمَ وَصَانُوهُ وَأَنْزَلُوهُ حَيْثُ أَنْزَلَهُ اللَّهُ لَخَضَعَتْ لَهُمْ رِقَابُ الْجَبَابِرَةِ وَانْقَادَ لَهُمُ النَّاسُ وَكَانُوا لَهُمْ تَبَعًا وَعِزُّ الْإِسْلَامِ وَأَهْلُهُ ، وَلَكِنَّهُمْ أَذَلُّوا أَنْفُسَهُمْ وَلَمْ يَبَالُوا بِمَا نَقَصَ مِنْ دِينِهِمْ إِذَا سَلِمَتْ لَهُمْ دُنْيَاهُمْ فَبَدَلُوا عِلْمَهُمْ لِأَبْنَاءِ الدُّنْيَا لِيَصِيبُوا بِذَلِكَ مَا فِي أَيْدِي النَّاسِ فَذَلُّوا وَهَانُوا عَلَيَّ النَّاسُ . انتهى .

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ صَانُوهُ صَانَهُمْ      وَلَوْ عَظَّمُوهُ فِي النُّفُوسِ لَعُظِّمًا  
 وَلَكِنَّ أَهَانُوهُ فَهَانُوا وَدَنَسُوا      مُحْيِيَاهُ بِالْأَطْمَاعِ حَتَّى تَجْهَمَا  
 فَإِنْ قُلْتَ زَنْدَ الْعِلْمِ كَابٍ فَإِنَّمَا      كَبَى حَيْثُ لَمْ تُنَمِّحْ حِمَاهُ وَأَظْلَمَا  
 آخِرُ : اَعْمَلْ بِعِلْمِكَ تَغْنَمْ أَيُّهَا الرَّجُلُ      لَا يَنْفَعُ الْعِلْمُ إِنْ يَحْسُنَ الْعَمَلُ  
 وَالْعِلْمُ زِينٌ وَتَقْوَى اللَّهِ زِينَتُهُ      وَالْمُتَّقُونَ لَهُمْ فِي عِلْمِهِمْ شُغْلٌ  
 وَحُجَّةُ اللَّهِ يَآذَا الْعِلْمِ بِاللِّغَةِ      لَا الْمَكْرُ يَنْفَعُ فِيهَا لَا وَلَا الْحَيْلُ  
 تَعَلَّمِ الْعِلْمَ وَاغْمَلْ مَا اسْتَطَعْتَ بِهِ      لَا يُلْهِينَكَ عَتَهُ اللَّهْوُ وَالْجَدَلُ  
 وَعَلَّمَ النَّاسَ وَاقْصِدْ نَفْعَهُمْ أَبَدًا      إِيَّاكَ إِيَّاكَ أَنْ يَعْتَاذَكَ الْمَلَلُ  
 وَعِظْ أَخَاكَ بِرَفْقٍ عِنْدَ زَلَّتِهِ      فَالرَّفْقُ يُعْطِفُ مَنْ يَعْتَاذُهُ الزَّلَلُ  
 وَإِنْ تَكُنْ بَيْنَ قَوْمٍ لَا خَلَاقَ لَهُمْ      فَأَمْرٌ عَلَيْهِمْ بِمَعْرُوفٍ إِذَا جَهَلُوا  
 فَإِنْ عَصَوْكَ فَارْجِعْهُمْ بِلَا ضَجْرٍ      وَاصْبِرْ وَصَابِرْ وَلَا يَحْزُنْكَ مَا فَعَلُوا  
 فَكُلْ شَاةً بِرِجْلَيْهَا مُعَلَّقَةً      عَلَيْكَ نَفْسُكَ إِنْ جَارُوا وَإِنْ عَدَلُوا

والحمد لله رب العالمين ، وصلواته على سيدنا محمد خاتم النبيين ، وآله الطاهرين .

### ( فَصْلٌ )

ومن وصايا أبي حنيفة لأبي يوسف : لا تتكلم بين يدي العامة إلا بما تسأل عنه ، قُلْتُ أَوْ  
 ( فيما يعود عليهم بما ينفعهم وإن لم يسألوا ) .

ولا تكثر الخُروج إلى السوق ولا تكلم المراهقين فَإِنَّهُمْ فِتْنَةٌ ( قُلْتُ إِلَّا لِحَاجَةٍ أَوْ حَاجَةٍ ) .

ولا تمش في قارعة الطريق مع المشايخ والعامه فإنك إن قدمتهم ازدرى بعلمك وإن أخرتهم ازدرى بك من حيث أنهم أسن منك .

قال النبي ﷺ : " من لم يرحم صغيرنا ولم يوقر كبيرنا فليس منا " .

ولا تقعد على قوارع الطريق فإن دعاك ذلك فاقعد في المسجد .

ولا تأكل في الأسواق والمساجد قلت إلا لضرورة أو حاجة .

ولا ترض لنفسك من العبادات إلا بأكثر مما يفعله غيرك وتعاطها فإن العامة إذا لم يروا الإقبال عليها أكثر مما يفعلون اعتقدوا فيك قلة الرغبة واعتقدوا أن علمك لا ينفعك إلا ما نفعهم الجهل الذي هم فيه .

وإذا دخلت بلدة فيها أهل العلم فلا تتخذها لنفسك بل كن كواحد من أهلها ليعلموا أنك لا تقصد جاههم ولا يخرجون عليك بأجمعهم ويطعنون في مذهبك وتصير مطعوناً عندهم بلا فائدة .

وإن استفوتك فلا تناقشهم في المناظرة والمطارات .

ولا تذكر لهم شيئاً إلا عن دليل واضح .

ولا تطعن في أساتذتهم فإنهم يطعنون فيك . قلت إلا أن يكونوا مبتدعين كالأشاعرة فيحذر عنهم .

وكن من الناس على حذر .

وكن لله تعالى في سر كما أنت له في علانيتك .

ولا يصلح أمر العلم إلا بعد أن يجعل سره كعلانيته .

وإذا أولاك السلطان عملاً فلا تقبل ذلك منه إلا بعد أن تعلم أنه إنما يوليكَ ذلك لعلمك .

وإياك أن تتكلم في مجلس النظر على خوف ، فإن ذلك يورث الخلل في الألفاظ ، والكلل في اللسان .

وإياك أن تكثر الضحك ، فإنه يميت القلب .

ولا تمش إلا على طمأنينة . قُلْتُ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ .

ولا تكن عجولاً في الأمور قُلْتُ إلا فيما حث الشارع على الإسراع والمبادرة فيه .  
وإذا تكلمت فلا تكثر التصويت ، ولا ترفع صوتك . قُلْتُ لأنه يدل على قلة العقل قال الله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنَ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ .  
واتخذ لنفسك السكون وقلة الحركة ، ليتحقق عند الناس ثباتك . ولأنه يدل على رزانة العقل .  
وأكثر من ذكر الله تعالى فيما بين الناس ، ليتعلموا ذلك منك . قُلْتُ وليكون له مثل أجورهم لحديث من دل على خيرٍ فله مثل أجر فاعله .

واتخذ لنفسك ورداً خلف الصلوات تقرأ فيه القرآن ، وتذكر الله تعالى وتحمده وتشكره .  
واتخذ أياماً معدودة من كل شهر تصوم فيها ليقنتدي بك غيرك .  
ولا تطمئن إلى دنياك وإلى ما أنت فيه فإن الله سائلك عن جميع ذلك .  
وإذا عرفت إنساناً بالشر فلا تذكره به بل اطلب منه خيراً فاذكره به .  
إلا في باب الدين فإنك إن عرفت في دينه ذلك فاذكره للناس كي لا يتبعوه وليحذروه ، قال عليه الصلاة والسلام " اذكروا الفاجر بما فيه حتى يحذره الناس " وإن كان ذا جاه ومنزلة فاذكر ذلك ولا تبال من جاهه فإن الله تعالى معينك وناصرك وناصر الدين .  
فإن فعلت ذلك مرة هابوك ولم يتجاسر أحد على إظهار البدعة في الدين .  
ولا تجالس أحداً من أهل الأهواء إلا على سبيل الدعوة إلى الدين ولا تشاتم .

وإذا أذن المؤذن فتأهب لدخول المسجد لئلا تتقدم عَلَيْكَ العامة قُلْتُ بل للمبادرة إلي أداء  
 الفريضة وليقتدي بك غيرك .  
 ولا تتخذ دارك في جوار السلطان .  
 وما رأيت على جارك فاستره فإنه أمانة .  
 ولا تظهر أسرار الناس .  
 ومن استشارك في شيء فأشر عليه بما يقربك إلى الله تعالى .  
 وَإِيَّاكَ والبخل فإنه تنقص به المروءة ولا تكن طماعاً ولا كذاباً . قُلْتُ : ولا جاسوساً ولا غيباً  
 ولا نماماً ولا غشاشاً .  
 وأظهر غني القلب مظهراً في نفسك قلة الحرص والرغبة وأظهر من نفسك الغني ولا تظهر الفقر  
 وإن كنت فقيراً .  
 وكن ذا همة فإن من ضعفت همته ضعفت منزلته .  
 وإذا مشيت مع الطريق فلا تتلفت يمينا ولا شمالاً بل داوم النظر في الأرض قُلْتُ : إلا لضرورة  
 أو حاجة .  
 ولا تماكس بالحبات والدوانق وحقر الدنيا المحقرة عند أهل العلم ( أي علماء الآخرة العاملون  
 بعلمهم لا علماء الدنيا ) .  
 وول أمورك غيرك ليتمكنك الإقبال على العلم وإيَّاكَ أن تكلم المجانين ومن لا يعرف المناظرة  
 والحجة من أهل العلم والذين يطلبون الجاه ويستغرقون بذكر المسائل فيما بين الناس فَإِنَّهُمْ  
 يطلبون تخجيلك ولا يباليون منك وإن عرفوك على الحق .  
 وإذا دخلت على قوم كبار فلا ترتفع عليهم ما لم يرفعوك لئلا يلحق بك مِنْهُمْ أذية .  
 وإذا كنت في قوم فلا تتقدم عليهم في الصلاة ما لم يقدموك على وجه التقدير . قُلْتُ إلا أن  
 يكون أقرأهم لكتاب الله فيتقدم .  
 وَاللَّهُ أَعْلَمُ وصلي الله على مُحَمَّدٍ .

( فَصْلٌ )

صحبة أهل الصلاح تورث في القلب الصلاح وصحبة أهل الشر والفساد تورث في القلب الفساد .

أحوك من عرفك العيوب وصديقتك من حذرك من الذنوب .

كَانَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ لَا يَدْعُ أَحَدًا يَغْتَابُ فِي مَجْلِسِهِ أَحَدًا يَقُولُ إِنْ ذَكَرْتُمْ اللَّهَ أَعْتَاكُمْ وَإِنْ ذَكَرْتُمْ النَّاسَ تَرَكَنَاكُمْ .

وَقَالَ آخَرٌ : لَا تَكُنْ وَلِيًّا لِلَّهِ فِي الْعَلَانِيَةِ وَعُدُوهُ فِي السِّرِّ .

وَقَالَ كُلُّ مَا شَغَلَكَ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ أَهْلِ وَمَالٍ وَوَلَدٍ فَهُوَ عَلَيْكَ شَوْمٌ .

إِذَا كَانَتِ الْآخِرَةُ بِالْقَلْبِ جَاءَتِ الدُّنْيَا تَزَاحِمُهَا وَإِذَا كَانَتِ الدُّنْيَا بِالْقَلْبِ لَمْ تَزَاحِمِهَا الْآخِرَةُ لِأَنَّهَا كَرِيمَةٌ فَاجْعَلِ الْآخِرَةَ فِي قَلْبِكَ .

وَمَنْ أَعْطَاهُ اللَّهُ فَضْلًا فِي دُنْيَا فَلِيَحْمَدِ اللَّهَ ، وَلِيَكْثُرَ مِنْ شُكْرِهِ وَذِكْرِهِ ، وَلَا يَفْخَرَنَّ بِهِ عَلَى أَخِيهِ ، وَلَا يَتَدَاخِلَهُ الْكِبَرُ وَالْعَجَبُ وَالتَّعَاضُمُ .

وَقَالَ : لَا تَبْدُرْ مِنْكُمْ عِنْدَ الْغَضَبِ كَلِمَةَ الْفَحْشِ ، فَإِنَّهَا تَزِيدُ الْعَارَ وَالْمُنْقِصَةَ ، وَتَلْحَقُ بِكُمْ الْعَيْبَ وَالْمُهْجَنَةَ ، وَتَجْرُ عَلَيْكُمْ الْمَأْثَمَ وَالْعُقُوبَةَ .

وَقَالَ خَيْرُ الْمُلُوكِ شَرَفًا مَنْ بَدَلَ سَنَةَ السُّوءِ فِي مَمْلَكَتِهِ بِالسَّنَةِ الصَّالِحَةِ ، وَشَرَّهُمْ مَنْ بَدَلَ السَّنَةَ الصَّالِحَةَ الْحَسَنَةَ بِالسَّنَةِ السُّوءِ .

وَالدَّلِيلُ عَلَى غَرِيزَةِ الْجُودِ السَّمَاوَةِ عِنْدَ الْعُسْرَةِ وَمَعْنَى الْعُسْرَةِ (الضيق والشدة) .

وَالدَّلِيلُ عَلَى غَرِيزَةِ الْوَرَعِ الصِّدْقِ عِنْدَ السُّخْطِ وَالبعد عن الشبهات ومواضع الريب والإكثار ومن ذكر الله وحمده وشكره والتفتيش على المآكل والمشرب والملابس ونحوها بدقة .

وَالدَّلِيلُ عَلَى غَرِيزَةِ الْحِلْمِ الْعَفْوِ عِنْدَ الْغَضَبِ .

ومن أعظم النَّاسِ مصيبة من لم يكن له عقل ولا حكمة ، ولا له في الأدب رغبة .

شِعْرًا: قَدْ مَضَى فِي اللّهُوِ عُمْرِي وَتَنَاهِي فِيهِ أَمْرِي  
شَمَّرَ الْأَكْيَاسُ وَأَنَا بَانَ رِنْحُ النَّاسِ دُونِي  
لِيَتِّيَ أَقْبَلُ وَعَظِي لِيَتِّيَ أَسْمَعُ زَجْرِي  
كُلَّ يَوْمٍ أَنَا رَهْنٌ بَيْنَ آثَامِي وَوِزْرِي  
لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَرَى لِي هِمَّةً فِي فَكِّ أَسْرِي  
أَوْ أَرَى فِي ثَوْبِ صِدْقٍ قَبْلَ أَنْ أَنْزَلَ قَبْرِي  
وَيُحَ قَلْبِي مِنْ تَنَاسِي هِ مُقَامِي يَوْمَ حَشْرِي  
وَاشْتِغَالِي مِنْ خَطَايَا أَثْقَلْتُ وَاللَّهِ ظَهْرِي

اللَّهُمَّ ارحم عباداً غرهم طول إمهالك وأطعمهم دوام إفضالك ومدوا أيديهم إلي كرم نوالك وتيقنوا أن لا غني لهم عن سؤالك وَجُدْ عَلَيْنَا وَعَلَيْهِمْ بِرَحْمَتِكَ الْوَاسِعَةِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُمْ وَجَمِّعِ الْمُسْلِمِينَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ وَصَلِي اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

### " موعظة "

عِبَادَ اللَّهِ أَيْنَ الَّذِينَ سَادُوا وَشَادُوا أَوْطَانًا ، وَحَكَمُوا وَأَحْكَمُوا بِنِيَانًا ، وَجَمَعُوا فَحَشَدُوا أَمْوَالًا وَأَعْوَانًا عَوْضُوا بِأَرْبَاحِ الْهَوَى خَسِرَانًا ، وَبَدَلُوا بِإِعْزَازِ الْكِبَرِ وَالتَّجْبِرِ هَوَانًا وَأَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَعْدَ الْجُمُوعِ وَحَدَانًا ، وَمَا اسْتَصْحَبُوا مِمَّا جَمَعُوا إِلَّا أَكْفَانًا .

نَصِيئِكَ مِمَّا تَجْمَعُ الدَّهْرُ كُلَّهُ رِدَّانٍ تُطْوَى فِيهِ مَا وَخُوطُ  
آخِر: فَمَا تَزُودَ مِمَّا كَانَ يَجْمَعُهُ سِوَى حُوطٍ غَدَاةَ الْبَيْنِ فِي خَرْقٍ  
وغير نَفْحَةِ أَعْوَادٍ تَشْبُّ لَهُ وَقَلَّ ذَلِكَ مِنْ زَادٍ لِمُنْطَلَقِ



يحملون على الأعناق ولا يسمون ركباناً ، وينزلون بطون الإلحاد ولا يسمون ضيفاناً ، متقاربين في القبور ولا يسمون جيراناً .

أو ليس قد رأينا كيف ينقلون ولا كفانا ، فيا من قد بقي من عمره القليل ولا يدري متى يقع الرحيل ، كنعك بطرفك حين الموت يسيل والروح تنزع والكرب ثقيل ، والنقلة قد قربت وأين المقييل ، أفي الجنة ونعيمها والسلسيل أم في الجحيم وأنكالها وأغلالها وبئس المقييل .

يا من تعد عليه أنفاسه استدركها ، يا من ستفوته أيامه أدركها ، إن أعز الخلق عليك نفسك فلا تهلكها كم أغلقت باباً على قبيح ، وكم أعرضت عن قول المخلص النصيح ، أعظم الله أجرك في عمر قد مضى ما رزقت فيه العفو ولا الرضي .

انقضت فيه اللذات كمن قضي ، وصارت الحسرات من الشهوات عوضاً ، قال الله جلّ وعلا وتقدس ﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحُسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا ﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنْتُ لَمِنَ السَّآخِرِينَ ﴾ .

اللَّهُمَّ بِنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ النَّارِ وَعَافِنَا مِنْ دَارِ الْخِزْيِ وَالْبُورِ وَأَدْخِلْنَا بِفَضْلِكَ الْجَنَّةَ دَارَ الْقَرَارِ وَعَامِلْنَا بِكَرَمِكَ وَجُودِكَ يَا كَرِيمَ يَا غَفَّارَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلِي اللَّهِ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

( فَضْلٌ )

وَقَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ :

[ العقبات التي يتدرج منها الشيطان لإغواء العبد ]

" العقبة الأولى " :

عقبة الكفر بالله ولقائه وبصفات كماله وبما أخبرت به رسله عنه ، فإنه إن ظفر به في هذه العقبة بردت نار عداوته واستراح .

فإن اقتحم هذه العقبة ونجا منها ببصيرة الهداية وسلم معه نور الإيمان طلبه عليّ :  
" العقبة الثانية " :

وهي عقبة البدعة إما باعتقاد خلاف الحق الذي أرسل الله به رسوله وأنزل به كتابه ، وإما التعبد بما لم يأذن به الله ، من الأوضاع والرسوم المحدثّة في الدين التي لا يقبل الله منها شيئاً .  
والبدعتان في الغالب متلازمتان قل أن تنفك إحداهما عن الأخرى ، كما قال بعضهم :  
تزوجت بدعة الأقوال ببدعة الأعمال ، فاشتغل الزوجان بالعرس فلم يفجأهم إلا وأولاد الزنا يعيشون في بلاد الإسلام ، تضح منهم العباد والبلاد إلى الله تعالى .

وقال شيخنا : تزوجت الحقيقة الكافرة بالبدعة الفاجرة فتولد بينهما خسران الدنيا والآخرة .  
فإن قطع هذه العقبة وخلص منها بنور السنة واعتصم منها بحقيقة المتابعة وما مضى عليه السلف الأخيار من الصحابة والتابعين لهم بإحسان .

وهيئات أن تسمح الأعصار المتأخرة بواحد من هَذَا الضرب ، فإن سمحت به نصب له أهل البدع الحبائل وبغوه الغوائل وقالوا : مبتدع محدث ، فإذا وفقه الله لقطع هذه العقبة طلبه عليّ :  
" العقبة الثالثة " :

وهي عقبة الكبائر فإن ظفر فيها زينها الله له وحسنها في عينه وسوف به وفتح له باب الإرجاء وقال له : الإيمان هو التصديق نفسه فلا تقدر فيه الأعمال ( أي أعمال الفسوق والعصيان ) .

وربما أجري على لسانه وأذنه كلمة طالما أهلك بها الخلق وهي قوله : ( لا يضر مع التوحيد ذنب كما لا ينفع مع الشرك حسنة ) والظفر به في عقبة البدعة أحب إليه ، لمناقضتها الدين ، ودفعها لما بعث الله به رسوله .

وصاحبها لا يتوب منها ، ولا يرجع عنها بل يدعو الخلق إليها ، والاجتهاد على إطفاء نور السنة .

وتولية من عزله الله ورسوله ، وعزل من ولاه الله ورسوله ، واعتبار ما رده الله ورسوله ، ورد ما اعتبره ، وموالاته من عاداه ، ومعاداة من والاه وإثبات ما نفاه ، ونفي ما أثبتته .

وتكذيب الصادق وتصديق الكاذب ، ومعارضة الحق بالباطل وقلب الحقائق يجعل الحق باطلاً والباطل حقاً ، والإلحاد في دين الله ، وتعمية الحق على القلوب ، وطلب العوج لصراط الله المستقيم ، وفتح باب تبديل الدين جملة .

فإن البدع تستدرج بصغيرها إلى كبيرها ، حتى ينسلخ صاحبها من الدين كما تنسل الشعرة من العجين .

فمفسد البدع لا يقف عليها إلا أرباب البصائر ، والعميان ضالون في ظلمة العمي ﴿ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴾ .

فإن قطع هذه العقبة بعصمة الله أو بتوبة نصوح تنجيه منها طلبه على :  
" العقبة الرابعة " :

وهي عقبة الصغائر فكال له منها بالقفران وَقَالَ : مَا عَلَيْكَ إِذَا اجْتَنَبْتَ الْكِبَائِرَ مَا غَشِيَتْ اللَّمَمَ أَوْ مَا عَلِمْتَ أَنَّهَا تَكْفُرُ بِاجْتِنَابِ الْكِبَائِرِ وَبِالْحَسَنَاتِ ، وَلَا يَزَالُ يَهُونُ عَلَيْهِ أَمْرُهَا حَتَّى يَصِرَ عَلَيْهَا .

فيكون مرتكب الكبيرة الخائف الوجل النادم أحسن حالاً منه ، فالإصرار على الذنب أقبح منه ولا كبيرة مع التوبة والاستغفار ، ولا صغيرة مع الإصرار .

وقد قال ρ : " إياكم ومحقرات الذنوب " . ثُمَّ ضَرَبَ لِدَلِكِ مَثَلًا بِقَوْمٍ نَزَلُوا بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ فَأَعْوَزَهُمُ الْحَطَبُ . فَجَعَلَ هَذَا يَجِيءُ بَعُودَ وَهَذَا بَعُودَ حَتَّى جَمَعُوا حَطَبًا كَثِيرًا فَأَوْقَدُوا نَارًا وَأَنْضَجُوا حَبِزَتَهُمْ .



ومعرفة مقاديرها والتمييز بين عاليها وسافلها ومفضولها وفاضلها ورئيسها ومرؤوسها وسيدها ومسودها .

فإن في الأعمال سيداً ومسوداً ورئيساً ومرؤوساً وذروة وما دونها ، كما في الحديث الصحيح : " سيد الاستغفار أن يقول العبد : اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ " الحديث .  
وفي الحديث الآخر : " الجهاد ذروة سنام الأمر " . وفي الأثر الآخر : ( إن الأعمال تفاعرت فذكر كل عمل منها مرتبة وفضله وكان للصدقة مزية في الفخر عليهن ) .  
ولا يقطع هذه العقبة إلا أهل البصائر والصدق من أولي العلم السائرين على جادة التوفيق ، قد أنزلوا الأعمال منازلها وأعطوا كل ذي حق حقه .

فإذا نجا منها أحد لم يبق هناك عقبة يطلبه العدو عليها سوي واحدة لا بد منها ، ولو نجا منها أحد لنجا منها رسل الله وأنبيأؤه وأكرم الخلق عليه .

وهي عقبة تسليط جنده عليه بأنواع الأذى باليد واللسان والقلب على حسب مرتبته في الخير ، فكلما علت مرتبته أجلب عليه العدو بخيله وظاهر عليه بجنده ، وسلط عليه حزبه وأهله بأنواع التسليط .

وهذه العقبة لا حيلة له في التخلص منها ، فإنه كلما جد في الاستقامة والدعوة إلى الله والقيام به بأمره جد العدو في إغراء السفاء به ، فهو في هذه العقبة قد لبس لامة الحرب ، وأخذ في محاربة العدو لله وباللله .

فعبوديته فيها عبودية خواص العارفين وهي تسمى عبودية المراغمة ولا ينتبه لها إلا أولو البصائر التامة ، ولا شيء أحب إلى الله من مراغمة وليه لعدوه وإغاظته له . أ . ه .

شِعْرًا :

وَلَمَّا قَسَا قَلْبِي وَضَاقَتْ مَذَاهِبِي      جَعَلْتُ الرَّجَا مِنِّي لِعَفْوِكَ سُلْمًا  
تَعَاظَمَنِي ذَنْبِي فَلَمَّا قَرَنْتُهُ      بعفوك ربي كان عفوك أعظمًا

فَلَلَّهِ دَرُّ الْعَارِفِ النَّدْبِ إِنَّهُ  
يُقِيمُ إِذَا مَا اللَّيْلُ مَدَّ ظِلَامَهُ  
فَصِيحًا إِذَا مَا كَانَ مِنْ ذِكْرِ رَبِّهِ  
وَيَذْكُرُ أَيَّامًا مَضَتْ مِنْ شَبَابِهِ  
فَصَارَ قَرِينَ الْهَمِّ طُولَ نَهَارِهِ  
يَقُولُ إِلَهِي أَنْتَ سُؤْلِي وَبُعْثِي  
فَأَنْتَ الَّذِي غَذَيْتَنِي وَكَفَلْتَنِي  
آخر: سَبِيلُ الْخَلْقِ كُلِّمِ الْفَنَاءَ  
يُقَرِّبُنَا الصَّبَاحُ إِلَى الْمَنَائِي  
أَتَأْمَلُ أَنْ تَعِيشَ وَأَيُّ غُصْنٍ  
تَرَاهُ أَخْضَرَ الْعِيدَانِ غُضًّا  
وَجَدْنَا هَذِهِ الدُّنْيَا غَرُورًا  
فَلَا تَرْكُنْ إِلَيْهَا مُطْمَئِنًّا  
تَسْحُ لِفَرْطِ الْوَجْدِ أَجْفَانُهُ دَمًا  
عَلَى نَفْسِهِ مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ مَأْتَمًا  
وَفِي مَا سِوَاهُ فِي الْوَرَى كَانَ مُعْجَمًا  
وَمَا كَانَ فِيهَا مِنْ الْجَهَالَةِ أُجْرَمًا  
وَيَخْدِمُ مَوْلَاهُ إِذَا اللَّيْلُ أَظْلَمَا  
كَفَى بِكَ لِلرَّاجِينَ سُؤْلًا وَمَعْنَمًا  
وَمَا زِلْتَ مَنَانًا عَلَيَّ وَمُنْعَمًا  
فَمَا أَحَدٌ يَلُومُ لَهُ الْبَقَاءَ  
وَيُؤَدِّبُنَا إِلَيْنِ الْمَسَاءَ  
عَلَى الْأَيَّامِ طَالَ لَهُ النَّمَاءُ  
فَيُصْبِحُ وَهُوَ مُسْوَدُّ غُثَاءِ  
مَتَى مَا تُعْطَى يُرْتَجَعُ الْعَطَاءُ  
فَلَيْسَ بِدَائِمٍ مِنْهَا الصَّفَاءُ

اللَّهُمَّ نور قلوبنا بنور الإيمان وثبتنا على قولك الثابت ، في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، ويسرنا  
لليسري وجنبتنا للعسري ، واجعلنا هداة مهتدين وأعفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ، بِرَحْمَتِكَ  
يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وصلي الله على مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وصحبه أجمعين .

### ( فَضْلٌ )

الحكمة كالجواهر في الصدف في قعور البحار ، فلا تنال إلا بالغواصين الحذاق .  
العاقل لا تدعه عيوبه يفرح بما ظهر من محاسنه .  
النصح بين الناس تفرع .  
إعادة الاعتذار تذكير للذنب وما عفا عن الذنب من وبخ به .

رب كلام جوابه السكوت ، ورب عمل الكف عنه أفضل ، ورب خصومة الإعراض عنها أصوب .

الدُّنْيَا تَهِينُ مِنْ كَانَتْ تَكْرَمُهُ ، وَالْأَرْضُ تَأْكُلُ مِنْ كَانَتْ تَطْعَمُهُ .

نَمِيرُ مِنْ أَمْنَا الْعَبْرَاءِ مِيرَتَنَا      وَلِلْبَسِيطَةِ مِنْ أَجْسَادِ نَامِيرُ

أمر الدنيا أقصر من أن تتعادي فيه النفوس ، وأن تتفاناً وأن تطاع فيه الضغائن والأحقاد .

وَقَالَ : لا يستطيع أحد أن يجد الخَيْرَ والحكمة إلا أن تخلص نَفْسَهُ فِي المعاد ، ولا خلاص له إلا أن تَكُونَ لَهُ ثلاثة أشياء : وزير ، وولي ، وصديق .

فوزيره عقله ، ووليه عفته ، وصديقه عمله الصالح .

الجود هُوَ أن تجود بمالك ، وتصون نفسك عن مال غيرك ، وأقصى غاية الجود أن تجود بنفسك في سبيل الله .

يَجُودُ بِالنَّفْسِ إِنْ ظَنَّ الْبَخِيلُ بِهَا      وَالْجُودُ بِالنَّفْسِ أَقْصَى غَايَةِ الْجُودِ

قابل غضبك بحلمك ، وجهلك بعلمك ، ونسيانك بِذِكْرِكَ ، وتزود من الخَيْرِ وَأَنْتَ مقبل خَيْرٍ من أن تتزود وَأَنْتَ مدبر .

العجب ممن يحتمي من المآكل الرديئة ولا يترك الدُّنُوبَ مخافة رب العالمين . ويستحي من الخلق ولا يستحي ممن لا تخفي عليه خافية . قال تعالى ﴿ يَسْتَحْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَحْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ ﴾ .

العمي خَيْرٌ من الجهل ، لأن العمي يخاف منه السقوط في حفرة ، والجهل يخاف منه الوقوع في الهلاك .

ينبغي للرئيس أن يبتدي بتقويم نفسه قبل أن يبتدي بتقويم رعاياه .

وإلا كَانَ بمنزلة من رام استقامة ظلّ معوج قل تقويم عوده الَّذِي هُوَ ظلّ له .

إِنْدَا بِنَفْسِكَ فَانْهَهَا عَنْ غِيَّهَا      فَإِذَا انْتَهَتْ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيمٌ

فَهَنَّاكَ يُقْبَلُ مَا تَقُولُ وَيُقْتَدَى      بِالرَّأْيِ مِنْكَ وَيَنْفَعُ التَّعْلِيمُ

استدامة الصحة تكون بإذن الله بترك التكاسل عن التعب وبترك الامتلاء من الطعام والشراب وترتيب المآكل .

للقلب آفتان الهم والغم ، فالغم يعرض منه النوم ، والهم يعرض منه السهر .

العلم كثير والعمر قصير فخذ من العلم أحسنه وما بلغك قليله إلي كثيره

مَا حَوَى الْعِلْمُ مِنَ الْخَلْقِ أَحَدًا      لَا وَلَوْ حَاوَلَهُ أَلْفَ سَنَةٍ

إِنَّمَا الْعِلْمُ كَبْخَرٍ زَاخِرٍ      فَاتَّخِذْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَحْسَنَهُ

عجباً لمن عرف الدُّنيا وأنها دار فناء كيف تلهيه عن دار البقاء التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

إعطاء المريض ما يشتهيه أنفع له من أخذه بكل ما لا يشتهيه .

الدُّنيا تنصح تاركها وتغش طالبها فنصيححتها لتاركها ما تريه من غيرها بأهلها وفتكها بهم ونكدها وكدرها وغمومها وهمومها .

وغشها لطالبها ما تذيقه من لذة ساعتها ثم تعقبه مرارة طعمها وسوء منقلبها .

طالب الدُّنيا كناظر السراب يحسبه سبباً لريه فيتعب نفسه في طلبه فإذا جاءه خانه ظنه وفاته أمله وبقي عطشه ودامت حسرته وندامته وخسر طول عناثه .

وقال آخر : الإنسان في الدُّنيا معذب بجميع أحوالها غير باق عليه ما يصير إليه من أسبابها .

قليل التهنته بما يجده من ملاذها دائم النكد والكبد والغصص بمفارقة أحبابه فيها .

يا هذا الدُّنيا وراءك والآخرة أمامك والطلب لما وراءك هزيمة .

إنما يعجب بالدُّنيا من لا فهم له الدُّنيا كأضغاث أحلام تسر النائم .

لعب خيال يحسبها الطفل حقيقة فأما العاقل فيفهمها .



رَأَيْتُ خَيَالَ الظِّلِّ أَكْبَرَ عَبْرَةٍ      لِمَنْ هُوَ فِي عِلْمِ الحَقِيقَةِ رَاقٍ  
شُخُوصٌ وَأَشْبَاحٌ تَمُرُّ وَتَنْقُضِي      جَمِيعاً وَتَفْنِي وَالمَحْرُكُ بَاقٍ

قال ثابت بن قرة : راحة الجسم في قلة الطعام ، وراحة الروح في قلة الآثام ، وراحة اللسان في قلة الكلام قُلْتُ إلا بذكر الله وما ولاه .

والذُّنُوبُ للقلب بمنزلة السموم إن لم تهلكه أضعفته ولا بد ، والضعيف لا يقوي على مقاومة العوارض . قال عَبْدُ اللَّهِ بن المبارك :

رَأَيْتُ الذُّنُوبَ تُمِيتُ القُلُوبَ      وَقَدْ يُورِثُ الذُّلَّ إِذْمَانُهَا  
وَتَرَكْتُ الذُّنُوبَ حَيَاةَ القُلُوبِ      وَخَيْرٌ لِنَفْسِكَ عِصْيَانُهَا

كل شيء إذا أكثر رخص إلا العلم والعقل كُلَّمَا كَثُرَ أَحَدُهُمَا غَلَا . وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلِيَ اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

### [ فصل في الحكمة ]

قال الله تبارك وتعالى (يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤتي الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب) وعن عَبْدِ اللَّهِ بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " ما أهدي المرء المسلم لأخيه هدية أفضل من حكمة يزيده بها هدي ويرده بها عن ردي " أخرجه البيهقي في شعب الإيمان وأبو نعيم في الحلية .

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ "أوتيت جوامع الكلم واختصرت لي الحكمة اختصاراً .

وفي الصحيحين عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : "بعثت بجوامع الكلم" .

وعن ابن مسعود قال سمعت رسول الله ﷺ يَقُولُ " لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها " . رواه البخاري ومسلم .

وقيل : إن في التوراة أن الله قال لموسي عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام [ عظم الحكمة فإني لا أجعل الحكمة في قلب عبد إلا وأردت أن أغفر له فتعلمها ثم اعمل بها ثم ابذلها كي تنال بذلك كرامتي في الدنيا والآخرة ] .

وأخرج أبو يعلى الموصلي من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : إني أوتيت جوامع الكلم وخواتمه واختصر لي الكلام اختصاراً وقال ﷺ : أعطيت جوامع الكلم واختصر الحديث لي اختصاراً .

وقال لقمان : إن القلب يحيا بالكلمة من الحكمة كما تحيا الأرض بوابل المطر .

وقال أبان بن سليم : كلمة حكمة من أخيك خير لك من مال يعطيك .

وقال بعض الحكماء الحكمة صديقة العقل ، وميزان العدل ، وعين البيان ، وروضة الأرواح ، ومزجحة الهموم عن النفوس بإذن الله .

وأنس المستوحش وأمن الخائف ومتجر الرابح وحظ الدنيا والآخرة بإذن الله لمن وفقه الله .  
وسلامة العاجل والآجل لمن وفقه الله .

وقال آخر : الحكمة نور الأبصار وروضة الأفكار ومطية الحلم وكفيل النجاح .

وضمن الخَيْرُ والرشد والداعية إلى الصواب والسفير بين العقل والقلوب .

لا تدرس آثارها ولا تعفو ربوعها كل ذلك لمن وفقه الله تعالى .

وروي عن الشعبي أنه قال : لو أن رجلاً سافر من أقصى الشام إلى أقصى اليمن لسمع كلمة واحدة ينتفع بها فيما يستقبل من عمره ما رأيت أن سفره قد ضاع .

وقال بعض العلماء من تفرد بالعلم لم توحشه الخلوة ومن تسلي

بالكتب لم تفتته سلوة وإن هذه القلوب تمل كما تمل الأبدان فابتغوا لها طرائف الحكمة .  
والحكمة موقظة للقلوب من سنة العفلة ومنقذة للبصائر من سنة الحيرة ومحبية لها بإذن الله من  
موت الجهالة ومستخرجة لها من ضيق الضلالة لمن وفقه الله تعالى .

### [ فائدة عظيمة ]

اعلم أن من كان داؤه المعصية ، فشفأؤه الطاعة ، ومن كان داؤه العفلة ، فشفأؤه اليقظة ، ومن  
كان داؤه كثرة الانشغال ، فشفأؤه في تفرغ المال .

فمن تفرغ من هموم الدنيا قلبه ، قل تبعه ، وتوفر من العبادة نصيبه ، واتصل إلى الله مسيره ،  
وارتفع في الجنة مصيره ، وتمكن من الذكر والفكر والورع والزهد والاحتباس من وساوس  
الشیطان ، وغوائل النفس .

ومن كثر في الدنيا همه ، أظلم طريقه ، ونصب بدنه ، وضاع وقته ، وتشتت شمله ، وطاش  
عقله ، وانعقد لسانه عن الذكر ، لكثرة همومه وغمومه ، وصار مقيد الجوارح عن الطاعة ، من  
قلبه في كلِّ واد شعبة ، ومن عمره لكل شغل حصة .

فاستعد بالله من فضول الأعمال والهموم فكل ما شغل العبد عن الرب فهو مشئوم ، ومن فاته  
رضي مولاه فهو محروم ، كل العافية في الذكر والطاعة ، وكل البلاء في العفلة والمخالفة ، وكل  
الشفاء في الإنابة والتوبة ، وانظر لو أن طبيباً نصرانياً نهاك عن شرب الماء البارد لأجل مرض في  
جسدك لأطعته في ترك ما نهاك عنه ، وأنت تعلم أن الطبيب قد يصدق وقد يكذب وقد  
يصيب وقد يخطئ وقد ينصح وقد يغض ، فما بالك لا تترك ما نهاك عنه أنصح الناصحين  
وأصدق القائلين وأوفي الواعدين لأجل مرض القلب الذي إذا لم تشف منه فأنت من أهلك  
الهالكين .

تَبْغِي الْوُصُولَ بِسَيْرٍ فِيهِ تَقْصِيرٌ      لَا شَكَّ أَنَّكَ فِي مَا رُمْتَ مَعْرُورٌ  
 قَدْ سَارَ قَبْلَكَ أَبْطَالٌ فَمَا وَصَلُوا      هَذَا وَفِي سَيْرِهِمْ جِدٌّ وَتَشْمِيرٌ  
 يَا مُدَّعِي الْحُبِّ فِي شَرِّ الْغَرَامِ وَقَدْ      أَقَامَ بَيْنَهُ لَكِنَّهَا زُرُورٌ  
 أَفْنَيْتَ عُمْرَكَ فِي لَهْوٍ وَفِي لَعَبٍ      هَذَا وَأَنْتَ بَعِيدُ الدَّارِ مَهْجُورٌ  
 لَوْ كَانَ قَلْبُكَ حَيًّا ذُبْتَ مِنْ كَمَدٍ      مَا لِلْجِرَاحِ بِجِسْمِ الْمَيْتِ تَأْنِيْرٌ

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ نَفْسًا مَطْمَئِنَّة تَوْمِن بِلِقَائِكَ وَتَرْضَى بِقَضَائِكَ ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الطاهر الطيب المبارك الأحب إليك الَّذِي إِذَا دَعَيْتَ بِهِ أُجِبْتَ ، وَإِذَا سَأَلْتَ بِهِ أُعْطِيتَ ، وَإِذَا اسْتَرْحَمْتَ بِهِ رَحِمْتَ ، وَإِذَا اسْتَفْرَجْتَ بِهِ فَجَرْتَ أَنْ تَغْفِرَ سَيِّئَاتِنَا وَتَبْدِلَهَا لَنَا بِحَسَنَاتٍ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلِي اللَّهِ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

وختاماً فالواجب على الإنسان المبادرة إلى الأعمال الصالحة ، وأن ينتهز فرصة الإمكان قبل هجوم هادم اللذات .

وأن يستعين بالله ويتوكل عليه ويسأله العون في تيسير الأعمال الصالحة وصرف الموانع الحائلة بينه وبينها .

وليحرص على حفظ القرآن ، وتدبره ، وتفهمه ، والعمل به ، وكذلك السنة ، ويحرص على أداء الصلاة في جماعة .

ويحرص على مجالس الذكر ، ويحفظ لسانه عن الغيبة والنميمة والسعاية والكذب وجميع الأعمال والأخلاق السيئة .

ويتهيأ للرحيل ، ويتفقد نفسه بما عليه ، وما له فإن كان عنده حقوق لله كزكاة أو لخلقه كأمانات أو عواري أو وصايا أداها بسرعة خشية أن يفجأه الموت وهي عنده .

فإذا لم تؤدها أنت في حياتك ، فمن بعدك من أولاد أو إخوان يبعد اهتمامهم بذلك ، لأنهم يهتمون ويشغلون بما خلفته لهم وضيعت بسببه نفسك .

فإن الله البدار بالتفتيش على النفس ، والمبادرة بالتوبة والإكثار من الاستغفار .  
 ومما يحثك على ذلك ذكر مرارة الموت الذي سماه رسول الله ﷺ هادم اللذات ، وتذكر شدة  
 النزع والتفكير في الموتى الذين حسبوا على أعمالهم ليجاوزوا بها فليس فيهم من يقدر على نحو  
 خطيئة ، ولا على زيادة حسنة .

وعاد بعضهم مريضاً فقال له كيف تجدك ؟

قال : هو الموت . قال له : وكيف علمت أنه الموت ؟ قال : أجدي أجتذب اجتذاباً ، وكأن  
 الخناجر في جوفي ، وكأن جوفي تنور محمى يتلهب .

قال له : فاعهد ( أي أوصي ) ، قال : أري الأمر أعجل من ذلك فدعا بدواة وصحيفة قال :  
 فوالله ما أتى بها حتى شخص بصره فمات .

وقال إبراهيم بن يزيد العبدي : أتاني رياح القيسي فقال : يا أبا إسحاق انطلق بنا إلى أهل  
 الآخرة نحدث بقربهم عهداً .

فانطلقت معه ، فأتي المقابر فجلسنا إلى بعض تلك القبور ، فقال : يا أبا إسحاق ما تري هذا  
 متمنياً لو مُنِّئاً ، قلت : أن يرد والله إلى الدنيا فيستمتع من طاعة الله ويصلح .

قال : فيها نحن ، ثم نهض فجد واجتهد ، فلم يلبث إلا يسيراً حتى مات .

ومما يحثك على التأهب والاستعداد لهادم اللذات أن تصور لنفسك عرضها على ربك وتنجيله  
 إياك بمضيض العتاب على فعل ما نهاك عنه قال جل وعلا : ﴿ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴾ .

وقال رسول الله ﷺ : " ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه تبارك وتعالى ليس بينه وبينه ترجمان  
 . "

وعن صفوان بن محرز قال : كنت آخذاً بيد ابن عمر إذ عرض له

رجل ، فَقَالَ كيف سمعت رسول الله ﷺ يَقُولُ في النجوي يوم القيامة .  
 فَقَالَ : سمعت رسول الله ﷺ يَقُولُ : " إن الله يدين المؤمن فيضع عَلَيْهِ كنفه ، ويستتره من الناس ،  
 ويقرره بذنوبه . وَيَقُولُ لَهُ أتعرف ذنب كَذَا ، أتعرف ذنب كَذَا ، حتي إِذَا قرره بذنوبه ورأي في  
 نَفْسِهِ أَنه قَدْ أَهْلَكَ . قال : فإني قَدْ سترتها عَلَيْكَ في الدُّنْيَا وأنا أغفرها لك اليوم .  
 وَمِمَّا يَحْثُكَ عَلَى الاستعداد للموت والابتعاد عن المعاصي أن تتخايل وتتصور شهادة المَكَانِ  
 الَّذِي تعصي فيه عَلَيْكَ يوم القيامة .

فمن أَبِي هُرَيْرَةَ قال : قَرَأَ رسول الله ﷺ ﴿ يَوْمَئِذٍ نُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾ فَقَالَ : " أتدرون ما  
 أَخْبَارُهَا ، أن تشهد عَلَى كُلِّ عبد بما عمل عَلَى ظهرها ، أن تقول عمل كَذَا وَكَذَا في يوم كَذَا  
 وَكَذَا ، فهو أَخْبَارُهَا " .

وَمِمَّا يَحْثُكَ عَلَى التَّأَهُبِ والاستعداد للموت والابتعاد عن المعاصي أن تمثل نفسك عِنْدَ بعض  
 زللك كأنه يُؤمر بك إلى النار التي لا طاقة لمخلوق بها .

وتصور نفاذ اللذة وذهابها وبقاء العار والعذاب .

تَفْنَى اللَّذَاذَةُ مِمَّنْ نَالَ شَهْوَتَهُ      مِنْ الْحَرَامِ وَيَبْقَى الْإِثْمُ وَالْعَارُ  
 تَبْقَى عَوَاقِبُ سُوءٍ فِي مَعْبَتِهَا      لَا خَيْرَ فِي لَذَّةٍ مِنْ بَعْدِهَا النَّارُ

عن أَبِي هُرَيْرَةَ عن النَّبِيِّ ﷺ أنه قال : " ناركم هذه ما يوقدُ بنو آدم جزء واحد من سبعين جزءاً  
 من حر جهنم " . قَالُوا : وَاللَّهِ إِنْ كَانَتْ لِكَافِيَةٍ .

وَقَالَ بعض السَّلَفِ : ربما مثل لي رأسي بين جبلين من نارٍ وَرُبَّمَا رأيتني أهوي فيها حتي أبلغ  
 قعرها فَكَيْفَ تهنأ الدُّنْيَا من كانت هذه صفته .

وَكَانَ عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ربما توقدُ لَهُ النارُ ثُمَّ يدين يديه منها ثُمَّ يَقُولُ : يا ابن الخطاب هل لك  
 عَلَى هَذَا صبر .

وَمِمَّا يَحْثُكَ عَلَى الاستعداد وتفقد شؤونك وأمرك ذكر أحوال كثير من السَّلَفِ الصالح الَّذِي  
 أَقْلَقَهُمْ خوف الحساب والعذاب في البرزخ والنار .

لما أهديت معاذة العدوية إلي زوجها صلة بن أشيم أدخله ابن أخيه الحمام ثم أدخله بيتاً مطيباً فقام يصلي حتى أصبح وفعلت زوجته معاذة مثله .

فلما أصبح عاتبه ابن أخيه إلي رجل عنده متغير اللون ، فقال له : ما الذي بك؟ فقال : إني ذقت حلاوة الدنيا فصغر في عيني زهرتها وملاعبيها ، واستوي عندي حجارتها وذهبها . ورأيت كأن الناس يساقون إلي الجنة ، وأنا أساق إلي النار ، فأسهرت لذلك ليلي ، وأظلمات نهارى ، وكل ذلك صغير حقير في جنب عفو الله ، وثوابه عز وجل وجنب عقابه . وقال إبراهيم التيمي مثلت نفسي في النار آكل من زقومها وأشرب من صديدها وأعالج سلاسلها وأغلاها .

فقلتُ لنفسي أي شيء تريدان ، قالت أريد أن أردد إلي الدنيا فأعمل صالحاً ، قال : فقلتُ أنت في الأمانة فاعلمي .

وسمع عمر بن الخطاب رجلاً يتهدد في الليل ويقرأ سورة الطور ، فلما بلغ قوله تعالى ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ \* مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ﴾ .

قال عمر : قسم ورب الكعبة حق ، ثم رجع إلي بيته فمرض شهراً يعودده الناس ، ولا يدرون ما سبب مرضه .

وكان جماعة من السلف مرضوا من الخوف ولزموا منازلهم وبعضهم صار صاحب فراش . وكان الحسن يقول في وصف الخائفين : قد براهم الخوف فهم أمثال القداح ينظر إليهم الناظر فيقول مرضى وما بهم مرض ويقول : قد حولطوا وقد خالط القوم من ذكر الآخرة أمر عظيم .

اللَّهُمَّ يا منور قلوب العارفين ، يا قاضي حوائج السائلين يا قابل توبة التائبين ويا مفرجاً عن المكروبين والمغمومين ، تب عَلَيْنَا وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وصلي الله على مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وصحبه أجمعين .

### ( فَضْلٌ )

عن بريدة قال : سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ رجلاً يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ لا إله إلا أَنْتَ الأَحدُ الصمد الَّذِي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد .

فَقَالَ رسول الله ﷺ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ سَأَلَ اللهُ بِاسْمِهِ الأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ .

وعن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : دَعَا رَجُلٌ فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الحَمْدَ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ الحَنانُ المَنَّانُ بَدِيعَ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ ذُو الجلال والإكرام يا حي يا قيوم .

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : أَتَدْرُونَ بِمَا دَعَا؟ قَالُوا : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قال : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ دَعَا اللهُ بِاسْمِهِ الأَعْظَمِ إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ ، أَخْرَجَهُ أَصْحَابُ السَّنَنِ .

عن سعد بن أبي وقاص قال : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : " دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دُعِيَ رَبَّهُ وَهُوَ فِي بَطْنِ الحَوْتِ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ " .

فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب له ، رواه الترمذي والنسائي والحاكم وَقَالَ صحيح الإسناد .

وعن معاوية بن أبي سفيان قال : سمعت رسول الله ﷺ يَقُولُ " من دعا بهؤلاء الكلمات الخمس لم يسأل الله شيئاً إلا أعطاه ( لا إله إلا الله والله أكبر لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله ) رواه الطبراني بإسناد حسن .



وعن معاذ بن جبل قال : سَمِعَ رسول الله ﷺ رجلاً وَهُوَ يَقُولُ ( يا ذا الجلال والإكرام ) فَقَالَ :  
" قَدْ اسْتَجِيبَ لَكَ فَسَلْ " . رواه الترمذي .

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مَكْتَرِينَ لَذِكْرِكَ مُؤَدِّينَ لِحَقِّكَ حَافِظِينَ لِأَمْرِكَ رَاجِينَ لَوَعْدِكَ رَاضِينَ فِي جَمِيعِ  
حَالَاتِنَا عِنْدَكَ .

رَاجِبِينَ فِي كُلِّ أَمْرٍ نَاوِلْنَا إِلَيْكَ مُؤْمِلِينَ لِفَضْلِكَ شَاكِرِينَ لِنِعْمِكَ .

يا من يحب العفو والإحسان ، ويأمر بهما اعف عنا ، وأحسن إلينا .

فإنك بالذي أَنْتَ لَهُ أَهْلٌ من عفوك أحق منا بالذي نَحْنُ لَهُ أَهْلٌ من عقوبتك .

اللَّهُمَّ تَبَّتْ رِجَاءُكَ فِي قُلُوبِنَا ، واقطعه عمن سواك ، حتي لا نرجو غيرك ولا نستعين إلا بإياك ،  
يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، ويا أكرم الأكرمين .

اللَّهُمَّ هب لنا اليقين والعافية ، وإخلاص التوكل عَلَيْكَ ، والاستغناء عن خلقك . واجعل خَيْرَ  
أَعْمَالِنَا ما قارب آجالنا .

اللَّهُمَّ اغْنِنَا بما وفقتنا لَهُ من العلم ، وزينا بالحلم وأكرمنا بالتقوي وجملنا بالعافية .

اللَّهُمَّ افتح مسامع قلوبنا لذكرك وارزقنا طَاعَتَكَ وطاعة رسولك ووفقنا للعمل بِكِتَابِكَ وسنة  
رسولك .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الهُدَى والتقي والعافية والغني ، ونعوذ بك من درك الشقاء ، ومن جهد البلاء  
ومن سوء القَضَاءِ ومن شماتة الأعداء .

اللَّهُمَّ لك الحمد كله ، ولك الملك كله ، وبيدك الخَيْرُ كله ، وإليك يرجع الأمر علانيته وسره ،  
أهل الحمد والثناء أَنْتَ ، لا إله إلا أَنْتَ سبحانك إنك عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قدير .

اللَّهُمَّ اغفر لنا جميع ما سلف منا من الدُّنُوبِ ، واعصمنا فيما بقي من أعمارنا ، ووفقنا لعمل  
صالح ترضي به عنا .

اللَّهُمَّ يا سَامِعَ كُلِّ صَوْتٍ ، ويا بَارِئَ النُّفُوسِ بعد الموت ، يا من لا

تشبهه عَلَيْهِ الأصوات ، يا عَظِيم الشَّان ، يا واضح البرهان ، يا من هُوَ كُلَّ يومٍ فِي شَأْن ، اغفر لنا ذنوبنا إِنَّكَ أَنْتَ الغفور الرحيم .

اللَّهُمَّ يا عَظِيم العفو ، يا واسع المغفرة ، يا قريب الرحمة ، يا ذا الجلال والإكرام ، هب لنا العافية فِي الدُّنْيَا والآخرة .

اللَّهُمَّ يا حي يا قيوم فرغنا لما خلقتنا لَهُ ، ولا تشغلنا بما تكفلت لنا به ، واجعلنا ممن يؤمن بلقائك ، ويرضي بقضائك ، ويقنع بعطائك ، ويخشاك حق خشيتك .

اللَّهُمَّ اجعل رزقنا رغداً ، ولا تشمت بنا أحداً .

اللَّهُمَّ رغبتنا فيما يبقي ، وزهدنا فيما يفني ، وهب لنا اليقين الَّذِي لا تسكن النُّفوس إلا إليه ، ولا يعول فِي الدين إلا عليه .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ بعزك الَّذِي لا يرام ومللك الَّذِي لا يضام وبنورك الَّذِي ملأ أركانَ عرشك أن تكفينا شر ما أهمنا وما لا نهتم به وأن تعيدنا من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا .

اللَّهُمَّ يا عليم يا حلیم يا قوي يا عزيز يا ذا المنِّ والعطا والعز والكبرياء يا من تعنوا لَهُ الوجوه وتخضع لَهُ الأصوات .

وفقنا لصالح الأعمال وأكفنا بحلالك عن حرامك وبفضلكَ عمن سواك إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قدير .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ رحمة من عندك تهدي بِهَا قلوبنا ، وتجمع بِهَا شملنا ، وتكلم بِهَا شعنا ، وترفع بِهَا شاهدنا ، وتحفظ بِهَا غائبنا ، وتزكي بِهَا أعمالنا ، وتلهمنا بِهَا رشدنا ، وتعصمنا بِهَا من كُلِّ

سوء يا أرحم الراحمين .

اللَّهُمَّ ارزقنا من فضلك ، وأكفنا شر خلقك ، واحفظ عَلَيْنَا ديننا وصحة أبداننا .

اللَّهُمَّ يا هادي المضلين ويا راحم المذنبين ، ومقيل عثرات العاثرين ،

نسألك أن تلحقنا بعبادك الصالحين الَّذِي أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشَّهَدَاءِ  
وَالصَّالِحِينَ آمِينَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ .

اللَّهُمَّ يَا عَالَمَ الْخَفِيَّاتِ ، وَيَا رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ ، يَا غَافِرَ الذُّنُوبِ وَقَابِلَ التَّوْبِ شَدِيدَ الْعِقَابِ ذَا  
الطُّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ إِلَيْكَ الْمَصِيرُ .

نسألك أن تديقنا برد عفوك ، وحلاوة رحمتك ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَأَرْأَفَ الرَّائِفِينَ وَأَكْرَمَ  
الْأَكْرَمِينَ .

اللَّهُمَّ اعْتَقْنَا مِنَ رِقِّ الذُّنُوبِ ، وَخَلِّصْنَا مِنَ أَشْرِ النُّفُوسِ ، وَأَذْهَبْ عَنَّا وَحْشَةَ الْإِسَاءَةِ ،  
وَطَهِّرْنَا مِنْ دَنَسِ الذُّنُوبِ ، وَبَاعِدْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْخَطَايَا وَأَجْرِنَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ .

اللَّهُمَّ طَيِّبْنَا لِلْقَائِكَ ، وَأَهْلِنَا لَوْلَائِكَ وَأَدْخِلْنَا مَعَ الْمَرْحُومِينَ مِنْ أَوْلِيَائِكَ ، وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ وَأَلْحِقْنَا  
بِالصَّالِحِينَ .

اللَّهُمَّ أَعِنَا عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحَسَنِ عِبَادَتِكَ ، وَتِلَاوَةِ كِتَابِكَ ، وَاجْعَلْنَا مِنْ حَزْبِكَ الْمَفْلُحِينَ  
، وَأَيِّدْنَا بِجَنْدِكَ الْمَنْصُورِينَ ، وَارزُقْنَا مِرَافِقَةَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشَّهَدَاءِ  
وَالصَّالِحِينَ .

اللَّهُمَّ يَا فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوِيِّ ، يَا مَنْشِيءَ الْأَجْسَادِ بَعْدَ الْبَلِيِّ يَا مَوْوِيَّ الْمُنْقَطِعِينَ إِلَيْهِ ، يَا كَافِيَّ  
الْمُتَوَكِّلِينَ عَلَيْهِ ، انْقَطِعِ الرَّجَاءَ إِلَّا مِنْكَ ، نَسْأَلُكَ أَنْ تَمْطُرَ مَحَلَّ قُلُوبِنَا مِنْ سَحَابِ بَرَكَ  
وَإِحْسَانِكَ وَأَنْ تُوَفِّقَنَا لِمَوْجِبَاتِ رَحْمَتِكَ وَعِزَائِمِ مَغْفِرَتِكَ إِنَّكَ جَوَادٌ كَرِيمٌ رُؤُوفٌ غَفُورٌ رَحِيمٌ .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ قَلْباً سَلِيماً ، وَلِسَاناً صَادِقاً ، وَعَمَلاً مُتَقَبِلاً ، وَنَسْأَلُكَ بَرَكَاتِ الْحَيَاةِ وَخَيْرِ الْحَيَاةِ  
، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ الْحَيَاةِ وَشَرِّ الْوَفَاةِ .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الْأَعْظَمِ الْأَغْرَ الْأَجْلَ الْأَكْرَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أُجِبْتَ وَإِذَا سُئِلَ بِهِ  
أُعْطِيَ أَنْ تَغْفِرَ ذُنُوبَنَا وَتَسْتُرَ عِيوبَنَا .

ونسألك بوجهك الكريم أكرم الوجوه ، يا من عنت له الوجوه ،

وخضعت له الرقاب ، وخشعت له الأصوات ، يا ذا الجلال والإكرام .  
يا حي يا قيوم ، يا مالك الملك ، يا من هو على كل شيء قدير ، وبكل شيء عليم ، لا إله إلا أنت ، برحمتك نستغيث ، ومن عذابك نستجير .  
اللَّهُمَّ اجعلنا نخشاك حتي كأننا نراك ، واسعدنا بتقواك ، ولا تشقنا بمعصيتك .  
اللَّهُمَّ إنك تسمع كلامنا ، وتري مكاننا ، وتعلم سرنا وعلانيتنا لا يخفي عليك شيء من أمرنا نحن البؤساء الفقراء إليك ، المستغيثون المستجيرون الوجلون المشفقون المعترفون بذنوبنا .  
نسألك مسألة المسكين ، ونبتهل إليك ابتهال المذنب الذليل ، وندعوك دعاء الخائف الضريب .  
اللَّهُمَّ يا من خضعت له رقابنا ، وفاضت له عباراتنا ، وذلت له أجسامنا ، ورغمت له أنوفنا لا تجعلنا بدعائك أشقياء ، وكن بنا رؤوفاً يا خير المسؤولين .  
اللَّهُمَّ إنا نسألك نفساً مطمئنة ، تؤمن بلقائك وترضي بقضائك ، وتقنع بعطائك ، يا أراف الرائفين ، وأرحم الراحمين .  
اللَّهُمَّ إنا نسألك التوفيق لما تحبه من الأعمال ، ونسألك صدق التوكل عليك ، حسن الظن بك يا رب العالمين .  
اللَّهُمَّ اجعلنا من عبادك المحبتين ، الغر المحجلين الوفد المتقبلين يا أرحم الراحمين .  
اللَّهُمَّ إنا نسألك حياة طيبة ، ونفساً تقية ، وعيشة نقية ، وميتة سوية ، ومرداً غير مخز ولا فاضح .  
اللَّهُمَّ اجعلنا من أهل الصلاح والنجاح والفلاح ، ومن المؤيدين بنصرك وتأييدك ورضاك يا رب العالمين .  
" اللَّهُمَّ مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز

من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير " .  
يا ودود ياذا العرش المجيد يا مبديء يا معيد يا فعال لما تريد نسألك بنور وجهك الذي ملاً  
أركان عرشك وبقدرتك التي قدرت بها على جميع خلقك وبرحمتك التي وسعت كل شيء لا إله  
إلا أنت أن تغفر ذنوبنا وسيئاتنا وأن تبدلها لنا بحسنات إنك جواد كريم رؤوف رحيم .  
اللَّهُمَّ افتح لدعائنا باب القبول والإجابة وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ  
الرَّاحِمِينَ .  
وصلني الله على مُحَمَّد وآله وصحبه أجمعين .

### فَوَائِدُ عَظِيمَةٌ النِّفَعِ

واعجباً منك يضيع منك الشيء القليل وتتكدر وتتأسف ، وقد ضاع أشرف الأشياء عندك  
وهو عمرك الذي لا عوض له ، وأنت عند قتالات الأوقات الكورة والتلفاز والمذيع ونحوها من  
قطاع الطريق عن الأعمال الصالحة ، ولكن ستندم "يوم يناد المنادي من مكان قريب ، يوم  
يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج .

شِعْرًا : قال بعضهم :

أُقَلِّبُ كُتُبًا طَالَمَا قَدْ جَمَعْتَهَا      وَأَفْنَيْتُ فِيهَا الْعَيْنَ وَالْعَيْنَ وَالْيَدَا  
وَأَصْبَحْتُ ذَا ظَنٍّ بِهَا وَتَمَسُّكَ      لِعَلْمِي بِمَا قَدْ صُغْتُ فِيهَا مُنْضِدَا  
وَاحْذَرُ جُهْدِي أَنْ تُنَالَ بِنَائِلِ      مَهِينٍ وَأَنْ يَغْتَالَهَا غَائِلُ الرَّدَى

وَأَعْلَمُ حَقًّا أَنِّي لَسْتُ بَاقِيًا      فَيَا لَيْتَ شِعْرِي مَنْ يُقَلِّبُهَا غَدَا  
 آخِر:      أَتَطْمَعُ أَنْ تُخَلَّدَ لَا أَبَالَكَ      أَمِنْتَ مِنَ الْمَنِيَّةِ أَنْ تَنَالَكَ  
 فَكُنْ مُتَوَقِّعًا لِهُجُومِ مَوْتٍ      يُشَتِّتُ بَعْدَ جَمْعِهِمْ وَأَعْيَالَكَ  
 كَأَنِّي بِالتَّرَابِ عَلَيْكَ يُحْثَى      وَبِالْبَاكِينَ يَتَقَسِّمُونَ مَالَكَ  
 آخِر:      يَا مَنْ سَيِّئَى عَنِ بَنِيهِ      كَمَا نَأَى عَنْهُ أَبُوهُ  
 مَثَلٌ لِنَفْسِكَ قَوْلُهُمْ      جَاءَ الْيَقِينُ فَوَجَّهْهُ  
 وَتَحَلَّلُوا مِنْ ظُلْمِهِ      قَبْلَ الْمَمَاتِ وَحَلَّلُوهُ

تم هذا الجزء بعون الله وتوفيقه ونسأل الله الحي القيوم العلي العظيم ذا الجلال والإكرام الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد أن يعز الإسلام والمسلمين وأن يخذل الكفرة والمشركين وأعدائهم وأن يصلح من في صلاحه صلاح للإسلام والمسلمين ويهلك من في هلاكه عز وصلاح للإسلام والمسلمين وأن يلم شعث المسلمين ويجمع شملهم ويوحد كلمتهم وأن يحفظ بلادهم ويصلح أولادهم ويشف مرضاهم ويعافي مبتلاهم ويرحم موتاهم ويأخذ بأيدينا إلى كل خير ويعصمنا وإياهم من كل شر ويحفظنا وإياهم من كل ضر وأن يغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين برحمته إنه أرحم الراحمين وصلي الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

والله المستول أن يجعل عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفع به نفعاً عاماً إنه سميع قريب مجيب على كل شيء قدير .

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين . ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليمًا كثيرًا .

" عَبْدُ الْعَزِيزِ الْمُحَمَّدُ السَّلْمَانُ "

## فهرس الجزء الرابع من موارد الظمان

رقم الصفحة	الموضوع
٥	نماذج من الفراسة وفي وسطها موعظة بليغة وقصيدة.....
٣٣	الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، زهده في الدنيا وورعه وعدله وإنصافه.....
٣٧	من كلام الإمام علي رضي الله عنه في كتاب العهد للأشتر وتوصيته له في تفقدته أمور الرعية وتحذيره من سفك الدماء والظلم.....
٤٠	مخاصمته رضي الله عنه للنصراني وإنصافه وتشجيعه علي الإسلام وزهده وذكر بعض الحكم المروية عنه - ضرب مثل.....
٦٧	قصيدة بليغة زهدية وعظمية مطلعها حث على شكر الله تعالى وتعداد بعض نعمه علي عبادته وقدرته وحكمته وآخرها تشويق إلي الجنة وما أعد الله لها.....
٧١	في ذكر بعض سيرة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه زهده - ورعه - عدله.....
٧٢	عمر مع زوجته وابنته وابنه وأمره بأموال جماعة من بني أمية تجعل في بيت المال وبعد ذلك يئس الناس من المظالم واطمأنوا إلي العدل.....
٧٣	ورعه المفرط ووعظه البليغ وزهده.....
٧٧	زهده عمر في مراكب الخلافة لما قربت له.....
٧٩	عمر وفقه الله ولداً صالحاً يعينه علي العدل والزهد في الدنيا.....
٨٠	رد عمر بن عبد العزيز علي الجبار عمر بن الوليد.....

- ٨١ كتاب عمر إلى أحد عماله يوبخه علي مقال له أخطأ فيه.....
- ٨١ إقامته العدل مع روح بن الوليد بن عبد الملك.....
- ٨٢ موعظة بليغة في التحذير من الكبر والحث علي ضده.....
- ٨٥ قصيدة بليغة في الحث علي طاعة الله والتزام العمل بالكتاب والسنة.....
- ٨٧ عمر بن عبد العزيز يأمر بعدم تقييد المسجونين لأنه يمنعهم من الصلاة..
- ٨٨ وتخييره جواربه عندما ولي الخلافة بالبقاء معه أو التسريح وذكر نموذج من  
تقشفه وأبيات كثيرة ما يتمثل بها وكلامه حول علماء السلف وعلماء  
عصره رضي الله عنه وأبيات في الحث علي العلم.....
- ٩١ جواب عمر لمسلمة عندما قال له أفقرت أفواه ولدك.....
- ٩٢ كلام عمر لابنه عبد الملك وهو مريض وما قال بعد موت ابنه.....
- ٩٣ وصية عمر لمن أراد أن يصحبه.....
- ٩٤ بنات عمر لا يجدن عشاء إلا بصلاً.....
- ٩٦ جواب عمر لعنيسة في طلبه منه تنفيذ ما أمر له به وذكر شيء من ورعه  
وزهده.....
- ١٠٤ القصيدة الشيبانية.....
- ١٠٩ إعلان عمر الجوائز لمن يدلّه علي الخير وطلبه من عبد الله بن الشخير  
والحسن البصري يطلب منهما الوعظ له والجواب علي ذلك.....
- ١١٠ قصة المرأة العراقية.....
- ١١١ عطاء يرسل إلي زوجة عمر يسأله عن عمر وشئونه في وقته وكيف  
يقضيه.....
- ١١٣ من لطف الله بعمر أن قيض له ابناً يعينه علي طاعة الله.....
- ١١٥ موعظة في الحث علي الاستعداد للرحيل إلى القبور.....



- ١١٧ أبو مسلم الخولان يصدع بالحق أمام معاوية ولا يبالي بغضب معاوية...
- ١١٩ كتاب سفيان الثوري إلى أخ له.....
- ١٣١ فصل في مآل الإنسان ومصيره وبعده قصيدة بليغة في مصير الإنسان....
- ١٣٦ وحالته عند الاحتضار وبعد خروج روحه.....
- ١٣٧ قصيدة زهدية في الحث علي الاستعداد للموت.....
- ١٤٢ قصيدة تتضمن بيان مفتاح الخير والشر ويليهاموعظة بليغة.....
- ١٤٣ موعظة في الحث علي التعاون والصلة والبر والأخوة في الله.....
- ١٤٥ والتحذير من الظلم وأكل حقوق عبَاد الله.....
- ١٤٩ فصل في التواضع والحث عليه والتحذير من الكبر والتحذير من المعاصي  
وأصحابها ومجالس اللهو والغناء والكبر فيه مضار عظيمة والتواضع فيه  
فوائد عديدة.....
- ١٥٦ موعظة بليغة في الحث علي الاستعداد للآخرة.....
- ١٥٨ قصيدة زهدية في الحث علي الاستعداد للموت.....
- ١٦١ موعظة بليغة حول تربية الأولاد.....
- ١٦٢ ما قاله في الدروس الوعظية - ويليه فصل مواغظ.....
- ١٦٨ قصيدة بليغة فيما فعل الطغاة العتاة البغاة في المسلمين.....
- ١٧٧ فصل في كلام نافع في بيان فوائد الجوع وآفات الشبع.....
- ١٨٠ قصيدة في نماذج من معجزات النبي ﷺ.....
- ١٨٨ فصل في ذكر نماذج من تواضع المصطفى ﷺ.....
- ١٩٣ قصيدة ثم أخرى في ذكر شيء من معجزاته ﷺ.....
- ٢٠٣ في المعاشرة والحلم وآثاره والأسباب الباعثة علي ضبط النفس
- ٢٠٦ النقد - الشجاعة - الجبن - التهور

- أمثلة للحلم في مراتب الناس وما يفيدده الحلم :
- ٢٠٩ ..... موعظة في الحث علي التزود للآخرة.....
- ٢١٠ ..... الأسباب الباعثة علي الحلم عشرة.....
- ٢١٥ ..... الحلم له حدود ففي بعض الحالات لا يحسن الحلم.....
- ٢١٨ ..... موعظة في مكارم الأخلاق والحث علي حسن الخلق.....
- ٢٢١ ..... تأسف علي رجال مضوا وفقدوا وذهبت صفاتهم وبقيت أضدادهم
- ٢٢٣ ..... الحث علي الزواج وذكر الأدلة علي ذلك وذكر الضرر الحاصل بعدم الزواج.....
- ٢٢٤ ..... الفوائد التي تحصل بالزواج.....
- ٢٢٦ ..... الحث علي الزواج وتحذير من تركه لمن قدر.....
- ٢٢٨ ..... قصة سعيد بن المسيب وتزوج ابنته بفقير والتحذير علي الزواج بالأجنبيات.....
- ٢٣٠ ..... وذكر بعض المضرات فيهن ليكن اللبيب علي حذر منهم.....
- ٢٣٢ ..... يسن لمن يريد الزواج تخير ذات الدين وإباحة النظر لمن يريد خطبتها بلا خلوة والفحص عن ما هو سبب الرغبة.....
- ٢٣٥ ..... التحذير من التزوج بخضراء الدمن ويليه نظم من النونية.....
- ٢٣٧ ..... موعظة في حكم تعدد الزوجات والحث علي العدل.....
- ٢٣٩ ..... الحث علي الحصول علي الزوجة الدينية حسنة السيرة راجحة العقل المحسنة التدبير طيبة الأصل.....
- ٢٤١ ..... عظم أجر المرأة الصالحة التي يموت زوجها وهو عنها راضي.....
- ٢٤١ ..... الحث علي تزوج البكر وما فيه من فوائد وبيان أن النساء ثلاث لك وعليك ولا لك ولا عليك.....

- ٢٤٦ موعظة في التحذير من الدخان وذكر بعض مضراته.....
- ٢٥٠ الحث علي اختيار الزوجة الشريفة الدينية والاقتصاد عليه.....
- ٢٥١ بعض العلماء يذكر صفات زوجته ويبالغ في المدح.....
- ٢٥٤ موعظة بليغة تصور حالة النساء والرجال في زمننا وما وصل إليه طغيان الشهوة.....
- ٢٥٧ والحث علي حفظ النساء في البيوت وبعده قصيدة في الفرق بين مطيع الله ومطيع الشيطان متبع الشهوة.....
- ٢٥٨ التحذير من الملاهي ومضراتها العظيمة.....
- ٢٦٠ المعاشرة بين الزوجين وبيان عظم حق الزوج والأدلة علي ذلك.....
- ٢٦١ مما ينبغي للمرأة من الآداب نحو زوجها.....
- ٢٦٦ الوصية بالإحسان إلي الزوجة.....
- ٢٦٩ حث الرجل علي أن يتحمل مع زوجته ويدمح زلتها ويقيس بين المساوي والمحاسن ويعمل بالعدل أو يتفضل.....
- ٢٧١ الواجب علي المرأة طاعة زوجها في غير معصية الله.....
- ٢٧٢ ذكر بعض المشاكل التي تقع بين الزوجين والحث علي تجنبها.....
- ٢٧٤ وبعد ذلك قصيدة.....
- ٢٧٦ ذكر بعض أحوال يوم القيامة.....
- ٢٧٨ مشهد من مشاهد يوم القيامة ويليهِ موعظة.....
- ٢٨٣ رد علي البعث والأدلة علي ذلك.....
- ٢٩٨ من الأدلة علي البعث.....
- ٣٠٤ ويلي ذلك قصيدة رد علي من قال بالطبيعة.....
- ٣٠٨ طبقات المكلفين.....

٣١١	..... موعظة بليغة في ذكر بعض نعم الله على خلقه.....
٣١٣	حديث جليل نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس والحث علي صيانة الوقت.....
٣٢١	..... وصية الإمام الموفق وابن القيم رحمهما الله.....
٣٢٣	..... قصيدة في الحث علي أخذ الزاد للدار الآخرة.....
٣٢٣	..... من كلام ابن القيم في عمارة الوقت.....
٣٣٧	..... قصيدة بليغة في التضجر من أهل هذا الزمان.....
٣٤٢	..... من كلام ابن القيم في الجهاد.....
٣٦	..... من نظم ابن عبد القوي في الجهاد في سبيل الله.....
٣٥٢	..... فائدة جلييلة ويليها موعظة بليغة.....
٣٦١	..... فصل يحتوي علي نبذة يسيرة من سيرة النبي ρ.....
٣٦٢	..... قصيدة في مدح النبي ρ.....
٣٦٤	..... بعد مولده ρ أول وقصة رضاعه.....
٣٦٥	..... خروجه ρ مع عمه أبي طالب إلي أن بلغ بصرى.....
٣٦٦	..... تزوجه ρ خديجة رضي الله عنها.....
٣٦٨	..... رعية الغنم واتجاره ρ وذكر أولاده.....
٣٦٩	..... قصيدة لبعض الصحابة حول دعوته ρ للتوحيد.....
٣٧٠	..... كلام شيخ الإسلام رحمه الله حول صفات النبي ρ.....
٣٧٣	..... قصة أبي أيوب الأنصاري ونزول الرسول ρ عنده.....
٣٧٨	..... موعظة بليغة في التحذير من الغضب.....
٣٨٢	..... من وفائه ρ وما جربله عند تزوجه بخديجة وتأيد خديجة له رضي الله عنها
٣٨٩	..... موعظة بليغة في عظم شأن الصلاة.....

- ٣٩٨ ..... نماذج من حلمه ρ
- ٤٠٢ ..... من مزحه ρ وعفوه وتواضعه.
- ٤٠٧ ..... موعظة مشهد من مشاهد القيامة.
- ٤١١ ..... نماذج من عدل النبي ρ ويلى ذلك موعظة بعدها أيضاً نماذج من عدله  
..... ρ
- ٤١٣ ..... سيرة النبي ρ من آياته وأخلاقه وأقواله وأفعاله قاله الشيخ تقي الدين
- ٤١٥ ..... قصيدة مرثية لحسان يرثي بها رسول الله ρ
- ٤٢٥ ..... موعظة بليغة في غربة الدين وانحطاط أهل هذا الزمن وكثرة الفتن والمنكرات  
والفساد.....
- ٤٣٤ ..... ويلىه التونية لابن القيم في المتمسكين بسنة النبي ρ في آخر الزمان....
- ٤٤٠ ..... موعظة بليغة في الحث على الإقبال على النفس والاعتناء بها.....
- ٤٤٥ ..... كلام ابن رجب على حديث ابن عباس في وصية الرسول ρ
- ٤٦٨ ..... من كلام ابن القيم وفوائده يليه موعظتان.....
- ٤٨٣ ..... كلام ابن رجب على حديث سددوا وقاربوا ... الخ.....
- ٥٠٠ ..... الرياء : تعريفه ، خطره ، ضرره ، من يفعله.....
- ٥٠٤ ..... الأدلة على تحريمه ، علامات المرئي ، أول الناس يقضي عليه.....
- ٥٠٦ ..... المرأون في العبادات أقسام مثال للمرئي الشرير.....
- ٥٠٨ ..... قصيدة تتضمن النصح والزهد في الدنيا والإقبال على الآخرة.....
- ٥٠٩ ..... أنواع الرياء ، الرياء في الفرائض ، الرياء في النوافل.....
- ٥١٠ ..... النية عليها مدار عظيم ، عمل المرئي عليه ، أدلة على تحريمه.....
- ٥١١ ..... الرياء في الهيئة ، علاج نافع لقلع الرياء وقطعه.....
- ٥١١ ..... قصيدة زهدية وعلاج للرياء ويلىه موعظة بليغة.....

- ٥١٤ فصل في الكبر والعجب ، أنواع الكبر ، من أسباب الكبر.....
- ٥١٥ من أنواع الكبر والفرق بينه وبين ما يحفظ به الكرامة من العزة.....
- ٥١٧ موعظة تتضمن التحذير من المعاصي قابلة لأن تكون خطة إذا كملت...
- ٥١٩ أنواع الكبر ، وذكر بعض الطغاة المتكبرين على الحق.....
- ٥٢١ نماذج من تكبر المشركين على ضعفاء المسلمين واقتراحاتهم.....
- ٥٢٢ الهوجاء التي نزل القرآن بالتحذير عنها والإبعاد عنها لقبحها.....
- ٥٢٤ قصيدة زهدية في الحث على الأعمال الصالحة ويليها موعظة.....
- ٥٢٥ التكبر على الخلق من شر الرذائل وأقبح الخصال وصاحبه ممقوت.....
- ٥٢٦ في الحث على التواضع ، والابتعاد عن الكبر والأدلة على ذلك.....
- ٥٣١ لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة خردل من كبر.....
- ٥٣٢ أول ثلاثة يدخلون النار ، أربعة يبغضهم الله.....
- ٥٣٣ آيات في الحث على التزود للأخرة ويليها موعظة بليغ.....
- ٥٣٤ آيات في ذم الدنيا ويليها ، من خير عباد الله ومن شرهم.....
- ٥٣٥ آيات زهدية ويليها موعظة متضمنة لبعض صفات المتكبر.....
- ٥٣٥ آثار الكبر تظهر على جوارح المتكبر ، وفي أقواله ، وهيئاته.....
- ٥٣٧ في التحذير من الكبر ومقارنة المتكبر ومصاهرته ومشاركته . . الخ...
- ٥٣٨ من آثار الكبر ، المتكبرين إخوان الشياطين.....
- ٥٤٣ من يعمل ضد الكبر ، مع رفعة مكانه ، ومن آثار الكبر.....
- ٥٤٥ نماذج أيضاً في الملابس والأكل والتناول للمتكبر.....
- ٥٤٥ ربما وصل الكبر بصاحبه إلى الكفر بالله ، والعياذ بالله.....
- ٥٤٦ قصيدة زهدية في الحث على القناعة.....
- ٥٤٩ الكبر بالنسب وبالجمال وبالقوة والكبر بالمال وعلاجه بإذن الله.....

- ٥٥٢ حال من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ولا يعمل بذلك العمل بالختام ،  
 مما يضر بعلماء العصر الحاضر.....
- ٥٥٣ ويلى ذلك قصيدة زهدية فيها عبر ومواعظ.....
- ٥٥٦ الغضب ، تعريفه ، درجاته ، التحذير منه.....
- ٥٥٧ أسباب الغضب كثيرة نذكر منها طرفاً.....
- ٥٥٩ آثار نار الغضب بالأمثلة الموضحة لها.....
- ٥٦١ من أسباب الغضب ، علاج الغضب.....
- ٥٦٢ المواطن التي يحسن الغضب لها ، تقسيم العباد في حال الغضب.....
- ٥٦٣ من سيئات الغضب ، وصية النبي  $\rho$  بترك الغضب.....
- ٥٦٤ التحذير من العقاب وقت الغضب ، والصفح عن أساء ، قدرة الشيطان..
- ٥٦٥ على الإنسان وقت الغضب ، ويليها قصيدة زهدية.....
- ٥٦٦ موعظة جلييلة القدر في التحذير من الغضب والحث على الرفق.....
- ٥٦٧ فصل في الحسد ، معنى الحسد ، أدلة على تحريمه وذمه.....
- ٥٧٠ مراتب الحسد خمس موضحة.....
- ٥٧٢ أسباب الحسد كثيرة نذكر بعضها والأمثلة لها.....
- ٥٧٥ دواء الحسد بعد معرفة أضراره.....
- ٥٧٦ أبيات حول طهارة القلب من الحسد والنقد والبغض ، بشاره سارة لمن  
 وفق لها ، والأدلة على ذلك.....
- ٥٧٨ موعظة بليغة في التحذير من الحسد.....
- ٥٨١ قصيدة فيها عظة عن الإساءة إلى عباد الله المؤمنين ويليها قصيدة.....
- ٥٨٢ موعظة في الحث على التزود للآخرة ويليها قصيدة زهدية.....
- ٥٨٣ قصيدة لسابق البربري ألقاها على عمر بن عبد العزيز رحمهما الله.....

٥٨٦	أركان الكفر أربعة ، بيان منشأؤها ويليها قصيدة زهدية حول القلب وما يعرض له ، مثل القلب كمثل حصن له أبواب.....
٥٩٠	ذكر بعض أبواب القلب التي يدخل معها الشيطان ، التحذير عن مواقع التهم ومواقفها ٨ النية عليها مدار الأعمال ، القلوب.....
٥٩٣	في الثبات على الخير والشر ويليها قصيدة زهدية ويليه قصيدة.....
٥٩٥	ذكر مداخل الشيطان إلى القلوب.....
٦٠٠	علاج مداخله في دفعها وإزالتها.....
٦٠٨	قال أحد العلماء إن القلب كالحصن ... الخ.....
٦١٣	قصيدة بليغة.....
٦١٦	فضل الاستغفار والحث عليه.....
٦٢١	قصيدة في الحث على التضرع إلى رب العزة والجلال.....
٦٢٣	وصية - نصيحة.....
٦٢٤	فصل في النصيحة مرتان.....
٦٣٥	فصل من وصايا أبي حنيفة.....
٦٤١	العقبات التي يتدرج فيها الشيطان لإغراء العبد.....
٦٤٦	الحكمة كالجواهر.....
٦٤٩	فصل في الحكمة.....
٦٥١	فائدة عظيمة النفع.....
٦٥٢	ختام.....
٦٥٣	حث على التأهب والاستعداد لهادم اللذات.....
٦٦٠ : ٦٥٦	فصل في أحاديث وردت في الدعاء.....